

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الثاني

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية



دار المغارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.ع.م.

تاريخ الطب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

وكان أصحاب الكهف فتية آمنوا بربهم ؛ كما وصفهم الله عز وجل به من صفتهم في القرآن المجيد ؛ فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :

﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ . (١)

والرقيم هو الكتاب الذي كان القوم الذين منهم كان الفتية ، كتبوه في لوح بذكر خبرهم وقصصهم ، ثم جعلوه على باب الكهف الذي أووا إليه ، أو نقره في الجبل الذي أووا إليه ، أو كتبوه (٢) في لوح وجعلوه في صندوق خلفوه (٣) عندهم ، « إذ أوى الفتية إلى الكهف » .

وكان عدد الفتية — فيما ذكر ابن عباس — سبعة ، وثامنهم كلبهم .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن سيمك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، (٤) قال : أنا من القليل ، كانوا سبعة .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن ابن عباس كان يقول : أنا من أولئك القليل الذين استثنى الله تعالى ؛ كانوا سبعة وثامنهم كلبهم (٥) .

(١) سورة الكهف ٩ .

(٢) في الأصول : « وكتبوه » .

(٣) ت : « وخلفوه » .

(٤) سورة الكهف ٢٢ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

(٥) الخبر في التفسير ١٥ : ١٥٠ (بولاق) .

قال : وكان اسمُ أحدهم - وهو الذى كان يَلْبِي شِيراً الطعامَ لهم ، الذى ذكره الله عنهم أنهم قالوا إذ هبُّوا من رقتهم : ﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاماً فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ﴾ .^(١)
حدثني عبد الله بن محمد الزهرى ، قال : حدثنا سفيان ، عن مقاتل :
﴿ فَأَبْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ﴾ - اسمه يملِخ .^(٢)

وأما ابنُ إسحاق فإنه قال - فيما حدثنا به ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، عنه : اسمه يملِخا .

وكان ابن إسحاق يقول : كان عدد الفتية ثمانية ؛ فعلى قوله كان كلُّهم تاسعهم . وكان - فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - يسميهم فيقول : كان أحدهم - وهو أكبرهم والذى كلَّم الملك عن سائرهم - مكسميلينا ، والآخر محسميلينا ، والثالث يملِخا ، والرابع مرطوس^(٣) ، والخامس كسوطونس^(٤) ، والسادس بيرونس^(٥) ، والسابع رسمونس^(٦) ، والثامن بطونس^(٧) ، والتاسع قالوس^(٨) . وكانوا أحداثاً .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : لقد حدثت أنه كان على بعضهم من حداثة أسنانهم وضح الورق . وكانوا من قوم يعبدون الأوثان من الروم ، فهداهم الله للإسلام ، وكانت شريعتهم شريعة عيسى في قول جماعة من سلف علمائنا .

(١) سورة الكهف ١٩ ، والخبر في التفسير ١٥ : ١٤٨ (بولاق) .

(٢) ت ، ح : « تمنيح » ، التفسير : « يملِخ » .

(٣) التفسير : « مرطونس » .

(٤) التفسير : « كسوطونس » ، ل : « كسر طويس » .

(٥) التفسير : « يبورس » .

(٦) التفسير : « يكرنوس » .

(٧) التفسير : « يطبيونس » ، ل : « بطويس » ، ح : « بطوس » .

(٨) التفسير : « قالوش » .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو -

يعنى ابن قيس الملائى - فى قوله : ﴿ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾ ، كانت الفتية على دين عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم على الإسلام ، وكان ملكهم كافراً . وكان بعضهم يزعم أن أمرهم ومصيرهم إلى الكهف كان قبل المسيح ، وأن المسيح أخبر قومه خبرهم ، فإن الله عز وجل ابتعثهم من رقبتهم بعد ما رفع المسيح ، فى الفترة بينه وبين محمد صلى الله عليه وسلم ، والله أعلم أى ذلك كان .

فأمّا الذى عليه علماء أهل الإسلام فعلى أن أمرهم كان بعد المسيح . فأمّا أنه كان فى أيام ملوك الطوائف ؛ فإن ذلك مما لا يدفعه دافع من أهل العلم بأخبار الناس القديمة .

وكان لهم فى ذلك الزمان ملك يقال له : دقنوس ، يعبد الأصنام - فيما ذكر عنه - فبلغه عن الفتية خلافهم إياه فى دينه ، فطلبهم فهربوا منه بدينهم ، حتى صاروا إلى جبل لهم يقال له - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى نجيع ، عن مجاهد ، عن ابن عباس - نحلوس .

وكان سبب إيمانهم وخلافهم به قومهم - فيما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا معمر ، قال : أخبرنى إسماعيل بن سديس^(١) ، - أنه سمع وهب بن منبه يقول : جاء حوارى عيسى بن مريم إلى مدينة أصحاب الكهف ، فأراد أن يدخلها ، فقيل له : إن على بابها صنماً لا يدخلها أحد إلا سجد له ، فكره أن يدخلها ، فأقى حماماً ، وكان فيه قريباً من تلك المدينة ، فكان يعمل فيه ، يؤاجر^(٢) نفسه من صاحب الحمام . ورأى صاحب الحمام فى حمامه البركة ، ودر^(٣) عليه الرزق ، فجعل يعرض عليه [الإسلام]^(٤) ويجعل يسترسل إليه . وعلقه فتية من أهل المدينة وجعل يُخبرهم

(١) ل : « شروس » ، ح : « سروس » ، ت : « سلوش » .

(٢) ح ، ل : « يأجر » . (٣) فى ط : « رد » وما أثبتته من التفسير وانظر التصويبات .

(٤) من التفسير .

خبر السماء والأرض وخبر الآخرة ، حتى آمنوا به وصدّقه ، وكانوا على مثل حاله في حسن الهيئة ، وكان يشترط^(١) على صاحب الحمام أن الليل لي ، لا تحول بيني وبين الصلاة إذا حضرت . فكان على ذلك حتى جاء ابنُ الملك بامرأة ، فدخل بها الحمام ، فعيّره الحواريّ ، فقال : أنت ابنُ الملك وتدخلُ ومعك^(٢) هذه الكذا^(٣) ! فاستحيا ، فذهب . فرجع مرة أخرى ، فقال له مثل ذلك ، وسبّه وانتهره ، ولم يلتفت حتى دخل ، ودخلت معه المرأة فأتتا في الحمام جميعاً ، فأبى الملك فقبل له : قتل صاحبُ الحمام ابنتك . فالتّميس ، فلم يُقدّر عليه فهرب . قال من كان يصحبه : فسمّوا الفتية ؛ فالتّميسوا فخرجوا من المدينة ، فرأوا بصاحبٍ لهم في زرع له ، وهو على مثل أمرهم فذكروا أنهم التّميسوا ، وانطلق معهم ومعه الكلب ؛ حتى آواهم الليل إلى الكهف ، فدخلوه فقالوا : نبئت هاهنا الليلة ثم نصبح إن شاء الله ، فتروّن رأيكم . فضرب على آذانهم ، فخرج الملك في أصحابه يتبعونهم ، حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف ؛ فكلّما أراد رجل أن يدخل أَرعِب ، فلم يطق أحد أن يدخل ، فقال قائل : أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم ؟ قال : بلى ، قال : فابنٍ عليهم باب الكهف ، فدعّهم فيه يموتوا عطشاً وجوعاً . ففعل^(٤) . فعبروا — بعد ما بنى عليهم باب الكهف — زماناً بعد زمان .

ثم إن راعياً أدركه المطر عند الكهف ، فقال : لو فتحت هذا الكهف فأدخلته غنمي من المطر ! فلم يزل يعالجه حتى فتح ما أدخل فيه ، وردّ الله إليهم أرواحهم في أجسادهم من الغد حين أصبحوا ، فبعثوا أحدهم بورق يشتري لهم طعاماً ، فكلّما أتى باب مدينتهم رأى شيئاً ينكّره ، حتى دخل على رجل ، فقال : بمعنى بهذه الدراهم طعاماً ، قال : ومن أين لك هذه الدراهم ! قال : خرجت وأصحابي لي أمس ، فأوانا الليل حتى أصبحوا ، فأرسلوني ، فقال :

(١) ت والتفسير : « يشترط » .

(٢) ح ، ل : « ملك » .

(٣) التفسير : « النكداء » .

(٤) إلى هنا ، الخبر في التفسير ١٥ : ١٣٦ (بولاق) .

هذه الدراهم كانت على عهد الملك فلان فَأَتَى لكَ بِهَا ! فرفعه إلى الملك - وكان ملكاً صالحاً - فقال : من أين لك هذه الورق ؟ قال : خرجت أنا وأصحاب لي أمس حتى أدركتنا الليل في كهف كذا وكذا ، ثم أمروني أن أشتري لهم طعاماً . قال : وأين أصحابك ؟ قال : في الكهف ، قال : فانطلقوا معه حتى أتوا باب الكهف ، فقال : دعوني أدخل إلى أصحابي قبلكم ، فلما رأوه ودنا منهم ضُرب على أذنه وآذانهم ، فجعلوا كلما دخل رجل أَرْعَب ، فلم يقدرُوا على أن يدخلوا إليهم ، فبنوا عندهم كنيسة ، ٧٨١/١ واتَّخَذُوا مسجداً يصلُّون فيه .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن عكرمة ، قال : كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم ، رزقهم الله الإسلام ، ففردوا^(١) بدينهم ، واعتزلوا قومهم ، حتى انتهوا إلى الكهف ، فضرب الله على سُمُخَانِهِمْ . فلبثوا دهرًا طويلاً ، حتى هلكت أمتهم ، وجاءت أمة مسلمة ، وكان ملكهم مسلماً ، واختلفوا في الروح والجسد ، فقال قائل : تبعث الروح والجسد جميعاً ، وقال قائل : تبعث الروح ، وأما الجسد فتأكله الأرض ، فلا يكون شيئاً . فشقَّ على ملكهم اختلافهم ، فانطلق فلبس المسوح ، وجلس على الرماد ، ثم دعا الله عز وجل ، فقال : يا رب ، قد ترى اختلاف هؤلاء ، فابعث لهم ما يبين لهم ، فبعث الله أصحاب الكهف ، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً ، فدخل السوق ، فجعل يُنْكِرُ الوجوه ويعرف الطرق^(٢) ، وبرى الإيمان بالمدينة ظاهراً ، فانطلق وهو مستخف ، حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً ، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها - قال : حسبت أنه قال : كأنها أخفاف الرُّبْع - يعنى الإبل الصغار - قال له الفتى : أليس ملككم فلان ؟ قال : بل ملكنا فلان ، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك ، فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه ، فبعث الملك في الناس ، فجمعهم فقال : إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد ،

(١) ت والتفسير : « ففردوا » .

(٢) ت : « الطريق » .

وإن الله عز وجل قد بعث لكم آية ، فهذا رجل من قوم فلان — يعني ملكهم الذى مضى — فقال الفتى : انطلقوا بي إلى أصحابي ، فركب الملك ، وركب معه الناس ، حتى انتهى إلى الكهف ، فقال الفتى : دعوني أدخل إلى أصحابي ، فلما أبصرهم ضرب الله على أذنه وعلى آذانهم ، فلمّا استبطئوه دخل الملك ودخل الناس معه ، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها . فقال الملك : هذه آية بعثها الله لكم ^(١) .

* * *

قال قتادة : وغزا ابن عباس مع حبيب بن مسلمة ، فرثوا بالكهف ، فإذا فيه عظام ، فقال رجل : هذه عظام أصحاب الكهف ، فقال ابن عباس : لقد ذهب عظامهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة .

* * *

قال أبو جعفر : فكان منهم ^(٢) :

(١) الخبر في التفسير ١٥ : ١٤٣ (بولاقي) .

(٢) أى من كان في أيام ملوك الطوائف . انظر ابن الأثير ١ : ٢٠٨ .

يونس بن متى

— فكان فيما ذُكر — من أهل قرية من قرى الموصل يقال لها : نينوى ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فبعث الله إليهم يونس بالنهي عن عبادتها ، والأمر بالتوبة إلى الله من كفرهم ، والأمر بالتوحيد . فكان من أمره وأمر الذين بُعِثَ إليهم ما قصه الله في كتابه ، فقال عز وجل : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) . وقال : ﴿ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ ۖ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ۖ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٢) .

* * *

وقد اختلف السلف من علماء أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ذهابه لربه مغاضباً وظنه أن لن يُقدَّر ^(٣) عليه ، وفي ^(٤) حين ذلك .

فقال بعضهم : كان ذلك منه قبل دعائه القوم الذين أرسل إليهم ، وقبل إبلاغه إياهم رسالة ربه ؛ وذلك أن القوم الذين أرسل إليهم لما حضروهم عذاب الله أمر بالمصير إليهم ؛ ليعلمهم ما قد أظلمهم من ذلك ، لينبئوا مِمَّا هم عليه مقيمون مما يسخطه الله ، فاستنظر ربه المصير إليهم ، فلم يُنظره ، فغضب لاستعجال الله إياه للنفوذ لأمره وترك إنظاره .

(١) سورة يونس ٩٨ .

(٢) سورة الأنبياء ٨٧ ، ٨٨ .

(٣) كذا في ت : وفي ط : « نقدر » .

(٤) ج ، ل : « في » بدون واو .

• ذكر من قال ذلك :

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا الحسن الأشيب ، قال : سمعت أبا هلال محمد بن سُلَيْمٍ ، قال : حدَّثنا شهر بن حَوْشَب ، قال : أتاه جبريل عليه السلام - يعنى يونس - وقال : انطلق إلى أهل نينوى ، فأندِرهم أنَّ العذاب قد حضرهم . قال : ألتمسُ دابَّةً ، قال : الأمرُ أعجل من ذلك ، قال : ألتمسُ حذاءً ، قال : الأمرُ أعجل من ذلك ، قال : فغضب ، فانطلق إلى السفينة فركب ، فلما ركب احتبست السفينة لا تتقدَّم ولا تأخَّر . قال : فساهموا . قال : فَسَهُمُ^(١) ، فجاء الحوت يبصبص بذنبه ، فنودى الحوت : أيا حوت ؛ إنا لم نجعل يونس لك رزقاً ، إنَّما جعلناك له حِرْزاً ومسجداً ، فالتقمه الحوت ، فانطلق به من ذلك المكان حتى مرَّ به على الأيَّلة^(٢) ، ثم انطلق حتَّى مرَّ به على دِجَلة ، ثم انطلق به حتى ألقاه في نينوى^(٣) .

٧٨٤/١

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا الحسن ، قال : حدَّثنا أبو هلال ، قال : حدَّثنا شهر بن حَوْشَب ، عن ابن عباس ، قال : إنَّما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك منه بعد دعائه مَنْ أُرسل إليهم إلى ما أمره الله بدعائهم إليه ، وتبليغه إياهم رسالة ربِّه ، ولكنَّه وعدهم نزول ما كان حدَّهم من بأس الله في وقت وقتته لهم ، ففارقهم إذ لم يتوبوا ولم يرجعوا طاعة الله والإيمان ، فلما أظَلَّ القومَ عذابُ الله ، فغشِيهم - كما وصف الله في تنزيله - تابوا إلى الله ، فرفع الله عنهم العذاب ، وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه ، فغضب من ذلك ، وقال : وعدتهم وعداً ، فكذب وعدي ! فذهب مغاضباً ربِّه ، وكره الرجوع إليهم وقد جربوا عليه الكذب .

(١) سهم ، بالبناء للمجهول ، أى غلب .

(٢) ط : « الأبلَّة » ، وما أثبتته من ت ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعثه الله تعالى - يعني يونس - إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جاءهم به ، وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه : إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فخرج من بين أظهرهم . فأعلم قومهم الذي وعدهم الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمقوه ، فإن هو خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم . فلما كانت الليلة التي وعِدوا العذاب في صبيحتها أدلج وراءه القوم ، فحذروا . فخرجوا من القرية إلى بَرَّاز^(١) من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عجزوا إلى الله واستقالوه فأقالهم . وتنتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرَّ به بارٌّ ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن نبئهم لما خرج من بين أظهرهم عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى بَرَّاز من الأرض ، وفرقوا^(٢) بين كل ذات ولد وولدها ، ثم عجزوا إلى الله وتابوا إليه ، فقبل منهم ، وأخر عنهم العذاب . قال : فقال يونس عند ذلك وغضب : والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً ، وعدتهم العذاب في يوم ، ثم ردَّ عنهم ! ومضى على وجهه مغاضباً لربه فاستتره الشيطان^(٣) .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع [بن أنس]^(٤) ، قال : حدثنا رجل قد قرأ القرآن في صدره في إمارة عمر بن الخطاب ، فحدث عن قوم يونس حيث أنذر قومهم فكذبوه ، فأخبرهم أنه مصيبتهم العذاب وفارقهم ، فلما رأوا ذلك وغشيتهم العذاب ؛ لكنهم^(٥) خرجوا من مساكنهم ، وصعدوا

(١) البراز : الفضاء الواسع الخالي من الشجر .

(٢) ت : « ثم فرقوا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ٦١ (بولاق)

(٤) من التفسير .

(٥) كذا ورد الاستدراك هنا بلفظ « لكنهم » ، وورد بعد بلفظ « لكنه » ، في التاريخ

والتفسير ؛ وهو غير واضح .

في مكان رفيع ، وأنهم جأروا إلى ربهم ، ودعوه مخلصين له الدين أن يكشف عنهم العذاب ، وأن يرجع إليهم رسولهم ، قال : ففي ذلك أنزل الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) .

فلم يكن قرية غشيها العذاب ثم أمسك عنها إلا قوم يونس خاصة ، فلما رأى ذلك يونس ، لكنّه ذهب عاتباً على ربه ، وانطلق مغاضباً ، وظنّ أنّ لن يُقَدَّرَ عليه ، حتى ركب سفينة ، فأصاب أهلها عاصف من الريح ^(٢) . فقالوا : هذه بخطيئة أحدكم . وقال يونس - وقد عرف أنه هو صاحب الذنب : هذه بخطيئتي ، فألقوني في البحر . وإنّهم أبوا عليه حتى أفاضوا بسهامهم ، ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ^(٣) ، فقال لهم : قد أخبرتكم أنّ هذا الأمر بذنبي . وإنّهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر ، حتى أفاضوا بسهامهم الثانية ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فقال لهم : قد أخبرتكم أنّ هذا الأمر بذنبي ، وإنّهم أبوا عليه أن يلقوه في البحر حتى أفاضوا بسهامهم الثالثة ، ﴿ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ . فلما رأى ذلك ألقى نفسه في البحر ، وذلك تحت الليل ، فابتلعه الحوت ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ﴾ ^(٤) - وعرف الخطيئة - ﴿ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٥) . وكان قد سبق له من العمل الصالح ، فأنزل الله فيه فقال : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَكَلْبَتْ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ؛ وذلك أنّ العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر ، ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ^(٦) . وألقى على ساحل البحر ، وأنبت الله عليه شجرة من يَمُطِّين - وهي فيما ذكر - شجرة القرع يتقطر عليه

٧٨٦/١

(١) سورة يونس ٩٨ . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .
 (٣) سورة الصافات ١٤١ ؛ وفي التفسير : « فساهم » فقارع . ومن المجهولين : من المغلوبين ، يقال منه : أدهض الله حجة فلان فدهضت ، أي أبطلها فبطلت .
 (٤) سورة الأنبياء ٨٧ . (٥) سورة الصافات ١٤٣ - ١٤٥ .

من اللبن ؛ حتى رجعت إليه قُوَّتُه . ثم رجع ذاتَ يوم إلى الشجرة فوجدها قد بيست ، فحزن وبكى عليها ، فعوتب فقبل له : أحرزْتَ على شجرة ، وبكيت عليها ولم تحزن على مائة ألف أو زيادة أردت هلاكهم جميعاً !

ثم إنَّ الله اجتنابه من الضلالة ، فجعله من الصالحين ، ثم أمير أن يأتي قومه ويُخبرهم أنَّ الله قد تاب عليهم . فعمد إليهم ، حتى لقي راعياً ، فسأله عن قوم يونس وعن حالهم ، وكيف هم ؟ فأخبره أنهم بخير ، وأنهم على رجاء أن يرجع إليهم رسولهم ، فقال له : فأخبرهم أنتي قد لقيت يونس . فقال : لا أستطيع إلا بشاهد ، فسمي له عنراً من غنمه ، فقال : هذه تشهد لك أنك قد لقيت يونس ، قال : وماذا ؟ قال : وهذه البقرة التي أنت فيها تشهد لك أنك قد لقيت يونس . قال : وماذا ؟ قال : وهذه الشجرة تشهد لك أنك قد لقيت يونس . وإنه رجع الراعي إلى قومه فأخبرهم أنه لقي يونس فكذبوه وهمَّوا به شراً ، فقال : لاتعجلوا عليّ حتى أصبح ، فلما أصبح غدَّاهم إلى البقرة التي لقي فيها يونس فاستنطقها ، فأخبرته أنه لقي يونس ، وسأل العنر ، فأخبرتهم أنه لقي يونس ، واستنطقوا الشجرة ، فأخبرتهم أنه قد لقي يونس . ثم إن يونس أتاهم بعد ذلك . قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(١) .

حدثني الحسين بن عمرو بن محمد العنقري ^(٢) ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون الأودي ، قال : حدثنا ابن مسعود في بيت المال ، قال : إنَّ يونس كان وعد قومه العذاب ؛ وأخبرهم أنه يأتيهم إلى ثلاثة أيام ، ففرقوا بين كلِّ والدة وولدها ، ثم خرجوا فجأروا إلى الله ، واستغفروه ، فكفَّ الله عنهم العذاب ، وغدا يونس ينتظر العذاب ، فلم ير شيئاً ، وكان مَنْ كذب ولم يكن ^(٣) له بيَّنة قتل

(١) سورة الصافات ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٢) ط : « المبقرى » ، والصواب ما في الباب لابن الأثير وانظر التصويبات .

(٣) ت : « تكن » .

فانطلق مغاضباً ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ، قال : ظلُّمة بطن الحوت ، وظلمة الليل ، وظلمة البحر .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن حدثه عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج (١) النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : نرسمت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت أن خذْهُ ولا تخدش له لحمًا ، ولا تكسر عظمًا ، فأخذه ، ثم هَوَى به إلى مسكنه من البحر . فلما انتهى به إلى أسفل البحر ، سمع يونس حسًا ، فقال في نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو في بطن الحوت : إن هذا تسبيح دواب البحر . قال : فسبح وهو في بطن الحوت ، قال : فسمعت الملائكة تسبيحه ، فقالوا : يا ربنا ، إنا نسمع صوتًا ضعيفًا بأرض غريبة . قال : ذلك عبدى يونس ، عصافى فحبسته في بطن الحوت في البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه في كل يوم ليلة عمل صالح ! قال : نعم ، قال : فشفعوا له عند ذلك . فأمر الحوت ، فلقاه في الساحل كما قال الله : ﴿ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ ، وكان سقمه الذى وصفه الله به ، أنه ألقاه الحوت على الساحل كالصبي المنفوس (٢) ، قد بُشِّر (٣) اللحم والعظم (٤) .

٧٨٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد ابن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة عن الحسن بن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : خرج به - يعنى الحوت - حتى لفظه في ساحل البحر ، فطرحه مثل الصبي المنفوس ، لم ينقص من خلقه شيء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني أبو صخر ،

(١) كذا في ت ، وفي ط : « زوجة » . (٢) المنفوس : حديث العهد بالولادة .

(٣) ت : « نشز » ، والتفسير « نشر » . (٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٧ (بولاق) .

وفي ط : « تنشر » .

قال : أخبرني ابن قُسيَط أنه سمع أبا هريرة يقول : طُرِح بالعراء ، فأُنبت الله عليه يقطينةً ، فقلنا : يا أبا هريرة ، وما اليقطينة ؟ قال : شجرة الدُّباء ، هيأ الله له أرويةً ^(١) وحشيةً ، تأكل من حشاش ^(٢) الأرض — أو هشاش الأرض — فتفشَح ^(٣) عليه ، فتُرَوِّيه من لبنها كلَّ عشيةً وبُكرةً ، حتى نبت ^(٤) .

* * *

وما كان أيضاً في أيام ملوك الطوائف :

(١) الأروية ، بالضم والكسر : أنثى الوعل .

(٢) حشاش الأرض وهشاشها : يابس النبات .

(٣) يقال : فشحت الدابة ، إذا فرجت ما بين رجلها .

(٤) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٦ (بولاق) .

إرسال الله رسله الثلاثة

الذين ذكرهم في تنزيله ، فقال : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ۚ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ۚ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾^(١) ، الآيات التي ذكر تعالى ذكره في خبرهم .

* * *

واختلف السلف في أمرهم ، فقال بعضهم : كان هؤلاء الثلاثة — الذين ذكرهم الله في هذه الآيات ، وقص فيها خبرهم — أنبياء ورسل أرسلهم إلى بعض ملوك الروم ، وهو أنطيوخس ، والقرية التي كان فيها هذا الملك الذي أرسل الله إليه فيها هؤلاء الرسل أنطاكية .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : كان من حديث صاحب «يس» — فيما حدثنا محمد بن إسحاق — قال : ممّا بلغه عن كعب الأحمّار ، وعن وهب بن منبه اليماني ، أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية ، وكان اسمه حبيباً وكان يعمل الحرير ، وكان رجلاً سقيماً قد أسرع فيه الجذام ، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصياً ، وكان مؤمناً ذا صدقة ، يجمع كسبه إذا أمسى — فيما يذكرون — فيقسمه نصفين ، فيطعم نصفاً عياله ، ويتصدق بنصف ، فلم يمهّ سقّمه ولا عمله ولا ضعفه حين طهر قلبه ، واستقامت فطرته ، وكان بالمدينة التي هو بها ؛ مدينة أنطاكية ، فرعون من الفراعنة يقال له أنطيوخس بن أنطيوخس بن أنطيوخس^(٢) ، يعبد الأصنام ، صاحب شرك

(١) سورة يس ١٣ وما بعدها .

(٢) التفسير : « أبطيس » .

فبعث الله المرسلين ، وهم ثلاثة : صادق وصادق وشلوم^(١) ، فقدّم الله إليه ٧٩١/١
وإلى أهل مدينته^(٢) منهم اثنين ، فكذبوهما ، ثم عزّز الله بثالث .

* * *

وقال آخرون : بل كانوا من حواريتي عيسى بن مريم ، ولم يكونوا رسلاً
لله ، وإنما كانوا رسل عيسى بن مريم ، ولكن لإرسال عيسى بن مريم إياهم ،
لمّا كان عن أمر الله تعالى ذكره إياه بذلك ، أضيف إرساله إياهم إلى الله ، فقيل :
﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة ، قوله : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ إِذْ جَاءَهَا
الْمُرْسَلُونَ . إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا
إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . قال : ذكر لنا أنّ عيسى بن مريم بعث رجلين
من الحواريتين إلى أنطاكية ، مدينة بالروم ، فكذبوهما ، فأعزّهما بثالث ،
﴿ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ . . . ﴾ ، الآية .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، فلما دعت الرسل ، ونادته بأمر
الله ، وصدّعت بالذي أمّرت به ، وعابت دينهم وما هم عليه ، قال أصحاب
القرية^(٣) لهم : ﴿ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا
عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(٤) . قالت لهم الرسل : ﴿ طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ ، أي أعمالكم ،
﴿ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ . فلما أجمع هو وقومه على قتل
الرسل بلغ ذلك حبيباً^(٥) ، وهو على باب المدينة الأقصى ، فجاء يسعي إليهم ٧٩٢/١

(١) التفسير : « سلوم » . (٢) ح ، ل : « المدينة » .

(٣) زيادة يقتضها السياق . (٤) الخبر إلى هنا في التفسير ٢٢ : ١٠١ (بولاق)

(٥) قال في التفسير : « اسمه - فيما ذكر - حبيب بن مري » .

يَذْكُرُهُمُ اللَّهُ ، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين ، فقال : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ *
 اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ . أى لا يسألونكم أموالكم على
 ما جاءوكم به من الهدى ، وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد : قال : حدثنا سعيد ، عن
 قتادة ، قال : لما انتهى - يعنى حبيباً - إلى الرسل ، قال : هل تسألون على هذا
 من أجر ؟ قالوا : لا ، فقال عند ذلك : ﴿ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ *
 اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : ثم ناداهم بخلاف ما هم عليه
 من عبادة الأصنام ، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه ، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه
 ولا ضرره غيره ، فقال : ﴿ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ *
 أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴾ .
 أى آمنت بربكم ، الذى كفرتم به ، فاسمعوا قولى . فلما قال لهم ذلك وثبوا عليه
 وثبة رجل واحد فقتلوه ، واستضعفوه لضعفه وسقمه ، ولم يكن أحد يدفع عنه .
 حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن
 بعض أصحابه ، أن عبد الله بن مسعود كان يقول : وطئوه بأرجلهم ، حتى
 خرج قُصْبُهُ من دُبُرِهِ (١) .

وقال الله له : ادْخُلِ الْجَنَّةَ ، فدخلها حياً يرزق فيها ، قد
 أذهب الله عنه سَقَمَ الدنيا وحزنها ونَصَبَها ، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته
 وكرامته ، قال : ﴿ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمَكْرَمِينَ ﴾ . وغضب الله له لاستضعافهم إياه غصبة لم يُبْقِ [معه] من القوم
 شيئاً فَعَجَّلَ لهم النعمة بما استحلوا منه وقال : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ
 مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴾ ، يقول : ما كابدها بهم بالجموع ،

٧٩٣/١

أى الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴾ . فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية ، فبادوا عن وجه الأرض ، فلم يبق منهم باقية .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عباس ، أنه كان يقول : كان اسم صاحب «يس» حبيباً ، وكان الجُذام قد أسرع فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مُؤَمِّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم الأحول ، عن أبي مخلد ، قال : كان اسم صاحب «يس» حبيب بن مري .

* * *

وكان فيهم ^(١) :

(١) أى فيمن كان في زمان ملوك الطوائف .

شمسون

٧٩٤/١ وكان من أهل قرية من قرى الروم ؛ قد هداه الله لرشده ، وكان قومه أهل أوثان يعبدونها فكان^(١) من خبره وخبرهم - فيما ذكر - ما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق، عن المغيرة بن أبي لبيد ، عن وهب بن منبه اليماني : أن شمسون كان فيهم رجلاً مسلماً ، وكانت أمه قد جعلته نذيرة^(٢) ، وكان من أهل قرية من قراهم ، كانوا كفاراً يعبدون الأصنام ، وكان منزله منها على أميال غير كثيرة ، وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم في الله ، فيصيب منهم وفيهم حاجته ، فيقتل ويسبي ، ويصيب المال ، وكان إذا لقيتهم لقيهم بلحني بعير لا يلقاهم بغيره ، فإذا قاتلوه وقتلهم ، وتعب وعطش انفجر له من الحجر الذي مع^(٣) اللحنى ماء عذب فيشرب منه حتى يروى ، وكان قد أعطى قوة في البطش ، وكان لا يوثقه حديد ولا غيره ، وكان على ذلك يجاهدهم في الله ويغزوهم ، ويصيب منهم حاجته ، لا يقدرّون منه على شيء ؛ حتى قالوا : لن تأتوه إلا من قبل امرأته ، فدخلوا على امرأته ، فجعلوا لها جعلاً ، فقالت : نعم أنا أوثقه لكم ، فأعطوها حبلاً وثيقاً ، وقالوا : إذا نام فأوثقي يده إلى عنقه حتى نأتيه فنأخذه . فلما نام أوثقت يده إلى عنقه بذلك الحبل ، فلما هبّ جذب به بيده ، فوقع من عنقه ، فقال لها : لم فعلت ؟ فقالت : أجرب به قوتك ، ما رأيت مثلك قط ! فأرسلت إليهم أني قد ربطته بالحبل فلم أغن عنه شيئاً ، فأرسلوا إليها بجامعة من حديد ، فقالوا : إذا نام فاجعليها في عنقه ، فلما نام جعلتها في عنقه ، ثم أحكمتها ، فلما هبّ جذبها ، ف وقعت من يده ومن عنقه ، فقال لها : لم فعلت هذا ؟ قالت : أجرب به قوتك ؛ ما رأيت مثلك في الدنيا يا شمسون !

(١) ل : « وإنما كان » .

(٢) النذيرة : الابن يحمله أبواه قيماً أو خادماً للكنيسة أو المعبد .

(٣) ط : « في » وما أثبت من ل .

أَمَّا فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ يَغْلِبُكَ ! قَالَ : لَا ، إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ ، قَالَتْ : وَمَا هُوَ ؟
 قَالَ : مَا أَنَا بِمُخْبِرِكَ بِهِ ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ تَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ — وَكَانَ ذَا شَعْرٍ كَثِيرٍ —
 فَقَالَ لَهَا : وَيْحَكَ ! إِنَّ أَمِّي جَعَلَتْشَنِي نَذِيرَةً^(١) ، فَلَا يَغْلِبُنِي شَيْءٌ أَبَدًا ، وَلَا يَضْطِئُنِي
 إِلَّا شَعْرِي فَلَمَّا نَامَ أَوثَقَتْ يَدَهُ إِلَى عُنُقِهِ بِشَعْرِ رَأْسِهِ ، فَأَوْثَقَهُ ذَلِكَ ، وَبَعَثَتْ
 إِلَى الْقَوْمِ ، فَجَاءُوا فَأَخَذُوهُ ، فَجَدَعُوا أَنْفَهُ وَأَذْنَيْهِ ، وَفَقَّشُوا عَيْنَيْهِ ، وَوَقَفُوهُ لِلنَّاسِ
 بَيْنَ ظَهْرَانِي الْمَثْدَنَةِ — وَكَانَتْ مَثْدَنَةٌ ذَاتُ أُسَاطِينَ ، وَكَانَ مَلِكُهُمْ قَدْ أَشْرَفَ
 عَلَيْهَا بِالنَّاسِ لِيَنْظُرُوا إِلَى شَمْسُونَ ، وَمَا يَصْنَعُ بِهِ — فَدَعَا اللَّهَ شَمْسُونَ حِينَ مَثَلُوا
 بِهِ وَوَقَفُوهُ أَنْ يَسْلُطَهُ عَلَيْهِمْ ، فَأَمَرَ أَنْ يَأْخُذَ بَعْمُودِينَ^(٢) مِنْ مُعْهَدِ الْمَثْدَنَةِ الَّتِي
 عَلَيْهَا الْمَلِكُ وَالنَّاسُ الَّذِينَ مَعَهُ فَيَجْذِبُهُمَا ، فَجَذَبَهُمَا فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بَصَرَهُ
 وَمَا أَصَابُوا مِنْ جَسَدِهِ ، وَوَقَعَتِ الْمَثْدَنَةُ بِالْمَلِكِ وَمَنْ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ ؛ فَهَلَكُوا
 فِيهَا هَدْمًا .

(١) ط : « نَذِيرًا » وانظر الحاشية رقم ٢ في الصفحة السابقة .

(٢) ل : « العمودين » . ابن الأثير : « عمودين » .

ذكر خبر جرجيس

وكان جرجيس — فيما ذكر — عبداً لله صالحاً من أهل فلسطين ، ممن أدرك بقايا من حواريتي عيسى بن مريم ، وكان تاجراً يكسب بتجارته ما يستغنى به عن الناس ، ويعود بالفضل على أهل المسكنة . وإنه تجهّز مرةً إلى ملك بالموصل ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه وغيره من أهل العلم : أنه كان بالموصل داذاًه^(١) ، وكان قد ملك الشام^(٢) كله ، وكان جبّاراً عاتياً لا يُطِيقه إلا الله تعالى . وكان جرجيس رجلاً صالحاً من أهل فلسطين ، وكان مؤمناً يكم إيمانه في عصبة معه صالحين ، يستخفون بإيمانهم ، وكانوا قد أدركوا بقايا من الحواريين فسمعوا منهم ، وأخذوا عنهم . وكان جرجيس كثير المال ، عظيم التجارة ، عظيم الصدقة ، فكان يأتي عليه الزمان يتلّف ماله في الصدقة حتى لا يبقى منه شيء ؛ حتى يصير فقيراً ، ثم يضرب الضربة فيصيب مثل ماله أضعافاً مضاعفة ؛ فكانت هذه حاله في المال . وكان إنما يرغب في المال ، ويعمّره ويكسبه من أجل الصدقة ؛ لولا ذلك كان الفقر أحب إليه من الغنى .

وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يؤذوه في دينه ، أو يفتنوه عنه ؛ فخرج يوم ملك الموصل ، ومعه مال يريد أن يهديه له ؛ لثلاث يجعل لأحد من تلك الملوك عليه سلطاناً دونه ؛ فجاءه^(٣) حين جاءه ، وقد برز في مجلس له ، وعنده^(٤) عظماء قومه وملوكهم ؛ وقد أوقد ناراً ، وقرب أصنافاً من أصناف العذاب الذي كان يعذب به من خالفه ، وقد أمر بصنم يقال له : «أفلون» فنُصب ؛ فالتاس يعترضون عليه ، فن لم يسجد له ألقى في تلك النار ، وعذب بأصناف ذلك العذاب . فلما رأى جرجيس ما يصنع قطع به

(١) ل : «دادايه» .

(٢) ل : «دان له» .

(٣) ل : «فجاء» ، وكذلك في ابن الأثير .

(٤) ل : «عنده» ، بدون واو .

وأعظمه، وحدث نفسه بجهاده ، وألقى الله في نفسه بُغْضَهُ ومحاربتَهُ ، فعمد إلى المال الذي أراد أن يهديه له فقسّمه في أهل مِلّته حتى لم يبق منه شيئاً ؛ وكره أن يجاهده بالمال ، وأحبّ أن يَلِيّ ذلك بنفسه ؛ فأقبل عليه عند ما كان أشدّ غضباً وأسفاً ، فقال له : اعلم أنّك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيئاً ولا لغيرك ، وأنّ فوقك ربّاً هو الذي يَمْلِكُكَ وغيْرَكَ ، وهو ^(١) الذي خلّقك ورزقك ، وهو الذي يُحييكَ ويميتك ، ويضرك وينفعك ، وأنت ^(٢) قد عمدت إلى خلق من خلقه — قال له : كن فكان — أصمّ أبكم ، لا ينطق ولا يبصر ولا يسمع ، ولا يضرّ ولا ينفع ، ولا يغني عنك من الله شيئاً ، فزيّنته بالذهب والفضة لتجعله فتنة للناس ، ثم عبّدته دون الله ، وأجبرت عليه عباد الله ، ودعوته ربّاً .

فكلّم الملك جرجيسُ بنحو هذا ، من تعظيم الله وتمجيده ، وتعريفه أمر الصنم ، وأنه لا تصلح عبادته . فكان من جواب الملك إياه مسأله إياه عنه ، ومنّ هو ؟ ومن أين هو ؟ فأجابه جرجيس أن قال : أنا عبد الله وابن عبده وابن أمّته ، أذلّ عباده وأفقرهم إليه ، من التراب خلّقت ، وفيه أصير . وأخبره ما الذي جاء به وحاله . وإنّه دعا ذلك الملك جرجيسُ إلى عبادة الله ورفض عبادة الأوثان . وإنّ الملك دعا جرجيسَ إلى عبادة الصنم الذي يعبد ، وقال : لو كان ربّك الذي تزعم أنه ملك الملوك كما تقول ، لرُئيّ عليك أثره كما ترى أثري على من حولي من ملوك قومي .

فأجابه جرجيس بتمجيد الله وتعظيم أمره . وقال له — فيما قال : أين تجعل طرقلينا ^(٣) ، وما نال ^(٤) بولايتك ؛ فإنه عظيم قومك ، من إلياس ، وما نال إلياس بولاية الله ! فإنّ إلياس كان بدؤه آدمياً يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، فلم تتناه به كرامة الله حتى أنبت له الریش ، وألبسه النور ،

(١) ل : « هو » من غير واو .

(٢) ت : « وإنك » .

(٣) ت : « طرقلينا » .

(٤) ل : « ما نال » .

فصار إنسياً ملكياً ، سمائياً أرضياً ؛ يطير مع الملائكة . وحدَّثني : أين تجعل مجليطيس ، وما نال بولايتك : فإنه عظيم قومك ، من المسيح بن مريم وما نال بولاية الله ! فإنَّ الله فضَّله على رجال العالمين ، وجعله وأمه آية للمعتبرين . ثم ذكر من أمر المسيح ما كان الله خصَّه به من الكرامة . وقال أيضاً : وحدَّثني : أين تجعل أمَّ هذا الروح الطيب التي اختارها الله لكلمته ، وظهر جوفها لروحه ، وسودها على إمامته ؟ فأين تجعلها وما نالت بولاية الله ، من أزييل وما نالت بولايتك ؟ فإنها إذ^(١) كانت من شيعتك وملتكت أسلمها الله عند عظيم ملكها إلى نفسها ، حتى اقتحمت عليها الكلاب في بيتها ، فانتهشت لحمها وولغت دمه ، وجرت الثعالب^(٢) والضباع أوصالها ! فأين تجعلها وما نالت بولايتك من مريم ابنة عمران وما نالت بولاية الله !

٧٩٩/١

فقال له الملك : إنك لتحدِّثنا عن أشياء ليس لنا بها علم ، فأنتي بالرجلين اللذين ذكرت أمرهما ؛ حتى أنظرَ إليهما ، وأعتبرَ بهما ؛ فأني أنكر أن يكون هذا في البَشَر .

فقال له جرجيس : إنَّما جاءك الإنكار من قبل الغيرة^(٣) بالله ، وأما الرَجُلان فلن تراهما ولن يرياك ؛ إلاَّ أن تعمل بعملهما ، فتتزل منازلهما . فقال له الملك : أمَّا نحن فقد أعذرنا إليك ، وقد تبيَّن لنا كذبُك ، لأنك فخرت بأمور عجزت عنها ، ولم تأت بتصديقها . ثم خيَّر الملك جرجيس بين العذاب وبين السجود لأفلتون ، فيشييه !

فقال له جرجيس : إن كان أفلتون هو الذي رفع السماء — وعدَّ عليه أشياء من قدرة الله — فقد أصبَتْ ونصحت [لي]^(٤) ، وإلاَّ فاحسبْ أيَّها النجس الملعون !

فلما سمعه الملك يسبّه ويسبّ آلهته غضب من قوله غضباً شديداً ، وأمر بخشبة فنصبت له للعذاب ، وجعلت عليه أمشاط الحديد ، فخدش بها

(١) في الأصول : « إذا » .

(٢) زاد في ل : « إليه » .

(٣) الغرة ، بالكسر : الجهل .

(٤) تكلّة من ل .

جسده حتى تقطع لحمه وجلده وعروقه ، ينضح خلال ذلك بالحلّ والخردل .
 فلما رأى ذلك لم يقتله ، أمر بستّة مسامير من حديد فأحميت حتى إذا جعلت
 ناراً ، أمر بها فسمّر بها رأسه حتى سال منه دماغه . فلما رأى ذلك لم يقتله ،
 أمر بحوض من نحاس ، فأوقد عليه حتى إذا جعله ناراً أمر به فأدخل في
 جوفه ، وأطبق عليه ، فلم يزل فيه حتى برّد حرّه .

فلما رأى ذلك لم يقتله ، دعا به فقال : ألم تجد ألم هذا العذاب الذي تعذب به !
 فقال له جرجيس : أمّا أخبرتك أنّ لك ربّاً هو أولّى بك من نفسك !
 قال : بلى قد أخبرني ، قال : فهو الذي حمّل عنّي عذابك ، وصبرني
 ليجتج عليك . فلما قال له ذلك أيقن بالشرّ ، وخافه على نفسه وملّكه ،
 وأجمع رأيه على أن يخلّده في السجن ، فقال الملأ من قومه : إنك إن تركته
 طليقاً يكلّم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ، ولكن مرّ له بعذاب في السجن
 يشغله عن كلام الناس . فأمر فبسط في السجن على وجهه ، ثم أوتد في يديه
 ورجليه أربعة أوتاد من حديد ، في كلّ ركن منها وتيد ، ثم أمر بأسطوان^(١)
 من رخام ، فوضع على ظهره . حمّل ذلك الأسطوان سبعة رجال فلم يقلّوه ، ثم
 أربعة عشر رجلاً فلم يقلّوه ، ثم ثمانية عشر رجلاً فأقلّوه ؛ فظلّ يومه ذلك
 موتداً تحت الحجر .

فلما أدركه الليل أرسل الله إليه ملكاً - وذلك أوّل ما أيّد بالملائكة ،
 وأوّل ما جاءه الوحي - فقلع^(٢) عنه الحجر ، ونزع الأوتاد من يديه ورجليه ،
 وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه ، فلما أصبح أخرجه من السجن ، وقال له :
 الحقّ بعدوك فجاهدته في الله حقّ جهاده ؛ فإنّ الله يقول لك : أبشّر واصبر ؛
 فإنّي أبتيك بعدوى هذا سبع سنين ، يعذبك ويقتلك فيهنّ أربع مِرار ، في
 كلّ ذلك أردّ إليك روحك ؛ فإذا كانت القتلة الرابعة تقبّلت روحك وأوفيتك
 أجرّك . فلم يشعر الآخرون إلّا وقد وقف جرجيس على رءوسهم يدعّونهم إلى الله .
 فقال له الملك : أجرجيس ! قال : نعم ، قال : من أخرجك من السجن ؟

(١) ل : « أسطوانة » .

(٢) كذا في ابن الأثير ؛ وفي الأصول « فقلع » .

قال : أخرجتنى الذى سلطانه فوق سلطانك . فلما قال له ذلك ملئ غيظاً ، فدعا بأصناف العذاب حتى لم يخلف منها شيئاً ، فلما رآها جرجيس تُصنّف له ، أوجس فى نفسه خيفة وجزعاً ، ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته ، وهم يسمعون . فلما فرغ من عتابه نفسه مدّوه بين خشبَتَيْن ، ووضعوا عليه سيفاً على مفرق رأسه ، فوشّروه^(١) حتى سقط بين رجليه ، وصار جزلَتَيْن^(٢) ، ثم عمدوا إلى جزلَتَيْهِ ، فقطعوهما قطعاً . وله سبعة أسدٍ دُضارية فى جُبٍّ ، وكانت صنفاً من أصناف عذابه ، ثم رموا بجسده إليها ، فلما هوى نحوها أمر الله الأسد فخضعت برعوسها وأعناقها ، وقامت على براثنها ، لا تألو أن تقيّه الأذى ؛ فظلّ يومه ذلك ميتاً ، فكانت أول ميتة ذاقها . فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه بعضه على بعض ، حتى سواه . ثم ردّ فيه روحه وأرسل ملكاً فأخرجه من قعر الجُبِّ ، وأطعمه وسقاه ، وبشّره وعزّاه . فلما أصبحوا قال له الملك : يا جرجيس ، قال : لبيك ! قال : اعلم أن القدرة التى خلّق آدم بها من تراب هى التى أخرجتك من قعر الجُبِّ . فالحق بعدوك ثم جاهده فى الله حقّ جهاده ، وموت الصابرين . ٨٠٢/١

فلم يشعر الآخرون إلاّ وقد أقبل جرجيس ، وهم عكوف على عيد لهم قد صنعوه فرحاً — زعموا بموت جرجيس — فلما نظروا إلى جرجيس مقبلاً ، قالوا : ما أشبه هذا بـجرجيس ! قالوا : كأنّه هو ؟ قال الملك : ما بـجرجيس من خفاء ، إنّه هو ! ألا ترون إلى سكون ريحه ، وقيلة هيئته . قال جرجيس : بلى ، أنا هوحقاً ! بشس القوم أنتم ! قتلتم ومثلتم ، فكان الله — وحقّ — له خيراً وأرحم منكم . أحيانى وردّ علىّ روحى . هلمّ إلى هذا الربّ العظيم الذى أراكم ما أراكم . فلما قال لهم ذلك ، أقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : ساحر سحر أيديكم وأعينكم عنه . فجمعوا له منّ كان ببلادهم من السحرة ، فلما جاء السحرة ، قال الملك لكبيرهم : اعرض علىّ من كبير سحرك ما تُسرّى به عنى ، قال له : ادع لى بثور من البقر ، فلما أتى به نفث فى إحدى أذنيه فانشقت باثنتين ، ثم نفث فى الأخرى ؛ فإذا هو ثوران ، ثم أمر ببذر فحرث وبذر ، ونبت

(١) ت : « فشروه » ، وما معنى .

(٢) يقال : قطعه جزلتين ، أى نصفين .

الزروع ، وأينع وحصد ، ثم داس وذرى ، وطحن وعجن ، وبخبز وأكل ذلك فى ساعة واحدة كما ترون ! قال له الملك : هل تقدر على أن تمسخه لى^(١) دابة ؟ قال الساحر : أى دابة أمسخه لك ؟ قال : كلباً ، قال : ادع لى بقدح من ماء ، فلما أتيت بالقدح نفث فيه الساحر ، ثم قال للملك : اعزم عليه أن يشربه ، فشربه جرجيس حتى أتى على آخره ؛ فلما فرغ منه قال له الساحر : ماذا تجد ؟ قال : ما أجد إلا خيراً ، قد كنت عطشت فلفظ ٨٠٣/١ الله لى بهذا الشراب ، فقواتى به عليكم . فلما قال له ذلك أقبل الساحر على الملك فقال : اعلم أيها الملك ، أنك لو كنت تقاسى رجلاً مثلك إذا كنت غلبته ، ولكنك تقاسى جبّار السموات ، وهو الملك الذى لا يُرام !

وقد كانت امرأة مسكينة ، سمعت بجرجيس وما يصنع من الأعاجيب ، فأنته وهو فى أشد ما هو فيه من البلاء ، فقالت له : يا جرجيس ، إئتى امرأة مسكينة ، لم يكن لى مال ولا عيش إلا ثور كنت أحرث عليه فات ، وجئت لك لترحمنى وتدعوا الله أن يُحىي لى ثورى . فذرفت عيناه . ثم دعا^(٢) الله أن يحيى لها ثورها ، وأعطاهَا عصا ، فقال : اذهبي إلى ثورك ، فاقرعيه بهذه العصا وقولى له : احى بإذن الله . فقالت : يا جرجيس مات ثورى منذ أيام ، وتفرقت السباع ، وبنى وبينك أيام ، فقال : لولم تجد لى منه إلا سنّاً واحدة ثم قرعتها بالعصا لقام بإذن الله . فانطلقت حتى أتت مصرع ثورها ، فكان أول شيء بدا لها من ثورها أحد روقيه^(٣) وشعر ذنبه ، فجمعت أحدهما إلى الآخر ، ثم قرعتهما بالعصا التى أعطاهَا ، وقالت كما أمرها ، فعاش ثورها ، وعملت عليه حتى جاءهم الخبر بذلك .

فلما قال الساحر للملك ما قال ، قال رجل من أصحاب الملك — وكان أعظمهم بعد الملك : اسمعوا منى أيها القوم أحدثكم ، قالوا : نعم ، فتكلّم ، قال : إنكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر ، وزعمتم أنه سحر أيديكم ٨٠٤/١ عنه وأعينكم . فأراكم أنكم تعذبونه ، ولم يصل إليه عذابكم ! وأراكم أنكم

(١) ت : « تمسخ لى هذا » .

(٢) ل : « ودعا » .

(٣) الروق : القرن من كل ذى قرن .

قد قتلتموه فلم يمت ، فهل رأيتم ساحراً قطَ قدَر أن يدرأ عن نفسه الموت ، أو أحياً ميتاً قطَ ! ثم قصّ عليهم فعل جرجيس ، وفعلهم به ، وفعله بالثور وصاحبته ، واحتجّ عليهم بذلك كله ، فقالوا له : إن كلامك لكلام رجل قد أصغى إليه ، قال : ما زال أمره لي معجباً منذ رأيت منه ما رأيته ، قالوا له : فلعله استهواك ! قال : بل آمنت وأشهدُ الله أنى برىء مما تعبدون . فقام إليه الملك وصحابته بالحناجر ، فقطعوا لسانه ، فلم يلبث أن مات ، وقالوا : أصابه الطاعون ، فأعجله الله قبل أن يتكلم .

فلما سمع الناس بموته أفرعهم ، وكنتموا شأنه ، فلما رأهم جرجيس يكتمونونه برز للناس ، فكشف لهم أمره ، وقصّ عليهم كلامه ، فاتبعه على كلامه أربعة آلاف وهو ميت ، فقالوا : صدق ، ونعيم ما قال ! يرحمه الله ! فعمد إليهم الملك فأوثقهم ، ثم لم يزل يلوّن لهم العذاب ويقتلهم بالمشكلات ^(١) . حتى أفنأهم .

فلما فرغ منهم أقبل على جرجيس ، فقال له : هلاّ دعوت ربك . فأحيا لك أصحابك ؛ هؤلاء الذين قُتِلوا بجريرتك ! فقال له جرجيس : ما خلّى بينك وبينهم حتى خارَ لهم ^(٢) . فقال رجل من عظمائهم يقال له مجليطيس : إنك زعمت يا جرجيس أن إهلك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ، وإننى سأثلك أمراً إن فعله إهلك آمنت بك وصدقتك ، وكفيتك قومي هؤلاء ؛ هذه تحتنا أربعة عشر منبراً حيث ترى ، ومائدة بيننا عليها أقداح وصحاف ، وكل صنّيع من الخشب اليابس ، ثم هو من أشجار شتى ؛ فادع ربك بنشئ هذه الآنية وهذه المنابر ، وهذه المائدة ، كما بدأها أول مرة ؛ حتى تعود خضراً نعرف كلّ عود منها بلونه وورقه وزهره وثمره .

فقال له جرجيس : قد سألت أمراً عزيزاً علىّ وعليك ؛ وإنه على الله هين . فدعا ربه ، فما برحوا مكانهم حتى اخضرت تلك المنابر ، وتلك الآنية كلها ، فساخت عروقها ، وألبست اللحاء ، وتشعبت ، ونبت ورقها وزهرها وثمرها ؛ حتى عرفوا كلّ عود منها باسمه ولونه وزهره وثمره .

فلما نظروا إلى ذلك انتدب له مجليطيس ، الذى تمنى عليه ما تمنى ،

(١) المثلات : المقوبات .

(٢) ت : « جازأهم » .

فقال : أنا أعذب لكم هذا الساحر عذاباً يضلّ عنه كيده . فعمد إلى نحاس فصنع منه صورة ثور جوفاء واسعة ، ثم حشاها نِفْطاً ورصاصاً وكبريتاً وزرنيخاً ، ثم أدخل جرجيس مع الحشو في جوفها ، ثم أوقد تحسّت الصورة ، فلم يزل يُوقد حتى التهمت الصورة ، وذاب كل شيء فيها واختلط ، ومات جرجيس في جوفها . فلما مات أرسل الله ريحاً عاصفاً ، فلأت السماء سبحانه أسوداً مظلماً ، فيه رعدٌ لا يفر ، وبرقٌ وصواعقٌ متداركات ، وأرسل الله إعصاراً فلأت بلادهم عجاجاً وقتاماً ، حتى اسود ما بين السماء والأرض وأظلم ، ومكثوا أياماً متحيرين في تلك الظلمة ، لا يفصلون بين الليل والنهار . وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التي فيها جرجيس ، حتى إذا أقلتها ضرب بها الأرض ضرباً ، فزع من روعته أهل الشام أجمعون ، وكلّهم يسمعه في ساعة واحدة ؛ فخرّوا لوجوهم صَعِقِينَ من شدة الهول ، وانكسرت الصورة ، فخرج منها جرجيس حيّاً ، فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة ، وأسفر ما بين السماء والأرض ، ورجعت إليهم أنفسهم . فقال له رجل منهم يقال له طرقلينا : لا ندرى يا جرجيس أنت تصنع هذه العجائب أم ربك ؟ فإن كان هو الذي يصنعها ، فادعه يُخَيِّ لنا موتانا ، فإن في هذه القبور التي ترى أمواتاً من أمواتنا ، منهم مَنْ نعرف ومنهم مَنْ مات قبل زماننا ، فادعه يُخَيِّهِمْ حتى يعودوا كما كانوا ونكلّهم ، ونعرف مَنْ عرفنا منهم ، ومَنْ لا نعرف أخبرنا خبره . فقال له جرجيس : لقد علمت ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ، ويُريكم هذه العجائب ^(١) إلا ليمّ عليكم حججه ، فتستوجبوا بذلك غضبه . ثم أمر بالقبور فنبشت وهي عظام ورقات ورميم . ثم أقبل على الدعاء فابرحوا مكانهم ؛ حتى نظروا إلى سبعة عشر إنساناً : تسعة رهط وخمس نسوة وثلاثة صبية ؛ فإذا شيخ منهم كبير ، فقال له جرجيس : أيها الشيخ ، ما اسمك ؟ فقال : اسمي يوبيل ^(٢) ، فقال : متى ميت ؟ قال : في زمان كذا وكذا ، فحسبوا فإذا هو قد مات منذ أربعمئة عام ^(٣) .

(١) ت : « الأعاجيب » .

(٢) ل : « يوسك » .

(٣) ل : « سنة » .

فلما نظر إلى ذلك الملك وصحابته ، قالوا : لم يبق من أصناف عذابكم شيء إلا قد عذبتموه ، إلا الجوع والعطش ، فعذبوه بهما . فعمدوا إلى بيت عجوز كبيرة فقيرة ، كان حريزاً ، وكان لها ابنٌ أعمى أبكم مقعد ، فحصره في بيتها فلا يصل إليه من عند أحد طعام ولا شراب . فلما بلغه الجوع ، قال للعجوز : هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : لا والذي يُحلف^(١) به ، ما عهدنا بالطعام^(٢) منذ كذا وكذا ، ، وسأخرج وألتمس لك شيئاً . قال لها جرجيس : هل تعزفين الله ؟ قالت له : نعم ، قال : فإياه تعبدين ؟ قالت : لا ، قال : فدعاهما إلى الله فصداقته ، وانطلقت تطلب له شيئاً ، وفي بيتها دِعامَة من خشبة يابسة تحمل خشب البيت ، فأقبل على الدعاء ، فما كان كشيء حتى اخضرت تلك الدِعامَة ، فأنبئت كل فاكهة تؤكل أو تعرف ، أو تسمى حتى كان فيما أنبئت اللبّاء^(٣) واللوبياء .

قال أبو جعفر : اللبّاء نبت بالشّام له حب يؤكل . وظهر للدِعامَة فرع من فوق البيت أظلمه وما حوله وأقبلت العجوز ، وهو فيما شاء يأكل رَغداً ، فلما رأت الذي حدث في بيتها من بعدها ، قالت : آمنت بالذي أطعمك في بيت الجوع ، فادعُ هذا الربّ العظيم ليشفيّ ابني ، قال : أذنيه مني ، فأذنته منه ، فبصق في عينيه فأبصر ، فنفت في أذنيه فسمع ، قالت له : أطلق لسانه ورجليه ، رحمك الله ! قال : أخبريه ، فإن له يوماً عظيماً . وخرج الملك يسير في مدينته ، فلما نظر إلى الشجرة ، قال لأصحابه : إني أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به ، قالوا له : تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذي أردت أن تعذبه بالجوع ، فهو فيما شاء قد شبع منها ، وشبعت^(٤) الفقيرة وشفي لها ابنها . فأمر بالبيت فهدم ، وبالشجرة ليقطع ، فلما هموا بقطعها أيسسها الله تعالى كما كانت أوّل مرة ، فتركوها ، وأمر بجرجيس فبسط على

(١) ل : « تحلف به » .

(٢) ت : « ما عندنا من طعام » .

(٣) قال في اللسان : اللبّاء : حب أبيض كالخض شديداً البياض يؤكل ، وفي ط : « اللبّاء »

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « أشبعت » . تحريف .

وجهه وأوتد^(١) له أربعة أوتاد ، وأمر بعجل فأوقر أسطواناً ما حمل ، وجعل في أسفل العجل خناجر وشفاراً^(٢) ، ثم دعا بأربعين ثوراً ، فنهضت بالعجل نهضة واحدة ، وجرجيس تحتها ، فتنقطع^(٣) ثلاث قطع ، ثم أمر بقطعة فأحرقت بالنار ؛ حتى إذا عادت رماداً بعث بذلك الرماد رجالاً فذروه في البحر ، فلم يبرحوا مكانهم حتى سمعوا صوتاً من السماء يقول : يا بحر ؛ إن الله يأمرك أن تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب ، فإنني أريد أن أعيده كما كان . ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ، ثم جمعته حتى عاد الرماد صُبْرَةً كهيئته قبل أن يذروه ، والذين ذروه قيام لم يبرحوا . ثم نظروا إلى الرماد يثور كما كان ، حتى خرج منه جرجيس مغبراً ينفض رأسه ، فرجعوا ، ورجع جرجيس معهم ، فلما انتهوا إلى الملك أخبروه خبر الصوت الذي أحياه ، والريح التي جمعته . فقال له الملك : هل لك يا جرجيس فيما هو خير لي ولك ! فلولاً أن يقول الناس إنك قهرتني وغلبتني لا تسبعتك وأمنت بك ؛ ولكن اسجد لأفلتون سجدة واحدة ، أو اذبح له شاة واحدة ، ثم أنا أفعل ما يسرك .

فلما سمع جرجيس هذا من قوله طمع أن يهلك الصنم حين يدخله عليه ، رجاء أن يؤمن له الملك حين يهلك صنمه ، ويخش منه ، فخدعه جرجيس ، فقال : نعم ؛ إذا شئت فأدخلتني على صنمك أسجد له ، وأذبح له ، وفرح الملك بقوله ، فقام إليه فقبّل يديه ورجليه ورأسه ، وقال : إني أعزم عليك ألا تظل هذا اليوم ، ولا تبيت هذه الليلة إلا في بيتي وعلى فراشي ، ومع أهلي حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ، فبرى الناس كرامتك علي . فأخلى له بيته ، وأخرج منه من كان فيه . فظل فيه جرجيس ؛ حتى إذا أدركه الليل ، قام يصلي ، ويقرأ الزبور — وكان أحسن الناس صوتاً — فلما سمعته امرأة الملك استجابت له ، ولم يشعر إلا وهى خلفه تبكي معه ، فدعاها

(١) ت : « ووتد » .

(٢) في الأصول : « وأشفاراً » ؛ والصواب ما أثبتته من ابن الأثير .

(٣) ل : « فانقطع » .

جرجيس إلى الإيمان فأمنت ، وأمرها فكتمت إيمانها . فلما أصبح غدا به إلى بيت الأصنام ليسجد لها ، وقيل للعجوز التي كان سجن في بيتها^(١) : هل علمت أن جرجيس قد قُتِنَ بعدك ، وأصغى إلى الدنيا ، وأطعمه الملك في ملكه ، وقد خرج به إلى بيت أصنامه ليسجد لها ! فخرجت العجوز في أعراضهم ، تحمل ابنتها على عاتقها ، وتوبّخ جرجيس ، والناس مشتغلون عنها .

فلما دخل جرجيس بيت الأصنام ، ودخل الناس معه ، نظر فإذا العجوز وابنتها على عاتقها أقرب الناس منه مقاماً ، فدعا ابن العجوز باسمه ، فنطق بإجابته ، وما تكلم قبل ذلك قط ، ثم اقتحم عن عاتق أمّه يمشي على رجله سويتين ، وما وطئ الأرض قبل ذلك قطّ بقدميه ، فلما وقف بين يدي جرجيس قال : اذهب ، فادعُ لي هذه الأصنام ، وهي حينئذ على منابر من ذهب ، واحد وسبعون صنماً ، وهم يعبدون الشمس والقمر معها ، فقال له الغلام : كيف أقول للأصنام ؟ قال : تقول لها : إن جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذي خستك إلا ما جئته^(٢) . فلما قال لها الغلام ذلك ، أقبلت تدرج إلى جرجيس ، فلما انتهت إليه ركض الأرض برجله ، فخسف بها وبمنابرها ، وخرج إبليس من جوف صنم منها هارباً فرقاً من الخسف ، فلما مرّ بجرجيس ، أخذ بناصيته ، فخضع له برأسه وعنقه ، وكلمه جرجيس فقال له : أخبرني أيتها الروح النجسة ، والخلق الملعون ، ما الذي يملكك على أن تهلك نفسك ، وتهلك الناس معك ، وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون إلى جهنم ! فقال له إبليس : لو خيّرْت بين ما أشرقت عليه الشمس ، وأظلم عليه الليل ، وبين هلكة بني آدم وضلالتهم أو واحد منهم طرفة عين ، لاخترت طرفة العين على ذلك كله ؛ وإنه ليقع^(٣) لي من الشهوة في ذلك واللذة مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق . ألم تعلم يا جرجيس أن الله أسجد لأبيك آدم جميع الملائكة ، فسجد^(٤) له : جبريل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وجميع الملائكة

(١) ل : « سكن في بيتها » .

(٢) ت : « إلا ما أجبه » .

(٣) ل : « يقع » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط : « فسجدوا » .

المقرَّبِينَ ، وأهلُ السموات كلَّهم ، وامتنعت من السجود ، فقلت : لا أسجد لهذا الخلق وأنا خير منه ! فلما قال هذا خلاه جرجيس ؛ فدخل إبليس ٨١١/١ منذ يومئذ جوف صنم ، مخافة الخسف ، ولا يدخله بعدها - فيما يذكر - أبداً . وقال الملك : يا جرجيس خدعتني وغررتني ، وأهلك آلهتي ، فقال له جرجيس : إنَّما فعلت ذلك عمداً لتعتبر وتعلم أنَّها لو كانت آلهة كما تقول إذاً لامتنتعت مني ، فكيف ثقنتك وبآلهة لم تمنع أنفسها مني ! وإنَّما أنا مخلوق ضعيف لا أملك إلا ما ملكتني ربِّي . قال : فلما قال هذا جرجيس ، كلَّمتهم امرأة الملك ، وذلك حين كشفت لهم إيمانها ، وباينتهم بدينها ، وعددت عليهم أفعال جرجيس ، والعبْرَ التي أراهم . وقالت لهم : ما تنتظرون من هذا الرجل إلا دعوة فتُخسف بكم الأرض فتهلكوا ، كما هلكت أصنامكم . الله - الله - آيتها القوم في أنفسكم ! فقال لها الملك : ويحاً لك إسكندرة ! ما أسرع ما أضلَّك هذا الساحر في ليلة واحدة ! وأنا أقايسه منذ سبع سنين ؛ فلم يُطق مني شيئاً . قالت له : أفأ رأيت الله كيف يظفِّره بك ، ويسلِّطه عليك ، فيكون له الفلجُ والحجَّةُ عليك في كلِّ موطن ! فأمر بها عند ذلك فحُمِلت على خشبة جرجيس التي كان علَّق عليها ، فعُلِّقت بها ، وجعلت^(١) عليها الأمشاط التي جعلت على جرجيس . فلما أُلِّمت من وجع العذاب قالت : ادعُ ربك يا جرجيس يخفِّف عني ، فإنِّي قد أُلِّمت [من] العذاب فقال : انظري فوقك . فلما نظرت ضحكت ، فقال لها : ما الذي يضحكك ؟ قالت : أرى ملكين فوق ، ٨١٢/١ معهما تاج من حلِّي الجنة ينتظران به رُوحِي أن تخرج ، فإذا خرجت زينناها بذلك التاج ، ثم صعدا بها إلى الجنة ، فلما قبَّضَ الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء ؛ فقال : اللهم أنت الذي أكرمتني بهذا البلاء ، لتعطيني به فضائل الشهداء ! اللهم فهذا آخرُ أيامي الذي وعدتني فيه الراحة من بلاء الدنيا ، اللهم فإنِّي أسألك ألا تقبض رُوحِي ، ولا أزولَ من مكاني هذا حتى تنزل بهذا القوم المتكبرين من سطواتك ونقمتك ما لا قبلَ لهم به ، وما تشفي به صدرِي ، وتقرَّ به عيني ؛ فإنهم ظلموني وعذبوني . اللهم وأسألك ألا يدعوا

(١) ل : « فحملت » .

بعدى داعٍ فى بلاء ولا كرب فيذكرنى ، ويسألك باسمى إلا فرجت عنه
ورحمته وأجبتة ، وشفعتنى فيه .

فلما فرغ من هذا الدعاء ، أمطر الله عليهم النار ، فلما احترقوا عمدوا
إليه فضربوه بالسيوف غيظاً من شدة الحريق ، ليعطيّه الله تعالى بالقتلة الرابعة
ما وعده . فلما احترقت المدينة بجميع ما فيها ، وصارت رماداً ، حملها الله من
وجه الأرض حتى أقلتها ، ثم جعل عاليها سافلها ، فلبثت زماناً من الدهر
يخرج من تحتها دخان منن ، لا يشمه أحد إلا سقم سقماً شديداً ، إلا أنها أسقام
مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضاً ، فكان جميع من آمن بـجرجيس ، وقتل معه
أربعة وثلاثين ألفاً ، وامرأة الملك . رحمها الله !

* * *

٨١٣/١ ونرجع الآن إلى :

ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم

لسياق تمام التأريخ ؛ إذ كنا قد ذكرنا الجلائل من الأمور التي كانت في أيام ملوك الطوائف في الفرس ، وبنى إسرائيل ، والروم ، والعرب ، إلى عهد أردشير .

* * *

[ذكر ملك أردشير بن بابك]

ولما مضى من لدن ملك الإسكندر أرض بابل في قول النصارى وأهل الكتب الأول خمسمائة سنة وثلاث وعشرون سنة ، وفي قول المجوس مائتان وست وستون سنة ؛ وثب أردشير بن بابك شاه ملك خير بن ساسان الأصغر بن بابك ، بن ساسان بن بابك بن مهرمس بن ساسان بن بهمن الملك بن إسفنديار بن يشناسب بن لهراسب بن كيوجي بن كيمنش - وقيل في نسبه : أردشير بن بابك بن ساسان بن بابك بن زرار بن بهافريد بن ساسان الأكبر ، بن بهمن بن إسفنديار بن يشناسب بن لهراسب - بفارس طالبا ٨١٤/١ - بزعمه - بدم ابن عمه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار ، الذي حارب الإسكندر ، فقتله حاجباه ، مريدا - فيما يقول (١) - رداً للملك إلى أهله ، وإلى (٢) ما لم يزل عليه أيام سلفه وآبائه الذين مضوا قبل ملوك الطوائف ، وجمعه لرئيس واحد وملك واحد .

وذكر أن مولده كان بقرية من قرى إصطخر يقال لها طبروده ، من رستاق خير من كورة إصطخر . وكان جدّه ساسان شجاعاً شديداً البطش ، وإنه بلغ من شجاعته وشدة بطشه ، أنه حارب وحده ثمانين رجلاً من أهل إصطخر ، ذوى بأس ونجدة ، فهزمهم . وكانت امرأته من نسل قوم من الملوك ، كانوا بفارس ، يعرفون بالبازرنجين ، يقال لها : رامبهشت ، ذات جمال وكمال ، وكان ساسان قيسماً على بيت نار إصطخر ، يقال له بيت

(١) ت : « زعم » . (٢) ت : « على » .

نار أنا هيذ،^(١) وكان مغرمًا بالصيد والفروسيّة ، فولدت راميهشت لساسان بابك ، وطول شعره حين ولدته أطول من شبر . فلما احتلتك قام بأمر الناس بعد أبيه ، ثم ولد له ابنه أردشير .

وكان ملكًا لصطخر يومئذ رجل من البازرنجين ، يقال له — فيما حدثت عن هشام بن محمد — جُوزِهَر . وقال غيره : كان يسمّى جُزِهَر ، وكان له خصيّ يقال له تيرى ، قد صيّرهُ أَرْجَبِنَا^(٢) بدارا بَسْجِرْد . فلما أتى لأردشير سبعُ سنين ، سار به أبوه إلى جُزِهَر ، وهو بالبيضاء ، فوقفه بين يديه ، وسأله أن يضمّه إلى تيرى ؛ ليكون ربيّاً له ، وأرجَبِنَا من بعده في موضعه . فأجابه إلى ذلك ، وكتب بما سأله من ذلك سَجِيلاً ، وصار به إلى تيرى ، فقبّله أحسن قبُول ، وتبنّاه . فلما هلك تيرى تقلّد أردشير الأمر ، وحسّن قيامه به ، وأعلمه قوم من المنجمين والعرافين صلاح مولده ، وأنه يملك البلاد . فذكر أن أردشير تواضع واستكان لذلك ، ولم يزل يزداد في الخير كل يوم ، وأنه رأى في نومه ملكاً جلس إلى رأسه ، فقال له : إن الله يملكه البلاد ؛ فليأخذ لذلك أهبته ، فلما استيقظ سرّ بذلك ، وأحسّ من نفسه قوّة وشدة بطش ، لم يكن يعهد مثله .

وكان أوّل ما فعل أنه سار إلى موضع من دارا بَسْجِرْد ، يقال له جوبانان ، فقتل ملكاً كان بها يقال له فاسين^(٣) . ثم سار إلى موضع يقال له كونس ، فقتل ملكاً كان بها يقال له مِينُوشَهَر ، ثم إلى موضع يقال له لروير^(٤) ، فقتل ملكاً كان بها يقال له دارا ، وملك هذه المواضع قوماً من قبّله ، ثم كتب إلى أبيه بما كان منه ، وأمره بالوثوب بـجُزِهَر وهو بالبيضاء ، ففعل ذلك ، وقتل جُزِهَر وأخذ تاجه ، وكتب إلى أَرْدَوَانَ البَهْلَوِيّ ملك الجبال وما يتصل بها ، يتضرّع له ويسأله الإذن في تتويج سابور ابنه بتاج جُزِهَر . فكتب إليه أَرْدَوَان كتاباً عنيفاً ، وأعلمه أنه وابنه أردشير على الخلاف بما كان من

(١) ت : « نار أهيد » ؛ س : « نارهيذ » .

(٢) وهى أيضاً : « هرجينا » ، وانظر ص ٤٤ ، س ١٦ .

(٣) ت : « قاسين » ، س : « قاسير » .

(٤) ت : « لزوير » ، س : « لزوبن » .

قتلِهما مَنْ قَتَلَا — فلم يحفل بابك بذلك ، وهلك في تلك الأيام ، فتتوج سابور ابن بابك بالتاج ، وملك مكان أبيه ، وكتب إلى أردشير أن يشخص إليه . فامتنع أردشير من ذلك ، فغضب سابور من امتناعه ، وجمع جموعاً ، وسار بهم نحو مليحاربه ، وخرج من لصطخر ، فألقى بها عدة من إخوانه ، كان بعضهم أكبر سنّاً منه ، فاجتمعوا وأحضروا التاج وسرير الملك ، فسلم الجميع لأردشير ، فتتوج بالتاج ، وجلس على السرير ، وافتتح أمره بقوة وجيد ، ورتب قومًا مراتب ، وصيّر رجلاً يقال له أبرسام بن رحفر^(١) وزيراً ، وأطلق يده وفوض إليه ، وصيّر رجلاً يقال له فاهر^(٢) مؤبذان موبد ، وأحسن من إخوانه وقوم كانوا معه بالفتك به ، فقتل جماعة منهم كثيرة . ثم أتاه أن أهل دارا بـجـرد قد فسدوا عليه ، فعاد إليها حتى افتتحها بعد أن قتل جماعة من أهلها . ثم سار إلى كرمان ، وبها ملك يقال له : بلاش ، فاقتتل وهو قتالاً شديداً ، وقاتل أردشير بنفسه حتى أسر بلاش ، واستولى على المدينة ، فملك أردشير على كرمان ابنّاً له يقال له أردشير أيضاً .

وكان في سواحل بحر فارس ملك يقال له أبتنبود ، كان يعظم ويُعبد ، فسار إليه أردشير فقتله وقطعه بسيفه نصفين ، وقتل مَنْ كان حوله ، واستخرج من مطامير كانت لهم كنوزاً مجموعة فيها ، وكتب إلى مِهْرَك ، وكان ملك إيراهسان من أردشير خيرةً ، وإلى جماعة من أمثاله في طاعته ، فلم يفعلوا ، فسار إليهم ، فقتل مِهْرَك ، ثم سار إلى جُور ، فأسسها ، وأخذ في بناء الجوسق المعروف بالطربّال ، وبیت نار هناك .

فبينا هو كذلك إذ ورد عليه رسول الأردّوان بكتاب منه ، فجمع أردشير الناس لذلك ، وقرأ الكتاب بحضرتهم ، فإذا فيه : إنك قد عدّوت طورك ، واجتلبت حتفك ، أيها الكرديّ المربّي في خيام الأكراد! مَنْ أذن لك في التاج الذي لبسته ، والبلاد التي احتويت عليها وغلبت ملوكها وأهلها! ومَنْ أمرك ببناء المدينة التي أسستها في صحراء — يريد جور — مع أننا إن خلتيناك

(١) ت : « زحفر » .

(٢) ت : « قاهر » ، ل : « هاهر » .

وبناءها فابتن في صحراء طولها عشرة فراسخ مدينة ، وسمّتها رام أردشير .
٨١٨/١ وأعلمه أنه قد وجه إليه ملك الأهواز ليأتيه به في وثاق .

فكتب إليه أردشير : إن الله حبانى بالتاج الذى لبسته ، وملّكنى البلاد
التي افتحتها ، وأعاننى على مَنْ قُتِلَ من الجبابرة والملوك ؛ وأمّا المدينة التي
أبنيها وسمّيتها رام أردشير ، فأنا أرجو أن أمكن منك ، فأبعث برأسك وكنوزك
إلى بيت النار الذى أسسته في أردشير خرة .

ثم شخص أردشير نحو إصطخر ، وخلف أبرسام بأردشير خرة ، فلم
يلبث أردشير إلّا قليلا حتى ورد عليه كتاب أبرسام بموافاة ملك الأهواز ، وانصرافه
منكوبا . ثم سار (١) إلى إصبهان فأسر شاذ سابور ملكها ، وقتله ، ثم عاد إلى
فارس ، وتوجّه لمحاربة نيروفر صاحب الأهواز ، وسار إلى الرّجان وإلى بنيان (٢)
وطاشان من رامهرمز ، ثم إلى سُرّ . فلما سار إلى ما هنالك ، ركب في
رهن من أصحابه ، حتى وقف على شاطئ دجل ، فظفر بالمدينة ، وابتنى
مدينة سوق الأهواز ، وانصرف إلى فارس بالغنائم ، ثم ارتحل من فارس راجعا
إلى الأهواز على طريق جيره وكازرون ، ثم صار من الأهواز إلى ميسان ،
فقتل ملكا كان بها يقال له بندو (٣) ، وبني هنالك كرخ ميسان ، ثم
انصرف إلى فارس ، وأرسل إلى أردوان يرتاد موضعا يقتتلان فيه ، فأرسل إليه
أردوان : إننى أوافيك في صحراء تدعى هرّمزجان ، لانسلاخ مهترماه . فوافاه
أردشير قبل الوقت ، وتبوأ من الصحراء موضعا ، وخندق على نفسه وجنده ،
واحتوى على عيّن كانت هناك ، ووافاه أردوان . فاصطف القوم للقتال ،
٨١٩/١ وقد تقدّم سابور بن أردشير دافعا عنه ، ونشب القتال بينهم ، فقتل سابور
دارا بنداذ ، كاتب أردوان بيده ، فانقضّ أردشير من موضعه إلى أردوان حتى
قتله ، وكثر القتل في أصحابه ، وهرب مَنْ بقي على وجهه . ويقال : إن
أردشير نزل حتى توطأ رأس أردوان بقدمه . وفي ذلك اليوم سمى أردشير
« شاهنشاه » .

(١) ل : « سار » .

(٢) ط : « سار » ، وما أثبتته من التصويبات .

(٣) س : « بندو » .

ثم سار من موضعه إلى هَمَدَان فافتتحها ، وإلى الجبل وأذَرَبِيجَان وإرمينية والموصل عَنُوة ، ثم سار من الموصل إلى سَوْرِسْتَان ؛ وهي السَّوَاد فاحتلتها ، وبنى على شاطئ دَجِلَة قبالة مدينة طهيسون^(١) - وهي المدينة التي في شرق المدائن - مدينة^(٢) غربية سماها به أَرْدَشِير ، وكورها وضم إليها بَهْرَسِير ، والرَّوْمَقَان ، ونهر دَرَقِيط ، وكُوْثَى ونهر جَوْبَر ، واستعمل عليها عمالاً ، ثم توجه من السَّوَاد إلى إصطخر ، وسار منها إلى سجستان ، ثم جرجان ، ثم إلى أبرشهر ، ومرو ، وبلخ ، وخوارزم ؛ إلى تخوم بلاد خراسان . ثم رجع إلى مرو ، وقتل جماعة وبعث رؤسهم إلى بيت نار أناهيد ، ثم انصرف من مرو إلى فارس . ونزل جور ، فأثته رسل ملك كوشان ، وملك طوران ، وملك مكران بالطاعة . ثم توجه أَرْدَشِير من ٨٢٠/١ جور إلى البحرين ، فحاصر سطر^(٣) ملكها ، واضطره الجهد إلى أن يري بنفسه من سور الحصن ، فهلك . ثم انصرف إلى المدائن ، فأقام بها وتوج سابور ابنه بتاجه في حياته .

ويقال : إنه كانت بقرية يقال لها أَلَا^(٤) ، من رُسْتَاق كُوجِرَان^(٥) من رساتيق سيف أَرْدَشِير خُرة ملكة تعظم وتعبد ، فاجتمعت لها أموال وكنوز ومقاتلة . فحارب أَرْدَشِير سَدَنْتَهَا وقتلها ، وغنم أموالاً وكنوزاً عظماً كانت لها : ولأنه كان بنى ثمانى مدن ؛ منها بقا س مدينة أَرْدَشِير خُرة ؛ وهي جور ، ومدينة رام أَرْدَشِير ، ومدينة رِيو أَرْدَشِير ، وبالأهواز هَرْمُز أَرْدَشِير ؛ وهي سوق الأهواز ، وبالسَّوَاد به أَرْدَشِير ؛ وهي غربي المدائن ، وإستاباذ أَرْدَشِير ؛ وهي كَرَخ مِيسَان ، وبالبحرين فنياذ أَرْدَشِير^(٦) ؛ وهي مدينة الحَطّ ، وبالموصل بوذ أَرْدَشِير ؛ وهي حَزّة .

* * *

(١) ت : « طهيسون » ، س : « طهيسون » .

(٢) في الأصول : « مدينة » .

(٣) ت : « سطر » .

(٤) ت : « الاز » ، أس ، ل : « ألان » .

(٥) ت : « جوجران » . (٦) ط : « فسا أَرْدَشِير » ، وما أثبتته من التصويبات .

وذكر أن أردشير عند ظهوره كتب إلى ملوك الطوائف كتباً بليغة ، احتج عليهم فيها ، ودعاهم إلى طاعته ، فلما كان في آخر أمره رسم لمن بعده عهده ، ولم يزل محموداً مظفراً منصوراً ، لا يفلس له جمع ، ولا ترد له راية ؛ وقهر الملوك حول مملكته وأذلهم ، وأثخن في الأرض ، وكوّر الكوّر ، ومدن المدن ، ورتب المراتب ، واستكثر من العمارة . وكان ملكه من وقت قتله أردوان إلى أن هلك أربع عشرة سنة . وقال بعضهم : كان ملكه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : قدم أردشير في أهل فارس يريد الغلبة على الملك بالعراق ، فوافق بابا ملكاً [كان] ^(١) على الأرمنيين ، ووافق أردوان ملكاً على الأرمنيين .

قال هشام : الأرمنيون أنباط السواد ، والأردوانيون أنباط الشام .

قال : وكل واحد منهما يقاتل صاحبه على الملك ، فاجتمعا على قتال أردشير . فقاتلاه متساندين ، يقاتله هذا يوماً ، وهذا يوماً ؛ فإذا كان يوم بابا لم يقم له أردشير ، وإذا كان يوم أردوان لم يقم لأردشير ؛ فلما رأى ذلك أردشير صالح بابا على أن يكف عنه ويدعه وأرادون ، ويخلى أردشير بين بابا وبين بلاده وما فيها ، وتفرغ أردشير لحرب أردوان ، فلم يلبث أن قتله واستولى على ما كان له ، وسمع له ، وأطاع بابا ^(٢) ، فضبط أردشير ملك العراق ودانت له ملوكها ، وقهر من كان يناوئه من أهلها ؛ حتى حملهم على ما أراد مما خالفهم ووافقه .

* * *

ولما استولى أردشير على الملك بالعراق كره كثير من تنوخ أن يقيموا في مملكته ، وأن يدينوا له ، فخرج من كان منهم من قبائل قضاة الذين كانوا أقبلوا مع مالك وعمرو ابني فهم ، ومالك بن زهير وغيرهم ، فلحقوا بالشأم إلى من هنالك من قضاة .

وكان ناس من العرب يحدثون في قومهم الأحداث ، أو تضيق بهم

(٢) ت : « بابا وأطاع » .

(١) تكملة من ت .

المعيشة ، فيخرجون إلى ريف العراق ، وينزلون الحيرة على ثلاثة أثلاث :
 ثلث تنوخ ، وهو مَنْ كان يسكن المظالَّ وبيوتَ الشَّعَرِ والوبر في غربيّ
 الفرات ، فيما بين الحيرة والأنبار وما فوقها . والثلث الثاني العباد ، وهم الذين
 كانوا سكنوا الحيرة وابتنَّوْا بها . والثلث الثالث الأحلاف ، وهم الذين لحقوا
 بأهل الحيرة ، ونزلوا فيهم ، ممَّن لم يكن من تنَّوخ الوبر ؛ ولا من العباد الذين
 دانوا لأردشير .

وكانت الحيرة والأنبار بنيتا جميعاً في زمن بختنصر ، فخربت
 الحيرة لتحوَّل أهلها عنها عند هلاك بختنصر إلى الأنبار ، وعمرت الأنبار
 خمسمائة سنة وخمسين سنة ، إلى أن عمرت الحيرة في زمن عمرو بن عدى ،
 باتَّخاذه إياها منزلاً ، فعمرت الحيرة خمسمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن
 وُضعت الكوفة ، ونزلها الإسلام ؛ فكان جميعُ مُلْكِ عمرو بن عدى مائة
 سنة وثمانى عشرة سنة ، من ذلك في زمن أردوان وملوك الطوائف خمس وتسعون
 سنة ، وفي زمن ملوك فارس ثلاث وعشرون سنة ؛ من ذلك في زمن أردشير بن
 بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وفي زمن سابور بن أردشير ثمانى سنين
 وشهران .

ذكر الخبر

عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك

ولما هلك أردشير بن بابك ، قام بملك فارس من بعده ابنه سابور . ٨٢٣/١
 وكان أردشير بن بابك لما أفضى إليه الملك أسرف في قتل الأشكانيين ،
 الذين منهم كان ملوك الطوائف ، حتى أفناهم بسبب اليّة كان ساسان بن
 أردشير بن بهمن بن إسفنديار الأكبر ، جدّ أردشير بن بابك ، كان آلاها ،
 أنه إن ملك يوماً من الدهر لم يستبق^(١) من نسل أشك بن خرّه أحداً ، وأوجب ذلك
 على عقبه ، وأوصاهم بالألّا يبقوا منهم أحداً إن هم ملكوا ، أو ملك منهم
 أحد يوماً . فكان أول من ملك من ولد ولده ونسله أردشير بن بابك ، فقتلهم
 جميعاً ؛ نساءهم ورجالهم ، فلم يستبق منهم أحداً لعزّة جدّه ساسان .
 فذكر أنه لم يبق منهم أحد ، غير أن جارية كان وجدها أردشير^(٢) في
 دار المملكة ، فأعجبه جمالها وحسنها ، فسألها — وكانت ابنة الملك المقتول —
 عن نسبها . فذكرت أنها كانت خادماً لبعض نساء الملك ، فسألها : أبكر أنت
 أم ثيب ؟ فأخبرته أنها بكر ، فواقعها واتخذها لنفسه ، فعلقته منه ، فلما أمنتته
 على نفسها لاستمكاها منه بالحبل ، أخبرته أنها من نسل أشك ، فنفر منها^(٣)
 ودعا هرجبذا أبرسام — وكان شيخاً مسنّاً — فأخبره أنها أقرت أنها من نسل
 أشك ، وقال : نحن أولى باستتمام الوفاء بنذر أبينا ساسان ، وإن كان موقعها
 من قلبي على ما قد علمت ، فأنطلق بها فاقتلها . فضى الشيخ ليقتلها ، فأخبرته
 أنها حبلى ؛ فأتى بها القوايل ، فشهدن بحبلها ، فأودعها سرباً في الأرض ، ثم
 قطع مذاكيره فوضعها في حق ، ثم ختم عليه . ورجع إلى الملك ، فقال له
 الملك : ما فعلت ؟ قال : قد استودعتها بطن الأرض ، ودفع الحق إليه ،
 وسأله أن يختم عليه بخاتمه ، ويودعه بعض خزائنه ففعل ، فأقامت الجارية
 عند الشيخ ، حتى وضعت غلاماً ، فكره الشيخ أن يُسمّى ابن الملك دونه ،

(١) ل : « لا يستبق » . س : « لا يستبق » .

(٢) ل : « كان أردشير وجدها » .

(٣) ت : « فنفر عنها » .

وكره أن يعلمه به صبيّاً حتى يدرك ، ويستكمل الأدب . وقد كان الشيخ أخذ قياس الصبي ساعة وُلد ، وأقام له الطالع ، فعلم عند ذلك أن سيملك ، فسماه اسماً جامعاً يكون صفة واسماً ويكون فيه بالخيار إذا علم به ، فسماه « شاه بور » ، وترجمتها بالعربية : ابن الملك ، وهو أول مَنْ سُمّي بهذا الاسم ، وهو سابور الجنود بالعربية ، بن أردشير . وقال بعضهم : بل سماه « أشه بور » ، ترجمتها بالعربية : ولد أشك ، الذي كانت أم الغلام من نسله .

* * *

فغَبَر (١) أردشير دهرأ لا يُولَد له ، فدخل عليه الشيخ الأمين ، الذي عنده الصبي ، فوجده محزوناً ، فقال : ما يُحْزِنُكَ أيها الملك ؟ فقال له أردشير : وكيف لا أحزن ، وقد ضربتُ بسيفي ما بين المشرق والمغرب حتى ظفرت بحاجتي ، وصفا لي الملك ملك آبائي ، ثم أهلك لا يعقبني فيه عقيب ، ولا يكون لي فيه بقية ! فقال له الشيخ : سرّك الله أيها الملك وعمرك ! لك عندي ولد طيّب نفيس ، فادع بالحق الذي استودعتك ، وختمته بخاتمك أرك برهان ذلك .

فدعا أردشير بالحق ، فنظر إلى نقش خاتمة ، ثم فضّه ، وفتح الحق ، ٨٢٥/١ فوجد فيه هذا كبر الشيخ ، وكتابتاً فيه : إنّنا لما اخترنا ابنة أشك التي علقت من ملك الملوك أردشير حين أمرنا بقتلها حين حملها ، لم نستحلّ إتياء (٢) زرع الملك الطيب ، فأودعناها بطن الأرض كما أمرنا ملكنا ، وتبرّأنا إليه من أنفسنا لئلا يجد عاضيه إلى عَضَتِهَا سبيلاً ، وقمنا بتقوية الحق المتزوع (٣) حتى لحق بأهله ، وذلك في ساعة كذا من عام كذا . فأمره أردشير عند ذلك أن يهبّه في مائة غلام . وقال بعضهم : في ألف غلام من أتراه وأشباهه في الهيئة والقامة ، ثم يدخلهم عليه جميعاً لا يفرق بينهم في زى ولا قامة ولا أدب ، ففعل ذلك الشيخ ، فلما نظر إليهم أردشير قبلت نفسه ابنه من بينهم ، واستحلاه من غير أن يكون أشير له إليه أو لحين به . ثم أمر بهم جميعاً

(١) ط : « عبر » . (٢) إتياء : إهلاك .

(٣) ط : « المزروع » . ت : « المزوع » .

فأخْرَجُوا إلى حجرة الإيوان ، فأعطُوا صوابحة ، فلعبوا بالكرة وهو في الإيوان على سريره ، فدخلت الكرة في الإيوان الذي هو فيه ^(١) ، فكاع الغلمان ^(٢) جميعاً أن يدخلوا الإيوان ، وأقدم سابور من بينهم فدخل فاستدلَّ أَرْدَشِير بدخوله عليه ، وإقدامه وجَرُّه مع ما كان من قبول نفسه له أوّل مرّة حين رآه ، ورقته عليه دون أصحابه أنه ابنه . فقال له أَرْدَشِير بالفارسية : ما اسمك ؟ فقال الغلام : شاه بور ، فقال : أَرْدَشِير : شاه بور ! فلما ثبت عنده أنه ابنه شهرٌ أمره ، وعقد له التاج من بعده .

٨٢٦/١

وكان سابور قد ابتلى منه أهل فارس — قبل أن يُفَضِّلَ إليه الملكُ في حياة أبيه — عقلاً وفضلاً وعلماً ، مع شدّة بطش ، وبلاغة منطق ، ورأفة بالرعية ورقّة . فلما عَقِدَ التاج على رأسه ، اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له بطول البقاء ، وأطنبوا في ذكر والده وذكر فضائله ، فأعلمهم أنهم لم يكونوا يستدعون إحسانه بشيء يعدل عنده ذكرهم والده ، ووعدهم خيراً .

ثم أمر بما كان في الخزائن من الأموال ، فوسّع بها على الناس ، وقسمها فيمن رآه موضعاً ؛ من الوجوه والجنود وأهل الحاجة ، وكتب إلى عمّاله بالكُور والنواحي أن يفعلوا مثل ذلك في الأموال التي في أيديهم ، فوصل من فضله وإحسانه إلى القريب والبعيد ، والشريف والضيع ، والخاصّ والعام ما عمّهم ورُفِعَتْ ^(٣) معاشهم . ثم تخيّر لهم العمّال ، وأشرف عليهم وعلى الرعية إشرافاً شديداً ، فبان فضل سيرته ، وبتعدّ صوته ، وفاق جميع الملوك .

وقيل : إنه سار إلى مدينة نصيبين ، لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه ، وفيها جنود من جنود الروم ، فحاصروهم حيناً ، ثم أتاها عن ناحية من خراسان ما احتاج إلى مشاهدته ، فشخص إليها حتى أحكم أمرها ، ثم رجع إلى نصيبين . وزعموا ^(٤) أن سور المدينة تصدّع وانفجرت له فرُجّة دخل ^(٥) منها ،

(١) ل : « فيه الملك » .

(٢) كاع الغلمان : جنبوا . وفي الحديث : « ما زالت قريش كاعة حتى مات أبو طالب » ؛

الكاعة : جمع كائع ؛ وهو الجبان .

(٣) ط : « رفعت » تصحيف ، والرفع : السعة في الرزق .

(٤) ت : « فرغموا » .

(٥) ت : « فدخل » ، ل : « ودخل » .

فقتل المقاتلة وسبى وأخذ أموالاً عظيمة كانت لقيصر هنالك ، ثم تجاوزها إلى الشام وبلاد الروم ، فافتتح من مدائنها مدناً كثيرة .

وقيل : إن فيما افتتح قالوقية وقنوقية ، وإنه حاصر مملكة كان بالروم ، يقال له الريانوس بمدينة أنطاكية ، فأسره وحمله وجماعة كثيرة معه ، وأسكنهم ٨٢٧/١ جندى سابور .

وذكر أنه أخذ الريانوس ببناء شاذرون تستتر ، على أن يجعل عرضه ألف ذراع ، فبناه الرومى يقوم أشخصهم إليه من الروم ، وحكم سابور في فكأكه بعد فراغه من الشاذرون ، فقبل إنه أخذ منه أموالاً عظيمة ، وأطلقه بعد أن جدع أنفه . وقيل إنه قتله .

* * *

وكان بجبال تكريت بين دجلة والفرات مدينة يقال لها الحضسر ، وكان بها رجل من الجرامقة يقال له الساطرون ، وهو الذى يقول فيه أبو دوداد الأيادى :

وَأَرَى الْمَوْتَ قَدْ تَدَلَّى مِنَ الْحُضْرِ عَلَى رَبِّ أَهْلِ السَّاطِرُونَ^(١)
والعرب تسميه الضييزن . وقيل : إن الضييزن من أهل بآجرمى .

وزعم هشام بن الكلبي^(٢) أنه من العرب من قضاة وأنه الضييزن بن معاوية ابن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان بن عمران ابن الحاف بن قضاة ، وأن أمه من يزيد بن حلوان اسمها جيهلة^(٣) ، وأنه إنما كان يعرف بأمه . وزعم أنه كان ملك أرض الجزيرة ، وكان معه من بنى عبيد بن الأجرام وقبائل قضاة ما لا يحصى ، وأن ملكه كان قد بلغ الشام ، وأنه تطرف من بعض السواد فى غيبة كان غابها إلى ناحية خراسان ٨٢٨/١ سابور بن أردشير ، فلما قدم من غيبته أخبر بما كان منه ، فقال فى ذلك من فعل الضييزن ، عمرو بن إله^(٤) بن الجندى بن الدهاء بن جشم بن حلوان

(١) كذا فى اللسان ٦ : ٢٩ ، وقرر أخبار ملوك الفرس ٤٠٢ ، وفى معجم البلدان ٣ :

٢٩٠ نسبة إلى عدى بن زيد . (٢) الخبر فى الأغاني ٢ : ١٤٠ (طبعة دار الكتب) بسنده عن

جماعة ، منهم هشام الكلبي . (٣) فى الأغاني : « جيهلة » .

(٤) فى الأغاني : « عمرو بن السليح بن حدى بن الدهاء بن غم بن حلوان » ، وفى معجم البلدان

٣ : ٢٩٠ : « الجندى بن الدهاء » ، وفى ت ، ل : « الجندى » .

ابن عمران بن الحاف بن قضاة :

لَقَيْنَاهُمْ بِجَمْعٍ مِنْ عِلَافٍ وَبِالْحَيْلِ الصَّلَادِمَةِ الذُّكُورِ^(١)
فَلَاقَتْ فَارِسٌ مِنَّا نِكَالًا وَقَتَلْنَا هَرَايِذَ شَهْرُزُورِ^(٢)
دَلَفْنَا لِلْأَعَاجِمِ مِنْ بَعِيدٍ بِجَمْعٍ كَالْجَزِيرَةِ فِي السَّيْرِ

فلما أخبر سابور بما كان منه شخص إليه حتى أناخ على حصنه ، ونحصن
الضَّيَّيْنِ في الحصن ، فرغم ابنُ الكلبي أنه أقام سابور على حصنه أربع سنين ،
لا يقدر على هدمه ولا على الوصول إلى الضَّيَّيْنِ .

وأما الأعشى ميمون بن قيس فإنه ذكر في شعره أنه إنما أقام عليه
حولين ، فقال^(٣) :

أَلَمْ تَرَ لِلْحَضَرِ إِذْ أَهْلُهُ بِنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمَ!^(٤)
أَقَامَ بِهِ شَاهِبُورُ الْجَنُودِ دَحْوَلَيْنِ تَضْرِبُ فِيهِ الْقُدُمُ^(٥)
فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً وَمِثْلُ مُحَاوَرِهِ لَمْ يُقِمَ^(٦)
فَلَمَّا رَأَى رَبُّهُ فِقْلَهُ أَتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمَ
وَكَانَ دَعَا قَوْمَهُ دَعْوَةً هَلُمُّوا إِلَى أَمْرِكُمْ قَدْ صُرِمَ
فَوْتُوا كِرَامًا بِأَسْيَافِكُمْ أَرَى الْمَوْتَ يَحْشِمُهُ مَنْ جِشَمَ

٨٢٩/١

ثم إن ابنة للضَّيَّيْنِ يقال لها النَّصِيرَةُ عَرَّكَتْ^(٧) فَأُخْرِجَتْ إِلَى رَبَضٍ^(٨)

(١) هو علاف بن حلوان بن الحاف بن قضاة ؛ وإليه تنسب الحيل العلافية . والحيل
الصلادمة : القوة الشديدة .

(٢) شهر زور : كورة واسعة بين إربل وهذان ؛ قال ياقوت : وأهل هذه النواحي كلهم
أكراد ؛ ولأهلها بطش وشدة . (٣) ديوانه ٣٥ ؛ من قصيدته التي أولها :

أَتَهَجَّرُ غَانِيَةً أَمْ تُلِمُّ أَمِ الْحَيْلُ وَاهٍ بِهَا مُنْجَذِمٌ

(٤) الديوان : « أَلَمْ تَرَى الْحَضَرَ » .

(٥) الديوان : « أَقَامَ بِهِ سَابُورُ » . والقدم : جمع قدوم .

(٦) في ط : « وَمِثْلُ مُحَاوَرِهِ لَمْ يُقِمَ » وما أثبتته عن الديوان .

(٧) في الأغاني : « عَرَّكَتْ ، أَيْ حَاضَتْ » . (٨) الربض : ما حول المدينة من الخارج .

المدينة ، وكانت من أجمل نساء زمانها — وكذلك كان يُفعل بالنساء إذا هنَّ عَرَكَنَّ — وكان سابور من أجمل أهل زمانه — فيما قيل — فرأى كل واحد منهما صاحبه ، فعشيقته وعشيقها ، فأرسلت إليه : ما تجعل لى إن دَلَسْتُكَ على ما تهْدِم به سورَ هذه المدينة وتقتل أبى ؟ قال : حكمتك ^(١) وأرفعك على نسائى ، وأخصك بنفسى دونهنَّ . قالت : عليك بحمامة ورقاء مطوّقة ، فاكتب فى رجلها بيمينى جارية بيكرٍ زرقاء ، ثم أرسلها ، فإنها تقع على حائط المدينة ؛ فتداعى ^(٢) المدينة . وكان ذلك طَلَسَم ^(٣) المدينة لا يهدمها إلا هذا ، ففعل وتأهب لهم ، وقالت : أنا أسقى الحرسَ الخمر ، فإذا صرعوا فاقتلهم ، وادخل المدينة . ففعل وتداعت المدينة ، ففتحها عنوة ، وقتل الضيّزَن يومئذ ، وأبيدت أفاء قُضاعة الذين كانوا مع الضيّزَن ، فلم يبقَ منهم باقٍ يُعرف إلى اليوم ، وأصببت قبائل من بنى حُلُوان ، فانقرضوا ودرجوا ، فقال عمرو ^(٤) بن إالة — وكان مع الضيّزَن :

ألم يحزنُكَ والأنباء تنمى ^(٥) بما لاقت سراً بنى عبيد !
ومصرعُ ضيّزَن وبني أبيه وأحلاس الكتائب من تزيدي ^(٦)
أتاهم بالقيول مجلات وبالأبطال سابورُ الجنود
فهدم من أواسى الحصن صخر ^(٧) كأن نِفاله زبرُ الحديد

وأخرب سابور المدينة ، واحتمل النّصيرة ابنة الضيّزَن ، فأعرس بها بعين التّممر ، فذكر أنها لم تزل ليلتها تنصوّر ^(٨) من خشونة فرشها ، وهى من

(١) فى الأغاني : « أحكمتك » .

(٢) ط : « فتداعى » ، وما أثبتته عن الأغاني .

(٣) الطلسم : السر المكتوم .

(٤) نسب ياقوت هذه الأبيات ٣ : ٢٩١ إلى الجدى بن الدهاث .

(٥) تنمى ، أى تشيع .

(٦) أحلاس الكتائب : الشجعان الملازمون لها .

(٧) الأغاني : « من أواسى الحضر » . والأواسى : جمع آسية ؛ وهو ما أسس من بنيان فأحكم

أصله من سارية أو غيرها .

(٨) الأغاني : « تنصّور » .

٨٣٠/١ حرير محشوة بالقزّ فالتمس ما كان يؤذيها ، فإذا ورقة آس ملتزمة بعكثنة من عكثنها قد أثرت فيها . قال : وكان ينظر إلى تحتها من لين بشرتها - فقال لها سابور : ويحك بأي شيء كان يغدوك أبوك ؟ قالت : بالزُّبْد والمخّ وشهد الأبقار من النحل وصفو الخمر . قال : وأبيك لانا أحدث عهداً بك ، وأثر^(١) لك من أبيك الذي غذاك بما تذكرين . فأمر^(٢) رجلاً فركب فرساً جموحاً ، ثم عصب غدائرها بذنبيه ، ثم استركضها فقطعها قطعاً ، فذلك قول الشاعر :

أَقْفَرَ الْحِصْنُ مِنْ نَضِيرَةِ فَالِمِرِّ بَاعُ مِنْهَا فَجَانِبُ الثَّرَائِرِ^(٣)
وقد أكثر الشعراء ذكر ضيّر هذا في أشعارهم ، وإياه عنتى عدى بن زيد بقوله :

وَأَخُو الْحَضَرِ إِذْ بَنَاهُ وَإِذْ دَجَّ لَمَةً تَجَنَّى إِلَيْهِ وَالْخَابُورُ^(٤)
شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِدًا سَاءَ فَلِلطَّيْرِ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ^(٥)
لَمْ يَهَبْهُ رَبُّبُ الْمَنُونِ فَبَادَ الْـ مُلْكُ عَنْهُ فَبَابُهُ مَهْجُورُ^(٦)
ويقال إن سابور بنى بميسان شاذ سابور ، التي تسمى بالنَّبْطِيَّة «ريما» .

* * *

وفي أيتام سابور ظهر مانبي الزنديق ، ويقال : إن سابور لما سار إلى موضع جُنْدَى سابور ليؤسّسها صادف عندها شيخاً يقال له بيل ، فسأله : هل يجوز أن يتخذ في ذلك الموضع مدينة ؟ فقال له بيل : إن أُلْهِمْتُ الكتابة مع ما قد بلغت من السنّ جاز أن يبني في هذا الموضع مدينة . فقال له سابور : بل ليكن الأمران اللذان أنكرت كونهما . فرسم المدينة وأسلم بيل إلى معلم ، وفرض عليه تعليمه الكتاب والحساب في سنة ، فخلا به المعلم وبدأ بخلق رأسه

(١) ط : « وأثر » ، وما أثبتته عن الأغاني . (٢) الأغاني : « ثم أمر » .

(٣) الثرائر : واد بين سنجار وتكريت ؛ كان في القديم منازل لكبر بن وائل ؛ ويمر بمدينة الحضرة ؛ ثم يصب في دجلة أسفل تكريت .

(٤) الخابور : اسم لنهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة .

(٥) الكلس : الصاروج ؛ وهي النورة وأخلاطها التي تصرج بها النزل وغيرها . فارسي معرب .

(٦) ط : « ديجا » .

ولحيته لثلا يتشاغل بهما ، وجادّه التعليم . ثم أتى به سابور وقد نفذ ومهّر ، فقتلده إحصاء النفقة على المدينة وإثبات حسابها ، وكور الناحية ونماها بنهّا زنديو سابور ، وتأويل ذلك : « خير من أنطاكية » ، ومدينة سابور - وهي التي تسمى جندى سابور ، وأهل الأهواز يسمونها « بيل » باسم القيتيم كان على بنائها . ولما حضر سابور الموت ملك ابنه هرمز وعهد إليه عهداً أمره بالعمل به .

واختلف في سنى ملكه ، فقال : بعضهم كان ذلك ثلاثين سنة وخمسة عشر يوماً . وقال آخرون : كان ملكه إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر وتسعة عشر يوماً .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن سابور]

ثم قام بالملك بعد سابور بن أردشير بن بابك ابنه هرمز . وكان يلقب بالجرىء ، وكان يُشَبَّه في جسمه وخلقه وصورته بأردشير ؛ غير لاحق به في رأيه وتدييره ، إلا أنه كان من البطش والجرأة وعظم الخلق على أمر عظيم . وكانت أمّه - فيما قيل - من بنات مِهْرَك ، الملك الذي قتله أردشير بأردشير خُرة . وذلك أن المنجمين كانوا أخبروا أردشير أنه يكون من نسله مَنْ يملك . فاتبع أردشير نسله فقتلهم ، وأفلتت أمّ هرمز . وكانت ذات عقل وجمال وكمال وشدة خلق ، فوقعت إلى البادية ، وأوت إلى بعض الرعاء . وإن سابور خرج يوماً متصيداً ، فأمعن في طلب الصيد ، واشتد به العطش ، ٨٣٢/١ فارتفعت له الأخبية التي كانت أمّ هرمز أوت إليها ، فقصدها فوجد الرعاء غيباً ، فطلب الماء ، فناولته المرأة ، فعابن منها جمالا فائقاً ، وقواماً عجيباً ، ووجهاً عتيقاً . ثم لم يلبث أن حضر الرعاء ، فسألهم سابور عنها ، فنسبها بعضهم إليه ، فسأله أن يزوجه منها ، فساعفه ، فصار بها إلى منزله ، وأمر بها فظففت وكُسييت وحلّيت ، وأرادها على نفسها ؛ فكان إذا خلا بها والتمس منها ما يلتمس الرجل من المرأة امتنعت وقهرته عند المجاذبة قهراً ينكره . وتعجب من قوتها ، فلما تطاول ذلك من أمرها أنكره ؛ ففحص عن أمرها

فأخبرته أنها ابنة مِهْرَك ، وأنها إنما فعلت ما فعلت لإبقاء عليه من أردشير ، فاعاهدها على سِتْرِ أمرها ، ووطنها فولدت هُرْمَز ، فستر أمره حتى أتت له سنون . وإن أردشير ركب يوماً ، ثم انكفاً إلى منزل سابور لشيء أراد ذكره له ، فدخل منزله مفاجأة ، فلما استقرّ به القرار خرج هُرْمَز ، وقد ترعرع ويده صولجان يلعب به وهو يصيح في أثر الكرة ، فلماً وقعت عين أردشير عليه أنكره ، ووقف على المشابه التي فيه منهم ؛ لأن الكيئة التي في آل أردشير كانت لا تخفى ، ولا يذهب أمرهم على أحد ، لعلامات^(١) كانت فيهم ؛ من حُسْن الوجوه ، وعِبَالَة^(٢) الخلق ، وأمور كانوا بها مخصوصين في أجسامهم . فاستدناه أردشير ، وسأل سابور عنه ، فخرّ مكفراً على سبيل الإقرار بالخطأ مما كان منه ، وأخبر أباه حقيقة الخبر ، فُسِرَّ به ، وأعلمه أنه قد تحقق الذي ذكر المنجّمون في ولد مِهْرَك ، ومَنْ يملك منهم ، وأنهم إنما ذهبوا فيه إلى هُرْمَز ؛ إذ كان من نَسْلِ مِهْرَك ، وأنّ ذلك قد سلّى ما كان في نفسه وأذهبه .

٨٣٣/١

فلما هلكت أردشير وأفضى الأمر إلى سابور وليّ هُرْمَز خراسان ، وسيّره إليها ، فاستقلّ بالعمل ، وقمّع مَنْ كان يليه من ملوك الأمم ، وأظهر تجبراً شديداً ، فوشى به الوشاة إلى سابور ، ووهّموه أنّه إن دعا لم يُجِبْ ، وأنّه على أن يبتزّه الملك ؛ ونمت الأخبار بذلك إلى هرمز ، فقيل : إنّه خلا بنفسه ، فقطع يده وحسّمها ، وألقى عليها ما يحفظها ، وأدرجها في نفيس من الثياب ، وصيّرّها في سَفَط^(٣) ، وبعث بها إلى سابور ، وكتب إليه بما بلغه ، وأنّه إنما فعل ما فعل ؛ إزالةً للثمة عنه ؛ ولأنّ في رسمهم ألا يملّكوا ذا عاهة . فلما وصل الكتاب بما معه إلى سابور ، تقطّع أسفاً ، وكتب إليه بما ناله من الغم بما فعل ، واعتذر ، وأعلمه أنه لو قطع بدنه عضواً عضواً ، لم يؤثّر عليه أحداً بالملك . فلنّكه .

* * *

(١) ت ، س : « بعلامات » . (٢) العبالة هنا : ضخامة الجسم ؛ وأصله في الذراعين .

(٣) السفط : الجوالق .

وقيل : إنه لما وضع التاج على رأسه ، دخل عليه العظماء ، فدعوا له فأحسن لهم الجواب ، وعرفوا منه صدق الحديث ، وأحسن فيهم السيرة ، وعدل في رعيته ، وسلك سبيل آبائه ، وكوّر كورة رام هرمز وكان ملكه سنة وعشرة أيام .

* * *

[ذكر ملك بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام . وهو بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ابن بابك .

وكان من محال سابور بن أردشير ، وهرمز بن سابور ، وبهرام بن هرمز بن سابور — ٨٣٤/١ — بعد مهلك عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة على فرج^(١) العرب من ربيعة ومُضَرَّ وسائر من ببادية العراق والحجاز والجزيرة يومئذ — ابن عمرو بن عدى ، يقال له امرؤ القيس البديع^(٢) ، وهو أول من تنصّر من ملوك آل نصر بن ربيعة ومحال ملوك الفرس ، وعاش — فيما ذكره هشام بن محمد — مملّكا في عمله مائة سنة وأربع عشرة سنة ؛ من ذلك في زمن سابور بن أردشير ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً ، وفي زمن^(٣) هرْمُز بن سابور سنة وعشرة أيام ، وفي زمن بهرام بن هرمز ابن سابور ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام ، وفي زمن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ثمانى عشرة سنة .

وكان بهرام بن هرمز — فيما ذكر — رجلاً ذا حلم وتؤدة ، فاستبشر الناس بولايته ، وأحسن السيرة فيهم ، واتّبع في ملكه في سياسة الناس آثار آبائه ؛ وكان ماني الزنديق — فيما ذكر — يدعو إلى دينه ، فاستبرأ ما عنده ، فوجده داعية للشيطان ، فأمر بقتله وسلّخ جلده وحشوه تبناً وتعليقه على باب من أبواب مدينة جُستَى سابور ، يدعى باب الماني ، وقتل أصحابه ومن دخل في ملته . وكان ملكه — فيما قيل — ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام .

* * *

(١) الفرج هنا : موضع المخافة من العدو المجاور . (٢) ت ، س : « البدي » .

(٣) ت ، س : « زمان » .

[ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز]

ثم قام بالملك بعده ابنه بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
 وكان ذا علم - فيما قيل - بالأمور ، فلما عقد التاج على رأسه دعا له العظماء
 بمثل ما كانوا يدعون لأبائه ، فردّ عليهم مردّاً حسناً ، وأحسن فيهم السيرة ، ٨٣٥/١
 وقال : إن ساعدنا الدهر نقبل ذلك بالشكر ، وإن يكن غير ذلك نرضى بالقسم .
 واختلّف في سني ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة .
 وقال بعضهم : كان سبع عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام]

ثم ملك بهرام الملقّب بشاهنشاه بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن
 أردشير ، فلما عقد التاج على رأسه اجتمع إليه العظماء ، فدعوا له ببركة
 الولاية وطول العمر ، فردّ عليهم أحسن الردّ ، وكان قبل أن يُفضّى إليه الملك
 مملّكاً على سجستان .
 وكان ملكه أربع سنين .

* * *

[ذكر ملك نرسی بن بهرام]

ثم قام بالملك بعده نرسی بن بهرام ، وهو أخو بهرام الثالث ، فلما
 عقد التاج على رأسه دخلت عليه الأشراف والعظماء ، فدعوا له فوعدهم
 خيراً ، وأمرهم بمكانفته على أمره ، وسار فيهم بأعدل السيرة ، وقال يوم ملك :
 إِنَّا لَنُضَيِّعُ شُكْرَ اللَّهِ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْنَا .
 وكان ملكه تسع سنين .

* * *

[ذكر ملك هرمز بن نرسی]

ثم ملك هرمز بن نرسی بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير .
 وكان النَّاسُ قد وَحِلُوا مِنْهُ ، وَأَحْسَوْا بِالْفُظَاظَةِ وَالشَّدَةِ ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ قَدْ

عَلِمَ ما كانوا يخافونه من شدة ولايته، وأعلمهم أنه قد أبدل ما كان في خلقه من الغِلظة والفظاظة رقةً ورأفةً، وساسهم بأرفق السياسة ، وسار فيهم بأعدل السيرة ، وكان حريصاً على انتعاش الضعفاء وعمارة البلاد والعدل على الرعية . ٨٣٦/١
ثم هلك ولا ولد له ، فشقَّ ذلك على الناس ، فسألوا بميلهم إليه عن نسائه ؛ فذكر لهم أن بعضهن حُبلى . وقد قال بعضهم : إن هرمز كان أوصى بالملك لذلك الحمل في بطن أمه ، وأن تلك المرأة ولدت سابور ذا الأكتاف .

وكان مُلكُ هرمز في قول بعضهم ست سنين وخمسة أشهر ، وفي قول آخرين سبع سنين وخمسة أشهر .

* * *

[ذكر ملك سابور ذى الأكتاف]

ثم ولد سابور ذو الأكتاف بن هرمز بن ترسي بن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير ، مملّكا بوصية أبيه هرمز له بالملك ، فاستبشر الناس بولادته ، وبشّوا خبره في الآفاق ، وكتبوا الكتب ، ووجهوا به البرد إلى الآفاق والأطراف ، وتقلد الوزراء والكتّاب الأعمال التي كانوا يعملونها في ملك أبيه ، ولم يزالوا على ذلك ، حتى فشا خبرهم ، وشاع في أطراف مملكة الفرس أنه كان لا ملك لهم ، وأن أهلها إنما يتلومون^(١) صبيّاً في المهد ، لا يدرون ما هو كائن من أمره ، فطمعت في مملكتهم الترك والروم .

وكانت بلاد العرب أدنى البلاد إلى فارس ، وكانوا من أحوج الأمم إلى تناول شئ من معاشهم وبلادهم ، لسوء حالهم وشظف عيشهم ، فسار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية بلاد عبد القيس والبحرين وكاظمة ، حتى أناخوا على أبرشهر وسواحل أردشير خرة وأسياف فارس ، وغلبوا أهلها على مواشيهم وحروثهم ومعاشهم ، وأكثروا الفساد في تلك البلاد ، فكثوا على ٨٣٧/١ ذلك من أمرهم حينئذ لا يغزوهم أحد من الفرس ، لعقدهم تاج المُلْك على طفل من الأطفال ، وقلة هيبة الناس له ؛ حتى تحرك سابور وترعرع ، فلما ترعرع ذكر أن أول ما عُرف من تدبيره وحسن فهمه ، أنه استيقظ ذات

(١) التلوم : الانتظار والتلبث .

ليلة وهو في قصر المملكة بطَيْسَبُون ، من ضوضاء الناس بسَحَر ، فسأل عن ذلك ، فأخبر أن ذلك ضجّةُ الناس عند ازدحامهم على جسرٍ دَجَلَةٍ مقبلين ومدبرين ؛ فأمر باتخاذ جسر آخر ؛ حتى يكون أحدهما معبراً للمقبِلين ؛ والآخر معبراً للمدبرين ، فلا يزدحم الناس في المرور عليهما . فاستبشر الناس بما رأوا من فطنته لما فطن من ذلك على صِغَر سنّه . وتقدّم فيما أمر به من ذلك ، فذكر أن الشمس لم تغرب من يومهم ذلك حتى عُقد جسرٌ بالقرب من الجسر الذي كان فاستراح الناس من المخاطرة بأنفسهم في الجواز على الجسر ، وجعل الغلام يتزيتد في اليوم ما يتزيتده غيره في الحين الطويل .

وجعل الكتاب والوزراء يعرضون عليه الأمر بعد الأمر ، فكان فيما عرض عليه أمر الجنود التي في الثغور ، ومن كان منهم بإزاء الأعداء . وإن الأخبار وردت بأن أكثرهم قد أخلّ ، وعظّموا عليه الأمر في ذلك ، فقال لهم سابور : لا يكبرن هذا عندكم ؛ فإنّ الحيلة فيه يسيرة ، وأمر بالكتاب إلى أولئك الجنود جميعاً ؛ بأنّه انتهى إليه طول مكثهم في النواحي التي هم بها ^(١) ، وعظّم غنائهم عن أوليائهم وإخوانهم ؛ فن أحبّ أن ينصرف إلى أهله فليتنصرف مأذوناً له في ذلك ، ومن أحبّ أن يستكمل الفضل بالصبر في موضعه عُرِف ذلك له . وتقدّم إلى من اختار الانصراف في لزوم أهله وبلاده إلى وقت الحاجة إليه .

٨٣٨/١

فلما سمع الوزراء ذلك من قوله استحسّنه ، وقالوا : لو كان هذا قد أطلت تجربة الأمور ، وسياسة الجنود ما زاد رأيه وصحّة منطقته على ما سمعنا به . ثم تابعت أخباره إلى البلدان والثغور ، بما قوّم أصحابه ، وقمع أعداءه . حتى إذا تمت له ست عشرة سنة وأطاق حمل السلاح وركوب الخيل ، واشتدّ عظمه ، جمع إليه رؤساء أصحابه وأجناده ، ثم قام فيهم خطيباً ، ثم ذكر ما أنعم الله به عليه وعليهم بآبائه ، وما أقاموا من أديهم ونفوا من أعدائهم ، وما اختلّ من أمورهم ، في الأيام التي مضت من أيام صباه ، وأعلمهم أنه

يبتدئ العمل في الذَّبّ عن البيضة ، وأنه يقدر الشخص إلى بعض الأعداء لمحاربتة ، وأنَّ عدة من يشخص معه من المقاتلة ألف رجل . فنهض إليه القوم داعين منشكرين ، وسألوه أن يُقيم بموضعه ، ويوجه القواد والجنود ليكنفوه ما قدر من الشخص فيه ، فأبى أن يجيبهم إلى المقام ، فسألوه الازدياد على العدة التي ذكرها فأبى . ثم انتخب ألف فارس من صناديد جنده وأبطالهم ، وتقدم إليهم في المضي لأمره ، ونهاهم عن الإبقاء على من لقوا من العرب ، والعرجة على إصابة مال . ثم سار بهم فأوقع بمن انتجع بلاد فارس من العرب وهم غارون ، وقتل منهم أبرح القتل ، وأسر أعنف الأسر ، وهرب بقيتهم . ثم قطع البحر في أصحابه ، فورد الخط ، واستقرى بلاد البحرين ، ٨٣٩/١ يقتل أهلها ولا يقبل فداء ، ولا يعرج على غنيمة . ثم مضى على وجهه ، فورد هجر ، وبها ناس من أعراب تميم وبكر بن وائل وعبد القيس ، فأفشى فيهم القتل ، وسفك فيهم من الدماء سفكاً سالت كسيل المطر ؛ حتى كان الهارب منهم يرى أنه لن يستجيبه منه غار في جبل ، ولا جزيرة في بحر ؛ ثم عطف إلى بلاد عبد القيس ، فأباد أهلها إلا من هرب منهم ، فليحق بالرمال ، ثم أتى اليمامة ، فقتل بها مثل تلك المقتلة ، ولم يمر بماء من مياه العرب إلا عوره^(١) ، ولا جيب من جيبهم إلا طمسه . ثم أتى قرب المدينة ، فقتل من وجد هنالك من العرب وأسر ، ثم عطف نحو بلاد بكر وتغلب فيما بين مملكة فارس ومناظر الروم بأرض الشام ، فقتل من وجد بها من العرب ، وسبي وطم مياههم . وإنه أسكن من بني تغلب من البحرين دارين واسمهما هيج والخط ، ومن كان من عبد القيس وطوائف من بني تميم هجر ، ومن كان من بكر بن وائل كرمان ، وهم الذين يدعون بكر أبان ، ومن كان منهم من بني حسنظة بالرملة من بلاد الأهواز . وإنه أمر فبُسيت بأرض السواد مدينة وسماها ، بزرج سابور - وهي الأنبار - وبأرض الأهواز مدينتان : إحداهما إيران خرة سابور ، وتأويلها « سابور وبلاده » ، وتسمى بالسريانية الكرّخ ، والأخرى السوس ؛ وهي مدينة بناها إلى جانب الحصن الذي في جوفه تابوت فيه جثة دانيال النبي عليه السلام . وإنه غزا أرض الروم فسبى منها سببياً كثيراً ،

(١) عوره ، أي طمه وكبسه بالتراب

فأسكن مدينة إيران خرّه سابور ، وسمّتها العرب السوس بعد تخفيفها في التسمية . وأمر فبنيت بباجرّمى مدينة سماها خنّى سابور وكوّر كورة ، وبأرض خراسان مدينة ، وسمّاها نيسابور وكوّر كورة .

وإن سابور كان هادن قسطنطين ملك الروم ، وهو الذى بنى مدينة قُسْطَنْطِينِيَّة ، وكان أوّل مَنْ تنصّر من ملوك الروم ، وهلك قسطنطين ، وفرّق مُلُكُه بين ثلاثة بنين ، كانوا له ، فهلك بنوه الثلاثة ، فلَـكَّت الروم عليهم رجلاً من أهل بيت قسطنطين يقال له لُـلْيَانُوس ، وكان يدين بملّة الروم التى كانت قبل النصرانيّة ، ويُسِرُّ ذلك ويظهر النصرانية قبل أن يملك ، حتى إذا ملك أظهر ملّة الروم ، وأعادها كهيتها ، وأمرهم بإحيائها ، وأمر بهدم البيع وقتل الأساقفة وأخبار النصارى . وإنه جمع جمعاً من الروم والخزر ، ومن كان في مملكته من العرب ، ليقاتل بهم سابور وجنود فارس .

وانتهزت^(١) العرب بذلك السبب الفرصة من الانتقام من سابور ، وما كان من قتله العرب ، واجتمع في عسكر لُـلْيَانُوس من العرب مائة ألف وسبعون ألف مقاتل ؛ فوجههم مع رجل من بطارقة الروم ، بعثه على مقدّمته يسمّى يوسانوس . وإن لليانوس سار حتى وقع ببلاد فارس ، وانتهى إلى سابور كثرة من معه من جنود الروم والعرب والخزر ، فهاله ذلك ، ووجه عيوناً تأتبه بخبرهم ومبلغ عددهم وحالمهم في شجاعتهم وعيشهم^(٢) فاختلفت أقاويل أولئك العيون فيما أتوه به من الأخبار عن لليانوس وجنده ، فتنكّر سابور ، وسار في أناس من ثقاته ليعاين عسكرهم ، فلما اقرب من عسكر يوسانوس صاحب مقدّمه لليانوس ، وجه رهطاً ممن كان معه إلى عسكر يوسانوس ليتحسّسوا الأخبار ، ويأتوه بها على حقائقها ، فنذرت الروم بهم ، فأخذوهم ودفعوهم إلى يوسانوس ، فلم يقرّ أحدٌ منهم بالأمر الذى توجهوا له إلى عسكره ، ما خلا رجلاً منهم أخبره بالقصة على وجهها ، وبمكان سابور حيث كان ، وسأله أن يوجه معه جنداً ، فيدفع إليهم سابور . فأرسل يوسانوس حيث سمع هذه المقالة إلى سابور رجلاً من بطانته ، يعلمه ما لقى من أمره ، وينذره ، فارتحل

٨٤١/١

(١) ت : « فانتهزت » . (٢) ت : « وعدتهم » .

سابور من الموضع الذى كان فيه إلى عسكره . وإنَّ من كان فى عسكر الليانوس من العرب سألوه أن يأذن لهم فى محاربة سابور ، فأجابهم إلى ما سألوه ، فرحفوا ٨٤٢/١ إلى سابور ، فقاتلوه ففضُّوا جمعه ، وقتلوا منهم مقتلةً عظيمةً ، وهرب سابور فيمنُ بَقِيَ من جنده ، واحتوى لليانوس على مدينة طيسبون محلاة سابور ، وظفَّير ببيوت أموال سابور وخزائنه فيها ، فكتب سابور إلى مَنْ فى الآفاق من جنوده يُعلمهم الذى لَقِيَ من الليانوس وَمَنْ معه من العرب ، ويأمر مَنْ كان فيهم من القوَّاد أن يقدِّموا عليه فيمن قبَّلهم من جنوده ، فلم يلبث أن اجتمعت إليه الجيوش من كلِّ أَقْصَى ، فانصرف فحارب لليانوس واستنقذ منه مدينة طيسبون ، ونزل لِّلليانوس مدينة بهارْدَشير وماوالاها بعسكره ، وكانت الرُّسلُ تختلف فيما بينه وبين سابور . وإنَّ لليانوس كان جالساً ذات يوم فى حُجْرته ، فأصابه سهم غَرَبٌ^(١) فى فؤاده فقتله ، فأسْقَطَ فى رُوع جنده ، وهالهم الذى نزل به ، ويشوا من التفتُّى من بلاد فارس ، وصاروا شورى لا ملك عليهم ولا سائس لهم ، فطلبوا إلى يوسانوس أن يتولَّى المُلْكُ لهم فيملكوه عليهم ، فأبى ذلك ، وألْحُوا عليه فيه ، فأعلمهم أنه على مِيلة النصرانية ، وأنه لا يلى ناساً له مخالفين فى المِيلة . فأخبرته الروم أنهم على مِيلته ، وأنهم إنما كانوا يكتُمونها مخافة لليانوس ، فأجابهم إلى ما طلبوا ، وملكوه عليهم ، وأظهروا النصرانية .

وإنَّ سابور علم بهلاك لليانوس ، فأرسل إلى قوَّاد جنود الروم ، يقول : إنَّ الله قد أمكنا منكم ، وأدالنا عليكم ، بظلمكم إيتانا ، وتخطيكم إلى بلادنا ، وإنا نرجو أن تهلكوا بها جوعاً من غير أن نهيمى لقتالكم سيفاً ، ونشرع له ٨٤٣/١ رحماً ؛ فسرَّحو إلينا رئيساً إن كنتم رستموه عليكم . فعزم يوسانوس على إتيان سابور ، فلم يتابعه على رأيه أحدٌ من قوَّاد جنده ، فاستبدَّ برأيه ، وجاء إلى سابور فى ثمانين رجلاً من أشرف مَنْ كان فى عسكره وجنده ، وعليه تاجه ، فبلغ سابور مجيئه إليه ، فتلقاه وتساجدا ، فعانقه سابور شكراً لما كان منه فى أمره ، وطعِمَ عنده يومئذ ونعم .

وإنَّ سابور أرسل إلى قوَّاد جند الروم وذوى الرياسة منهم^(٢) يُعلمهم أنهم

(١) سهم غرب : لا يدرى راميهِ . (٢) س ، ل : « فيهم » .

لو ملّكوا غير يوسانوس لجرى هلاكهم في بلاد فارس ، وأنّ تملّيكهم إياه يُنْجِيهِمْ مِنْ سَطْوَتِهِ . وقوى أمر يوسانوس بجهده ، ثم قال : إنّ الروم قد شنّوا الغارة على بلادنا ، وقتلوا بشراً كثيراً ، وقطعوا ما كان بأرض السّواد من نخل وشجر ، وخرّبوا^(١) عمارتها ، فإمّا أن يدفعوا إلينا قيمة ما أفسدوا وخرّبوا ، وإما أن يعوضونا من ذلك نصيبين وحيزها ، عوضاً منه ، وكانت من بلاد فارس ، فغلبت عليها الروم .

فأجاب يوسانوس وأشرف جنده سابور إلى ما سأل من العوض ، ودفعوا إليه نصيبين ، فبلغ ذلك أهلها ، فجلّسوا منها إلى مدن في مملكة الروم ، مخافة على أنفسهم من ملك الملك المخالف ملّتهم ، فبلغ ذلك سابور ، فنقل اثني عشر ألف أهل بيت من أهل إصطخر وإصبهان وكور آخر من بلاده وحيزه إلى نصيبين ، وأسكنهم إياها ، وانصرف يوسانوس ومن معه من الجنود إلى الروم ، وملّكها زمناً^(٢) يسيراً ثم هلك .

وإنّ سابور ضرّى بقتل العرب ، ونزع أكتاف رؤسائهم إلى أن هلك . ٨٤٤/١
وكان ذلك سبب تسميتهم إياه ذا الأكتاف

* * *

وذكر بعض أهل^(٣) الأخبار أنّ سابور بعد أن أثخن في العرب وأجلاهم عن النواحي التي كانوا صاروا إليها ممّا قرب من نواحي فارس والبحرين واليمامة ، ثم هبط إلى الشام ، وسار إلى حدّ الروم ، أعلم أصحابه أنّه على دخول الروم حتى يبحث عن أسرارهم ، ويعرف أخبار مدّتهم وعدد جنودهم ، فدخل إلى الروم ، فجال فيها حيناً ، وبلغه أنّ قيصر أوّل ، وأمر بجمع الناس ليحضروا طعامه ، فانطلق سابور بهيئة السؤال حتى شهد^(٤) ذلك الجمع ، لينظر إلى قيصر ، ويعرف هيئته وحاله في طعامه ، ففطّن له فأخذه ، وأمر به قيصر فأدرج في جلد ثور ، ثم سار بجنوده إلى أرض فارس ، ومعه سابور على تلك

(١) ت : « وأخربوا » .

(٢) ل : « زماناً » .

(٣) ت : « بعضهم » .

(٤) ت : « يشهد » .

الحالة ، فأكثر من القتل وخراب المدائن والقرى وقطع النخل والأشجار ، حتى انتهى إلى مدينة جُندَى سابور ، وقد تحصن أهلها ، فنصب المجانيق ، وهدم بعضها . فبينما هم كذلك ذات ليلة إذ غفل الروم الموكلون بحراسة سابور ، وكان بقربه قوم من سبئي الأهواز ، فأمرهم أن يلقوا على القيد الذي كان عليه زيتاً من زقاق كانت بقرهم ، ففعلوا ذلك ، ولان الجلد وانسل منه ، فلم يزل يدب حتى دنا من باب المدينة ، وأخبر حُرَّاسهم باسمه . فلما دخل على أهلها ، اشتدَّ سرورهم به ، وارتفعت أصواتهم بالحمد والتسبيح ، فأنبه أصحاب قيصر بأصواتهم ، وجمع سابور مَنْ كان في المدينة وعبائهم ، وخرج إلى الرُّوم في تلك الليلة سَحَرًا ، فقتل الروم وأخذ قيصر أسيراً ، وغنم أمواله ونساءه ، ثم أثقل قيصر بالحديد وأخذه بعمارة ما أخرب ، ويقال : إنه أخذ قيصر بنقل التراب من أرض الروم إلى المدائن وجُندَى سابور ، حتى يرمَّ به ما هدم منها ، وبأن^(١) يغرس الزيتون مكان النخل والشجر الذي عقره ، ثم قطع عقبه ورتقه ، وبعث به إلى الروم على حمار ، وقال : هذا جزاؤك ببغليك علينا ، فلذلك تركت الروم اتخاذ الأعقاب ، ورتق الذؤاب^(٢) .

ثم أقام سابور في مملكته حينئذ . ثم غزا الروم فقتل مِنْ أهلها ، وسبى سبياً كثيراً ، وأسكن مَنْ سبى مدينةً بناها بناحية السُّوس ، وسماها إيرانشهر سابور ، ثم استصلح العرب ، وأسكن بعض قبائل تغلب وعبد القيس وبكر بن وائل كَرَمَانَ وتَوَجَّج والأهواز ، وبني مدينة نيسابور ومدائن أخرى بالسند وسجستان ، ونقل طبيباً من الهند فأسكنه الكَرخ من السُّوس ؛ فلما مات ورث طبيبه أهل السُّوس ؛ ولذلك صار أهل تلك الناحية أطبَّ العجم . وأوصى بالملك لأخيه أردشير . وكان ملك سابور اثنتين وسبعين سنة .

* * *

وهلك في عهد سابور عامله على ضاحية مُضر وربيعه ، امرؤ القيس البدء^(٣) بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر ، فاستعمل سابور على عمله

(١) س : « وأن » . (٢) كذا وردت العبارة في ط ، وانظر المسمودى ١ : ٢٥٨ .

(٣) ت : « البدى » ؛ س : « البدى » .

ابنه عمرو بن امرئ القيس - فيما ذكر - فبقى في عمله بقيّة ملك سابور ،
 وجميع أيام أخيه أردشير بن هرمز بن نرسی ، وبعض أيام سابور بن سابور . ٨٤٦/١
 وكان جميع عمله - على ما ذكرت - من العرب ، وولايته عليهم - فيما
 ذكر ابن الكلبي - ثلاثين سنة .

* * *

[ذكر ملك أردشير بن هرمز]

ثم قام بالملك بعد سابور ذى الأكتاف أخوه أردشير بن هرمز بن نرسی
 ابن بهرام بن بهرام بن هرمز بن سابور بن أردشير بن بابك . فلما عقّد التاج
 على رأسه جلس للعظماء ، فلما دخلوا عليه دعوا له بالنصر ، وشكروا عنده
 أخاه سابور ، فأحسن جوابهم ، وأعلمهم موقع ما كان من شكرهم لأخيه
 عنده ، فلما استقرّ به الملك قراره عطف على العظماء وذوى الرياسة ، فقتل منهم
 خلقاً كثيراً ، فخلعه الناس بعد أربع سنين من ملكه .

* * *

[ذكر ملك سابور بن سابور]

ثم ملك سابور بن سابور ذى الأكتاف بن هرمز بن نرسی . فاستبشرت
 الرعيّة بذلك وبرجوع مُلْك أبيه إليه ، فلقيتهم أحسن اللقاء ، وكتب الكتب إلى
 العمّال في حُسْن السيرة والرفق بالرعيّة ، وأمر بمثل ذلك وزراه وكتّابه وحاشيته ،
 وخطبهم خطبة بليغة ، ولم يزل عادلاً على رعيّته ، متحنّناً عليهم لما كان تبين
 من مودّتهم ومحبتهم وطاعتهم ، وخضع له عمّه أردشير المخلوع ، ومنحه الطاعة .
 وإنّ العظماء وأهل البيوتات قطعوا أطناب فُسْطاط كان ضُرب عليه في حجرة
 من حجّره ، فسقط عليه الفسْطاط .
 وكان ملكه خمس سنين .

* * *

[ذكر ملك بهرام بن سابور]

ثم ملك بعده أخوه بهرام بن سابور ذى الأكتاف . وكان يلقب كَرْمَان
 شاه ؛ وذلك أنّ أباه سابور كان ولاّه في حياته كَرْمَان ، فكتب إلى قواده
 كتاباً يحثّهم فيه على الطاعة ، ويأمرهم بتقوى الله والنصيحة للملك ، وبني
 يكرّم مان مدينة ، وكان حَسَن السياسة لرعيّته ، محموداً في أمره . ٨٤٧/١

وكان ملكه إحدى عشرة سنة . وإن ناساً من الفتاك ثاروا إليه فقتله رجل منهم برمية رماها إياه بنشابة^(١) .

° ° °

[ذكر ملك يزدرج بالأنيم]

ثم قام بالملك بعده يزدرج الملقب بالأنيم ، بن بهرام الملقب بكترمان شاه بن سابور ذي الأكتاف .

ومن أهل العلم بأنساب الفرس من يقول : إن يزدرج الملقب بالأنيم هذا ، هو أخو بهرام الملقب بكترمان شاه وليس بابنه ، ويقول : هو يزدرج بن سابور ذي الأكتاف . ومن نسبه هذا النسب وقال هذا القول ، هشام بن محمد .

وكان - فيما ذكر - فظاً غليظاً ذا عيوب كثيرة ، وكان من أشد عيوبه وأعظمها - فيما قيل - وضعه ذكاء ذهن وحسن أدب كان له وصنوفاً من العلم قد مهرها وعلمها ، غير موضعه ، وكثرة رؤيته في الضار من الأمور ، واستعمال كل ما عنده من ذلك ، في المواربة والدهاء والمكايدة والمخاتلة ، مع ٨٤٨/١ فطنة كانت بجهاش الشر ، وشدة عجب به بما عنده من ذلك ، واستخفافه بكل ما كان في أيدي الناس من علم وأدب ، واحتقاره له ، وقلة اعتداده به ، واستطالته على الناس بما عنده منه . وكان مع ذلك غليظاً سيئ الخلق ، ردي الطعمة^(٢) حتى بلغ من شدة غلظه وحدته أن الصغير من الزلات كان عنده كبيراً ، واليسير من السقطات عظيماً . ثم لم يقدر أحد - وإن كان لطيف المنزلة منه - أن يكون لمن ابتلى عنده بشيء من ذلك شفيعاً ، وكان دهره كله للناس متهماً ، ولم يكن يأتمن أحداً على شيء من الأشياء ، ولم يكن يكافئ على حسن البلاء . وإن هو أولى الخسيس من العرف استجزل ذلك ، وإن جسّر على كلامه في أمر كلمه فيه رجل لغيره قال له : ما قدر جعلالك^(٣) في هذا الأمر الذي كلمتنا فيه ؟ وما أخذت عليه ؟ فلم يكن يكلمه في ذلك وما أشبهه إلا الوفود القادمون عليه من قبيل ملوك الأمم . وإن رعيته إنما سلبوا من سطوته ووليته ، وما كان جمع من الخلال السيئة بتمسكهم

(٢) ردي الطعمة ، أى سيئ السيرة .

(١) ت ، س : « بنشاب » .

(٣) الجمالة : الرشوة .

بمن كان قبل مملكته بالسُّنن الصالحة وبأدبهم . وكانوا لسوء أدبه ، وخفاة سطوته ، متواصلين متعاونين ، وكان من رأيه أن يعاقب كلَّ من زلَّ عنده وأذنب إليه من شدة العقوبة بما لا يستطاع ^(١) أن يُبلِّغ منه مثلها في مدَّة ثلثائة . وكان لذلك لا يقرعه بسوط انتظاراً منه للمعاقبة له بما ليس وراءه أفظح منه . وكان إذا بلغه أنَّ أحدًا من بطانته صافى رجلاً من أهل صناعته أو طبقة نَحاه عن خدمته .

وكان استوزر عند ولايته نَرَسِي حَكِيمَ دهره . وكان نَرَسِي كاملاً في أدبه ، فاضلاً في جميع مذاهبه ، متقدماً لأهل زمانه . وكانوا يسمونه مِهْر نَرَسِي ومِهْر نَرَسِي ، ويلقب بالهزاربَشَنده ، فأملت الرعيَّة بما كان منه أن ينزع عن أخلاقه ، وأن يُصلح نَرَسِي منه ، فلما استوى له الملك ، اشتدَّت ^(٢) إهانته الأشراف والعظماء ، وحَمَلَ على الضعفاء ، وأكثر من سَفْكَ الدِّماء ، وتسلَّط تسلَّطاً لم يُستَلَّ الرعيَّة بمثله في أيامه . فلما رأى الوجوه والأشراف أنَّه لا يزداد إلا تتابعاً في الجور ، اجتمعوا فشكوا ما ينزل بهم من ظُلْمه ، وتضرَّعوا إلى ربِّهم ، وابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه . فرعوا أنه كان بِحُرْجان ، فرأى ذات يوم في قَصْرِهِ فرساً عاتراً ^(٣) — لم يَرْ مثله في الخيل ، في حسن صورة ، وتمام خَلْق — أقبل حتى وقف على بابهِ ، فتعجَّب الناس منه ، لأنَّه كان متجاوزَ الحال ، فأخبر يَزْدَجِيرْد خبره ، فأمر به أن يُسْرَج ويُلْجَم ، ويدخل عليه ، فحاول ساسته وصاحب مراكبه إلحامه وإسراجه ، فلم يمكن أحداً منهم من ذلك ، فأنتهى إليه امتناعُ الفرس عليهم ، فخرج ببده ^(٤) إلى الموضع الذي كان فيه ذلك الفرس فألجمه بيده ، وألقى لِيَنْدَأ على ظهره ، ووضع فوقه سَرَجاً ، وشدَّ حزامه ولَبَّسَه فلم يتحرَّك الفرس بشيء من ذلك ، حتى إذا رفع ذنبه لِيَشْفِرَه ^(٥) استدبره الفرس فرمحه على فؤاده رحمة هلك منها مكانه ، ثمَّ لم يعاين ذلك الفرس . ويقال : إنَّ الفرسَ ملأ فُرُوجَه جرياً فلم يدرك ولم

٨٤٩/١

٨٥٠/١

(١) ت : « ما استطاع » .

(٢) في الأصول : « واشتدت » ، والأجود حذف الواو .

(٣) يقال : عار الفرس ، إذا ذهب كأنَّه منفلت من صاحبه .

(٤) البدن هنا : شبه الدرع ؛ إلا أنه قصير قدر ما يكون على البدن فقط .

(٥) أنفر الدابة ، أى عمل لها ثفرا ، والثفر : السيم الذي في مؤخر السرج .

يوقف على السبب فيه ، وخاضت الرعيّة بينها ، وقالت : هذا من صنع الله لنا ورأفته بنا .

وكان مُلْك يَزْدَجِرْد في قول بعضهم اثنتين وعشرين سنة وخمسة أشهر وستة عشر يوماً . وفي قول آخرين إحدى وعشرين سنة وخمسة أشهر وثمانية عشر يوماً .

* * *

ولما هلك عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن عدى في عهد سابور ابن سابور ، استخلف سابور بن سابور على عمله أوس بن قلام في قول هشام . قال : وهو من العمالق من بني عمرو بن عمليق ، فثار به جَحْجَجِي بن عَتِيك بن لَحْم فقتله ، فكان جميع ولاية أوس خمس سنين ، وهلك في عهد بهرام بن سابور ذي الأكتاف . واستخلف بعده في عمله امرؤ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس البدء بن عمرو وخمساً وعشرين سنة ، وكان هلاكه في عهد يَزْدَجِرْد الأثيم . ثم استخلف يَزْدَجِرْد مكانه ابنه النعمان بن امرئ القيس البدء بن عمرو بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى ، وأمه شقيقة ابنة أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو فارس حلّيمة ؛ وصاحب الخورنق .

وكان^(١) سبب بنائه الخورنق — فيما ذكر — أن يَزْدَجِرْد الأثيم بن بهرام كتر مان شاه بن سابور ذي الأكتاف كان لا يبق له ولد فولد له بهرام ، فسأل ٨٥١/١ عن منزل برتي مريء صحيح من الأدواء والأسقام ، فدل على ظهر الحيرة ، فدفع ابنه بهرام جور إلى النعمان هذا ، وأمره ببناء الخورنق مسكنًا له ، وأنزله إياه ، وأمره بإخراجه إلى بوادي العرب ؛ وكان الذي بنى الخورنق رجلاً يقال له سِنِمَار ، فلما فرغ من بنائه ، تعجبوا من حسنه وإتقان عمله ، فقال : لو علمت أنكم تُوفوني أجري وتصنعون بي ما أنا أهله بنيتُه بناءً يدور مع الشمس حيثما دارت ، فقال : وإنك لتقدر على أن تبنى ما هو أفضل منه

(١) الخبر في الأغاني ٢ : ١٤٤ - ١٤٦ (طبعة دار الكتب) .

ثم لم تبته ! فأمر به فطرح من رأس الخورنق^(١)؛ ففي ذلك يقول أبو الطمّحان
القيسيّ :

جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاهَا ، وَرَبِّهَا وَبِاللَّاتِ وَالْعُزَّى جَزَاءَ الْمَكْفَرِ^(٢)

وقال سليط بن سعد :

جَزَىٰ بَنُوهُ أَبَا الْفَيْلَانِ عَنْ كَبِيرٍ وَحُسْنٍ فَعِلَ كَمَا يُجْزَى سِنِمَارُ

وقال يزيد بن إلياس النهشليّ :

جَزَى اللَّهُ كَمَا لَا بِأَسْوَأَ فَعِلَهُ جَزَاءَ سِنِمَارٍ جَزَاءَ مُوَفَّرَا

وقال عبد العزّي بن امرئ القيس الكلبيّ - وكان أهدى أفراساً إلى
الحارث بن مارية الغسانيّ ، وفقد إليه فأعجبته وأعجب به بعد العزّي وحديثه ،
وكان للملك ابن مسترضع في بني الحميم^(٣) بن عوف من بني عبد ودّ ، من كُتُيب ،
فنهشته حيّة ، فظنّ الملك أنهم اغتالوه ، فقال لعبد العزّي : جئني بهؤلاء
القوم ، فقال : هم قوم أحرار ، وليس لي عليهم فضل في نسب ولا فَعَال ،
فقال : لتأتيني بهم أو لأفعلنّ ولأفعلنّ ! فقال : رجونا من حباثك أمراً حال
دونه عقابك . ودعا ابنه : شرّاحيل وعبد الحارث ، فكتب معهما إلى قومه :

جَزَانِي جَزَاءُ اللَّهِ شَرَّ جَزَائِهِ جَزَاءَ سِنِمَارٍ وَمَا كَانَ ذَا ذَنْبٍ^(٤)
سِوَى رَصِّهِ الْبُنْيَانِ عِشْرِينَ حِجَّةً يُعَلِّي عَلَيْهِ بِالْقَرَامِيدِ وَالسَّكَبِ^(٥)
فَلَمَّا رَأَى الْبُنْيَانَ تَمَّ سَمُوقُهُ وَأَضْ كَمِثْلِ الطُّودِ ذِي الْبَاذِخِ الصَّعْبِ^(٦)

(١) في الأغاني : « من أعل الجورق » .

(٢) في الأغاني ؛ وعنه في خزانة الأدب ١ : ١٤٢ : « جزوها » ، والمكفر : المحسن
المجود إحسانه .

(٣) كذا في الطبري وفي الأغاني : « ابن مسترضع في بني عبدود » .

(٤) وردت الأبيات في الحيوان ١ : ٢٣ ، وثمار القلوب ١٠٩ ، والروض الأنف ١ : ٦٧ ،
والعينيّ ٢ : ٤٩٦ ، ومعجم البلدان (الخورنق) ، بروايات مختلفة .

(٥) القراميد ، مفردة قرمد ؛ وهو الآجر . والسكب : النحاس أو الرصاص ، وفي الحيوان :

« سبعين حجة » ، وفي معجم البلدان : « ستين حجة » .

(٦) في معجم البلدان : « كثل الطود والشامخ الصعب » .

فَاتَّهَمَهُ مِنْ بَعْدِ حَرْسِ وَحِقْبَةٍ وَقَدْ هَرَّهٗ أَهْلُ الْمَشَارِقِ وَالْقُرْبِ
وَوَظَنَ سِنَمَارُ بِهِ كُلَّ حَبْرَةٍ^(١) وَفَارَزَ لَدَيْهِ بِالْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
فَقَالَ أَقْدِفُوا بِالْعِلْجِ مِنْ فَوْقِ بُرْجِهِ فَهَذَا الْعَمْرُؤُ اللَّهُ مِنْ أَعْجَابِ الْخَطْبِ^(٢)
وَمَا كَانَ لِي عِنْدَ ابْنِ جَفْنَةَ فَاعْلَمُوا مِنَ الذَّنْبِ مَا آلَى يَمِينًا عَلَى كَذِبِ
لَيْلَتَمَسِّنَ بِالْخَيْلِ عُقْرَ بِلَادِهِمْ تَحْلَلُ أَيْبَتُ اللَّعْنِ مِنْ قَوْلِكَ الْمُزْنِي^(٣)
وَدُونَ الَّذِي مَنَى ابْنُ جَفْنَةَ نَفْسَهُ رَجَالٌ يَرُدُّونَ الظُّلُومَ عَنِ الشَّعْبِ
وَقَدْ رَامَنَا مِنْ قَبْلِكَ الْمَرْهَ حَارِثٌ فَعُودِ رَمْسُلُؤَلَا لَدَى الْأَكَمِ الصُّهْبِ ٨٥٣/١

قال هشام : وكان النعمان هذا قد غزا الشام مراراً ، وأكثر المصائب في أهلها ، وسبى وغنم ، وكان من أشد الملوك نكايه في عدوه ، وأبعدهم مغاراً فيهم ، وكان ملك فارس جعل معه كتيبتين : يقال لإحدهما : دوسر ، وهي لتسوخ ، وللأخرى : الشهباء ، وهي لفارس ، وهما اللتان يقال لهما : القبيلتان ، فكان يغزو بهما بلاد الشام ومن لم يدن له من العرب .

قال : فذُكِرَ لَنَا - والله أعلم - أنه جلس يوماً في مجلسه من الخورنق ، فأشرف منه على التَّجَفِّفِ وما يليه من البساتين والنخل والجنان والأنهار ممَّا يلي المغرب ، وعلى القُرَاتِ ممَّا يلي المشرق ، وهو على متن التَّجَفِّفِ ، في يوم من أيام الربيع ، فأعجبه ما رأى من الحُضْرَةِ والنَّوْرِ والأنهار ، فقال لوزيره وصاحبه : هل رأيتَ مثل هذا المنظر قط ؟ فقال : لا ، لو كان يدوم ! قال : فما الذي يدوم ؟ قال : ما عند الله في الآخرة ، قال : فبِمَ يُنال ذاك ؟ قال : بتركك الدنيا وعبادة الله والتَّوَسُّعِ ما عنده ؛ فترك مَسْكَنَهُ من ليلته ولَبِسَ الْمُسُوحَ ، وخرج مستخفياً هارباً لا يُعْلَمُ به ، وأصبح الناس لا يعلمون بحاله ، فحضرُوا بابَهُ ، فلم يؤذَنَ لهم عليه كما كان يفعل ، فلما أبْطَأَ الإِذْنُ عليهم ، سألوا عنه فلم يجدوه ، وفي ذلك يقول عدى بن زيد العبادي :

(١) الحبرة : السرور ، وفي الحيوان ومعجم البلدان : « حبرة » .

(٢) ت : « أعظم الخطب » . (٣) المزني : المقلق المزعج .

وَتَفَكَّرَ رَبُّ الْخَوَزَنْقِ إِذْ أَشْهُ رَفَ يَوْمًا وَلِلْهَدْيِ تَبْصِيرُ^(١)
 سَرَّهُ حَالُهُ وَكَثْرَةُ مَا يَمْلِكُ وَالْبَحْرُ مُعْرِضُ السَّيْرِ^(٢) ٨٥٤/١
 فَارْعَوَى قَلْبَهُ فَقَالَ وَمَا غِبُّ طَلْعُ حَيٍّ إِلَى أَلَمَاتٍ يَصِيرُ^(٣)
 مُمٌّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالْمُلْكِ وَالْإِمَّةِ وَارْتَهُمُ هُنَاكَ الْقُبُورُ^(٤)
 نَمَّ أَضْحَوْا كَأَنَّهُمْ وَرَقٌ جَفَّ ، فَأَلَوْتَ بِهِ الصَّبَا وَالذَّبُورُ^(٥)

فكان مُلْكُ النعمان إلى أن ترك مُلْكُه وساح في الأرض تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر .

قال ابن الكلبي : من ذلك في زمن يَزْدَجِرْدَ خمس عشرة سنة ، وفي زمن بَهْرَامِ جُورِ بن يَزْدَجِرْدَ أربع عشرة سنة .
 وأمّا العلماء من الفُرسِ بأخبارهم وأمورهم فلهنهم يقولون في ذلك ما أنا ذاكره .

* * *

[ذكر ملك بَهْرَامِ جُور]

ثم ملك بعد يَزْدَجِرْدَ الأئيم ابنه بَهْرَامِ جُورِ بن يَزْدَجِرْدَ الحَشِينِ ابن بَهْرَامِ كَرْمَانَ شاه بن سابور ذى الأكتاف . وُذكر أن مولده كان هُمُزْدَرْوَزَ فَرَوَزْدِينِ ماه^(٥) ، لسبع ساعات مضيين من النهار . فإنَّ أباه يَزْدَجِرْدَ دعا ساعة ولدَ بَهْرَامِ ممَّن كان ببابه من المنجمين ، فأمرهم بإقامة كتاب مولده وتبييته بياناً يدلّ على الذى يثول إليه كلّ أمره ، ففاسوا الشمس ونظروا في مطالع النجوم ، ثم أخبروا يَزْدَجِرْدَ أَنَّ الله مورتُ بَهْرَامِ مُلْكُ أبيه ، وأنَّ رضاعه بغير أرض يسكنها الفرس ، وأنَّ من الرأى أن يربّى بغير بلاده ، فأجال يَزْدَجِرْدَ الرأى في دفعه في الرضاع والتربية إلى بعض ممَّن ببابه من الروم أو العرب أو غيرهم ممَّن لم يكن من الفرس ، فبدا له في اختيار العرب لتربيته وحضانته ، فدعا بالمنذر ٨٥٥/١

(١) في الأغاني ٢ : ١٣٩ : « وتذكر » . (٢) الأغاني : « سره ماله » .

(٣) الإمة : النعمة . (٤) ألوت به ، أى ذهب به .

(٥) يريد أنه ولد في غرة شهر الربيع ، وهو أول شهر في السنة الشمسية عند الفرس .

ابن النعمان ، واستحضنه بَهْرَام ، وشرّفه وأكرمه ، وملّكه على العرب ، وجبّاه بمرتبتيْن سنّيتيّن ، تدعى إحداهما : رام أبزوذ يزْدَجِيرْد ، وتأويله « زاد سرور يزْدَجِيرْد » ، والأخرى تدعى بمِهَشْت ، وتأويلها « أعظم الخول » ، وأمر له بِصلة وكُسوة بقدر استحقاقه لذلك في منزله ، وأمره أن يسير ببهرام إلى بلاد العرب .

فسار به المنذر إلى محلّته منها ، واختار لرضاعه ثلاث نسوة ذوات أجسام صحيحة ، وأذهان ذكيّة ، وآداب رضيّة ؛ من بنات الأشراف ؛ منهنّ امرأتان من بنات العرب ، وامرأة من بنات العجم ، وأمر لهنّ بما أصلحهنّ من الكسوة والفرش والمطعم والمشرب وسائر ما احتججنّ إليه ، فتداولنّ رضاعه ثلاث سنين ، وقُطِمَ في السنة الرابعة ، حتّى إذا أتت له ^(١) خمسُ سنين ، قال للمنذر : أحضرني مؤدّبين ذوي علم ، مدّربين بالتعليم ؛ ليعلموني الكتابة والرّمي والفقه . فقال له المنذر : إنّك بعدُ صغير السنّ ، ولم يأنّ لك أن تأخذ في التعليم ؛ فالزم ما يلزم الصّبيان الأحداث ، حتّى تبلغ من السنّ ما يُطبق التعلّم والتأدّب ، وأحضِر ^(٢) مَنْ يَعْلَمُكَ كلّ ما سألت تعلّمه . فقال بهرام للمنذر : أنا لعمري صغير ، ولكنّ عقلي عقل مُحسّن ، وأنت كبير السنّ وعقلك عقل ضَرَع ^(٣) . أما تعلم أيّها الرجل ؛ أن كلّ ما يُستقدّم في طلبه يُنال في وقته ، وما يُطلب ٨٥٦/١ في وقته يُنال في غير وقته ، وما يُفسرّط في طلبه يَفوتُ فلا ينال ! وإنّني من ولد الملوك ، والملوك صائر إلى بإذن الله ، وأولى ما كُلّف به الملوك وطلبوه صالح العلم ؛ لأنّه لهم زَيْن ، ولملكهم ركن به يقوون . فعجّل على بمن سألتك من المؤدّبين .

فوجه المنذر ساعة سمع مقالة بهرام هذه إلى باب الملك مَنْ آتاه برهط من فقهاء الفرس . ومعلّم الرّمي والفرّوسيّة ومعلّم الكتابة وخاصّة ^(٤) ذوي الأدب ، وجميع له حكماء من حكماء فارس والرّوم ، ومحدثين من العرب ، فألزمهم بهرام ، ووقّت لأصحاب كلّ مذهب من تلك المِهَن وقتاً يأتونه فيه ؛ وقدّر

(١) ل : « عليه » . (٢) ت : « وأحضرك » .

(٣) الضرع ، بالتحريك : الصغير السن الضعيف .

(٤) ط : « وحصة » .

لهم قدراً يفيدونه ما عندهم ، فتفرغ بهرام لتعلم كل ما سأل أن يتعلم ، وللاستماع ^(١) من أهل الحكمة وأصحاب الحديث ، ووعى كل ما استمع ، وثقف كل ما علم بأيسر تعليم . وألقى بعد أن بلغ اثنتي عشرة سنة ، وقد استفاد بكل ما أفيد وحفظه ، وفاق معلميه ومن حضره من أهل الأدب ؛ حتى اعترفوا له بفضلهم عليهم .

وأثاب بهرام المنذر ومعلميه ، وأمرهم بالانصراف عنه ، وأمر معلمى الرمنى والفرسية بالإقامة عنده ؛ ليأخذ عنهم كل ما ينبغى له التدرّب به ، والإحكام له ؛ ثم دعا بهرام بالنعمان بن المنذر ، وأمره أن يؤذن العرب بإحضار خيلهم من الذكور والإناث على أنسابها ، فأذن النعمان للعرب بذلك ، وبلغ المنذر الذى كان من رأى بهرام فى اختيار الخيل لمركبه ، فقال لبهرام : لا تجشمن ^{٨٥٧/١} العرب إجراء خيلهم ؛ ولكن مر من يعرض الخيل عليك ، واختر منها رضاك ، واربطه لنفسك . فقال له بهرام : قد أحسنت القول ؛ ولكنى أفضل الرجال سؤداً وشرفاً ، وليس ينبغى أن يكون مركبى إلاً أفضل الخيل ، وإنما يعرف فضل بعضها على بعض بالتجربة ^(٢) ؛ ولا تجربة بلا إجراء .

فرضى المنذر مقالته ، وأمر النعمان العرب فأحضروا خيولهم ، وركب بهرام والمنذر لحضور الحلبة ، وسرحت الخيل من فرسخين ، فبدر فرس أشقر للمنذر تلك الخيل جميعاً سابقاً ، ثم أقبل بعده بقيتها بداد ^(٣) بداد من بين فرسين تاليين ، أو ثلاثة موزعة ، أو سكيتاً ^(٤) . فقرّب المنذر بيده ذلك الأشقر إلى بهرام ، وقال : يبارك الله لك فيه ، فأمر بهرام بقبضه وعظم سروره به ، وتشكر للمنذر .

وإن بهرام ركب ذات يوم الفرس الأشقر الذى حمّله عليه المنذر إلى الصيد ، فبصر بعانة ^(٥) ، فرمى عليها وقصد نحوها ؛ فإذا هو بأسد قد شدّ على

(١) س ، ل : « والاستماع » .

(٢) ت : « فى التجربة » .

(٣) بداد بداد ؛ أى مرتين . وفى الأصول : « بدار بدار » .

(٤) السكيت : من يحى آخر الحلبة .

(٥) العانة : القطيع من حمر الوحش .

عَيَّرَ كان فيها ، فتناول ظهره بفيه لِيَتَقَصِّمَهُ وَيَقْتَرِسَهُ ، فرماه بِهَرَامٍ رمية في ظهره ، فنفذت النشابة من بطنه وظهر العَيَّرِ وَسُرَّتِهِ حتى أَفْضَتْ إلى الأرض . فساخنت فيها إلى قريب من ثلثيها ، فتمحرك طويلا ، وكان ذلك بمشهد ناس من العرب وحرس بهرام وغيرهم . فأمر بِهَرَامٍ فصور ما كان منه في أمر الأسد والعَيَّرِ في بعض مجالسه .

ثم إنَّ بهَرَامَ أعلم المنذر أنه على الإلمام بأبيه ، فشخص إلى أبيه ، وكان أبوه يَزْدَجِيرِدُ لسوء خلقه لا يحفل بولد له ، فاتخذ بهَرَامَ للخدمة ، فلقى بهَرَامَ من ذلك عناء .

ثم إنَّ يَزْدَجِيرِدَ وفد عليه أخ لقيصر ، يقال له : ثيادوس ، في طلب الصلح والهدنة لقيصر والروم ، فسأله بهَرَامُ أن يكلّم يَزْدَجِيرِدَ في الإذن له في الانصراف إلى المنذر ، فانصرف إلى بلاد العرب ، فأقبل على التمتع والتلذذ . وهلك أبوه يَزْدَجِيرِدُ وبهرام غائب ، فتعاقد ناس من العظماء وأهل البيوتات ألا يملكوا أحداً من ذرية يَزْدَجِيرِدَ لسوء سيرته ، وقالوا : إن يَزْدَجِيرِدَ لم يخلف ولداً يحتمل الملك غير بهَرَامَ ، ولم يَلِ بهَرَامَ ولاية قطَّ يُبْلَى ^(١) بها خبره ، ويعرف بها حاله ، ولم يتأدّب بأدب العجم ؛ وإنما أدبته أدب العرب ، وخلقُه كخلقهم ، لنشئه بين أظهرهم . واجتمعت كلمتهم وكلمة العامة على صرف الملك عن بهَرَامِ إلى رجل من عترة أردشير بن بابك ، يقال له كسرى ، ولم يقيموا أن ملكوه . فانتهى هلاك يَزْدَجِيرِدَ والذي كان من تملكهم كسرى إلى بهَرَامَ وهو ببادية العرب ، فدعا بالمنذر والنعمان ابنه ، وناس من علية العرب ، وقال لهم : إنني لأحسبكم تجحدون خصيصي والذي كان أتاكم معشر العرب بإحسانه وإنعامه كان عليكم ، مع فظاظته وشدته كانت على الفرس ؛ وأخبرهم بالذي أتاه من نعي أبيه ، وتمليك الفرس من ملكوا عن تشاور منهم في ذلك .

فقال المنذر : لا يهولنك ذلك حتى ألطف الحيلة ^(٢) فيه . وإن المنذر

(١) ت : « يتل » .

(٢) ط : « الحيلة ، وما أثبت من ت » .

جَهَنزَ عَشْرَةَ آلَافٍ رَجُلٍ مِنْ فَرَسَانَ الْعَرَبِ ، وَوَجَّهَهُمْ مَعَ ابْنِهِ إِلَى طَيْسُونَ^(١) وَبِهَتَارْ دَشِيرَ مَدِينَتِي الْمَلِكِ ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْسُكَرَ قَرِيبًا مِنْهُمَا ، وَيُدْمِنَ إِسْرَالَ طَلَاتِعِهِ إِلَيْهِمَا ، فَإِنْ تَحَرَّكَ أَحَدُ لِقَاتِلِهِ قَاتِلَهُ وَأَغَارَ عَلَى مَاوَالَاهُمَا ، وَأَسْرَ وَسَبَّيَ ، وَنَهَاهُ عَنْ سَفْكَ الدِّمَاءِ . فَسَارَ النِّعْمَانُ حَتَّى نَزَلَ قَرِيبًا مِنَ الْمَدِينَتَيْنِ ، وَوَجَّهَ طَلَاتِعَهُ إِلَيْهِمَا ، وَاسْتَعْظَمَ قِتَالَ الْفَرَسِ . وَإِنْ مَنْ بِالْبَابِ مِنَ الْعِظَمَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْوَتَاتِ أَوْفَدُوا جَوَانِي صَاحِبَ رِسَائِلٍ يَزِدُّ جِرْدَ إِلَى الْمَنْذَرِ ، وَكَتَبُوا إِلَيْهِ يَعْلَمُونَهُ أَمْرَ النِّعْمَانِ ، فَلَمَّا وَرَدَ جَوَانِي عَلَى الْمَنْذَرِ وَقَرَأَ الْكِتَابَ الَّذِي كَتَبَ إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : أَلَيْكَ الْمَلِكُ بِهَرَامٍ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ مَنْ يُوصلُهُ إِلَيْهِ . فَدَخَلَ جَوَانِي عَلَى بِهَرَامٍ فَرَاغَهُ مَا رَأَى مِنْ وَسَامَتِهِ وَبِهَاتِهِ ، وَأَغْفَلَ السَّجُودَ دَهْشًا ، فَعَرَفَ بِهَرَامٍ أَنَّهُ إِنَّمَا تَرَكَ السَّجُودَ لِمَا رَاَهُ مِنْ رُؤَاثِهِ ، فَكَلَّمَهُ بِهَرَامٍ ، وَوَعَدَهُ مِنْ نَفْسِهِ أَحْسَنَ الْوَعْدِ ، وَرَدَّهِ إِلَى الْمَنْذَرِ ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ أَنْ يَحْيِي فِي الَّذِي كَتَبَ ، فَقَالَ الْمَنْذَرُ لِلْجَوَانِي : قَدْ تَدَبَّرْتُ الْكِتَابَ الَّذِي أَتَيْتَنِي بِهِ ؛ وَإِنَّمَا وَجَّهَ النِّعْمَانُ إِلَى نَاحِيَتِكُمْ الْمَلِكُ بِهَرَامٍ حَيْثُ مَلَكَهُ اللَّهُ بَعْدَ أَبِيهِ ، وَخَوَّلَهُ إِيَّاكُمْ .

فَلَمَّا سَمِعَ جَوَانِي مَقَالَهَ الْمَنْذَرِ ، وَتَذَكَّرَ مَا عَايَنَ مِنْ رُؤَا بِهَرَامٍ وَهَيْبَتِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ^(٢) جَمِيعَ مَنْ شَاوَرَ^(٣) فِي صَرْفِ الْمَلِكِ عَنْ بِهَرَامٍ مَخْصُومٌ مَحْجُوجٌ ، قَالَ^(٤) لِلْمَنْذَرِ : إِنِّي لَسْتُ بِمُحِيرًا جَوَابًا ، وَلَكِنْ سِرُّ إِن رَأَيْتَ إِلَى مَحَلَّةِ الْمُلُوكِ فَيَجْتَمِعُ^(٥) إِلَيْكَ مَنْ بَهَا مِنَ الْعِظَمَاءِ وَأَهْلِ الْبَيْوَتَاتِ ، وَتَشَاوَرُوا فِي ذَلِكَ . وَأَتَى فِيهِ مَا يَحْمِلُ ؛ فَلِنْهُمْ لَنْ يَخَالَفُوكَ فِي شَيْءٍ مِمَّا تُشِيرُ بِهِ .

فَرَدَّ الْمَنْذَرُ جَوَانِي إِلَى مَنْ أَرْسَاهُ إِلَيْهِ ، وَاسْتَعْدَّ وَسَارَ بَعْدَ فُضُولِ جَوَانِي مِنْ عِنْدِهِ يَوْمَ بِهَرَامٍ فِي ثَلَاثِينَ أَلْفَ رَجُلٍ مِنْ فَرَسَانَ الْعَرَبِ وَذَوِي^(٦) الْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ مِنْهُمْ إِلَى مَدِينَتِي الْمَلِكِ ؛ حَتَّى إِذَا وَرَدَهُمَا ، أَمَرَ فُجْمَعَ النَّاسَ ، وَجَلَسَ بِهَرَامٍ عَلَى مَنبَرٍ^(٧) مِنْ ذَهَبٍ مَكْلَلٍ بِجَوْهَرٍ ، وَجَلَسَ الْمَنْذَرُ عَنْ يَمِينِهِ ،

(١) ت : « طَيْسُونَ » . س : « طَيْسُونَ » . (٢) ل : « عِلْمٌ بِأَنْ » .

(٣) ت ، س : « تَشَاوَرُ » . (٤) ل : « فَقَالَ » .

(٥) ت : « فَتَجْمَعُ » . (٦) ت : « وَأَوَّلُ » . (٧) ت : « سَرِير » .

وتكلم عظماء الفرس وأهل البيوتات، وفرشوا للمنذر بكلامهم فظاظه يزْدَجِرْدُ أبي بهرام كانت ، وسوء سيرته ، وأنه أخرب بسوء رأيه الأرض ، وأكثر القتل ظلماً ، حتى قد قتل الناس في البلاد التي كان يملكها ، وأموراً غير ذلك فظيعة . وذكروا أنهم إنما تعاقدوا وتواثقوا على صرف الملك عن ولد يزْدَجِرْدُ لذلك ، وسألوا المنذر ألا يجبرهم في أمر الملك على ما يكرهونه .

فوعى المنذر ما بشوا من ذلك ، وقال لبهرام : أنت أولي بإجابة القوم مني . فقال بهرام : إنني لست أكذبكم معشر المتكلمين في شيء مما نسبتم إليه يزْدَجِرْدُ لِمَا استقرت عندي من ذلك ، ولقد كنت زارياً عليه لسوء هديهِ ، ومتنكباً لطريقه^(١) ودينه ، ولم أزل أسأل الله أن يمن علي بالملك ، فأصلح كل ما أفسد ، وأرأب ما صدع ؛ فإن أتت للملكي سنة ولم أف لكم بهذه الأمور التي عدت لكم تبرأت من الملك طائعاً ، وقد أشهدت بذلك على الله وملائكته ومویدان موید . وليكن هو فيها حَكَمًا بيني وبينكم . وأنا مع الذي بينت على ما أعلمكم من رضای بتمليككم من تناول التاج والزينة ؛ من بين أسدين ضاريين مُشْبِلين ، فهو الملك .

* * *

فلما سمع القومُ مقالة بهرام هذه ، وما وعد من نفسه ، استبشروا بذلك ، وانسبط آمالهم ، وقالوا فيما بينهم : إننا لسنا نقدر على رد قول بهرام ؛ مع ٨٦١/١ أننا إن تمسنا على صرف الملك عنه نتخوف أن يكون في ذلك هلاكنا لكثرة من استمد واستجاش من العرب ؛ ولكننا نمتحنه بما عرّض علينا مما لم يدعه إليه إلا ثقة بقوته وبطشه وجراته ، فإن يكن على ما وصف به نفسه ، فليس لنا رأى إلا تسليم الملك إليه ، والسمع والطاعة له ، وإن يهلك ضعفاً ومعجزة ، فنحن من هلكته^(٢) برآء ، ولشره وغائلته آمنون .

وتفرقوا على هذا الرأي ، فعاد بهرام بعد أن تكلم بهذا الكلام ، وجلس كمجلسه الذي كان فيه بالأمس ، وحضره من كان يحاده . فقال لهم : إنا

(٢) س : « مهلكته » .

(١) ل : « لطريقته » .

أن تجيبوني فيما تكلمت أمس ، وإما أن تسكتوا باخعين^(١) لي بالطاعة .
فقال القوم : أمّا نحن ، فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى ، ولم نَر منه إلّا
ما نحب ؛ ولكنّا قد رضينا مع ذلك أن يُوضع التاج والزينة كما ذكرت بين
أسدين ، وتتنازعانها أنت وكسرى ، فأيتكما تناولها من بينهما ، سلّمنا له الملك .
فرضى بهرام بمقاتلتهم ، فأتى بالتاج والزينة موبدان موبّد ، الموكل كان
بعقد التاج على رأس كلِّ ملك يملك ، فوضعهما في ناحية ، وجاء بسطام
إصْبَهَبَد ، بأسدين ضاريين مجوعين مُشبّلين ، فوقف أحدهما عن جانب الموضع
الذي وُضع فيه التاج والزينة ، والآخر بجذائه ، وأرخى وثاقهما ، ثم قال بهرام
لكسرى : دونك التاج والزينة . فقال كسرى : أنت أولى بالبدء وبتناولهما
منى ؛ لأنك تطلب الملك بوراثه ، وأنا فيه مغتصب . فلم يكره بهرام قوله ،
لثقتة كانت ببطشه^(٢) وقوّته ، وحمل جرّزا^(٣) ، وتوجّه نحو التاج والزينة ، فقال
له موبدان موبّد : اسمّاتك في هذا الأمر الذي أقدمت عليه ؛ إنما هو تطوع
منك ، لا عن رأى أحد من الفرس ، ونحن برآء إلى الله من إتلافك نفسك .
فقال بهرام : أنتم من ذلك برآء ، ولا وِرّر عليكم فيه . ثم أسرع نحو الأسدين ،
فلما رأى موبدان موبّد جيدهُ في لقاؤهما ، هتف به وقال : بُحْ بذنوبك ،
وتُبّ منها ، ثم أقدم إن كنت لا محالة مُقدماً ، فباح بهرام بما سلف من
ذنوبه ، ثم مشى نحو الأسدين ، فبدر إليه أحدهما ، فلما دنا من بهرام
وثب وثبة ، فعلا ظهره ، وعصر جَنْبَيْ الأسد بفخذه عصراً أثخنه ، وجعل
يضرب على رأسه بالجرز الذي كان حمل ، ثم شدّ الأسد الآخر عليه ،
فقبض على أذنيه ، وعَرَكهما بيكلتا يديه ، فلم يزل يضرب رأسه برأس
الأسد الذي كان راكمه حتى دمغهما ثم قتلها كليهما على رأسهما بالجرز
الذي كان حملة : وكان ذلك من صنيعه^(٤) بمرأى من كِسرى ومن حضر
ذلك المحفل .

٨٦٢/١

(١) ل : « خاضعين » . (٢) ل : « كانت في بطشه » .

(٣) الجرز : عمود من الحديد . (٤) ت : « صنعه » .

فتناول بهرام بعد ذلك التاج والزينة ، فكان كسرى أول من هتف به ، وقال : عمرك الله بهرام ! الذي منّ حوله سامعون ، وله مطيعون ، وورقه ملئك أقاليم الأرض السبعة . ثم هتف به جميع^(١) الحضر ، وقالوا : قد أذعنّا للملك بهرام ، وخضعنا له ورضينا به ملىكاً . وأكثروا الدّعاء له . وإنّ العظماء وأهل البيوتات وأصحاب الولايات والوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم ، وسألوه^(٢) أن يكلّم بهرام في التعمّد لإساءتهم في أمره ، والصفح والتجاوز عنهم ، فكلّم المنذر بهرام فيما سأله من ذلك ، واستوهبه ما كان احتمال عليهم في نفسه ، فأسغفه بهرام فيما سأل ، وبسط آمالهم .

وإنّ بهرام ملك وهو ابن عشرين سنة ، وأمر من يومه ذلك أن يلزم رعيته راحة ودّعة ، وجلس للناس بعد ذلك سبعة أيام متوالية ، يعدّهم الخير من نفسه ، ويأمرهم بتقوى الله وطاعته .

* * *

ثم لم يزل بهرام حيث ملك مؤثراً للهو^(٣) على ما سواه ، حتى كثرت ملامته رعيته إياه على ذلك ، وطمع منّ حوله من الملوك في استباحة بلاده ، والغلبة على ملكه ، وكان أول من سبق إلى المكاثرة^(٤) له عليه خاقان ملك الترك ، فإنه غزاه في مائتين وخمسين ألف رجل من الترك ، فبلغ الفرس إقبال خاقان في جمّع عظيم إلى بلادهم ، فتعاضمهم ذلك وهالهم ، ودخل عليه من عظمائهم أناس لهم رأى أصيل ، وعندهم نظر للعامة ، فقالوا له : إنه قد أزمك أيها الملك من بائقة هذا العدو وما قد شغلك عما أنت عليه من اللهو والتلذذ ، فتأهّب له كيلاً يلحقنا منه أمرٌ يلزمك فيه مسبة وعار . فقال لهم بهرام : إن الله ربنا^(٥) قوى ونحن أولياؤه . ولم يزد إلا مثابة على اللهو والتلذذ والصيد .

وإنه تجهّز فصار إلى أذر بيجان لينسك^(٦) في بيت نارها ، ويتوجّه منها إلى

(١) ت : « الجمع » . (٢) ل : « فسألوه » .

(٣) س ، ل : « اللهو » . (٤) ت ، س : « المكاثرة » .

(٥) ت : « تعالى » . (٦) ينسك : يتعبّد .

أرمنيّة ، ويطلب الصيد في آجامها ، ويلهو في مسيره في سبعة رهط من العظماء وأهل البيوتات ؛ وثلاثمائة رجل من رابطته ذوى بأس ونجدة ، واستخلف أخاً له يسمّى نرسي على ما كان يدبّر من ملكه . فلم يشكّ الناس حين بلغهم مسير بهرام فيمن سار واستخلافه أخاه على ما استخلف في أن ذلك هرب من عدوّه ، وإسلام للملكه ؛ وتأمروا في إنفاذ وفد إلى خاقان ، والإقرار له بالخراج ، مخافةً منه لاستباحة بلادهم ، واصطلامه مقاتلاتهم إن هم لم يُدعِنوا له بذلك . فبلغ خاقان الذى أجمع عليه الفرس من الانقياد والخضوع له ، فأمن ناحيتهم ، وأمر جنده بالتورّع ، فأتى بهرام عينٌ كان وجهه ليأتيه بخبر خاقان ، فأخبره بأمر خاقان وعزمه ، فسار إليه بهرام في العدة الذين كانوا معه فبيته ، وقتل خاقان بيده ، وأفشى القتل في جنده ، وانهم من سلك من القتل منهم ، ومنحوه أكتافهم ، وخلفوا عسكرهم وذرائعهم وأثقالهم ، وأمن بهرام في طلبهم يقتلهم ويحوى ما غنم منهم ، ويسبي ذرائعهم . وانصرف وجنده سالمين ، وظفر^(١) بهرام بتاج خاقان وإكليله ، وغلب على بلاده من بلاد الترك ، واستعمل^(٢) على ما غلب^(٣) عليه منها مَرزباناً حبّاه سريراً من فضة ، وأتاه أناس من أهل البلاد المتاخمة لما غلب عليه من بلاد الترك خاضعين باخعين له بالطاعة ، وسألوه أن يعلمهم حدّ ما بينه وبينهم فلا يتعدوه ، فحدّ لهم حدّاً ، وأمر فبنيت منارة ، وهى المنارة التى أمر بها فيروز الملك ابن يزدَجِرْد ، فقدّمت إلى بلاد الترك ، ووجه بهرام قائداً من قوّاده إلى ما وراء النهر منهم ، وأمره بقتالهم فقاتلهم وأثخنهم ، حتى أقرّوا لبهرام بالعبودية وأداء الجزية .

* * *

وإن بهرام انصرف^(٤) إلى أذربيجان ، راجعاً إلى محلّته من السّواد ، وأمر بما كان في إكليل خاقان من ياقوت أحمر وسائر الجواهر ، فعلّق على بيت نار أذربيجان ، ثم سار وورد مدينة طيسبون ، فنزل^(٥) دار المملكة بها ، ثم

(١) ت : « فظفر » ، ل : « وظهر » . (٢) ت : « واستخلف » .

(٣) ت : « ما قد غلب عليه » . س ، ل : « على ما غلب عليه » .

(٤) ت : « سار » . (٥) ت : « ونزل » .

كتب إلى جُسْنَدِه وِعَمَّالِه بقتله خاقان ، وما كان من أمره وأمر جنده . ثم ولَّى أخاه نَرْسِي خُرَّاسان ، وأمره أن يسير إليها وينزل بَلَنخ ، وتقدَّم إليه بما أراد .

ثم إنَّ بَهْرَام سار في آخر مُلْكِه إلى ماه للصيد بها ، فركب ذات يوم للصيد ، فشَدَّ على عَيْر ، وأمعن في طلبه ، فارتطم في جُوب ، فغرق ، فبلغ والدته فسارت إلى ذلك الجُوب بأموال عظيمة ، وأقامت قريبة منه ، وأمرت بإنفاق تلك الأموال على مَنْ يخرجُه منه ، فنقلوا من الجُوب طينًا كثيرًا وحَمَأةً ، حتى جَمَعُوا من ذلك آكامًا عظامًا ، ولم يقدرُوا على جُشَّة بَهْرَام .

وذكر أن بَهْرَام لما انصرف إلى مملكته من غَزْوِه ^(١) الترك ، خطب أهل مملكته أيامًا متوالية ، حثَّهم في خطبته على لزوم الطاعة ، وأعلمهم أن نيَّته التوسُّع عليهم ، وإيصال الخير إليهم ، وأنَّهم إن زالوا عن الاستقامة نالهم من غلظته أكثر مما كان نالهم من أبيه ، وأنَّ أباه كان افتتح أمرهم باللين والمعدلة ، فجحدوا ذلك أو مَنْ جحدَه منهم ، ولم يخضعوا له خضوع الحوَل والعبيد للملوك ، فأصاره ذلك إلى الغِلظة وضرب الأَبشار وسفك الدماء . وإنَّ انصراف بهرام من غزوه ذلك كان على طريق أَذَر بيجان ، ولأنه نَحَلَ بيت نار ^{٨٦٦/١} الشيز ما كان في إكليل خاقان من اليواقيت والجواهر ^(٢) وسيفًا كان لخاقان مُفَصَّصًا بدرّ وجوهر وحليّة كثيرة ، وأخذه خاتون امرأة خاقان ، ورفع عن الناس الخراج لثلاث سنين شكرًا على ما لقي من النَّصْر في وجهه ، وقسَّم في الفقراء والمساكين مالا عظيمًا ، وفي البيوتات وذوِي الأحساب عشرين ألف ألف درهم ، وكتب بخبر خاقان إلى الآفاق كتبًا ، يذكر فيها أن الخبر ورد عليه بورود خاقان بلادَه ، وأنَّه مَجَّد الله وعظَّمه وتوكَّل عليه ، وسار نحوه في سبعة رهط من أهل البيوتات ، وثلاثمائة فارس من نُحْبَة رابطة على طريق أَذَر بيجان وجبل القَبْق ؛ حتى نفذ على برارى خوارزم ومفاوزها ، فأبلاه

(١) ت : « غزو » .

(٢) ت : « والجواهر » .

الله أحسن بلاء ، وذكر لهم ما وضع عنهم من الحراج ، وكان كتابه في ذلك كتاباً بليغاً .

وقد كان بهرام حين أفضى إليه الملك أمر أن يرفع عن أهل الحراج البقايا التي بقيت عليهم من الحراج ، فأعلم أن ذلك سبعون ألف ألف درهم ، فأمر بتركها وبترك ثلث خراج السنة التي ولي فيها .

وقيل إن بهرام جُور لما انصرف إلى طيسبُون من مَغَزَاه خاقان التركي ، ولي نَرْسِي أخاه خراسان ، وأنزله بَلْخ ، واستوزر مِهْر نَرْسِي بن بُرَازة ، ونصّه وجعله بَزْرَجَفَر مَدَار ، وأعلمه أنه ماضٍ إلى بلاد الهند ، ليعرف أخبارها ، والتلطّف لحيازة بعض مملكة أهلها إلى مملكته ؛ ليخفّف بذلك بعض مؤونة عن أهل مملكته ، وتقدّم إليه بما أراد التقدّم إليه فيما خلّفه عليه إلى أوان انصرافه ، وأنه شخص من مملكته حتى دخل أرض الهند متنكراً ، فكثّ بها حينئذ لا يسأله أحدٌ من أهلها عن شيء من أمره غير ما يرون من فروسيته (١) وقتله السباع ، وجماله وكمال خلقه ما يعجبون منه . فلم يزل كذلك حتى بلغه أن في ناحية من أرضهم فيلا قد قطع السبُل ، وقتل ناساً كثيراً ، فسأل بعضهم أن يدلّته عليه ليقبله ، وانتهى أمره إلى الملك فدعا به ، وأرسل معه رسولاً ينصرف إليه بخبره . فلما انتهى بهرام والرسول إلى الأجمة التي فيها الفيل ، رقى الرسول إلى شجرة لينظر إلى صنْع (٢) بهرام . ومضى بهرام ليستخرج الفيل ، فصاح به ، فخرج إليه مُزْبِداً وله صوت شديد ، ومنظر هائل ، فلما قرب من بهرام رماه رمية وقعت بين عينيه حتى كادت تغيب ، ووقّده بالنشّاب ، حتى بلغ منه ، ووثب عليه فأخذه بِمَشْفَرِهِ ، فاجتذبه جذبة جثا لها الفيل على ركبتيه ، فلم يزل يطعنه حتى أمكن من نفسه ، فاحتزّ رأسه وحمله على ظهره حتى أخرجه إلى الطريق ، ورسول الملك ينظر إليه . فلما انصرف الرسول اقتصّ خبره على الملك ، فعجب من شدّته وجرأته ، وجباه حياء عظيماً ، واستفهمه أمره . فقال له بهرام : أنا رجل من عظماء الفُرس ، وكان

(١) ت : « فروسته » .

(٢) ت : « إلى صنيع » ، س : « ما يصنع » .

ملك فارس سَخِطَ على شيء فهربت منه إلى جوارك ، وكان لذلك الملك عدو قد نازعه مُلْكَه ، وسار إليه بجنود عظيمة ، فاشتدَّ وجَلُّ الملك صاحب بهرام منه لما كان يعرف من قُوَّته ، وأرادَه على الخضوع له وحَمَلَ الخراج إليه ، وهمَّ صاحب بهرام بإجابهته إلى ذلك ، فنهاه بهرام عن ذلك ، وضمين له كفاية أمره ، فسكن إلى قوله ، وخرج بهرام مستعداً له ، فلما التقوا قال لأساورة الهند : احرسوا ظهري . ثم حمل عليهم فجعل يضرب الرجل على رأسه فتنتهى ضربته إلى فمه ، ويضرب وسط الرجل فيقطعه باثنين ، ويأتى الفيل فيقتله مشفره بالسيف ، ويحتمل الفارس عن سرجه — والهند قوم لا يحسنون الرمي ، وأكثرهم رجالة لا دواب لهم — وكان بهرام إذا رى أحدهم أنفذ السهم فيه ، فلما عاينوا منه ما عاينوا ، ولَّوْا منهزمين لا يلوون على شيء ، وغنم صاحب بهرام ما كان في عسكر عدوه ، وانصرف محبوراً مسروراً ، ومعه بَهْرَام ، فكان في مكافأته إتياءه أن أنكحَه ابنته ، ونَحَلَه الدِّيْبِلَ ومُكْرَانَ وما يليها من أرض السند ، وكتب له بذلك كتاباً ، وأشهد له على نفسه شهوداً ، وأمر بتلك البلاد حتى ضُمَّت إلى أرض العجم ، وحمل خراجها إلى بَهْرَام ، وانصرف بهرام مسروراً .

ثم إنه أغزى مِهْرَنْرُسِي بن بُرَازَةَ بلاد الروم في أربعين ألف مقاتل ، وأمره أن يقصد عظيمها ، وينظره في أمر الإتاوة وغيرها ؛ مما لم يكن يقوم بمثله إلا مثل مِهْرَنْرُسِي ، فتوجَّه^(١) في تلك العدة ، ودخل القُسْطَنْطِينِيَّة ، وقام مقاماً مشهوراً ، وهادنه عظيم الروم ، وانصرف بكل الذي أراد بَهْرَام ، ولم يزل لِمِهْرَنْرُسِي مُكْرِماً ، وربما خَفَّفَ اسمه ف قيل «نَرْسِي» وربما قيل «مِهْرَنْرُسِي» ، وهو مِهْرَنْرُسِي بن بُرَازَةَ بن فرُّخزاد بن خُورَهَبَاز بن سيسفاد ابن سيسنابروه بن كَيُّ أَشْكَ بن دارا بن دارا بن بَهْمَن بن إسفنديار بن بِيشتاسب .

وكان مِهْرَنْرُسِي معظمًا عند جميع ملوك فارس بحسن أدبه ، وجودة آرائه ، وسكون العامة إليه ، وكان له أولاد مع ذلك قد قابوه في القدر ، وعملوا للملوك من الأعمال ما كادوا يلحقون بمرتبه ؛ وإن منهم ثلاثة قد كانوا برزوا :

(١) ل : « فوجّه » .

أحدهم زَرَوَانْدَاذ ؛ كان مِهْر نرسي قصد به للدين والفقه ، فأدرك من ذلك
 امرأً عظيمًا ، حتى صيَّره بهرام جور هِرَبْدَان هِرَبْد ، مرتبة شبيهة بمرتبة مَوْبْدَان
 مَوْبْد . وكان يقال للآخر : ما جُسْنَس ، ولم يزل متوليًّا ديوان الخراج أيام
 بهرام جور . وكان اسم مرتبته بالفارسية « راسراي وشانسلان » . وكان الثالث اسمه
 كارد صاحب الجيش الأعظم ، واسم مرتبته بالفارسية « أسطران سلا » ؛ وهذه
 مرتبة فوق مرتبة الإصبهبد تقارب مرتبة الأرجببد ، وكان اسم مِهْر نرسي
 بمرتبه بالفارسية « بَزُرْ جفر ماندار » ؛ وتفسيره بالعربية « وزير الوزراء »
 ٨٧٠/١ أو رئيس الرؤساء . وقيل إنه كان من قرية يقال لها إبروان من رستاق
 دشتبارين من كورة أردشير خُرة ، فابتنى فيه وفي جِره من كورة سابور
 لاتصال ذلك ودشتبارين أبنية رفيعة ، واتخذ فيها بيت نار — هو باق فيما
 ذكر إلى اليوم . وناره توقد إلى هذه الغاية — يقال لها مِهْر نرسيان ، واتخذ
 بالقرب من إبروان أربع قرى ، وجعل في كل واحدة منها بيت نار ؛ فجعل
 واحدًا منها لنفسه ، وسماه فراز مرا آوَرْ خُدايان ؛ وتفسير ذلك : « أقبل إلى
 سيدي » ، على وجه التعظيم للنار ، وجعل الآخر لَزَرَوَانْدَاذ ، وسماه زراونداذان ،
 والآخر لكارد وسماه كارداذان ، والآخر لماجُسْنَس ، وسماه ماجُسْنَسْفان ؛
 واتخذ في هذه الناحية ثلاث باغات^(١) ، جعل في كل باغ منها اثنتي عشرة
 ألف نخلة ، وفي باغ اثني عشر ألف أصل زيتون ، وفي باغ اثنتي عشرة ألف
 سرَّوة^(٢) ، ولم تزل هذه القرى والباغات وبيوت النيران في يد قوم من ولده معروفين
 إلى اليوم ؛ وإن ذلك — فيما ذكر — إلى اليوم باق على أحسن حالاته .

وذكر أن بهرام بعد فراغه من أمر خاقان وأمر ملك الروم ، مضى إلى
 بلاد السودان من ناحية^(٣) اليمن ، فأوقع بهم ؛ فقتل منهم مقتلة عظيمة . وسبى
 منهم خلقًا ، ثم انصرف إلى مملكته . ثم كان من أمر هلاكه ما قد وصفت .
 واختلفوا في مدة ملكه ، فقال بعضهم : كان ملكه ثمانى عشرة سنة وعشرة

(١) الباغ : البستان ، وانظر المعجم في اللغة الفارسية ٣٢ .

(٢) السرو : شجر حسن الهيئة قوي الساق ؛ فسه صاحب القاموس بالمرعر ، واحدته سروة .

(٣) ت : « مما يلي » .

أشهر وعشرين يوماً . وقال آخرون كان ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن بهرام جور]

ثم قام بالملك من بعده يَزْدَجِرْدُ بن بَهْرَامِ جُور . فلمّا عَقِدَ التاج على رأسه دخل عليه العظماء والأشراف ، فدعوا له وهنثوه بالملك ، فردّ عليهم ردّاً حسناً ، وذكر أباه ومناقبه ، وما كان منه إلى الرعيّة ، وطول جلوسه كان لها ، وأعلمهم أنّهم إن فقدوا منه مثل الذي كانوا يعهدونه من أبيه ، فلا ينبغي لهم أن يستنكروه ؛ فإنّ خلواته إنّما تكون في مصلحة للمملكة وكيد للأعداء ، وأنه قد استوزر مِهْرَنْرُسِي بن بُرَازَة صاحب أبيه ، وأنّه سائر فيهم بأحسن^(١) السيرة ، ومستنّ لهم أفضل السنن ، ولم يزل قامعاً لعدوّه ، رءوفاً برعيّته وجنوده ، محسناً إليهم .

وكان له ابنان : يقال لأحدهما هُرْمَز ، وكان ملكاً على سِجِسْتَان ، والآخر يقال له فَيَرُوز ؛ فغلب هُرْمَز على الملك من بعد هلاك أبيه يَزْدَجِرْد ، ٨٧٢/١
فهرب فيروز منه ولحق ببلاد الهياطلة ، وأخبر ملكها بقصته وقصّة هرّمز أخيه ، وأنه أوّل بالملك منه ، وسأله أن يمدّه بجيش يقاتل بهم هُرْمَز ، ويحتوى على مُلْك أبيه ، فأبى ملك الهياطلة أن يُجيبه إلى ما سأل من ذلك ؛ حتى أخبر أنّ هرّمز ملك ظلوم جائر فقال ملك الهياطلة : إن الجور لا يرضاه الله^(٢) ، ولا يصلح عمل أهله ، ولا يستطاع أن يستتصف ويحترف في مُلْك الملك الجائر إلاّ بالجور والظلم . فأمدّ فيروز بعد أن دفع إليه الطالقان بجيش ، فأقبل بهم^(٣) وقاتل هُرْمَز أخاه فقتله ، وشتّت جمعه ، وغلب على الملك .

وكان الروم الثناؤا على يَزْدَجِرْد بن بَهْرَامِ في الخراج الذي كانوا يحملونه إلى أبيه ، فوجّه إليهم مِهْرَنْرُسِي بن بُرَازَة ، في مثل العدة التي كان بَهْرَامِ وجهه إليهم عليها ، فبلغ له إرادته .

(٢) ل : « ما لا يرضاه » .

(١) ت : « أحسن » .

(٣) ت : « فيهم » .

وكان مُلْك يَزْدَجَرْد ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَأَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ .
وَفِي قَوْلِ آخَرِينَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

* * *

[ذَكَرَ مَلِكَ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْد]

ثُمَّ مَلِكُ فَيْرُوزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ بْنِ بَهْرَامِ جُورَ ، بَعْدَ أَنْ قَتَلَ أَخَاهُ وَثَلَاثَةَ
نَفَرٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ .

وَحُدِّثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : اسْتَعَدَّ فَيْرُوزُ بْنُ خُرَّاسَانَ ،
وَاسْتَنْجَدَ بِأَهْلِ طَخَسَارِيسْتَانَ وَمَا يَلِيهَا ، وَسَارَ إِلَى أَخِيهِ هَرْمُزَ بْنِ يَزْدَجَرْدَ ،
وَهُوَ بِالرِّيِّ - وَكَانَتْ أُمُّهُمَا وَاحِدَةً ، وَاسْمُهَا دِينَشْكُ ، وَكَانَتْ بِالْمَدَائِنِ تَدْبِيرَ
مَا يَلِيهَا مِنَ الْمَلِكِ - فَظَفَرَ فَيْرُوزُ بِأَخِيهِ فَجَبَسَهُ ، وَأَظْهَرَ الْعَدْلَ وَحَسَنَ السَّيْرَةَ ،
وَكَانَ يَتَدَبَّرُ ، وَقَحَّطَ النَّاسَ فِي زَمَانِهِ سَبْعَ سِنِينَ ، فَأَحْسَنَ تَدْبِيرَ [ذَلِكَ] (١)
الْأَمْرَ حَتَّى قَسَمَ مَا فِي بَيْوتِ الْأَمْوَالِ ، وَكَفَّفَ عَنِ الْجَبَايَةِ ، وَسَاسَهُمْ أَحْسَنَ
السِّيَاسَةِ ، فَلَمْ يَهْلِكْ فِي تِلْكَ السَّنِينَ أَحَدٌ ضِيَاعًا إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا .

وَسَارَ إِلَى قَوْمٍ كَانُوا قَدْ غَلَبُوا عَلَى طَخَسَارِيسْتَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْهِيَاطَلَةُ ، وَقَدْ
كَانَ قَوَادِمُهُمْ فِي أَوَّلِ مُلْكِهِ لِمَعُونَتِهِمْ لِإِيَّاهُ عَلَى أَخِيهِ ، وَكَانُوا - فِيمَا زَعَمُوا - يَعْمَلُونَ
عَمَلَ قَوْمِ لُوطَ ، فَلَمْ يَسْتَحِلِّ تَرْكَ الْبِلَادِ فِي أَيْدِيهِمْ ، فَقَاتَلَهُمْ فَقَتَلُوهُ فِي الْمَعْرَكَةِ ،
وَأَرْبَعَةَ بَنِينَ لَهُ ، وَأَرْبَعَةَ إِخْوَةٍ ، كُلُّهُمْ كَانَ يُسَمَّى بِالْمَلِكِ ، وَغَلَبُوا عَلَى عَامَةِ
خُرَّاسَانَ حَتَّى سَارَ إِلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ فَارَسَ يُقَالُ لَهُ سُوحْرَا مِنْ أَهْلِ شِيرَازَ ،
وَكَانَ فِيهِمْ عَظِيمًا ، فَخَرَجَ فِيمَنْ تَبِعَهُ شَبْهُ الْمُحْتَسِبِ الْمُنْتَطَوِّعِ حَتَّى لَقِيَ (٢)
صَاحِبَ الْهِيَاطَلَةِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ بِلَادِ خُرَّاسَانَ ، فَافْتَرَقَا عَلَى الصَّلَاحِ ؛ وَرَدَّ مَا لَمْ
يَضَعْ مِمَّا فِي عَسْكَرِ فَيْرُوزَ مِنَ الْأَسْرَاءِ وَالسَّبْيِ . وَمَلَكَ سَبْعًا وَعَشْرِينَ سَنَةً .

وَقَالَ غَيْرُ هِشَامٍ مِنْ أَهْلِ الْأَخْبَارِ : كَانَ فَيْرُوزُ مَلِكًا مُحَدِّدًا مُحَارَفًا (٣)
مَشْتُمًا عَلَى رَعِيَّتِهِ ، وَكَانَ جَلَّ قَوْلُهُ وَفَعَلُهُ فِيمَا هُوَ ضَرَرُ وَآفَةٌ عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ
مَمْلَكَتِهِ . وَإِنَّ الْبِلَادَ قَحَّطَتْ فِي مُلْكِهِ سَبْعَ سِنِينَ مُتَوَالِيَةٍ ، فَغَارَتْ الْأَنْهَارُ
وَالْقُسْنِيُّ وَالْعَيُونُ ، وَقَحَّحَتْ (٤) الْأَشْجَارُ وَالْقِيَاضُ ، وَهَاجَتْ عَامَّةُ الزَّرْعِ

(١) تَكَلَّمَ مِنْ لَدُنْهُ . س . (٢) ت : « أَقَى » . (٣) الْمُحَارَفُ : الْمَحْرُومُ الَّذِي
إِذَا طُلِبَ شَيْئًا لَا يَرْزُقُ ، وَهُوَ خِلَافُ الْمُبَارَكِ . (٤) ل : « وَحَلَّتْ » .

والآجام في السَّهْل والجبل من بلاده ، وموت فيها الطَّيْر والوحوش ، وجاعت الأنعام والدواب ؛ حتى كانت لا تقدر أن تحمل حمولة ، وقل ماء دجلة ، وعم أهل بلاده اللزبات (١) والمجاعة والجهد والشدائد .

فكتب إلى جميع رعيته يعلمهم أنه لا خراج عليهم ولا جزية ، ولا نائبة ٨٧٤/١ ولا سُخْرة ، وأن قد ملكهم أنفسهم ، وبأمرهم بالسعي فيما يقوتهم ويقيمهم ، ثم أعاد الكتاب إليهم في إخراج كل مَنْ كان له منهم مطمورة أو هَرُى (٢) أو طعام أو غيره (٣) ؛ مما يقوت الناس ، والتأسي فيه ، وترك الاستئثار فيه ؛ وأن يكون حال أهل الغنى والفقر وأهل الشرف والضعة في التأسي واحداً . وأخبرهم (٤) أنه إن بلغه أن إنسياً مات جوعاً عاقب أهل المدينة ، أو أهل القرية ، أو الموضع الذي يموت فيه ذلك الإنسي جوعاً ، ونسكل بهم أشدَّ النكال .

فساس فيروز رعيته في تلك اللزبة والمجاعة سياسة لم يعط أحد منهم جوعاً ؛ ما خلا رجلاً واحداً من رُستاق كورة أردشير خُرة ، يدعى بديه (٥) فتعظَّم (٦) ذلك عظماءُ الفرس ، وجميع أهل أردشير خُرة وفيروز ، وأنه ابتهل إلى ربه في نشر رحمته له ولرعيته ، وإنزال غيثه عليهم ؛ فأغاثه الله ، وعادت بلاده في كثرة المياه على ما كانت تكون عليه ، وصَلَحَت الأشجار . وإن فيروز أمر فبنيت بالرّى مدينة ، سماها رام فيروز ، وفيما بين جرجان وباب صول مدينة ، سماها رُوشن فيروز ، وبناحية أذربيجان مدينة وسماها شهرام (٧) فيروز .

(١) اللزبات : الشدائد .

(٢) المطمورة : حفرة تحت الأرض يوضع أسفلها تخبأ فيها الحبوب ، والهرى : بالضم : بيت كبير يجمع فيه طمام السلطان .

(٣) ت : « غير ذلك » .

(٤) ت : « وأعلمهم » ، ل : « فأخبرهم » .

(٥) ت ، س : « بريه » .

(٦) ت : « فيعظم » ، ل : « فعظم » .

(٧) ت ، ل : « شهرام » .

ولما حَبِيبَتْ بلاد فيروز ، واستوثق له المُلْكُ ، وأُتِخِنَ في أعدائه وقهرهم ، وفرغ من بناء هذه المدن الثلاث ، سار بجُنُودِهِ نحو خُرَّاسان مريدًا حرب إخشنوار ملك الهِيَاطَلَّةَ ؛ فلما بلغ إخشنوار خبرَهُ اشْتَدَّ مِنْهُ رَعْبُهُ . فَذُكِرَ ٨٧٥/١ أن رجلاً من أصحاب إخشنوار بذلَ له نفسه ، وقال له : اقطع يديَّ ورجليَّ ، وألقني على طريق فيروز ، وأحسنْ إلى ولدي وبعيالي — يريد بذلك فيما ذكر الاحتيال لفيروز — ففعل ذلك إخشنوار بذلك الرجل ، وألقاه على طريق فيروز ، فلما مرَّ به أنكر حاله وسأله عن أمره ، فأخبره أن إخشنوار فعل ذلك به لأنه قال له : لا قوام لك بفيروز وجنود الفرس ^(١) . فرقَ له فيروز وراحِمِهِ ، وأمر بحمله معه ، فأعلمه على وجه النصيح منه له — فيما زعم — أنه بدلُهُ وأصحابه على طريق مختصر لم يدخل إلى ملك الهياطلة منه أحد ، فَاغْتَرَّ فيروز بذلك منه ، وأخذ بالقوم في الطريق الذي ذكره ^(٢) له الأقطع ، فلم يزل يقطع بهم مفازة بعد مفازة ، فكلَّمَا شَكُوا عطشًا أعلمهم أنهم قد قَرَّبُوا من الماء ومن قطع المفازة ؛ حتى إذا بلغ بهم موضعًا علم أنهم لا يقدرُون فيه على تقدّم ولا تأخّر ، بيّن لهم أمره ، فقال أصحاب فيروز لفيروز: قد كُنَّا حذرناك هذا أيها الملك فلم تحذّر ؛ فأما الآن فلا بدّ من المضيّ قُدُمًا حتى نوافي القوم على الحالات كلّها . فضوُّوا لوجوههم ، وقتل العطشُ أكثرهم ، وصار فيروز بمن نجا معه إلى عدوهم ، فلمّا أشرفوا عليهم على الحال التي هم فيها دَعَوْا إخشنوار إلى الصلح ، على أن يخلّي سبيلهم ؛ حتى ينصرفوا إلى بلادهم ؛ ٨٧٦/١ على أن يجعل فيروز له عهد الله وميثاقه ألا يغزوهم ولا يروم أرضهم ، ولا يبعث إليهم جنْدًا يقاتلونهم ، ويجعل بين مملكتها حدًّا لا يجوزه . فرضي إخشنوار بذلك ، وكتب له به فيروز كتابًا مَخْتُومًا ، وأشهد له على نفسه شهودًا ، ثم خَلَّتْ سبيله وانصرف .

فلما صار إلى مملكته حمَلَه الأتف والحمية على معاودة إخشنوار ، فغزاه بعد أن نَهاه وزرأوه وخاصَّته عن ذلك ؛ لما فيه من نقض العهد ، فلم يقبل منهم

(١) س : « فارس » .

(٢) ت : « ذكر » .

وأبى إلا ركوب رأيه ، وكان فيمن نهاه عن ذلك رجل كان يخصه ويحتج رأيه ، يقال له مُزْدَبُودُ^(١) ، فلما رأى مُزْدَبُودُ لِحاجته ، كتب ما دار بينهما في صحيفة ، وسأله الختم عليها ، ومضى فيروز لوجهه نحو بلاد إخشنوار ، وقد كان إخشنوار حفر خندقاً بينه وبين بلاد فيروز عظيماً ، فلما انتهى إليه فيروز عَقَّدَ عليه القناطر ، ونصب عليها رايات جعلها أعلاماً له ولأصحابه في انصرافهم ، وجاز إلى القوم ، فلما التقى بعسكرهم احتج عليه إخشنوار بالكتاب الذي كتبه له ، ووعظه بعهدده وميثاقه ، فأبى فيروز إلا بالحاجاً ومحكاً وتوافقاً ، فكلّم كل واحد منهما صاحبه كلاماً طويلاً ، ونشبت^(٢) بينهما بعد ذلك الحرب ، وأصحاب فيروز على فتور من أمرهم ؛ للعهد الذي كان بينهم وبين الهياطلة ، وأخرج إخشنوار الصحيفة التي كتبها له فيروز ، فرفعها على رُمح وقال : اللهم خذ بما في هذا الكتاب . فانهم فيروز وسها عن ٨٧٧/١ موضع الرايات ، وسقط في الخندق ، فهلك . وأخذ إخشنوار أثقال فيروز ونساءه وأمواله ودواوينه ، وأصاب جند فارس شيء لم يصبهم مثله قط .

وكان بسجستان رجل من أهل كورة أردشير خرة من الأعاجم ، ذو علم وبأس وبطش ، يقال له : سوخرا ، ومعهم جماعة من الأساورة ، فلما بلغه خبر فيروز ركب من ليلته ، فأغذ السير حتى انتهى إلى إخشنوار ، فأرسل إليه وآذنه بالحرب ، وتوعده باللائحة والبوار ؛ فبعث إليه إخشنوار جيشاً عظيماً . فلما التقوا ركب إليهم سوخرا فوجدتهم مدلين ، فيقال : إنه رمى بعض من ورد عليه منهم رمية فوقعت بين عيني فرسه حتى كادت النشابة تغيب في رأسه ، فسقط الفرس ، وتمكن سوخرا من راحبه ، فاستبقاه وقال له : انصرف إلى صاحبك فأخبره بما رأيت ، فانصرفوا إلى إخشنوار ، وحملوا الفرس معهم ، فلما رأى أثر الرمية بهت وأرسل إلى سوخرا : أن سل حاجتك ، فقال له : حاجتي أن ترد علي الديوان ، وتطلق الأسرى . ففعل ذلك ، فلما صار الديوان في يده ، واستنفذ الأسرى ، استخرج من الديوان بيوت الأموال التي كانت

(١) ت : « مردنود » .

(٢) ت : « ونشب » ، س : « ونشبت » .

مع فيروز، فكتب إلى إخشنوار أنه غير منصرف إلا بها . فلما تبين الجِدّة؛
افتدى نفسه وانصرف سوخرا بعد استنقاذ الأسارى وأخذ الديوان وارتجاع
الأموال ، وجميع ما كان مع فيروز من خزائنه إلى أرض فارس ، فلما صار
إلى الأعاجم شرفوه وعظّموا أمره ، وبلغوا به من المنزلة ما لم يكن بعده إلا الملك .

وهو سوخرا بن ويسابور^(١) بن زهان^(٢) بن نرسی بن ويسابور بن قارن
ابن كروان بن أبید بن أوبید بن تیرویه^(٣) بن كردنك^(٤) بن ناور بن طوس
ابن نودكا بن منشو^(٥) بن نودر بن منوشهر .

وذكر بعض أهل العلم بأخبار الفُرس من خبر فيروز وخبر إخشنوار
نحواً مما ذكرت ؛ غير أنه^(٦) ذكر أن فيروز لما خرج متوجّهاً إلى إخشنوار ،
استخلف على مدينة طيسون^(٧) ومدينة بهر سير^(٨) - وكانتا محلّة الملوك - سوخرا
هذا ، قال : وكان يقال لمزبته قارن ، وكان يليّ معهما سجستان . وأن فيروز
لما بلغ منارة كان بهرام جور ابتناها فيما بين تخوم بلاد خراسان وبلاد الترك؛
لثلا يجوزها الترك إلى خراسان لميثاق كان بين الترك والفرس على ترك الفريقين
التعدى لها؛ وكان فيروز عاهد إخشنوار ألاّ يجاوزها إلى بلاد الهياطلة، أمر فيروز
فصفد^(٩) فيها خمسون فيلاً وثلاثمائة رجل، فجرت أمامه جرّاً، واتّبعها؛ أراد
بذلك زعم الوفاء لإخشنوار بما عاهده عليه ؛ فبلغ إخشنوار ما كان من فيروز
في أمر تلك المنارة، فأرسل إليه يقول : انتهِ يا فيروز عما انتهى عنه أسلافك ،
ولا تُقدّم على ما لم يقدموا عليه . فلم يحفل فيروز بقوله ، ولم تكرّث رسالته؛
وجعل يستطعم محاربة إخشنوار ، ويدعوه إليها ، وجعل إخشنوار يمتنع من محاربتة

(١) ل : « سابور » .

(٢) س : « زهان » .

(٣) س : « يرويه » .

(٤) س : « كردنك » .

(٥) س : « منشو » .

(٦) ل : « من ذلك إلا أنه » . س : « ما قد ذكرت غير أنه » .

(٧) س : « طيسون » ل : « طيسون » .

(٨) ت : « بهرشير » ، ل : « نهرشير » .

(٩) ط : « فضمد » .

ويستكرهها^(١) ؛ لأنّ جلّ محاربة الترك إنّما هو بالخداع والمكر والمكايدة ، وأنّ إخشنوار أمر فحضر خلف عسكره خندق عَرْضُهُ عشرة أذرع ، وعمقه عشرون ذراعاً ، وغمّى بخشب ضعاف ، وألقى عليه تراباً ، ثم ارتحل في جنده ، فمضى غير بعيد ، فبلغ فيروز رحلة إخشنوار بجنده من عسكره^(٢) ، فلم يشكّ في أنّ ذلك منهم انكشاف وهرب ، فأمر بضرب الطبول ، وركب في جنده في طلب إخشنوار وأصحابه ، فأغذوا السير ، وكان مسلكهم على ذلك الخندق . فلما بلغوه أقحموا على عَمَاية^(٣) ، فتردّى فيه فيروز وعامة جنده ، وهلكوا من عند آخرهم .

وإنّ إخشنوار عطف على عسكر فيروز ، فاحتوى على كلّ شيء فيه ، وأسر مؤبذان موبذ ، وصارت فيروز دُخت ابنة فيروز فيمن صار في يده من نساء فيروز ، وأمر إخشنوار فاستخرجت جُثّة فيروز وجُثّة كلّ مَنْ سقط معه في ذلك الخندق ، فوضعت في التواويس ، ودعا إخشنوار فيروز دخت إلى أن يُباشرها ، فأبّت عليه .

وإنّ خبر هلاك فيروز سقط إلى بلاد فارس^(٤) ، فارتجوا له وفزعوا ؛ حتّى إذا استقرّت حقيقة خبره عند سوخرا تأهّب^(٥) وسار في عظم مَنْ كان قبلكه من الجند إلى بلاد الهياطلة . فلما بلغ جرجان بلغ إخشنوار خبر مسيره لمحاربته ، فاستعدّ وأقبل متلقياً له ، وأرسل إليه يستخبره عن خبره ، ويسأله عن اسمه ومرتبته ، فأرسل أنه رجل يقال له سوخرا ، ومرتبته قارن ، وأنه إنما سار إليه لينتقم منه لفيروز ، فأرسل إليه إخشنوار يقول : إنّ سبيلك في الأمر الذي قدّمت له كسبيل فيروز . إذ لم يعقبه في كثرة جنوده من محاربته إيّاي إلا الهلكة والبوار ، فلم ينهني سوخرا قول إخشنوار ، ولم يعبأ به ، وأمر جنوده فاستعدوا وتسلّحوا ، وزحف إلى إخشنوار لشدة إقدامه وحدة قلبه ، فطلب موادعته وصُدّحه ،

(١) ت : « يتكرهها » .

(٢) ت : « معسكره » .

(٣) ط : « غمائه » .

(٤) س : « الفرس » .

(٥) ت : « فاهم » .

فلم يقبل منه سوخرا صلحاً دون أن يصير في يده كل شيء صار عنده من
عسكر فيروز. فسلم إخشنوار إليه ما أصاب من أموال فيروز وخزائنه ومرابطه
ونسائه ، وفيهن فيروز دخت ، ودفع إليه موبدان موبذ وكل أحد كان عنده
من عظماء الفرس ، فانصرف سوخرا بذلك كله إلى بلاد الفرس .

واختلف في مدة^(١) ملك فيروز ، فقال بعضهم : كانت ستاً وعشرين سنة .
وقال آخرون : كانت إحدى وعشرين سنة .

ذكر ما كان من الأحداث في أيام يزْدَجَرْد بن بهرام وفيروز بين عمّالهما على العرب وأهل اليمن

حدّثت عن هشام بن محمد ، قال : كان يخدمُ الملوك من حِمْيَر في زمان ملكهم أبناءُ الأشراف من حِمْيَر وغيرهم من القبائل ؛ فكان ممّن يخدمُ حَسَّان بن تَبَع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي ، وكان سيّدَ كِنْدَةٍ في زمانه . فلمّا سار حَسَّان بن تَبَع إلى جَدِيس خَلَفَه على بعض أموره ، فلما قتل عمرو بن تَبَع أخاه حَسَّان بن تَبَع ، وملك مكانه ، اصطنع عمرو بن حُجْر الكِنْدِي . وكان ذا رأي ونُبُل ؛ وكان ممّا أراد عمرو إكرامَه به وتصغير بني أخيه حَسَّان أن زوجه ابنةَ حَسَّان بن تَبَع ، فتكلّمت في ذلك حِمْيَر . وكان عندهم من الأحداث التي ابتلوا بها ؛ لأنّه لم يكن يطمعُ في التزويعُ إلى أهل ذلك البيت أحد من العرب . وولدت ابنة حسان بن تَبَع لعمرو بن حُجْر الحارث بن عمرو ، وملك بعد عمرو بن تَبَع عبد كُلال بن مَثُوب ؛ وذلك أن ولّد حسان كانوا صغاراً ، إلّا ما كان من تَبَع بن حسان ؛ فإنّ الجنّ استهامته ، فأخذ المُلْكَ عبدُ كُلال بن مَثُوب مخافة أن يطمع في الملك غيرُ أهل بيت المملكة ، فوليه بسنٍّ وتجربة وسياسة حسنة . وكان — فيما ذكروا — على دين النّصرانيّة الأولى ، وكان يُسِرّ ذلك من قومه ، وكان الذي دعاه إليه رجل من غَسَّان ، قدم عليه من الشّأم ، فوثبت حمير بالغسانيّ فقتلته ، فرجع تَبَع بن حسان من استهامة الجنّ إياه صحيحاً ، وهو أعلم الناس بنجم ، وأعقل من تعلّم في زمانه ، وأكثره حديثاً عما كان قبله ، وما يكون في الزمان بعده . فلنك تبّع ابن حسان بن تَبَع بن مَلِكَيْسَ كَرِب بن تَبَع الأقرن ، فهابته حِمْيَر والعرب هيبة شديدة ، فبعث بابن أخته الحارث بن عمرو بن حُجْر الكِنْدِي في جيش عظيم إلى بلاد معدّ والحيرة وما والاها ، فسار إلى النعمان بن امرئ القيس ٨٨٢/١ ابن الشقيقة فقاتله ، فقتل النعمان وعدّة من أهل بيته ، وهزم أصحابه وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر وأمه ماء السماء ، امرأة من التّمير ، فذهب مُلْك

آل النعمان ، وملك الحارثُ بن عمرو الكندى ما كانوا يملكون .

وقال هشام^(١) : ملك بعد النعمان ابنه المنذر بن النعمان وأمّه هند ابنة زيد مناة بن زيد الله بن عمرو الغسّاني أربعاً وأربعين سنة ؛ من ذلك فى زمن بهرام جور بن يزدجرد ثمانى سنين وتسعة أشهر ، وفى زمن يزدجرد بن بهرام ثمانى عشرة سنة . وفى زمن فيروز بن يزدجرد سبع عشرة سنة . ثم ملك بعده ابنه الأسود بن المنذر ، وأمّه هرّ ابنة النعمان من بنى الهيجمّانة ، ابنة عمرو بن أبى ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وهو الذى أسرته فارس عشرين سنة ؛ من ذلك فى زمن فيروز بن يزدجرد عشر سنين ، وفى زمن بلاش بن يزدجرد أربع سنين ، وفى زمن قباد بن فيروز ، ست سنين .

* * *

[ذكر ملك بلاش بن فيروز]

ثم قام بالملك بعد فيروز بن يزدجرد ابنه بلاش بن فيروز بن يزدجرد ابن بهرام جور ، وكان قباد أخوه قد نازعه الملك ، فغلب^(٢) بلاش ، وهرب قباد إلى خاقان ملك التّرك يسأله المعونة والممدد ، فلما عقّد التاج لبلاش على رأسه اجتمع إليه العظماء والأشراف فهنّوه ودعّوا له ، وسألوه أن يكافئ سوخرا بما كان منه ، فخصّه وأكرمه وجبّاه ، ولم يزل بلاش حسن السيرة ، حريصاً على العِمارة . وكان بلغ من حسن نظره أنه كان لا يبلغه أن بيتاً خرب وجلاً أهله عنه إلاّ عاقب صاحب القرية التى فيها ذلك البيت على تركه انتعاشهم وسدّ فاقنتهم حتى لا يضطروا إلى الجلاء عن أوطانهم ، وبنى بالسّواد مدينة سمّاها بلا شاواذ ، وهى مدينة ساباط التى بقرب المدائن . وكان ملكه أربع سنين .

* * *

[ذكر ملك قباد بن فيروز]

ثم ملك قباد بن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور ، وكان قباد قبل أن يصير الملك إليه قد سار إلى خاقان مستنصرأه على أخيه بلاش ، فرّ فى طريقه بحدود

(٢) س : « فغلبه » .

(١) س : « غير هشام » .

نيسابور، ومعه جماعة يسيرة ممن شابعه على الشخوص متنكرين ، وفيهم زَرَمِهَر بن سوخرا ، فتاقت نفسُ قباد إلى الجماع ، فشكا ذلك إلى زَرَمِهَر، وسأله أن يلتمسَ له امرأة ذاتَ حَسَب ، ففعل ذلك، وصار إلى امرأة صاحب منزله ، وكان رجلا من الأساورة ، وكانت له ابنة بكتر فائقة في الجمال ، فتنصَّح لها في ابنتها ، وأشار^(١) عليها أن تبعثَ بها إلى قباد ، فأعلمت ذلك زوجها ؛ ولم يزل زَرَمِهَر يُرغِّبُ المرأةَ وزوجتها ؛ ويشير عليهما بما يرغبهما فيه حتى فعلا ، وصارت الابنةُ إلى قباد ، واسمها نيوندخت^(٢) ، فغشيها ٨٨٤/١ قباد في تلك الليلة ، فحملتْ بأنو شيروان ، فأمر لها بجائزة حسنة ، وجباها حياءَ جزيلا .

وقيل : إنَّ أمَّ تلك الجارية سألتها عن هيئة قباد وحاليه ، فأعلمتها أنها لا تعرفُ من ذلك غير أنها رأت سراويله منسوجا بالذهب ، فعلمتْ أمُّها أنه من أبناء الملوك وسرها ذلك . ومضى قباد إلى خاقان ، فلما وصل إليه أعلمه أنه ابنُ ملكِ فارس ، وأن أخاه ضادة في الملك وغبه ، وأنه أياه يستنصره فوعده أحسنَ العدة ، ومكث قباد عند خاقان أربع سنين يدافعه بما وعده . فلما طال الأمرُ على قباد أرسل إلى امرأة خاقان يسألها أن تتخذَه ولدا ، وأن تُكَلِّمَ فيه زوجها ، وتسأله إنجاز عِدته ففعلت ، ولم تزل تحمِلُ على خاقان حتى وَجَّهَ مع قباد جيشا ، فلما انصرف قباد بذلك الجيش ، وصارَ في ناحية نيسابور سألَ الرَّجُلَ الذي كان أياه بالجارية عن أمرها ، فاستخبر ذلك من أمِّها ، فأخبرته أنها قد ولدتُ غلاما ، فأمر قباد أن يُؤتَى بها ، فأتته ومعها أنو شروان تقوده بيدها . فلما دخلت عليه سألها عن قصة الغلام ، فأخبرته أنه ابنه ، وإذا هو قد نَزَعَ إليه في صورته وجماله .

ويقال : إنَّ الخبر ورد عليه في ذلك الموضع بهلاك بلاش ، فتيمن بالمولود ، وأمر بحمله وحملَ أمه على مراكب نساء الملوك ، فلما صار إلى المدائن^(٣) ،

(١) ت : « وسألها » .

(٢) ت : « بيوندخت » ، س : « بيوندخت » .

(٣) س : « بالمدائن » .

٨٨٥/١ واستوثق له أمرُ المُلْكِ خصَّ سوخرا، وفوض إليه أمره، وشكر له ما كان من خدمة ابنه إياه، ووجه الجنود إلى الأطراف، ففتكوا في الأعداء، وسبوا سيابا كثيرة، وبني بين الأهواز وفارس مدينة الرّجّان، وبني أيضا مدينة حُلوان، وبني بكورة أردشير خيرة في ناحية كارزين^(١) مدينة يقال لها قباد خرة، وذلك سوى مدائن وقرى أنشأها، وسوى أنهار احتفرها، وجسور عقدها. فلما مضت أكثر أيامه، وتولى سوخرا تدبير مملكه وسياسة أموره مال الناس عليه، وعاملوه واستخفوا بقباد، وتهانوا بأمره، فلما احتسنتك لم يحتمل ذلك، ولم يرض به، وكتب إلى سابور الرازي - الذي يقال للبيت الذي هو منه مِهْران، وكان إصبهتند البلاد - في القدوم عليه فيمن قبله من الجند، فقدم سابور بهم عليه، فواصفه قباد حالة سوخرا، وأمره بأمره فيه، فغدا سابور على قباد فوجد عنده سوخرا جالسا، فشى نحو قباد متجاوزا له متغافلا^(٢) لسوخرا، فلم يأت به سوخرا لذلك من أرب سابور، حتى ألقى وهما^(٣) كان معه في عنقه، ثم اجتذبه فأخرجه فأوثقه واستودعه السّجن، فحينئذ قيل: «نقصت ريع سوخرا وهبت لمِهْران ريع^(٤)»، وذهب ذلك مثلا. وإن قباد أمر بعد ذلك بقتل سوخرا فقتل، وإنه لما مضى لمُلْك قباد عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبذ والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه عنه وحسوه، لمتابعته^(٥) لرجل يقال له مَزْدَك مع أصحاب له قالوا: إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بينهم بالتأسي، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردّون من المُكثِرِينَ على المُقلِّين، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره، فافترّص السّفلة ذلك واغتنموه، وكانقوا^(٦) مزدك وأصحابه وشايعوهم، فابتلى الناس بهم، وقوى أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرّجل في داره فيغلبونه على منزله

(١) س: «كازرون». ت: «كارون».

(٢) س: «متغفلا».

(٣) الوهق: الحبل في طرفيه أنشودة يطرح في عنق الدابة أو الإنسان حتى يؤخذ.

(٤) ت: «وهبت ريع بهرام». (٥) ت: «لمتابعته».

(٦) المكافئة: المعاونة.

ونسائِه وأمواله ، لا يستطيع الامتناعَ منهم ، وحملوا قُبَاذَ على تزيين ذلك وتوعده بخلعه ، فلم يلبثوا إلّا قليلاً حتى صاروا لا يعرفُ الرجلُ منهم ولدَه ، ولا المولودُ أباه ، ولا يملكُ الرجلُ شيئاً ممّا يتسع به . وصيّرُوا قُبَاذَ في مكان لا يصل إليه أحد سواهم ، وجعلوا أخاً له يُقال له جاماسب مكانَه ، وقالوا لقُبَاذَ : إنَّكَ قد أُمِيتَ فيما عملتَ به فيما مضى ، وليس يطهرك من ذلك إلّا إباحتُ نسائك ، وأرادوه على أن يدفعَ إليهم نفسَه فيذبحوه ويجعلوه قُرباناً للنَّار ، فلما رأى ذلك زَرَمِيهْرُ بن سوخرا خرج بمن شايعه من الأشراف باذلاً نفسَه ، فقتلَ من المَزْدَكِيَّة ناساً كثيراً ، وأعاد قُبَاذَ إلى مُلكه ، وطرح أخاه جاماسب . ثم لم يزل المَزْدَكِيَّة بعد ذلك إنمّا يُحرِّشون قُبَاذَ على زَرَمِيهْر حتى قتله ، ولم يزل قُبَاذَ من خيار ملوكهم حتى حمله مَزْدَك على ما حمله عليه ؛ فانتشرت (١) الأطرافُ وفسدت الثغور .

* * *

وذكر بعضُ أهلِ العلم بأخبار الفُرس أنَّ العظماءَ من الفرس هم حسبوا قُبَاذَ حين اتَّبع مَزْدَكَ وشايعه على ما دعاه اليه من أمره ، وملَّكوا مكانه أخاه جاماسب بنَ فيروز ، وأنَّ أختاً لقُبَاذَ اتَّت الحبسَ الذي كان فيه قُبَاذُ محبوساً ، فحاولت الدخولَ عليه (٢) ، فنعها إياه الرجلُ الموكَّلُ كان بالحبسِ ومَنَ فيه ، وطمع الرجلُ أن يفضَحَها بذلك السبب ، وأتَى إليها طمعه فيها ، فأخبرته أنها غيرُ مخالفتِه في شيء ممّا يَهْوَى منها ، فأذن لها فدخلت السجنَ فأقامت عند قُبَاذَ يوماً ، وأمرت فلدفَّ قُبَاذُ في بساط من البُسْطِ التي كانت معه في الحبسِ ، وحُمِّلَ على غلام من غلمانِه قوى ضابط ، وأُخرجَ من الحبسِ . فلما مرَّ الغلامُ بوالى الحبسِ سأله عما كان حاملَه فأفحِمَ ، واتَّبَعته أختُ قُبَاذَ فأخبرته أنه فِرَاشٌ كانت افترشته في عراكها ، وأنها إنما خرجت لتتَطَهَّرَ وتنصرفَ ؛ فصدَّقَها الرجلُ ولم يمسَّ البساطَ ، ولم يدنُ منه استقذاراً له ، وخلَّى عن الغلامِ الحاملِ لقُبَاذَ ، فضى بقُبَاذَ ومضتْ على أثره . وهرَّبَ قُبَاذُ فلحقَ بأرض الهياطلةَ ليستمدَّ ملكَها ويستجيشه فيُحاربَ

(١) انتشرت الأطراف ، أى تفرق أمر الناس فيها . (٢) س : « إليه » .

من خالفه وخلعه . وأنه نزل في مبدئه ^(١) إليها بأبر شهر رجل من عظماء أهلها ،
 له ابنة "مُعَصِر" ^(٢) ، وأنَّ نِكَاحَهُ أُمَّ كَسْرَى أَنْوَشِرَوَانْ كَانَ فِي سَفَرِهِ ^(٣)
 هذا ، وأنَّ قَبَاذَ رَجَعَ مِنْ سَفَرِهِ ذَلِكَ مَعَ ابْنِهِ أَنْوَشِرَوَانْ وَأُمِّهِ ، فَغَلَبَ أَخَاهُ
 جَامَاسِبَ عَلَى مُلْكِهِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَ أَخُوهُ جَامَاسِبَ سِتَّ سِنِينَ ، وَأَنَّ قَبَاذَ
 غَزَا بَعْدَ ذَلِكَ بِلَادَ الرُّومِ ، وَافْتَتَحَ مِنْهَا مَدِينَةً مِنْ مَدُنِ الْجَزِيرَةِ تُدْعَى
 آمِدَ ، وَسَمَّى أَهْلَهَا ، وَأَمْرَفُسْنِيَّتَ فِي حَدِّ مَا بَيْنَ فَارِسَ وَأَرْضِ الْأَهْوَازِ
 مَدِينَةً ، وَسَمَّاها رَامَقَبَاذَ ^(٤) ، وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى بَوْمَقَبَاذَ ^(٥) ، وَتُدْعَى أَيْضًا أَرْجَانْ
 وَكُورْ كُورَةَ ، وَجَعَلَ لَهَا رَسَاتِيْقَ مِنْ كُورَةِ سَرَقَ ، كُورَةِ رَامِ هَرْمَزَ ، وَمَلَكَ
 قَبَاذُ ابْنَهُ كَسْرَى ، وَكُتِبَ لَهُ بِذَلِكَ كِتَابًا وَخْتَمَهُ بِخَاتَمِهِ .

٨٨٨/١

فلما هلك قَبَاذُ — وَكَانَ مُلْكُهُ بَسْنَى ^(٦) مُلْكِ أَخِيهِ جَامَاسِبَ :
 ثَلَاثًا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً — فَنَفَذَ كَسْرَى مَا أَمَرَ بِهِ قَبَاذُ مِنْ ذَلِكَ .

(١) الأصول : « مبداء » .

(٢) المعصر : البنت التي بلغت شبابه ، وفي س : « محسن » .

(٣) ت : « سيره » .

(٤) ط : « رام قَبَاذَ » ، وما أثبتته من تصحيحات ط ص ٥٩١ .

(٥) ط : « برمقباذ » ، وانظر تصويبات ط .

(٦) ت : « كسنى » .

ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام قباذ في مملكته وبين عماله

وحدثت عن هشام بن محمد، قال: لما لقي الحارث بن عمرو بن حُجْر ابن عدى الكندي النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن الشقيقة قتله، وأفلته المنذر بن النعمان الأكبر، وملك الحارث بن عمرو الكندي ما كان يملك، بعث قباذ بن فيروز ملك فارس إلى الحارث بن عمرو الكندي: إنه قد كان بيننا وبين الملك الذي قد كان قبلك عهد، وإني أحب أن ألقاك.

وكان قباذ زنديقاً يُظهرُ الخيرَ ويكره الدماء، ويدارِ أعداءه فيما يكره من سفك الدماء، وكثرت الأهواء في زمانه، واستضعفه الناس، فخرج إليه الحارث بن عمرو الكندي في عددٍ وعدة حتى التقوا بقنطرة الفسيوم، فأمر قباذ بطبق من تمر فنزع نواه، وأمر بطبق فجعل فيه تمر فيه نواه، ثم وضيعا بين أيديهما، فجعل الذي فيه النوى يلي الحارث بن عمرو، والذي لا نوى فيه يلي قباذ.

فجعل الحارث يأكل التمر ويلتقي النوى، وجعل قباذ يأكل ما يليه، وقال للحارث: مالك لا تأكل مثل^(٣) ما آكل! فقال: [له الحارث]^(٤) إنما يأكل النوى إبلنا وغنمنا. وعلم أن قباذ يهزأ به، ثم اصطالحا على أن يُورد الحارث بن عمرو ومن أحب من أصحابه خيولهم القرات إلى ألبابها^(٥)، ولا يجاوزوا أكثر من ذلك. فلما رأى الحارث ما عليه قباذ من الضعف طمى في السواد، فأمر أصحابه مسالحه أن يقطعوا القرات فيغيروا في السواد، فأتى قباذ الصريخ وهو بالمداخن فقال: هذا من تحت كتف ملوكهم. ثم أرسل إلى الحارث بن عمرو أن لصوصاً من لصوص

(١) ط: «ما ذكر»، وما أثبتته عن ت.

(٢) ت: «من».

(٣) ت: «كما آكل».

(٤) تكلة من ت.

(٥) الألباب: جمع لبيب، وهو المنحدر.

العرب قد أغاروا ، وأنه يجب لقاءه . فلقىّه ، فقال له قُبَاذُ : لقد صنعت صنيعاً ما صنعه أحد قبلك ، فقال له الحارثُ : ما فعلتُ ولا شعرتُ ، ولكنها لصوصٌ من لصوص العرب ، ولا أستطيع ضبط العرب إلاّ بالمال والجنود ، قال له قُبَاذُ : فما الذى تريد ؟ قال : أريدُ أن تُطعِمَنِي من السّواد ما أتناخِذُ به سلاحاً ، فأمر له بما يلي جانب العرب من أسفل الفرات ، وهى ستّة طساسيج^(١) ، فأرسل الحارثُ بن عمرو الكندى إلى تَبَعٍ وهو باليمن : إننى قد طمعت فى ملك الأعاجم ، وقد أخذتُ منه ستّة طساسيج ، فاجتمع الجنود وأقبل فإنه ليس دون ملكهم شىءٌ لأن الملك [عليهم] لا يأكل اللحم ، ولا يستحل هراقة الدماء لأنه زنديق . فجمع تَبَعُ الجنود ، وسار حتى نزل الحيرة وقرب من الفُرات ، فأذاه البقُّ ، فأمر الحارث بن عمرو أن يشقّ له نهراً إلى الشّجف ففعل ، وهو نهر الحيرة . فنزل عليه ووجه ابن أخيه شميراً ذا الجناح إلى قُبَاذ ، فقاتله فهزمه شمرٌ حتى لحق بالرى ، ثم أدركه بها فقتله ، وأمضى تَبَعٌ شميراً ذا الجناح إلى خُرّاسان ، ووجه تَبَعُ ابنه حسان إلى الصّغد ، وقال : أيكما سبق إلى الصين فهو عليها . وكان كل واحد منهما فى جيش عظيم ؛ يقال : كانا فى ستّمائة ألفٍ وأربعين ألفاً . وبعث ابن أخيه يعفر إلى الروم ، وهو الذى يقول :

أيا صاح عَجَبُكَ للداهية الحُمير إذ نزلوا الجابية !
ممانون ألفاً رَوَاياهُمُ لكل ممانية راوية

فسار يعفر حتى أتى القسطنطينية ، فأعطوه الطاعة والإتاوة ، ثم مضى إلى رومية^(٢) وبينهما مسيرة أربعة أشهر ، فحاصرها وأصاب من معه جوع ، ووقع فيهم طاعونٌ فرّقوا ، فأبصرهم الروم وما لقوا ، فوثبوا عليهم فقتلوهم ، فلم يُفْلِتَ منهم أحدٌ . وسار شمرٌ ذو الجناح حتى أتى سمرقند ، فحاصرها

(١) طساسيج : جمع طسوج ؛ وهو الناحية .

(٢) تكلّة من ت .

(٣) ت « الرمية » .

فلم يَظْفَرْ بشيءٍ منها . فلما رأى ذلك أطاف بالحرَس ، حتى أخذ رجلاً من أهلها ، فسأله عن المدينة ومَلِكِها ، فقال له : أَمَا مَلِكُها فأحرقُ الناس ، ليس له همٌ إلا الشرابُ والأكلُ ، وله ابنةٌ وهى التى تقضى أمرَ الناس . فبعث معه بهديّةً إليها ، فقال له : أخبرها أننى إنما جئتُ من أرض العربِ للذى بلغنى من عقْلِها لتُنسِكِحَ حتى نفسَها ، فأصيبَ منها غلاماً يملكُ العجمَ والعربَ ، وأنى لم أجئُ أَلتمسَ المالَ ، وأنّ معى أربعةَ آلافَ تابوتٍ من ذهبٍ وفضةٍ هاهنا ، فأنا أدفعُها إليها ، وأمضى إلى الصين ، فإن كانت الأرضُ لى كانت امرأتى ، وإن هَلَكْتُ كان ذلك المالُ لها . فلما أنهيت (١) إليها رسالته قالت : قد أجبتُهُ فليبعثْ بما ذَكَر ، فأرسل إليها أربعةَ آلافِ تابوتٍ ، فى كلِّ تابوتٍ رجلان ، فكان لسمركنْد أربعةَ أبوابٍ على كلِّ بابٍ منها أربعةَ آلافَ رجلٍ ، وجعل العلامةَ بينه وبينهم أن يضربَ لهم بالجلجلِ . وتقدّمَ فى ذلك إلى رُسُلِهِ الذين وَجَّهَ معهم ، فلما صاروا فى المدينة ضربَ لهم بالجلجلِ فخرجوا ، فأخذوا بالأبوابِ ، ونهَدَ شمرِ فى الناس ، فدخل المدينة فقتلَ أهلَها وحوى ما فيها . ثم سار إلى الصين ، فلقى زحُوفَ التركِ فهزَمَهم ، ومضى إلى الصّين فوجد حسانَ بنَ تَبَّعٍ قد كان سبقه إليها بثلاثِ سنين ، فأقاما بها — فيما ذَكَرَ بعضُ الناس — حتى ماتا . وكان مُقَامُهُما إحدى وعشرين سنة .

قال : وقال مَن زعمَ أنهما أقاما بالصين حتى هلكا : إن تَبَّعاً جعل النارَ فيما بينه وبينهم ، فكان إذا حدثَ حدثٌ أوقدوا النارَ بالليل ، فأتى الخبرُ فى ليلةٍ ، وجعل آيةَ ما بينه وبينهم أن إذا أوقدتُ نارينِ مِن عندى فهو هلاكٌ يعفُرُ ، وإن أوقدتُ ثلاثاً فهو هلاكٌ تَبَّعٍ ، وإن كانت مِن عِندِهِم نارٌ فهو هلاكٌ حسان ، وإن كانت نارينِ فهو هلاكُهُما . فكثروا بذلك .

ثم إنه أوقد نارينِ فكان هلاكٌ يعفُرُ ، ثم أوقد ثلاثاً فكان هلاكٌ تَبَّعٍ قال : وأما الحديثُ المجمعُ عليه فإن شَمِرَاً وحسانَ أنصَرَ فى الطريق الذى كانا أخذا فيه حيث بدأ ، حتى قدِمَا على تَبَّعٍ بما حازا من الأموال بالصين ، وصنوف

(١) ت « انتهت » .

الجمهور^(١) والطَّيِّب والسَّيِّ ، ثم انصرفوا جميعاً إلى بلادهم ، وسار^(٢) تُبَّعَ حتى قدِم مكةَ ، فنزل بالشَّعب من المطابخ^(٣) ، وكانت وفاةُ تُبَّعَ باليمن ، فلم يخرج أحدٌ من ملوكِ اليمن بعدهُ عنها غازياً إلى شيء من البلاد ، وكان مُلْكُه مائةً وإحدى وعشرين سنة .

قال : ويُقال إنه كان دخل في دين اليهود للأخبار الذين كانوا خرجوا من يثرب مع تُبَّعَ إلى مكةَ عِدَّةٌ كثيرة .

قال : ويقولون : إن عِلْمَ كعب الأخبار كان من بقية ما أُوْرثت تلك الأخبار ، وكان كعبُ الأخبار رجلاً من حمير .

وأما ابنُ إسحاق فإنه ذكر أنَّ الذي سار إلى المشرق من التابعةِ تُبَّعَ الآخرُ ، وأنه تبعَ ثُبَّانَ أسعد أبو كرب بنِ مليك كُرب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار ، وهو أبو حسان ، حدثنا بذلك ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه .

* * *

[ذكر ملك كسرى أنوشيروان]

ثم ملك كِسْرَى أنُوشِروان بن قُبَادَ بن فيروز بن يَزْدَجِرْد بن بهرام جور . فلما ملك كتب إلى أربعة فاذوسباين - كان كلُّ واحدٍ منهم على ناحية من نواحي بلاد فارس ومن قِبَلهم - كُتُباً نُسخةُ كتابه منها إلى فاذوسباين أذربيجان : بسم الله الرحمن الرحيم : من الملك كسرى بن قُبَادَ إلى وارى ابن النخیرجان فاذوسباين أذربيجان وأرمينية وحيزها ، ودُبَاوَنَد وطَبَرَسْتَان وحيزها ، ومن قِبَله : سلام ، فإنَّ أحررى ما استوحشَ له الناسُ فَقَدْ مَنْ تخوَّفُوا في فَقْدِهِمْ إِيَّاه زوالَ النِّعَمِ ووقوعَ الفِتَنِ ، وحُلُولِ المَكَاَرِه بِالْأَفْضَلِ فالأَفْضَلِ منهم ، في نفسه أو حشمه أو ماله أو كريمه ، وإنَّا لا نعلم

٨٩٣/١

(١) س : « الجواهر » .

(٢) ت : « ثم سار » .

(٣) المطابخ ؛ موضع بمكة ، ذكره ياقوت ؛ وقال : « مذكور في قصة تبع » .

وَحَشَّةٌ وَلَا فَقْدَ شَيْءٍ أَجَلَ رَزِيئَةٍ عِنْدَ الْعَامَةِ ، وَلَا أُحْرَى أَنْ تَعُمَّ بِهِ الْبَلِيَّةُ مِنْ فَقْدِ مَلِكٍ صَالِحٍ .

وإن كِسْرَى لما استحکم له المُلْكُ أبطلَ ملَّةَ رجلٍ منافقٍ من أهل فِسا يقال له: « زارذشت ^(١) » بن خُرَّكان « ابتدعها في المجوسية ، فتابعه الناسُ على بدعته تلك ، وفاق أمره فيها ، وكان ممن دعا العامةَ إليها رجلٌ من أهل مَدرية ^(٢) » يُقالُ له: « مزدق بن بامداد ^(٣) » ، وكان ممَّا أمرَ به الناسُ وزيرُنه لهم وحشَّهم عليه ، التَّاسِي في أموالهم وأهليهم ، وذَكَرَ أن ذلك من البِرِّ الذي يَرْضاه الله وَيُثِيبُ عليه أحسنَ الثَّوَابِ ، وأنه لو لم يكن الذي أمرهم به ، وحشَّهم عليه من الدِّينِ كان مَكْرُمَةً في الفِعالِ ، ورضًا في التفاوض . فحَصَّ بذلك السَّفَلَةَ على العلنية ، واختلطَ له أجناسُ اللُّؤماءِ بعناصرِ الكَرَماءِ ، وسهَّلَ السَّبيلَ ^(٤) للغصبةِ إلى الغصبِ ، وللظلمةِ إلى الظُّلمِ ، وللعُهارِ إلى قضاءِ نهمَتهم ، والوصولِ إلى الكرائمِ اللَّائِي لم يكونوا يطمعونَ فيهنَّ ، وشَمِلَ الناسَ بلاءٌ عظيمٌ لم يكن لهم عهدٌ بمثله . فنهى الناسُ كسرى عن السَّيْرِ بشيءٍ مما ابتدع زرادشت ^(٥) خُرَّكان ، ومزدقُ بن بامداد ^(٦) ، وأبطلَ بدعتهما ، وقتَلَ بشرًّا كثيرًا ثبَتُوا عليها ، ولم ينتهوا عما نهاهم عنه منها ، وقومًا من المَنانيَّةِ ، ^(٧) وثَبَّتَ للمجوسِ ملَّتهم التي لم يَزَالُوا عليها .

وكان يلي الإصْبَهَنَدَةَ وهى الرِّياسَةُ على الجنودِ - قَبيلَ مُلْكِهِ رجلٌ ، وكان إليه إصْبَهَنَدَةُ البلادِ ، ففرَّقَ كسرى هذه الولايةَ والمِرتبةَ بينَ أربعةِ إصْبَهَنَدِينَ ، منهم أَصْبَهَنَدُ المَشْرِقِ وهو خراسانُ وما والاها ، وأصْبَهَنَدُ المَغْرِبِ ، وأصْبَهَنَدُ نيمروز ، وهى بلادُ اليَمَنِ ، وأصْبَهَنَدُ أَذْرَبَيْجانَ وما والاها ، وهى

(١) م : « زردشت » .

(٢) ت : « مدرية » .

(٣) ت : « بامارد » .

(٤) س : « السبل » .

(٥) م : « زردشت » .

(٦) ت : « بامازد » .

(٧) تجارب الأمم ١ : ١٧٧ : « المانوية » .

بلادُ الخزر ، [وما والاها] ^(١) ؛ لما رأى في ذلك من النظامِ المُلكيهِ ، وقوّى
المقاتلةَ بالأسلحةِ والكُراع ، وارتجع بلاداً كانت من مملكةِ فارس ، خرج
بعضُها من يد الملكِ قَبّاذ إلى ملوكِ الأُمم لعللِ شتّى وأسباب ، منها السُّند ،
وَبُسْت ، والرُّخَج ، وزابُلُسْتَان ، وطَخَارِسْتَان ، ودرَدِسْتَان ، وكابُلُسْتَان ،
وأعظمَ القتلِ في أمةٍ يقالُ لها البارز ، ^(٢) وأجلى بقيّتهم عن بلادِهِم ،
وأسكنهم مواضعَ من بلادِ مملكتهِ ، وأذعنوا له بالعبوديّةِ ، واستعانَ بهم في
حروبه ، وأمر فأسِرَت أمةٌ أخرى ، يقالُ لها صُول ، وقُدِمَ بهم عليه ،
وأمر بهم فقَتِلوا ، ما خلا ثمانينَ رجلاً من كُماثيهم استحياهم ، وأمرَ بإنزاهم
شهرامَ فيروز ، يستعينُ بهم في حروبه .

٨٩٥/١

وإن أمةً يقالُ لها أبخِز ، وأمةٌ يقالُ لها بنجر ، وأمةٌ يقالُ لها بلنجر ،
وأمةٌ يقالُ لها الأَن ، تمالكوا على غزوِ بلادِهِ ، وأقبلوا إلى أرمينيةَ لِيُغَيروا على
أهلها ، وكان مَسْلَكُهُم إليها يومئذ سهلاً مُمكنيناً ، فأغضى كسرى على
ما كان منهم ، حتى إذا تمكَّنوا في بلادِهِ وجّهَ إليهم جنوداً ، فقاتلوهم واصطَلَموهم
ما خلا عَشْرةَ آلافِ رجلٍ منهم أسروا ، فأسَكِنوا أذَرَبِيجانَ وما والاها ،
وكان الملكُ فيروزُ بنى في ناحيةِ صُول والأَن بناءً بصخَرٍ أراده ^(٣) أن
يحصنَ بلادَهُ عن تناولِ تلكِ الأُممِ إِيَّاهَا ، وأحدثَ الملكُ قَبّاذُ بنَ فيروز
من بَعْدِ أبيهِ في تلكِ المواطنِ بناءً كثيراً ، حتى إذا ملكَ كسرى أمرَ فَبُنِيَتْ
في ناحيةِ صُول بصخَرٍ منحوتٍ في ناحيةِ جرجانَ مدنٌ وحصونٌ وآكامٌ
وبنيانٌ كثيرٌ ، ليكونَ حِرْزاً لأهلِ بلادِهِ يلجئونَ إليها من عدوٍ إن دَهِمهم .

وإن سِنَجِيبُوا خاقانَ كانَ أَمْنَعُ التُّركِ وأشجعُهم ، وأعزُّهم وأكثرهم
جنوداً ، وهو الذي قاتلَ وزر ^(٤) مَلِكَ الهياطِلةِ غيرَ خائفٍ كثرةَ الهياطِلةِ
ومَنَعَتَهُم ، فقتلَ وزرَ مَلِكُها وعامةَ جنوده ، وغنمَ أموالَهُم ، واحتوى على

(١) تكلة من ت .

(٢) الأصول : « البارز » .

(٣) ت : « أراد » .

(٤) ت : « دوز » .

ببلادهم إلا ما كان كسرى غلب عليه منها ، وإنه استمال أبخز ، وبنجر ، وبلنجر ، فنحوه طاعتهم وأعلموه أن ملوك فارس لم يزالوا يتقونهم بفداء يكفونهم^(١) به عن غزو بلادهم ، وإنه أقبل في مائة ألف وعشرة آلاف مقاتل حتى شارف ما وإلى بلاد صول ؛ وأرسل إلى كسرى في توعده منه إياه واستطالة عليه ، أن يسبعث إليه بأموال ، وإلى أبخز وبنجر وبلنجر بالفداء الذي كانوا يعطونه إياه قبل ملك كسرى ، وأنه إن لم يعجل بالبعثة إليه بما سأل وطى بلاد وناجزه . فلم يحفل كسرى بوعيده ، ولم يجبه إلى شيء مما سأله لتحصينه كان ناحية باب^(٢) صول ، ومناعة السبل والفجاج التي كان سينجبوا خاقان سالكتها إياه ، ولمعرفته كانت بمقدرته على ضبط ثغر أرمينية بخمسة آلاف مقاتل من الفرس والرجالة .

فبلغ سنجبوا خاقان تحصين كسرى ثغر صول ، فانصرف بمن كان معه إلى بلاده خائباً ، ولم يقدر من كان يلزاه جرجان من العدو - للحصون التي كان أمر كسرى فبنيته حوليتها - أن يشنوها بغارة ، ويغلبوا عليها ، وكان كسرى أنوشروان قد عرف الناس منه فضلاً في رأيه وعلمه وعقله ، وبأسه وحزمه ، مع رأفته ورحمته بهم ، فلما عقيد التاج على رأسه دخل إليه العظماء والأشراف فاجتهدوا في الدعاء له ، فلما قضوا مقاتلتهم ، قام خطيباً ، فبدأ بذكر نعم الله على خلقه عند خلقه إياهم ، وتوكله بتدبير أمورهم ، وتقدير الأقوات والمعاش لهم ، ولم يدع شيئاً إلا ذكره في خطبته ، ثم أعلم الناس ما ابتلوا به من ضياع أمورهم ، وانحناء دينهم ، وفساد حالهم في أولادهم ومعاشهم ، وأعلمهم أنه ناظر فيما يصلح ذلك ويحسمه ، وحث الناس على معاونته .

ثم أمر برعوس المزدكية فضربت أعناقهم ، وقسمت أموالهم في أهل الحاجة ، وقتل جماعة كثيرة ممن كان دخل على الناس في أموالهم ، ورد الأموال إلى أهلها ، وأمر بكل مولود اختلّف فيه عنده أن يسلحق بمن هو منهم ؛ إذا لم

(١) س : « ويكفونهم » .

(٢) س : « بلاد » .

يُعرفُ أبوه ، وأنَّ يُعطى نصيباً من مال الرجل الذى يُسندُ إليه إذا قبله الرجلُ ، وبكلِّ امرأة غلبتْ على نفسها أن يؤخذَ الغالبُ لها حتى يغرمَ لها مهرها ، وبرضى أهلها . ثم تُخيَّر المرأة بين الإقامة عنده ، وبين تزويج من غيره ؛ إلا أن يكونَ كان لها زوج أوَّل ، فتُردُّ إليه . وأمر بكلِّ من كان أضرب رجل في ماله أو ركب أحداً بمظلمة أن يؤخذ منه الحقُّ ثم يعاقب الظالم بعد ذلك بقدر جرَّمه . وأمر بعيال ذوى الأحساب الذين مات قبيتهم فكُتبوا له ، فأُنكح بناتهم الأكفاء ، وجعل جهازهم من بيت المال ، وأنكح شبانهم من بيوتات الأشراف وساق عنهم ، وأغناهم ، وأمرهم بملازمة بابهم ليستعان بهم في أعماله ، وخيَّر نساء والده بين أن يُقيمْنَ مع نسائه فيوأسينَ ويصرنَ في الأجر إلى أمثالهنَّ ، أو يبتغى لهنَّ أكفاءهنَّ من البعولة . وأمر بكبرى الأنهار ، وحفر القنَّى وإسلاف (١) أصحاب العمارات وتقويتهم ؛ وأمر بإعادة كلِّ جسر قطع أو قطرة كسرت ، أو قرية خربت أن يردَّ ذلك إلى أحسن ما كان عليه من الصلاح ، وتفقَّد الأساورة ، فمن لم يكن له منهم يسار قواه بالدواب والعدة ، وأجرى لهم ما يُقوِّمهم ووكل ببيوت النيران ، وسهل سبل الناس ، وبني في الطرق القصور والحصون ، وتخيَّر الحكام والعمال والولاة ، وتقدَّم إلى مَنْ ولى منهم أبلغ التقدَّم ، وعهد إلى سيِّر أردشير وكتبه وقضاياه ، فاقتدى بها وحَمَلَ الناس عليها ، فلما استوثق له المُلْك ، ودانت له البلاد سار نحو أنطاكيةَ بعدسنيين من مُلكه ، وكان فيها عظماء جنود قبيصر ، فافتتحها . ثم أمر أن تُصوِّر له مدينة أنطاكيةَ على ذرعها وعدد منازلها وطرقها ، وجميع ما فيها ، وأن يبتنى له على صورتها مدينة إلى جنب المداخن ، فبنيت المدينة المعروفة بالروميةَ على صورة أنطاكيةَ ، ثم حمل أهل أنطاكيةَ حتى أسكنهم إياها .

٨٩٨/١

فلما دخلوا باب المدينة مضى أهلُ كل بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التى كانوا فيها بأنطاكيةَ ؛ كأنهم لم يخرجوا عنها .

ثم قصد المدينة هرقل فافتتحها ، ثم الإسكندرية ومادونها ، وخلف طائفة من

(١) إسلافهم : إقراضهم .

جنوده بأرض الروم ، بعد أن أذعن له ^(١) قَتَيْصِر وحمل إليه الفدية ، ثم انصرف من الروم ، فأخذ نحو الحَزْر فأدرك فيهم تَبَلَّة ، وما كانوا وتروه به في رعيته . ثم انصرف نحو عَدَن ، فسكّر ناحية من البحر هناك بين جبلين مما يلي أرض الحبشة بالسفن العظام والصخور وعمد الحديد والسلاسل . وقتل عظماء تلك البلاد .

ثم انصرف إلى المدائن ؛ وقد استقام له مادون هرقله من بلاد الروم وأرمينية ، وما بينه وبين البحرين من ناحية عَدَن .

٨٩٩/١

وملك المنذر بن النعمان على العرب وأكرمه ، ثم أقام في ملكه بالمدائن ، وتعاهد ما كان يحتاج إلى تعاذه . ثم سار بعد ذلك إلى الهياطة مطالباً بوْتَر فيروز جدّه — وقد كان أنوشروان صاهر خاقان قبل ذلك — فكتب إليه قبل شخوصه يُعلمه ما عزم عليه ، ويأمره بالمسير إلى الهياطة . فأتاهم ، فقتل ملكهم ، واستأصل أهل بيته وتجاوزَ بِلُخ وما وراءها ، وأنزل جنوده فَرْغانة . ثم انصرف من خراسان ، فلما صار بالمدائن وافاه قوم يستنصرونه على الحبشة ، فبعث معهم قائداً من قواده في جند من أهل الديلم وما يليها ، فقتلوا مسروقاً الحبشي باليمن ، وأقاموا بها .

ولم يزل مظفراً منصوراً تهابه جميع الأمم ، ويحضر بابه من وفودهم عدد كثير من الترك والصين والحَزْر ونظرأهم ، وكان مكرماً للعلماء .

* * *

وملك ثمانيا وأربعين سنة ، وكان مولد النبي صلى الله عليه وسلم في آخر ملك أنوشروان .

قال هشام : وكان ملك أنوشروان سبعاً وأربعين سنة . قال : وفي زمانه ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

(١) ت : « إليه » .

قال هشام : لما قوى شأن أنوشِروان بعث إلى المنذر بن النعمان الأكبر — وأمه ماء السماء امرأة من النَّمِير^(١) — فملكه الحيرة وما كان يلي آل الحارث بن عمرو ، آكل المُرَار . فلم يزل على ذلك حتى هلك .

قال : وأنوشِروان غزا بُزْجان ، ثم رجع فبنى الباب والأبواب .

وقال هشام : ملك العرب من قبَل ملوك الفرس بعد الأسود بن المنذر أخوه المنذر بن المنذر بن النعمان — وأمه هِرّ ابنة النعمان — سبع سنين . ثم ملك بعده النعمان بن الأسود بن المنذر — وأمه أم الملك ابنة عمرو بن حُجْر أخت الحارث بن عمرو الكِنْدِي — أربع سنين .

ثم استخلف أبو يعفُر بن علقمة بن مالك بن عدى بن الذميل بن ثور ابن أسس بن ربي^(٢) بن نَمارة بن لَحْم ، ثلاث سنين .

ثم ملك المنذر بن امرئ القيس البدء — وهو ذو القرنين ، قال : وإنما سُمي بذلك لصفيرتين^(٣) كانتا له من شعره ، وأمه ماء السماء ، وهي مارية ابنة عَوْف ابن جُشَم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضيحيان ابن سعد بن الحزرج بن تيم الله بن النَمِير بن قاسط ؛ فكان جميع مملكه تسعاً وأربعين سنة .

ثم ملك ابنه عمرو بن المنذر — وأمه هند ابنة الحارث بن عمرو بن حُجْر آكل المُرَار — ست عشرة سنة .

قال : ولثاني سنين وثمانية أشهر^(٤) من مملك عمرو بن هند ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك في زمن أنوشِروان وعام الفيل الذي غزا فيه الأشرم أبو يكسوم البيت .

(١) س ، ر : « النَمِير » .

(٢) س : « أربي » .

(٣) ط : « لصفيرين كانا » ؛ وما أثبتته من س ، ل .

(٤) س : « ستة أشهر » .

ذكر بقية خبر تبّع أيام قباد وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة وسبب توجيهه إليهم

حدثنا ابن حُميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، قال: كان تبّع الآخر وهو تَبَّان أسعد أبو كَرِب حين أقبل من المشرق، جعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها في بدئه لم يُهيج أهلها، وخلف بين أظهرهم ابنًا له، فقتل غيلة، فقدمها وهو مُجمّع لإخراها، واستئصال أهلها وقطع نخلها؛ فجمع له هذا الحَيّ من الأنصار حين سمعوا بذلك من أمره ليمتنعوا منه، ورئيسهم يومئذ عمرو بن الطَّلّة، أحد بني النجّار، ثم أحد بني عمرو بن مبدول؛ فخرجوا لقتاله. وكان تبّع حين نزل بهم، قد قتل رجل منهم — من بني عدّى بن النجار يقال له أحمر — رجلا من أصحاب تبّع، وجده في عَدَق^(١) له يحدّه، فضربه بمنجّله فقتله، وقال: إنما الثمر لمن أبتره، ثم ألقاه حين قتله في بئر من آبارهم معروفة يقال لها: ذات تومان. فزاد ذلك تبّعًا عليهم حنَقًا.

فبينما تبّع على ذلك من حربه وحربهم يقاتلهم ويقاتلون — قال: فترعّم الأنصار أنهم كانوا يقاتلون بالنهار، ويتقرّونه بالليل فيعجبه ذلك منهم؛ ويقول: والله إن قومنا هؤلاء لكرام — إذ جاءه حَبْران من أحبار يهود من بني قريظة، عالمان راسخان حين سمعا منه ما يريد من إهلاك المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل؛ فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة، فقال لهما: ولم ذاك؟ فقالا: هي مهاجرة نبي يخرج من هذا الحَيّ من قريش في آخر الزمان، تكون داره وقاره. فتناهت عن ذلك من قولهما عما كان يريد بالمدينة، ورأى أن لهما علمًا، وأعجبه ما سمع منهما. فانصرف عن المدينة، وخرج بهما معه إلى اليمن واتبعهما على دينهما. وكان اسم الحَبْرَيْن كعبًا وأسدا، وكانا من بني قريظة، وكانا

(١) العَدَق بالفتح: النخلة بما عليها من التمر، والجذ هنا: القطع. (٢) أبتره: أصلحه.

ابن عم ، وكاننا أعلم أهل زمانهما كما ذكر لي ابن حميد ، عن سلمة ، عن ابن إسحاق ؛ عن يزيد بن عمرو ؛ عن أبان بن أبي عيتاش ، عن أنس بن مالك ، عن أشياخ من قومه ممن أدرك الجاهلية ؛ فقال شاعر من الأنصار وهو خال ابن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد بن عوف بن غنم بن مالك بن النجار ، في حربهم وحرب تبع ، يفتخر بعمر بن طلة ويذكر فضله وامتناعه :

أَصْحَا أُمِ انْتَهَى ذُكْرَهُ أُمُ قَضَى مِنْ لَذَّةٍ وَطَرَهُ^(١)
أُمُ تَذَكَّرْتَ الشَّبَابَ وَمَا ذِكْرُكَ الشَّبَابَ أَوْ عُصْرَهُ!
إِنَّهَا حَرْبٌ رِبَاعِيَّةٌ مِثْلُهَا آتَى الْفَتَى عِبْرَهُ^(٢)
فَسَلَا عِمْرَانٌ أَوْ فَسَلَا أَسَدًا ذِيغْدُو مَعَ الزُّهْرَةِ^(٣)
فَيَلْقُ فِيهَا أَبُو كَرْبٍ سَابِقًا أَبْدَانَهَا ذِفْرَهُ^(٤)
ثُمَّ قَالُوا مَنْ يَوْمٌ بِهَا أَبْنَى عَوْفٍ أُمِ النَّجْرَةِ^(٥)
يَا بَنِي النَّجَّارِ إِنَّ لَنَا فِيهِمْ قَبْلَ الْأَوَانِ تِرَةً^(٦)
فَتَلَقَّتْهُمْ عَشْنَقَةٌ مَدَّهَا كَالْقَبِيَةِ النَّثْرَةَ^(٧)

٩٠٣/١

- (١) الخبر والشعر في ابن هشام ١ : ٢٥ - على هامش الروض الأنف . والذكر : جمع ذكرة بمعنى الذكرى ؛ كما تقول : بكرة وبكر .
(٢) قال السهيلي : « حرب رباعية مثل ؛ أي ليست بصغيرة ولا جذعة ؛ بل هي فوق ذلك » .
(٣) قوله : « يغدو مع الزهرة » يريد صباحهم بغلس قبل مغيب الزهرة .
(٤) أبدانها ذفرة ، يعني الدروع ؛ والذفرة ، من الذفر ؛ وهو سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة وأما الذفر ، بالذال المهملة ؛ فإنما هو فيها كره من الروائح . (السهيلي) .
(٥) النجرة : جمع ناجر ؛ والناجر والنجار بمعنى واحد .
(٦) رواية ابن هشام :

* فِيهِمْ قَتَلَى وَإِنْ تِرَهُ *

قال السهيلي : « أظهر إن بعد الواو ؛ أراد أن لنا قتل وترة ؛ . والوتر ؛ الوتر » .

(٧) في ابن هشام :

* فَتَلَقَّتْهُمْ مَسَايِفَةٌ *

وقال السهيلي في شرحه : « أي كتيبة مسايقة » . والقبية : الدفعة من المطر . والنثرة : المنتثرة ؛ وهي التي لا تمسك ماء والعشقة : الطويلة من الإبل .

سَيِّدُ سَامَى الْمُلُوكِ وَمَنْ يَغْزُ عَمْرًا لَا يَجِدُ قَدْرَهُ (١)

وقال رجل من الأنصار، يذكر امتناعهم من تبّع :

تَكَلَّفْنِي مِنْ تَكَالَيْفِهَا نَخِيلَ الْأَسَاوِيفِ وَالْمَنْصَعَةِ
نَخِيلًا حَمَتَهَا بَنُو مَالِكٍ خِيُولَ أَبِي كَرْبَ الْمُفْطَمَةِ

قال : وكان تبّع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها ، فوجه إلى مكة - وهي طريقه إلى اليمن - حتى إذا كان بالدُف من جُمُودان بين عُسْتَفان وأَمَج ، في طريقه بين مكة والمدينة ، أتاه نفر من هُذَيْل ، فقالوا له : أيُّها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر ، قد أغفلته الملوك قبلك ، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيت بمكة يعبده أهله ، ويصلّون عنده . وإنما يُريد الهُذَلِيُّونَ بذلك هلاكه لما قد عرفوا من هلاك مَنْ أَرَادَهُ من الملوك وَبَغَى عنده .

فلما أجمع لما قالوا ، أرسل إلى الحَبَرَيْن ، فسألهما عن ذلك ، فقالا له : ما أَرَادَ الْقَوْمُ إِلَّا هلاكك وهلاك جُنْدِكَ ، ولئن فعلت مَادَعَوْكَ إِلَيْهِ لَتَهْلِكَنَّ وَلِيَهْلِكَنَّ مَنْ مَعَكَ جَمِيعًا ، قال : فإذا تأمراني أن أصنع إذا قدمت عليه ؟ قالوا : تصنع عنده ما يصنع أهله ، تطوف به وتعظمه وتكرمه ، وتحلق عنده رأسك وتندلل له حتى تخرج من عنده . قال : فما يمنعكما أنتم من ذلك ؟ قالوا : أمّا والله إنه لسيّئ أبينا إبراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ؛ ولكنّ أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التي نصبوا حوله ، وبالدّماء التي يهريقون عنده ، وهم نجس أهل شرك . أو كما قالوا له .

فعرف نصحبهما وصدّق حديثهما ، فقرب التقرّر من هُذَيْل ، ففقطّع أيديهم وأرجلهم . ثم مضى حتى قدم مكة ، وأرى في المنام أن يكسو البيت ،

(١) رواية ابن هشام :

سَيِّدُ سَامَ الْمُلُوكِ وَمَنْ رَامَ عَمْرًا لَا يَكُنْ قَدْرَهُ

قال السهيلي : قوله : « لا يكن قدره » دعاء عليه ؛ والهاء عائدة على عمرو ، أراد لا يكن قدر عليه .

فكساه الحَصَفُ^(١) ثم أَرَى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَعْفَا^(٢) ،
ثم أَرَى أن يكسوه أحسن من ذلك ، فكساه المَلَاء والوصائل^(٣) ؛ فكان تَبِع
— فيما يزعمون — أولَ مَنْ كساه وأوصى به ولاته من جرَّهم ، وأمرهم بتطهيره ،
وَأَلَّا يقربوه دماً ولا ميتة ولا مثلاً ، وهي المحائض^(٤) ، وجعل له باباً ومفتاحاً ،
ثم خرج متوجَّهاً إلى اليمن بمن معه من جنوده ، وبالحبْرين ، حتى إذا
دخل اليمن دعا قومه إلى الدخول فيما دخل فيه ، فأبوا عليه حتى يحاكموه إلى
النار التي كانت باليمن .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن أبي
مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي ، قال : سمعت إبراهيم بن محمد بن طلحة
ابن عبيد الله يحدث أن تَبِعاً لما دنا من اليمن ليدخلها ، حالت حِمِير
بينه وبين ذلك ، وقالوا : لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا ، فدعاهم إلى دينه ،
وقال : إنه دينٌ خيرٌ من دينكم ، قالوا : فحاكمنا إلى النار ، قال : نعم — قال :
وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نارٌ تحكُم بينهم فيما يختلفون فيه ،
تأكل الظالم ولا تضر المظلوم — فلما قالوا ذلك لتَبِع قال : أنصفتم ، فخرج
قومه بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم ، وخرج الحبْران بمصاحفهما في أعناقهما
متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج النار منه ، فخرجت النار
إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها ، فذمهم مَنْ حضرهم من
الناس ، وأمروهم بالصبر فصبروا ، حتى غشيتهم وأكلت الأوثان وما قربوا
معه ، ومَنْ حمل ذلك من رجال حِمِير ، وخرج الحبْران بمصاحفهما في

٩٠٥/١

(١) الحصف : جمع خصفة ؛ وهي شيء ينسج من الخوص والليف .

(٢) المعافر : برود يمانية منسوبة إلى معافر ؛ قبيلة باليمن ؛ قال في اللسان عن الأزهري :

« برد معافريّ : منسوب إلى معافر اليمن ؛ ثم صار اسماً لها من غير نسبة . »

(٣) الوصائل : ثياب موصلة من ثياب اليمن ؛ وأحدثها وصيلة .

(٤) في ط : « الحائض » ، وصوابه من ابن هشام . قال السهيلي : وقوله : « ولا تقربوه

بمثلات ؛ وهي المحائض ؛ ولم يرد الحيض ؛ لأن حائضاً لا يجمع على محائض ؛ وإنما هي جمع محبضة .

وهي خرقة المحيض . قال : « ويقال للخرقة مثلات . . » ويروي : « مثلات » .

أعناقهما تعرّق جباههما، لم تضرّهما، فأصفت حِمير عند ذلك على دينه ؛
فن هناك وعن ذلك كان أصلُ اليهوديّة باليمن ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض
أصحابه أن الحبرين ومن خرج معهما من حِمير؛ إنَّما اتبعوا النار ليردّوها ،
وقالوا : من ردّها فهو أولى بالحق ، فدنا منها رجال من حِمير بأوثانهم ليردّوها ،
فدنت منهم لتأكلهم ، فحادوا عنها فلم يستطيعوا ردّها ، ودنا منها الحبران
بعد ذلك ، وجعللا يتلوان التوراة وتنكص ، حتى ردّاها إلى مخرجها الذي خرجت
منه ؛ فأصفت عند ذلك حِمير على دينهما ، وكان رثام بيتاً لهم يعظمونه وينحرون
عنده ويكلمون منه إذ كانوا على شرّهم ، فقال الحبران لتبع : إنما هو
شيطان يفتنهم ويلعب بهم ، فخلّ بيننا وبينه ، قال : فشأنكما به ؛
فاستخرجا منه — فيما يزعم أهل اليمن — كلباً أسود ، فذبحاه وهدما ذلك
البيت ؛ فبقاياها اليوم باليمن — كما ذكر لي — وهو رثام به آثار الدماء التي كانت
تُهراق عليه ^(٢) .

فقال تبع في مسيره ذلك وما كانهم به من أمر المدينة وشأن البيت وما صنع
برجال هذيل الذين قالوا له ما قالوا ، وما صنع بالبيت حين قدم مكة من كسوته
وتطهيره ، وما ذكر له الحبران من أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلم :

مَا بَالُ نَوْمِكَ مِثْلَ نَوْمِ الْأَرَمَدِ أَرِقًا كَأَنَّكَ لَا تَزَالُ تُسَهَّدُ
حَقًّا عَلَى سِبْطَيْنِ حَلًّا يَثْرِبًا أَوْلَى لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ !
وَلَقَدْ نَزَلْتُ مِنَ الْمَدِينَةِ مَنْزِلًا طَابَ الْمَبِيتُ بِهِ وَطَابَ الْمَرْقَدُ
وَجَعَلْتُ عَرَصَةً مَنْزِلِ بَرُبَاوَةٍ بَيْنَ الْعَقِيقِ إِلَى بَقِيعِ الْغَرَقَدِ
وَلَقَدْ تَرَكْنَا لَابَهَا وَقَرَارَهَا وَسَبَّاحَهَا فَرَشْتُ بِقَاعِ أَجْرَدِ
وَلَقَدْ هَبَطْنَا يَثْرِبًا وَصُدُورُنَا تَغْلِي بَلَابِلَهَا بِقَتْلِ مُحْصِدِ

(١) الحبر في ابن هشام ٢٧: ١ ، والتيجان ٢٩٦ . (٢) الحبر في ابن هشام ٢٨: ١ .

(٢) بيت رثام ، زعموا أن شيطاناً كان فيه ، وكانوا يملكون له حياضاً من دماء القربان ،
فيخرج فيصيب منها .

وَلَقَدْ حَلَلْتُ يَمِينَ صَبْرٍ مُؤَلِيًا
 إِنْ جِئْتُ يَثْرَبَ لَا أُغَادِرُ وَسْطَهَا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ قُرَيْظَةَ عَالِمٍ
 قَالَ ارْزُجِرْ عَنْ قَرْيَةٍ مَحْفُوظَةٍ
 فَمَفُوتٌ عَنْهُمْ عَفْوٌ غَيْرُ مُثَرَّبٍ
 وَتَرْكُهُمْ لِلَّهِ أَرْجُو عَفْوَهُ
 وَلَقَدْ تَرَكْتُ بِهَالِهِ مِنْ قَوْمِنَا
 نَفَرًا يَكُونُ النَّصْرُ فِي أَغْفَابِهِمْ
 مَا كُنْتُ أَحْسِبُ أَنَّ بَيْنَنَا طَاهِرًا
 حَتَّى أَتَانِي مِنْ هَذِيلٍ أَعْبَدُ
 قَالُوا بِمَكَّةَ بَيْتُ مَالٍ دَائِرٍ
 فَأَرَدْتُ أَمْرًا حَالَ رَبِّي دُونَهُ
 فَزِدَدْتُ مَا أُمَلْتُ فِيهِ وَفِيهِمْ
 قَدْ كَانَ ذُو الْقَرَنَيْنِ قَبْلِي مُسْلِمًا
 مَلِكَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ يَبْتَغِي
 فَرَأَى مَغِيبَ الشَّمْسِ عِنْدَ غُرُوبِهَا
 مِنْ قَبْلِهِ بَلْقَيْسُ كَانَتْ عَمِّي

قَسَمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ بِالْمُتَرَدِّدِ
 عَذَقًا وَلَا بُسْرًا بِيَثْرَبَ يَخْلُدُ
 حَبْرٌ لَعَمْرُكَ فِي الْيَهُودِ مُسَوِّدُ
 لَنَبِيٍّ مَكَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُهْتَدٍ
 وَتَرْكُهُمْ لِعِقَابٍ يَوْمٍ سَرْمَدٍ
 يَوْمَ الْحِسَابِ مِنَ الْجَحِيمِ الْمُوقَدِ
 نَفَرًا أُولَى حَسَبٍ وَبَاسٍ يُحْمَدُ
 أَرْجُو بِذَلِكَ ثَوَابَ رَبِّ مُحَمَّدٍ
 لِلَّهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ يُعْبَدُ
 بِالذُّفِّ مِنْ جُمْدَانَ فَوْقَ الْمُسْنَدِ
 وَكَنُوزُهُ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ
 وَاللَّهُ يَدْفَعُ عَنْ خَرَابِ الْمَسْجِدِ
 وَتَرْكُهُمْ مَثَلًا لِأَهْلِ الْمَشْهَدِ
 مَلِكًا تَدِينُ لَهُ الْمُلُوكُ وَتُحْشَدُ
 أَسْبَابَ عِلْمٍ مِنْ حَكِيمٍ مُرْشِدٍ
 فِي عَيْنِ ذِي خُلْبٍ وَثَاطٍ حَرَمَدٍ^(١)
 مَلَكْتُهُمْ حَتَّى أَتَاهَا الْهُدْهُدُ^(٢)

٩٠٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ،
 قال : هذا الحى من الأنصار يزعمون أنه إنما كان حنقاً تبّع على هذا الحى
 من يهود الذين كانوا بين أظهرهم ، وأنه أراد هلاكهم حين قدم عليهم المدينة ،

(١) الحلب : الطين ، والثأط الحريد : الحمأ الأسود .

(٢) الشعر أوردته ابن هشام في التيجان ١١٢ - ١١٤ ، ولم يورده في السيرة ؛ وذكر أنه مصنوع .

فمنعوه منهم ، حتى انصرف عنهم ولذلك قال في شعره :

حنفاً على سبطين حلاً يثرباً أولى لهم بعقاب يوم مُفسِد

٩٠٩/١ حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد كان قديم على تبّع قبل ذلك شافع بن كليب الصدقي ، وكان كاهنًا ، فأقام عنده ، فلما أراد توديعه قال تبّع : ما بقي من علمك ؟ قال : بقي خبر ناطق ، وعلم صادق ، قال : فهل تجد لقوم مُلكًا يوازي ملكي ؟ قال : لا إلا لملك غسان نجبل ، قال : فهل تجد ملكًا يزيد عليه ؟ قال : نعم ، قال : ولمن ؟ قال أجده لبار مبرور ، أيد بالقهور ، ووُصف في الزبور ، وفُضِّلَت أمته في السُّفُور ، يفرج الظلم بالنور ، أحمد النبي ، طوبى لأمته حين يحيى ، أحد بني لؤي ، ثم أحد بني قصي . فبعث تبّع إلى الزبور فنظر فيها ، فإذا هو يجد صفة النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن حدثه ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس وغيره من علماء أهل اليمن ، ممن يروى الأحاديث ، فحدث بعضهم بعض الحديث ، وكل ذلك قد اجتمع في هذا الحديث : أن ملكًا من لَحْم ، كان باليمن فيما بين التبابعة من حمير ، يقال له : ربيعة بن نصر ، وقد كان قبيل ملكه باليمن ملك تبّع الأول ، وهو زيد بن عمرو ذى الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الراثن بن قيس بن صيفي ابن سبأ الأصغر بن كهف الظالم بن زيد بن سهيل بن عمرو بن قيس بن معاوية ابن جُشَم بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن هَمَيْسَع ابن العرتَجَج حمير بن سبأ الأكبر بن يعزُب بن يشجب بن قحطان . وكان اسم سبأ عبْد شمس ؛ وإنما سُمي سبأ - فيما يزعمون - لأنه كان أول من سبى في العرب .

٩١٠/١

فهذا بيت مملكة حمير الذى فيه كانت التبابعة ، ثم كان بعد تبّع الأول زيد بن عمرو ، وشَمِر يَرْعَش بن ياسر يُنعم بن عمرو ذى الأذعار ، ابن عمه . وشَمِر يَرْعَش الذى غزا الصين وبنى سَمَرَقَنْد وحَيْرَ الحيرة ، وهو الذى يقول :

أَنَا شَمِرُ أَبُو كَرْبَ الْيَمَانِ جَلَبْتُ الْخَيْلَ مِنْ يَمَنِ وَشَامِ
لَا تَنِي أَغْبَدًا مَرَدُّوا عَلَيْنَا وَرَاءَ الصَّيْنِ فِي عَثَمٍ وَيَامِ
فَنَحْكُمُ فِي بِلَادِهِمْ بِحُكْمٍ سَوَاهٍ لَا يُجَاوِزُهُ غَلَامِ

القصيدة كلها .

* * *

قال : ثم كان بعد شمر يَرْعِشُ بن ياسر يُنْعِمُ تَبِيعَ الأصغر ، وهو تَبَّانُ أسعد أبو كرب بن مَلِكِيكَرْبَ بن زيد بن تَبِيعَ الأول بن عمرو ذى الأذعار ، وهو الذى قدم المدينة ، وساق الحَبْرَيْنِ من يهود إلى اليمن ، وعمر البيت الحرام وكساه ، وقال ما قال من الشَّعْرِ فكلَّ هؤلاء مَلِكُهُ قبل ملك ربيعة بن نصر اللخمي ، فلما هَلَكَ ربيعة بن نصر ، رجع مُلْكُ اليمن كله إلى حسان بن تَبَّانِ أسعد أبى كرب بن مَلِكِيكَرْبَ بن زيد بن عمرو ذى الأذعار .

حدثنا ابن حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثني ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن ربيعة بن نَصْرَ رَأَى رؤيا هالته ، وفَطَّحَ بها ، فلما رآها بعث في أهل مملكته ، فلم يدع كاهنًا ولا ساحرًا ولا عائنًا ولا منجمًا إلا جَمَعَهُ إليه ، ثم قال لهم : إننى قد رأيت رؤيا هالتي وفَطَّحَ بها ، فأخبروني بتأويلها ، قالوا له : اقصصها علينا لنخبرك بتأويلها ، قال : إني إن أخبرتكم بها لم أطمئن إلى خبركم عن تأويلها ، إنَّه لا يعرف تأويلها إلا من يعرفها قبل أن أخبره بها . فلما قال لهم ذلك قال رجل من القوم الذين جمعوا لذلك : فإن كان الملك يريد هذا فليبعث إلى سَطِيجٍ وشِقٍّ ، فإنه ليس أحدٌ أعلم منهما ، فهما يخبرانك بما سألت - واسم سَطِيجٍ ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن بن غسان ، وكان يقال لسَطِيجٍ : الذئبي ، لنسبته إلى ذئب بن عدى . وشِقٌّ بن صعب بن يشكر بن رُهْمٍ بن أفرق بن نذير بن قيس بن عُبَيْرٍ بن أمار . فلما قالوا له ذلك بعث إليهما ، فقدم عليه قبل شِقٍّ سَطِيجٍ ، ولم يكن في زمانهما مثلهما من الكُهَّانِ ، فلما قدم عليه سَطِيجُ دعاه

فقال له : يا سطّيح ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبرني بها فإنّك إن أصبتّها أصبت تأويلها ، قال - أفعل ، رأيت جُمُجُمَةً - قال أبو جعفر : وقد وجدته في مواضع آخر ، رأيت حُمَمَةً^(١) - خرجت من ظُلُمَةٍ ، فوقعت بأرض ثَهْمَةٍ ، فأكلت منها كل ذات جُمُجُمَةٍ . فقال له الملك : ما أخطأت منها شيئاً يا سطّيح ، فما عندك في تأويلها ؟ فقال : أحلف بما بين الحرتين من حَنَشٍ ، ليهيطنن أرضكم الحبش ، فليملكُنَّ ما بين أبين إلى جرّش . قال له الملك : وأبيك يا سطّيح ؛ إن هذا لغاظر مَوْجِع ، فتي هو كائن يا سطّيح ؟ أفي زمان أم بعده ؟ قال : لا بل بعده بحين ، أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين . قال : فهل يدوم ذلك من ملكهم أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع لبضع وسبعين ، يمضين من السنين ، ثم يقتلون بها أجمعون ، ويخرجون منها هارين . قال الملك : ومن ذا الذي يلي ذلك من قتلهم وإخراجهم ؟ قال : يليه إرم ذى يَزَن ، يخرج عليهم من عدَن ، فلا يترك منهم أحداً باليمن . قال أفيدوم ذلك من سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع . قال : ومن يقطعه ؟ قال : نبي زكي ، يأتيه الوحي من العلي . قال : وممن هذا النبي ؟ قال : رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر ، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر ، قال : وهل للدّهريّ ياسطّيح من آخر ؟ قال : نعم ، يوم يُجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون . قال : أحقّ ما تخبرنا ياسطّيح ؟ قال : نعم ، والشفق والغسق ، والفلق^(٢) إذا اتسق ، إن ما أنبأتك به لحق . فلما فرغ قدّم عليه شقّ ، فدعاه ، فقال له : يا شقّ ، إني قد رأيت رؤيا هالتي وفضعت بها ، فأخبرني عنها ، فإنك إن أصبتّها أصبت تأويلها - كما قال لسطّيح ؛ وقد كتبه ما قال سطّيح لينظر أيتفican أم يختلفان - قال : نعم ، رأيت جُمُجُمَةً ، خرجت من ظُلُمَةٍ ، فوقعت بين روضة وأكمة ، فأكلت منها كل ذات نَسَمَةٍ . فلما رأى ذلك الملك من قولها شيئاً واحداً ، قال له : ما أخطأت يا شقّ منها شيئاً ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من إنسان ، لينزلن أرضكم السودان ، فليغلبن على كل طَفَلَةٍ

٩١٢/١

٩١٣/١

(١) هي رواية ابن هشام في السيرة . (٢) ط : « والغلق » .

البنان ، وَلِيَسْمَلِكُنَّ مَا بَيْنَ أَبَيْنَ إِلَى نَجْرَان . فقال له الملك : وأبيك يا شَيْقَ إن هذا لنا لغائظ مُوجِع ، فَمَنْ هُوَ كَاتِنٌ ؟ أَفَى زَمَانِي أَمْ بَعْدَهُ ؟ قال : بل بعدك بزمان ، ثُمَّ يَسْتَنْقِذُكُمْ مِنْهُ عَظِيمٌ ذُو شَان ، وَيَذِيْقُهُمْ أَشَدَّ الْهُوَان . قال : وَمَنْ هَذَا الْعَظِيمُ الشَّانُ ؟ قال : غلام ليس بدني ولا مُدَنٍّ^(١) ، يخرج من بيت ذى يَزَن ، قال : فهل يدوم سلطانه أو ينقطع ؟ قال : بل ينقطع برسول مرسل ، يأتي بالحق والعدل ، بين أهل الدين والفضل ؛ يكون المُلْكُ في قومه إلى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يحجزى فيه الولاية ، يُدْعَى من السماء بدعوات ، يَسْمَعُ منها الأحياء والأموات ، وَيُجْمَعُ فيه الناس للميقات ، يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات . قال : أحق ما تقول يا شَيْقَ ؟ قال : إى ورب السماء والأرض ، وما بينهما من رفع وخفض ؛ إن ما نُبِّأتَكَ لحق ما فيه أَمُضٌ^(٢) . فلما فرغ من مسألتها ، وقع في نفسه أن الذى قال له كائن من أمر الحبشة ، فجهزَ بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصْلِحُهُمْ ، وكتب لهم إلى مَلِكٍ من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة ، فن بقيّة ربيعة بن نصر كان النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان ابن المنذر بن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم^(٣) .

٩١٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولما قال سَطِيحٌ وشَيْقٌ لربيعة بن نصر ذلك ، وصنع ربيعة بولده وأهل بيته ما صنع ، ذهب ذكر ذلك فى العرب ، وتحدثوا حتى فشا ذكره وعلمه فيهم ، فلما نزلت الحبشة اليمن ، ووقع الأمر الذى كانوا يتحدثون به من أمر الكاهنين ، قال الأعشى ، أعشى بنى قيس بن ثعلبة البكرى ، فى بعض ما يقول ، وهو يذكر ما وقع من أمر ذينك الكاهنين : سَطِيحٌ وشَيْقٌ :

مَا نَظَرْتَ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرَتِهَا حَقًّا كَمَا نَطَقَ الذَّبْيُ إِذْ سَجَعًا^(٤)

(١) المدنى : المقصر فى الأمر .

(٢) قال ابن هشام : أَمُضٌ ، يعنى شكاً ، هذا بلفظ حمير . وقال أبو عمرو : « أَمُضٌ ، أى باطل » .

(٣) الخبر فى ابن هشام ١ : ١٨ - ٢٢ .

(٤) ديوانه ١٠٣ .

وكان سَطِيعَ إنما يدعوه العرب الذئبيّ، لأنّه من ولد ذئب بن عدى. فلما هلك ربيعة بن نصر، واجتمع مُلْكُ اليمن إلى حَسَّان بن تَبَّان أسعد أبي كرب ابن مَلِكَيْكَرِب بن زيد بن عمرو ذى الأذعار، كان ممّا هاج أمر الحبشة وتحول الملك عن حِمَيْر وانقطاع مدّة سلطانهم - ولكلّ أمر سبب - أن حَسَّان ابن تَبَّان أسعد أبي كرب، سار بأهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض العجم، كما كانت التبابعة قبله تفعل؛ حتى إذا كان ببعض أرض العراق، كرهت حِمَيْر وقبائل اليمن السير معه، وأرادوا الرجعة إلى بلادهم وأهلهم؛ فكلّموا أخاً له كان معه في جيشه، يقال له عمرو، فقالوا له: اقتل أخاك حسان نملكك علينا مكانه، وترجع بنا إلى بلادنا. فتابعهم على ذلك، فأجمع أخوه ومن معه من حِمَيْر وقبائل اليمن على قَتْل حَسَّان، إلا ما كان من ذى رُعَيْن الحميرى، فإنه نهاه عن ذلك، وقال له: إنكم أهل بيت مملكتنا، لا تقتل أخاك ولا تشتت أمر أهل بيتك - أو كما قال له - فلما لم يقبل منه قوله - وكان ذورُ رُعَيْن شريفاً من حمير - عمّد إلى صحيفة فكتب فيها:

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
فَإِذَا حِمَيْرٌ غَدَرَتْ وَخَانَتْ فَمُعْذِرَةُ الْإِلَهِ لِذِي رُعَيْنِ

ثم ختم عليها. ثم أتى بها عمرًا، فقال له: ضع لى عندك هذا الكتاب؛ فإنّ لى فيه بغيةٌ وحاجة، ففعل. فلما بلغ حَسَّان ما أجمع عليه أخوه عمرو وحِمَيْر وقبائل اليمن من قتله، قال لعمرو:

يَا عَمْرُو لَا تُعْجِلْ عَلَى مَنِيَّتِي فَالْمَلِكُ تَأْخُذُهُ بِغَيْرِ حُشُودٍ

فأبى إلا قتله، فقتله ثم رجع بمن معه من جنده إلى اليمن. فقال قائل من حمير:

إِنَّ اللَّهَ مَنْ رَأَى مِثْلَ حَسَّانَ قَتِيلًا فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ^(١)

(١) رواية ابن هشام في السيرة: «لاه عينا» قال السهيلي في شرحه: «أراد» الله «وحذف لام الجر واللام الأخرى مع ألف الوصل؛ وهذا الحذف كثير، ولكنه جاز في هذا الرسم خاصة لكثرة دوراته على الألسنة».

فَقَتَلَتْهُ الْأَقْيَالُ مِنْ خَشْيَةِ الْجَنَةِ شِ وَقَالُوا لَهُ لَبَابِ لَبَابِ (١)
 مَيْتُكُمْ خَيْرٌ نَا وَحْيُكُمْ رَبُّ عَلَيْنَا وَكُلُّكُمْ أَرْبَابِي
 فلما نزل عمرو بن تَبَّان أسعد أبي كرب اليمن مُنْعٍ مِنْهُ النَّوْمُ ، وسلَّطَ
 عليه السهر - فيما يزعمون - فجعل لا ينام ، فلما جَهِدَهُ ذَلِكَ جعل يسأل
 الأطباء والخُزاة من الكهَّان والعُرافين عَمَّا بِهِ ، ويقول : مُنْعٍ مِنِّي النَّوْمُ فلا
 أقدر عليه ، وقد جَهِدَنِي السهر ، فقال له قائل منهم : والله ما قتلَ رجلَ أخاه ٩١٦/١
 قطُّ أَوْ ذَا رَحِمٍ بَغِيًّا عَلَى مِثْلِ مَا قَتَلْتَ عَلَيْهِ أَخَاكَ إِلَّا ذَهَبَ نَوْمُهُ ، وسلَّطَ عَلَيْهِ
 السَّهْرَ ، فلما قِيلَ لَهُ ذَلِكَ ، جعل يقتُلُ كُلَّ مَنْ كَانَ أَمْرُهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَنًا
 مِنْ أَشْرَافِ حَمِيرٍ وَقِبَائِلِ الْيَمَنِ ، حَتَّى خَلَصَ إِلَى ذِي رُعَيْنَ ، فلما أَرَادَ قَتْلَهُ
 قَالَ : إِنَّ لِي عِنْدَكَ بَرَاءَةً مِمَّا تَرِيدُ أَنْ تَصْنَعَ بِي ، قَالَ لَهُ : وَمَا بَرَاءَتُكَ عِنْدِي ؟
 قَالَ : أَخْرَجَ الْكِتَابَ الَّذِي كُنْتُ اسْتَوْدَعْتُكَهُ وَوَضَعْتُهُ عِنْدَكَ ، فَأَخْرَجَ لَهُ
 الْكِتَابَ ، فَلِذَا فِيهِ ذَانِكَ الْبَيْتَانِ مِنَ الشَّعْرِ :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي سَهْرًا بِنَوْمٍ سَعِيدٌ مَنْ يَبِيتُ قَرِيرَ عَيْنٍ
 فَلَمَّا حَمِيرٌ غَدَرْتُ وَخَانَتْ فَمَعْدَرَةُ الْإِلَهِ لَذِي رُعَيْنٍ

فلما قرأهما عمرو قال له ذورُعَيْن : قد كنت نَهَيْتُكَ عَنْ قَتْلِ أَخِيكَ
 فَعَصَيْتَنِي ، فلما أَبِيتَ عَلَى وَضَعْتُ هَذَا الْكِتَابَ عِنْدَكَ حُجَّةً لِي عَلَيْكَ ، وَعَلِمْتُ
 لِي عِنْدَكَ ، وَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَصِيبَكَ إِنْ أَنْتَ قَتَلْتَهُ الَّذِي أَصَابَكَ ، فَإِنْ أَرَدْتَ بِي
 مَا أَرَاكَ تَصْنَعُ بِي مَنْ كَانَ أَمْرُكَ بِقَتْلِ أَخِيكَ ، كَانَ هَذَا الْكِتَابُ نَجَاةً لِي عِنْدَكَ ،
 فَتَرَكَهُ عَمْرُو بْنُ تَبَّانَ أَسْعَدَ فَلَمْ يَقْتُلْهُ مِنْ بَيْنِ أَشْرَافِ حَمِيرٍ ، وَرَأَى أَنْ قَدْ
 نَصَحَهُ لَوْ قَبِلَ مِنْهُ نَصِيحَتُهُ . وَقَالَ عَمْرُو بْنُ تَبَّانَ أَسْعَدَ حِينَ قَتَلَ مَنْ قَتَلَ مِنْ
 حَمِيرٍ وَأَهْلِ الْيَمَنِ مِمَّنْ كَانَ أَمْرُهُ بِقَتْلِ أَخِيهِ حَسَنًا ، فَقَالَ :

شَرَيْنَا النَّوْمَ إِذْ عُصِبَتْ عَلَابِ بِتَسْهِيدٍ وَعَقْدٍ غَيْرِ مَيْنِ (٢)
 تَنَادَوْا عِنْدَ غَدَرِهِمْ : لَبَابِ وَقَدْ بَرَزْتَ مَعَاذِرُ ذِي رُعَيْنِ
 قَتَلْنَا مَنْ تَوَلَّى الْمَكْرَ مِنْهُمْ بَوَاءَ بَابِنِ رُحْمٍ غَيْرَ دَيْنِ

(١) قال ابن اسحاق قوله: «لَبَاب، لَبَاب»، لا بأس، لا بأس بلغة حمير. (٢) ط: «بين».

قَتَلْنَاهُمْ بِحَسَنَ بْنِ رُفَيْمٍ وَحَسَنَ قَتِيلَ الثَّائِرِينَ
 قَتَلْنَاهُمْ فَلَا بَقِيَّةَ عَلَيْهِمْ وَقَرَّتْ عِنْدَ ذَاكُمْ كُلُّ عَيْنٍ
 عُيُونُ نَوَادِبِ يَبْكِينَ شَجْوًا حَرَارَتْ مِنْ نِسَاءِ الْفَيْلَقِينَ
 أَوَانِسَ بِالْعِشَاءِ وَهَنَّ حُورٌ إِذَا طَلَعَتْ فُرُوعُ الشَّعْرَيْنِ
 فَتُعَرَفُ بِالْوَفَاءِ إِذَا انْتَمَيْنَا وَمَنْ يَغْدِرُ نُبَاهِنُهُ بَيْنَ
 فَضَلْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا كَفَضَلِ الْإِبْرِزِيِّ عَلَى اللَّحِينِ
 مَلَكْنَا النَّاسَ كُلَّهُمْ جَمِيعًا لَنَا الْأَسْبَابُ بَعْدَ التَّبَعِينَ
 مَلَكْنَا بَعْدَ دَاوُدَ زَمَانًا وَعَبَدْنَا مَلُوكَ الْمَشْرِقِينَ
 زَبَرْنَا فِي ظَفَارِ زَبُورَ مَجْدٍ لِيَقْرَأَهُ قُرُومُ الْقَرِيبِينَ
 فَنَحْنُ الطَّالِبُونَ لِكُلِّ وَتَرٍ إِذَا قَالَ الْقَاوِلُ أَيْنَ أَيْنَ !
 سَأَشْفِي مِنْ وُلَاةِ الْمَكْرِ نَفْسِي وَكَانَ الْمَكْرُ حَيْنَهُمْ وَحَيْنِي
 أَطْعَمْتُهُمْ فَلَمْ أَرُشْدًا وَكَانُوا غَوَاةً أَهْلَكُوا حَسَنِي وَزَيْنِي

قال : ثم لم يلبث عمرو بن تَبَّان أسعد أن هلك .

قال هشام بن محمد : عمرو بن تبَّع هذا يدعى موثبان ؛ لأنه وثب على أخيه حسَّان بفِرْضة نَعْمَ فقتله — قال : وفِرْضة نَعْمَ رَحْبَةٌ طَوْقُ بْنُ مَالِكٍ ، وكانت نَعْمَ سَرِيَّةً تَبَّعَ حَسَنَ بْنَ أَسْعَدَ .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحق . قال : فِيرَجُ أَمْرُ حَمِيرٍ عِنْدَ ذَلِكَ ، وَتَفَرَّقُوا ، فَوَثَبَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ مِنْ حَمِيرٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ بِيُوتِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، يُقَالُ لَهُ الْخَنِيعَةُ يَنْوِفُ دُوشَانَتَرُ (١) ، فَلَمَّا كَانُوا يَفْتَلُونَ خِيَارَهُمْ ، وَعَبَثَ بِبِيُوتِ أَهْلِ الْمَمْلَكَةِ مِنْهُمْ ، فَقَالَ قَاتِلْ مِنْ حَمِيرٍ ، يَذْكُرُ مَا ضَيَّعَتْ (٢) حَمِيرٌ مِنْ أَمْرِهَا ، وَفَرَّقَتْ جَمَاعَتَهَا ، وَنَفَتْ مِنْ خِيَارِهَا :

٩١٨/١

(٢) « فرطت » .

(١) الشناتر : الأصابع بلغة حمير .

تَقْتُلُ أَبْنَاهَا وَتَنْفِي سَرَاتِمَهَا وَتَبْنِي بِأَيْدِيهِمْ لَهَا أُلْدَلَّ حَمِيرُ
تُدمِرُ دُنْيَاهَا بَطْيِشٍ حُلُومِهَا وَمَا ضَيَّعَتْ مِنْ دِينِهَا فَهِيَ أَكْثَرُ
كَذَلِكَ الْقُرُونُ قَبْلَ ذَلِكَ بَطْلَمِهَا وَإِسْرَافِهَا تَأْتِي الشُّرُورُ فَتَقْخَسِرُ

وكان الخنزية ينوف ذو شناتر يصنع ذلك بهم - وكان امرأ فاسقاً يزعمون أنه كان يعمل عمل قوم لوط ، ثم كان - مع الذي بلغ منهم من القتل والبغى - إذا سمع بالغلام من أبناء الملوك قد بلغ أرسل إليه فوقع عليه في مشربة له قد صنعها لذلك ، لثلاث يملك بعد ذلك أبداً ، ثم يطلع من مشربته تلك إلى حرسه ومن حضر من جنده ، وهم أسفل منه ، قد أخذ سواكماً ، فجعله في فيه - أي ليعلمهم أنه قد فرغ منه ثم يخلّي سبيله ، فيخرج على حرسه وعلى الناس وقد فضحه ؛ حتى إذا كان آخر أبناء تلك الملوك زُرْعَةُ ذُو نَوَاسِ بْنِ ثُبَّانٍ أَسْعَدُ أَبِي كَرْبِ بْنِ مَلِكِيَّكَرَبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو ذِي الْأَذْعَارِ أَخُو حَسَّانِ - وَزُرْعَةُ كَانَ صَبِيّاً صَغِيراً حِينَ أَصِيبَ أَخُوهُ ، فَشَبَّ غَلاماً جَمِلاً وَسِيماً ذَا هَيْئَةٍ وَعَقْلٍ - فَبَعَثَ إِلَيْهِ الْخَنَزِيَّةُ يَنُوفُ ذُو شَنَاتِرَ ؛ لِيَفْعَلَ بِهِ كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بِأَبْنَاءِ الْمُلُوكِ قَبْلَهُ ، فَلَمَّا أَتَاهُ رَسُولُهُ عَرَفَ الَّذِي يَرِيدُ بِهِ ، فَأَخَذَ سِكِّيناً حَدِيداً لَطِيفاً ، فَجَعَلَهُ بَيْنَ نَعْلِهِ وَقَدَمِهِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ إِلَيْهِ مَعَ رَسُولِهِ ، فَلَمَّا خَلَا بِهِ فِي مَشْرِيبَتِهِ تِلْكَ أَغْلَقَهَا عَلَيْهِ وَعَلَيْهِ ، ثُمَّ وَثَبَ عَلَيْهِ وَوَاتَبَهُ ذُو نَوَاسِ بِالسَّكِّينِ فَطَعَنَهُ بِهِ حَتَّى قَتَلَهُ ، ثُمَّ احْتَزَّ رَأْسَهُ ، فَجَعَلَهُ فِي كُوَّةٍ مَشْرِيبَتِهِ تِلْكَ الَّتِي يَطْلُعُ مِنْهَا إِلَى حَرَسِهِ وَجَنَدِهِ ، ثُمَّ أَخَذَ سِوَاكَهَ ذَلِكَ ، فَجَعَلَهُ فِي فِيهِ ثُمَّ خَرَجَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالُوا لَهُ : ذُو نَوَاسِ ، أَرَطِبَ أَمْ يَبَاسُ ^(١) ؟ فَقَالَ : سَلْ نَخْمَاسَ ^(٢) اسْتَطْبَانَ ^(٣) ذُو نَوَاسِ ، اسْتَطْبَانَ ذُو نَوَاسِ ؛ لَا بَاسَ . فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ حِينَ قَالَ لَهُمْ مَا قَالَ ، فَإِذَا رَأْسُ الْخَنَزِيَّةِ يَنُوفُ ذِي شَنَاتِرِ فِي الْكُوَّةِ مَقْطُوعٌ فِي فِيهِ سِوَاكَهَ ، قَدْ وَضَعَهُ ذُو نَوَاسِ فِيهَا . فَخَرَجَتْ حَمِيرُ وَالْأَحْرَاسُ فِي أَثَرِ ذِي نَوَاسِ حَتَّى أَدْرَكُوهُ ،

٩١٩/١

(١) اليباس واليبس : مثل الكبار والكبير . (٢) النخماس في لغة اليمن : الرأس .

(٣) قال السهيلي : قوله : « استطبان » إلى آخر الكلام مشكل ؛ وفي الأغاني : « ستم الأحراس ،

است ذى نواس ، رطب أم يباس » .

فقالوا له : ما ينبغي لنا أن يملكنا إلا أنت ؛ إذ أرحمتنا من هذا الحبيث . فلتكوه واستجمعت عليه حمير وقبائل اليمن ، فكان آخر ملوك حمير . وهودّ وهودّت معه حمير ، وتسمّى «يوسف» ، فأقام في ملكه زماناً . وبنجران بقايا من أهل دين عيسى على الإنجيل ؛ أهل فضل واستقامة ، لهم من أهل دينهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر ؛ وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران ، وهى بأوسط أرض العرب في ذلك الزمان ، وأهلها وسائر العرب كلّها أهل أوثان يعبدونها . ثم إن رجلاً من بقايا أهل ذلك الدين وقع بين أظهرهم يقال له فيميون ، فحملهم عليه فدانوا به ^(١) .

قال هشام : زرعة ذو نواس ؛ فلما تهودّ سمي يوسف ، وهو الذى خدّ الأخدود بنجران وقتل النصارى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن المغيرة بن أبي ليبيد مولى الأحنس ، عن وهب بن منبه الباقى ^(١) ، أنه حدثهم أن موقع ذلك الدين بنجران كان أن رجلاً من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون ، وكان رجلاً صالحاً مجتهداً زاهداً في الدنيا ، مجاب الدعوة ، وكان سائحاً ينزل القرى ، لا يعرف بقرية إلا أخرج منها إلى قرية لا يعرف فيها وكان لا يأكل إلا من كسب يده ، وكان بنّاء يعمل الطين ، وكان يعظم الأحد ؛ فإذا كان الأحد لم يعمل فيه شيئاً ، وخرج إلى فلاة من الأرض فصلّى بها حتى يمسي ، وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفياً ؛ إذ فطن لشأنه رجل من أهلها ، يقال له صالح ، فأحبه صالح حباً لم يحبه شيئاً كان قبله ، فكان يتبعه حيث ذهب ، ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الأحد إلى فلاة من الأرض كما كان يصنع ، وقد اتبعه صالح ، وفيميون لا يدري ، فجلس صالح منه منظر العين ، مستخفياً منه لا يحب أن يعلم مكانه ، وقام فيميون يصلّى ، فبينما هو يصلّى إذ أقبل نحوه التّنين — الحية ذات الرؤوس السبعة — فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ، ورآها صالح ،

(١) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٢٨٠ - ٢٩ ، والأغانى ٢٠ : ٧ - ٩ (سأى) .

ولم يدرك ما أصابها ، فخافها عليه فعيل عَوْلُهُ ^(١) ، فصرخ : يا فيميون ، التنين قد أقبل نحوك ! فلم يلتفت إليه ، وأقبل على صلاته حتى فرغ وأمسى ، وانصرف وعرف أنه قد عرف ، وعرف صالح أنه قد رأى مكانه ، فكلّمه ، فقال : يا فيميون ، يعلم الله ما أحببت شيئاً حبك قط ، وقد أردت صُحبَتَكَ ^{٩٢١/١} والكينونة معك حيثما كنت . قال : ما شئت ، أمرى كما ترى ، فإن ظننت أنك تقوى عليه فنعم . فلزمه صالح ، وقد كاد أهل القرية أن يفتنوا لشأنه ، وكان إذا فاجأه العبدُ به ضرّاً ، دعا له فشفي ، وإذا دُعِيَ إلى أحد به الضرّ لم يأت . وكان لرجل من أهل القرية ابنٌ ضرير ، فسأل عن شأن فيميون ، ف قيل له : إنه لا يأتي أحداً إذا دعاه ، ولكنّه رجل يعمل للناس البنيان بالأجر ، فعمد الرجل إلى ابنه ذلك فوضعه في حجرته ، وألقى عليه ثوباً ، ثم جاءه فقال له : يا فيميون ؛ إننى قد أردت أن أعمل في بيتي عملاً ، فانطلق معي حتى تنظر إليه فأشارطك عليه ، فانطلق معه حتى دخل حجرته ، ثم قال : ما تريد أن تعمل في بيتك ؟ قال : كذا وكذا . ثم انتشط ^(٢) الرجل الثوب عن الصبي ، ثم قال : يا فيميون ، عبد من عباد الله أصابه ما ترى ، فادع الله له ، فقال فيميون حين رأى الصبي : اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك في نعمتك ليفسدها عليه فاشفيه وعافه ، وامنعه منه ، فقام الصبي ليس به بأس .

وعرف فيميون أنه قد عرف ، فخرج من القرية ، واتبعه صالح ، فبينما هو يمشى في بعض الشام مرّ بشجرة عظيمة ، فناداه منها رجل ، فقال : أفيميون ! قال : نعم ، قال : ما زلت أنتظر وأقول : متى هوجاء ؟ حتى سمعت صوتك ، فعرفت أنك هو ، لا تبرح حتى تقوم على ، فإنني ميت الآن . ^{٩٢٢/١} قال : فأت ، وقام عليه حتى وراه ثم انصرف ومعه صالح ، حتى وطئا بعض أرض العرب ، فعدي عليهما فاختلفتهما سيّارة من بعض العرب ، فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران - وأهل نجران يومئذ على دين العرب ، تعبد نخلة طويلة بين أظهرهم ، لهم عيد كل سنة ؛ إذا كان ذلك العيد علّقوا عليها

(١) عيل عوله ، أى غلب على صبره ، وقط : « فعول عليه عولة » ، وما أثبتته عن ابن هشام .
(٢) انتشط الثوب : جذبه ورفع عليه .

كلّ ثوب حسن وجدوه، وحلّى النساء . ثم خرجوا، فعكفوا عليها يوماً - فابتاع رجل من أشrafهم فيميون ، وابتاع رجل آخر صالحاً ، فكان فيميون إذا قام من الليل - في بيت له أسكنه إياه سيّده الذي ابتاعه - يصلّي، استسرج له البيت نوراً ، حتى يصبح من غير مصباح ؛ فرأى ذلك سيّده فأعجبه ما رأى ، فسأله عن دينه فأخبره به ، فقال له فيميون : إنّما أنتم في باطل ؛ وإنّ هذه النخلة لا تضرّ ولا تنفع ؛ لو دعوت عليها الذي أعبد أهلّها، وهو الله وحده لا شريك له . قال : فقال له سيّده : فافعل ؛ فإنك إن فعلت دخلنا في دينك ، وتركنا ما كنّا عليه ، قال : فقام فيميون ، فتطهّر ثم صلّى ركعتين ، ثم دعا الله عليهما ، فأرسل الله ريحاً فجعلتهما^(١) من أضلّها فألقتهما ، فاتّبعه عند ذلك أهل نجران على دينه ، فحملهم على الشريعة من دين عيسى بن مريم . ثم دخل عليهم بعد ذلك الأحداث التي دخلت على أهل دينهم بكلّ أرض . فمن هنالك كانت النصرانيّة بنجران في أرض العرب^(٢) .

فهذا حديث وهب بن منبّه في خبر أهل نجران .

٩٢٣/١

حدّثنا ابن حميد، قال : حدّثنا سلّمة، قال : حدّثني محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، مولى لبني هاشم، عن محمد بن كعب القرظي . قال : وحدّثني محمد بن إسحاق أيضاً عن بعض أهل نَجْران أنّ أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريباً من نَجْران - ونَجْران القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما أن نزلها فيميون - قال : ولم يسمّوه باسمه الذي سمّاه به وهب بن منبّه، قالوا : رجل نزلها - ابنتي خيمة بين نَجْران وبين تلك القرية التي بها الساحر ، فجعل أهل نَجْران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر ، فبعث الثامر ابنه عبد الله بن الثامر، مع غلمان أهل نَجْران، فكان إذا مرّ بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من صلاته وعبادته ، فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى

(١) جمعتها ، أى قلعتها وأسقطتها .

(٢) الخبر في السيرة لابن هشام ١ : ٢٩ : ٣٠ .

أسلم ، فوحد الله وعبدته وجعل يسأله عن الاسم الأعظم - وكان يعلمه - فكتبه
 إيّاه وقال : يا بن أخي ، إنك لن تحتمله ؛ أخشى ضعفك عنه . فلما أبى
 عليه - والثامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه عبد الله يختلف إلى الساحر كما
 يختلف الغلمان - فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضنّ به عنه ، وتخوف ضعفه
 فيه عمّد إلى قيد آح فجمعها ، ثم لم يبق لله اسمًا يعلمه إلا كتبه في قيد^(١) ؛ لكل
 اسم قيد^(١) ؛ حتى إذا أحصاها أوقد لها نارا ، ثم جعل يقذفها فيها قيد حاقدا ؛
 حتى إذا مرّ بالاسم الأعظم قذف فيها بقيدحه ، فوثب القيد حتى خرج
 منها ، لم يضره شيء ؛ فقام إليه فأخذه ، ثم أتى صاحبه ، فأخبره أنه^(٢) قد علم
 الاسم الذي كتبه ، فقال له : ما هو ؟ قال ؛ كذا وكذا ، قال : وكيف
 علمته ؟ فأخبره كيف صنع ، قال : فقال : يا بن أخي ، قد أصبته فأمسك
 على نفسك ، وما أظن أن تفعل . فجعل عبد الله بن الثامر إذا أتى نجران
 لم يلق أحداً به ضرراً إلا قال له : يا عبد الله ، أتوحد الله وتدخل في ديني فأدعو
 الله فيعافيك مما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول : نعم ، فيوحد الله ويسلم ، ويدعو
 له فيشفي ، حتى لم يبق أحد بنجران به ضرراً إلا أنه فاتبعه على أمره ، ودعا
 له فعوفي ، حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على
 أهل قريتي ، وخالفت ديني ودين آبائي ، لأمثلن بك ! قال : لا تقدر على
 ذلك ، فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح عن رأسه فيقع على الأرض ،
 ليس به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران ، بحور لا يقع فيها شيء إلا
 هلك ، فيسلقي فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه ، قال عبد الله بن الثامر :
 إنك والله لا تقدر على قتلي حتى توحّد الله فتؤمن بما آمنتم به ؛ فإنك إن
 فعلت ذلك سلّطت على قتلتي ، فوحد الله ذلك الملك ، وشهد بشهادة عبد الله
 ابن الثامر ، ثم ضربه بعضاً في يده فشجّه شجرة غير كبيرة فقتله ، فهلك الملك
 مكانه ، واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر ، وكان على ما جاء
 به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم
 من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل النصرانية بنجران^(٣) .

(١) القيد : السهم . (٢) ح ، ل « بأنه » .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ ، ٣٢ .

فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن ذلك. والله أعلم.
قال : فسار إليهم ذو نواس بجنوده من حمير وقبائل اليمن ،
فجمعهم ثم دعاهم إلى دين اليهودية ، فخيرهم بين القتل والدخول فيها ، فاختاروا
القتل ، فخذلهم الأخدود ، فحرق بالنار ، وقتل بالسيف ؛ ومثل بهم كل مُثْلَة ،
حتى قتل منهم قريباً من عشرين ألفاً ، وأفلت منهم رجل يقال له دوس
ذو ثعلبان ، على فرس له ، فسلك الرَّمْلَ فأعجزهم .

قال : وقد سمعت بعض أهل اليمن يقول : إن الذي أفلت منهم رجل
من أهل نَجْرَان يقال له جبّار^(١) بن فيض^(٢) .

قال : وأثبت الحديثين عندي الذي حدّثني أنه دوس ذو ثعلبان .

ثم رجع ذو نواس بمن معه من جنوده إلى صنعاء من أرض اليمن .

ففي ذي نواس وجنوده تلك حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة بن
الفضل ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : أنزل الله على رسوله : ﴿ قَتِلْ
أَصْحَابُ الْأَخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾^(٣) .

يقال : كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رئيسهم وإمامهم .
ويقال : عبد الله بن الثامر قُتِلَ قبل ذلك ، قَتَلَهُ مَلِكٌ كان قَبْلَهُ ، هو
كان أصل ذلك الدين ؛ وإنما قُتِلَ ذونواس مَنْ كان بعده من أهل دينه^(٤) .

* * *

وأما هشام بن محمد فإنه قال : لم يزل ملكت اليمن متصلاً لا يطمع فيه
طامع ، حتى ظهرت الحبشة على بلادهم في زمن أنوشيروان . قال : وكان
سبب ظهورهم أن ذا نواس الحميري ملك اليمن في ذلك الزمان ، وكان
يهودياً ، فقدم عليه يهودي ، يقال له دوس من أهل نَجْرَان ، فأخبره
أن أهل نجران قتلوا ابنين له ظلماً ، واستنصره عليهم — وأهل نَجْرَان نصارى —
فحصى ذونواس لليهودية ، ففزا أهل نجران ، فأكثرفيهم القتل ، فخرج رجل

(١) ر ، ل : « حيار » ، ح : « حيان » . (٢) ر ، ل : « قيض » .

(٣) سورة البروج ٤ - ٨ . قال ابن هشام : « الأخدود : الحفر المستطيل في الأرض كالخندق
والجدول ونحوه » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٣١ - ٣٥ .

من أهل نَجْرَان ، حتى قدم على ملك الحبشة ، فأعلمه ما ركبوا به ، وأتاه بالإنجيل قد أحرقت النارُ بعضه ، فقال له : الرجالُ عندى كثير ، وليست عندى سفن ، وأنا كاتب إلى قيصر فى البعثة إلى بسفن أحمل فيها الرجال . فكتب إلى قيصر فى ذلك ، وبعث إليه بالإنجيل المحرق ، فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ؛ أنه حدث أن رجلاً من أهل نَجْرَان فى زمن عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نَجْرَان لبعض حاجاته ، فوجد عبد الله بن الثامر تحت دَفْن^(١) منها قاعداً واضعاً يده على ضربة فى رأسه ممسكاً عليها بيده ؛ فإذا أخبرت يده عنها انثعبت^(٢) دماً ، وإذا أرسلت يده رداها عليها ، فأمسك دمه ، وفى يده خاتم مكتوب فيه : « ربى الله » . فكتب فيه إلى عمر يخبره بأمره ، فكتب إليهم عمر : أن أقرؤه على حاله ، وردوا عليه الدفن الذى كان عليه . ففعلوا .

٩٢٧/١

وخرج دَوْس ذو ثعلبان^(٣) ، حين^(٤) أعجز القوم على وجهه ذلك ؛ حتى قدم^(٥) على قيصر صاحب الروم ، فاستنصره على ذى نُوَاس وجنوده ، وأخبره بما بلغ منهم ، فقال له قيصر : بعدت بلادك من بلادنا ، ونأت عنا ، فلا نقدر على أن نتناولها بالجنود ؛ ولكننى سأكتب لك إلى ملك الحبشة ؛ فإنه على هذا الدين ، وهو أقرب إلى بلادك منّا فينصرك ويمنعك ويطلب لك بئارك ممن ظلمك ، واستحل منك ومن أهل دينك ما استحل . فكتب معه قيصر إلى ملك الحبشة يذكر له حقه وما بلغ منه ومن أهل دينه ، ويأمره بنصره ، وطلب

(١) الدفن : بئر أو حوض أو منهل سفت الريح فيه التراب حتى دفن .

(٢) انثعبت : تفجرت ؛ وفى ر ، ت : « انثعبت » ، ح ، ل : « انثعبت » .

(٣) فى ابن هشام : « هو رجل من سبأ » .

(٤) ت ، ح : « حتى » .

(٥) كذا فى ت ، وفى ط : « تقدم » ؛ وفى ابن هشام : « أتى » .

ثأره مَمَّنْ بَغِي عَلَيْهِ وَعَلَى أَهْلِ دِينِهِ . فَلَمَّا قَدِمَ دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ بِكِتَابِ قَيْصَرَ عَلَى النَّجَاشِيِّ صَاحِبِ الْحَبْشَةِ بَعَثَ مَعَهُ سَبْعِينَ أَلْفًا مِنَ الْحَبْشَةِ وَأَمَرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْحَبْشَةِ ، يَقَالَ لَهُ أُرِيَاطُ ؛ وَعَهْدُ إِلَيْهِ : إِنْ أَنْتَ ظَهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَاقْتُلْ ثَلَاثَ رِجَالِهِمْ ، وَأَخْزِبْ ثَلَاثَ بِلَادِهِمْ ، وَاسْتَبِ ثَلَاثَ نِسَائِهِمْ وَأَبْنَائِهِمْ . فَخَرَجَ أُرِيَاطُ وَمَعَهُ جُنُودُهُ ، وَفِي جَنْوَدِهِ أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ ، فَرَكِبَ الْبَحْرَ وَمَعَهُ دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ ، حَتَّى نَزَلُوا بِسَاحِلِ الْيَمَنِ ، وَسَمِعَ بِهِمْ ذُو نُوَاسٍ فَجَمَعَ إِلَيْهِ حِمِيرَ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنْ قِبَائِلِ الْيَمَنِ ، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ عَلَى اخْتِلَافٍ وَتَفَرُّقٍ ، لَا تَقْطَاعَ الْمُدَّةَ وَحُلُولَ الْبَلَاءِ وَالتَّقْسِمَةَ ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَرْبٌ غَيْرَ أَنَّهُ نَاوَشَ ذُو نُوَاسٍ شَيْئًا مِنْ قِتَالٍ ، ثُمَّ انْهَزَمُوا ، وَدَخَلَهَا أُرِيَاطُ بِجَمْعِهِ ، فَلَمَّا رَأَى ذُو نُوَاسٍ مَا رَأَى مِمَّا نَزَلَ بِهِ وَيَقُومُهُ وَجْهَ فَرَسِهِ إِلَى الْبَحْرِ ، ثُمَّ ضَرَبَهُ فَدَخَلَ فِيهِ فَخَاضَ بِهِ ضَحْضَحًا ^(١) الْبَحْرَ ، حَتَّى أَفْضَى بِهِ إِلَى غَمْرَةٍ ، فَأَقْحَمَهُ فِيهِ ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ . وَوُطِئَ أُرِيَاطُ الْيَمَنِ بِالْحَبْشَةِ ، فَقَتَلَ ثَلَاثَ رِجَالِهَا ، وَأَخْرَبَ ثَلَاثَ بِلَادِهَا ، وَبَعَثَ إِلَى النَّجَاشِيِّ بِثَلَاثِ سَبَايَاهَا ثُمَّ أَقَامَ بِهَا ، قَدْ ضَبَطَهَا وَأَذَلَّهَا ، فَقَالَ قَاتِلْ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ ، وَهُوَ يَذْكُرُ مَا سَاقَ إِلَيْهِمْ دَوْسُ ذُو ثَعْلَبَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَبْشَةِ ؛ فَقَالَ : « لَا كَدَوْسَ وَلَا كَأَعْلَاقٍ رَحِلَهُ » . يَعْنِي مَا سَاقَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْحَبْشَةِ ، فَهِيَ مِثْلُ الْيَمَنِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَقَالَ ذُو جَدَنٍ الْحَمِيرِيُّ وَهُوَ يَذْكُرُ حِمِيرَ ، وَمَا دَخَلَ عَلَيْهَا مِنَ الذَّلِّ بَعْدَ الْعَزِّ الَّذِي كَانُوا فِيهِ ، وَمَا هُدِّمَ مِنْ حَصُونِ الْيَمَنِ ، وَكَانَ أُرِيَاطُ قَدْ أَخْرَبَ مَعَ مَا أَخْرَبَ مِنْ أَرْضِ الْيَمَنِ سِلَاحِينَ وَيَبِينُونَ وَغُمْدَانٍ ؛ حَصُونًا لَمْ يَكُنْ فِي النَّاسِ مِثْلَهَا ، فَقَالَ :

هَوْنُكَ لَيْسَ يَرُدُّ الدَّمَعُ مَا فَاتَنَا لَا تَهْلِكِي أَسْفَا فِي ذِكْرِ مَنْ مَاتَا
أَبْعَدَ يَبْنُونَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرٌ وَبَعْدَ سِلَاحِينَ يَبْنِي النَّاسُ أَيْبَاتَا !
وَقَالَ ذُو جَدَنٍ الْحَمِيرِيُّ فِي ذَلِكَ :

دَعِينِي لَا أَبَالِكَ لَنْ تُطِيقِي خَلَاكَ اللَّهُ قَدْ أَنْزَفَتْ رِيْقِي ^(٢)

(١) الضحضاح من الماء : الذي يظهر منه القمر .

(٢) أنزفت ريق ، أى أكثرت على من العذل ؛ حتى أيبست ريق في في ، وقلة الريق من

الحصر . قاله السهيلي .

لَدَى عَرْفِ الْقِيَانِ إِذِ انْتَشَيْنَا وَإِذْ نُسْقَى مِنَ الْخَمْرِ الرِّحِيقِ
وَشَرَبُ الْخَمْرِ لَيْسَ عَلَى عَارًا إِذَا لَمْ يَشْكُنِي فِيهَا رَفِيقِي
فَإِنَّ الْمَوْتَ لَا يَنْهَاهُ نَاهٍ وَلَوْ شَرِبَ الشَّفَاءَ مَعَ النَّشُوقِ^(١)
وَلَا مَتَرَهَبٌ فِي أُسْطُوَانٍ يُنَاطِحُ جُذْرَهُ بَيْضَ الْأَنْوَقِ^(٢)
وَعُمْدَانِ الَّذِي حَدَّثَتْ عَنْهُ بَنُوهُ مُمَسِّكًا فِي رَأْسِ نَيْقٍ^(٣)
بِمَنْهَمَةٍ وَأَسْفَلَهُ جُرُوبٌ وَحُرُّ الْمُوَحِّلِ اللَّثِقِ الزَّلِيقِ^(٤)
مَصَائِحُ السَّلَيطِ تَلُوحُ فِيهِ إِذَا يُمَسِّي كَتُومَاضِ الْبُرُوقِ
وَنَخَلَتْهُ الَّتِي غُرِسَتْ إِلَيْهِ يَكَادُ الْبُسْرُ يَهْضِرُ بِالْمُدُوقِ^(٥)
فَأَصْبَحَ بَعْدَ جِدَّتِهِ رَمَادًا وَغَيْرَ حُسْنِهِ لَهَبُ الْحَرِيقِ
وَأَسْلَمَ ذُو نُوَاسٍ مُسْتَمِيتًا وَحَذَرَ قَوْمَهُ ضَنْكُ الْمَضِيقِ^(٦)

٩٢٩/١

وقال ابن الذئبة^(٧) الثَّقَفِيُّ ، وهو يذكّر حميرَ حين نزل بها السودان وما أصابوا

منهم :

لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَتَى مِنْ مَقَرٍّ مَعَ الْمَوْتِ يَلْحَقُهُ وَالْكَبِيرِ
لَعَمْرُكَ مَا لِلْفَتَى صُحْرَةٌ لَعَمْرُكَ مَا إِنْ لَهُ مِنْ وَرَرٍ^(٨)

(١) الشفاء هنا : ما يتداوى به ، تسمية للسبب باسم المسبب ، والنشوق . كل دواء ينفى من الأنف لينشق .

(٢) الأنوق : الرخم ؛ ويقال في المثل إذا أريد ما لا يوجد : « أعزّ من بيض الأنوق » .

(٣) رواية ابن هشام : « ممسكا » ، وهو المرتفع . والنيق : أعلى الجبل .

(٤) المنهمة : موضع الرهبان . والجروب : الحجارة السوداء ؛ ورواية ابن هشام « جرون » ؛ جمع جرن ، وهو النقيير . وحر الموحل : خالص كل شيء . واللثق ، من اللثق ، وهو اختلاط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق . (من شرح السهيلي) .

(٥) ط : « يهزر » ، وما أثبتته من ابن هشام ، قال السهيلي : أى يميل بها ، والعلوق : جمع علق ، بالكسر ، وهى الكباش . (٦) في ابن هشام : « مستكيناً » . (٧) في ابن

هشام « عبد الله بن الذئبة » ، والذئبة أمه ، واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم .

(٨) الصحرة : المتسع ، أخذ من لفظ الصحراء ، والوزر : الملجأ .

أَبْعَدَ قَبَائِلَ مِنْ حِمِيرٍ أَتُوا ذَا صَبَاحٍ بِذَاتِ الْعَبَرِ^(١)
 بِأَلْبِ أَلُوبٍ وَحَرَابَةِ^(٢) كِمِثْلِ السَّمَاءِ قُبَيْلَ الْعَطَرِ
 يُصِمُّ صِيَّاحُهُمُ الْمُقَرَّبَاتِ وَيَنْفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالزُّمَرِ^(٣)
 سَعَالَى كِمِثْلِ عَدِيدِ الثَّرَا بَيَّيَسُ مِنْهُمْ رَطَابُ الشَّجَرِ^(٤)

* * *

وأما هشام بن محمد ، فإنه زعم أن السفن لما قدمت على النجاشي من عند قيصر حمل جيشه فيها ، فخرجوا في ساحل المنذب . قال : فلما سمع بهم ذو نواس كتب إلى المقاول يدعوهم إلى مظاهرتهم ، وأن يكون أمرهم في محاربة الحبشة ودفعهم عن بلادهم واحداً ، فأبوا وقالوا : يقاتل كل رجل عن مَقْوَلته وناحيته . فلما رأى ذلك صنع مفاتيح كثيرة ، ثم حملها على عِدَّة من الإبل ، وخرج حتى لقي جمعهم ، فقال : هذه مفاتيح خزائن اليمن قد جئكم بها ، فلكم المال والأرض ، واستبقوا الرجال والذرية . فقال عظيمهم : اكتب بذلك إلى الملك ، فكتب إلى النجاشي ، فكتب إليه يأمره بقبول ذلك منهم ، فسار بهم ذو نواس حتى إذا دخل بهم صنعاء ، قال لعظيمهم : وجه ثقات أصحابك في قبض هذه الخزائن . ففرق أصحابه في قبضها ودفع إليهم المفاتيح ، وسبقت كتب ذى نواس إلى كل ناحية : أن اذبحوا كل ثور أسود في بلدكم ؛ فقتلت الحبشة ، فلم يبق منهم إلا الشريد . وبلغ النجاشي ما كان من ذى نواس ، فجهز إليه سبعين ألفاً ، عليهم قائدان : أحدهما أبرهة الأشرم ؛ فلما صاروا إلى صنعاء ورأى ذو نواس ألا طاقة له بهم ركب فرسه ، واعترض البحر فاقتحمه ، فكان آخر العهد به .

وأقام أبرهة ملكاً على صنعاء ومخاليفها ، ولم يبعث إلى النجاشي بشيء ،

(١) ذات العبر : ذات الحزن ؛ يقال : عبر الرجل ؛ إذا حزن .

(٢) ط : « ألف ألوب » ، وألب ألوب ، أى مجتمع كثير . الحراية : أصحاب الحراب ، وانظر اللسان .

(٣) المقربات من الخيل : العناق التى لا ترحل ؛ ولكن تحبس قرب البيوت للعدو . وفي ابن هشام : « الذفر » ، وهو شدة الريح .

(٤) شبيههم بالسعالى من الجن ؛ جمع سعلة .

فَقِيلَ لِلنَّجَاشِيِّ : إِنَّهُ قَدْ خَلَعَ طَاعَتَكَ ، وَرَأَى أَنَّهُ قَدْ اسْتَغْنَى بِنَفْسِهِ ، فَوَجَّهَ
إِلَيْهِ جَيْشًا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ، يُقَالُ لَهُ أَرْيَاطُ ، فَلَمَّا حُلَّ بِسَاحَتِهِ ، بَعَثَ
إِلَيْهِ أَبْرَهَةَ أَنَّهُ يَجْمَعُنِي وَإِيَّاكَ الْبِلَادُ وَالْدِّينُ ، وَالْوَاجِبُ عَلَيَّ وَعَلَيْكَ أَنْ نَنْظُرَ
لِأَهْلِ بِلَادِنَا وَدِينِنَا مِمَّنْ مَعِيَ وَمَعَكَ ، فَإِنْ شِئْتَ فَبَارِزُنِي ، فَأَيُّنَا ظَفَرُ بِصَاحِبِهِ كَانَ
الْمُلْكُ لَهُ ، وَلَمْ يَقْتُلِ الْحَبْشَةُ فِيمَا بَيْنَنَا . فَفَرَضَى بِذَلِكَ أَرْيَاطُ ، وَأَجْمَعَ أَبْرَهَةَ
عَلَى الْمَكْرُ بِهِ ، فَاتَّعَدَا مَوْضِعًا يَلْتَقِيَانِ فِيهِ ، وَأَكْنَأْبْرَهَةَ لِأَرْيَاطُ عَبْدًا لَهُ ٩٣١/١
يُقَالُ لَهُ أَرْنَجْدُهُ ، فِي وَهْدَةٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَوْضِعِ الَّتِي التَّقِيَا فِيهِ ، فَلَمَّا التَّقِيَا
سَبَقَ أَرْيَاطُ فَرَزَقَ^(١) أَبْرَهَةَ بِحَرْبَتِهِ ، فَزَالَتِ الْحَرْبَةُ عَنْ رَأْسِهِ وَشَرِمَتْ أَنْفَهُ
فَسَمَّى الْأَشْرَمَ ، وَنَهَضَ أَرْنَجْدُهُ مِنَ الْخُفْرَةِ ، فَزَرَ أَرْيَاطُ فَأَنْفَذَهُ ، فَقَتَلَهُ ،
فَقَالَ أَبْرَهَةُ لِأَرْنَجْدِهِ : احْتَكَمْتُ فَقَالَ : لَا تَدْخُلِ امْرَأَةُ الْيَمَنِ عَلَى زَوْجِهَا حَتَّى
يُبْدَأَ بِهَا ، قَالَ : لَكَ ذَلِكَ ، فَغَبِرَ بِذَلِكَ زَمَانًا . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الْيَمَنِ عَدَّوْا عَلَيْهِ
فَقَتَلُوهُ ، فَقَالَ أَبْرَهَةُ : قَدْ أَنْتَى لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَحْرَارًا ، وَبَلَغَ النَّجَاشِيُّ قَتْلُ
أَرْيَاطُ ، فَأَلَى أَلَا^(٢) يَكُونُ لَهُ نَاهِيَةٌ دُونَ أَنْ يُهْرِقَ دَمَ أَبْرَهَةَ ، وَيَطَأَ بِلَادَهُ ،
وَبَلَغَ أَبْرَهَةَ أَلَيْتُهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ : أَيُّهَا الْمَلِكُ ؛ إِنَّمَا كَانَ أَرْيَاطُ عَبْدَكَ ، وَأَنَا
عَبْدُكَ ، قَدِمَ عَلَيَّ يَرِيدُ تَوْهِينَ مَلِكِكَ ، وَقَتْلَ جَنْدِكَ ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْفَ عَنْ
قِتَالِي إِلَى أَنْ أَوْجَهَ إِلَيْكَ رَسُولًا ، فَإِنْ أَمَرْتَهُ بِالْكَفِّ عَنِّي ، وَإِلَّا سَلِمْتَ إِلَيْهِ
جَمِيعَ مَا أَنَا فِيهِ ، فَأَبَى إِلَّا مُحَارَبَتِي ، فَحَارَبْتُهُ فَظَهَرَتْ عَلَيْهِ ، وَإِنَّمَا سُلْطَانِي
لَكَ ، وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكَ حَلَفْتَ أَلَا^(٢) تَنْتَهِيَ حَتَّى تُهْرِقَ دَمِي ، وَتَطَأَ بِلَادِي . وَقَدْ
بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِقَارُورَةٍ مِنْ دَمِي ، وَجَرَابٍ مِنْ تَرَابِ أَرْضِي ؛ وَفِي ذَلِكَ خُرُوجُكَ
مِنْ يَمِينِكَ ، فَاسْتَمْتُمْ أَيُّهَا الْمَلِكُ يَدُكَ عِنْدِي ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُكَ وَعِزِّي عِزُّكَ .
فَرَضَى عَنْهُ النَّجَاشِيُّ وَأَقْرَهُ عَلَى عَمَلِهِ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ . قَالَ : فَأَقَامَ أَرْيَاطُ بِالْيَمَنِ
٩٣٢/١ سَنِينَ^(٢) فِي سُلْطَانِهِ ذَلِكَ ، ثُمَّ نَازَعَهُ فِي أَمْرِ الْحَبْشَةِ بِالْيَمَنِ أَبْرَهَةَ الْحَبْشِيُّ ،

(١) زَرْقَهُ : طَعَنَهُ بِالْمِزْرَاقِ ؛ وَهِيَ الْحَرْبَةُ .

(٢) ح : « سَنَتَيْنِ » .

وكان في جنده حتى تفرقت الحبشة عليهما ، فانحاز إلى كل واحد منهما طائفة منهم ؛ ثم سار أحدهما إلى الآخر ، فلما تقارب الناس ، ودنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة إلى أرياط : إنك لن تصنع بأن تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تُفنيها شيئا ؛ فابرز لي وأبرز لك ، فأبينا ما أصاب صاحبه انصرف إليه جنده .

فأرسل إليه أرياط : أن قد أنصفتني فاخرج . فخرج إليه أبرهة ، وكان رجلاً قصيراً لحيمًا حادراً^(١) ، وكان ذا دين في النصرانية ، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً عظيمًا طويلًا وسيمًا وفي يده حربة وخلف أبرهة ربوة تمنع ظهره وفيها غلام له يقال له عتودة ، فلما دنا أحدهما من صاحبه رفع أرياط الحربة فضرب بها على رأس أبرهة — يريد يافوخه^(٢) — فوقعته الحربة على جبهة أبرهة ، فشرمت حاجبه وعينه وأنفه وشفته ؛ فبذلك سمى أبرهة الأشرم ؛ وحمل غلام أبرهة عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله ، وانصرف جند أرياط إلى أبرهة ، فاجتمعت عليه الحبشة باليمن ، فقال عتودة في قتله أرياط : « أنا عتودة » ، من فرقة أردّه ، لا أب ولا أم نجده » ، أى يقول : قتلك عبده ، قال : فقال الأشرم عند ذلك^(٣) لعتودة : حكمك يا عتودة . .^(٤) وإن كنت قتلته ، ولا ينبغي لنا ذلك إلا ديت ، فقال عتودة : حكمي ألا تدخل عروس من أهل اليمن ٩٣٣/١ على زوجها منهم حتى أصيبها قبله . فقال : ذلك لك ، ثم أخرج دية أرياط ، وكان كل ما صنع أبرهة بغير علم النجاشي ملك الحبشة ، فلما بلغه ذلك غضب غضبًا شديدًا ، وقال : عدا على أميرى ، فقتله بغير أمرى . ثم حلف ألا يدع أبرهة حتى يبطأ بلادّه ، ويجزّ ناصيته ؛ فلما بلغ ذلك أبرهة خلق رأسه ، ثم ملأ جرابًا من تراب اليمن ، ثم بعث به إلى النجاشي ، وكتب إليه : أيّها الملك ؛ إنما كان أرياط عبدك ، وأنا عبدك ، فاختلفنا في أمرك ، وكل طاعته لك ، إلا أنى كنت أقوى منه على أمر الحبشة ، وأضبط لها

(١) الحادّ : الغليظ المجتمع ؛ كذا فسره صاحب اللسان ؛ وأورد نص ابن إسحاق .

(٢) يافوخ : وسط الرأس .

(٣) ح : « بعد ذلك » .

(٤) كذا في ط ، وفي الكلام نقص .

وأسوس لها ، وقد حلفت رأسى كله حين بلغنى قَسَمَ الملك ، وبعثت إليه
بجراب من تُراب أرض اليمن ، ليضعه تحت قدميه فيبرَ قسمه .

فلما انتهى ذلك إلى النجاشي رضى عنه ، وكتب إليه : أن اثبت على عملك
بأرض اليمن ، حتى يأتيتك أمرى . فلما رأى أبرهة أن النجاشي قد رضى عنه ،
وملكه على الحبشة وأرض اليمن بعث إلى أبي مرة بن ذى يزن ، فترع منه امرأته
ريحانة ابنة علقمة بن مالك بن زيد بن كهلان - وأبو ريحانة ^(١) ذو جَدَن ،
وقد كانت ولدت لأبي مرة معد يكرب بن أبي مرة ، وولدت لأبرهة بعد
أبي مرة مسروق بن أبرهة ، وبسباسة ابنة أبرهة ، وهرب منه أبو مرة فأقام أبرهة
باليمن وغلامه عتودة يصنع باليمن ما كان أعطاه من حكمه حيناً ، ثم عدا
على عتودة رجل من حِمير - أو من خثعم - فقتله ، فلما بلغ أبرهة قتله -

٩٣٤/١

وكان رجلاً حليماً سيداً شريفاً ورعاً في دينه من النصرانية - قال : قد أنتى لكم
يا أهل اليمن أن يكون فيكم رجل حازم ، يأنف مما يأنف منه الرجال ؛ لأنتى
والله لو علمت حين حكمته أنه يسأل الذى سأل ما حكمته ، ولا أنعمته
عيناً ، وإيم الله لا يؤخذ منكم فيه عَقْل ، ولا يتبعكم منى في قتله شيء تكرهونه .
قال : ثم إن أبرهة بنى القُلَيْس ^(٢) بصنعاء ، فبنى كنيسة لم يُر مثلاً في زمانها
بشيء من الأرض ، ثم كتب إلى النجاشي ملك الحبشة : إني قد بنيت لك أيها
الملك كنيسة لم يُبن مثلاً لملك كان قبلك ، ولست بمنته حتى أصرف إليها
حاج العرب .

فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من
النساء ^(٣) أحد بنى فقيم ، ثم أحد بنى مالك ، فخرج حتى أتى القُلَيْس ففعد ^(٤)
فيها ، ثم خرج فلحق بأرضه ؛ فأخبر بذلك أبرهة ، فقال : من صنع هذا ؟
فقبل : صنعه رجل من أهل هذا البيت الذى تحج العرب إليه بمكة ، لما سمع

(١) ط : « مرة » ؛ والصواب ما أثبتته ، وانظر ص ١٤٣ ، والتصويبات .

(٢) القليس : الكنيسة التى أراد أبرهة أن يصرف إليها حاج العرب ؛ قال السهيلي : « وسُميت
هذه الكنيسة القليس ؛ لارتفاع بنائها وعلوها » .

(٣) ط : « النساء » ؛ وما أثبتته عن ابن هشام ، والنساء : هم الذين كانوا يؤخرون شهر
الحرم إلى صفر ، لحاجتهم إلى شن الغارات ، وطلب الثارات .

(٤) فعد فيها ، قال ابن هشام : « يعنى أحدث فيها » .

من قولك : أصرف إليه حاج العرب ، فغضب فجاء فقعده فيها ؛ أي أنها ليست لذلك بأهل . فغضب عند ذلك أبرهة ، وحلف ليسيرن إلى البيت فيهدمه ، وعند أبرهة رجال من العرب ، قد قدوا عليه يلتمسون فضله ، منهم محمد بن خُزاعي بن حِزابة الذكواني ، ثم السلمي ، في نفر من قومه ، معه أخ له ، يقال له قيس بن خُزاعي ؛ فبينما هم عنده غشيتهم عيد لأبرهة ، فبعث إليهم فيه بغدائه ، وكان يأكل الخصى ، فلما أتى القوم بغدائه قالوا : والله لن أكلنا هذا لا تزال تعيننا به العرب ما بقينا ، فقام محمد بن خُزاعي ، فجاء أبرهة فقال : أيها الملك ، هذا يوم عيد لنا ، لا نأكل فيه إلا الجُنب والأيدى ، فقال له أبرهة : فسنبعث إليكم ما أحببتم ؛ فإنما أكرمتكم بغدائي لمتزلتكم مني . ثم إن أبرهة توج محمد بن خُزاعي ، وأمره على مُضر ، وأمره أن يسير في الناس يدعهم إلى حجِّ القُليسيّس ؛ كنيسته التي بناها . فسار محمد بن خُزاعي ، حتى إذا نزل ببعض أرض بني كنانة - وقد بلغ أهل تهامة أمره ، وما جاء له - بعثوا إليه رجلاً من هذيل ، يقال له عروة بن حياض الملاصي ، فرماه بهم فقتله . وكان مع محمد بن خُزاعي أخوه قيس ، فهرب حين قُتل أخوه ، فلحق بأبرهة ، فأخبره بقتله ، فزاد ذلك أبرهة غضباً وحَنَقاً ، وحلف ليغزو بني كنانة وليهدم البيت .

وأما هشام بن محمد ، فإنه قال : بنى أبرهة بعد أن رضى عنه النجاشي وأقره على عمله كنيسة صنعاء ، فبناها بناءً معجيباً لم ير مثله ، بالذهب والأصباغ المعجبة ، وكتب إلى قيصر يعلمه أنه يريد بناء كنيسة بصنعاء ، يبق أثرها وذكرها ، وسأله المعونة له على ذلك فأعانه بالصنّاع والفُسيّساء والرّحام ، وكتب أبرهة إلى النجاشي حين استتم بناؤها : إني أريد أن أصرف إليها حاج العرب . فلما سمعت بذلك العرب أعظمته ، وكبر عليها ، فخرج رجل من ٩٣٦/١ بى مالك بن كنانة حتى قدّم اليمن ، فدخل الهيكل ، فأحدث فيه ، فغضب أبرهة ، وأجمع على غزو مكة وهدم البيت ، فخرج سائراً بالحِشّة ومعه الفيل ، فلقية ذو نَصر الحميري ، فقاتله فأسره ، فقال : أيها الملك ؛ إنما أنا عبدك فاستبقني ، فإن حياتي خير لك من قتلي ، فاستبقاه ، ثم سار فلقية ثقيل

ابن حبيب الخثعمي ، فقاتله فهزم أصحابه ، وأسرّه ، فسأله أن يستبقيه ، ففعل وجعله دليلاً في أرض العرب .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ثم إن أبرهة حين أجمع السير إلى البيت أمر الحبشان فتهيأت وتجهزت ، وخرج معه بالقيل - قال : وسمعت العرب بذلك فأعظموه ، وفضّعوا به ، ورأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام - فخرج له رجل كان من أشرف أهل اليمن وملوكهم ، يقال له : ذو نفر ، فدعا قومه ومن أجابه منهم من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله ، وما يريد من هدمه وإخراجه ، فأجابه من أجابه إلى ذلك ، وعرض له فقاتله ، فهزم ذو نفر وأصحابه ، وأخذ له ذو نفر أسيراً ، فأتي به ، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أيّها الملك ، لا تقتلني ؛ فإنه عسى أن يكون كوفي معك خيراً لك من قتلي . فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق - وكان أبرهة رجلاً حليماً - ثم مضى أبرهة على وجهه ذلك ، يريد ما خرج له ، حتى إذا كان بأرض خثعم ، عرض له نقييل ابن حبيب الخثعمي في قبيلي خثعم : شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب ، فقاتله فهزمه أبرهة ، وأخذ له نقييل أسيراً ، فأتى به ، فلما هم بقتله قال له نقييل : أيّها الملك ، لا تقتلني فإنني دليلك بأرض العرب ، وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم ، شهران وناهس بالسمع والطاعة ، فأعفاه وخلّى سبيله ، وخرج به معه يداً على الطريق ، حتى إذا مرّ بالطائف خرج إليه مسعود بن معتب في رجال ثقيف ، فقال له : أيّها الملك ؛ إنما نحن عبيدك ، سامعون لك مطيعون ليس لك عندنا خلاف ، وليس بيتنا هذا بالبيت الذي تريد - يعنون اللات - إنما تريد البيت الذي بمكة - يعنون الكعبة - ونحن نبعث معك من يدلك . فتجاوز عنهم ، وبعثوا معه أبا رغال ، فخرج أبرهة ومعه أبو رغال ، حتى أنزله الغمّس ، فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك ، فبرجت العرب قبره ، فهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمّس .

ولما نزل أبرهة الغمّس بعث رجلاً من الحبشة ، يقال له الأسود بن مقصود

على خيل له حتى انتهى إلى مكة ، فساق إليه أموال أهل مكة من قريش وغيرهم ، وأصاب منها مائتي بعير لعبد المطلب بن هاشم ؛ وهو يومئذ كبير قريش وسيدها ، فهزمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بالحرم من سائر الناس بقتاله ، ثم عرفوا أنه لاطاقة لهم به ؛ فتركوا ذلك ، وبعث أبرهة حنطة الحميري إلى مكة ، وقال له : سل عن سيد هذا البلد وشريفهم ؛ ثم قل له : ٩٣٨/١ إن الملك يقول لكم : إني لم آت لحربكم ؛ إنما جئت لهدم البيت ؛ فإن لم تعرضوا دونه بحرب ، فلا حاجة لي بدمائكم ؛ فإن لم يُردّ حربي فأنتي به .

فلما دخل حنطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها ، ف قيل له : عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة . فقال له عبد المطلب : والله ما نريد حربته ، وما لنا بذلك من طاقة ؛ هذا بيت الله الحرام ، وبيت خليله إبراهيم — أو كما قال — فإن يمنعهُ فهو بيته وحرمه ، وإن يخل بينه وبينه ، فوالله ما عندنا من دفع عنه — أو كما قال له — فقال له حنطة : فانطلق إلى الملك ، فإنه قد أمرني أن آتيه بك — فانطلق معه عبد المطلب ، ومعه بعض بنيهِ ، حتى أتى العسكر فسأل عن ذي نفر — وكان له صديقاً — حتى دُلّ عليه ، وهو في محبسه ، فقال له : ياذا نفر ، هل عندك غناء فيما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : وما غناء رجل أسير بيدي ملك ينتظر أن يقتله غدواً أو عشياً ! ما عندى غناء في شيء مما نزل بك إلا أن أنيساً سائس الفيل لي صديق ، فسأرسِل إليه فأوصيه بك ، وأعظم عليه حقلك ، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما تريد ، ويشفع لك عنده بخير ، إن قدر على ذلك . قال : حسبي .

فبعث ذو نفر إلى أنيس ، فجاء به ، فقال : يا أنيس ؛ إن عبد المطلب سيد قريش وصاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، وقد أصاب له الملك مائتي بعير فاستأذن له عليه ، وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل ، فكلتم أنيس أبرهة فقال : أيها الملك ؛ هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك ، وهو صاحب غير مكة يطعم الناس بالسهل ، والوحوش في رؤوس الجبال ، فأذن له عليك ، فيكلمك بحاجته وأحسن إليه . قال : فأذن له ٩٣٩/١

أبرهة - وكان عبد المطلب رجلاً عظيماً وسيماً جسيماً - فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه أن يجلس تحته ، وكره أن تراه الحبشة فيجلسه معه على سرير ملوكه ، فنزل أبرهة عن سريره ، فجلس على بساطه وأجلسه معه عليه إلى جنبه ، ثم قال لترجمانه : قل له حاجتك إلى الملك ، فقال له ذلك الترجمان ، فقال عبد المطلب : حاجتي إلى الملك أن يردّ عليّ مائتي بعير أصابها لي . فلما قال له ذلك ، قال أبرهة لترجمانه : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، ثم زهدت فيك حين كلمتني ؛ أتكلّمني في مائتي بعير قد أصبتها لك وترك بيتاً هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلّمني فيه ! قال له عبد المطلب : إني أنا ربّ الإبل ، وإن للبيت ربّاً سيمنعه ، قال : ما كان ليمنع مني ، قال : أنت وذاك ، اردد إلى إبلتي .

وكان - فيما زعم بعض أهل العلم - قد ذهب عبد المطلب إلى أبرهة حين بعث إليه حنّاطة بعمر بن نفّثة بن عدى بن الدّئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة - وهو يومئذ سيّد بني كنانة - وخويلد بن وائلة الهذلي - وهو يومئذ سيّد هذيل - ١٤٠/١
فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تبهامة على أن يرجع عنهم ، ولا يهدم البيت ، فأبى عليهم . والله أعلم .

وكان أبرهة قد ردّ على عبد المطلب الإبل التي أصاب له ، فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر ، وأمرهم بالخروج من مكة والتحرّز في شَعَف الجبال والشعاب تخوفاً عليهم معرفة الجيش ، ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة الباب باب الكعبة ، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده ، فقال عبد المطلب ، وهو آخذ بحلقة باب الكعبة :

يَا رَبِّ لَا أَرْجُو لَهُمْ سِوَاكَ يَا رَبِّ فَاَمْنَعُ مِنْهُمْ حِمَاكَ
إِنَّ عَدُوَّ الْبَيْتِ مَنْ عَادَاكَ اَمْنَهُمْ أَنْ يُخْرِبُوا قُرَاكَ

ثم قال أيضاً :

لَا هُمْ إِنْ الْعَبْدَ يَدُ نَعُ رَحْلَهُ فَاَنْفَعُ حِلَالِكَ (١)
 لَا يَطْلُبْنَ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَوًا وَمَحَالِكَ (٢)
 فَلَيْنَ فَعَلْتَ قَرُبَمَا أَوْلَى فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ (٣)
 وَلَيْنَ فَعَلْتَ فَإِنَّهُ أَمْرٌ يُتِمُّ بِهِ فِعَالِكَ
 جَرَوْا جُمُوعَ بِلَادِهِمْ وَالْفِيلَ كَنَى يَسْبُوا عِيَالِكَ
 عَمَدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ جَهْلًا وَمَا رَقِبُوا جَلَالِكَ

[وقال أيضاً (٤) :

وَكُنْتَ إِذَا أَنَّى بَاغٍ يَسْلَمُ نَزَجِي أَنْ تَكُونَ لَنَا كَذَلِكَ
 فَوَلَوْ لَمْ يَنَالُوا غَيْرَ خَزْيٍ وَكَانَ الْحَيْنُ يُهْلِكُهُمْ هُنَا لِكَ
 وَلَمْ أَسْمَعْ بَارِجَسَ مِنْ رِجَالٍ أَرَادُوا الْعِزَّ فَانْتَهَكُوا حَرَامَكَ

٩٤١/١

ثم أرسل عبد المطلب حاتفة الباب ، باب الكعبة ، وانطلق هو ومن معه من قريش إلى شعث الجبال ، فتمرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها . فلما أصبح أبرهة تهباً لدخول مكة ، وهياً فيلته ، وعبى جيشه — وكان اسم الفيل محموداً — وأبرهة مجمع لهدم البيت ثم الانصراف إلى اليمن ؛ فلما وجهوا الفيل أقبل نفييل بن حبيب الحشمي حتى قام إلى جنبه ، ثم أخذ بأذنه ، فقال : ابترك محمود ، وارجع راشداً من حيث جئت ، فإنك في بلد الله الحرام . ثم أرسل أذنه ، فبرك الفيل وخرج نفييل بن حبيب يشتد حتى صعد

(١) الحلال في البيت : القوم الحلول في المكان .

(٢) غدواً ، أي غدا ولم يستعمل تاماً إلا في الشعر ، وانظر الفائق ١ : ٢٦٠ .

(٣) ولم يذكر ابن هشام سوى هذه الأبيات الثلاثة ؛ وقال : هذا ما صح له منها .

(٤) زيادة يقتضيه اختلاف بحر الأبيات التالية عما قبلها .

في الجبل ، وضربوا الفيل ليقومَ فأبى ، وضربوا في رأسه بالطبرزين ^(١) ليقوم فأبى ، فأدخلوا محاجنَ لهم في مِرَاقه فبزغوه ^(٢) ليقوم فأبى ، فوجهوه راجعاً إلى اليمن ، فقام يهرول ، ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ، ووجهوه إلى مكة فبرك ، وأرسل الله عليهم طيراً من البحر أمثال الخطاطيف ، مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها ، حجر في منقاره ، وحجران في رجله مثل الحمص والعدس لا تصيب منهم أحداً إلا هلك ، ٩٤٢/١ وليس كلُّهم أصابت ، وخرجوا هارين يتدرون الطريق الذي منه جاءوا ، ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلّهم على الطريق إلى اليمن ، فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته :

أَيْنَ الْمَفَرِّ وَالْإِلَهُ الطَّالِبُ . وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ غَيْرُ الْغَالِبِ !
وقال نفيل أيضاً :

أَلَا حُيِّتِ عَنَّا يَا رُدَيْنَا نَعْمَنَا كَمْ مَعَ الْإِضْبَاحِ عَيْنَا
أَتَانَا قَابِسٌ مِنْكُمْ عِشَاءَ فَلَمْ يُقَدِّرْ لِقَابِسِكُمْ لَدَيْنَا
رُدَيْنَةُ لَوْ رَأَيْتِ وَلَمْ تَرِيهِ لَدَى جَنْبِ الْمُحَصَّبِ مَا رَأَيْنَا
إِذَا لَعَدَّرْتِنِي وَحَدَّتِ رَأْيِي وَلَمْ تَأْسَى عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَا ^(٣)
حَدَّتْهُ اللَّهُ إِذْ عَايَنْتُ طَيْرًا وَخِفْتُ حِجَارَةً تُلْقَى عَلَيْنَا
فَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نَفِيلٍ كَأَنَّ عَلَى اللَّحْبَشَانِ دَيْنًا !

فخرجوا يتساقطون بكلّ طريق ، ويهلكون على كلّ منهل ، وأصيب أبرهة في جسده ، وخرجوا به معهم تسقط أنامله أنملةً أنملةً ، كلما سقطت منه

(١) الطبرزين : فأس السرج ؛ فارسي مغرب ؛ قال الجواليقي : « لأن فرسان العجم كانت تحمله معها يقاتلون به » . المغرب ٢٢٨ .

(٢) بزغوه : آدموه .

(٣) قال السهيلي : نصب « بينا » نصب المصدر المؤكد لما قبله ؛ إذ كان في معناه ولم يكن على لفظه ؛ لأن « فات » معناه « فارق » ، و « بان » .

أتملة اتبعته منه مدة تَمَثَّ (١) قِيحاً ودمماً حتى قَدِمُوا به صنعاء ؛ وهو مثل فرخ الطير ، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه — فيما يزعمون (٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان ، عن أبيه . قال : حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن السلمي ، عن أبيه . قال : حدثنا عبد الله ابن عمرو بن زهير الكعبي ، عن أبي مالك الحُميري عن عطاء بن يسار . ٩٤٣/١
قال : حدثنا محمد بن أبي سعيد الثَّقَفِي عن يعلَى بن عطاء ، عن وكيع بن عُدُس ، عن عمه أبي رَزِين العُقَيْلِي . قال : حدثنا سعيد بن مُسْلِم ، عن عبد الله ابن كثير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ؛ دخل حديث بعضهم في حديث بعض ؛ قالوا : كان النجاشي قد وجّه أرياط أبا صحم (٣) في أربعة آلاف إلى اليمن ، فأدأخها (٤) ، وغلب عليها ، فأعطى الملوك ، واستذل الفقراء ، فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الأشرم أبو يكسوم ، فدعا إلى طاعته ، فأجابوه ، فقتل أرياط ، وغلب على اليمن ، ورأى الناس يتجهّزون أيام الموسم للحجّ إلى البيت الحرام ، فسأل : أين يذهب الناس ؟ فقالوا : يحجّون إلى بيت الله بمكة ، قال : ممّ هو ؟ قالوا : من حجارة ، قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأتيها من الوصائل ، قال : والمسيح لأبنيّن لكم خيراً منه ! فبني لهم بيتاً ، عمله بالرخام الأبيض والأحمر والأصفر والأسود ، وحلّاه بالذهب والفضة ، وحفّاه بالجوهر ، وجعل له أبواباً عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ، وفصل بينها بالجوهر ، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة ، وجعل لها حجاباً ، وكان يوقد بالمسندك ، ويلطّخ جُدْره بالمسك ، فيسوّده حتى يغيب الجوهر . وأمر الناس فحجّوه ، فحجّه كثير من قبائل العرب سنين ، ومكث فيه رجال يتعبّدون ويتألّهون ، ونسكوا له ، وكان تُفِيل الخثعمي يؤرّض (٥) له ما يكره ، فلما كان ليلة من

(١) قال السهيلي : تمث ، بالضم والكسر ؛ فعل رواية الضم يكون الفعل متعدياً ، ونصب « قِيحاً » على المفعول ، وعلى رواية الكسر يكون غير متعد ، ونصب « قِيحاً » على التمييز .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ٤٢ - ٤٦ . (٣) ر : « صحم » .

(٤) أدأخها : أذلها . (٥) أرض الشيء : سواه وزينه .

الليالى لم ير أحداً يتحرك ، فقام فجاء بمَدْرَةٍ فطبخ بها قبلته ، وجمع جِيَسَفًا
 ٩٤٤/١ فألقاها فيه . فأخبر أبرهة بذلك ، فغضب غضباً شديداً ، وقال : إنما فعلت
 هذا العرب غضباً لبيتهم ، لأنقضته حجراً حجراً . وكتب إلى النجاشي يخبره
 بذلك ، ويسأله أن يبعث إليه بفيله «محمود» - وكان فيلاً لم ير مثله في الأرض
 عِظَمًا وجِسْمًا وقُوَّةً - فبعث به إليه ، فلما قدم عليه الفيل سار أبرهة بالناس
 ومعه مَلِكُ حِمْيَر ، ونُفَيْلُ بن حبيب الخثعمي ، فلما دنا من الحرم أمر
 أصحابه بالغارة على نَعَمِ الناس فأصابوا إبلًا لعبد المطلب ، وكان نُفَيْلُ
 صديقًا لعبد المطلب ، فكلّمه في إبله ، فكلّم نُفَيْلُ أبرهة ، فقال : أيّها الملك ،
 قد أتاك سيّد العرب وأفضلهم قَدْرًا ، وأقدمهم شرفًا ، يحمل على الجياد ،
 ويُعطى الأموال ، ويطيّع ما هبّت الريح . فأدخله على أبرهة ، فقال : حاجتك !
 قال : تردّ على إبل ، فقال : ما أرى ما بلغني عنك إلا الغرور ، وقد ظننت
 أنك تكلمني في بيتيكم الذي هو شرفكم ، فقال عبد المطلب : ارددّ على إبل ،
 ودونك البيت ؛ فإن له ربًّا سيمنعه . فأمر بردّ إبله عليه ، فلما قبضها قلّدها
 النعال ، وأشعرها ، وجعلها هَدْيًا ، وبثّها في الحرم لكي يصاب منها شيء
 فيغضب ربّ الحرم ، وأوفى عبد المطلب على حيراء ومعه عمرو بن عائذ بن
 عمران بن مخزوم ومُطِيعُ بن عدى وأبو مسعود الثقفي ، فقال عبد المطلب :

لَا هُمْ إِنَّ الْمَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ فَاْمْنَعُ حِلَالَكَ
 لَا يَفْلِحَنَّ صَلِيْبُهُمْ وَمِحَالُهُمْ غَدَاً مِحَالَكَ
 إِنْ كُنْتَ تَارَكَهُمْ وَقَدْ لَمَنَّا فَأَمْرٌ مَا بَدَا لَكَ

٩٤٥/١ قال : فأقبلت الطير من البحر أبابيل ، مع كلّ طير [منها] ^(١) ثلاثة أحجار :
 حجران في رجله وحجر في منقاره ، فقدفت الحجارة عليهم ، لا تصيب شيئاً
 إلا هشمته ، ولا تفلت ذلك الموضع ، فكان ذلك أول ما كان الجُدْرَى والحصبة
 والأشجار المَرَّة ، فأهدمتهم الحجارة ، وبعث الله سيلًا أُنْيِيًا ، فذهب بهم
 فألقاهم في البحر .

(١) تكلّة من ح ، ر .

قال : وولت أبرهة ومن بقي معه هُرَابًا ، فجعل أبرهة يسقط عضواً عضواً . وأما «محمود» فيل النجاشي فربض ولم يشجع على الحرم فنجأ ، وأما الفيل الآخر فشجع فحُصِب . ويقال : كانت ثلاثة عشر فيلاً ، ونزل عبد المطلب من حراء ، فأقبل رجلان من الحبشة فقبلاً رأسه وقالا : أنت كنت أعلم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن أول ما رُئيت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام ، وأنه أول ما رُئى بها مُراراً الشجر : الحرمل والحنظل والعُشُر ، ذلك العام .

* * *

قال ابن إسحاق : ولما هلك أبرهة ملك اليمن ابنه في الحبشة يكسوم بن أبرهة — وبه كان يكنى — فذلت حمير وقبائل اليمن ووطنتهم الحبشة ؛ فنكحوا نساءهم ، وقتلوا رجالهم ، واتخذوا أبناءهم تراجمة بينهم وبين العرب . قال : ولما رد الله الحبشة عن مكة ، فأصابهم ما أصابهم من النقمة ، عظمت العرب قريشاً ، وقالوا : أهل الله ، قاتل الله عنهم ، فكفاهم مؤونة عدوهم .

قال : ولما هلك يكسوم بن أبرهة ملك اليمن في الحبشة أخوه مسروق ابن أبرهة ، فلما طال البلاء على أهل اليمن — وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين أن دخلها أرباط إلى أن قتلت الفرس مسروقاً ، وأخرجوا الحبشة من اليمن ٩٤٦/١ ثنتين وسبعين سنة ، توارث ذلك منهم أربعة ملوك : أرباط ، ثم أبرهة ، ثم يكسوم بن أبرهة ، ثم مسروق بن أبرهة — خرج سيف بن ذى يزن الحميري ، وكان يكنى بأبي مرة ، حتى قدم على قيصر ملك الروم ، فشكا ما هم فيه ، وطلب إليه أن يخرجهم عنه ، ويليهم هو ، ويبعث إليهم من شاء من الروم ، فيكون له ملك اليمن ، فلم يشكهم ولم يجد عنده شيئاً مما يريد ، فخرج حتى قدم الحيرة على النعمان بن المنذر — وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العرب من العراق — فشكا إليه ما هم فيه من البلاء والذل ، فقال له النعمان : إن لي على كسرى وفادة في كل عام ، فأقيم عندي حتى يكون ذلك ، فأخرج بك معي . قال : فأقام عنده حتى خرج النعمان إلى كسرى ، فخرج معه إلى

كيسرى ، فلما قدم النعمان على كسرى وفرغ من حاجته ، ذكر له سيف بن ذى يزن وما قدم له ، وسأل أن يأذن له عليه ، ففعل . وكان كسرى إنما يجلس فى إيوان مجلسه الذى فيه تاجه ، وكان تاجه مثل القنقلى^(١) العظيم ، مضروباً فيه الياقوت والزبرجد واللؤلؤ والذهب والفضة ، معلقاً بسلسلة من ذهب فى رأس طاق مجلسه ذلك ، كانت عنقه لا تحمل تاجه ، إنما يُستر بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ، ثم يدخل رأسه فى تاجه ، فإذا استوى فى مجلسه كشف الثياب عنه فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك إلاّ برك هيبة له . فلما دخل عليه سيف بن ذى يزن برك ، ثم قال : أيّها الملك غلبتنا على بلادنا الأغرّة ، فقال كسرى : أىّ الأغرّة ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، فجئتك لتنصرنى عليهم ، وتخرجهم عنى ، ويكون ملك بلادى لك ، فأنت أحب إلينا منهم . قال : بعدت أرضك من أرضنا ، وهى أرض قليلة الخير ، إنما بها الشاء والبعر ، وذلك ممّا لا حاجة لنا به ، فلم أكن لأورط جيشاً من فارس بأرض العرب . لا حاجة لى بذلك ! ثم أمر فأجيز بعشرة آلاف درهم واف ، وكساه كسوة حسنة .

فلما قبض ذلك سيف بن ذى يزن ، خرج فجعل ينثر الورق للناس يُنهيها الصبيان والعبيد والإماء ، فلم يلبث ذلك أن دخل على كسرى ، فقيل له : العربى الذى أعطيته ما أعطيته ينثر دراهمه للناس يُنهيها العبيد والصبيان والإماء . فقال كسرى : إنّ لهذا الرجل لشأناً ، ائتونى به ، فلما دخل عليه قال : عمدت إلى حياء الملك الذى حبّاك به تنثره للناس ! قال : وما أصنع بالذى أعطانى الملك ! ما جبال أرضى التى جئت منها إلاّ ذهب وفضة — يرغبه فيها لما رأى من زهادته فيها — إنما جئت الملك ليمنعنى من الظلم ، ويدفع عنى الذلّ ، فقال له كسرى : أقم عندى حتى أنظر فى أمرك . فأقام عنده .

وجمع كسرى مرازبته وأهل الرأى ممن كان يستشير فى أمره ، فقال : ما ترون فى أمر هذا الرجل ، وما جاء له ؟ فقال قائل منهم : أيّها الملك ، إن فى سجونك رجالاً قد حبستهم للقتل ، فلو أنك بعثتهم معه ، فإن هلكوا كان الذى أردت بهم ، وإن ظهروا على بلاده كان ملكاً ازددته إلى ملكك . فقال : إنّ هذا الرأى ! أحصوا لى كم فى سجونى من الرجال ، فحسبوا له ،

(١) القنقل : مكياى يسع ثلاثين منا ، والمنا : وزان وطلين .

فوجدوا في سجونهم ثمانمائة رجل ، فقال : انظروا إلى أفضل رجل منهم حسَبًا وبيتًا ، اجعلوه عليهم . فوجدوا أفضلهم حسَبًا وبيتًا وهَرِيز — وكان ذا سنّ — فبعثه مع سيف ، وأمره على أصحابه ، ثم حملهم في ثمانين سفائن ، في كل سفينة مائة رجل ، وما يصلحهم في البحر .

فخرجوا حتى إذا لجّجوا في البحر ، غرقت من السفن سفيتان بما فيهما ، فخلّص إلى ساحل اليمن من أرض عدن ست سفائن ، فيهنّ ستائة رجل ، فيهم وهَرِيز ، وسيف بن ذى يزن ، فلما اطمأنّا بأرض اليمن ، قال وهَرِيز لسيف : ما عندك ؟ قال : ما شئت من رجل عربيّ ، وفرس عربيّ ؛ ثم اجعل رجلي مع رجلك ؛ حتى نموت جميعًا أو نظهر جميعًا . قال وهَرِيز : أنصفت وأحسنّت ! فجمع إليه سيف من استطاع من قومه ، وسمع بهم مسروق بن أبرهة فجمع إليه جنده من الحبشة ، ثم سار إليهم حتى إذا تقارب العسكران ، ونزل الناس بعضهم إلى بعض وهَرِيز ابنًا له كان معه — يقال له نوزاذ — على جريدة خيّل ، فقال له : ناوشهم القتال ، حتى ننظر كيف قتالهم . فخرج إليهم فناوشهم شيئًا من قتال ، ثم تورّط في مكان لم يستطع الخروج منه فقتلوه ، فزاد ذلك وهَرِيز حنقًا عليهم ، وجِدًّا على قتالهم .

فلما تواقف الناس على مصافقتهم قال وهَرِيز : أروني ملكهم ، فقالوا : ٩٤٩/١ ترى رجلاً على الفيل عاقداً تاجه على رأسه ، بين عينيه ياقوتة حمراء ، قال : نعم ، قالوا : ذاك ^(١) ملكهم ، قال : اتركوه . فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على الفرس ، فقال : اتركوه ، فوقفوا طويلاً ، ثم قال : علام هو ؟ قالوا : قد تحوّل على البغلة ، قال : ابنة الحمار ! ذلّ وذلّ ملكه ، هل تسمعون أنى سأرميه ، فإن رأيتم أصحابه وقوفاً لم يتحرّكوا فاثبتوا حتى أودنكم ، فإننى قد أخطأت الرجل ، وإن رأيتم القوم قد استداروا ولائوا به ، فقد أصبت الرجل ، فاحملوا عليهم .

ثم أوتر قوسه — وكانت فيما زعموا لا يوترها غيره من شدتها — ثم أمر بحاجبيه

(١) ر : « ذلك » .

فَعُصَّبَا لَهُ ، ثُمَّ وَضَعَ فِي قَوْسِهِ نَشَابَةً فَمَغَطَ (١) فِيهَا حَتَّى إِذَا مَلَأَهَا أَرْسَلَهَا فَصَكَ بِهَا الْيَاقُوْتَةَ الَّتِي بَيْنَ عَيْنَيْهِ ، فَتَغَلَّغَتِ النَّشَابَةُ فِي رَأْسِهِ ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ قَفَاهُ ، وَتَنَكَّسَ عَنْ دَابَّتَيْهِ ، وَاسْتَدَارَتِ الْحَبْشَةُ ، وَلاَثَتْ بِهِ ، وَحَمَلَتْ عَلَيْهِمُ الْفُرْسُ ، وَانْهَزَمَتِ الْحَبْشَةُ ، فَقَتَلُوا وَهَرَبَ شَرِيْدُهُمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ ، فَأَقْبَلَ وَهَرِيزُ يَرِيدُ صَنْعَاءَ يَدْخُلُهَا ، حَتَّى إِذَا أَتَى بَابَهَا قَالَ : لَا تَدْخُلْ رَايَتِي مِنْكَسَّةً أَبَدًا ، أَهْدَمُوا الْبَابَ . فَهَدَمَ بَابَ صَنْعَاءَ ، ثُمَّ دَخَلَهَا نَاصِبًا رَايَتَهُ يُسَارِبُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ .

فلما ملك اليمن ونفى عنها الحبشة كتب إلى كسرى : إِنِّي قَدْ ضَبَطْتُ لَكَ الْيَمَنَ ، وَأَخْرَجْتُ مَنْ كَانَ بِهَا مِنَ الْحَبْشَةِ ؛ وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِالْأَمْوَالِ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ كَسْرَى بِأَمْرِهِ أَنْ يَمْلِكُ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ عَلَى الْيَمَنِ وَأَرْضِهَا ، وَفَرَضَ كَسْرَى عَلَى سَيْفِ بْنِ ذِي يَزْنَ جِزْيَةً وَخَرَجًا يُؤَدِّيهِ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ مَعْلُومٌ ، يُبْعَثُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ عَامٍ . وَكَتَبَ إِلَى وَهْرِيزَ أَنْ يَنْصَرِفَ إِلَيْهِ . فَانْصَرَفَ إِلَيْهِ وَهْرِيزُ ، وَمَلَكَ سَيْفُ بْنُ ذِي يَزْنَ عَلَى الْيَمَنِ ، وَكَانَ أَبُوهُ ذُو يَزْنَ مِنْ مُلُوكِ الْيَمَنِ .

فهذا ما حدثنا به ابن حميد ، عن سلمة عن ابن إسحاق ، من أمر حِمْيَرَ وَالْحَبْشَةِ ، وَمُلْكِهِمْ وَتَوْجِيهِ كَسْرَى مِنْ وَجْهِهِ لِحَرْبِ الْحَبْشَةِ بِالْيَمَنِ (٢) .

* * *

وَأَمَّا هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، فَإِنَّهُ قَالَ : مَلَكَ بَعْدَ أِبْرَهَةَ يَكْسُومٌ ، ثُمَّ مَسْرُوقٌ . قَالَ : وَهُوَ الَّذِي قَتَلَهُ وَهْرِيزُ فِي مَلِكِ كَسْرَى بْنِ قُبَادَ ، وَنَفَى الْحَبْشَةَ عَنْ الْيَمَنِ . قَالَ : وَكَانَ مِنْ حَدِيثِهِ أَنْ أَبَا مُرَّةَ الْفَيَّاضِ ذَا يَزْنَ ، كَانَ مِنْ أَشْرَافِ الْيَمَنِ ، وَكَانَتْ تَحْتَهُ رِيحَانَةُ ابْنَةِ ذِي جَدْنٍ ، فَوَالِدَتْ لَهُ غَلَامًا سَمَّاهُ مَعْمَدٌ يَكْرِبُ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ ، فَانْتَزَعَهَا الْأَشْرَمُ مِنْ أَبِي مُرَّةَ ، فَاسْتَنْكَحَهَا ، فَخَرَجَ أَبُو مُرَّةَ مِنَ الْيَمَنِ ، فَلَحَقَ بِبَعْضِ مُلُوكِ بَنِي الْمَنْذَرِ - أَظُنُّهُ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ - فَسَأَلَهُ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ إِلَى كَسْرَى كِتَابًا ، يَعْلَمُهُ فِيهِ قَدْرَهُ وَشَرْفَهُ وَنَزْوَعَهُ إِلَيْهِ فِيمَا نَزَعَ إِلَيْهِ فِيهِ . فَقَالَ : لَا تَعْجَلْ ، فَإِنِّي لِي عَلَيْهِ فِي كُلِّ سَنَةٍ وَفَادَةٌ ، وَهَذَا وَقْتُهَا ، فَأَقَامَ قَبْلَهُ حَتَّى وَقَدَّ عَلَيْهِ مَعَهُ ، فَدَخَلَ عَمْرُو بْنُ هَنْدٍ عَلَى كَسْرَى ،

(١) مغط الرجل القوس مغطاً ؛ إِذَا مَدَّهَا بِالْوَتَرِ . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٥٠ - ٥٢ .

فذكر له شرف ذى يزن وحاله ، واستأذن له ، فدخل فأوسع له عمرو ، فلما رأى ذلك كسرى علم أن عمراً لم يصنع به ذلك بين يديه إلا لشرفه ، فأقبل عليه ، فألفظه وأحسن مسألته ، وقال له : ما الأمر الذى نزع بك ؟ قال : أيها الملك ، إن السودان قد غلبونا^(١) على بلادنا ، وركبوا منّا أموراً شنيعة^(٢) ، أجلّ الملك ٩٥١/١ عن ذكرها ، فلو أن الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره ، لكان حقيقةً بذلك لفضله وكرمه وتقديره لسائر الملوك . فكيف وقد نزعنا إليه ، مؤملين له ، راجين أن يقصم الله عدونا وينصرنا عليهم ، وينتقم لنا به منهم ! فإن رأى الملك أن يصدق ظننا ، ويحقق رجاءنا ، ويوجه معى جيشاً ينفون هذا العدو عن بلادنا فيزادها إلى ملكه — فإتّها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً ، وليست كما يلى الملك من بلاد العرب — فعل .

قال : قد علمت أن بلادكم كما وصفت ، فأى السودان غلبوا عليها ؟ الحبشة أم السند ؟ قال : بل الحبشة ، قال أنوشير وان : إئتى لأحب أن أصدق ظنك ، وأن تنصرف بحاجتك ؛ ولكن المسلك للجيش إلى بلادك صعب ، وأكره أن أغرّه بجندى ، ولى فيما سألت نظّر ، وأنت على ما تحب . وأمر بإنزاله وإكرامه ؛ فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك . وقد كان أبو مرة قال قصيدة بالحميرية يمتدح فيها كسرى ، فلما ترجمت له ، أعجب بها .

وولدت ريحانة ابنة ذى جندّ لأبرهة الأشرم غلاماً ، فسماه مسروقاً ، ونشأ معه يزن مع أمّه ريحانة في حِجر أبرهة فسبّه ابن لأبرهة ، فقال له : لعنك الله ، ولعن أباك ! وكان معد يكرب لا يحسب إلا أن الأشرم أبوه ، فأتى أمّه فقال لها : منّ أبى ؟ قالت : الأشرم ، قال : لا والله ، ما هو أبى ، ولو كان أبى ما سبّنى فلان ، فأخبرته أن أباه أبو مرة الفيّاض ، واقتصت عليه خبره ، فوقع ذلك في نفس الغلام ، ولبث بعد ذلك لبثاً . ٩٥٢/١

(١) ح : « غلبوا » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « شنه » .

ثم إن الأشرم مات ، ومات ابنه يكسوم ، فخرج ابن ذى يزن قاصداً إلى ملك الروم ، وتجنب كسرى لإبطائه عن نصر أبيه ، فلم يجد عند ملك الروم ما يحب ، ووجده يحامى عن الحبشة لموافقتهم إياه على الدين ، فأنكفاً راجعاً إلى كسرى ، فاعترضه يوماً وقد ركب ، فصاح به : أيتها الملك ، إن لى عندك ميراثاً . فدعا به كسرى لما نزل ، وقال : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني ذى يزن ، الذى وعدته أن تنصره ، فأت بيابك وحضرتك ، فتلك العدة حق لى وميراث يجب عليك الخروج لى منه . فرق له كسرى ، وأمر له بمال . فخرج الغلام ، فجعل ينثر الدراهم ، فانتبهها الناس . فأرسل إليه كسرى : ما الذى حملك على ما صنعت ؟ قال : إننى لم آت لك للمال ، إنما جئت للرجال ، ولتمنعنى من الدال . فأعجب ذلك كسرى ، فبعث إليه : أن أقم حتى أنظر فى أمرك . ثم إن كسرى استشار وزراءه فى توجيه الجند معه ، فقال له المؤيدان : إن لهذا الغلام حقاً بتروعه وموت أبيه بباب الملك وحضرته ، وما تقدم من عِدته إياه ، وفى سجون الملك رجال ذوون جدة وبأس ، فلو أن الملك وجههم معه ، فإن أصابوا ظفراً كان له ، وإن هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد من الصواب .

قال كسرى : هذا الرأى ، وأمر بمن كان فى السجون من هذا الضرب ، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر ، فقود عليهم قائداً من أساورته ، يقال له وهريز ، كان^(١) كسرى يعد له بألف أسوار^(٢) ، وقواهم وجهتهم وأمر بحملهم فى ثمانى سفائن ، فى كل سفينة مائة رجل ، فركبوا البحر ، فغرقت من الثمانى السفن سفينتان ، وسليمت ست ، فخرجوا بساحل حضرموت ، وسار إليهم مسروق فى مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب ، ولحق بابن ذى يزن بشراً كثير ، ونزل وهريز على سيف البحر ، وجعل البحر وراء ظهره ، فلمّا نظر مسروق إلى قاتتهم طمع فيهم ، فأرسل إلى وهريز : ما جاء بك ، وليس معك إلا من

(١) ح : « وكان » .

(٢) الأسوار بالضم والكسر : القائد فى الفرس .

أرى ، ومعى مَنْ ترى ! لقد غرّرت بنفسك وأصحابك ، فإن أحببت أذنت لك ، فرجعت إلى بلادك ولم أهنجك ، ولم ينلك ولا أحداً من أصحابك منى ولا من أحد من أصحابي مكروه ، وإن أحببت ناجزتك الساعة ، وإن أحببت أجتلك حتى تنظر في أمرك ، وتشاور أصحابك .

فأعظم وهزّز أمرهم . ورأى أنه لا طاقة له بهم ، فأرسل إلى مسروق : بل تضرب بينى وبينك أجلاً ، وتعطينى موثقاً وعهداً ، وتأخذ مثله منى ؛ ألاّ يقاتل بعضنا بعضاً حتى ينقضى الأجل ، ونرى رأينا .

ففعل ذلك مسروق ، ثم أقام كلّ واحد منهما فى عسكره ، حتى إذا مضى من الأجل عشرة أيام ، خرج^(١) ابن وهزّز يسير على فرس له ، حتى دنا من عسكرهم ، وحماه فرسه ، فتوسّط به عسكرهم ، فقتلوه — وهزّز لا يشعر به — فلما بلغه قتلُ ابنه أرسل إلى مسروق : قد كان بينى وبينكم ما قد علمتم ، فليتم قتلهم ابنى ؟ فأرسل إليه مسروق : إن ابنك حمّل علينا ، وتوسّط عسكرنا ، ٩٥٤/١ فثار إليه سفهاء من سفهائنا ، فقتلوه ، وقد كنت لقتله كارهاً . قال وهزّز للرّسول : قل له : إنه لم يكن ابنى ، إنما كان ابن زانية ، ولو كان ابنى لصبر ولم يغدر حتى ينقضى الأجل الذى بيننا . ثم أمر فرمى به فى الصعيد حيث ينظر إلى جثمانه ، وحلف ألاّ يشرب خمراً ، ولا يدهن رأسه حتى ينقضى الأجل بينه وبينهم .

فلما انقضى الأجل إلّا يوماً واحداً ، أمر بالسفن التى كانوا فيها فأحرقت بالنار ، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأحرق ، ولم يدع منه إلّا ما كان على أجسادهم ، ثم دعا بكلّ زاد معهم . فقال لأصحابه : كلوا هذا الزاد ، فأكلوه ، فلما انتهوا أمر بفضله فألقى فى البحر ، ثم قام فيهم خطيباً ، فقال : أمّا ما حرّقت من سفنكم ، فإنى أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً ، وأما ما حرّقت من ثيابكم ، فإنه كان يغيظنى إن ظفرت بكم الحبش أن يصير

(١) ر ، ل : « وخرج » .

ذلك إليهم ، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر ، فإنني كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً ، فإن كنتم قومًا تقاتلون معي وتصبرون أعلمتموني ذلك . وإن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفي هذا حتى يخرج من ظهري ؛ فإنني لم أكن لأمكنهم من نفسي أبداً . فانظروا ما تكون حالكم ، إذا كنت رئيسكم وفعلت هذا بنفسي ! فقالوا : لا بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا ، أو نظفر .

فلما كان صبح اليوم الذي انقضى فيه الأجل عسى أصحابه ، وجعل البحر خلفه ، وأقبل عليهم يحضتهم على الصبر ، ويعلمهم أنهم منه بين خلتين ، ٩٥٥/١
إمّا ظفروا بعدوهم ، وإمّا ماتوا كراماً ، وأمرهم أن تكون قسيهم موترّة ، وقال : إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقاً بالبسنجكان - ولم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك - وأقبل ^(١) مسروق في جَمْع لا يرى طرفاه على فيل على رأسه تاج ، بين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة ، لا يرى أن دون الظفر شيئاً . وكان وهزّز قد كلّ بصره فقال : أروني عظيمهم ، فقالوا : هو صاحب الفيل ؛ ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرساً ، فقالوا : قد ركب فرساً ، فقال : ارفعوا لي حاجبتي ، وقد كانا سقطا على عينيه من الكبر ، فرفعوهما بعصاة ، ثم أخرج نشابة ، فوضعها في كبد قوسه ، وقال : أشيروا لي إلى مسروق ، فاشاروا له إليه حتى أثبتته ^(٢) ، ثم قال لهم : ارموا ، فرموا ، ونزع في قوسه حتى إذا ملأها ^(٣) سرح النشابة ، فأقبلت كأنها رشاء ، حتى صكت جبهة مسروق ، فسقط عن دابته ، وقتل في ذلك الرشق منهم جماعة كثيرة ، وانقضّ صفّهم لما رأوا صاحبهم صريعاً ، فلم يكن دون الهزيمة شيء ، وأمر وهزّز بجثة ابنه من ساعته فووريت ، وأمر بجثة مسروق ، فألقيت مكانها ، وغنم من عسكرهم ما لا يحصى ولا يُعدّ كثرة ، وجعل الأسوار يأخذ من الحبشة ومن حِمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكتفين ، لا يمتنعون منه .

(٢) أثبتته : عرفه حق المعرفة .

(١) ح : « فأقبل » .

(٣) ح : « ملأ بها » .

فقال وهزِرز : أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم ، واقصدوا قصد السودان فلا تُبقوا منهم أحداً . فقتلت الحبشة يومئذ حتى لم يبق منهم كثير أحد ، وهرب رجل من الأعراب على جمل له ، فركضه يوماً وليلة ، ثم التفت ، فإذا في الحقيبة نُشابة ، فقال : لأملك الويل ! أبعد أم طول مسير - حسب أن ٩٥٦/١ النشابة لحقته . وأقبل وهزِرز حتى دخل صنعاء ، وغلب على بلاد اليمن ، وفرّق عمّاله في المخاليف .

وفي ابن ذي يزن وما كان منه ومن وهزِرز والفرس ، يقول أبو الصلت أبو أمية بن أبي الصلت الثقفي :

لِيَطْلُبِ الْوَيْلُ أَمْثَالَ ابْنِ ذِي يَزْنَ رَيْمٌ فِي الْبَحْرِ لِلْأَعْدَاءِ أَحْوالاً^(١)
أَتَى هِرْقَلٌ وَقَدْ شَالَتْ نَعَامُهُمْ فَلَمْ يَحْذِ عِنْدَهُ بَعْضَ الَّذِي قَالَ^(٢)
ثُمَّ انْتَحَى نَحْوَ كِسْرَى بَعْدَ سَابِعَةٍ مِنْ السَّنِينَ لَقَدْ أَبْغَدْتَ إِيغَالاً
حَتَّى أَتَى بَنِي الْأَحْرَارِ يَحْمِلُهُمْ إِنَّكَ لَعَمْرِي لَقَدْ أَطَوَّلْتَ قَلْقَالاً^(٣)
مَنْ مِثْلُ كِسْرَى شَهْنَشَاهِ الْمُلُوكِ لَهُ أَوْ مِثْلُ وَهْرَزِ يَوْمَ الْجَيْشِ إِذْ صَالاً
لِلَّهِ دَرُّهُمْ مِنْ عُصْبَةٍ خَرَجُوا مَا إِنْ تَرَى لَهُمْ فِي النَّاسِ أَمْثَالاً
غُرّاً جَحَاجِحَةً ، بِيضٌ مَرَازِبَةٌ ، أَسْدٌ تُرَبَّبُ فِي الْغِيصَاتِ أَشْبَالاً
يَزْمُونُ عَنْ شَدَفٍ كَأَنَّهَا غُبُطٌ فِي زَمْخَرٍ يُعْجِلُ الْمَرْمِيَّ إِعْجَالاً^(٤) ٩٥٧/١
أُرْسِلْتَ أَسْدًا عَلَى سُودِ الْكِلَابِ فَقَدْ أَضْحَى شَرِيدُهُمْ فِي الْأَرْضِ فُلَالاً
فَأَشْرَبَ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مَتَكِنًا فِي رَأْسِ غُمدَانٍ دَاراً مِنْكَ مَحَلَالاً

(١) القصيدة في ابن هشام ١ : ٥٢ ، وقال : « وتروى لأمية بن أبي الصلت » . ديم في البحر : أقام فيه .

(٢) شالت نعماتهم ، أي هلكوا ، والنعام في الأصل : باطن القدم .

(٣) بنو الأحرار : الفرّس ، والقلقال : شدة الحركة .

(٤) يراد بالشدف هنا القسي . والغبط : الموادج . والزَمْخَر : القصب الفارسي .

وَأَطْلِ بِالنِّسْكِ إِذْ شَالَتْ نَعَامَتُهُمْ وَأَسْبِلِ الْيَوْمَ فِي بُرْذَيْكَ إِسْبَالًا
تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَمْبَانَ مِنْ لَبَنِ شَيْبًا بَمَاءِ قَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالًا^(١)

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق. قال: فلما انصرف وهريز إلى كسرى،
وملك سيفاً على اليمن، عدا على الحبشة فجعل يقتلها ويقرر النساء عمّا في بطونها،
حتى إذا أفناها إلاّ بقايا ذليلة قليلة، فاتخذهم خوّلاً، واتخذ منهم جمّازين
يسعون بين يديه بجراهم، فكث بذلك حينئذٍ كثير. ثم إنه خرج يوماً والحبشة
تسعى بين يديه بجراهم؛ حتى إذا كان في وسط منهم وجنّوه بالحرب حتى قتلوه،
وثب بهم رجل من الحبشة، فقتل باليمن وأوعث، فأفسد، فلما بلغ ذلك كسرى
بعث إليهم وهريز في أربعة آلاف من الفُرس، وأمره ألاّ يترك باليمن أسود ولا
ولد عربيّة من أسود إلاّ قتله؛ صغيراً أو كبيراً، ولا يدع رجلاً جعداً
قططاً^(٢) قد شرك فيه السودان إلاّ قتله.

٩٥٨/١ فأقبل وهريز، حتى دخل اليمن، ففعل ذلك؛ ولم يترك بها حبشياً إلا
قتله، ثم كتب إلى كسرى بذلك، فأمره كسرى عليها. فكان عليها، وكان
يَجْئِيهَا إلى كسرى حتى هلك، وأمر كسرى بعده ابنه المرزبان بن وهريز،
فكان عليها حتى هلك، فأمر كسرى بعده البيهجنان بن المرزبان بن وهريز حتى
هلك، ثم أمر كسرى بعده خُسرَ خسره بن البيهجنان بن المرزبان بن وهريز،
فكان عليها.

ثم إن كسرى غضب عليه، فحلف ليأثينّه به أهل اليمن يحملونه على
أعناقهم ففعلوا، فلما قُدم على كسرى تلقّاه رجل من عظماء فارس، فألقى
عليه سيفاً لأبي كسرى، فأجاره كسرى بذلك من القتل ونزعه، وبعث بأذان
إلى اليمن، فلم يزل عليها حتى بعث الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم.
وكان - فيما ذُكر - بين كسرى أنوشير وان وبين يخطيانوس ملك

(١) قال ابن هشام بعد أن أورد الأبيات: هذا ما صنع له بما روى ابن إسحاق منها، إلا
آخرها بيتاً، قوله: «تلك المكارم لا قمبان من لبن». (٢) الجعد: القصير الشعر، وكذلك القطط.

الروم ، موادة وهذنة ، فوق بين رجل من العرب كان ملكه يخطيانوس على عرب الشام ، يقال له خالد بن جبلة ، وبين رجل من لَحْم ، كان ملكه كسرى على ما بين عُمان والبَحْرَيْن واليَمَامَة إلى الطائف وسائر الحجاز ومن فيها من العرب ؛ يقال له المنذر بن النعمان - نائبة (١) ، فأغار خالد بن جبلة على حيز المنذر ، فقتل من أصحابه مقتلة عظيمة ، وغنم أموالاً من أمواله . فشكا ذلك المنذر إلى كسرى ، وسأله الكتاب إلى ملك الروم في إنصافه من خالد . فكتب كسرى إلى يخطيانوس ، يذكر ما بينهما من العهد على الهدنة ٩٥٩/١ والصلح ، ويعلمه ما لقي المنذر عامله على العرب من خالد بن جبلة الذي ملكه على مَنْ في بلاده من العرب ، ويسأله أن يأمر خالد أن يرد على المنذر ما غنم من حيزه وبلاده ، ويدفع إليه دية مَنْ قتل من عربها . وينصف المنذر من خالد ، وألاً يستخف بما كتب به من ذلك ، فيكون انتقاض ما بينهما من العهد والهدنة بسببه .

وواتر الكتب إلى يخطيانوس في إنصاف المنذر ، فلم يَحْفِل بها ، فاستعد كسرى ، فغزا بلاد يخطيانوس في بضعة وتسعين ألف مقاتل ، فأخذ مدينة دارا ، ومدينة الرُّهَاء ، ومدينة مَنبِج ، ومدينة قِنَسْرَيْن ، ومدينة حَلَب ، ومدينة أنطاكية - وكانت أفضل مدينة بالشام - ومدينة فامية ، ومدينة حِمَص ؛ ومدناً كثيرة متاخمة لهذه المدائن ؛ عَنُوة ، واحتوى على ما كان فيها من الأموال والعروض ، وسبى أهل مدينة أنطاكية ، ونقلهم إلى أرض السواد ، وأمر فبنيت لهم مدينة إلى جنب مدينة طَيْسَبُون على بناء مدينة أنطاكية - على ما قد ذكرت قبل - وأسكنهم إياها ؛ وهي التي تسمى الرومية ، وكور (٢) لها كورة ، وجعل لها خمسة طساسيج : طسوج نهر وان الأعلى ، وطسوج نهر وان الأوسط ، وطسوج نهر وان الأسفل ، وطسوج بادرايا ، وطسوج باكسابا ، وأجرى على السبى الذين نقلهم من أنطاكية إلى الرومية الأرزاق . وولّى القيام بأمورهم رجلاً من نصارى أهل الأهواز ، كان ولاه الرياسة على أصحاب

صناعاته^(١) ، يقال له : برّاز ، رِقَّةٌ منه لذلك السَّبِي ، إرادة أن يستأنسوا ببراز
لحال ملته ، ويسكنوا إليه . وأمّا سائر مدن الشام ومصر فإنّ يخطيانوس ابتاعها
من كسرى بأموال عظيمة حملها إليه ، وضمّن له فدية يحملها إليه في كل
سنة على ألاّ يغزو بلاده ، وكتب لكسرى بذلك كتاباً ، وختم هو وعظماء
الروم عليه ، فكانوا يحملونها إليه في كل عام .

وكان ملوك فارس يأخذون من كُور من كُورهم قبل ملك كسرى أنوشروان
في خراجها الثلث ، ومن كُور الربع ، ومن كُور الخمس ، ومن كُور
السدس ؛ على قدر شربها وعمارتها ، ومن جزية الحمام شيناً معلوماً ، فأمر
الملك قباد بن فيروز في آخر ملكه بمسح الأرض ؛ سهلها وجبلها ليصح
الخراج عليها ، فمُسِحَتْ ؛ غير أن قباد هلك قبل أن يستحكم له أمر تلك
المساحة ؛ حتى إذا ملك ابنه كسرى أمر باستمائها وإحصاء النخل والزيتون
والحمام ، ثم أمر كتابه فاستخرجوا جُمْل ذلك ، وأذن للناس إذناً عاماً ،
وأمر كاتب خواجه أن يقرأ عليهم الحمل التي استخرجت من أصناف غلات
الأرض ، وعدد النخل والزيتون والحمام ، فقرأ ذلك عليهم ، ثم قال لهم كسرى :
إنا قد رأينا أن نضع على ما أحصى من جربان^(٢) هذه المساحة من النخل والزيتون
والحمام وضائع^(٣) ، ونأمر بإنجامها في السنة في ثلاثة أنجُم ، ونجمع في بيوت
أموالنا من الأموال ما لو أتانا عن ثغر من ثغورنا ، أو طَرَف من أطرافنا
فَشَقْ أَوْشِيء نكرهه ، واحتجنا إلى تداركه أو حَسْنَمه ببذلنا فيه مالا ، كانت
الأموال عندنا معدّة موجودة ، ولم نُرد استئناف اجتباها على تلك الحال .
فأترون فيما رأينا من ذلك وأجمعنا عليه ؟

فلم يُشِرْ عليه أحد منهم فيه بمشورة ، ولم يبيس بكلمة ، فكَرَّرَ كسرى
هذا القول عليهم ثلاث مرات . فقام رجل من عُرْضهم وقال لكسرى : أتضعُ
أيها الملك - عمرك الله - الخالد من هذا الخراج على الفاني من كسرم يموت ، وزرع
يهيج^(٤) ، ونهر يغور ، وعين أو قناة ينقطع ماؤها ! فقال له كسرى : ياذا الكلفة

(١) ح : « مَبَاعَاتُهُ » . (٢) الجربان : جمع جريب ؛ وهو مقدار معلوم من
الأرض ؛ نقل عن قدامة الكاتب أنه ثلاثة آلاف وسبعمائة ذراع .

(٣) الوضيعة : ما يأخذه السلطان من الخراج والمشور . (٤) يهيج : يبيس .

المشثوم ، من أى طبقات الناس أنت ؟ قال : أنا رجل من الكتاب ، فقال كسرى : اضربوه بالدوى ^(١) حتى يموت ، فضربه بها الكتاب خاصة تبرؤاً منهم إلى كسرى من رأيه وما جاء منه ، حتى قتلوه . وقال الناس : نحن راضون أيها الملك بما أنت مُلْزِمنا من خراج .

وإن كسرى اختار رجلاً من أهل الرأى والنصيحة ، فأمرهم بالنظر فى أصناف ما ارتفع إليه من المساحة وعدة النخل والزيتون وءروس أهل الجزية . ووضع الوضائع على ذلك بقدر ما يرون أن فيه صلاح رعيته ، ورفاعة ^(٢)

معاشهم ، ورفعها إليه . فتكلم كل امرئ منهم بمبلغ رأيه فى ذلك من تلك الوضائع ، وأداروا الأمر بينهم ، فاجتمعت كلمتهم على وضع الخراج على ما يعصم الناس والبهاائم ، وهو الحنطة والشعير والأرز والكترم والرطاب والنخل والزيتون ، وكان الذى وضعوا على كل جريب أرض من مزارع الحنطة والشعير درهماً ، وعلى كل جريب أرض كترم ثمانية دراهم ؛ وعلى كل جريب أرض رطاب سبعة دراهم ، وعلى كل أربع نخلات فارسية درهماً ، وعلى كل ست نخلات دقل ^(٣) مثل ذلك ؛ وعلى كل ستة أصول زيتون مثل ذلك ؛ ولم يضعوا إلا على كل نخل [فى] ^(٤) حديقة ، أو مجتمع غير شاذ ، وتركوا ما سوى ذلك من الغلات السبع . فقوى الناس فى معاشهم ، وألزموا الناس الجزية ما خلا أهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والمرابذة والكتاب ؛ ومن كان فى خدمة الملك ، وصيروها على طبقات : اثني عشر درهماً وثمانية وستة وأربعة ، كقندر إكثار الرجل وإقلاله ، ولم يلزموا الجزية من كان أقر له من السن دون العشرين أو فوق الخمسين ، ورفعوا وضائعهم إلى كسرى فرضيها وأمر بإمضائها والاجتباء عليها فى السنة فى ثلاثة أنجم ، كل نجم أربعة أشهر وسماها أبراسيار ، وتأويله « الأمر المتراضى » ؛ وهى الوضائع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب حين افتتح بلاد الفرس ، وأمر باجتباء أهل الذمة عليها ، إلا أنه وضع على كل جريب أرض غامر على قدر احتماله ؛ مثل الذى وضع على الأرض المزروعة ، وزاد على كل

(١) الدوى : جمع دواة ؛ وهى أداة يوضع فيها الحجر .

(٢) ح : « رفاهية » وهما بمعنى .

(٣) الدقل : أردأ التمر . (٤) من سن

٩٦٣/١ جريب أرض مزارع حنطة أو شعير قفيزاً من حنطة إلى القفيزين ، ورزق منه الجند . ولم يخالف عمر بالعراق خاصة وضائع كسرى على جربان الأرض وعلى النخل والزيتون والجماجم ، وألغى ما كان كسرى ألغاه من معاش الناس . وأمر كسرى فدونت وضائعه نسخاً ، فاتخذت نسخة منها في ديوانه قبيله ، ودفعت نسخة إلى عمال الخراج ، ليجتباوا خراجهم عليها ، ونسخة إلى قضاة الكور ، وأمر القضاة أن يحولوا بين عمال الكور والزيادة على أهل الخراج فوق ما في الديوان الذي دفعت إليه نسخته ، وأن يرفعوا الخراج عن كل من أصاب زرعه أو شيئاً من غلاته آفة بقدر مبلغ تلك الآفة ، وعمن هلك من أهل الخزية أو جاوز خمسين سنة ، ويكتبوا إليه بما يرفعون من ذلك ؛ ليأمر بحسبه للعمال ، وألا يخلطوا بين العمال وبين اجتباء من أتى له دون عشرين سنة .

* * *

وكان كسرى ولّى رجلاً من الكتاب - ناهياً بالنبل والمروءة والغناء والكفاية ، يقال له بابك بن البروان - ديوان المقاتلة ، فقال لكسرى : إن أمرى لا يتم إلا بإزاحة عنتي في كل ما بي إليه الحاجة من صلاح أمر الملك في جنده . فأعطاه ذلك ، فأمر بابك فبنيت له في الموضع الذي كان يعرض فيه الجند مصطبة وفرش له عليها بساط سوسنجرد ونمط صوف فوقه ، ووضعت له وسائل لتكأته ، ثم جلس على ما فرش له ، ثم نادى مناديه في شاهد عسكر كسرى من الجند . أن يحضره الفرسان على كراعهم وأسلحتهم والرجال على ما يلزمهم من السلاح ، فاجتمع إليه الجند على ما أمرهم أن يحضروه عليه ، ولم يعاين كسرى فيهم ؛ فأمرهم بالانصراف ، ونادى مناديه في اليوم الثاني بمثل ذلك ، فاجتمع إليه (١) الجند . فلما لم ير كسرى فيهم أمرهم أن ينصرفوا ، ويغدوا (٢) إليه ، وأمر مناديه أن ينادى في اليوم الثالث : ألا يتخلف عنه من شاهد العسكر أحد ، ولا من أكرام بتاج وسرير ؛ فإنه عزّم لا رخصة فيه ولا محابة . فبلغ ذلك كسرى ، فوضع تاجه على رأسه وتسليح سلاح المقاتلة ، ثم أتى بابك

(١) ر : « عليه » .

(٢) ر : « ويعودوا » .

ليعرض عليه ، وكان الذي يؤخذ به الفارس من الجند تجافيف^(١) ودرعا ، وجوشنا^(٢) ، وساقين ، وسيفاً ، ورحماً ، وترساً ، وجسراً تلزمه منطقة ، وطبرزينا أو عموداً ، وجعبة فيها قوسان بوتريهما ، وثلاثين شابة ووترين مضافين يرتقيهما الفارس في مغفر له ظهرياً .

فاعترض كسرى على بابك بسلح تام ما خلا الوترين اللذين كان يستظهر بهما . فلم يجز بابك عن اسمه ، وقال له : إنك أيها الملك واقف في موضع المعدلة التي لا محابة تكون منى معها ولا هوادة ، فهلم كل ما يلزمك من صنوف الأسلحة . فذكر كسرى قصة الوترين فتعلقهما ، ثم غرد داعي بابك بصوته ، وقال : للكمي سيد الكماة أربعة آلاف درهم ، وأجاز بابك عن اسمه ، ثم انصرف . وكان يفضل الملك في العطاء على أكثر المقاتلة عطاء بدرهم .

٩٦٥/١

فلما قام بابك من مجلسه ذلك أتى كسرى ، فقال : إن غلظتي في الأمر الذي أغلظت فيه عليك اليوم أيها الملك ، إنما هي لأن ينفذ لي عليه الأمر الذي وضعتني بسبيله ، وسبب من أوثق الأسباب لما يريد الملك إحكامه لمكاني^(٣) . فقال كسرى : ما غلظ علينا أمرٌ أريد به صلاح رعييتنا ، وأقيم عليه أود ذي الأود منهم .

ثم إن كسرى وجه مع رجل من أهل اليمن يقال له سيفان بن معد يكرب — ومن الناس من يقول إنه كان يسمى سيف بن ذي يزن — جيشاً إلى اليمن ؛ فقتلوا من بها من السودان ، واستولوا عليها . فلما دانت لكسرى بلاد اليمن وجهه إلى سرتنديب من بلاد الهند — وهي أرض الجواهر — قائداً من قواده في جند كثيف ، فقاتل ملكها فقتله ، واستولى عليها ، وحمل إلى كسرى منها أموالاً عظيمة ، وجوهرات كثيرة .

ولم يكن ببلاد الفرس بنات آوى ، فتساقطت إليها من بلاد الترك في ملك كسرى أنوشروان ؛ فبلغ ذلك كسرى ؛ فبلغ ذلك منه مشقة ، فدعا

(١) التجافيف : جمع تجفاف ، بالكسر ؛ وهو من آلات الحرب .

(٢) الجوشن : نوع من الدروع .

(٣) ر ، ل : « بمكاني » .

بموبدّان موبدّ ، فقال : إنه بلغنا تساقط هذه السباع إلى بلادنا ، وقد تعاضم
الناسُ ذلك ، فتعجبنا من استعظامهم أمرها لها، فأخبرنا برأيتك في ذلك .
فقال له موبدّان موبدّ : فإنّي سمعت أيها الملك - عمرك الله - فقهاءنا
يقولون : متى لا يغمر في بلدة العدلُ الجورَ ، ويمحقُ ، يُلِيّ أهلها بغزو
أعدائهم لهم ، وتساقط إليهم ما يكرهون ، وقد تخوّفت أن يكون تساقط
هذه السباع إلى بلادك لما أعلمتك من هذا الخطب . فلم يلبث كسرى أن
تناهى إليه أن فتیاناً من الترك قد غزوا أقصى بلاده ، فأمر وزراءه وأصحاب
أعماله ألاّ يتعدّوا فيما هم بسبيله العدل ، ولا يعملوا في شيء منه إلا به ،
فصرّف الله لما جرى من العدل ذلك العدو عن بلاده من غير أن يكون
حاربهم ، أو كلف مؤونة في أمرهم .
وكان لكسرى أولاد متأدّبون ، فجعل الملك من بعده لهرمز ابنه الذي
كانت أمّه ابنة خاتون وخاقان لمعرفة كسرى إياه بالاقتصاد والأخذ بالوثيقة
وما رجا بذلك من ضبط هرمز الملك وقدرته على تدبير الملك^(١) ورعيته^(٢) ومعاملتهم .

وكان مولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في عهد كسرى أنوشيروان ، عام
قدّم أبرهة الأشرم أبو يكسوم مع الحبشة إلى مكّة ، وساق فيه إليها الفيل ؛
يريد هدم بيت الله الحرام ؛ وذلك لمضى اثنتين وأربعين سنة من ملك كسرى
أنوشيروان . وفي هذا العام كان يوم جبلّة ، وهو يوم أقيم العرب مذکور .

(١) ح ، ن : « ملكه » .

(٢) ح ، ن : « ورعيته » .

ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا وهب بن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت محمد بن إسحاق يحدث عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن محرمة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

قال : وسأل عثمان بن عفان قيس بن أشيم ، أبا بني عمرو بن لبيث : أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني ، وأنا أقدم منه في الميلاد ، ورأيت خذق^(١) الفيل أخضر محيلاً بعنده بعام ، ورأيت أمية بن عبد شمس شيخاً كبيراً يقوده عبده . فقال ابنه : يا قيسات ، أنت أعلم وما تقول .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن المطلب بن عبد الله بن قيس بن محرمة ، عن أبيه ، عن جده قيس بن محرمة ، قال : ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، فنحن ليدان^(٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ولد عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربع وعشرين ماضت من سلطان كسرى أنوشروان ، وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة اثنتين وأربعين من سلطانه .

وحدثت عن يحيى بن معين ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل .

حدثت عن إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي ثابت ،

(١) خذق الفيل : روثه .

(٢) الخبر في ابن هشام : ١٠٧ ؛ لدان : مثنى لدة ؛ وهو الترب .

قال : حدثنا الزبير بن موسى ، عن أبي الحويرث ، قال : سمعت عبد الملك ابن مروان يقول لقبات بن أشيم الكِنَانِي اللَّيْثِي : يا قبات ، أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر مني وأنا أسن منه ، ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ، ووقفت بي أمي على روث الفيل محيلاً أعقله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين عام الفيل ، لاثنتي عشرة مضت من شهر ربيع الأول ؛ وقيل إنه ولد صلى الله عليه وسلم في الدار التي تعرف بدار ابن يوسف ؛ وقيل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لعقيل بن أبي طالب ، فلم تنزل في يد عقيل حتى توفي ، فباعها ولده من محمد بن يوسف ، أخى الحجاج بن يوسف ، فبنى داره التي يقال لها دار ابن يوسف ، وأدخل ذلك البيت في الدار ، حتى أخرجته الخيزران فجعلته مسجداً يصلى فيه .

٩٦٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يزعمون فيما يتحدث الناس — والله أعلم — أن آمنة بنت وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانت تحدث أنها أتيت لما حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل لها : إنك قد حملت بسيّد هذه الأمة ، فإذا وقع بالأرض فقول : أعيدّه بالواحد ، من شرّ كلّ حاسد ، ثم سمّيه محمداً . ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت منه قُصور بَصْرَى من أرض الشام ، فلما وضعته أرسلت إلى جده عبد المطلب ، أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر إليه . فأتاه فنظر إليه ، وحدثته بما رأت حين حملت به ، وما قيل لها فيه . وما أمرت أن تسمّيه .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا يعقوب بن محمد الزُّهْرِي ، قال : حدثنا عبد العزيز بن عمران ، قال : حدثني عبد الله بن عثمان بن أبي سُلَيْمَانَ بن جُبَيْر بن مُطْعِم ، عن أبيه ، عن ابن أبي سُوَيْد الثَّقَفِي ، عن

عثمان بن أبي العاص ، قال : حدثني أمي أنها شهدت ولادة آمنة بنت وهب ٩٦٩/١ أم رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان ذلك ليل ولدتته — قالت : فاشيء أنظر إليه من البيت إلا نَوَّرَ ، وإني لأنظرُ إلى النجوم تَدُنُو ، حتى إني لأقول : لتقعنَّ عليَّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فَيَزْعُمُونَ أَنَّ عبد المطلب أخذَهُ فدخل به على هُبَلٍ في جوف الكعبة ، فقام عنده يدعو الله ويشكر ما أعطاه ، ثم خرج به إلى أمه فدفعه إليها ، والتَّمَسَّ له الرُّضْعَاءُ ، فاسترضع له امرأة من بني سعد بن بكر ، يقال لها حليلة ابنة أبي ذؤيب ، وأبو ذئيب عبد الله ، بن الحارث ، بن شِجْنَةَ ، بن جابر ، بن رِزَام ، بن ناصرة ، بن فُصَيْيَةَ ، بن سعد ، بن بكر ، بن هَوَازِن ، بن منصور ، بن عِكْرِمَةَ ، بن خَصَفَةَ ، بن قَيْسٍ ، بن عَيْلَانَ ، بن مُضَرَ . واسم الذي أرضعه : الحارث بن عبد العزى ، بن رفاعه ، بن مِلَّانَ ، بن ناصرة ، بن فُصَيْيَةَ ، بن سعد ، بن بكر ، بن هَوَازِن ، بن منصور ، بن عِكْرِمَةَ ، بن خَصَفَةَ ، بن قَيْسٍ ، بن عَيْلَانَ ، بن مُضَرَ . واسم إخوته من الرُّضَاعَةِ : عبد الله بن الحارث ، وأنثى ابنة الحارث ، وخِذَامَةُ ^(١) ابنة الحارث وهي الشَّيْمَاءُ ، غلب ذلك على اسمها فلا تعرف في قومها إلا به .

وهي حليلة ابنة عبد الله بن الحارث ، أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ويزعمون أَنَّ الشَّيْمَاءَ كانت تحضنه مع أمها إذ كان عندهم صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

وأما غير ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثني موسى بن شَيْبَةَ ، عن عميرة ابنة عُبَيْدِ الله بن كعب بن مالك ، عن بَرَّة ابنة

(١) قال السهيلي : « خذامة ، بكسر الخاء المنقوطة » ، ونقل أيضاً أنه يقال : خذافة ،

بالخاء المضمومة ، وبالفاء مكان الميم .

(٢) الخبر في ابن هشام ١ : ١٠٨ .

أَبِي تُجْزَأَةً، قَالَتْ : أَوَّلُ مَنْ أَرْضَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُوَيْبَةَ ، ٩٧٠/١
بَلِّينَ ابْنِ لَهَا - يُقَالُ لَهُ مَسْرُوحٌ - أَيَّامًا قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ حَلِيمَةُ ؛ وَكَانَتْ
قَدْ أَرْضَعَتْ قَبْلَهُ حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، وَأَرْضَعَتْ بَعْدَهُ أَبَا سَلَمَةَ بْنَ
عَبْدِ الْأَسَدِ الْخَزَوِيِّ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ إِسْحَاقَ -
وَحَدَّثَنَا هَنَادُ بْنُ السَّرِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا يُونُسُ بْنُ بُكَيْرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا
ابْنُ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنِي هَارُونُ بْنُ إِدْرِيسَ الْأَصَمِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْمُحْسَرِيُّ ،
عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ . وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى الْأُمَوِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَمِّي مُحَمَّدُ
ابْنُ سَعِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ - عَنْ الْجَهْمِ بْنِ أَبِي الْجَهْمِ مَوْلَى
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : كَانَتْ
حَلِيمَةُ ابْنَةُ أَبِي ذُوَيْبِ السَّعْدِيَّةِ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ .
تُحَدَّثُ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ بِلَدِهَا مَعَهَا زَوْجُهَا وَابْنٌ لَهَا تَرْضِعُهُ فِي نِسْوَةٍ مِنْ
بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ ، تَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ^(١) ، قَالَتْ : وَذَلِكَ فِي سَنَةِ شَهْبَاءَ
لَمْ تَبْقَ شَيْئًا ، فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي قَمَرَاءَ ، مَعَنَا شَارَفٌ ^(٢) لَنَا ؛ وَاللَّهُ
مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ ، وَمَا نَنَامُ لَيْلِنَا أَجْمَعَ مِنْ صَبِيئِنَا الَّذِي مَعِيَ مِنْ بَكَائِهِ مِنْ
الْجُوعِ ، وَمَا فِي ثَدْيِي مَسَا يُغْنِيهِ ، وَمَا فِي شَارَفِنَا مَا يَغْدُوهُ ^(٣) ، وَلَكِنَّا نَرْجُو
الْغَيْثَ وَالْفَرَجَ ؛ فَخَرَجْتُ عَلَى أَتَانِي تِلْكَ ، فَلَقَدْ أَذْمَتُ ^(٤) بِالرَّكْبِ حَتَّى شَقَّ
ذَلِكَ عَلَيْهِمْ ضِعْفًا وَعَجْفًا ، حَتَّى قَدَمْنَا مَكَّةَ نَلْتَمِسُ الرُّضْعَاءَ ، فَمَا مِنَّا
امْرَأَةٌ إِلَّا وَقَدْ عَرَضَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَابَاهُ إِذَا قِيلَ لَهَا إِنَّهُ
يَتِيمٌ ، وَذَلِكَ أَنَّا إِنَّمَا نَرْجُو الْمَعْرُوفَ مِنْ أَبِي الصَّبِيِّ ، فَكُنَّا نَقُولُ : يَتِيمٌ ٩٧١/١

(١) الرضعاء ؛ يريد بها المراضع ؛ وأما الرضعاء فهو جمع رضيع ؛ وأول السهيل رواية ابن
إسحاق من وجهين ؛ أحدهما حذف المضاف ؛ كأنه قال : ذوات الرضعاء ، والثاني أن يكون أراد
بالرضعاء الأطفال على حقيقة اللفظ ؛ لأنهم إذا وجدوا له مرضعة ترضعه ، فقد وجدوا له رضيعاً
يرضع منه . (٢) الشارف من الإبل : المستهجرة .

(٣) في ابن هشام : « ما يغنيه » .

(٤) قال السهيلي : أذمت ، أي جاءت بما يذم عليه .

ما عسى أن تصنع أمتهُ وجدتهُ ! فكنا نكرهه لذلك ؛ فما بقيت امرأةٌ قدِمتَ
معي إلا أخذت رضيعاً ، غيري . فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبي :
إني لأكرهه أن أرجع من بين صواحيبائي ولم آخذ رضيعاً ، والله لأذهبن
إلى ذلك اليتيم فلا خذتهُ ، قال : لا عليك أن تفعل ، فعسى الله أن يجعل
لنا فيه بركة ! قالت : فذهبتُ إليه فأخذتهُ وما حملني على ذلك إلا أني لم
أجد غيره . قالت : فلما أخذتهُ رجعت به إلى رحلي ، فلما وضعته في
حججري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن ، فشرب حتى روي ، وشرب
معه أخوه حتى روي ، ثم ناما - وما كان ينامُ قبلَ ذلك - وقام زوجي إلى
شارفنا تلك ، فنظر إليها فإذا إنها لحافل ، فحلب منها حتى شرب وشربت ،
حتى انتهينا ريثاً وشبعنا ، فبتنا بخير ليلة . قالت : يقول لي صاحبي حين
أصبحتُ : أتعلمين والله يا حليلة ، لقد أخذت نسمةً مباركة ، قلت : والله
إني لأرجو ذلك . قالت : ثم خرجنا وركبتُ أتانِي تلك ، وحملتُ عليها
معي ، فوالله لقطعت بنا الركب ما يقدمُ عليها شيءٌ من حُمُرهم ،
حتى إن صواحي ليقلن لي : يا بنة أبي ذؤيب ، اربعي^(١) علينا .
أليس هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فأقول لمن : بلى والله ، إنها هي
هي ، فيقلن : والله إن لها لشأناً . قالت : ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد ،
وما أعلم أرضاً من أرض الله أجذب منها ، فكانت غنمي تروح على حين
قدمنا به معنا شباعاً لبناً ، فنحلب ونشرب ، وما يحلب إنسان قطرةً ولا
يجدها في ضرع ، حتى إن كان الحاضر من قومنا يقولون لرعيانهم : ويلكم ،
اسرحوا حيث يسرح راعي ابنة أبي ذؤيب ! فتروح أغنامهم جيعاً ماتبض^(٢)
بقطرة لبن ، وتروح غنمي شباعاً لبناً . فلم نزل نتعرف من الله زيادة الخير
به ، حتى مضت سستان وفصلته . وكان يشب شباباً لا يشبه الغلمان ، فلم
يبلغ سنّتيه حتى كان غلاماً جفراً^(٣) ، فقد منا به على أمه ونحن أحرص
شيء على مكثه فينا ، لما كنا نرى من بركته . فكلّمنا أمه وقلنا لها : يا ظفّر ،
لو تركت بني عندى حتى يغلظ ، فإني أخشى عليه وباء مكّة ! قالت :

٩٧٢/١

(١) اربعي : أقبى وانتظري ؛ ريع فلان على فلان ؛ إذا أقام عليه وانتظره .

(٢) ماتبض : ماترشح .

(٣) الجفر : الشديد .

فلم نزل بها حتى ردّ دَنَاهُ معنا . قالت : فرجعنا به ، فوالله إنّه بعد مقدمنا به بأشهر مع أخيه في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا ، إذ أتانا أخوه يشتدّ ، فقال لي ولأبيه : ذاك أخى القرشىّ قد جاءه رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاه وشقّا بطنه وهما يسوطانه^(٢) . قالت : فخرجتُ أنا وأبوه نشتدّ ، فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه ، قالت : فالتزمته والتزمه أبوه ، وقلنا له : مالك يا بنى ؟ قال : جاءني رجلان عليهما ثياب بياض ، فأضجعاني فشقّا بطني فالتمسا فيه شيئاً لا أدري ما هو ! قالت : فرجعنا إلى خيائنا . قالت : وقال لي أبوه : والله يا حليلة لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أصيب ، فألحقه بأهله قبل أن يظهر به ذلك ، قالت : فاحتسبناه ، فقدمنا به على أمه ، فقالت : ما أقدمتُك به يا ظنير ، وقد كنت حريصةً عليه وعلى مكنته عندك ؟ قالت : قلتُ : قد بلغ الله بابني وقضيتُ الذى علىّ وتخوفتُ الأحداث عليه ، فأدّيته إليك كما تحبّين . قالت : ما هذا بشأنك ، فاصدقيني خبرك ، قالت : فلم تدعني حتى أخبرتها الخبر ، قالت : فتخوفت عليه الشيطان ؟ قالت : فقلت : نعم ، قالت : كلاً والله ما للشيطان عليه سبيل ، وإنّ لبنيّ لشأناً ، أفلا أخبرك خبره ؟ قالت : قلت : بلى ، قالت : رأيتُ حين حملتُ به أنّه خرج مني نورٌ أضاء لي قصورٌ بَصْرَى من أرض الشام ، ثم حملتُ به ، فوالله ما رأيت من حمل قطّ كان أخفّ منه ولا أيسرّ منه ، ثم وقع حين ولدته وإنّه لواضعٌ يديه بالأرض ، رافعٌ رأسه إلى السماء ، دعيه عنك وانطلق راشدة^(٣) .

٩٧٣/١

حدّثنا نصرُ بن عبد الرحمن الأزديّ ، قال : حدّثنا محمد بن يعقلى ، عن عمر بن صبيّح ، عن ثور بن يزيد الشّاميّ ، عن مكحول الشّاميّ ، عن شدّاد بن أوس ، قال : بينا نحن جلوسٌ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل شيخ من بني عامر ، وهو مدّرةُ قومه وسيّدُهم ؛ من شيخ كبير يتوكأ على عصا ، فتمشّل بين يديّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قائماً ، ونسبه

(١) بهم : الصغار من الغنم .

(٢) قال السبيل : « يقال : سلت اللبن أو الدم أسوطه إذا ضربت بعضه ببعض ، والسوط :

عود يضرب به » . (٣) الخبر في ابن هشام : ١٠٨ - ١١٢ .

إلى جدّه ، فقال : يا بن عبد المطلب ، إنّي أنبئتُ أنّك تزعم أنّك رسول الله إلى النّاس ، أرسلك بما أرسل به إبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، وغيرهم من الأنبياء ، ألا وإنّك فوّتت بعظيم ، وإنّما كانت الأنبياء والخلفاء في ٩٧٤/١ بيتين من بني إسرائيل ، وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان ، فما لك وللنّوة ! ولكنّ لكلّ قول حقيقة ، فأنبئتني بحقيقة قولك ، وبدء شأنك ؛ قال : فأعجيب النّبي صلى الله عليه وسلم بحسّالته ، ثم قال : يا أخا بني عامر ، إنّ لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأً ومجلساً ، فاجلس ، فشئى رجلينه ثم برك كما يبرك البعير ، فاستقبله النّبي صلى الله عليه وسلم بالحديث فقال : يا أخا بني عامر ، إنّ حقيقة قولى وبدء شأنى ، أتى دعوته أبى إبراهيم ، وبشّرى أخى عيسى بن مريم . وإنّي كنت بيكر أمتى ، وإنّها حملت بى كأنقل ماتحمل ، وجعلت تشكى إلى صواحيبها ثقل ما تجد . ثم إنّ أُمى رأت فى المنام أنّ الذى فى بطنها نور ، قالت : فجعلت أتبيع بصرى النور ، والنور يسق بصرى ، حتى أضاءت لى مشارق الأرض ومغاربها . ثم إنّها ولدتنى فنشأت ، فلمّا أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش ، وبغضت إلى الشّعير ، وكنت مسترضعاً فى بنى ليث بن بكر ، فبينما أنا ذات يوم متبذ من أهلى فى بطن واد مع أترب لى من الصبيان نقاذف بيننا بالحلّة ، إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب ملىء ثلجاً ، فأخذوني من بين أصحابى ، فخرج أصحابى هرباً حتى انتهوا إلى سفير الهلدى ، ثم أقبلوا على الرّهط فقالوا : ما أربكم إلى هذا الغلام ، فإنه ليس منّا ، هذا ابن سيد قريش ، وهو مسترضع فينا ؛ من غلام يتيم ليس له أب ، فاذا يردّ عليكم قتله ، وماذا تصيبون من ذلك ! ولكن إن كنتم لا بدّ^(١) قاتليه ، فاخhtarوا منّا أيّنا شتم ، فليأتكم مكانه فاقتلوه ، ودعوا هذا الغلام فإنّه يتيم . فلمّا رأى الصبيان القوم لا يُخبرون^(٢) إليهم جواباً ، انطلقوا هرباً مسرعين إلى الحى ، يؤذنونهم ويستصرخونهم^(٣) على القوم ؛ فعمد أحدهم فأضجنى على الأرض

(٢) ط : « لا يخبرون »

(١) ح : « ولا » .

(٣) ح : « مستصرخين » .

إِضْجَاعًا لَطِيفًا ، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مَنْتَهَى عَانِي ، وَأَنَا أَنْظُرُ
إِلَيْهِ ، فَلَمْ^(١) أَجِدْ لَذَلِكَ مَسًّا . ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي ثُمَّ غَسَلَهَا بِذَلِكَ التَّلِجِ
فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا ، ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا ، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي مِنْهُمْ فَقَالَ لِمُصَاحِبِهِ : تَنَحَّ ،
فَنَحَاهُ عَنِي ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي فَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَصَدَّعَهُ ،
ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ ، فَرَمَى بِهَا ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً مِنْهُ ؛ كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ
شَيْئًا ، فَإِذَا أَنَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نَوْرِ يَحَارُ النَّاضِرُونَ دُونَهُ ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي فَامْتَلَأَ
نُورًا ، وَذَلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ فَوَجَدَتْ بَرْدَ ذَلِكَ الْخَاتَمِ
فِي قَلْبِي دَهْرًا ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِمُصَاحِبِهِ : تَنَحَّ عَنِي ، فَأَمَرَ يَدَهُ مَا بَيْنَ
مَفْرَقِ صَدْرِي إِلَى مَنْتَهَى عَانِي ، فَالْتَأَمَ ذَلِكَ الشَّقَّ بِإِذْنِ اللَّهِ . ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي
فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي لِإِنْهَاضًا لَطِيفًا ، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ الَّذِي شَقَّ بَطْنِي : زِنْنَهُ بَعَشْرَةَ
مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْنَهُ بِمِائَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي
بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ ، ثُمَّ قَالَ : زِنْنَهُ بِأَلْفٍ مِنْ أُمَّتِهِ ، فَوَزَنُونِي بِهِمْ فَرَجَحْتُهُمْ .
فَقَالَ : دَعُوهُ ، فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ . قَالَ : ثُمَّ ضَمَمُونِي إِلَى
صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، ثُمَّ^(٢) قَالُوا : يَا حَبِيبُ ، لَمْ تُرْعَ ؛ إِنَّكَ
لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ . قَالَ : فَبَيْنَمَا نَحْنُ كَذَلِكَ ، إِذَا أَنَا
بِالْحَيِّ قَدْ جَاءُوا بِحِذَائِهِمْ ، وَإِذَا أُمِّي — وَهِيَ ظَهْرِي — أَمَامَ الْحَيِّ تَهْتِفُ بِأَعْلَى
صَوْتِهَا وَتَقُولُ : يَا ضَعِيفَاهُ ! قَالَ : فَاذْكَبُوا عَلَيَّ فَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ،
فَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ ضَعِيفٍ ! ثُمَّ قَالَتْ ظَهْرِي : يَا وَحِيدَاهُ ! فَاذْكَبُوا
عَلَيَّ فَضَمَمُونِي إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، ثُمَّ قَالُوا : حَبِّدَا
أَنْتَ مِنْ وَحِيدٍ وَمَا أَنْتَ بِوَحِيدٍ ! إِنَّ اللَّهَ مَعَكَ وَمَلَائِكَتُهُ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَهْلِ
الْأَرْضِ . ثُمَّ قَالَتْ ظَهْرِي : يَا يَتِيمَاهُ ، اسْتَضْعِفْتَ مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِكَ
فَقَتَلْتَ لَضَعْفِكَ ، فَاذْكَبُوا عَلَيَّ فَضَمَمُونِي^(٣) إِلَى صُدُورِهِمْ وَقَبَّلُوا رَأْسِي
وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ ، وَقَالُوا : حَبِّدَا أَنْتَ مِنْ يَتِيمٍ ، مَا أَكْرَمَكَ عَلَى اللَّهِ ! لَوْ تَعْلَمُ
مَاذَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ ! قَالَ : فَوَصَلُوا بِي إِلَى شَفِيرِ الْوَادِي ، فَلَمَّا بَصُرْتُ بِي

(١) كَذَا فِي ت ، ح ، وَفِي ط : « لَمْ » . (٢) ح : « وَقَالُوا » .

(٣) ت ، ر : « وَضَمَمُونِي » .

أُمِّي - وهى ظُرى - قالت : يا بُنَيَّ ألا أراك حيًّا بعدُ ! فجاءت حتَّى انكبَّتْ علىَّ وضممتنى إلى صدرِها ؛ فوالذى نفسى بيده ، إننى لنى حِجْرَها وقد ضمتنى إليها ، وإنَّ يَدَى فى يد بعضهم ، فجعلتُ ألتفتُ إليهم وظنننتُ أنَّ القوم يبصرونهم ، فإذا هم لا يبصرونهم ، يقول بعض^(١) القوم : إنَّ هذا الغلام قد أصابه لَمَمٌ أو طائفٌ من الجنِّ ، فانطلقوا به إلى كاهنينا حتَّى ينظر إليه ويُدْأوِيه . فقلت : يا هذا ، ما بى شئ مما تذكر ، إن أراى سليمة وفؤادى ٩٧٧/١ صحيح ، ليس بى قَلْبَة^(٢) . فقال أبى - وهو زوج ظُرى - ألا ترون كلامه كلامَ صحيح ! إنى لأرجو ألا يكون بابنى بأسٌ^(٣) ، فاتتفقوا على أن يذهبوا بى إلى الكاهن ، فاحتملوني حتَّى ذهبوا بى إليه ، فلمَّا قصَّوا عليه قِصَّتى قال : اسكُتُوا حتَّى أسمع من الغلام ، فإنَّه أعلمُ بأمره منكم ، فسألنى ، فاقتضصت^(٤) عليه أمرى ما بين أوله وآخره ، فلمَّا سمع قولى وثبَّ إلى فُضمتنى^(٥) إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته : يا لَلْعَرَب ، يا لَلْعَرَب ! اقتلوا هذا الغلام واقتلوني معه ، فواللآت والعزى لئن ترَكْتُموه وأدرَك ، لَيُسَبِّدَنَّ دينَكُم وليُسْفِهَنَّ عقولَكُم وعقول آبائِكُم ، وليُخالفَنَّ أَمْرَكُم ، وليأتينَكُم بدينٍ لم تسمعوا بمثله قط ! فَعَمَدَت ظُرى فانزعجتنى من حِجْرِهِ وقالت : لأنتَ أعنته وأجسن من ابنى هذا ! فلو علمتُ أنَّ هذا يكونُ من قولك ما أتيتُك به ، فاطلب لِنَفْسِكَ من يقتُلُك ، فإنَّا غيرُ قاتِلِي هذا الغلام . ثم احتملوني فأدَوْنى إلى أهلى فاصبحت مُنزعَجا مما فعل بى ، وأصبح أثر الشَّقِّ ما بين صدرى إلى مُنْتَهَى عانتى كأنه الشَّرَك ؛ فذلك حقيقةُ قولى وبدءُ شَأْنِي يا أخا بنى عامر . فقال العامرى : أشهدُ بالله الذى لا إله غيره^(٦) أنَّ أَمْرَكَ حقٌ^(٧) ، فأنبئتنى

(١) ر ، ح : « بعضهم » .

(٢) ليس بى قَلْبَة ؛ أى ليس به شئ ؛ وأصله من القلاب ؛ وهو داء يأخذ الإبل فى رموسها ، فيقلبها إلى فوق ؛ قال فى اللسان : « ولا يستعمل إلا فى النوى » .

(٣) ت ، ح : « شئ من البأس » .

(٤) ل : « فقصصت » .

(٥) ت ، ح : « وضممتنى » .

(٦) ت ، ح : « إلا هو » .

(٧) ت ، ح : « لحق » .

بأشياء أسألك عنها ! قال : سل عنك — وكان النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يقول للسائل : سل عما شئت ، وعما بدا لك ، فقال للعامري يومئذ : « سل عنك » ، لأنها لغة بني عامر ، فكلمه بما عليم — فقال له العامري : أخبرني يا بن عبد المطلب ما يزيد في العلم ؟ قال : التعلّم ، قال : فأخبرني ما يدل على العلم ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : السؤال ، قال : فأخبرني ماذا يزيد في الشر ؟ قال : التماهى ، قال : فأخبرني هل ينفع البر بعد الفجور ؟ قال : نعم ، التوبة تغسل الحوبة ، والحسنات يذهب السيئات ، وإذا ذكر العبد ربه عند الرخاء ، أغاثه^(١) عند البلاء ، قال العامري : وكيف^(٢) ذلك يا بن عبد المطلب ؟ قال : ذلك بأن الله يقول : لا وعزتي وجلالي ، لا أجمع لعبدي أميين ، ولا أجمع له أبداً خوفين ، إن هو خافني في الدنيا أمينني يوم أجمع فيه عبادي عندى في حظيرة الفردوس^(٣) ، فيدوم له أمنه ، ولا أمحقه^(٤) ، فيمن أمحق ، وإن هو أمينني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادي لميقات يوم معلوم ، فيدوم له خوفه ، قال : يا بن عبد المطلب ، أخبرني إلام تدعو ؟ قال : أدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وأن تخلع الأنداد ، وتكفر باللات والعزى ، وتقر بما جاء من الله من كتاب أو رسول ، وتصلّى الصلوات الخمس بحقائقهن ، وتصوم شهراً من السنة ، وتؤدى زكاة ممالك ، يطهرك الله بها ويطيّب لك مالك ، وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً ، وتغتسل من الجنابة ، وتؤمن بالموت ، وبالبعث بعد الموت ، وبالجنة ، والنار . قال : يا بن عبد المطلب ، فإذا فعلت ذلك فما لي ؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم : « جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء لمن تزكّى »^(٥) . قال : يا بن عبد المطلب ، هل مع هذا من الدنيا شيء ؟ فإنه يعجبني الوطاءة من العيش ! قال النبي

(١) ت ، ل : « أغاثه » .

(٢) ت ، ح : « كيف » .

(٣) ط : « القدس » ، وما أثبتته من ر .

(٤) ل : « أمحق » .

صلى الله عليه وسلم : نعم ، النَّصْرُ والتَّمَكُّنُ في البلاد . قال : فأجاب وأجاب .
 حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
 ثور بن يزيد ، عن خالد بن معدان الكلاعي ، أن نفرًا من أصحاب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قالوا : يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ، قال : نعم ،
 أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشري عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي أنه
 خرج منها نور أضاء لها قصور بصرى من أرض الشام ، واستترضعت
 في بني سعد بن بكر ، فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهنما لنا ،
 أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجًا ، فأخذاني ،
 فشقًا بطني ، ثم استخرجا منه قلبي ، فشقاها فاستخرجا منه علقمة سوداء ،
 فطرحاها ، ثم غسلا بطني وقلبي بذلك الثلج حتى أنقياها ، ثم قال أحدهما
 لصاحبه : زنه بعشرة من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بمائة
 من أمته ، فوزنني بهم فوزنتهم ، ثم قال : زنه بألف من أمته ، فوزنني
 بهم فوزنتهم ، ثم قال : دعه عنك ، فلو وزنته بأمته لوزنتها ^(١) .

قال ابن إسحاق : هلك عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ، وأم رسول الله آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة حامل به .
 وأمًا هشام فإنه قال : توفي عبد الله أبو رسول الله ، بعد ما أتى على رسول ٩٨٠/١
 الله صلى الله عليه وسلم ثمانية وعشرون شهرًا .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : قال محمد بن عمر
 الواقدي : الثبت عندنا مما ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن
 عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقريش ، فنزل بالمدينة — وهو مريض —
 فأقام بها حتى توفي ، ودفن في دار النابغة ، في الدار الصغرى إذا دخلت
 الدار على يسارك في البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله
 ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، أن أم رسول الله صلى
 الله عليه وسلم آمنة . توفي — ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست
 سنين — بالأبواء بين مكة والمدينة ، كانت قدمت به المدينة على أخواله من

بنى عدي بن النجار تزييره إيتاهم ، فأتت وهي راجعة به إلى مكة ^(١) .

وقد حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني ابن جريج ، عن عثمان بن صفوان ، أن قبر آمنة بنت وهب في شعب أبي ذر بمكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن العباس ابن عبد الله بن معبد بن العباس ، عن بعض أهله ، أن عبد المطلب توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثمان سنين ؛ وكان بعضهم يقول : توفي عبد المطلب ورسول الله ابن عشرين سنين ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا طلحة بن عمرو الحضرمي ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم في حجر أبي طالب بعد جده عبد المطلب ، فيصبح ولد عبد المطلب غمضاً رُمضاً ، ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلاً دهيناً ^(٢) . ٩٨١/١

* * *

رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ أنوشروان

حدثنا علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا أبو أيوب يعلى بن عمران البجلي ، قال : حدثني مخزوم بن هاني الخزومي عن أبيه — وأنت له خمسون ومائة سنة — قال : لما كانت ليلة ولدها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة ، وخمدت نار فارس ، ولم تخمد قبل ذلك بألف عام ^(٣) ، وغاضت بحيرة ساوة ، ورأى الموبد أن إبلاً صعباً ، تقود خيلاً عراباً ، وقد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها . فلما أصبح كسرى أفزعته ما رأى ، فصبر تشجعاً ، ثم رأى ألا يكتم ذلك عن وزرائه ومرازميه ، فليس تاجه وقعد على سريره وجمعهم إليه .

(١) الخبر في ابن هشام : ١١٣ .

(٢) النهاية لابن الأثير ٢ : ١٠٣ . والنقص والرمص : البياض الذي يجتمع في زوايا الأجفان .

(٣) الفائق : « ألف عام » .

فلما اجتمعوا إليه أخبرهم بالَّذِي بَعَثَ إِلَيْهِمْ فِيهِ وَدَعَاهُمْ . فَبَيْنَاهُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بِخُمُودِ النَّارِ فَازْدَادَ غَمًّا إِلَى غَمِّهِ ، فَقَالَ الْمُؤْبَذَانُ : وَأَنَا أَصْلَحُ اللَّهُ الْمَلِكُ ! قَدْ رَأَيْتَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ... وَقَصَّ عَلَيْهِ الرَّؤْيَا فِي الْإِبْلِ . فَقَالَ : أَيْ شَيْءٍ يَكُونُ هَذَا يَا مُؤْبَذَانُ ؟ - وَكَانَ أَعْلَمُهُمْ عِنْدَ نَفْسِهِ بِذَلِكَ - فَقَالَ : حَادِثٌ يَكُونُ مِنْ عِنْدِ الْعَرَبِ ، فَكُتِبَ عِنْدَ ذَلِكَ :

مِنْ كَسْرِي مَلِكِ الْمُلُوكِ إِلَى التُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذِرِ ، أَمَّا بَعْدُ ؛ فَوَجَّهَ إِلَى رَجُلًا عَالِمًا بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهُ .

فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدَ الْمَسِيحِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حَيَّانَ بْنِ بَقِيَّةِ الْغَسَّانِي ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ ، قَالَ لَهُ : أَعِنْدَكَ عِلْمٌ بِمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَنْهُ ؟ قَالَ : لِيُخْبِرْنِي الْمَلِكُ ، فَإِنْ كَانَ عِنْدِي مِنْهُ عِلْمٌ ، وَإِلَّا أَخْبَرْتُهُ بِمَنْ يَعْلَمُهُ لَهُ ، فَأَخْبَرَهُ ٩٨٢/١ بِمَا رَأَى ؛ فَقَالَ : عِلْمٌ ذَلِكَ عِنْدَ خَالٍ لِي يَسْكُنُ مَشَارِفَ الشَّامِ ، يَقَالُ لَهُ سَطِيطِجْ ، قَالَ : فَأَتَيْهِ فَاسْأَلْهُ عَمَّا سَأَلْتُكَ ، وَأَتَيْنِي بِجَوَابِهِ . فَرَكِبَ عَبْدُ الْمَسِيحِ رَاحِلَتَهُ حَتَّى قَدِمَ عَلَى سَطِيطِجْ - وَقَدْ أَشْفَى عَلَى الْمَوْتِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَحَيَّاهُ ، فَلَمْ يُحِزْ سَطِيطِجْ جَوَابًا ، فَأَنْشَأَ عَبْدُ الْمَسِيحِ يَقُولُ :

أَصَمٌّ أَمْ يَسْمَعُ غَطْرِيفُ الْيَمَنِ ! يَا فَاصِلَ الْخُطَّةِ أَعْيَتْ مَنْ وَمَنْ
أَمْ فَازَ فَازَلَمْ بِهِ شَأْوُ الْعَيْنِ (١) أَتَاكَ شَيْخُ الْحَيِّ مِنْ آلِ سَنَنْ
وَأُمُّهُ مِنْ آلِ ذِئْبِ بْنِ حَجَنْ أَزْرَقُ مُمَهِّي النَّابِ صَرَّارُ الْأُذُنِ (٢)
أَبْيَضُ فَضْفَاضُ الرِّدَاءِ وَالْبَدَنِ رَسُولُ قَيْلِ الْعُجْمِ يَسْرِي لِلْوَسَنِ
يَحْبُوبُ بِي الْأَرْضَ عَلَنَدَاةً شَزَنْ (٣) تَرْفَعُنِي وَجَنْ وَتَهْوِي بِي وَجَنْ (٤)
لَا يَرْهَبُ الرَّعْدَ وَلَا رَيْبَ الزَّمَنِ حَتَّى أَتَى عَارِي الْجَاجِي وَالْقَطَنْ

(١) الفائق : « فاد » ، وهما بمعنى مات ، وازلم : ولى . (٢) ممهى : محدد .

(٣) العلندي : الشديد ، والفاء للمبالغة . والشزن : النشيط .

(٤) الوجين : الغليظ من الأرض ، جمعه وجن .

تَلَفَهُ فِي الرِّيحِ بَوْغَاهُ الدِّمْنُ كَأَنَّمَا حُحِثَ مِنْ حِضْنِي فَكُنْ^(١)

فلما سمع سطيج شعره ، رفع رأسه وقال : عبدُ المسيح ، على جمل يسيع^(٢) ، إلى سطيج ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملكُ بني ساسان ، لارتجاس الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبدان . رأى إبلاً صعباً ، تقود خيلاً عرابياً ، قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها ؛ يا عبد المسيح : إذا كثرت التلاوة ، وبُعث صاحبُ الهراوة ، وفاض وادي السماء ، وغاضت بحيرة ساوة ، وخمدت نارُ فارس ، فليست السماءُ لسطيج شأماً ؛ يملكُ منهم ملوكٌ ومليكات ، على عددِ الشرفات ، وكلُّ ما هو آت آت . ثم قضى سطيج مكانه ، فقام عبد المسيح إلى رحله وهو يقول :

شمرْ فَإِنَّكَ مَاضِي الهمِّ شَمِيرُ لَا يُفْرِغَنَّكَ تَفْرِيقُ وَتَغْيِيرُ
إِنَّ يَكُ مُلْكُ بَنِي سَاسَانَ أَفْرَطَهُمْ فَإِنَّ ذَا الدَّهْرِ أَطْوَارُ دَهَارِيرُ
فَرُبَّمَا رُبَّمَا أَضْحَوْا بِمَنْزِلَةٍ تَهَابُ صَوْلَهُمُ الْأَسْدُ الْمَهَاوِيرُ
مِنْهُمْ أَخْوَاصُ الصَّرِيحِ مِهْرَانُ وَإِخْوَتُهُ وَالْهَرْمُزَانُ وَسَابُورُ وَسَابُورُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا أَنْ قَدْ أَقْلَ ، فَمَهْجُورُ وَمَحْقُورُ
وَهُمْ بَنُو الْأُمِّ لَمَّا أَنْ رَأَوْا نَشَبًا فَذَاكَ بِالْغَيْبِ مُحْفُوظُ وَمَنْصُورُ
وَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ فَالْخَيْرُ مُتَبَعُ وَالشَّرُّ مُحْدُورُ

٩٨٤/١

فلما قدِم عبدُ المسيح على كيسرى ، أخبره بقول سطيج ، فقال : إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً قد كانت أمور .
فمملكَ منهم عشرة أربع سنين ، ومملكَ الباقيون إلى ملكِ عثمان بن عفان^(٣) .

* * *

(١) البوغاه : دفاق التراب ، وحثت : حث وأسرع . وتكن : اسم جبل .

(٢) ر : « مشيح » .

(٣) الخبر في الفائق ١ : ٤٦٠ ، ٤٦١

وَحُدَّتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : بَعَثَ وَهْرَيزُ بِأَمْوَالٍ وَطُرِفَ مِنْ طُرَفِ الْيَمَنِ إِلَى كَسْرَى ، فَلَمَّا صَارَتْ بِلَادُ بَنِي تَمِيمٍ ، دَعَا صَعْمَصَةَ ابْنَ نَاجِيَةَ بْنِ عِقَالِ الْمُجَاشِعِيِّ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى الْوُثُوبِ عَلَيْهِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ ، فَلَمَّا صَارَتْ فِي بِلَادِ بَنِي يَرْبُوعٍ دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ ، فَهَابُوهُ ، فَقَالَ : يَا بَنِي يَرْبُوعَ ، كَأَنِّي بِهَذِهِ الْعِيرِ قَدْ مَرَّتْ بِلَادُ بَكْرَيْنِ وَائِلٍ ، فَوَثَّبُوا عَلَيْهَا فَاسْتَعَانُوا بِهَا عَلَى حَرْبِكُمْ ! فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ انْتَهَبُواهَا ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَكْلَيْطٍ يَقَالُ لَهُ النَّطِيفُ خُرْجًا فِيهِ جَوْهَرٌ ، فَكَانَ يَقَالُ : « أَصَابَ كَنْزَ النَّطِيفِ » ؛ فَصَارَ مِثْلًا ؛ وَأَخَذَ صَعْمَصَةَ خَصْفَةً ^(١) فِيهَا سِبَائِكُ فِضَّةٍ ، وَصَارَ أَصْحَابُ الْعِيرِ إِلَى هَوْدَةَ بْنِ عَلِيٍّ الْحَنْفِيِّ بِالْيَمَامَةِ ، فَكَسَاهُمْ ، وَزَوَّدَهُمْ وَحَمَلَهُمْ ، وَسَارَ مَعَهُمْ حَتَّى دَخَلَ عَلَى كَسْرَى . وَكَانَ لَهْوْدَةَ جَمَالٌ وَبَيْتَانٌ ، فَأَعْجَبَ بِهِ كَسْرَى وَحَفِظَ لَهُ مَا كَانَ مِنْهُ ، وَدَعَا بِعَقْدٍ مِنْ دُرٍّ فَقَعَدَ عَلَى رَأْسِهِ ، وَكَسَاهُ قَبَاءَ دِيبَاجٍ ، مَعَ كَسْوَةٍ كَثِيرَةٍ ، فَمِنْ ثَمَّ سُمِّيَ هَوْدَةُ ذَا التَّاجِ ؛ وَقَالَ ٩٨٥/١ كَسْرَى لَهْوْدَةَ : أَرَأَيْتَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ صَنَعُوا مَا صَنَعُوا مِنْ قَوْمِكَ هَمْ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : أَصْلَحُ هَمْ لَكَ ؟ قَالَ : بَيْنَنَا الْمَوْتُ ، قَالَ : قَدْ أَدْرَكْتُ بَعْضَ حَاجَتِكَ [وَنَلْتَ ثَأْرَكَ] ^(٢) . وَعَزَمَ عَلَى تَوْجِيهِ الْخَيْلِ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ ، فَقِيلَ لَهُ : إِنَّ بِلَادَهُمْ بِلَادُ سُوءٍ ، إِنَّمَا هِيَ مَفَاوِزُ وَصَحَارَى لَا يَهْتَدَى لِمَسَالِكِهَا ، وَمَاؤُهُمْ مِنَ الْآبَارِ ، وَلَا يُؤْمَنُ أَنْ يُعَوَّرُوهَا فِيهِلِكَ جَنْدُكَ . وَأَشِيرَ إِلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْبَحْرَيْنِ وَهُوَ آزَادُ فُرُوزِ بْنِ جُشْنَسَنِسٍ الَّذِي سَمَّيْتُهُ الْعَرَبَ الْمُكْعَبِيرَ - وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْمُكْعَبِيرَ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَقْطَعُ الْأَيْدِيَ وَالْأَرْجُلَ وَأَلَى أَلَا يَدْعُ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَيْنًا تَطْرِفُ - فَقَعَلَ ؛ وَوَجَّهَ لَهُ رَسُولًا . وَدَعَا بِهِوْدَةَ فَجَدَّدَ لَهُ كَرَامَةً وَصِلَةً وَقَالَ : سِيرْ مَعَ رَسُولِي هَذَا فَاشْفِنِي وَاشْتَفِ ، فَأَقْبَلَ هَوْدَةَ وَالرَّسُولَ مَعَهُ حَتَّى صَارَ إِلَى الْمُكْعَبِيرِ ، وَذَلِكَ قَرِيبٌ مِنْ أَيَّامِ اللَّقَاطِ ^(٣) ، وَكَانَ بَنُو تَمِيمٍ يَصِيرُونَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ إِلَى هَجَرٍ ، لِلْمِيرَةِ وَاللَّقَاطِ ، فَنادَى مُنَادِي الْمُكْعَبِيرِ : مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَلْيَسْجُضْ

(١) الخصفة : وعاء من خوص . (٢) من ح .

(٣) اللقاط ، بالضم : جمع اللقطة ؛ وهو ما التقط من كرب النخل بعد الصرام .

فإن الملك قد أمر لهم بميرة وطعام يُقسم فيهم ؛ فحضرُوا ، فأدخلهم
المُسَقَّر - وهو حصنٌ حِيَالَه حصنٌ يقال له الصفا ، وبينهما نهرٌ يقال له
حلم - وكان الذى بنى المُسَقَّر رجلاً من أساورة كسرى يقال له : «بسك بن
ماهوذ» ، كان كسرى وجهه لِنائِه ، فلما ابتدأه قيل له : إن هؤلاء الفعلة
لا يقيمون بهذا الموضع إلا أن تكون معهم نساء ، فإن فعلت ذلك بهم تم
بناؤك ، وأقاموا عليه حتى يفرغوا منه ؛ فنقل إليهم الفواجير من ناحية
السَّوَاد والأهواز ، وحملت إليهم رَوَايا الحمير من أرض فارس فى البحر ،
فتناكحوا وتوالدوا ، فكانوا^(١) جلُّ أهل مدينة هجر ، وتكلم القوم بالعربية ،
وكانت دعوتهم إلى عبد القيس ، فلما جاء الإسلام قالوا لعبد القيس :
قد علمت عَدَدَنَا وعُدَّتَنَا وعَظِيمَ غَنَاتِنَا ، فأدخلونا فيكم وزوجونا ،
قالوا : لا ، ولكن أقيموا على حالكم ، فأنتم إخواننا وموالينا ،
فقال رجلٌ من عبد القيس : يا معاشر عبد القيس ، أطيعونى
والحقوهم ، فإنه ليس عن مثل هؤلاء مرغَب ، فقال رجل من القوم : أما
تستحي ! أنأمرنا أن ندخل فينا من قد عرفت أوله وأصله ! قال : إنكم
إن لم تفعلوا ألحقهم غيركم من العرب ، قال : إذا لا نستوحش لهم ؛ ففترق
القوم فى العرب ، وبقيت فى عبد القيس منهم بَقِيَّةٌ فانتَمَوْا إليهم ، فلم
يردُّوهم عن ذلك . فلما أدخل المكعبيرُ بنى تميم المُسَقَّر قتل رجالهم واستبق
الغلمان ، وقتل يومئذ قَعْنَبَ الرِّياحى - وكان فارس بنى يربوع - قتله رجلان
من شَن^(٢) كانا ينوبان الملوك ؛ وجعل الغلمان فى السفن ، فعبر بهم إلى فارس ،
فخَصَّوْا منهم بشراً . قال هبيرة بن حدير العدوى : رجع إلينا بعد ما فتحت
إصطخر عدَّة منهم ، أحدهم خصيٌّ والآخر خيَّاط . وشدَّ رجلٌ من بنى
تميم ، يقال له عبيد بن وهب على سلسلة الباب ففقطعتها وخرَجَ ، فقال :
تَذَكَّرْتُ هَذَا لَاتِ حِينَ تَذَكَّرُ تَذَكَّرْتُهَا وَدُونَهَا سَيْرُ أَشْهُرٍ
حِجَازِيَّةٌ عُلوِيَّةٌ حَلَّ أَهْلِهَا مُصَابُ الْخَرِيفِ بَيْنَ زُورٍ وَمِنُورٍ^(٣)

(١) ح : « وكانوا » .

(٢) بنو شن ، من عبد القيس ، وانظر الاشتقاق ٣٢٥

(٣) ر ، ل : « مصاب الخريف » .

أَلَا هَلْ أَتَى قَوْمِي عَلَى النَّأْيِ أَنِّي حَمَيْتُ ذِمَارِي يَوْمَ بَابِ الْمُشَقْرِ
ضَرَبْتُ رِتَاجَ الْبَابِ بِالسَّيْفِ ضَرْبَةً تَفَرَّجَ مِنْهَا كُلُّ بَابٍ مُضَبَّرٍ
وَكَلَّمَهُمْ هُوَذَةُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَكْعَبِيُّ يَوْمَئِذٍ فِي مَائَةٍ مِنْ أُسْرَى بَنِي تَمِيمٍ ،
فَوَهَبَهُمْ لَهُ يَوْمَ الْفِصْحِ ، فَأَعْتَقَهُمْ ، فِي ذَلِكَ يَقُولُ الْأَعَشَى :

سَائِلُ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفَقَتِهِمْ لَمَّا أَتَوْهُ أُسَارَى كُلَّهُمْ ضَرَعًا^(١)
وَسَطَ الْمُشَقْرِ فِي غَبْرَاءِ مُظْلَمَةٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ بَعْدَ الضَّرِّ مُنْتَفِعًا
فَقَالَ لِلْمَلِكِ أَطْلِقْ مِنْهُمْ مِائَةً^(٢) رِسْلًا مِنَ الْقَوْلِ نَخْفُوضًا وَمَارِفًا
فَفَكَ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ إِسَارَهُمْ^(٣) وَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلَّةٍ خُلِعَا
بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفِصْحِ ضَاحِيَةً^(٤) يَرْجُو الْإِلَهَ بِمَا أُسْدَى وَمَا صَنَعَا^(٥)
فَلَا يَرَوْنَ بَذَاكُمُ نِعْمَةً سَبَقَتْ إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسِعَا ٩٨٨/١
يَصِفُ بَنِي تَمِيمٍ بِالْكَفْرِ لِنِعْمَتِهِ .

قال : فلما حضرت وهزِرَ الوفاة — وذلك في آخر ملك أنوشِروان —
دعا بقوسه ونشأبته ، ثم قال : أجلسوني ، فأجلسوه ، فرمى وقال : انظروا حيث
وقعت نشأبتي فاجعلوا نأوسى هناك ، فوقعت نشأبته من وراء الديبر .
وهي الكنيسة التي عند دُعْم ، وهي تسمى اليوم مقبرة وهزِرَ ؛ فلما بلغ
كيسرى موت وهزِرَ ، بعث إلى اليمن أسواراً يقال له وين^(٦) ، وكان جبَّاراً
مُسْرِفاً ، فعزله هُرْمُزُ بْنُ كِيسَرَى ، واستعمل مكانه المَرُوزَان ، فأقام

(١) من قصيدة في ديوانه ٧٢ - ٨٧ ، والزرع ، بفتحين : الدليل الضعيف .

(٢) الديوان : « سرح منهم مائة » .

(٣) الديوان : « وثاقهم » .

(٤) الديوان : « يوم الفتح » .

(٥) الديوان : « سدى » .

(٦) ط : « زين » ، وأثبت ما في التصريبات .

باليمن حتى وُلِدَ له بها ، وَبَلَغَ وَلَدُهُ . ثم هلك كِسْرَى أَنْوَشِرَوَان ،
وكان مُلْكُهُ ثَمَانِيًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً .

[ذكر ملك هرمز بن كسرى أنوشروان]

ثم ملك هُرْمُزُ بن كِسْرَى أَنْوَشِرَوَان ، وكانت أُمُّهُ ابنة خاقان
الأكبر ، فحْدَثَتْ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : كَانَ هُرْمُزُ بْنُ كِسْرَى
هَذَا كَثِيرَ الْأَدَبِ ، ذَانِيَّةً فِي الْإِحْسَانِ إِلَى الضَّعْفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ ، وَالْحَمْلِ عَلَى
الْأَشْرَافِ ، فَعَادَوْهُ وَأَبْغَضَوْهُ ، وَكَانَ فِي نَفْسِهِ عَلَيْهِمْ مِثْلُ ذَلِكَ ، وَلَمَّا عُنُقِدَ
التَّاجُ عَلَى رَأْسِهِ ، اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَشْرَافُ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ ، وَاجْتَهَدُوا فِي الدِّعَاءِ
لَهُ وَالشُّكْرِ لَوَالِدِهِ ، فَوَعَدَهُمْ خَيْرًا . وَكَانَ مُتَحَرِّيًا لِلْسَّيْرِ فِي رِعِيَّتِهِ بِالْعَدْلِ ،
شَدِيدًا عَلَى الْعُظَمَاءِ لِاسْتِطْلَاقِهِمْ كَانَتْ عَلَى الْوُضْعَاءِ ، وَبَلَغَ مِنْ عَدْلِهِ أَنَّهُ
كَانَ يَسِيرُ إِلَى مَاهٍ لِيَصِيفَ ، فَأَمَرَ فَنُودِيَ فِي مَسِيرِهِ ذَلِكَ فِي جُنْدِهِ وَسَائِرِ مَنْ
كَانَ فِي عَسْكَرِهِ أَنْ يَتَحَامَوْا مَوَاضِعَ الْحَرْوِثِ وَلَا يَضُرُّوا بِأَحَدٍ مِنَ الدَّهَّاقِينَ
فِيهَا ، وَيَضْبُطُوا دَوَابَّهُمْ عَنِ الْفَسَادِ فِيهَا ، وَكُلَّ بَتْعَاهِدٍ مَا يَكُونُ فِي عَسْكَرِهِ
مِنْ ذَلِكَ وَمُعَاقِبَةٍ مِنْ تَعَدَّى أَمْرِهِ .

٩٨٩/١

وكان ابنه كِسْرَى فِي عَسْكَرِهِ ، فَعَارَ مَرْكَبًا^(١) مِنْ مَرَاقِبِهِ وَوَقَعَ
فِي مَحَرَّةٍ مِنَ الْحَارِثِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى طَرِيقِهِ فَرَنَعَ فِيهَا وَأَفْسَدَ مِنْهَا ،
فَأَخَذَ ذَلِكَ الْمَرْكَبَ ، وَدَفِعَ إِلَى الرَّجُلِ الَّذِي وَكَّلَ هُرْمُزُ بِمُعَاقِبَةِ مَنْ أَفْسَدَ
أَوْ دَابَّتْهُ شَيْئًا مِنَ الْحَارِثِ وَتَغْرِيمِهِ . فَلَمْ يَقْدِرِ الرَّجُلُ عَلَى إِنْفَازِ أَمْرِ هُرْمُزَ
فِي كِسْرَى ، وَلَا فِي أَحَدٍ مِمَّنْ كَانَ مَعَهُ فِي حَشَمِهِ ، فَرَفَعَ مَا رَأَى مِنْ إِفْسَادِ
ذَلِكَ الْمَرْكَبِ إِلَى هُرْمُزَ ، فَأَمَرَ أَنْ يُجَدَّعَ أُذُنِيهِ ، وَيَتَرَّ ذَنْبُهُ ، وَيَغْرَمَ
كِسْرَى ؛ فَخَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ عِنْدِ هُرْمُزَ لِيَنْفِذَ أَمْرَهُ فِي كِسْرَى وَمَرْكَبِهِ
ذَلِكَ ، فَدَسَّ لَهُ كِسْرَى رَهْطًا مِنَ الْعُظَمَاءِ لِيَسْأَلُوهُ التَّغْيِيبَ فِي أَمْرِهِ ،
فَلَقَوْهُ وَكَلَّمُوهُ فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُؤَخَّرَ مَا أَمَرَ بِهِ هُرْمُزُ فِي
الْمَرْكَبِ حَتَّى يَكَلِّمُوهُ فَيَأْمُرَ بِالْكَفِّ عَنْهُ ، فَفَعَلَ . فَلَقِيَ أَوْلَئِكَ الرَّهْطَ هُرْمُزُ

(١) عار : ضلّ ، والمركب هنا : الدابة .

وأعلموه أن بالمركب الذى أفسد ما أفسد زعارة^(١)، وأنه عار فوقع فى محرقة؛ فأخذ من ساعة وقع فيها، وسأله أن يأمر بالكف عن جدِّه وتبشيرِه لما فيها من سوء الطيرة على كسرى. فلم يجيبهم إلى ما سألوا من ذلك، وأمر بالركب فجُدِّع أذناه، وبُشِّرَ ذنبه، وغرم كسرى مثل ما كان يغرم غيره ٩٩٠/١ فى هذا الحدِّ، ثم ارتحل من معسكره. وكان هرْمُزُ ركب ذات يوم فى أوَّانٍ ليناع الكرم إلى ساباط المدائن، وكان ممرُّه على بساتين وكروم، وإنَّ رجلاً ممَّن ركب معه من أساورته اطلَّع فى كرم فرأى فيه حصراً، فأصاب منه عناقيد ودفعها إلى غلام كان معه، وقال له: اذهب بها إلى المنزل واطبخنها بيلحم واتَّخذ منها مَرَقَةً فإنها نافعة فى هذا الإيَّان^(٢). فأثابه حافظ ذلك الكرم فلترمه وصرخ، فبلغ [من]^(٣) إشفاق الرجل من عقوبة هرمز على تناوله من ذلك الكرم أن دفع إلى حافظ الكرم منطقة محلاة بذهب كانت عليه، عوضاً له من الحصرم الذى رزأ من كرمه، وافندى نفسه بها، ورأى أن قبضَ الحافظ إياها منه وتخلَّيته عنه، منَّةٌ منَّ بها عليه، ومعروف أسداه إليه. وقيل إنَّ هرمز كان مظفراً منصوراً لا يَمُدُّ يده إلى شيء إلا ناله، وكان مع ذلك أديباً أريباً ذاهياً ردىء النية، قد نزع أحواله الأتراك، وكان مُقْصِياً^(٤) للأشراف، وإنَّه قتل من العلماء وأهل البيوتات والشرف ثلاثة عشر ألف رجل وستائة رجل، وإنَّه لم يكن له رأى إلا فى تألف السفلة واستصلاحهم، وإنَّه حبس ناساً كثيراً من العظماء وأسقطهم وحطَّ مراتبهم ودرجاتهم، وجهزَ الجنودَ وقصَّرَ بالأساورة ففَسَدَ عليه كثير ممَّن كان حوله لِمَا أراد الله من تغيير أمرهم وتحويل ملكهم؛ ولكلِّ شيء سبب. وإنَّ الهرايذة رفعوا اليه قصَّةً يبغون فيها على النَّصارى، ٩٩١/١ فوقع فيها: إنَّه كما لا قيامَ لسريِّرِ مُلْكنا بقائمته المقدَّمتين دون قائمته

(١) الزعارة، بتخفيف الراء أو تشديدها: شراسة الطبع.

(٢) ل: «الأوان».

(٣) من ح.

(٤) ل: «منضياً».

المؤخرتين ، فكَذَلِكَ لَاقِيَوَامَ لِلْمُكِنَا وَلَا ثَبَاتَ لَهُ ، مع استفسادنا مَنْ فِي بِلَادِنَا
 مِنَ النَّصَارَى وَأَهْلِ سَائِرِ الْمِلَلِ الْخَالِفَةِ لَنَا ؛ فَأَقْصَرُوا عَنِ الْبَغْيِ عَلَى النَّصَارَى ،
 وَوَاطَبُوا عَلَى أَعْمَالِ الْبَرِّ لِيَرَى ذَلِكَ النَّصَارَى وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ
 [وَالْأَدْيَانِ] ، ^(١) فِيحْمَدُوكُمْ عَلَيْهِ ، وَتَتَوَقَّ أَنْفُسُهُمْ إِلَى مِلَّتِكُمْ .

وَحُدُثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : خَرَجَ عَلَى هِرْمِزِ التُّرْكِ - وَقَالَ غَيْرُهُ :
 أَقْبَلَ عَلَيْهِ ^(٢) شَابَةُ مَلِكِ التُّرْكِ الْأَعْظَمِ - فِي ثَلَاثَةِ أَلْفِ مَقَاتِلٍ ، فِي سَنَةِ إِحْدَى
 عَشْرَةَ مِنْ مَلِكِهِ ، حَتَّى صَارَ إِلَى بَادَغِيْسٍ وَهَرَاةَ . وَإِنَّ مَلِكَ الرُّومِ صَارَ
 إِلَى الضَّوَّاحِي فِي ثَمَانِينَ أَلْفَ مَقَاتِلٍ قَاصِدًا لَهُ ، وَإِنَّ مَلِكَ الْخَزَرِ صَارَ فِي
 جَمْعٍ عَظِيمٍ إِلَى الْبَابِ وَالْأَبْوَابِ ، فَعَاثَ وَأَخْرَبَ ، وَإِنَّ رَجُلَيْنِ مِنَ الْعَرَبِ
 يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : عَبَّاسُ الْأَحْوَلِ ، وَالْآخَرُ : عَمْرُو الْأَزْرَقِ ، نَزَلَا فِي جَمْعٍ
 عَظِيمٍ مِنَ الْعَرَبِ بِشَاطِئِ الْفَرَاتِ ، وَشَنُّوا الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ السَّوَادِ ، وَاجْتَرَأَ
 أَعْدَاؤُهُ عَلَيْهِ وَغَزَوْا بِلَادَهُ ، وَبَلَغَ مِنْ اكْتِنَافِهِمْ إِيَّاهَا أَنَّهَا سُمِّيَتْ مَنْخَلًا
 كَثِيرَ السَّمَامِ . وَقِيلَ : قَدْ اكْتَنَفَ بِلَادَ الْفَرَسِ الْأَعْدَاءُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ كَاكْتِنَافِ
 الْوَتَرِ سَيْتِي الْقَوْسِ . وَأُرْسِلَ شَابَةُ مَلِكِ التُّرْكِ إِلَى هِرْمِزٍ وَعِظْمَاءِ الْفَرَسِ يُؤْذَنُهُمْ
 بِأَقْبَالِهِ فِي جُسُودِهِ ، وَيَقُولُ : رُمُّوا قَنَاطِرَ أَنْهَارٍ وَأُودِيَةَ أَجْتَازَ عَلَيْهَا إِلَى بِلَادِكُمْ ،
 وَاعْقِدُوا الْقَنَاطِرَ عَلَى كُلِّ نَهْرٍ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ لَاقِنَطَرَةً لَهُ ، وَافْعَلُوا ذَلِكَ فِي
 الْأَنْهَارِ وَالْأُودِيَةِ الَّتِي عَلَيْهَا مَسْلُكِي مِنْ بِلَادِكُمْ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ ، لِاجْتِمَاعِي
 بِالسَّيْرِ إِلَيْهَا مِنْ بِلَادِكُمْ . فَاسْتَفْظَعَ هِرْمِزٌ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ ، وَشَاوَرَ
 فِيهِ ، فَأَجْمَعَ لَهُ عَلَى الْقَصْدِ لِلْمَلِكِ التُّرْكِ ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الرَّيِّ
 يُقَالُ لَهُ بُهْرَامُ بْنُ بَهْرَامٍ جُسْنَسَ - وَيَعْرِفُ بِجُوبَيْنَ - فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ
 رَجُلٍ ، اخْتَارَهُ بِهْرَامٌ عَلَى عَيْنِيهِ مِنَ الْكُهُولِ دُونَ الشَّبَابِ . وَيُقَالُ : إِنَّ
 هِرْمِزَ عَرَضَ ذَلِكَ الْوَقْتَ مَنْ كَانَ بِخَضْرَتِهِ مِنَ الدِّيَوَانِيَّةِ ، فَكَانَتْ عِدَّتُهُمْ
 سَبْعِينَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، فَمَضَى بِهْرَامُ بِنَ ضَمٍّ إِلَيْهِ مُغِيدًا حَتَّى جَازَ هَرَاةَ
 وَبَادَغِيْسَ ، وَلَمْ يَشْعُرْ شَابَةُ بِبَهْرَامٍ حَتَّى نَزَلَ بِالْقَرْبِ مِنْهُ مُعَسِّكِرًا ، فَجَرَتْ

(١) مِنْ ح .

(٢) ر : « إِلَيْهِ » .

بَيَسْنَهُمَا رَسَائِلُ وَحُرُوبٌ، وَقَتَلَ بِهْرَامُ شَابَةَ بِرَمِيَّةَ رَمَاهُ إِيَّاهَا. وَقِيلَ : إِنَّ الرِّمَى فِي مَلِكِ الْعَجَمِ كَانَ لثَلَاثَةِ نَفَرٍ ، مِنْهَا رَمِيَّةُ أُرَشْشِيَّاطِينَ بَيْنَ مَنُوشَهْرَ ، وَأَفْرَاسِيَابَ^(١) ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ سُوخْرَا فِي التُّرْكِ ، وَمِنْهَا رَمِيَّةُ بِهْرَامِ هَذِهِ . وَاسْتَبَاحَ ٩٩٣/١ عَسْكَرَهُ وَأَقَامَ بِمَوْضِعِهِ ، فَوَافَاهُ بِرَمُودَةَ بْنِ شَابَةَ ، وَكَانَ يَعْدِلُ بِأَبِيهِ ، فَحَارَبَهُ فَهَزَمَهُ ، وَحَصَرَهُ فِي بَعْضِ الْحِصُونِ ، ثُمَّ أَلْحَ عَلَيْهِ حَتَّى اسْتَسْلَمَ لَهُ ، فَوَجَّهَهُ إِلَى هَرَمَزٍ أَسِيرًا ، وَغَنِمَ مِمَّا^(٢) كَانَ فِي الْحِصْنِ [وَكَانَتْ]^(٣) كَنْزًا عَظِيمَةً^(٤) .

وَيَقَالُ إِنَّهُ حَمَلَ إِلَى هَرَمَزٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْجَوْهَرِ وَالْآثِيَةِ وَالسَّلَاحِ وَسَائِرِ الْأُمْتَعَةِ مِمَّا غَنِمَهُ وَقَرَّرَ مَائَتِي أَلْفٍ وَخَمْسِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ ، فَشَكَرَ هَرَمَزٌ لِبِهْرَامٍ مَا كَانَ مِنْهُ بِسَبَبِ الْغَنَائِمِ الَّتِي صَارَتْ إِلَيْهِ ، وَخَافَ بِهْرَامَ سَطْوَةَ هَرَمَزٍ ، وَخَافَ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ^٥ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ ، فَخَلَعُوا هَرَمَزَ وَأَقْبَلُوا نَحْوَ الْمَدَائِنِ ، وَأَظْهَرُوا الْأَمْتِعَاضَ مِمَّا كَانَ مِنْ هَرَمَزٍ ، وَأَنَّ ابْنَهُ أَبَرْوِيزَ أَصْلَحَ لِلْمُلْكِ مِنْهُ . وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ بَعْضُ مَنْ كَانَ بِحَضْرَةِ هَرَمَزٍ ، فَهَرَبَ أَبَرْوِيزُ بِهَذَا السَّبَبِ إِلَى آذَرْبَيْجَانِ خَوْفًا^(٥) مِنْ هَرَمَزٍ ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ هُنَاكَ عِدَّةٌ مِنَ الْمَرَازِبَةِ وَالْإِصْبَهَنْدِينَ ، فَأَعْطَوْهُ بَيْعَتَهُمْ ، وَوَثَبَ الْعِظَمَاءُ وَالْأَشْرَافُ بِالْمَدَائِنِ ، وَفِيهِمْ بِنْدَى وَبِسْطَامُ خَالَا أَبَرْوِيزَ ، فَخَلَعُوا هَرَمَزَ وَسَمَلُوا^(٦) عَيْنَيْهِ وَتَرَكَوهُ تَحَرُّجًا مِنْ قَتْلِهِ .

وَبَلَغَ الْخَبْرُ أَبَرْوِيزَ ، فَأَقْبَلَ بِمَنْ شَايَعَهُ^(٧) مِنْ آذَرْبَيْجَانٍ إِلَى دَارِ الْمَلِكِ مُسَابِقًا لِبِهْرَامٍ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَيْهَا اسْتَوَلَى عَلَى الْمُلْكِ وَتَحَرَّزَ مِنْ بِهْرَامٍ ، وَالتَقَى هُوَ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ وَأَنَّ ، فَجَرَتْ بَيْنَهُمَا مَنَازِرَةٌ وَمَوَاقِفَةٌ ، وَدَعَا أَبَرْوِيزُ بِهْرَامَ إِلَى أَنْ يُؤْمِنَهُ وَيَرْفَعَ رَتَبَتَهُ وَيُسَنِّيَ وِلَايَتَهُ ، فَلَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ ، وَجَرَتْ ٩٩٤/١ بَيْنَهُمَا حُرُوبٌ أَضْطَرَّتْ أَبَرْوِيزَ إِلَى الْهَرَبِ إِلَى الرُّومِ مُسْتَعِيثًا بِمَلِكِهَا بَعْدَ حَرْبٍ

(١) ط : فراسيات ، وأثبت مافي الشاهنامه .

(٢) ح : « ما كان » .

(٣) من ح .

(٤) ح : « عظاما » .

(٥) ح : « تخوفا » .

(٦) سمل عينيه : فقامها بحديدة محماة . (٧) ر : « بايعة » .

شديدة وبيات كان من بعضهم لبعض . وقيل لأنه كان مع بهرام جماعة من الأَشْدَاء ، وكان فيهم ثلاثة نفر من وجوه الأتراك لا يعدل بهم في فروسياتهم^(١) وشدتهم من الأتراك أحد ، قد جعلوا لبهرام قتل أبرويز . فلما كان الغد من ليلة البيات وقف أبرويز ودعا الناس إلى حرب بهرام فتشاقلوا عليه ، قصده نفر الثلاثة من الأتراك ، فخرج إليهم أبرويز فقتلهم بيده واحداً واحداً ، ثم انصرف من المعركة وقد أحس من أصحابه بالفتور والتغير ، فصار إلى أبيه بطيئسبون حتى دخل عليه ، وأعلمه ما قد تبينه من أصحابه وشاوره ، فأشار عليه بالمصير إلى موزيق ملك الروم ليستنجده ، فأحرز حرمة في موضع أمين عليهم بهرام ، ومضى في عدة يسيرة ؛ منهم بنندي وبسظام وكردى أخو بهرام جوبين حتى صار إلى أنطاكية ، وكاتب موزيق فقبيله ، وزوجه ابنة له كانت عزيزة عليه^(٢) ، يقال لها : مريم . وكان جميع مدة ملك هرمز بن كسرى في قول بعضهم ، إحدى عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرة أيام . وأما هشام بن محمد فإنه قال : كان ملكه اثنتي عشرة سنة .

* * *

[ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز]

ثم ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ؛ وكان من أشد ماوكلهم بطشاً ، وأنفذهم رأياً ، وأبعدهم غوراً ، وبلغ - فيما ذكر - من البأس والتجدة والنصر والظفر وجمع الأموال والكنوز ومساعدة القدر ومساعدة^(٣) الدهر إياه ما لم يتهياً لملك أكثر منه ، ولذلك سُمي أبرويز ، وتفسيره بالعربية : « المظفر » . وذكر أنه لما استوحش من أبيه هرمز - لِمَا كان من احتيال بهرام جوبين في ذلك ، حتى أُوهم هرمز أنه على أن يقوم بالملك لنفسه دونه - سار إلى آذربيجان مكتتماً ، ثم أظهر أمره بعد ذلك ، فلما صار في الناحية اجتمعت إليه جماعة ممن كان هناك من الإصبهسدين وغيرهم ، فأعطوه بيعتهم على نصرته ؛ فلم يحدث في الأمر شيئاً . وقيل لأنه لما قتل آذينةجشنس الموجه لمحاربة بهرام جوبين ، انفض

٩٩٥/١

(١) ط : « فروسياتهم » وما أثبتته من ت ، ل . (٢) ح : « عنده » . (٣) كذا في ل ، ح .

الجمع الذى كان معه حتى وافوا المدائن ، واتَّبعهم جوبين ، فاضطرب أمر هرمز ، وكتبَتْ أختُ آذِينَجُشْنَسْ إلى أبرويز - وكانت تربيّه - نخبره بضعف هرمز للحادث فى آذِينَجُشْنَسْ ، وأنَّ العظماء قد اجتمعوا على خلعه ، وأعلمته أنَّ جوبين إن سبَّقه إلى المدائن قبل موافاته احتوى عليها .

فلما ورد الكتاب على أبرويز ، جمع من أمكنه من أرمينية وآذربيجان ، وصار^(١) بهم إلى المدائن ، واجتمع إليه الوجوه والأشراف مسرورين بموافاته ، فتتوّج بتاج الملك ، وجلس على سريره ، وقال : إنَّ من ملتنا إثارة البر ، ومن رأينا العمل بالخير ، وإنَّ جدنا كِسرى بن قباد كان لكم بمنزلة الوالد ، وإنَّ هرمز أبانا كان لكم قاضياً عادلاً ، فعليكم بلزوم السمع والطاعة . ٩٩٦/١
فلما كان فى اليوم الثالث ، أتى أباه فسجد له ، وقال : عمرك الله أيها الملك ! إنَّك تعلم أنَّى برىء مما أتى إليك المنافقون ، وأنى إنَّما تواريت ولحقت بأذربيجان خوفاً من إقدامك على القتل . فصدَّقه هرمز وقال له : إنَّ لى إليك يا بُنى حاجتين ، فأسعفنى بهما ؛ إحداهما : أن تستقم لى ممَّن عاون على خلعي والسَّمَل لعيتى ، ولا تأخذك فيهم^(٢) رافة ؛ والأخرى : أن تؤنسنى كلَّ يوم بثلاثة نفر لهم أصالة رأى ، وتأذن لهم فى الدخول على . فتواضع له أبرويز وقال : عمرك الله أيُّها الملك ، إنَّ المارق بهرام قد أظلمنا ومعه الشجاعة والنَّجدة ، ولسنا نقدر أن نعدَّ بداً إلى من أتى إليك ما أتى ، فإن أدانى الله على المنافق ، فأنا خليفتك وطوْعُ يدك .

وبلغ بهرام قدوم كِسرى وتمليك الناس إياه ، فأقبل بحنَّده حيثما نحو المدائن ، وأذكى أبرويزُ العيون عليه ، فلما قُرب منه رأى أبرويز أنَّ الترفُّق به أصلح ، فسلَّح وأمر بِنْدُويه وبِيسْطام وناساً كان يثقُ بهم من العظماء وألف رجُل من جنَّده ، فترَيَّتا وتسَلَّحا ، وخرج بهم أبرويز من قصره نحو بهرام ، والنَّاس يدعون له ، وقد احتوشه بِنْدُويه وبِيسْطام

(١) ت ، ح : « فصار » .

(٢) ت ، ح : « بهم » .

٩٩٧/١ وغيرُهما من الوجوه حتَّى وقف على شاطئ النهرَوان ، فلمَّا عرف بهرام مكانه ، ركب بِرْدُونًا له أبلقَ كان معجبًا به ، وأقبلَ حاسِرًا ومعه إيزَدْجُشْنَس وثلاثةُ نفر من قرابة مَلِكِ التُّرك كانوا جَعَلُوا لبهرام على أنفُسِهِمْ أن يأتوه بأبرويز أسيرًا ، وأعطاهم بهرامُ على ذلك أموالًا عظيمة . ولمَّا رأى بهرامُ بيزةَ كسرى وزينته والتاج ، يُسَايرُه معه «دَرْقَش كَابِيَان» عَلِمَهُمْ الأعظم منشورًا ، وأبصرَ بِنْدُونَه وبِسْطَام وسائرَ العُظماء وحسنَ تسلُّحِهِمْ وفراحةَ دوابِّهِمْ ، اِكْتَأَبَ لذلك ، وقال لمن معه : ألا تَرَوْنَ ابنَ الفاعلة قد ألْحِمَ وأشْنَمَ ، وتحولَ من الحداثة إلى الحُنْكَة ، واستَوَتْ لِحْيَتُهُ وكَمَلَ شبابهُ ، وعظمَ بَدَنُهُ ! فبينما هو يتكلَّم بهذا وقد وقف على شاطئ النهرَوان . إذ قال كِسْرى لبعض من كان واقفًا : أى هؤلاء بهرام ؟ فقال أخُ لبهرام يسمَّى كُرْدِي لم يزل مُطيعًا لأبرويز مُؤثِّرًا له : عَمَرَكَ الله ! صاحبُ البرْدُونِ الأبلق . فبدأ كِسْرى فقال : إنَّكَ يا بهرام رُكنٌ لمملكتنا وسنادٌ لرعيَّتنا ، وقد حَسُنَ بلاؤُكَ عندنا ، وقد رأينا أن نختارَكَ يومًا صالحًا لنوَلِّيكَ فيه إصْبَهَبْدَةَ بلادِ الفرس جميعًا ؛ فقال له بهرام — وازداد من كِسْرى قربًا — : لكننى أختارَكَ يومًا أصْلَبُك فيه . فامتلاً كِسْرى حُزْنًا من غير أن يبدوَ في وجهه من ذلك شيء ، وامتدَّ بينهما الكلام ، فقال بهرام لأبرويز : يا بن الزَّانية المُرَبَّى في خيام الأكراد ! هذا ومثله ، ولم يقبل شيئًا ممَّا عرضه عليه ، وجرى ذِكْرُ إيرش جدِّ بهرام ، فقرَّعه أبرويز بطاعة إيرش كانت لِمِنْوَشِهَر جدِّه . وتفرَّقا وكلُّ واحد منهما على غاية الوحشة لصاحبه .

٩٩٨/١ وكانت لبهرامَ أختٌ يقال لها كُرْدِيَّة ، من أتمِّ النساء وأكملهنَّ ، وكان تزوُّجُها ، فعاتبت بهرام على سوء مُلاَفظته كانت لكِسْرى ، وأرادتَه على الدُّخول في طاعته ، فلم يقبل ذلك ، وكانت بين كِسْرى وبهرام مُباينة ، فيُقَال إنَّه لما كان من غدي الليلة التي كان البيات فيها ، أبرز كسرى نفسه ، فلما رآه الأتراك الثلاثة قصدوه ، فقتلهم بيده أبرويز ، وحرَّضَ الناسَ

على القتال فتبين فشلاً ، فأجمع ^(١) أبرويز على إتيان بعض الملوك للاستعجاشة به ، فصار إلى أبيه وشاورة ، فرأى له المصير إلى ملك الروم ، فأحرز نساءه وشخص في عدة سيرة ، فيهم بندوقيه وبسطام وكردى أخو بهرام ، فلمّا خرجوا من المدائن خاف القوم من بهرام أن يردّ هرمز إلى الملك ويكتب إلى ملك الروم عنه في ردّهم فيستلقوا ، فأعلموا أبرويز ذلك ، واستأذنه في إتلاف هرمز فلم يجر جواباً ، فانصرف بندوقيه وبسطام وبعض من كان معهم إلى هرمز حتى أتلّفوه خنقاً ، ثم رجعوا إلى كيسرى وقالوا : سرّ على خير طائر ، فحثّوا دوابهم وصاروا إلى الفترات فقطعوه ، وأخذوا طريق المفازة بدلالة رجل يقال له خرشيدان ، وصاروا إلى بعض الديارات التي في أطراف العمارة ، فلما أوطنوا إلى الراحة غشيبتهم خيل بهرام ، يرأسها رجل يقال له بهرام بن سياوش ، فلمّا تذكروا بهم أنه بندوقيه أبرويز من نومه وقال له : احتلّ نفسك ، فإنّ القوم قد أظلتوك ؛ قال كيسرى : ما عندي حيلة ، فأعلمه بندوقيه أنّه يبذل نفسه دونه ، وسأله أن يدفع إليه بيزته ويخرج ومن معه من الدّير ، ففعلوا ذلك ، وبادروا القوم حتى تواروا بالجلبل ، فلمّا وافى بهرام بن سياوش ، اطلّغ عليه من فوق الدّير بندوقيه وعليه بيزّة أبرويز ، فوّهه بذلك أنه أبرويز ، وسأله أن يُسّطره إلى غده ليصير في يده سلماً ، فأمسك عنه ، ثم ظهر بعد ذلك على حيلته ، فانصرف به إلى جويين ، فحبسه في يدى بهرام بن سياوش .

٩٩٩/١

ويقال إنّ بهرام دخل دور الملك بالمدائن ، وقعد على سريره ، واجتمع إليه الوجوه والعظماء فخطبهم ووقع في أبرويز ، وذمّه ، ودار بينه وبين الوجوه مناظرات [وكلام] ^(٢) كان كلّهم منصرفاً عنه ، إلّا أن بهرام جلس على سرير الملك وتوّج وانتقاد له الناس خوفاً - ويقال إنّ بهرام بن سياوش واطأ بندوقيه على الفتك بجويين ، وإنّ جويين ظهر على ذلك فقتله ، وأفلت بندوقيه فلحق بآذربيجان ، وسار أبرويز حتى أتى أنطاكية ، وكاتب موريق ملك الروم

(١) ت ، ح . : « فأجمع رأيه »

(٢) من ح .

منها ، وأُرسل إليه بجماعة ممن كان معه وسأله نُصْرَتَه ، فأجابَه إلى ذلك ، وقادته الأمور إلى أن زوّجه مريم ابنته وحملها إليه ، وبعث إليه بشياذوس أخيه ومعه ستون ألف مقاتل ، عليهم رجل يقال له سَرَجِس ، يتولّى تدبير أمرهم ، ورجلٌ آخر كانت قوّته تعدل بقوّه ألف رجل ، واشترط عليه حياته ، وألاّ يسأله إلاّ تاتوة التي كان آباؤه يسألونها ملوك الروم . فلمّا ورد القوم على أبرويز اغتبط ، وأراحهم بعد موافاتهم خمسة أيام ، ثمّ عرضهم وعرف عليهم العرفاء ، وفي القوم ثياذوس وسَرَجِس والكمي الذي يعدل بألف رجل ؛ وسار بهم حتى صار إلى آذربيجان ، ونزل صحراء تدعى الدنق ، فوافاه هناك بِنِدُوِيَه ورجل من أَصْبَهَنَدِي الناحية يقال له مُوسِيل في أربعين ألف مقاتل ، وانقضّ الناس من فارس وأصْبَهان وخراسان إلى أبرويز ، وانتهى إلى بهرام مكانه بصحراء الدنق ، فشخص نحوه من المدائن ، فجرت بينهما حربٌ شديدة قُتِلَ فيها الكميُّ الرّوي . ويقال إن أبرويز حارب بهرام مفرداً من العسكر بأربعة عشر رجلاً — منهم كُرْدِي أخو بهرام ، وبِنِدُوِيَه وبِسْطام ، وسابُور^(١) بن أفريان بن فرخزاد^(١) ، وفرخنهر مُز — حرباً شديداً وصل فيها بعضهم إلى بعض . والمجوس تزعم أن أبرويز صار إلى مضيق واتبعه بهرام ، فلمّا ظن أنه قد تمكّن منه ، رفعه إلى الجبل شيء لا يوقف عليه .

وذكر أن المنجمين أجمعت أن أبرويز يملك ثمانياً وأربعين سنة . وقد كان أبرويز بآرز بهرام فاخطف رُمُحه من يده وضرب به رأسه حتى تقصّف ، فاضطرب على بهرام أمره ووجيل ، وعلم أنّه لا حيلة له في أبرويز فانحاز نحو خراسان ، ثم صار إلى التّرك ، وصار أبرويز إلى المدائن بعد أن فرّق في جنود الرّوم عشرين ألف ألف وصرفهم إلى موريق . ويقال إن أبرويز كتب للنّصارى كتاباً أطلق لهم فيه عمارة بيّعيهم وأن يدخل في ملتهم من أحبّ الدخول فيها من غير المجوس ، واحتجّ في ذلك أن أنوشيروان كان

هَادَنَ قَيْصَرَ فِي الْإِثَاوَةِ الَّتِي أَخَذَهَا مِنْهُ عَلَى اسْتِصْلَاحٍ مِنْ فِي بِلَدِهِ مِنْ أَهْلِ بِلَدِهِ ، وَاتَّخَذَ بَيْوتَ النِّيرَانِ هُنَاكَ . وَإِنَّ قَيْصَرَ اشْتَرَطَ مِثْلَ ذَلِكَ فِي النَّصَارَى ؛ وَلَيْثَ بِهَرَامٍ فِي التُّرْكِ مَكْرَمًا عِنْدَ الْمَلِكِ ، حَتَّى احْتَالَ لَهُ أَبَرْوِيزُ بِتَوَجِيهِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ هُرْمَزُ ، وَجَّهَهُ إِلَى التُّرْكِ بِجَوْهَرٍ نَفِيسٍ وَغَيْرِهِ حَتَّى احْتَالَ لِحَاتُونِ أَمْرَأَةِ الْمَلِكِ وَلَا طَفْهًا بِذَلِكَ الْجَوْهَرِ وَغَيْرِهِ ، حَتَّى دَسَّتْ لِبَهْرَامٍ مَسْ قَتْلَهُ . فَيُقَالُ إِنَّ خَاقَانَ اغْتَمَّ لِقَتْلِهِ وَأَرْسَلَ إِلَى كَرْدِيَةِ أُخْتِهِ وَأُمْرَأَتِهِ ^(١) يُعَلِّمُهَا بَلُوغَ الْحَادِثِ بِبَهْرَامٍ مِنْهُ ، وَيَسْأَلُهَا أَنْ تَزُوجَ نَفْسَهَا نَظَرًا أَخَاهُ ، وَطَلَّقَ خَاتُونُ بِهَذَا السَّبَبِ ، فَيُقَالُ إِنَّ كَرْدِيَةَ أَجَابَتْ خَاقَانَ جَوَابًا لَيْسَ وَصَرَفَتْ نَظَرًا ، وَإِنَّهَا ضَمَّتْ إِلَيْهَا مَنْ كَانَ مَعَ أَخِيهَا مِنَ الْمُقَاتِلَةِ وَخَرَجَتْ بِهِمْ مِنْ بِلَادِ التُّرْكِ إِلَى حُدُودِ مَمْلَكَةِ فَارَسَ ، وَإِنَّ نَظَرًا التُّرْكِي اتَّبَعَهَا فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، وَإِنَّ كَرْدِيَةَ قَتَلَتْ نَظَرًا بَيْدَهَا وَمَضَتْ لَوَجْهِهَا ، وَكَتَبَتْ إِلَى أَخِيهَا كَرْدِي فَأَخَذَهَا أَمَانًا مِنْ أَبَرْوِيزَ . فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَيْهِ تَزَوَّجَهَا أَبَرْوِيزُ وَاغْتَسَبَ بِهَا وَشَكَرَهَا مَا كَانَ مِنْ عِتَابِهَا لِبَهْرَامٍ ، وَأَقْبَلَ أَبَرْوِيزُ عَلَى بِيْرْمُورِيْقٍ وَإِلَاطَافِهِ . وَإِنَّ الرُّومَ خَلَعُوا — بَعْدَ أَنْ مَلَكَ كَسْرَى أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً — مُورِيْقَ وَقَتْلُوهُ وَأَبَادُوا وَرَثَتَهُ — خَلَا ابْنُهُ لَهُ هَرَبَ إِلَى كَسْرَى — وَمَلَكَوا عَلَيْهِمْ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ قُوفَا .

فَلَمَّا بَلَغَ كَسْرَى نَكْثُ الرُّومِ عَهْدَ مُورِيْقٍ وَقَتْلُهُمْ لِبَيَّاهُ ، اِمْتَعَضَ ١٠٠٢/١ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْفَ مِنْهُ ، وَأَخَذَتْهُ الْحَفِيزَةُ ، فَأَوَى ابْنُ مُورِيْقٍ اللَّاجِئُ إِلَيْهِ ، وَتَوَجَّهَ وَمَلَكَهُ عَلَى الرُّومِ ، وَوَجَّهَ مَعَهُ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ مِنْ قَوَّادِهِ فِي جُنُودٍ كَثِيفَةٍ . أَمَّا أَحَدُهُمْ فَكَانَ يُقَالُ لَهُ رُمِيُوزَانُ ^(٢) ، وَجَّهَهُ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَدَوَّخَهَا حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ فَلَسْطِينِ ، وَوَرَدَ مَدِينَةَ بَيْتِ الْمَقْدَسِ فَأَخَذَ أَسْقُفَهَا وَمَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْقِسِّيِّينَ وَسَائِرِ النَّصَارَى بِخَشْبَةِ الصَّلِيبِ ، وَكَانَتْ وَضَعَتْ فِي تَابُوتٍ مِنْ ذَهَبٍ ، وَطُشِّرَ فِي بُسْتَانٍ وَزُرِعَ فَوْقَهُ مَبْقَلَةٌ ، وَأُلْحَ عَلَيْهِمْ حَتَّى دَلَّوْهُ عَلَى مَوْضِعِهَا ، فَاحْتَفَرُ عَنْهَا بِيَدِهِ وَاسْتَخْرَجَهَا ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى كَسْرَى فِي أَرْبَعِ وَعَشْرِينَ مِنْ مَلِكِهِ .

(١) ط : « مَرْمَةٌ » ، وَمَا أَثْبَتَهُ مِنْ ت ، ح .

(٢) ت ، ح : « دَمِيرَان » .

وأما القائدُ الآخر— وكان يقال له شاهين ، وكان فاذوسبان المغرب— فإنه سار حتى احتوى على مصر والإسكندرية وبلادِ نوبة ، وبعث إلى كيسرى بمفتاح مدينة إسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه . وأما القائد الثالث فكان يقال له فرُّهان ، وتدعى مرتبته شهرَ بَرّاز . وإنَّه قصد القُسطنطينيَّة حتى أناخ على ضفَّة الخليج القريب منها ، وخيَّم هنالك ، فأمره كيسرى فخرَّب بلاد الروم غضباً ممَّا انتهكوا من موريق ، وانتقاماً له منهم ، ولم يخضع لابن موريق من الروم أحد ولم يمنحه الطاعة ، غير أنَّهم قتلوا قوفاً الملكَ الذي كانوا ملكوه عليهم لِمَا ظهَرَ لهم من فجوره وجرأته على الله وسوء تدبيره ، وملكوا عليهم رجلاً يقال له هِرَقْل . ١٠٠٣/١

فلَمَّا رأى هرقل عظيم ما فيه بلادُ الروم من تخريب جنود فارس إياها وقتلها مُقاتلتهم وسبيهم ذراريهم واستباحَتهم أموالهم وانتهابَهم ما بحضرتهم ، بكى إلى الله وتضرَّع إليه وسأله أن يُنقِذه وأهلَ مملكته من جنود فارس ، فرأى في منامه رجلاً ضلخَمَ الجُثَّة رفيعَ المجلس ، عليه بزة ، قائماً في ناحية عنه ، فدخل عليهما داخل ، فألقى ذلك الرَّجل عن مجلسه ، وقال لهرقل (١) : إني قد أسلمته (٢) في يدك . فلم يقصُصْ رؤياه تلكَ في يقظته على أحد ، ورأى الليلة الثانية في منامه أن الرَّجل الذي رآه في حلمه جالس في مجلس رفيع ، وأنَّ الرَّجل الدَّاخِلَ عليهما أتاهُ وبسَّده سلسِلَة طويلة ، فألقاها في عنق صاحب المجلس وأمكنه منه ، وقال له : هاأنذا قد دفعتُ إليك كيسرى بِرُمَّتِه ، فاغزِه فإنَّ الظفر لك ، وإنَّك مدالٌ عليه وفائلٌ أُمْنِيستك في غزَاَتك . فلَمَّا تابعت عليه هذه الأحلام ، قصَّها على عظماء الروم وذوى الرأى منهم .

فأخبروه أنَّه مدالٌ عليه ، وأشاروا عليه أن يغزوَه ، فاستعدَّ هِرَقْل واستخلف ابنًا له على مدينة قسطنطينيَّة ، وأخذ غير الطريق الذى فيه شهرَ بَرّاز ، وسار حتَّى أوغل في بلاد أرمينية ، ونزل نصيبين بعد سنة ، وكان

(١) ح : « لم » .

(٢) ت ، ح : « سلمته » .

شاهين - فاذاوسبانُ المغرب - بيباب كِسْرَى حين ورد هِرَقْلُ نَصِيبِينَ
 لمُوجِدَةٍ كانت من كسرى عليه ، وعزله إِيَّاهُ عن ذلك الثَّغَرِ ، وكان شهر براز ١٠٠٤/١
 مُرَابِطاً للموضع الذى كان فيه لتقدّم كسرى كان إليه فى الجنوم فيه ، وترك
 البراح منه ، فبلغ كِسْرَى خبرُ تساقط هِرَقْلٍ فى جنوده إلى نَصِيبِينَ ، فوجّه
 لمحاربة هِرَقْلٍ رجلاً من قُوَّادِهِ يقال له : راهزار ، فى اثنى عشر ألف مقاتل ،
 وأمره أن يقيم بنِينَوَى من مدينة الموصِلِ على شاطئِ دجلة ، ويمنع الروم أن
 يجوزوها - وكان كِسْرَى حين بلغه خبرُ هِرَقْلٍ مقيماً بدَسَكْرَةِ الملك -
 فنفذَ راهزار لأمرِ كسرى ، وعسكر حيث أمره ، فقطع هِرَقْلُ دِجْلَةَ فى
 موضع آخر إلى الناحية التى كان فيها جندُ فارس ، فأذْكَى راهزار العيونَ
 عليه ، فانصَرَفُوا إليه وأخبروه^(١) أَنَّهُ فى سبعين ألف مقاتل ، وأيقنَ راهزار
 أَنَّهُ وَمَنْ معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مُقاتِل ، فكتب
 إلى كِسْرَى غيرَ مرّةٍ دَهِمَ هِرَقْلُ إِيَّاهُ بمن لا طاقة له ولمن معه بهم ، لكثرتهم
 وحسنِ عدتهم ، كلُّ ذلك يَحْيِيهِ كسرى فى كتابه ؛ أَنَّهُ إن عجز عن أولئك الرُّومِ
 فلنْ يعجز عن استيقتالهم وبذل دماثهم فى طاعته . فلماً تابعت على راهزار
 جواباتُ كُتُبِهِ إلى كِسْرَى بذلك ، عبى جندَهُ وناهض الرُّومِ ، فقتلت
 الرُّومِ راهزار وستة آلاف رجلٍ ، وانهمَزَ بقيَتُهُمْ وهَرَبُوا على وجوههم ،
 وبلغ كِسْرَى قتلُ الرُّومِ راهزار وما نال هِرَقْلُ من الظَّفَرِ ، فهذه ذلك وانحاز
 من دَسَكْرَةِ الملك إلى المدائن ، وتحصَّنَ فيها لعجزه كان عن محاربة هِرَقْلِ .
 وسار هِرَقْلُ حتّى كان قريباً من المدائن ، فلماً تساقط إلى كِسْرَى ١٠٠٥/١
 خبرُهُ واستعدَّ لِقَتالِهِ ، انصَرَفَ إلى أرض الرُّومِ وكتب كِسْرَى إلى قُوَّادِ
 الجُندِ الذين انهزموا يأمرهم أن يدُلُّوه على كلِّ رجلٍ منهم ومن أصحابهم ، يَمْنُ
 فشل فى تلك الحرب ولم يرابِطْ مركزه فيها ، فَيَأْمُرُ أن يعاقب بقدر ما استوجب ،
 فأخرجهم بهذا الكتاب إلى الخلاف عليه ، وطلب الحِيلَ لنجاة أنفسهم
 منه ، وكتب إلى شهر براز يأمره بالقدوم عليه ويستعجله فى ذلك ، ويصفُ
 ما كان من أمرِ الرُّومِ فى عمله .

(١) ت ، ح : « فَأخبروه » .

وقد قيل: إِنَّ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ* فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ* يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ* وَغَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١)، إِنَّمَا نَزَلَ فِي أَمْرِ أَبَرْوِيزَ مَلِكِ فَارِسَ وَمَلِكِ الرُّومِ هِرَقْلَ، وَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا مِمَّا قَدْ ذَكَرْتَ مِنْ هَذِهِ الْأَخْبَارِ.

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ الْحَسَنِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُجَّاجٌ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ عِيْكَرْمَةَ : أَنَّ الرُّومَ وَفَارِسَ اقْتَتَلُوا فِي أَدْنَى الْأَرْضِ . قَالَ : وَأَدْنَى الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ^(٢) أَذْرِعَاتٌ ، بَهَا التَّقْوَا فَهَزُمَتِ الرُّومُ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ وَهُمْ بِمَكَّةَ ؛ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ — وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ أَنْ يَظْهَرَ الْأُمِّيُّونَ مِنَ الْمُجُوسِ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الرُّومِ — وَفَرِحَ الْكُفَّارُ بِمَكَّةَ وَشَمِتُوا ، فَلَقُوا أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالُوا : إِنَّكُمْ أَهْلُ كِتَابٍ وَالنَّصَارَى أَهْلُ كِتَابٍ وَنَحْنُ أُمِّيُّونَ ، وَقَدْ ظَهَرَ إِخْوَانُنَا مِنْ أَهْلِ فَارِسَ عَلَى إِخْوَانِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ، وَإِنَّكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمُونَا لَنَظْهَرَنَّ عَلَيْكُمْ ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿الْمَغْلِبَتِ الرُّومُ﴾ — إِلَى — ﴿وَهُمْ عَنْ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾^(٣) ، فَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ إِلَى الْكُفَّارِ فَقَالَ : أَفَرَحْتُمْ بِظُهُورِ إِخْوَانِكُمْ عَلَى إِخْوَانِنَا ! فَلَا تَفْرَحُوا وَلَا يَقْرَنَّ اللَّهُ أَعْيُنَكُمْ ، فَوَاللَّهِ لَيَظْهَرَنَّ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ ، أَخْبَرْنَا بِذَلِكَ نَبِيِّنَا . فَقَامَ إِلَيْهِ أَبِي بْنُ خَلْفٍ الْجَمْعِيِّ ، فَقَالَ : كَذَبْتَ يَا أَبَا فَصِيلَ ! فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : أَنْتَ أَكْذَبُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ ! فَقَالَ : أَنَا حَبْلُكَ^(٤) ! عَشْرَ قَلَانِصَ^(٤) مَنِّي ، وَعَشْرَ قَلَانِصَ مِنْكَ ،

(١) سورة الروم ١ - ٨ .

(٢) ط : « يَوْمٌ » ، والصواب ما أثبتته من التفسير .

(٣) المناحية : المخاطرة والمراهنة .

(٤) القلائص : جمع قلويس ؛ وهي من الإبل الشابة أو الباقية على السير .

فإن ظهرت الروم على فارس غرِمتُ ، وإن ظهرت فارس غرِمتَ إلى ثلاث سنين ، ثم جاءَ أبو بكر إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلم ، فأخبره ، فقال : ما هكذا ذكرتُ ، إنما البِضع ما بين الثلاث إلى التسع ، فرأيدُه في الخطر^(١) ومادُه في الأجل . فخرج أبو بكر فلقىَ أبايًّا فقال : لعلَّكَ ندمتَ ، قال : لا ، تعال أزايدُكَ في الخطرَ وأمادُكَ في الأجل ، فاجمعلُها مائة قلوصل إلى تسع سنين ، قال : قد فعلتُ^(٢) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي بكر ، عن عكرمة ، قال : كانت في فارس امرأة لا تلِدُ إلاَّ الملوك الأبطال ، فدعاها كِسرى ، فقال : إننى أريدُ أنْ أبعثَ إلى الروم جيشًا وأستعملَ عليهم رجالًا من بنيك ، فأشيري على أيِّهم أستعمل ، قالت : ١٠٠٧/١ هذا فلانٌ وهو أروغ من ثعلب ، وأحذر من صقر ، وهذا فرخان وهو أنفذُ من سنان ، وهذا شهربراز وهو أحلم من كذا ، فاستعملَ أيَّهم شئت ، قال : فإني قد استعملت الحليم ، فاستعمل شهربراز ، فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم ، فقتلهم وخرَّب مدائنهم ، وقطع زيتونهم . قال أبو بكر : فحدَّثت هذا الحديثَ عطاء الخراساني فقال : أما رأيت بلاد الشام ؟ قلت : لا ، قال : أما إنَّكَ لو أتيتها لرأيت المدائن التي خرَّبت والزيتون الذي قُطع ، فأتيتُ الشام بعد ذلك فرأيتها^(٢) .

قال عطاء الخراساني : حدثني يحيى بن يعنبر ، أن قيسََ بعث رجالاً يُدعى قطمة بجيش من الروم ، وبعث كِسرى بشهربراز ، فالتقيا بأذرعات وبُصرى - وهى أدنى الشام إليكم - فلقيت فارسُ الروم فغلبتهم فارس ، ففرح بذلك كُفَّار قریش وكرهه المسلمون ، فأُنزل الله : ﴿الْمُ غَلِبَتِ الرُّومُ...﴾ الآيات . ثم ذكر مثل حديث عكرمة ، وزاد : فلم يبرح شهربراز يطوهم ويخرَّب مدائنهم حتَّى بلغ الخليج ، ثم مات كِسرى قبلهم موته ، فانهزم

(١) الخطر ، بالتحريك : ما يتخاطر عليه ويترأهن به .

(٢) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ (بولاق) .

شَهْرَبَرَز وأصحابه ، وأدبَ يَهم الروم عند ذلك فاتَّبِعُوهم يُقَتِّلُونهم .

قال : وقال عِكْرَمَة في حديثه : لَمَّا ظَهَرَت فَارِس على الروم ، جلس فَرُّخَان يشرب ، فقال لأصحابه : لقد رأيتُ كَأَنِّي جالس على سرير كِسْرَى ، فبلغت كِسْرَى ، فكتب إلى شَهْرَبَرَز : إذا أتاك كتابي فابعث إلىَّ برأس فَرُّخَان . فكتب إليه : أيتها الملك ، إنَّك لن تجد مثل فَرُّخَان ؛ إنَّ له نكايَةً وصوتًا في العدو فلا تفعل . فكتب إليه : إنَّ في رجال فارس خلفًا منه ، فعجِّل على برأسه . فراجعهُ ، فغضب كِسْرَى فلم يجِبْهُ ، وبعث بریداً

١٠٠٨/١

إلى أهل فارس : إني قد نزعْتُ عنكم شَهْرَبَرَز ، واستعملتُ عليكم فَرُّخَان . ثمَّ دفع إلى البرید صحيفةً صغيرةً ، وقال : إذا ولى فَرُّخَان الملك وانقاد له أخوه ، فأعطه هذه الصحيفة . فلمَّا قرأ شَهْرَبَرَز الكتاب ، قال : سمعًا وطاعةً ، ونزل عن سريره وجلس فَرُّخَان ، ودفع الصحيفة إليه فقال : اثبتوني بِشَهْرَبَرَز ، فقدَّمه ليضرب عنقَه ، فقال : لا تعجل حتَّى أكتب وصيتي ،

قال : نعم ، فدعا بالسَّفَط فأعطاه ثلاث صحائف ، وقال : كلَّ هذا راجعتُ فيكَ كِسْرَى ، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد ! فردَّ المُلْك إلى أخيه ، وكتب شَهْرَبَرَز إلى قيصر ملك الروم : إنَّ لي إليك حاجةً لا تحملها البُرْد ولا تبلغها الصُّحف ، فالقنني ، ولا تلقني إلَّا في خمسين روميًّا ، فإني ألقاك في خمسين فارسيًّا ، فأقبل قيصرُ في خمسمائة ألف روميٍّ ، وجعل يَضَعُ العيُون بين يديه في الطريق ، وخاف أن يكون قد مكر به ، حتَّى أتاه عيُونُه ؛ أَنَّهُ ليس معه إلا خمسون رجلاً ، ثمَّ بسط لهما والتقيا في قُبَّة ديباج ضربت لهما ، مع كلِّ واحد منهما سكين ، فدعوا تَرَجْمَانًا بينهما ، فقال شَهْرَبَرَز : إن الذين خربوا مَدائِنَكَ أنا وأخي بكيَدنا وشجاعتنا ، وإن كِسْرَى حسدنا فأراد أن أقتل أخِي ، فأبَيْتُ ، ثمَّ أمر أخِي أن يقتلني ؛ فقد خلعتناه جميعًا فنحن نقاتله معاك . قال : قد أصبْتُما ، ثمَّ أشار أحدُهما إلى صاحبه أن السرَّ بين اثنين ، فإذا جاوزا اثنين فشا ، قال : أجل ، فقتلا التَرَجْمَان جميعًا بسكينيهما ؛ فأهلك الله كِسْرَى ، وجاء الخبرُ

١٠٠٩/١

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ الْخُدَيْبِيَّةِ ، ففرح ومن معه ^(١) .
وحدَّثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : في سنة عشرين من مُلْك
كَيْسَرِي أَبَرْوِيز ، بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم ، فأقام بمكة ثلاث
عشرة سنة ، وهاجر في سنة ثلاث وثلاثين من مُلْكِهِ إلى المدينة .

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ١٣ - ١٤ (بولاقي) .

ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك فارس عن أهل فارس

ووطأتها العرب بما أكرمهم به نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
من النبوة والخلافة والملك والسلطان في أيام كِسْرَى أبرويز .

فمن ذلك ما روى عن وهب بن منبه ، وهو ما حدثنا به ابن حُمَيْد ،
قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من حديث كِسْرَى
كما حدثني بعض أصحابي ، عن وهب بن منبه ، أنه كان سَكْرَ دجلة
العوراء^(١) ، وأنفقَ عليها من الأموال ما لا يُدْرَى ما هو ، وكان طاقُ مجلسه
قد بُنِيَ بُنياناً لم يَرِ مثله ، وكان يعلّقُ تاجه ، فيجلس فيه إذا جلس للناس ،
وكان عنده ستون وثلاثمائة رجل من الحُرّة — والحُرّة العلماء — من بين كاهنٍ
وساحرٍ ومنجمٍ ؛ قال : وكان فيهم رجل من العرب يقال له السائب ، يعتاف
اعتِثافَ العرب قلماً يخطي — بعث به إليه باذانٌ من اليمن — فكان
كِسْرَى إذا حزّبه أمر جمع كهّانه وسحّاره ومنجميه ، فقال : انظروا في
هذا الأمر ما هو !

فلما أن بعث الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، أصبح كِسْرَى ذات
غدَاة وقد انقصمت طاقُ ملكه من وسطها من غير ثقل ، وانخرقت عليه
دجلة العوراء ، فلما رأى ذلك حزّنه ، وقال : انقصمت طاقُ ملكي من
وسطها من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ، « شاه بِشْكَسْت » :
يقول : الملك انكسر . ثم دعا كهّانه وسحّاره ومنجميه ، ودعا السائب معهم ،
فقال لهم : انقصمت طاقُ ملكي من غير ثقل ، وانخرقت على دجلة العوراء ،
« شاه بِشْكَسْت » انظروا في هذا الأمر ما هو ؟ فخرجوا من عنده فنظروا في أمره ،
فأخذ عليهم بأقطار السماء ، وأظلمت عليهم الأرض ، وتسكعوا في علمهم ، فلا

(١) دجلة العوراء : اسم لدجلة البصرة ؛ ويقال : سكر النهر ، إذا سد فاه .

يمضى لساحر سحره ، ولا لكاهن كهانته ، ولا يستقيم لمنجم علم نجومه .
وبات السائب في ليلة ظلماء على ربوة من الأرض يرمق برقاً نشأ من قبل
الحجاز ، ثم استطار حتى بلغ المشرق ، فلما أصبح ذهب ينظر إلى ما تحت
قدميه ، فإذا روضة خضراء ، فقال فيما يعتاف : لئن صدق ما أرى ، ليخرجن
من الحجاز سلطان يبلغ المشرق ؛ تُخصب عنه الأرض كأفضل ما أخصبت
عن ملك^(١) كان قبله .

فلما خلص الكهّان والمنجمون بعضهم إلى بعض ، ورأوا ما قد أصابهم ،
ورأى السائب ما رأى ، قال بعضهم لبعض : تعلمون والله ما حيل بينكم وبين
علمكم إلا لأمر^(٢) جاء من السماء ، وإنه لنبي قد بعث - أو هو مبعوث - يسلب
هذا الملك ويكسره . ولئن نعيتم لكسرى ملكه ليقبلكم ، فأقيموا بينكم
أمرأ تقولونه له تؤخرونه عنكم إلى أمر ما ساعة .

فجاءوا كسرى ، فقالوا له : إننا قد نظرنا في هذا الأمر فوجدنا حسابك
الذين وضعت على حسابهم طاق ملكك ، وسكرت دجلة العوراء وضعوه
على النحوس ، فلما اختلف عليهما الليل والنهار وقعت النحوس على مواقعها ،
فزال كل ما وضع عليهما ؛ وإننا سنحسب لك حساباً تضع عليه بنيانك
فلا يزول . قال : فاحسبوا ، فحسبوا له ، ثم قالوا له : ابنه ، فبنى . فعمل في دجلة
ثمانية أشهر وأنفق فيها من الأموال ما لا يدرى ما هو ، حتى إذا فرغ [منها]^(٣)
قال لهم : اجلس على سورها ؟ قالوا : نعم ، فأمر بالبسط والفرش والرياحين
فوضعت عليها ، وأمر بالمرازبة فجمعوا^(٤) له ، واجتمع إليه اللعابون ، ثم خرج حتى
جلس عليها ، فبينا هو هنالك^(٥) انتسفت دجلة البنيان من تحته ، فلم يستخرج^(٦)
إلا بآخر رمق .

(١) ابن الأثير ١ : ٢٨٣ : « على ملك » .

(٢) ابن الأثير : « أمر » .

(٣) تكلة من ر .

(٤) ت ، ح : « فاجتمعوا » .

(٥) ل : « كذلك » ، ح : « هناك » .

(٦) ح : « يخرج » .

فلما أخرجوه ، جَمَعَ كُهَنَانَهُ وَسُحَّارَهُ وَمَنْجَمِيهِ ، فقتل منهم قريبا من مائة ، وقال سَمَتُكُمْ ^(١) وأذِنْتُكُمْ دون الناس ، وأجريت عليكم أرزاق ، ثم تلعبون بي ! فقالوا ^(٢) : أيها الملك ، أخطأنا كما أخطأ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا ، وَلَكِنَّا سَنَحْسِبُ لَكَ حَسَابًا فَتُثَبَّتْ حَتَّى تَضَعَهَا عَلَى الْوِثَاقِ مِنَ السَّعُودِ . قال : انظروا ما تقولون ! قالوا : فَإِنَّا نَفْعَلُ ؛ قال : فَاحْسِبُوا ، فَحَسِبُوا لَهُ ، ثُمَّ قَالُوا لَهُ : ابْنِهِ ، فَبَنَى وَأَنْفَقَ مِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يَدْرِي مَا هُوَ ، ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ مِنْ ذِي قَبْلِ . ثُمَّ قَالُوا : قَدْ فَرَعْنَا ، قال : أَفَأُخْرِجُ فَأَقْعِدَ عَلَيْهَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، فَهَابَ الْجُلُوسَ عَلَيْهَا ، وَرَكِبَ بَرْدُونًا لَهُ ، وَخَرَجَ يَسِيرُ عَلَيْهَا ؛ فَبَيْنَا هُوَ يَسِيرُ فَوْقَهَا إِذْ انْتَسَفَتْ دَجَلَةٌ بِالْبَنِيَانِ ، فَلَمْ يَدْرِكْ إِلَّا بِأَخْرِ رَمَتَى ، فَدَعَاهُمْ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا أَمْرَنَ عَلَى آخِرِكُمْ وَلَا نَزَعَنَ أَكْتَفَاكُمْ ، وَلَا طَرَحْنُكُمْ تَحْتَ أَيْدِي الْفِيلَةِ أَوْ لَتَصْدُقُنِي مَا هَذَا الْأَمْرُ الَّذِي تَلْفَقُونَ عَلَيَّ ! قَالُوا : لَا نَكْذِبُكَ أَيُّهَا الْمَلِكُ ، أَمَرْتَنَا حِينَ انْخَرَقَتْ عَلَيْكَ دَجَلَةٌ ، وَانْقَصَمَتْ ^(٣) عَلَيْكَ طَاقُ مَجْلِسِكَ ^(٤) مِنْ غَيْرِ ثِقَلٍ أَنْ نَنْظُرَ فِي عِلْمِنَا لِمَ ذَلِكَ ! فَنَظَرْنَا ، فَأَظْلَمَتْ عَلَيْنَا الْأَرْضُ وَأَخَذَ عَلَيْنَا بِأَقْطَارِ السَّمَاءِ ، فَتَرَدَّدَ عَلَيْنَا عِلْمُنَا فِي أَيْدِينَا ، فَلَا يَسْتَقِيمُ لِسَاحِرٍ سَحَرَهُ ، وَلَا لِكَاهِنٍ كِهَانَتَهُ ، وَلَا لِمَنْجَمٍ عِلْمُ ^(٥) نَجُومِهِ ؛ فَعَرَفْنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ حَدَّثَ مِنَ السَّمَاءِ ، وَأَنَّهُ قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ أَوْ هُوَ مَبْعُوثٌ ؛ فَلَذَلِكَ حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ عِلْمِنَا ، فَخَشِينَا إِنْ نَعَيْنَا لَكَ مَلِكُكَ أَنْ تَقْتُلَنَا ، وَكَرِهْنَا مِنَ الْمَوْتِ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ ، فَعَلَلْنَاكَ عَنْ أَنْفُسِنَا بِمَا رَأَيْتَ . قال : وَيَحْكُمُ ! فَهَلَّا تَكُونُونَ بَيْنَتِي لِي هَذَا فَأَرَى فِيهِ رَأْيِي ! قَالُوا : مَنَعْنَا مِنْ ذَلِكَ مَا تَخَوَّفْنَا مِنْكَ . فَتَرَكْنَاهُمْ وَلَهَا عَنْ دَجَلَةٍ حِينَ غَلَبَتْهُ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الفضل ابن عيسى الرقاشي ، عن الحسن البصري ؛ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا حِجَّةُ اللَّهِ عَلَى كَيْسَرِي فَيْكَ ! قال : بَعَثَ

(١) ت : « أمتكم » ، ح : « قريتكم » ، ل : « سينكم » .

(٢) كذا في ح وابن الأثير ؛ وفي ط : « قالوا » .

(٣) ل : « وانقصم » .

(٥) ت ، ح : « نجم » .

(٤) ت ، ح : « ملكك » .

إليه مَلَكًا فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ سُورِ جِدَارِ بَيْتِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَتَلَأَلُ نَوْرًا ، فَلَمَّا رَأَاهَا فَرَعَ ، فَقَالَ : لَمْ تُرْعَ يَا كَسْرَى ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ رَسُولًا وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا فَاتَّبِعْهُ تَسْلِمٌ دُنْيَاكَ وَأَخْرَجَكَ ، قَالَ : سَأَنْظُرُ .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ ، عَنْ الزُّهْرِيِّ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، قَالَ : بَعَثَ اللَّهُ إِلَى كَسْرَى مَلَكًا وَهُوَ فِي بَيْتِ إِيوَانِهِ الَّذِي لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ فِيهِ ، فَلَمْ يَرِعْهُ إِلَّا بِهِ قَائِمًا عَلَى رَأْسِهِ فِي يَدِهِ عَصَا ، بِالْهَاجِرَةِ فِي سَاعَتِهِ الَّتِي كَانَ يَتَقِيلُ فِيهَا ، فَقَالَ : يَا كَسْرَى أَتُسَلِّمُ أَوْ أَكْسِرُ هَذِهِ الْعَصَا ! فَقَالَ : بِيَهْلٍ بِيَهْلٍ ، فَانْصَرَفَ عَنْهُ ثُمَّ دَعَا ^(١) أَحْرَاسَهُ وَحِجَابَهُ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : مَنْ أَدْخَلَ هَذَا الرَّجُلَ عَلَيَّ ؟ فَقَالُوا : مَا دَخَلَ عَلَيْكَ ^(٢) أَحَدٌ وَلَا رَأَيْنَاهُ ؛ حَتَّى إِذَا كَانَ الْعَامُ الْقَابِلَ ^(٣) أَتَاهُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي أَتَاهُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتُسَلِّمُ أَوْ أَكْسِرُ هَذِهِ الْعَصَا ؟ فَقَالَ : بِيَهْلٍ بِيَهْلٍ ؛ ثَلَاثًا ؛ فَخَرَجَ عَنْهُ ^{١٠١٤/١} فِدْعَا كَسْرَى حِجَابَهُ وَحَرَّاسَهُ وَبَوَابِيهِ فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ لَهُمْ كَمَا قَالَ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا أَحَدًا دَخَلَ عَلَيْكَ . حَتَّى إِذَا كَانَ فِي الْعَامِ الثَّلَاثِ أَتَاهُ فِي السَّاعَةِ الَّتِي جَاءَهُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ كَمَا قَالَ : أَتُسَلِّمُ أَوْ أَكْسِرُ هَذِهِ الْعَصَا ؟ فَقَالَ : بِيَهْلٍ بِيَهْلٍ ، قَالَ : فَكَسَرَ الْعَصَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا تَهَوُّرُ مَلِكِهِ ؛ وَانْبَعَثَ ابْنُهُ وَالْفَرَسُ حَتَّى قَتَلُوهُ .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ : فَقَالَ الزُّهْرِيُّ : حَدَّثْتُ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ : ذُكِرَ لِي أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهِ ^(٤) بِقَارُورَتَيْنِ فِي يَدَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَسْلَمَ ، فَلَمْ يَفْعَلْ ، فَضَرَبَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَرَضَّضَهُمَا ، ثُمَّ خَرَجَ فَكَانَ مِنْ [أَمْرٍ] ^(٥) هَلَكَهَ مَا كَانَ .

(١) ت ، ح : « فِدْعَا » .

(٢) ت ، ح : « عَلَيْنَا » .

(٣) ت ، ح : « الْمُقْبِل » .

(٤) ت ، ح : « إِلَيْهِ » .

(٥) تَكْلَةٌ مِنْ ت ، ح .

حدثني يحيى بن جعفر ، قال : أخبرنا علي بن عاصم ، قال : أخبرنا خالد الحذاء ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي بكر ، يقول : بينما كسرى ابن هرمز نائم ليلة في هذا الإيوان ، إيوان المدائن ، والأساورة محدقون بقصره ؛ إذ أقبل رجل يمشي معه عصا ؛ حتى قام ^(١) على رأسه ، فقال : يا كسرى ابن هرمز ؛ إنني رسول الله إليك أن تسلم ، قالها ثلاث مرات — وكسرى مستلق ينظر إليه لا يجيبه ؛ ثم انصرف عنه — قال : فأرسل كسرى إلى صاحب حرّسه ، فقال : أنت أدخلت عليّ هذا الرجل ؟ قال : لم أفعل ولم يدخل من قبلكنا أحد . قال : فلما كان العام المقبل خاف كسرى تلك الليلة ، فأرسل إليه أن أحِدقْ بقصرى ، ولا يدخل ^(٢) عليّ أحد ، قال : ففعل ، فلما كان تلك الساعة إذا هو قائم على رأسه ، ومعه عصا ، وهو يقول له : يا كسرى بن هرمز ، إنني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك — قال : وكسرى ينظر إليه لا يجيبه — فانصرف عنه ، قال : فأرسل كسرى إلى صاحب الحرس : ألم آمرك ألاّ يدخل عليّ أحد ! قال : أيتها الملك ، إنّه والله ما دخل عليك من قبلكنا أحد ، فانظر من أين دخل عليك ؟ قال : فلما كان العام المقبل ؛ فكأنّه خاف تلك الليلة ، فأرسل إلى صاحب الحرس والحرس : أن أحدقوا بي الليلة ، ولا تدخل ^(٣) امرأة ولا رجل ؛ ففعلوا . فلما كان تلك الساعة ، إذا هو قائم على رأسه ، وهو يقول : يا كسرى بن هرمز ، إنني رسول الله إليك أن تسلم ، فأسلم خير لك ، قالها ثلاث مرات وكسرى ينظر إليه لا يجيبه . قال : يا كسرى إنك قد أبيت عليّ ، والله ليكسرنك الله كما أكسبرُ عصا هذه ، ثم كسرها وخرج ؛ فأرسل كسرى إلى الحرس ، فقال : ألم آمركم ألاّ يدخل عليّ الليلة أحد ، أهل ولا ولد ! قالوا : ما دخل عليك من قبلكنا أحد !

(١) ت ، ح : « وقف » .

(٢) ت ، ح : « لا يدخلن » .

(٣) ت ، ح : « تدخلن » .

قال : فلم يلبث أن وثب عليه ابنه فقتله .

* * *

[ذكر خبر يوم ذى قار]

ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والحيش الذى كان أنفذه إليهم كسرى أبرويز لحربهم ، فالتقوا بذي قار .

وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة ١٠١٦/١ جيش كسرى ، قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم ؛ وبى نُصروا » . وهو يوم قُراقر و يوم الحنُو حِنُوذى قار ، ويوم حِنُو قُراقر ، ويوم الجُبَابات ، ويوم ذى العَجْرُم ، ويوم الغَدَّانِ ، ويوم البطحاء ، بَطْحاء ذى قار ، وكلتهن حول ذى قار .

فحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنى أبو المختار فِرَاس بن خنْدَق - أو خندقة - وعدة من علماء العرب قد سمّاهم ؛ أن الذى جرى يوم ذى قار ، قتلُ النعمان بن المنذر اللخمى عدى بن زيد العبادى ؛ وكان عدى من تراجمة أبرويز كسرى بن هرمز .

وكان سبب قتل النعمان بن المنذر عدى بن زيد ، ما ذكر لى عن هشام ابن محمد ، قال : سمعت إسحاق بن الحصّاص - وأخذته من كتاب حمّاد وقد ذكر أبى بعضه - قال : ولد زيد بن حمّاد بن زيد بن أيوب بن محروق بن عامر بن عَصِيّة بن امرئ القيس بن زيد مَنَاة بن تميم ثلاثة : عدياً الشاعر ، وكان جميلاً شاعراً خطيباً ، وقد قرأ كتب العرب والفرس ، وعمّاراً - وهو أبى - وعمراً - وهو سُمى - ولهم أخ من أمّهم ، يقال له عدى بن حنظلة من طيىء . وكان عمّار يكون عند كسرى ، فكان أحدهما يشتهى هلاك عدى بن زيد ، وكان الآخر يتدين فى نصرانيته ، وكانوا أهل بيت يكونون مع الأكاسرة لهم معهم أكل^(١) وناحية^(٢) ، يُقَطَّعونهم القطائع ، [ويجزلون صلاتهم]^(٣)

(١) الأكل هنا : الرزق ؛ يقال : فلان ذو أكل ؛ إذا كان ذا رزق وحظ واسع فى الدنيا

(٢) تكلّة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبي .

وكان المنذر بن المنذر لما ملك جعل ابنه النعمان في حجر عدى ، فهم الذين أرضعوه [وربوه ، وكان للمنذر ابن آخر يقال له « الأسود » ، أمه مارية بنت الحارث بن جُلهم من تيم الرّباب ، فأرضعه] ^(١) ، ورباه قوم من أهل الحيرة يقال لهم : بنو مَرينا ، ينسبون إلى لخم ، وكانوا أشرافاً . وكان للمنذر بن المنذر سوى هذين من الولد عشرة ؛ وكان يقال لولده كلهم الأشاهب ^(٢) ، من جمالهم ؛ فذلك قول الأعشى :

وَبَنُو الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبُ بِالْحُسَيْرَةِ يَمْشُونَ غَدَوَةً بِالسُّيُوفِ ^(٣)

وكان النعمان أحمر أبرش ^(٤) قصيراً ، وكانت أمه يقال لها سلمى بنت وائل بن عطية الصائغ من أهل فدك ، وكانت أمة للحارث ابن حصن بن ضَمَضَم بن عدى بن جناب من كلب ، وكان قابوس بن المنذر الأكبر عم النعمان وإخوته ، بعث إلى كسرى بن هرمز بعدى بن زيد وإخوته ، فكانوا في كتابه يترجمون له ، فلما مات المنذر بن المنذر وترك ولده هؤلاء الثلاثة عشر ، جعل على أمره كلبه إياس بن قبيصة الطائي [وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه] ^(٥) فكان عليه شهراً ^(٦) ، وكسرى في طلب رجل يملكه على العرب . ثم إن كسرى بن هرمز دعا عدى بن زيد ، فقال له : من بقى من بنى المنذر ^(٦) ؟ وما هم ؟ وهل فيهم خير ؟ فقال : بقيت منهم في ولد هذا الميت

(١) تكلمة من الأغاني فيما رواه عن هشام الكلبى .

(٢) قال في القاموس : « والأشاهب بنو المنذر الجمال » ، وقال شارحه : « سمو بذلك لبياض وجوههم » . (٣) ديوانه ٢١٢ .

(٤) الأبرش : الأرقط ؛ وهو الذى يكون فيه بقعة بيضاء وأخرى أى لون كان .

(٥) الأغاني : « فكث ملكاً عليها شهراً » .

(٦-٦) كذا في أصول الطبرى وتجارب الأمم ١ : ح ٢٣٨ ، وفي الأغاني بعده : « فلم يجد أحداً يرضاه ، ففجر ؛ فقال : لأبعثن إلى الحيرة اثنى عشر ألفاً من الأساورة ؛ ولأملكن عليهم رجلاً من الفرس ، ولأمرنهم أن ينزلوا على العرب في دورهم ، ويملكوا عليهم أموالهم ونساءهم ، وكان عدى بن زيد واقفاً بين يديه ؛ فأقبل عليه ، وقال : ويحك يا عدى ! من بقى من آل المنذر ! » .

المنذر بن المنذر ، وهم رجال ، فقال : ابعث إليهم ، فكتب فيهم فقد مو عليه ، فأنزله على عدى بن زيد . فكان عدى يفضل إخوة النعمان عليه في الشزْل ، وهو يريهم أنه لا يرجوه . ويخلو بهم رجلاً رجلاً ، ويقول لهم : إن سألكم الملك : أتكفوني العرب ؟ فقولوا : نكفيكمهم إلا النعمان ، وقال للنعمان : ١٠١٨/١ إن سألك الملك : عن إخوانك فقل له : إن عجزت عنهم ، فأنا عن غيرهم أعجز . وكان من بني مَرِينَا رجل يقال له عدى بن أوس بن مَرِينَا ، وكان مارداً شاعراً ، وكان يقول للأسود [بن المنذر] ^(١) : إنك قد عرفت آتى لك راج ، وأن طلبتي ورغبتي إليك أن تخالف عدى بن زيد ، فإنه والله لا ينصح لك أبداً . فلم يلتفت إلى قوله .

فلما أمر كسرى عدى بن زيد أن يدخلهم عليه ، جعل يدخلهم عليه رجلاً رجلاً ، فيكلّمه ، فكان يرى رجلاً قتلماً رأى مثلهم ؛ فإذا سألهم : هل تكفوني ما كنتم تلون ؟ قالوا : نكفيك العرب إلا النعمان . فلما دخل عليه النعمان رأى رجلاً دميمًا فكلّمه ، وقال له : أنتستطيع أن تكفيّني العرب ؟ قال : نعم : قال ، فكيف تصنع بإخوانك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن غيرهم أعجز . فلنكّه وكساه ، وألبسه تاجاً قيمته ستون ألف درهم ، فيه اللؤلؤ والذهب . فلما خرج - وقد ملّك - قال عدى بن أوس بن مَرِينَا للأسود : دونك فإنك قد خالفت الرأي .

ثم إن عدى بن زيد صنع طعاماً في بيعة ، ثم أرسل إلى ابن مَرِينَا أن اثني بمن ^(٢) أحببت ، فإن لي حاجة ، فأتاه في ناس فتغدوا في البيعة ، وشربوا ، فقال : عدى [بن زيد] ^(٣) لعدى بن مَرِينَا : يا عدى ، إن أحق من عرف الحق ثم لم يسلّم عليه ، من كان مثلك ؛ إني قد عرفت أن صاحبك الأسود بن المنذر كان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلمني على شيء كنت على مثله ، وأنا أحب ألا تحقد على شيئاً لو قدرت

(١) تكلّة من ابن الأثير ١ : ٢٨٥ ، وتجارب الأمم ١ : ٢٣٨ .

(٢) ت ، ح : « فين » .

(٣) من الأغاني وتجارب الأمم .

عليه ركبته ، وأنا أحبُّ أن تعطيني من نفسك ما أعطيتك من نفسي ؛ فإن نصيبي من هذا الأمر ليس بأوفرَ من نصيبك . فقام عدى بن زيد إلى البيعة فحلف ألا يهجوّه ولا يبغيه غائلة أبداً ، ولا يزوي عنه خبراً أبداً . فلما فرغ عدى بن زيد قام عدى بن مريّن ، فحلف على مثل يمينه ألا يزال يهجوّه أبداً ، ويبغيه الغوائل ما بقي . وخرج النعمان حتى نزل منزله بالحيرة ، فقال عدى بن مريّن لعدى بن زيد :

ألا أبْلِغْ عَدِيًّا عَنْ عَدِيٍّ فَلَا تَجْزَعْ وَإِنْ رَأَتْ قُواكَا^(١)
هَيَّاكِ لَنَا تَبَزُّ لَغَيْرٍ فَقَرِّ لِنُحْمَدَ أَوْ يَتِمَّ بِهِ غِنَاكَا
فَإِنْ تَظْفَرْ فَلَمْ تَظْفَرْ حَمِيداً وَإِنْ تَعَطَّبَ فَلَا يَبْعُدُ سِوَاكَا
نَدِمْتَ نَدَامَةً الْكُسْعَى لَمَّا رَأَتْ عَيْنَاكَ مَا صَنَعَتْ يَدَاكَا^(٢)

وقال عدى بن مريّن للأسود : [أمّا]^(٣) إذ لم تظفر فلا تعجز أن تطلب بئارك من هذا المعدّي ، الذي عمل بك ما عمل^(٤) فقد كنت أخبرك أن معدّاً لا ينام مكرهاً^(٥) . أمرتك أن تعصيه فخالفتني . قال : فما تريد ؟ قال : أريد ألا يأتيك فائدة من مالك وأرضك إلا عرضتها على . ففعل .

وكان ابن مريّن كثير المال والضيعة ، فلم يك في الدهر يوم إلا على باب النعمان هدية من ابن مريّن^(٦) ، فصار من أكرم الناس عليه ، وكان لا يقضى في ملكه شيئاً إلا بأمر عدى بن مريّن ، وكان إذا ذكّر عدى بن زيد عنده أحسن عليه الثناء ، وذكر فضله ، وقال : إنه لا يصلح المعدّي إلا أن

(١) رثت : ضعفت .

(٢) الكسعى : نسبة إلى كسع ، حى من قيس عيلان ؛ وقيل ؛ هم حى من اليمن رماة ؛ والكسعى رجل يضرب به المثل في الندامة ، وهو رجل رام رى بعد ما أظلم الليل غيراً فأصابه ، وظن أنه أخطأ فكسر قوسه ، ثم ندم من الغد حين نظر إلى العير مقتولا وسهمه فيه ، فصار مثلاً لكل زادم على فعل يفعله . (٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « الذي فعل به ما فعل » . (٥) الأغاني « كيدها ومكرها » .

(٦) في ط : « فلم يك في الأرض يوم » ، وفي تجارب الأمم : « فلم يمر يوم إلا بعث فيه إلى النعمان هدية » ، وفي ابن الأثير : « وكان لا يخلى النعمان يوماً من هدية » . وما أثبتته عن الأغاني .

يكون فيه مكر وخديعة. فلما رأى مَسْنُ يَطِيفَ بالنعمان منزلةَ ابنِ مَرِينَا عنده لزموه وتابعوه ، فجعل يقول لمن يثق به من أصحابه : إذا رأيتموني أذكر عدِيَّ ابنِ زيد عند الملك بخير فقولوا : إنه لكما تقول ؛ ولكنّه لا يسلم عليه أحد ؛ وإنه ليقول : إن الملك — يعني النعمان — عامله ، وإنّه ولاّه ما ولاّه ؛ فلم يزلوا بذلك حتى أضغنوه عليه ، وكتبوا كتاباً على لسان عدِيَّ إلى قَهْرْمَان^(١) لعدِيَّ ثم دسّوا له ، حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به النعمان فقرأه ، فأغضبه ، فأرسل إلى عدِيَّ بنِ زيد : عزمتُ عليك إلا زرتني ، فإنّي قد اشتقت إلى رؤيتك ! وهو عند كسرى^(٢) فاستأذن كسرى ، فأذن له ، فلما أتاه لم ينظر إليه حتّى حبس في محبس لا يدخل عليه فيه أحد ، فجعل عدِيَّ بنِ زيد يقول الشعر وهو في السجن ، فكان أول ما قال في السجن من الشعر :

لَيْتَ شِعْرِي عَنْ الْهُمَامِ وَيَأْتِيْكَ بِخُبْرِ الْأَنْبَاءِ عَطْفُ السُّوَالِ^(٣)
فقال أشعاراً ، وكان كلما قال عدِيَّ من الشعر ، بلغ النعمان وسمعه ندم على حبسه إياه ، فجعل يرسل إليه ويوعده ويمنيه ويفرق أن يرسله فيبغيه الغوائل ، فقال عدِيَّ :

أَرِقْتُ لِمَكْفَهَرٍ بَاتَ فِيهِ بَوَارِقُ يَرْتَقِينَ رُؤُوسَ شَيْبِ^(٤)

(١) القهرمان : أمين الملك وخاصته ؛ فارسي معرب ، ويطلق في لغة الفرس على القائم بأمر الرجل ، كالحازن والوكيل .

(٢) كذا في الطبري وتجارب الأمم ، وفي الأغاني : « وعدِيَّ يومئذ عند كسرى » .

(٣) في رواية الأغاني بعد هذا البيت :

أَيْنَ عَنَّا إِخْطَارُنَا الْمَالَ وَالْأَمْوَالَ
وَنِضَالِي فِي جَنْبِكَ النَّاسِ يَرْمُونَنَا وَارْمِيْ
فَأَصِيبُ الَّذِي تَرِيدُ بِلَا غِشٍّ وَأُرِيْ عَلَيْهِمُ وَأَوَالِي
لَيْتَ أَنِّي أَخَذْتُ حَقِّي بِكَفَى وَلَمْ أَلْقُ مِيتَةَ الْأَقْتَالِ
مَحَلُّوًا مَحَلَّهُمْ لَصَرَعَتِنَا الْعَالَمَ ، فَقَدْ أَوْقَعُوا الرِّحَا بِالنِّفَالِ

(٤) انظر بقية القصيدة في الأغاني ٢ : ١١١ ، ١١٢ .

وقال أيضاً :

* طَالَ ذَا اللَّيْلُ عَلَيْنَا وَأَعْتَكِرُ^(١) *

وقال أيضاً :

* أَلَا طَالَ اللَّيَالِي وَالنَّهَارُ^(٢) *

١٠٢١/١

وقال حين أعياه ما يتضرع إلى النعمان أشعاراً، يذكره فيها الموت، ويخبره من هلك من الملوك قبله ، فقال :

* أَرْوَاحُ مُودَعٍ أَمْ بُكُورُ^(٣) *

وأشعاراً كثيرة .

قال : وخرج النعمان يريد البحرين، فأقبل رجل من غسان، فأصاب في الحيرة ما أحب . ويقال : الذي أغار على الحيرة فحرق فيها، جفنة بن النعمان الجفني ، فقال عدى :

سَمَا صَقَرْتُ فَأَشَعَلَ جَانِبَيْهَا وَأَلْهَكَ الْمَرْوَحُ وَالْعَزِيبُ^(٤)

فلما طال سجن عدى كتب إلى أخيه أبي ، وهو مع كسرى بشعر فقال :
أَبْلَغُ أَيْبًا عَلَى نَأْبِهِ وَهَلْ يَنْفَعُ الْمَرْءَ مَا قَدْ عَلِمَ !
بَأَنَّ أَخَاكَ شَقِيقَ الْفُؤَا دِ ، كُنْتَ بِهِ وَالْهَاءَ مَا سَلِمَ^(٥)

(١) بقيته :

* وَكَأَنِّي نَاذِرُ الصُّبْحِ سَمَرُ *

وانظر بقية القصيدة في الأغاني .

(٢) لم يذكره صاحب الأغاني .

(٣) بقيته :

* لَكَ فَاغْمُذُ لَأَيِّ حَالٍ تَصِيرُ *

وهو مطلع قصيدة في شعراء النصرانية ٤٥٥ ، ولم تذكر في خبر الأغاني .

(٤) المرواح : الإبل المروحة إلى أعطافها . والعزيب : ما ترك في مراعيه . وانظر بقية الأبيات في رواية الأغاني .

(٥) الأغاني : « واثقاً » .

لَدَى مَلِكٍ مُوثِقٍ بِالْحَدِيدِ دِ إِمَّا بِحَقٍّ وَإِمَّا ظُلْمٍ
فَلَا أَعْرِفُنكَ كَذَّابِ الْفُلَا مِ مَا لَمْ يَحْذِ عَارِمًا يَعْتَرِمُ^(١)
فَأَرْضَكَ أَرْضَكَ إِنْ تَأْتِنَا تَمُ نَوْمَةً لَيْسَ فِيهَا حُلْمٌ

فكتب إليه أخوه :

إِنْ يَكُنْ خَانَكَ الزَّيْمَانُ فَلَا عَا جِزُ بَاعٍ وَلَا أَلْفُ ضَعِيفٍ^(٢)
وَيَمِينِ الْإِلَهِ لَوْ أَنَّ جَاوَا طَحُونًا تَضِي فِيهَا الشُّيُوفُ^(٣)
ذَاتَ رِزٍّ مُجْتَابَةٍ غَمْرَةَ الْمَوْتِ تِ صَحِيحٍ سِرِّبَالَهَا مَكْفُوفٍ^(٤)
كُنْتَ فِي حَمِيهَا ، لِحِثْنِكَ أَسْعَى فَاغْلَمَنَّ لَوْ سَمِعْتَ إِذْ تَسْتَضِيفُ^(٥)
أَوْ بِمَالٍ سُلِّتُ دُونَكَ لَمْ يُمْ نَعِ تِلَادٌ لِحَاجَةٍ أَوْ طَرِيفٍ^(٦)
أَوْ بَارِضٍ أَسْطِيعُ آتِيكَ فِيهَا لَمْ يَهْلِنِي بَعِيدُهَا أَوْ خَوْفٍ^(٧)
فِي الْأَعَادِي وَأَنْتَ مَنِي بَعِيدٌ عِزٌّ هَذَا الزَّيْمَانُ وَالتَّعْرِيفُ
إِنْ تَفْتَنِي وَاللَّهِ إِلْفًا فَجُوعًا لَا يُعَقِّبُكَ مَا يَصُوبُ الْخَرِيفُ
فَلَعَمْرِي لَنْ جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَجَزُوعٌ عَلَى الصَّدِيقِ أَسُوفُ
وَلَعَمْرِي لَنْ مَلَكَتُ عِزَانِي لَقَلِيلٌ شُرُوكُ فِيمَا أَطُوفُ^(٨)

فرعوا أن أبيًا لما قرأ كتاب عدى قام إلى كسرى فكلّمه ، فكتب وبعث

(١) كذا في الطبري والأغاني . وفي اللسان ١٥ : ٢٨٩ : « ولا تلقين كأم الغلام » ، وروى عن الأزهري : « كذات الغلام ما لم تجد » ، وقال في شرحه : أراد بذات الغلام الأم المرضع .

(٢) الألف : الثقليل البطيء . (٣) الجأواء ، من وصف الكتيبة ؛ يقال : كتيبة جأواء ، أي بيئة الجأوى ، وهى التى يملو لونها السواد لكثرة الدروع .

(٤) الرز : الصوت يسمع من بعيد ، والسربال : القميص . والمكفوف ، من كفت الثوب إذا خطلت حاشيته .

(٥) تستضيف : تستجير .

(٦) الأغاني : « سألت » ، بالبناء للمعلوم . (٧) الأغاني : « والتعنيف » .

(٨) شرواك : مثلك .

١٠٢٣/١ معمر جلا، وكتب خليفة النعمان إليه : إنه قد كتب إليك [في أمره] ^(١). فأناؤه أعداء عدى من بنى بَقِيلَةَ ^(٢) من غَسَّان ، فقالوا : اقتله الساعة ، فأبى عليهم وجاء الرجل ^(٣) ، وقد تقدّم أخو عدى إليه ورشاه ، وأمره أن يبدأ بعدي ، فدخل عليه وهو محبوبس بالصَّئِنِ ، فقال : ادخل عليه فانظر ما يأمر بك به ، فدخل الرسول على عدى ، فقال : لآتى قد جئت بإرسالك ، فما عندك ؟ قال : عندي الذى تحب ، ووعده عِدَّة ، وقال : لا تخرجن من عندي ، وأعطنى الكتاب حتى أرسل به ، فإنك والله إن خرجت من عندي لأقتلن ، فقال : لا أستطيع إلا أن آتى الملك بالكتاب ، فأدخله عليه ، فانطلق مخبر حتى أتى النعمان ، فقال : إن رسول كسرى قد دخل على عدى وهو ذاهب به ، وإن فعل والله لم يستبق منّا أحداً ، أنت ولا غيرك . فبعث إليه النعمان أعداءه فغصوه ^(٤) حتى مات ، ثم دفنوه .

ودخل الرسول على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة ! وبعث إليه بأربعة آلاف مشقال وجارية ، وقال له : إذا أصبحت فادخل عليه ، فأخرجه أنت بنفسك . فلما أصبح ركب ، فدخل السجن ، فقال له الحرّس : إنه قد مات منذ أيام ، فلم نجترى على أن نخبر الملك للفرق منه ، وقد علمنا كراهته لموته . فرجع إلى النعمان فقال : لآتى قد دخلت عليه وهو حى ، [وجئت اليوم ففتحنى السجنان وبهتني . وذكر له أنه قد مات منذ أيام] ^(٥) فقال له النعمان : يبعثك الملك إلى فتدخل إليه قبل ! كذبت ، ولكنك أردت الرشوة والخبيث . فتهدده ثم زاده جائزة وأكرمه ، واستوثق منه ألا يخبر كسرى ؛ إلا إنه قد مات قبل أن يقدم عليه . ١٠٢٤/١

فرجع الرسول إلى كسرى ، فقال : إنه قد مات قبل أن أدخل عليه ،

(١) تكلّة من الأغافى .

(٢) بَقِيلَةُ : بطن من الحيرة .

(٣) الأغافى : « الرسول » .

(٤) غصوه ، أى غطوا وجهه بشئ حتى مات .

(٥) من رواية الأغافى .

وفدّم النعمان على موت عدى، واجترأ أعداء عدى على النعمان، وهابهم النعمان هيبه شديدة، فخرج النعمان في بعض صييده ذات يوم، فلقى أبنا لعدى، يقال له زيد، فلما رآه عرف شبهه، فقال: من أنت؟ قال: أنا زيد بن عدى بن زيد، فكلّمه فإذا غلام ظريف، ففرح به فرحاً شديداً، وقرّبه وأعطاه، واعتذر إليه من أمر أبيه، وجهّزه^(١)، ثم كتب إلى كسرى^(٢) إنّ عدياً كان ممن أعين به الملك في نصحه ولبّته، فأصابه ما لا بدّ منه، وانقضت مدته، وانقطع أكله، ولم يُصَبّ به أحد أشدّ من مصيبتى؛ وأما الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلاّ جعل الله له منه خلفاً، لما عظم الله له من ملكه وشأنه، وقد أدرك له ابن ليس دونه، وقد سرّحتّه إلى الملك، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه، فليُفعل.

فلما قدم الغلام على كسرى جعله مكان أبيه، وصرف عمّه إلى عمل آخر، فكان هو الذى يلى ما كتّسب به إلى أرض العرب، وخاصّة الملك. وكانت له من العرب وظيفة موظفة في كل سنة: مُهران أشقران والكمّأة الرطبة في حينها واليابسة، والأقيط والأُدُم وسائر تجارات العرب، فكان زيد بن عدى بن زيد يلى ذلك، وكان هذا عمل عدى.

فلما وقع عند الملك بهذا الموقع، سأله كسرى عن النعمان، فأحسن عليه الثناء، فكثّ سنوات بمتزلة أبيه، وأعجب به كسرى، وكان يُكثر الدخول عليه، وكانت للملوك الأعاجم صفة من النساء مكتوبة عندهم، فكانوا يبعثون في تلك الأرضين بتلك الصفة، [فإذا وجدت حملت إلى الملك]^(٣) غير^(٤) أنهم لم يكونوا يتناولون أرض العرب بشيء من ذلك، ولا يريدونه. فبدأ الملك في طلب النساء فكتب بتلك الصفة^(٤). ثم دخل على كسرى فكلّمه فيما دخل فيه،

(١) جهّزه: أعد له معدات السفر.

(٢) ح: «وانقضى»، والأغافى: «وانقضت مدته وانقضى أجله».

(٣) تكلّة من رواية الأغافى.

(٤ - ٤) رواية الأغافى: «غير أنهم لم يكونوا يطلبونها في أرض العرب ولا يظنونها عندهم.

ثم إنه بدا للملك في طلب تلك الصفة، وأمر فكتب بها إلى النواحي».

ثم قال : إني رأيت الملك كتب في نسوة يُطلبن له ، فقرأت الصفة ، وقد كنت بآل المنذر عالماً ، وعند عبدك النعمان من بناته وبنات عمته وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفة . قال : فتكتب فيهن . قال : أيها الملك ، إن شئت في العرب وفي النعمان [خاصة] ^(١) أنهم يتكرمون — زعموا في أنفسهم — عن العجم ، فأنا أكره أن يغيبهن [عمن تبعث إليهم ، أو يعرض عليه غيرهن] ^(٢) ، وإن قدمت أنا عليه لم يقدر أن يغيبهن ، فابعثني وابعث معي رجلاً من حرسك ^(٣) يفقه العربية ، [حتى أبلغ ما تحبه] ^(٤) . فبعث معي رجلاً جليداً ^(٥) ، فخرج به زيد ، فجعل يكرم ذلك الرجل ويلطفه حتى بلغ الحيرة . فلما دخل عليه أعظم الملك ، وقال : إنه قد احتاج إلى نساء لأهله وولده ، وأراد كرامتك [بصهره] ^(٦) ، فبعث إليك . فقال : وما هؤلاء النسوة ؟ فقال : هذه صفتهن قد جئنا بها .

وكانت الصفة أن المنذر الأكبر أهدى إلى أنوشروان جارية ، كان أصحابها إذ أغار على الحارث الأكبر الغساني بن أبي شمر ، فكتب إلى أنوشروان يصفها ^(٧) له ، [وقال : إني قد وجهت إلى الملك جارية] ^(٨) معتدلة الخلق ، نقيّة اللون والشعر ، بيضاء ، قمراء ، وطفاء ^(٩) ، [كحلاء] ^(١٠) دعجاء ^(١١) ، حوراء ^(١٢) ، عيناء ^(١٣) ، قنواء ^(١٤) ، شماء ^(١٥) ، زجاء ^(١٦) ، برجاء ^(١٧) ، أسيلة الخد ، ^(١٨) شهية القد ^(١٩) ،

-
- (١) تكملة من رواية الأغاني .
 (٢) الأغاني : « جلدا فهما » .
 (٣) الأغاني : « بصفتهما » .
 (٤) الوطفاء : غزيرة الإهاب وشعر الحاجبين .
 (٥) الدعجاء : شديدة سواد العين مع شدة بياض البياض .
 (٦) الحور : أسوداد العين كلها مثل الطباء ، ولا يكون في بني آدم إلا على الاستعارة .
 (٧) العين : سعة العين .
 (٨) القنواء ، من القنا ، وهوارتقاع في أعلى الأنف واحديداب في وسطه وسبوغ في طرفه .
 (٩) الشم في الأنف : ارتقاع القصبة وحسنها .
 (١٠) الزجاجاء : دقيقة الحاجبين في طول .
 (١١) البرجاء : الجميلة الحسنة .
 (١٢) الخد الأسيل : الطويل المسترسل الأملس .
 (١٣) الأغاني : « شهية المقبل » .

جَشَلَّةَ الشَّعْرَ^(١) ، عَظِيمَةَ الهَامَةِ ، بَعِيدَةَ مَهْوَى القَرْطِ ، عِطَاءَ^(٢) ،
عَرِيضَةَ الصَّدْرِ ، كَاعِبَ التَّدْنَى ، ضَخْمَةَ مُشَاشَةِ المُنْكِبِ^(٣) والعَضُدِ ،
حَسَنَةَ المِعْصَمِ ، لَطِيفَةَ الكَفِّ ، سَبْطَةَ البَنَانِ ، لَطِيفَةَ طَيِّ البِطْنِ ،^(٤)
خَمِيصَةَ الخَصْرِ ، غَرَّتِي الوِشَاحِ^(٥) ، رَدَاحَ^(٦) القَبْلِ ، رَابِيَةَ الكَفَلِ ، لَفَاءَ
الْفَخْزَيْنِ^(٧) ، رِيًّا الروَادِفِ ، ضَخْمَةَ المَأْكِمَتَيْنِ^(٨) ، عَظِيمَةَ الرُّكْبَةِ
مُفَنِّعَةَ السَّاقِ^(٩) ، مُشْبَعَةَ الخُلُخَالِ^(١٠) ، لَطِيفَةَ الكَعْبِ والقَدَمِ ،
قَطُوفَ المَشْيِ^(١١) ، مِكْسَالَ الضُّحَى^(١٢) ، بَضَّةَ المتَجَرَّدِ^(١٣) ، سَمُوعًا
لِلسَّيْدِ ، لَيْسَتْ بِخُنْشَاءَ^(١٤) ، وَلَا سَعْفَاءَ^(١٥) ، ذَلِيلَةَ الأنْفِ^(١٦) ، عَزِيزَةَ النَّفَرِ ،
لَمْ تُغْدَ فِي بُؤْسٍ ، حَمِيَّةَ رَزِينَةٍ ، حَلِيمَةَ رَكِينَةٍ ، كَرِيمَةَ الخَالِ ، تَقْتَصِرُ
بِنَسَبِ أَبِيهَا دُونَ فَصِيلَتِهَا ، وَبِفَصِيلَتِهَا دُونَ جِمَاعِ قَبِيلَتِهَا ، قَدْ أَحْكَمْتُهَا
الْأُمُورَ فِي الْأَدَبِ ، فَرَأَيْهَا رَأَى أَهْلَ الشَّرَفِ ، وَعَمَلُهَا عَمَلُ أَهْلِ الْحَاجَةِ ،

-
- (١) الجشلة : كثيفة الشعر سوداؤه .
(٢) العطاء : الطويلة العنق .
(٣) المشاشة : رأس العظم .
(٤) الأغاني : « ضامرة البطن » .
(٥) غرّتي الوشاح : دقيقة الخصر .
(٦) الرداح : العجزاء الثقيلة الأوراك التامة الخلق . والقبل : ما استقبلك من مشرف .
(٧) اللفاء : الضخمة الفخزين المكتنزتهما .
(٨) المأكمتان : اللحمتان اللتان على رموس الوركين .
(٩) مفعة الساق : مملكتها .
(١٠) مشبة الخلخال : كناية عن سمن الساقين .
(١١) القطوف ، من القطاف ؛ وهو تقارب الخطو .
(١٢) المكسال : المرأة لا تكاد تبرح مجلسها ؛ وهو ملح لها عندهم ؛ كقولهم : « نثوم الضحى » .
(١٣) البضة : الناعمة .
(١٤) الخنشاء ، من الخنس وهو تأخر الأنف إلى الرأس وارتفاعه عن الشفة ، ليس بطويل ولا مشرف .
(١٥) السعفاء ، من السفع وهو السواد .
(١٦) الأغاني : « رقيقة الأنف » .

صناع الكفّين ، قطيعة اللسان^(١) ، رهوة الصوت^(٢) ، تزين البيت^(٣) ،
وتشين العدو ، إن أردتها اشتتت ، وإن تركتها انتهت ، تحمّل
عينها ، وتحمرّ وجنتها ، وتذبذب شفتها ، وتبادرك الوثبة ، [ولا تجلس إلا
بأمرك إذا جلست]^(٤) .

فقبّلها كسرى ، وأمر بإثبات هذه الصفة في دواوينه ، فلم يزالوا يتوارثونها
حتى أفضى ذلك إلى كسرى بن هرمز ، فقرأ عليه زيد هذه الصفة ، فشقّ^(٥)
عليه ، فقال لزيد - والرسول يسمع : أما^(٥) في عين السواد وفارس ما تبلغون
حاجتكم ! فقال الرسول لزيد : ما العين ؟ قال : البقر ، فقال زيد للنعمان : إنما أراد
كرامتك ؛ ولو علم أن هذا يشقّ عليك لم يكتب إليك به^(٥) .

١٠٢٧/١

فأنزلها يومئذ ، ثم كتب إلى كسرى : إن الذي طلب الملك ليس عندي ،
وقال لزيد : اعذرني عنده ، فلما رجع إلى كسرى ، قال زيد للرسول الذي جاء
معه : اصدق الملك الذي سمعت^(٦) منه ، فإني سأحدثه بحديثك ولا أخالفك
فيه . فلما دخلا على كسرى ، قال زيد : هذا كتابه ، فقرأه عليه ، فقال له
كسرى : فأين الذي كنت خبرتني [به]^(٧) ؟ قال : قد كنت أخبرتك بضئهم
بنسائهم على غيرهم ، وأنّ ذلك من شقائهم واختيارهم الجوع والعُرى على الشيع
والرياش ، واختيارهم السموم والرياح على طيب أرضك هذه ، حتى إنهم
ليسمونها السجن ؛ فسل هذا الرسول [الذي كان]^(٧) معي عن الذي قال ،^(٨) فإني أكرم
الملك عن الذي قال وردّ عليه أن أقوله^(٨) ، فقال للرسول : وما قال ؟ قال :
أيها الملك ، أما في بقر السواد [وفارس]^(٧) ما يكفيه حتى يطلب ما عندنا !

(١) قطيعة اللسان ، أى ليست سليطة .

(٢) رهوة الصوت : رقيقته سهلة . (٢) الأغاني : الولي

(٣) من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : « فشقت عليه » .

(٥ - ٥) رواية الأغاني : « أما في مها السواد وعين فارس ما يبلغ به كسرى حاجته ! فقال :

الرسول لزيد بالفارسية : ما المها والعين ؟ فقال له بالفارسية : كاوان ، أى البقر ، فأمسك الرسول
وقال زيد للنعمان : إنما أراد الملك كرامتك ، ولو علم أن هذا يشقّ عليك لم يكتب إليك به » .

(٦) الأغاني : « عما سمعت » . (٧) من الأغاني

(٨ - ٨) الأغاني : « فإني أكرم الملك عن مشافهته بما قال وأجاب به » .

فَعَرِفَ الغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِهِ مِنْهُ مَا وَقَعَ ، وَلَكِنَّهُ قَدْ قَالَ (١) : رَبُّ عَبْدٍ قَدْ أَرَادَ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ هَذَا ، فَيَصِيرُ أَمْرُهُ إِلَى التَّيَابِ .

وشاع هذا الكلام ، فبلغ النعمان (٢) ، وسكت كسرى على ذلك أشهراً ، وجعل النعمان يستعدّ ويتوقع ؛ حتّى أتاه كتابه : أن أقبيل فإنّ للمليك إليك حاجة ؛ فانطلق حين أتاه كتابه فحمل سلاحه ، وما قوّى عليه ، ثمّ لحق بجبلى طيّس . وكانت فرعة ابنة سعد بن حارثة بن لأم عنده ، وقد ولدت له رجلاً ١٠٢٨/١ وامرأة ، وكانت أيضاً عنده زينب ابنة أوس بن حارثة ، فأراد النعمان طيّساً على أن يَدْخُلُوهُ [بين الجبلين] (٣) ويمنعوه . فأبوا ذلك عليه ، وقالوا : لولا صهرك لقاتلناك ؛ فإنّه لا حاجة لنا في معاداة كسرى ، [ولا طاقة لنا به] (٤) . فأقبل [يطوف على قبائل العرب] (٥) ليس أحد من الناس يقبله ، غير أنّ بني رواحة بن سعد (٦) من بني عبس قالوا : إن شئت قاتلنا معك — لمنّة كانت له عندهم في أمر مروان القرظ (٥) — فقال : لا أحبّ أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى .

فأقبل حتّى نزل بذي قار في بني شيبان سرّاً ، فلقى هانيّ بن مسعود ابن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان ، وكان سيّداً منيعاً ، والبيت يومئذ من ربيعة في آل ذى الجذنين ، لقيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن ذى الجذنين . وكان كسرى قد أطعم قيس بن مسعود الأبلّة ، فكره النعمان أن يدفع إليه أهله لذلك ، وعلم أن هانثاً مانعه مما يمنع منه نفسه .

وتوجّه النعمان إلى كسرى ، فلقى زيد بن عدى على قنطرة سبابط ، فقال : انجُ نعيّم ، [إن استطعت النّجاء] (٣) ، فقال : أنت يا زيد فعلت هذا (٦) ! أما

(١) رواية الأغاني : « ولكنه لم يزد على أن قال » .

(٢) الأغاني : « حتّى بلغ النعمان » . (٣) تكلّة من رواية الأغاني .

(٤) الأغاني : « رواحة بن قطيمة بن عبس » .

(٥) هو مروان بن زبّاع العبسي ، أضيف إلى القرظ ؛ لأنّه كان يغزو اليمن ، وبها منبته .

(٦) رواية الأغاني : « أفعلتها يا زيد ! »

والله لئن انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك ! فقال له زيد : امض نُعَيْم ، فقد والله وضعتُ لك عنده أخية^(١) لا يقطعها المنهر الأرن^(٢) . فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث إليه ، فقيده وبعث به إلى خانقين ، فلم يزل في السجن حتى وقع الطاعون فمات فيه ، والناس يظنون أنه مات بساباط لبيت قاله الأعشى :

فذاك وما أنجى من الموتِ ربّه بساباط حتى مات ، وهو مُحْرَقُ^(٣)

ولما هلك بخانقين ، وهذا قبيل الإسلام ، فلم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله نبيّه صلى الله عليه وسلم ، وكان سبب وقعة ذي قار بسبب النعمان^(٤) .

١٠٢٩/١

وحدثت عن أبي عبيدة معمر بن المثنى ، قال : حدثنا أبو المختار فراس بن خندق ، وعدة من علماء العرب قد سمّاهم ، أن النعمان لما قتل عدياً كاد أخو عدي وابنه النعمان عند كسرى ، وحرّقا كتاب اعتذاره إليه بشيء غَضِبَ منه كسرى ، فأمر بقتله ، وكان النعمان لما خاف كسرى استودع هاني بن مسعود بن عامر الحصيب بن عمرو المزدلف بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، حلقته ونعّمه سلاحاً غير ذلك ، وذلك أن النعمان كان بنّاه ابنتين له .

— قال أبو عبيدة : وقال بعضهم : لم يدرك هاني بن مسعود هذا الأمر ، إنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود . وهو الثّبت عندى —

فلما قتل كسرى النعمان ، استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان . قال أبو عبيدة : كان كسرى لما هرب من بهرام مرّ بإياس بن قبيصة فأهدى له فرساً وجزوراً ، فشكر ذلك له كسرى ،

(١) الأخية في الأصل : أن يدفن طرفا الجبل في الأرض وفيهما عصية أو حجر ، ويظهر منه مثل عروة تشد بها الدابة . (٢) الأرن : النشط .

(٣) ديوانه ١٤٧ . وحرّق الرجل ، أى حبسه ؛ وهذه رواية الطبرى والديوان ، وفي الأغاني : « محرق » ، وهما بمعنى . قال التوزي : قلت لأبي زيد الأنصاري : أقم تشدون قول الأعشى : « حتى مات وهو محرق » ، وأبو عمر الشيباني ينشده « محرق » ، بتقديم الراء على الزاي ؟ فقال : إنها نبطية ، وأم أبي عمرو نبطية ، فهو أعلم بها منا . (٤) الخبر في الأغاني ٢ : ١٠٥ - ١٢٨

فبعث كسرى إلى إياس : أين تركة النعمان ؟ قال : قد أحرزها في بكر بن وائل ، فأمر كسرى إياساً أن يضم ما كان للنعمان ويبعث [به] ^(١) إليه ، فبعث إياس إلى هاني : أن أرسل إلى ما استودعك النعمان من الدروع وغيرها - والمقلل يقول : كانت أربعمئة درع ، والمكثر يقول : كانت ثمانمئة درع - فأبى هاني أن يسلم خفارته . قال : فلما منعها هاني ، غضب كسرى وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل - وعنده يومئذ النعمان بن زُرعة التغلبي ، وهو يحب هلاك بكر بن وائل - فقال لكسرى : يا خير الملوك ، أدلك على غيرة بكر ؟ قال نعم ، قال أمهلها حتى تقيظ ، فإنهم لو قد قاطوا تساقطوا على ماء لهم يقال له ذو قار ، تساقط الفراس في النار ، فأخذتهم كيف شئت ، وأنا أكفيكم . فترجموا له قوله : « تساقطوا تساقط الفراس في النار » ، فأقرهم حتى إذا قاطوا ، جاءت بكر بن وائل فتزلت الحشو ، حنوذى قار ، وهي من ذى قار [على مسيرة] ^(١) ليلة ، فأرسل إليهم كسرى النعمان بن زُرعة : أن اختاروا واحدة من ثلاث خصال ، فتزل النعمان على هاني ثم قال له : أنا رسولُ الملك إليكم أختيركم ثلاث خصال : إما أن تعطوا بأيديكم فيحكم فيكم الملك بما شاء ، وإما أن تُعبروا الديار ، وإما أن تأذنوا بحرب .

فتوامروا فولوا أمرهم حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وكانوا يقيمون به فقال لهم : لا أرى إلا القتال ، لأنكم إن أعطيت بأيديكم قُتِلتم وسُبيت ذراريكم ، وإن هربتم قُتِلتم العطش ، وتلقاكم تميم فتهلككم . فأذنوا الملك بحرب . فبعث الملك إلى إياس واليها مَرَزَ التستري - وكان مسلحاً بالقُطُفُطَانة - وإلى جلابزين ^(٢) - وكان مسلحاً ببارق - وكتب كسرى إلى قيس بن مسعود ابن قيس بن خالد بن ذى الجدين - وكان كسرى استعمله على طف ^{١٠٣١/١} سفوان - أن يوافوا إياساً ، فإذا اجتمعوا في إياس على الناس . وجاءت الفرس معها الجنود والفيول عليها الأساورة ، وقد بُعِث النبي صلى الله عليه وسلم ورق أمر فارس ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « اليوم انتصفت العرب من العجم » ،

(١) تكله من ح .

(٢) في النقاظ : « خنابزين » .

فحفظ ذلك اليوم؛ فإذا هو يوم الوقعة . فلما دنت جيوش الفرس بمن معهم
انسَلَّ قيسُ بن مسعود ليلاً فأتى هائناً ، فقال له : أعطِ قومك سلاح
النعمان فيقوؤا ، فإن هلكوا كان تبعاً لأنفسهم ، وكنت قد أخذت بالحزم ،
وإن ظفروا ردّوه عليك . ففعل وقسم الدروع والسلاح في ذوى ^(١) القُوى
والجلد من قومه . فلما دنا الجمع من بكر ، قال لهم هائي : يا معشر بكر ،
إنّه لا طاقة لكم بجنود كسرى ومن معهم من العرب ، فاركبوا الفلاة . فتسارع
الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة بن سيار فقال له : إنما أردت نجاتنا
فلم تزدْ على أن ألقيتنا في المهلكة ، فردّ الناس وقطع وُضُن الهوادج لثلاث تستطيع
بكر أن تسوق نساءهم إن هربوا - فسمي «مُقطّع الوُضُن» ، وهى حُرْم الرّحال .
ويقال : مقطّع البُطن ، والبُطن حُرْم الأتّاب - وضرب حنظلة على نفسه قبة
بسطحاء ذى قار ، وآلى ألاّ يفرّ حتى تفرّ القبة . فضى من مضى من
الناس ، ورجع أكثرهم ، واستقّوا ماء لنصف شهر ، فأنتهم العجم ، فقاتلتهم
بالحنو ، فجزعت العجم من العطش ، فهربت ولم تقم لمحاصرتهم ، فهربت إلى
الجبابات ، فتبعتهم بكر ، وعجل أوائل بكر ، فتقدمت عجل ، وأبلت
يومئذ بلاء حسناً ، واضطمت عليهم جنود العجم ، فقال الناس : هلك
عجل ، ثم حملت بكر فوجدوا عجلًا ثابتة تقاتل ، وامرأة منهم تقول :

١٠٣٢/١

إِنْ يَظْفَرُوا يَحْرُزُوا فِينَا الْفُرْلُ إِيهًا فِدَاءَ لَكُمْ بَنِي عِجْلٍ !

وتقول أيضاً تحضض الناس :

إِنْ تَهَزِمُوا نَمَانِقُ وَنَفَرِشِ النَّمَارِقُ
أَوْ تَهَزِبُوا فُفَارِقُ فَرَاقَ غَيْرِ وَامِقُ

فقاتلوهم بالجبابات يوماً . ثم عطش الأعاجم فآلوا إلى بطحاء ذى قار ،
فأرسلت إباد إلى بكر سرّاً - وكانوا أعواناً على بكر مع إياس بن قبيصة : أى
الأميرين أعجب إليكم ؟ أن نظير تحت ليلتنا فنذهب ، أو نقيم ونفرّ حين تلاقوا

القوم ؟ قالوا : بل تقيمون ، فإذا التقى القوم انهزمتم بهم . قال : فصبتحتهم بكر بن وائل ، والظعن واقفة يذمرن الرجال على القتال . وقال يزيد بن حمار السكوني - وكان حليفاً لبني شيبان - : يا بني شيبان ، أطيعوني وأكثنوني لهم كميناً . ففعلوا ، وجعلوا يزيد بن حمار رأسهم فكمنوا في مكان من ذى قار ، يسمى إلى اليوم الجُلب ، فاجتلدوا ، وعلى ميمنة إياس بن قبيصة الهامرز ، وعلى ميسرته الجلابزين ، وعلى ميمنة هانيء بن قبيصة رئيس بكر يزيد بن مسهر الشيباني ، وعلى ميسرته حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلي ، وجعل الناس يتحاضون ويرجزون ، فقال حنظلة بن ثعلبة :

١٠٣٣/١

قَدْ شَاعَ أَشْيَاكُمْ فَجِدُّوا مَا عَلَتِي وَأَنَا مُؤَدِّ جَلْدٍ^(١)
وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عُرْدٌ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
قَدْ جَعَلْتُ أَخْبَارُ قَوْمِي تَبْدُو إِنَّ الْمَنَايَا لَيْسَ مِنْهَا بَدْ
هَذَا عُمَيْرٌ تَحْتَهُ أَلَدٌ يَقْدُمُهُ لَيْسَ لَهُ مَرْدٌ
حَتَّى يَعُودَ كَالْكُمَيْتِ الْوَرْدُ خَلُّوا بَنِي شَيْبَانَ وَاسْتَيْدُوا
نَفْسِي فِدَاكُمْ وَأَبِي وَالْجَدُّ^(٢) .

وقال حنظلة أيضاً :

يَا قَوْمَ طَيِّبُوا بِالْقِتَالِ نَفْسًا أَجْدَرُ يَوْمٍ أَنْ تَقْلُوا الْفُرْسَا

وقال يزيد بن المكسر بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار :

مَنْ فَرَّ مِنْكُمْ فَرَّ عَنْ حَرِيمِهِ وَجَارِهِ ، وَفَرَّ عَنْ نَدِيمِهِ
أَنَا ابْنُ سَيَّارٍ عَلَى شَكِيمِهِ إِنَّ الشَّرَّكَ قَدْ مِنْ أَدِيمِهِ^(٣)
وَكُلُّهُمْ يَجْرِي عَلَى قَدِيمِهِ مِنْ قَارِحِ الْهُجْنَةِ أَوْ صَمِيمِهِ

(١) المؤدى : ذوالأداة التامة من السلاح .

(٢) ح : « فدتكم » .

(٣) الشراك : سير النمل ، وقد : قطع ، والأديم : الجلد المدبوغ .

قال فراس : ثم صيروا الأمر بعد هاني إلى حنظلة ، قال إلى مارية ابنته - وهي أمّ عشرة نفر ؛ أحدهم جابر بن أبجر - فقطع وضيقها فوقعت إلى الأرض وقطع وضن النساء ، فوقعن إلى الأرض ، ونادت ابنة القرين الشيبانية حين وقعت النساء إلى الأرض :

وَيَهَا بَنِي شَيْبَانَ صَفًا بَعْدَ صَفٍ إِنْ تَهَزَّمُوا يُصَبِّغُوا فِينَا الْقُلْفَ
فقطعت سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم مِنْ قِبَلِ مَنَّا كِبِهِمْ ؛ لَأَنْ تَخِفَ أَيْدِيهِمْ بِضَرْبِ السُّيُوفِ ، فَجَالِدُوهُمْ .

١٠٣٤/١

قال : ونادى الهامرز : مَرْدٌ وَمَرْدٌ ، فقال بُرْدُ بْنُ حَارِثَةَ الْيَشْكِرِيُّ : ما يقول ؟ قالوا : يدعو إلى البراز رجل ورجل ، قال : وأبيكم لقد أنصف . فبرز له فقتله برد ، فقال سويد بن أبي كاهل :

وَمِنَّا بُرَيْدٌ إِذْ تَحَدَّى جُمُوعَكُمْ فَلَمْ تُقَرِّبُوهُ الْمَرْزُبَانَ الْمُسَوْرَا
أى لم تجعلوه . ونادى حنظلة بن ثعلبة بن سيار : يا قوم لا تقتلوا لهم فيستغرقكم النشاب ، فحملت ميسرة بكر وعليها حنظلة على ميمنة الجيش ، وقد قتل بُرْدُ مِنْهُمْ رَئِيسَهُمُ الْهَامِرْزُ ، وحملت ميمنة بكر وعليها يزيد بن مُسْهَرٍ عَلَى مِيسَرَةِ الْجَيْشِ ، وعليهم جلابزين ، وخرج الكمين من جُبِّ ذِي قَارٍ مِنْ وَرَائِهِمْ ، وعليهم يزيد بن حمار ، فشدوا على قُلُوبِ الْجَيْشِ ، وفيهم إِيَّاسُ ابْنِ قَبِيصَةَ ، وولت إِيَّادُ مُنْهَزِمَةٌ كَمَا وَعَدْتَهُمْ ، وَانْهَزَمَتِ الْقُرْسُ .

قال سَلِيطٌ : فحدثنا أسراؤنا الذين كانوا فيهم يومئذ ، قالوا : فلما التقى الناس ، ولت بكر منزهة ، فقلنا : يريدون الماء ، فلما قطعوا الوادى فصاروا من ورائه ، وجاوزوا الماء ، قلنا : هى الهزيمة ، وذلك فى حَرِّ الظَّهْرِ وفى يومٍ قَانِظٍ ، فَأَقْبَلَتِ كَتِيبَةٌ عِجْلٌ كَأَنَّهُمْ طُنٌّ قَصَبٌ ، لَا يَفُوتُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، لَا يَمُعْنُونَ هَرَبًا ، وَلَا يَخَالُطُونَ الْقَوْمَ . ثم تذاَمَرُوا فَرَحَفُوا فَرَمَوْهُمْ بِجَاهِهِمْ ، فَلَمْ تَكُنْ إِلَّا إِيَّاهَا ، فَأَمَالُوا بِأَيْدِيهِمْ ، فَوَلَّوْا ، فَفَقَتَلُوا الْفَرَسَ وَمَنْ مَعَهُمْ ؛ مَا بَيْنَ بَطْحَاءِ ذِي قَارٍ ، حَتَّى بَلَغُوا الرَّاحِضَةَ .

١٠٣٥/١

قال فراس : فخبّرت أنّه تبعه تسعون فارساً^(١) ، لم ينظروا إلى سلب ولا

(١) كذا فى النقائض ، والعبارة فى ط مصحفه .

إلى شيء حتى تعارفوا بأدَم (موضع قريب من ذى قار) ، فوجد ثلاثون فارساً من بني عَجَل ، ومن سائر بَكْر ستون فارساً ، وقتلوا جلابزين ؛ قتله حنظلة بن ثعلبة . وقال ميمون بن قيس يمدح بني شيبان خاصة في قوله :

فَدَى لِبَنِي ذُهِلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي وَرَاكِبَهَا يَوْمَ اللَّقَاءِ ، وَقَلَّتْ ^(١)
هُمْ ضَرَبُوا بِالْحِنُو ، حِنُو قُرَاقِرٍ مُقَدِّمَةَ الْهَامِرِزِ حَتَّى تَوَلَّتْ
وَأَفْلَتَنَا قَيْسٌ وَقَلْتُ لَعَلَّهُ هُنَالِكَ لَوْ كَانَتْ بِهِ النَّمْلُ زَلَّتْ ^(٢)

فهذا يدل على أن قيساً قد شهد ذا قار .

وقال بكير ، أصمُّ بنى الحارث بن عباد ، يمدح بني شيبان :

إِنْ كُنْتُ سَاقِيَةَ الْمَدَامَةِ أَهْلَهَا فَاسْقِي عَلَى كَرَمِ بَنِي هَمَامٍ
وَأَبَا رَبِيعَةَ كُلِّهَا وَمُحَلَّمًا سَبَقًا بِغَايَةِ أُمَجْدِ الْأَيَّامِ ١٠٣٦/١
ضَرَبُوا بَنَى الْأَحْرَارِ يَوْمَ لِقَاؤِهِمْ بِالْمَشْرِفِيِّ عَلَى مَقِيلِ الْهَامِ
عَرَبًا ثَلَاثَةَ آلْفٍ وَكِتَبَةً أَلْفَيْنِ أُعْجِمَ مِنْ بَنَى الْقَدَامِ
شَدَّ ابْنُ قَيْسٍ شَدَّةً ذَهَبَتْ لَهَا ذِكْرِي لَهُ فِي مُعْرِقٍ وَشَامِ
عَمَرُوا وَمَا عَمَرُوا بِقَحْمِ ذَالِهِ فِيهَا ، وَلَا غَمْرِ وَلَا بَغْلَامِ ^(٣)

فلما مدح الأعشى والأصم بنى شيبان خاصة غضبت الهازم ، فقال أبو كلبة ، أحد بني قيس يؤنبها بذلك :

جُدُّعْتُمَا شَاعِرِي قَوْمِ أُولَى حَسَبٍ حَزَّتْ أَنْوَفُهُمَا حَزًّا بِمَنْشَارِ
أَعْنَى الْأَصَمِّ وَأَعْشَانَا إِذَا اجْتَمَعَا فَلَا اسْتَعَانَا عَلَى سَمْعٍ بِإِنْصَارِ

(١) ديوانه ١٧٩ ، وفي ط : « قلت » ، والصواب ما أثبتته من الديوان .

(٢) رواية الديوان :

وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقَلْتُ لَعَلَّهُ يَبْلُ لَثْنُ كَانَتْ بِهِ النَّمْلُ زَلَّتْ

(٣) القم في الأصل : المهزول من الإبل ، والداله : الضميف . وفي النقايس : « دالف » .

لَوْلَا فَوَارِسُ لَامِيلٍ وَلَا عَزْلٌ^(١) مِنْ اللَّهَازِمِ مَا قَاطُوا بِذِي قَارٍ
نَحْنُ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ عِنْدِ أَشْمَلِهِمْ كَمَا تَلَبَّسُ وَرَادُّ بِصُدَّارٍ؟

١٠٣٧/١ قال أبو عمرو بن العلاء : فلما بلغ الأعشى قول أبي كلبة ، قال : صدق .
وقال معتزلاً مما قال :

مَتَى يُقَرَّنُ أَصَمٌ بِجَبَلٍ أَعْشَى يَتِيهَا فِي الضَّلَالِ وَفِي الْخَسَارِ
فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ مَا قَدْ يَرَاهُ وَلَيْسَ بِسَامِعٍ أَبَدًا حِوَارِي
وقال الأعشى في ذلك اليوم :

أَتَانَا عَنْ بَنِي الْأَخْرَا رِ قَوْلُ لَمْ يَكُنْ أَمَّا^(٢)
أَرَادُوا نَحْتَ أَنْتِنَا وَكُنَّا نَمْنَعُ الْخَطْمَا^(٣)
وقال أيضاً لقيس بن مسعود :

أَقْنِسُ بْنُ مَسْعُودٍ بْنُ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ أَمْرٌ لَا تَرْجُو شَابِكَ وَائِلُ
أَتَجْمَعُ فِي عَامٍ غَزَاةً وَرِحْلَةً أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَفَتْهُ الْقَوَابِلُ!
وقال أعشى بنى ربيعة :

وَنَحْنُ غَدَاةَ ذِي قَارٍ أَقْمَنَا وَقَدْ شَهِدَ الْقَبَائِلُ مُحْلِينَا^(٤)
وَقَدْ جَاءُوا بِهَا جَاءَاءَ فَلَقَا مُلْمَلَمَةً كَتَّابُهَا طَحُونَا
لِيَوْمِ كَرِيهَةٍ حَتَّى تَجَلَّتْ ظِلَالُ دُجَاهُ عَنَا مُصْلِتِينَا
فَوَلَّوْنَا الدَّوَابِرَ وَاتَّقَوْنَا بَنُوعَانَ بَنِي زُرْعَةَ أَكْتَعِينَا
وَدُدْنَا عَارِضَ الْأَخْرَارِ وَرَدَا كَمَا وَرَدَ الْقَطَا الثَّمَدَ الْمَعِينَا

(١) ميل : جمع أميل ؛ وهو الذي لا سيف ولا سلاح معه كالأعزل .

(٢) ديوانه ٢٠٤ .

(٣) ديوانه ١٢٨ .

(٤) ديوان الأعشى ٢٨١ .

ذكر من كان على ثغر العرب من قبَل ملوك الفرس

بالحيرة بعد عمرو بن هند

قد مضى ذكرنا مَنْ كان يلي ذلك من قبَل ملوك الفرس من آل نصر ١٠٣٨/١ ابن ربيعة إلى حين هلاك عمرو بن هند ، وقدر مدّة ولاية كلٍّ مَنْ ولى منهم ذلك ، ونذكر الآن مَنْ ولى ذلك لهم بعد عمرو بن هند ، إلى أن ولى ذلك لهم النعمان بن المنذر ، والذي ولى لهم ذلك بعد عمرو بن هند أخوه قابوس بن المنذر ، وأمّه هند ابنة الحارث بن عمرو ، فولّى ذلك أربع سنين ؛ من ذلك فى زمن أنوشىروان ثمانية أشهر ، وفى زمن هرمز بن أنوشىروان ثلاث سنين وأربعة أشهر .

ثم ولى بعد قابوس بن المنذر السُّهْرَب .

ثم ولى بعده المنذر أبو النعمان أربع سنين .

ثم ولى بعده النعمان بن المنذر أبو قابوس اثنتين وعشرين سنة ، من ذلك زمن هرمز بن أنوشىروان سبع سنين وثمانية أشهر ، وفى زمن كسرى أبرويز ابن هرمز أربع عشرة سنة وأربعة أشهر .

ثم ولى إياس بن قبيصة الطائى ومعه النّخِيجان ، تسع سنين فى زمن كسرى ابن هرمز . ولِسنة وثمانية أشهر من ولاية إياس بن قبيصة بُعِثَ النَّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما زعم هشام بن محمد .

ثم استخلف آزاديه بن ماهان^(١) بن مِهْر بُشْدَاذ الهمداني سبع عشرة سنة ، من ذلك فى زمن كسرى بن هرمز أربع عشرة سنة وثمانية أشهر ، وفى زمن شىرويه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفى زمن أردشير بن شىرويه سنة وسبعة أشهر ١٠٣٩/١ ، وفى زمن بوران دُخِثَ بنت كسرى شهراً .

ثم ولى المنذر بن النعمان بن المنذر — وهو الذى تسمّيه العرب الغرور ، الذى قتل بالبحرين يوم جُوْاثى ، إلى أن قدم خالد بن الوليد الحيرة — ثمانية أشهر .

فكان آخر مَنْ بَقِيَ من آل نصر بن ربيعة ، فانقرض أمرهم مع زوال ملك فارس .

فجميع ملوك آل نصر — فيما زعم هشام — ومن استخلف من العبيد والفرس عشرون ملكاً . قال : وعدة ما ملكوا خمسمائة سنة واثنان وعشرون سنة وثمانية أشهر

* * *

رجع الحديث إلى ذكر المرزبان وولايته اليمن ، من قبيل هرْمَز وابنه أبرويز ، ومن وليها بعده :

حدثت عن هشام بن محمد ، قال : عزل هرمز بن كسرى وبن (١) عن اليمن ، واستعمل مكانه المروزيان ، فأقام باليمن ، حتى ولد له بها ، وبلغ ولده . ثم إن أهل جبل من جبال اليمن يقال له المصانع (٢) خالفوه ، وامتنعوا من حمل الخراج إليه — والمصانع جبل طويل ممتنع ، إلى جانبه جبل آخر قريب منه ، بينهما فضاء ليس بالبعيد ، إلا أنه لا يرام ولا يطمع فيه — فسار المروزيان إلى المصانع ، فلما انتهى إليه نظر إلى جبل لا يطمع في دخوله إلا من باب واحد ، يمنع ذلك الباب رجل واحد ؛ فلما رأى أن لا سبيل له إليه ، صعد الجبل الذي يحاذي حصنهم ، فنظر إلى أضيق مكان منه وتحتة هواء ذاهب ، فلم ير شيئاً أقرب إلى افتتاح الحصن من ذلك الموضع ، فأمر أصحابه (٣) أن يصطفوا له صفين ، ثم يصيحوا به صيحة واحدة ، وضرب (٤) قرسه فاستجمع حُضراً (٥) ، ثم رمى به فوثب المضيق ، فإذا هو على رأس الحصن . فلما نظرت إليه حمير وإلى صنيعة قالوا : هذا أيم — والأيم بالحميرية شيطان — فانتهرهم وزبرهم بالفارسية ، وأمرهم أن يكتب بعضهم بعضاً ، فاستنزهم من حصنهم ، وقتل طائفة منهم وسبى بعضهم (٦) ، وكتب بالذي كان من أمره إلى كسرى

١٠٤٠/١

(١) ط : « زين » وأثبت ما في التصويبات . (٢) وقال ياقوت : « حصن يقال له المصانع » .

(٣) ت ، ح : « فأنى أصحابه فأمرهم » .

(٤) ط : « ف ضرب » ، وما أثبتته من ت ، ح .

(٥) الحضر : ارتفاع الفرس في عدو .

(٦) ت ، ح : « وسبى طائفة منهم » .

ابن هرمز . فتعجب من صنيعة ، وكتب إليه : أن استخلف من شئت ، وأقبل إلى .

قال : وكان للمروزان ابنان : أحدهما تعجبه العربية ، ويروى الشعر ؛ يقال له خُسرٌ خُسرة ، والآخر أسوارٌ يتكلم بالفارسية ، ويتدهقن ، فاستخلف المروزان ابنه خُسرٌ خُسرة — وكان أحب ولده إليه — على اليمن ، وسار حتى إذا كان في بعض بلاد العرب هلك ، فوضع في تابوت ، وحمل حتى قدم به على كسرى ، فأمر بذلك التابوت فوضع في خزانته ، وكتب عليه في هذا التابوت : فلان الذي صنع كذا وكذا ، قصته في الجبلين . ثم بلغ كسرى تعرب خُسر خُسرة وروايته الشعر ، وتأدبه بأدب العرب ، فعزله ، وولى باذان ، وهو آخر من قدم اليمن من ولادة العجم .

وكان كسرى قد طغى لكثرة ما قد جمع من الأموال وأنواع الجواهر والأمتعة ١٠٤١/١ والكراع وافتتح من بلاد العدو ، وساعده من الأمور ، ورزق من مؤناته ، وبطير^(١) ، وشبه غيرها فاسداً ، وحسد الناس على ما في أيديهم من الأموال ، فولى جباية البقايا عِلجاً من أهل قرية تدعى خندق من طسوج بهر سير ؛ يقال له : فخرخزاذ بن سُمي ، فسام الناس سوء العذاب ، وظلمهم واعتدى عليهم ، وغصبهم أموالهم في غير حله ، بسبب بقايا الخراج ، واستفسدهم بذلك ، وضيق عليهم المعاش ، وبغض إليهم كسرى ومملكه .

وحدثت عن هشام بن محمد ، أنه قال : كان أبرويز كسرى هذا قد جمع من الأموال ما لم يجمع أحد من الملوك ، وبلغت خيله القُسطنطينية وإفريقية ، وكان يشترى بالمئات ، ويتصيف ما بينها وبين همذان ، وكان يقال : إنه كانت له اثنتا عشرة ألف امرأة وجارية ، وألف فيل إلا واحداً ، وخمسون ألف دابة بين فرس وبرذون وبغل ، وكان أرغب الناس في الجواهر والأواني وغير ذلك .

وأما غير هشام فإنه قال : كان [له]^(٢) في قصره ثلاثة آلاف امرأة يطوحن ،

(١) ث ، ح : « ويطر وأشر » .

(٢) من ر ، ل .

وألوف جوارٍ اتخذهنَّ للخدمة والغناء وغير ذلك ، وثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته ، وكانت له ثمانية آلاف وخمسمائة دابةٍ لمركبه ، وسبعمائة وستون فيلاً ، واثنان عشر ألف بغلٍ لثَقْلَيْهِ ، وأمر فُبُنَيْتُ بيوت النيران ، وأقام فيها اثني عشر ألف هِرَبْدَ للزَمْزَمَةِ . وإنه أمر أن يحصى ما اجتبي من خراج بلاده وتوابعه وسائر أبواب المال ، سنة ثمانى عشرة من ملكه ، فرفع إليه أن الذى اجتبى في تلك السنة من الخراج وسائر أبوابه من الورق أربعمائة ألف ألف مثقال وعشرون ألف ألف مثقال ؛ يكون ذلك وزن سبعة ، ستمائة ألف ألف درهم ، وأمر فحول إلى بيت مالِ بنى بمدينة طَيْسَبُون^(١) ، وسماه بهار حفرد خسرو ، وأموال له أخرى من ضرب فيروز بن يَزْدَجَرْد وقباز بن فيروز ، اثنا عشر ألف بدرة ، في كل بدرة منها من الورق أربعة آلاف مثقال ، يكون جميع ذلك ثمانية وأربعين ألف ألف مثقال ، وهو وزن سبعة ، ثمانية وستون ألف ألف وخمسمائة ألف وأحد وسبعون ألفاً وأربعمائة وعشرون درهماً ونصف وثلاث ثمن درهم ، في أنواع لا يحصى مبلغها إلا الله ، من الجواهر والكُستى وغير ذلك .

وإن كسرى احتقر الناس ، واستخفَّ بما لا يستخفَّ به الملك الرشيد الحازم ، وبلغ من عتوه وجبرأته على الله^(٢) أنه أمر رجلاً كان على حرس بابهِ الخاصِّ - يقال له : زاذان فروخ - أن يقتل كل مقيّد في سجن من سجنه ، فأحصوا ، فبلغوا ستة وثلاثين ألفاً ، فلم يقدم زاذان فروخ على قتلهم ، وتقدم لتأخير ما أمر به كسرى فيهم ، لعل أعداءها له ، فكسب كسرى عداوة أهل مملكته من غير وجه ؛ أحد ذلك احتقاره إياهم ، وتصغيره عظماءهم . والثاني تسلطُ العِلمِج فرخان زاد بن سمى عليهم ، والثالث أمره بقتل مَنْ كان في السجن ، والرابع إجماعه على قتل القتل الذين انصرفوا إليه من قبل هِرَقْل والروم ؛ فضى ناس من العظماء إلى عَقْر بابل ، وفيه شيرى بن أبرويز مع إخوته بها ، قد وكل بهم مؤدبون يؤدبونهم ، وأساوره يحولون

(١) ل ، ح : « طيستون » ر : « طيسور » .

(٢) ت ، ح : « عتوه على الله عز وجل وجبرأته عليه » .

بينهم وبين براح ذلك الموضع ، فأقبلوا به ، ودخل مدينة بهرَسير ليلاً ، فخلّى عمّن كان في سجونها ، وخرج مَن كان فيها ، واجتمع إليه الفلّ الذين كان كسرى أجمع على قتلهم ، فنادوا قباذ شاهنشاه ، وصاروا حين أصبحوا إلى رحبة كسرى ، فهرب مَن كان في قصره من حرسه ، وانحاز كسرى بنفسه إلى باغ له قريب من قصره ، ويدعى باغ الهيندوان فاراً مرعوباً ، وطُلب فأخذ ماه آذر وروز آذر^(١) ، وحبس في دار المملكة ، ودخل شيرويه دار الملك ، واجتمع إليه الوجوه ، فلتكوه وأرسل إلى أبيه يقرّعه بما كان منه .

وحدّث عن هشام بن محمد ، قال : وُلد لكسرى أبرويز ثمانية عشر ولداً ذكراً ، أكبرهم شهريار ، وكانت شيرين تبنّته ، فقال المنجمون لكسرى : إنّه سيولد لبعض ولدك غلام ؛ ويكون خراب هذا المجلس وذهاب هذا الملك على يديه ، وعلامته نقص في بعض بدنه ، فحُصِر ولده لذلك عن النساء ، فكتوا حينئذ لا يصلون إلى امرأة ، حتى شكوا ذلك شهريار إلى شيرين ، وبعث إليها يشكو الشَّبَق ، ويسألها أن تدخّل عليه امرأة وإلا قتل نفسه ؛ فأرسلت إليه : إنني لا أصل إلى إدخال النساء عليك إلا أن تكون امرأة لا يؤوبه لها ، ولا يحمل بك أن تمسّها ، فقال لها : لست^(٢) أبالي ما كانت ، بعد أن تكون امرأة . فأرسلت إليه بجارية كانت تحجمها ، وكانت — فيما يزعمون — من بنات أشرافهم ؛ إلا أن شيرين كانت غضبت عليها في بعض الأمور ، فأسلمتها في الحجّامين ؛ فلما أدخلتها على شهريار وثب عليها ، فحملت بيزدجيرد ، فأمرت بها شيرين فقُصِرت^(٣) حتى ولدت ، وكتمت أمر الولد خمس سنين . ثم إنّها رأت من كسرى رقة للصبيان حين كبر ، فقالت له : هل يسرك أيّها الملك أن ترى ولداً لبعض بنيك على ما كان في ذلك من المكروه ؟ فقال : لا أبالي . فأمرت بيزدجيرد فطُيَّب وحلّي ، وأدخلته عليه ، وقالت : هذا يزّدجيرد بن شهريار ، فدعا به فأجلسه في

(١) المعنى فيما يظهر أنه أخذ في شهر الربيع ويوم الربيع .

(٢) ت ، ح : « إني لست » . (٣) قصرت : حبست .

حِجْرُهُ ، وَقَبْلَهُ وَعُطِفَ عَلَيْهِ ، وَأُحِبَّهُ ^(١) حُبًّا شَدِيدًا ، وَجَعَلَ يَبَيْتَهُ مَعَهُ ؛
فَبَيْنَا هُوَ يَلْعَبُ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ إِذْ ذَكَرَ مَا قَبِلَ [فِيهِ] ^(٢) ، فَدَعَا بِهِ فَعَرَّاهُ مِنْ
ثِيَابِهِ ، وَاسْتَقْبَلَهُ وَاسْتَدْبَرَهُ ، فَاسْتَبَانَ النِّقْصَ فِي أَحَدِ وَرَكَيْتَيْهِ ، فَاسْتَشَاظَ غَضَبًا
وَأُسْفًا ، وَاحْتَمَلَهُ ^(٣) لِيَجْلِدَ بِهِ الْأَرْضَ ، فَتَعَلَّقَتْ بِهِ شَرِيرِينَ ، وَنَاشَدَتْهُ اللَّهُ
أَلَّا يَقْتُلَهُ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهُ إِنْ يَكُنْ أَمْرٌ قَدْ حَضَرَ فِي هَذَا الْمَلِكِ فَلَيْسَ لَهُ مَرَدٌّ .
قَالَ : إِنْ هَذَا الْمَشْتُومُ ؛ الَّذِي ^(٤) أَخْبِرْتُ عَنْهُ ، فَأُخْرِجِيهِ فَلَا أَنْظُرَ إِلَيْهِ . فَأَمَرَتْ
بِهِ فَحَمِلَ إِلَى سِجِّسْتَانَ .

وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ كَانَ بِالسَّوَادِ عِنْدَ ظُورَتِهِ فِي قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا خُصْمَانِيَّةٌ .
وَوُثِّتَ فَارِسٌ عَلَى كِسْرَى فَقَتَلْتَهُ ، وَسَاعَدَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ابْنُهُ شِيْرُوِيَهْ بْنُ مَرْيَمَ
الرُّومِيَّةَ .

وَكَانَ مَلِكُهُ ثَمَانِيًّا وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَلَمْضَى اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرَ
وَخَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ مَلِكِهِ هَاجِرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ .

* * *

[ذَكَرَ مَلِكَ شِيْرُوِيَهْ بْنِ أَبْرُوِيَز]

ثُمَّ مَلَكَ مِنْ بَعْدِهِ ابْنُهُ شِيْرُوِيَهْ ، وَاسْمُهُ قَبَاذُ بْنُ أَبَرْئِيزَ بْنِ هُرْمُزَ بْنِ كِسْرَى
أَنُوشِروَانَ . فَذُكِرَ أَنَّ شِيْرُوِيَهْ لَمَّا مَلَكَ دَخَلَ عِظَمَاءُ الْفَرَسِ عَلَيْهِ بَعْدَ حَبْسِهِ ^(٥)
أَبَاهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَنَا مَلِكًا اِثْنَانِ ، فِيمَا أَنْ تَقْتُلَ كِسْرَى
وَنَحْنُ خَوَلُّكَ الْبَاخِعُونَ لَكَ بِالطَّاعَةِ ، وَإِمَّا أَنْ نَخْلَعَكَ وَنُعْطِيَهُ الطَّاعَةَ عَلَى مَا لَمْ
نَزَلْ نَعْطِيهِ قَبْلَ أَنْ تَمْلِكَ . فَهَدَّتْ هَذِهِ الْمَقَالَةَ شِيْرُوِيَهْ وَكَسَرْتَهُ ، وَأَمَرَ بِتَحْوِيلِ
كِسْرَى مِنْ دَارِ الْمَمْلَكَةِ إِلَى دَارِ رَجُلٍ يُقَالُ لَهُ مَارَسَفَنْدُ . فَحَمِلَ كِسْرَى عَلَى

(٢) تَكَلَّمَ مِنْ ر ، وَفِي ت ، ح : « لَه » .

(٤) ت ، ح : « وَهُوَ الَّذِي أَخْبَرْتُ عَنْهُ » .

(١) ت ، ح : « فَأُحِبُّهُ » .

(٣) ت ، ح : « فَاحْتَمَلَهُ » .

(٥) ت ، ح : « خَلَّمَهُ » .

برذون ، وقُنِعَ رأسه ، وسير به إلى تلك الدار ، ومعه ناس من الجند ، فمروا به في مسيرهم^(١) على إسكاف جالس في حانوت شارع على الطريق ، فلما بَصُرَ بفرسان من الجند معهم فارس مقنّع ، عرف أن المقنّع كسرى ، فحذّقه بقالب ، فعطف إليه^(٢) رجلٌ ممّن كان مع كسرى من الجند ، فاخترط سيفه فضرب عتقَ الإسكاف ، ثم لحق بأصحابه .

فلما صار كسرى في دار مَارَسَفَنَد جمع شيوخه ممّن كان بالبواب من العظماء وأهل البيوتات ، فقال : إنّنا قد رأينا أن نبدأ بالإرسال إلى الملك أبيّنا بما كان من إساءته في تدبيره ونوقفه على أشياء منها ، ثم دعا برجل من أهل أردشير خِزَرَةَ يقال له أسفاذ جِشْنَس ، ولمرتبة رئيس الكتبية ، كان يلي تدبير المملكة ، فقال له : انطلق إلى الملك أبيّنا ، فقل له عن رسالتنا : إنّنا لم نكن للبلية التي أصبحت فيها ولا أحدٌ من رعيّتنا سبباً ، ولكنّ الله قضّاها عليك جزاء منه لك بسببِ أعمالك ؛ منها اجترامك إلى هرمز أبيك وفَتَكك به ، وإزالَتك الملك عنه ، ومملكت عينيّه ، وقتلتك إياه شرّ قِتلة ، وما قارفت في أمره من الإثم العظيم . ومنها سوء صنيعك إلينا معشر أبنائك في حَظْرِكَ علينا مِثافنة^(٣) الأخيار ومجالستهم ، وكلّ أمر يكون لنا فيه دَعَة وسرور وغبطة .

ومنها إساءتك كانت بممّن خلّدت السجون منذ دهر ، حتى شقوا بشدة ١٠٤٧/١ الفقر وضيق المعاش والغربة عن بلادهم وأهاليهم وأولادهم . ومنها سوء نظرك في استخلاصك كان لنفسك من النساء وتركك العطف عليهنّ بمودة منك والصرف لهنّ إلى معاشرّة ممّن كُنّ يَرْزِقنّ منه الولد والنسل ، وجسك إياهنّ قبيلتك مكرهات . ومنها ما أتيت إلى رعيّتك عامّة في اجتبايك إياهم الخراج ، وما انتهكت منهم في غلظتك وفضاظتك عليهم . ومنها جمعك الأموال التي اجتبيتها من الناس في عنف شديد ، واستفساد منك إياهم ، وإدخالك البلاء والمضارّ عليهم فيه . ومنها تجميرك من جَمَرَت^(٤) في ثغور الروم وغيرهم

(١) ل : « في مسيره » .

(٢) ت ، ح : « عليه » .

(٣) قال في اللسان : « ثافت الرجل مِثافنة » ، أي صاحبتّه لا يخفى على شيء من أمره » .

(٤) التجمير : حبس الأمير جنوده في أرض العدو ؛ ولا يأذن لهم في العودة والقفل .

من الجنود ، وتفريقك بينهم وبين أهاليهم . ومنها غدرُك بموريق ، ملك الروم ، وكفرك إنعامه عليك فيما كان من إيوائه إياك ، وحسن بلائه عندك ، ودفعه عنك شرّ عدوك ، وتنويهه باسمك في تزويجه إيتاك أكرم النساء من بناته عليه ، وآثرهنّ عنده ، واستخفافك بحقّه ، وتركك إطلاّبه^(١) ما طلب إليك من ردّ خشية الصليب ، التي لم يكن بك ولا بأهل بلادك إليها حاجة ، علمته^(٢) . فإن كانت لك حجج تُدلى بها عندنا وعند الرعيّة فأدلّ بها ، وإن لم تكن لك حجة ، فتب إلى الله من قريب ، وأنّب إليه حتى نأمر فيك بأمرنا .

فوعى أسفاذ جُشنس رسالة كسرى شيرويه هذه ، وتوجّه من عنده إلى كسرى ليبلّغه إياها ، فلما توجّه إلى الموضع الذي كان حبس فيه كسرى ألفى رجلاً يقال له جلينوس كان قائد الجند قد وكل بحراسة كسرى جالساً ، فتحاورا ساعة ، ثم سأل أسفاذ جشنس جلينوس أن يستأذن له على كسرى ليلقاه ١٠٤٨/١ برسالة من شيرويه ، فرجع جلينوس ورفع السّر الذي كان دون كسرى ، فدخل عليه ، وقال له : عمرك الله ! إن أسفاذ جشنس بالباب ، وذكر أنّ الملك شيرويه أرسله إليك في رسالة^(٣) ، وهو يستأذن عليك ، فأريك في الأمر فيه برأيك ! فتبسّم كسرى وقال مازحاً : يا جلينوس أسفاذان ، كلامك مخالف كلام أهل العقل ، وذلك أنه إن كانت الرسالة التي ذكرت من شيرويه الملك ، فليس لنا مع ملكه إذن ، وإن كان لنا إذن وحجيب فليس شيرويه بملك ؛ ولكن المثل في ذلك كما قيل : يشاء الله الشيء فيكون ، ويأمر الملك بأمر فينفذ . فتأذّن لأسفاذ جشنس يبلّغ الرسالة التي حملها . فلما سمع جلينوس هذه المقالة خرج من عند كسرى ، وأخذ بيد أسفاذ جشنس ، وقال له : قم فادخل إلى كسرى راشداً .

فنهض أسفاذ جشنس ، ودعا بعض من كان معه من خدمه ، ودفع إليه

(١) يقال : أطلبه ؛ إذا أعطاه ما طلب .

(٢) علمته ، أي علمت ذلك الأمر من طلب رد خشية الصليب .

(٣) ت ، ح : « برسالة » .

كساء كان لابسه ، وأخرج من كه ششفة بيضاء نقيّة ، فمسح بها وجهه ، ثم دخل على كسرى ، فلما عاين كسرى ، خرّ له ساجداً ، فأوره كسرى بالانبعاث ، فانبعث وكفّر بين يديه - وكان كسرى جالساً على ثلاثة أنماط [من] ^(١) ديباج خُسْرَوَانِيّ منسوج بذهب ، قد فرشت على بساط من إبريسم ، متكئاً على ثلاث وسائد منسوجة بذهب ، وكان بيده سفّر جلة صفراء شديدة الاستدارة . فلما عاين أسفاذ جشنس ، تربّع جالساً ووضع السفّر جلة التي كانت بيده على تكئاته ، فتدحرجت من أعلى الوسائد الثلاث لشدة استدارتها وامسّاس الوسادة التي كانت عليها ، بامتلاء حشوها إلى أعلى تلك الأنماط الثلاثة ، ومن النمط إلى البساط ، ولم تلتبث على البساط أن تدحرجت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب ، فتناولها أسفاذ جشنس فمسحها بكمّته ، وذهب ليضعها بين يدي كسرى ، فأشار إليه أن ينحنيّ عنها ، وقال له : أعزّبها عني ، فوضعها أسفاذ جشنس عند طرف البساط إلى الأرض ، ثم عاد فقام مقامه ، وكفّر بيده ، فنكس كسرى ، ثم قال متمثلاً : الأمر إذا أدبر فانت الحيلة في الإقبال به ، وإذا أقبل أعيت الحيلة في الإدبار به ، وهذان الأمران متداولان على ذهاب الحيل فيهما ، ثم قال لأسفاذ جشنس : إنّه قد كان من تدحرج هذه السفّر جلة وسقوطها حيث سقطت ، وتلطّخها بالتراب وهو عندنا كالإخبار لنا بما حملت من الرسالة ، وما أنتم عاملون به وعاقبته ، فإن السفّر جلة التي تأويلها الخير ، سقطت من علّو إلى سفّل ، ثم لم تلبث على مفرشنا أن سقطت إلى الأرض ، ووقعت بعيداً متلطّخة بتراب ؛ وذلك منها دليل في حال الطيرة : أنّ مجد الملوك قد صار عند السوّق ^(٢) ؛ وأنّا قد سلّينا الملك ، وأنّه لا يلبث في أيدي عقبنّا أن يصير إلى من ليس من أهل المملكة ، فدونك فتكلّم بما حملت من رسالة ، وزوّدت من الكلام .

فاندفع أسفاذ جشنس في تبليغ الرسالة التي حملته إياها شيرويه ، ولم يغادر ١٠٥٠/١ منها كلمة ، ولم يزها عن نسقها . فقال كسرى في مرجوع تلك الرسالة : بلّغ

(١) من ت ، ح . (٢) السوق : جمع السوق ، وهي من الناس من لم يكن ذا سلطان ، الذكر والأنثى في ذلك سواء .

عَنِّي شِرويه القصير العمر ، أنه لا ينبغي لذي عقل أن يبت من أحد الصغير من الذنب ، ولا اليسير من السيئة إلا بعد تحقق ذلك عنده ، وتيقنه إياه منه ، فضلاً عن عظيم ما بثت ونشرت ^(١) وادّعت منا ، ونسبتنا إليه من الذنوب والجرائم ؛ مع أن أولى الناس بالرد عن ذي ذنب ، وتوبيخ ذي جرمة ^(٢) ، من قد ضبط نفسه عن الذنوب والجرائم ، ولو كنا على ما أضفتنا إليه لم يكن ينبغي أن تنشره وتؤنينا [به] ^(٣) أيها القصير العمر القليل العلم ؛ فإن كنت جاهلاً بما يلزمك من العيوب ببثك منا ما بثت ، ونسبتك إيانا إلى ما نسبت ؛ فاستثبت عيوبك واقتصر في الزرّي علينا ، والعيب لنا على ما لا يزيدك بسوء مقالتك فيه إلا اشتهاً بالجهل ، ونقص الرأي . أيّها العاذب العقل ، العديم العلم ؛ فإنه إن كان لإجهادك نفسك في شهرك إيانا من الذنوب بما يوجب علينا القتل حقيقة ، وكان لك على ذلك برهان ؛ ففضاة أهل ملتك ينفون ولد المستوجب للقتل من أبيه ، وينحونه عن مضامة الأخيار ومجالستهم ، ومخالطتهم إلا في أقلّ المواطن فضلاً عن أن يملك ؛ مع أنه قد بلغ بحمد الله ونعمته من إصلاحنا أنفسنا ونيتنا ١٠٥١/١ فيما بيننا وبين الله وبيننا وبين أهل ملتنا وديننا ، وبيننا وبينك وبين معشر أبنائنا ما ليس لنا في شيء من ذلك تقصير ، ولا علينا فيه من أحد حجة ولا توبيخ ؛ ونحن نشرح الحال فيما ألزمتنا من الذنوب ، وألحقت بنا من الجرائم ؛ عن غير التماس منا لذلك نقصاً فيما أدلينا به من حجة ، أو أتينا عليه من برهان ؛ لترداد علماً بجهالتك وعزوب عقلك ، وسوء صنيعك . أمّا ما ذكرت من أمر أبينا هُرمز ؛ فمن جوابنا فيه أن الأشرار والبلغاة كانوا أغرّوا هُرمزينا حتى اتهمنا واحتمل غيمراً ^(٤) ووغرّأ ورأيا من أزواره عنا ، وسوء رأيه فينا ، ما تخوفنا ناحيته ، فاعتزلنا بابه لإشفاقنا منه ، ولحقنا بأذربيجان ، وقد استفاض ، فانتهك من الملك ما انتهك . فلما انتهى إلينا خبر ما بلغ منه شخصنا من أذربيجان إلى بابه ، فهجم علينا المنافق بهرام في جنود عظيمة من العصاة

(١) ت ، ر : « فست » .

(٢) ت ، ح : « جرمة » .

(٣) من ت ، ح .

(٤) الفمر ، بالكسر : الفل والحقد .

المستوحبة القتل ، مارقًا من الطاعة ، فأجلانا عن موضع المملكة فلحقنا ببلاد الروم ، فأقبلنا منها بالجنود والعُدَّة ، وحاربناه فهرب منا ، وصار من أمره في بلاد الترك من الهلكة والبوار إلى ما قد اشتهر في الناس ؛ حتى إذا صفا لنا الملك ، واستحكم لنا أمره ، ودفعنا بعون الله عن رعيّتنا البلاء والآفات التي كانوا أشفوا عليها ، قلنا : إن من خير ما نحن بادئون به في سياستنا ، ومفتتحون به مملكتنا الانتقام لأبينا ، والثأر به والقتل لكل من شرك في دمه ؛ فإذا أحكمنا ما نوبنا من ذلك ، وبلغنا منه ما نريد تفرغنا لغيره من تدبير الملك ، فقتلنا كل من شرك في دمه ، وسعى فيه ومالاً عليه .

وأما ما ذكرت من أمر أبنائنا ، فن جوابنا أنه ليس من ولد ولدناه — ما خلا من استأثر الله به منهم — إلاّ صحيحة أعضاء جسده ؛ غير أننا وكلنا بالحراسة لكم ، وكفّكم عن الانتشار فيما لا يعينكم إرادة كفّ ما نتخوف من ضرركم على البلاد والرعيّة . ثم كنا أقمنا من النفقات الواسعة في كسوتكم ومراكبكم وجميع ما تحتاجون إليه ما قد علمت ، وأما أنت خاصة ، فن قصّتك أن المنجمين كانوا قضوا في كتاب مولدك أنك مثرّب علينا ، أو يكون ذلك بسببك ؛ فلم نأمر بقتلك ؛ ولكن ختمنا على كتاب قضية مولدك ، ودفعناه إلى شيرين صاحبنا . ومع ثقتنا بتلك القضية وجدنا فرميشاملك الهند كتب إلينا في سنة ست وثلاثين من مملكتنا ، وقد أوفدهم إلينا ، فكتب في أمور شتى ، وأهدى لنا ولكم — معشر^(١) أبنائنا — هدايا ، وكتب إلى كل واحد منكم كتاباً ، وكانت هديته لك — فاذا كرها — فيلا ، وسيفاً ، وبازياً أبيض ، وديباجة منسوجة بذهب ؛ فلما نظرنا فيما أهدى لكم ، وكتب إليكم وجدته قد وقّع على كتابه إليك بالهنديّة : اكتم ما فيه ، فأمرنا أن يصرف إلى كل واحد منكم ما بعث إليه من هدية أو كتاب ، واحتبسنا كتابه^(٢) إليك لحال التوقيع الذي ١٠٥٣/١ كان عليه ، ودعونا بكاتب هنديّ ، وأمرنا بفضّ خاتم الكتاب وقراءته ، فكان فيه : أبشر وقرّ عيناً ، وانعم بالآ ، فإنك متوجّح ماه آذرروز ديبا ذرسنة

(١) ت ، ل : « معاشر » . (٢) ت ، ح : « كتابك » .

ثمان وثلاثين^(١) من مُلُك كسرى ، ومملُك على ملكه وبِلاده ؛ فوثقنا أنكَ لم تكن لتملك إلّا بهلُكنا وبوارنا ، فلم ننتقصك — بما استقرّ عندنا من ذلك مما كنا أمرنا بإجرائه عليك من الأرزاق والمعاون والصّلات وغير ذلك — شيئاً ؛ فضلاً عن أمرنا بقتلك .

وأما كتاب فرميشا فقد ختمنا عليه بخاتمنا ، واستودعناه شيرين صاحبتنا ؛ وهى فى الأحياء صحيحة العقل والبدن ؛ فإن أحببت أن تأخذَ منها قضية مولدك ، وكتاب فرميشا إليك وتقرأهما لتُكسبك قراءةك إياهما ندامة وثوراً فافعل .

وأما ما ذكرت من حال من خلُد السّجن فمن جوابنا فيه أن الملوك الماضين من لدن جيّ ومُرت إلى أن ملك بيشتناسب ، كانوا يدبّرون ملكهم بالمعدلة ؛ ولم يزالوا من لدن بشتاسب إلى أن ملكنا يدبّرونه بمعدلة ، معها ورع الدين ؛ فسلّ إن كنتَ عديم عقل وعلم وأدب حملةَ الدين — وهم^(٢) أوتاد هذه الملة — عن حال من عصى الملوك وخالفهم ، ونكثَ عهدهم ، والمستوجبين بذنوبهم القتل فيخبروك أنتهم لا يستحقّون أن يُرحموا ويعفَى عنهم . واعلم مع ذلك أنا لم نأمر بالحبس فى سجوننا ، ولا من قد وجب عليه فى القضاء العدل أن يقتل أو تُسمَل^(٣)

عينه ، وتقطع يده ورجله وسائر أعضائه . وكثيراً ما كان الموكّلون بهم وغيرهم من وزرائنا يذكرون استيجابَ من استوجب منهم القتل ، ويقولون : عاجلهم بالقتل قبل أن يحتالوا لأنفسهم حيلةً يقتلونك بها ، فكنّا لحبنا استبقاء النفوس وكراهتنا سفك الدماء نتأثى بهم ، ونكيلهم إلى الله ، ولا نقدم على عقوبتهم بعد الحبس الذى اقتصرنا عليه ؛ إلّا على منعهم أكل اللحم وشرب الشراب ، وشمّ الرياحين ، ولم نَعُدْ فى ذلك ما فى سنن الملة من الحول بين المستوجبين للقتل ، وبين التلذذ والتنعّم بشيء مما منعناهم إياه ؛ وكنا أمرنا لهم من المطعم والمشرب وسائر ما يقيمهم بالذى يُصلحهم فى اقتصاد ، ولم نأمر بالحول بينهم وبين نساءهم والتوالد والتناسل فى حال حبسهم . وقد بلغنا أنك أجمعت على التخلية

(١) نص فارسي ، ومعناه أنك متزوج فى شهر آذر ، فى يوم سعيد ، فى سنة ثمان وثلاثين

من ملك كسرى . (٢) ر : « فهم » . (٣) ت ، ح : « وتسل » .

عن أولئك الدّعار المنافيين المستوجبين للقتل^(١) ، والأمر بهدم محبسهم ، ومتى تُخْلَ عنهم تأثم بالله ربك ، وتسيء إلى نفسك ، وتُخْلِ بدينك وما فيه من الوصايا والسنن التي فيها صرف الرحمة والعفو عن المستوجبين للقتل ، مع أن أعداء الملوك لا يحبّون الملك أبداً ، والعاصين لهم لا يمنحونهم الطاعة . وقد وعظ الحكماء وقالوا : لا تؤخّرْ معاقبة المستوجب العقوبة ؛ فإنّ في تأخيرها مدفعة للعدل ، ومضرة على المملكة في حال التدبير ؛ ولئن نالك بعضُ السرور إن أنت خلّيت عن أولئك الدّعار المنافيين العصاة المستوجبين^(٢) للقتل لتجدن غيبَ ذلك في تدبيرك ، ودخول أعظم المضرة والبليّة على أهل الملة .

١٠٥٥/١

وأما قولك : إنّنا إنما كسبنا وجمعنا وادّخرنا الأموال والأمتعة والبزور^(٣) وغيرها من بلاد مملكتنا بأعنف اجتباء ، وأشدّ إلحاح على رعيّتنا ، وأشدّ ظلم ، لامن بلاد العدو بالمجاهدة لهم والقهر ، عن غلبة منّا إياهم على ما في أيديهم ؛ فمن جوابنا فيه أن من إصابة الجواب في كل كلام يُتكلّم بهل وعنجهيّة ترك الجواب فيه ، ولكن لم ندع — إذ صار ترك الجواب كالإقرار ، وتأت حجتنا فيما غشينا أن نحتج به ، قويّة ، وعذرنا واضحاً — شرح ما سألتنا عنه من ذلك .

اعلم أيّها الجاهل ؛ أنه إنّما يقيم مُلك الملوك بعد الله الأموال والجنود وبخاصّة ملك فارس ، الذي قد اكتنفت بلاده أعداء فاعرة أفواهم لالتقام ما في يديه ، وليس يُقدّر على كفتهم عنها ، وردعهم^(٣) عمّا يريدون من اختلاس ما يرومون اختلاسه منه ؛ إلا بالجنود الكثيفة ، والأسلحة والعدد الكثيرة ؛ ولا سبيل له إلى الكثيف من الجنود والكثير ممّا يحتاج إليه إلا بكثرة الأموال ووفورها ، ولا يستكثر من الأموال ولا يقدر على جمعها لحاجة إن عرضت له إليها إلا بالجد والتشمير في اجتباء هذا الخراج . وما نحن ابتدعنا جمع الأموال ؛ بل اقتدينا في ذلك بأبائنا والماضين من أسلافنا ؛ فإنهم جمعوها كجمعنا إياها ،

(١) ر : « المستوجب للقتل » . ل : « المستوجبين للقتل » .

(٢) البزور : الحبوب الصغار ، أو البقول .

(٣) ح : « وقدعهم » .

وكتروها ووفروها لتكون ظهراً لهم على تقوية جنودهم وإقامة أمورهم ؛ وغير ذلك مما لم يستغنوا عن جمعها له . فأغار على تلك الأموال وعلى جوهر كان في خزانتنا ، الموافق بهرام في عصابة مثله وفتاك مستوجبين للقتل ، فشدّبوها وبذروها وذهبوا بما ذهبوا به منها ، ولم يتركوا في بيوت أموالنا وخزانتنا إلاّ أسلحة من أسلحتنا لم يقدروا على تشذيبها والذهاب بها ، ولم يرغبوا فيها . فلما ارتجعنا بحمد الله مُلْكِنَا ، واستحكمت أمورنا وأذعن لنا الرعيّة بالطاعة ، ودفعنا عنهم البوائق التي كانت حلت بهم ، وجهّنا إلى نواحي بلادنا أَصْبَهَبِذِينَ ، وولّينا دونهم على تلك النواحي فاذوسبائين^(١) ، واستعملنا على ثغورنا مرازمة وولاة كذوي صرامة ومضاء وجلد ، وقوّينا مَنْ وَلّينا من هؤلاء بالكثيف من الجنود ، أئخذ هؤلاء الولاة مَنْ^(٢) كان بإزائهم من الملوك المخالفين لنا والعدوّ . وبلغ من غاراتهم عليهم ، وقتلهم مَنْ قتلوا ، وأسرهم مَنْ أسروا منهم ، من سنة ثلاث عشرة مِنْ مُلْكِنَا ، ما لم يقدر الرجل من أولئك على إطلاع رأسه في حرم بلاده إلاّ بخفير ، أو خائف ، أو بأمان مينا ، فضلاً عن الإغارة على شيء من بلادنا ، والتعاطي^(٣) لشيء مما كرهنا ، ووصل في مدّة هذه السنين إلى بيوت أموالنا وخزانتنا مِمّا غنمنا من بلاد العدو من الذهب والفضة وأنواع الجوهر ، ومن النحاس والفرند والحريز والإستبرق والديباج والكبراع والأسلحة والسبّبي والأسراء ما لم يَخْضَفَ عَظْمٌ خطر ذلك وقدره على العامة ، فلمّا أمرنا في آخر سنة ثلاث عشرة من مُلْكِنَا بنقش سلك حديثه ، لنامر فيستأنف ضرب الورق بها ، وُجد في بيوت أموالنا — على ما رفع إلينا المحصون لما كان فيها من الورق سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جنودنا من الورق — مائتا ألف بدرة ، فيها ثمانمائة ألف ألف مثقال . فلما رأينا أننا قد حصّنا ثغورنا ، وردعنا العدو عنها وعن رعيّتنا ، [وجمعنا مشتّت أمرنا]^(٤) ، وكعّمنا أفواههم الفاغرة كانت للثقام ما في أيديهم ، وبسطنا فيهم الأمن ، وأمّنّا على نواحي

(١) ح : « قاوسائين » ، ر : « فاروسائين » ، ل : « قاوسائين » .

(٢) كذا في ح ، وفي ط : « ما » .

(٣) ل : « أو التعاطي » .

(٤) تكلّة من ح .

بلادنا الأربع ما كان أهلها فيه من البواقي والمغار ، أمرنا باجتباء بقايا السنين ، وما انتهب من بيوت أموالنا من ذهب وفضة ، ومن خزائنا من جوهر أو نحاس ، ورد ذلك كله إلى موضعه ؛ حتى إذا كان في آخر سنة ثلاثين من مملكتنا أمرنا بنقش سكك حديثة ، يضرب عليها الورق ، فوجد في بيوت أموالنا سوى ما أمرنا بعزله من الأموال لأرزاق جندنا ، والأموال التي أحصيت لنا قبل ذلك من الورق أربع مائة ألف بَدْرَة ، يكون ما فيها ألف ألف ألف مثقال وستائة ألف ألف مثقال ؛ وذلك سوى ما زادنا الله إلى تلك الأموال ؛ مما آفاه الله بمنه وطوله علينا من أموال ملوك الروم ، في سفن أقبلت بها إلينا الريح ؛ فمسيناها فتىء الرياح ؛ ولم تزل أموالنا من سنة ثلاثين من ملكنا إلى سنة ثمان وثلاثين من مملكتنا ، التي هي هذه السنة تزداد كثرة ووفوراً ، وبلادنا عمارة ، ورعيتنا أمناً وطمانينة ، ونغورنا وأطرافنا مناعة وحصانة ؛ وقد بلغنا أنك هممت — لرذولة^(١) مروءتك — أن تبذر هذه الأموال وتُتَوِّبها^(٢) ، عن رأى الأشرار العتاة المستوجبين للقتل . ونحن نعلمك أن هذه الكنوز والأموال لم تجمع إلا بعد المخاطرة بالنفوس ؛ وبعد كد وعناء شديد ، لندفع بها العدو المكتنفين لبلاد هذه المملكة ، ١٠٥٨/١ المتقلبين إلى غلبتهم على ما في أيديهم . وإنما يُقَدَّر على كف أولئك العدو في الأزمان والدهور كلها ، بعد عون الله بالأموال والجنود ، ولن تقوى الجنود إلا بالأموال ، ولا يُستفَع بالأموال إلا على كثرتها ووفورها ؛ فلاتهمسن بتفرقة هذه الأموال ، ولا تجسرن عليها ؛ فإنها كهف للملك وبلادك ، وقوة لك على عدوك .

ثم انصرف إسفاذ جشنس إلى شيرويه فقص عليه ما قال له كسرى ، ولم يُسْقِط منه حرفاً ؛ وإن عظماء الفرس عادوا فقالوا لشيرويه : إنه لا يستقيم أن يكون لنا مَلِكٌ ، فيما أن تأمر بقتل كسرى ، ونحن خوأك ، المانحوك الطاعة ، وإما أن نخلعك ونعطيه الطاعة . فهدت شيرويه هذه المقالة وكسرت ، وأمر بقتل كسرى ، فانتدب لقتله رجال كان وترهم كسرى ، فكلما أتاه

(١) الرذل : الدون في المنظر والحال ؛ ويقال : رذل فلان رذالة ورذولة .

(٢) تتوبها : تذهبها .

الرجل منهم شتمه كسرى وزبره . فلم يُقدِّم على قتله أحد ؛ حتى أتاه شابٌ يقال له مِهْرَهْرْمُز بن مَرْدَانِشَاه ليقُتله ، وكان مردانِشاه فاذوسبانا لكسرى على ناحية نيمروز ، وكان من أطوع الناس لكسرى وأنصحهم له ، وإن كسرى سأل قبل أن يخلع بنحو من سنتين منجِّميه وعَافَتَه عن عاقبة أمره ، وأخبروه أن منيته آتية^(١) من قِبَل نيمروز . فاتَّهَم مردانِشاه ، وتَخَوَّف ناحيته لعظم قدره ، وأنه لم يكن في تلك الناحية مَنْ يَعدُّ له في القوة والقدرة . ١٠٥٩/١

فكتب إليه أن يعجِّل القدوم عليه ؛ حتى إذا قدم عليه أجال الرأى في طلب عِلَّة يقتله بها ، فلم يجد عليه عثرة ، وتلذَّث من قتله لما علم من طاعته إِيَّاه ، ونصيحته له ، وتحرَّيه مرضاته . فرأى أن يستبقيه ، ويأمر بقطع يمينه ، ويعوضه منها أموالاً عظيمة يجود له بها ، فبغى عليه من العلل ما قطع يمينه ؛ وإنما كانت تقطع الأيدي والأرجل وتقطع الأعناق في رحبة الملك .

وإن كسرى أرسل يومَ أمر بقطع يده عينا لِيَأْتِيَه بخبر ما يسمع من مردانِشاه ومَنْ بحضرته^(٢) من النظارة ، وإن مردانِشاه لما تمطعت يمينه قبض عليها بشماله ، فقبَّلها ووضعها في حجره ، وجعل يندبها بدمع له دارٌ ويقول : واسمحتاه ! واراميتاه ! واكاتبتاه ! واضاربته ! والاعتباه ! واكريمته ! فانصرف إلى كسرى الرجل الذي كان وجهه عينا عليه ، فأخبره بما رأى وسمع منه ، فرق له كسرى ؛ وندم على إتيانه في أمره ما أتى ، فأرسل إليه مع رجل من العظماء يُعَلِّمُه ندامته على ما كان منه ؛ وأنه لن يسأله شيئا يجد السبيل إلى بذله له إلا أجابه إليه ، وأسعفه به .

فأرسل إلى كسرى مع ذلك الرسول يدعو له ، ويقول : إننى لم أزل أعرف تفضلك على أيها الملك ، وأشكره لك ، وقد تيقنت أن الذى أتيت إلى مع كراحتك إِيَّاه ؛ إنما كان سببه القضاء ؛ ولكننى سائلك أمراً فأعطني من الإيمان على إسعافك إِيَّاي به ما أطمئن إليه ، وليأتينى بيقين حليفك على ذلك رجل من النساك ، فأفرشك إِيَّاه وأبشَّه لك .

(١) ح ، ل : « تأتية » .

(٢) ل : « يحضره » .

فانصرف رسول كسرى إلى كسرى بهذه الرسالة ، فسارع إلى ما سأله مردانشاه، وحلف بالأيمان المغلظة ليحبيته إلى ما هو سائله؛ ما لم تكن مسألته أمراً يوهن ملكه . وأرسل إليه بهذه الرسالة مع رئيس المزمزمين ؛ فأرسل إليه مردانشاه يسأله أن يأمر بضرب عنقه ليمتحن بذلك العار الذى لزمه ، فأمر كسرى فضربت عنقه كراهة منه للعنث ، زعم .

وإن كسرى سأل مِهْرُ هَرَمَز بن مردانشاه، حين دخل عليه عن اسمه ، وعن اسم أبيه ومربته . فأخبره أنه مِهْرُ هَرَمَز بن مردانشاه؛ فاذوسبان نيمروذ، فقال كسرى : أنت ابن رجل شريف كثير الغناء ؛ قد كافأناه على طاعته إيانا ، ونصيحته لنا ، وغنائه عنا بغير ما كان يستحقه ، فشأنك وما أمرت به . فضرب مهر هَرَمَز على حبْل عاتقه بطبرزين كان بيده ضربات فلم يُحِكْ فيه ، ففتش كسرى فوجد قد شدق عضده خَرَزَة لا يُحِكُ السيف فى كل من تعلّقها . فترعت من عضده ، ثم ضربه بعد ذلك مهر هَرَمَز ضربة فهلك منها . وبلغ شيرويه فخرق جيبه وبكى منتحباً ، وأمر بحمل جثته إلى الناووس فحمِلت ، وشيّعها العظماء وأفنّاء الناس .

وأمر فقتل قاتل كسرى ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ؛ وكان قتله ماه آذار وزماه . وقتل شيرويه سبعة عشر أخاً له ذوى أدب وشجاعة ومروءة ، بمشورة وزيره فيروز ، وتحريض ابن ليزدين - والى عشور الآفاق كان لكسرى ، يقال له شمطا - إياه على قتلهم ، فابتلى بالأسقام ولم يلتذ بشيء من لذات الدنيا ، وكان هلاكه بدسكرة المليك ، وكان مشغوماً على آل ساسان؛ فلما قتل إخوته جزع جزعاً شديداً . ويقال : إنه لما كان اليوم الثانى من اليوم الذى قتلهم فيه ، دخلت عليه بوران وآزر ميدخت أخته فأسمعتاه وأغلظتا له ، وقالتا : حمّلك الحرس على مُلْك لا يتم ، على قتل أبيك وجميع إخوانك ، وارتكبت المحارم ! فلما سمع ذلك منهما بكى بكاء شديداً ، ورى بالتّسّاج عن رأسه ، ولم يزل أيامه كلها مهموماً مُدْنِفاً . ويقال : إنه أباد من قدر عليه من أهل بيته ؛ وإن الطاعون فشا فى أيامه حتى هلك الفرس إلا قليلا منهم . وكان ملكه ثمانية أشهر .

[ذكر ملك أردشير بن شيرويه]

ثم ملك أردشير بن شيرويه بن أبرويز بن هرمز بن أنوشروان، وكان طفلاً صغيراً قيل: إنه كان ابن سبع سنين لأنه لم يكن في أهل بيت المملكة محتكاً — فلكته عظماء فارس، وحضنه رجل يقال له مهآذر جُشنس، وكانت مرتبته رياسة أصحاب المائدة، فأحسن سياسة الملوك، فبلغ من إحكامه ذلك ما لم يحسّ معه بحدائث سنّ أردشير. وكان شهر براز بثغر الروم في جُند ضمّهم إليه كسرى، وسمّاهم السعداء، وكان كسرى وشيرويه لا يزالان يكتبان إليه في الأمر بهما، فيستشيرانه فيه؛ فلمّا لم يشاوره عظماء فارس في تملك أردشير، اتّخذ ذلك ذريعة إلى التعتّب والتبغّي عليهم، وبسط يده في القتل، وجعله سبباً للطمع في الملك، والاعتلاء عند ذلك من ضعة العبوديّة^(١) إلى رفعة الملك، واحتقر أردشير لحدائث سنّه واستطال عليهم، وأجمع على دعاء الناس إلى التشاور في الملك. ثم أقبل بعجده وقد عمّد مهآذر جُشنس؛ فحصّن سور مدينة طيسبون وأبوابها، وحول أردشير، ومن بَقِيَ من نسل الملك ونسائهم، وما كان في بيت مال أردشير من ماله وخزائنه وكُراعاه إلى مدينة طيسبون. وكان الذين أقبل فيهم من الجند شهر براز ستة آلاف رجل من جند فارس بثغر الروم، فأناخ إلى جانب مدينة طيسبون، وحاصر منّ فيها وقاتلهم عنها، ونصب الحجانيق عليها فلم يصل إليها. فلما رأى عجزه عن افتتاحها أتاها من قبَل المكيدة، فلم يزل يخدع رجلاً يقال له نيو خُسروا، وكان رئيس حرس أردشير ونامدار جُشنس بن آذر جُشنس؛ أصهبهذ نيمروذ؛ حتى فتحا له باب المدينة فدخلها، فأخذ جماعة من الرؤساء فقتلهم، واستصنى أموالهم، وفضح نساءهم. وقتل ناس بأمر شهر براز أردشير بن شيرويه سنة اثنتين ماه بهمن، ليلة روزآبان في إيوان خُسرو شاه قباد. وكان ملكه سنة وستة أشهر.

* * *

(١) كذا في ح، ل، وفي ط: « العبودة ».

[ذكر مُلْك شهر براز]

ثم مُلْك شَهْرَ بَرَاز ؛ وهو فَرَّخَان ماهِ إِسْفَنْدِيَار ، ولم يكن من أَهْلِ بَيْتِ الْمَمْلَكَةِ ، ودعا نفسه مَلِكًا . وإنه حين جلس على سرير الملك ضرب عليه بطنه ، وبلغ من ١٠٦٣/١ شدة ذلك عليه أنه لم يقدر على إتيان الخلاء ، فدعا بطست فوضع أمام ذلك السرير فتبرّز فيه . وإن رجلا من أهل إِصْطَخَر ، يقال له فسفروخ بن ما خرشيدان وأخوين له ، امتعضوا من قتل شهر براز أردشير وغلّبتة على الملك ، وأنفوا من ذلك ، وتحالفوا وتعاهدوا على قتله ، وكانوا جميعاً في حَرَسِ الملوك ، وكان من السنة إذا ركب الملك أن يقف له حرسه سِماطين ، عليهم الدروع والبيض والثرسى والسيوف ، وبأيديهم الرماح ؛ فإذا حاذى بهم الملك وضع كل رجل منهم نُرْسَه على قَرَبوس سرجه ، ثم وضع جبهته عليه كهيئة السجود . وإن شهر براز ركب بعد أن ملك بأيام فوق فسفروخ وأخواه ؛ قريبا بعضهم من بعض ؛ فلما حاذى بهم شهر براز طعنه فسفروخ ، ثم طعنه أخواه ، وكان ذلك إِسْفَنْدَارْمَذَ ماه ، وروزدي بدین^(١) ، فسقط عن دابته ميّسا ، فشدوا في رجله جبلا وجروه إقبالا وإدباراً ، وساعدهم على قتله رجل من العظماء يقال له زاذان فروخ بن شهر داران ، ورجل يقال له ماهيای ، كان مؤدّب الأساورة ، وكثير من العظماء وأهل البيوتات ، وعاونوهم على قتل رجال فتكوا بأردشير بن شيرويه ، وقتلوا رجالاً من العظماء . وإنهم ملّكوا بوران بنت كسرى . وكان جميع ما ملك شهر براز أربعين يوماً .

* * *

[ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت بوران بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشروان ، فذكر أنها ١٠٦٤/١ قالت يوم ملكت : البرّ أنوي وبالعدل أمر ؛ وصيرت مرتبة شهر براز لفسفروخ ، وقلدته وزارتها ، وأحسنّت السيرة في رعيّتها ، وبسطت العدل فيهم ، وأمرت بضرب الورق ورمّ القناطر والجسور ، ووضعت بقايا بَقِيَّتِ من الخراج على الناس عنهم ، وكتبت إلى الناس عامة كتباً أعلمتهم ما هي عليه من الإحسان

(١) نص فارسي قديم ، ومعناه أن ذلك كان في شهر إِسْفَنْدَارْمَذَ ، وكان في يوم شتاء .

إليهم ، وذكرت حالَ مَنْ هلك من أهل بيت المملكة ؛ وأنها ترجو أن يريهم الله من الرفاهة والاستقامة بمكانها ما يعرفون به أنه ليس ببطش الرجال تُدَوِّخ البلاد ، ولا بياسمهم تستباح العساكر ، ولا بمكايدهم ينال الظفر وتطفأ النواثر ؛ ولكن كل ذلك يكون بالله عز وجل ، وأمرتهم بالطاعة وحضتهم على المناصحة ، وكانت كتبها جماعة لكل ما يحتاج إليه ؛ وإنها ردت خشبة الصليب على ملك الروم مع جاثليق يقال له إيشوعهَب .
وكان ملكها سنة وأربعة أشهر .

* * *

[ذكر ملك جشنسده]

ثم ملك بعدها رجل يقال له : جُشْنَسْنَدِه ، من بني عم أبرويز الأبعدين .
وكان ملكه أقل من شهر .

* * *

[ذكر ملك آرميدخت بنت كسرى أبرويز]

ثم ملكت آرميدخت بنت كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنوشيروان ؛ ويقال إنها كانت من أجمل نساها ؛ وإنها قالت حين مآلت : ١٠٦٥/١
منهاجنا منهاج أبينا كسرى المنصور ، فإن خالفنا أحد هرقنا دمه . ويقال : إنه كان عظيم فارس يومئذ فرخهرمز أصهبذ خراسان ، فأرسل إليها يسألها أن تزوجه نفسها ، فأرسلت إليه : إن التزويج للملكة غير جائز ، وقد علمت أن دهرک فيما ذهبت إليه قضاء حاجتك وشهوتك مني ، فصر إلى ليلة كذا وكذا . ففعل فرخهرمز وركب إليها في تلك الليلة ، وتقدمت آرميدخت إلى صاحب حرسها أن يترصده في الليلة التي تواعدا الالتقاء فيها حتى يقتله . فنفذ صاحب حرسها لأمرها ، وأمرت به فجر برجله ، وطرح في رجة دار المملكة ، فلما أصبحوا وجدوا فرخهرمز قتيلاً ، فأمرت بحثته فغيبت ، وعلم أنه لم يقتل إلا لعظيمة . وكان رستم بن فرخهرمز صاحب يزد جرد الذي وجهه بعد لقتال العرب خليفة أبيه بخراسان ، فلما بلغه الخبر أقبل في جند عظيم حتى نزل المدائن ، وسمل

عيني آزر ميدخت ، وقتلها . وقال بعضهم : بل سُمّت .
وكان ملكها ستة أشهر .

* * *

[كسرى بن مهراجشنس]

ثم أتى برجل من عقيب أردشير بن بابك كان ينزل الأهواز يقال له :
كسرى بن مِهْرَجُشْنَس ، فلتكه العظماء ، ولبس التاج ، وجلس على سرير
الملك ، وقتل بعد أن ملك بأيام .

* * *

[ذكر ملك خرّزا خسروا]

وقيل إن الذي ملك بعد آزر ميدخت خرّزاذ خسروا من ولد أبرويز .
وقيل : إنه وُجد بحصن يعرف بالحجارة بالقرب من نصيبين ، فلما صار إلى ١/١٦٦
المدائن مكث أياماً يسيرة ، ثم استعصوا عليه وخالفوه .

* * *

[ذكر ملك فيروز بن مهراجشنس]

وقال الذين قالوا : ملك بعد آزر ميدخت كسرى بن مهراجشنس : لما قُتِل
كسرى بن مهراجشنس ، طلب عظماء فارس من يملكونه من أهل بيت المملكة ،
فطلبوا من له عنصر من أهل ذلك البيت ولو من قبل النساء ، فأتوا برجل كان
يسكن ميسان ، يقال له فيروز بن مِهْرَانْجُشْنَس ، ويسمى أيضاً جُشْنَسْنَدَه
قد ولدته صهاربُخت بنت يزداندار بن كسرى أنوشروان ، فلتكوه كرهماً .
وكان رجلاً ضخم الرأس ، فلما توجّج قال : ما أضيق هذا التاج !
فتطير العظماء من افتتاحه كلامه بالضيق ؛ وقتلوه بعد أن ملك أياماً .
ومن الناس من يقول : قتل ساعة تكلم بما تكلم به .

* * *

[ذكر ملك فرخزاد خسروا]

وقال قائل هذا القول : ثم شخص رجل من العظماء يقال له زاذى ومرتبته رئيس الخوَل إلى موضع في ناحية المغرب قريب من نصيبين ، يقال له : حصن الحجارة ، فأقبل بابن لكسرى كان نجا إلى ذلك القصر حين قتل شيرويه بنى كسرى يقال له : فرخزاد خسروا إلى مدينة طيسبون ، فانقاد له الناس زمناً يسيراً ، ثم استعصوا عليه وخالفوه ، فقال بعضهم : قتلوه . وكان ملكه ستة أشهر .

* * *

[ذكر ملك يزدجرد بن شهريار]

وقال بعضهم كان أهل إصطخر ظفروا بيزدجرد بن شهريار بن كسرى بإصطخر ، قد هرب به إليها حيث قتل شيرويه لإخوته ، فلما بلغ عظماء أهل إصطخر أن من المدائن خالفوا فرخزاد خسروا ، أتوا بيزدجرد بيت نار يدعى بيت نار أردشير ، فتوجه هنالك ، وملكوه — وكان حدثاً — ثم أقبلوا به إلى المدائن ، وقتلوا فرخزاد خسروا بحيل احتالوها لقتله بعد أن ملك سنة . وساغ الملك ليزدجرد ؛ غير أن ملكه كان عند ملك آبائه كالخيال والحليم ، وكانت العظماء والوزراء يدبرون ملكه لحدائث سنه ، وكان أشدهم نباهة في وزرائه وأذكاهم رئيس الخوَل . وضعف أمر مملكة فارس ، واجترأ عليه أعداؤه من كل وجه ؛ وتطرقوا بلاده وأخربوا منها ، وغزت العرب بلاده بعد أن مضت سنتان من ملكه . وقيل بعد أن مضى أربع سنين من ملكه . وكان عمره كله إلى أن قتل ثمانياً وعشرين سنة .

* * *

وقد بقي من أخبار يزدجرد هذا وولده أخبار ساذكرها إن شاء الله بعد في مواضعها من فتوح المسلمين وما فتحوا من بلاد العجم ، وما آل إليه أمره وأمر ولده . فجميع ما مضى من السنين من لدن أهبط آدم إلى الأرض ، إلى وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم — على ما يقوله أهل الكتاب من اليهود ، وتزعم أنه في التوراة الصورة ^(١) مثبت من أعمار الأنبياء والملوك — أربعة آلاف سنة وستائة

١/١٠٨٦

(١) الصورة ، بدل من التوراة ؛ يريد النسخة المشهورة من التوراة .

سنة واثنان وأربعون سنة وأشهر . وأما على ما تقوله النصارى مما تزعم أنه في توراة اليونانية ؛ فإن ذلك خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وأما جميع ذلك على قول المجوس من الفرس ؛ فإنه أربعة آلاف سنة ومائة سنة واثنان وثمانون سنة وعشرة أشهر وتسعة عشر يوماً ؛ على أنه داخل في ذلك مدة ما بين وقت الهجرة ومقتل يَزْدَجِرد ، وذلك ثلاثون سنة وشهران وخمسة عشر يوماً ؛ وعلى أن حسابهم ذلك وابتداء تأريخهم من عهد جيسومرت ، وجيسومرت هو آدم أبو البشر؛ الذى إليه نسبة كل منسوب من الإنس ، على ما قد بينت في كتابي هذا .

* * *

وأما علماء الإسلام فقد ذكرت قبل ما قال فيه بعضهم ، وأذكر بعض من لم يمحض ذكره منهم الآن ؛ فإنهم قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ؛ والقرن مائة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين آدم ونوح عشرة ١٠٦٩/١ قرون ، كلهم على شريعة من الحق .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر بن واقد الأسلمى ، عن غير واحد من أهل العلم ، قالوا : كان بين آدم ونوح عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون ، والقرن مائة سنة ، وبين إبراهيم وموسى بن عمران عشرة قرون ، والقرن مائة سنة . وروى عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن أبي عوانة ، عن عاصم الأحول ، عن أبي عثمان ، عن سلمان ، قال : الفترة بين محمد وعيسى عليهما السلام ستّمائة سنة .

وروى عن فضيل بن عبد الوهاب ، عن جعفر بن سليمان ، عن عوف ،

قال : كان بين عيسى وموسى ستمائة سنة .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّة ، عن سعيد بن أبي صدقة ، عن محمد بن سيرين ، قال : نبئت أن كعباً قال : إن قوله : ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ ﴾^(١) ليس بهارون أخى موسى ، قال : فقالت له عائشة : كذبت ، قال : يا أمّ المؤمنين ؛ إن كان النبي صلى الله عليه وسلم قال فهو أعلم وأخبر^(٢) ؛ وإلاّ فأنى أجد بينهما ستمائة سنة . قال : فسكتت^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان بين موسى بن عمران وعيسى^(٤) بن مريم ألف سنة وتسعمائة سنة ، ولم يكن بينهما فترة ، وإنه أرسل بينهما ألف نبي من بنى إسرائيل ، سوى من أرسل من غيرهم ، وكان بين ميلاد عيسى والنبي خمسمائة وتسع وستون سنة ، بعث في أولها ثلاثة أنبياء ، وهو قوله : ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾^(٥) ، والذي عزّزه شمعون ، وكان من الحواريين ، وكانت الفترة التي لم يبعث الله فيها رسولاً أربعمائة وأربعاً وثلاثين سنة ، وإن عيسى حين^(٦) رفع كان ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر ، وكانت نبوته ثلاثين شهراً ، وإن الله رفعه بجسده ، وإنه حيّ الآن .

١٠٧٠/١

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة .

حدثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا يحيى بن صالح ، عن الحسن بن أيوب الحضرمي ، قال : حدثنا عبد الله بن بسر ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لتدركنّ قرننا » ، فعاش مائة سنة .

* * *

(١) سورة مريم ٢٨ . (٢) ط : « خير » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (بولاقي) . (٤) ح : « وبين عيسى » .

(٥) سورة يس ١٤ . (٦) ح : « حيث » .

فهذا ما روى عن علماء الإسلام في ذلك، وفي ذلك من قولهم تفاوت شديد ،
وذلك أن الواقدي ، حكى عن جماعة من أهل العلم أنهم قالوا ما ذكرت
عنه أنه رواه عنهم . وعلى ذلك من قوله ، ينبغي أن يكون جميع سني الدنيا إلى
مولد نبينا صلى الله عليه وسلم أربعة آلاف سنة وستمئة سنة ، وعلى قول ابن
عباس الذي رواه هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عنه ؛ ينبغي أن يكون
١٠٧١/١ إلى مولد النبي صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف سنة وخمسمئة سنة .

وأما وهب بن منبه فقد ذكر جملة من قوله من غير تفصيل ، وأن ذلك
إلى زمنه خمسة آلاف سنة وستمئة سنة ، وجميع مدة الدنيا عند وهب ستة
آلاف سنة ، وقد كان مضى عنده من ذلك إلى زمانه خمسة آلاف سنة
وستمئة سنة . وكانت وفاة وهب بن منبه سنة أربع عشرة ومائة من الهجرة ،
فكان الباقي من الدنيا على قول وهب من وقتنا الذي نحن فيه ، مائتا سنة وخميس
عشرة سنة .

وهذا القول الذي قاله وهب بن منبه موافق لما رواه أبو صالح ، عن ابن
عباس .

وقال بعضهم : من وقت هبوط آدم عليه السلام إلى أن بعث نبينا
صلى الله عليه وسلم ستة آلاف سنة ومائة وثلاث عشرة سنة ؛ وذلك أن
عنده من مهبط آدم إلى الأرض إلى الطوفان ، أثنى سنة ومائتي سنة وستاً
 وخمسين سنة ، ومن الطوفان إلى مولد إبراهيم خليل الرحمن ألف سنة وتسعاً
 وسبعين سنة ، ومن مولد إبراهيم إلى خروج موسى ببني إسرائيل من مصر
 خمسمائة سنة وخمساً وستين سنة ، ومن خروج موسى ببني إسرائيل من مصر
 إلى بناء بيت المقدس - وذلك لأربع سنين من ملك سليمان بن داود - ستمئة سنة
 وستاً وثلاثين سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك الإسكندر سبعمئة سنة
 وسبع عشرة سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى مولد عيسى بن مريم عليه السلام
 ثلثمائة سنة وتسعاً وستين سنة ، ومن مولد عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه
 ١٠٧٢/١ وسلم خمسمائة سنة وإحدى وخمسين سنة ، ومن مبعثه إلى هجرته من مكة

إلى المدينة ثلاث عشرة سنة .

وقد حدث بعضهم عن هشام بن محمد الكلبي ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أنه قال : كان من آدم إلى نوح ألفا سنة ومائتا سنة ، ومن نوح إلى إبراهيم ألف سنة ومائة سنة وثلاث وأربعون سنة ، ومن إبراهيم إلى موسى خمسمائة سنة وخمس وسبعون سنة ، ومن موسى إلى داود مائة سنة وتسع وسبعون سنة ، ومن داود إلى عيسى ألف سنة وثلاث وخمسون سنة ، ومن عيسى إلى محمد ستمائة سنة .

وحدث الهيثم بن عدي عن بعض أهل الكتب أنه قال : من آدم إلى الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وخمسون سنة ، ومن الطوفان إلى وفاة إبراهيم ألف سنة وعشرون سنة ، ومن وفاة إبراهيم إلى دخول بني إسرائيل مصر خمس وسبعون سنة ، ومن دخول يعقوب مصر إلى خروج موسى منها أربعمائة سنة وثلاثون سنة ، ومن خروج موسى من مصر إلى بناء بيت المقدس خمسمائة سنة وخمسون سنة ، ومن بناء بيت المقدس إلى ملك بختنصر وخراب بيت المقدس أربعمائة سنة وست وأربعون سنة ، ومن ملك بختنصر إلى ملك الإسكندر أربعمائة سنة وست وثلاثون سنة ، ومن ملك الإسكندر إلى سنة ست ومائتين من الهجرة ألف سنة ومائتان وخمس وأربعون سنة .

ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض أخبار آبائه وأجداده

اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد، وهو ابن عبد الله بن عبد المطلب، وكان عبد الله أبو رسول الله أصغر ولد أبيه، وكان عبد الله والزبير وعبد مناف - وهو أبو طالب - بنو عبد المطلب لأم واحدة، وأمهم جميعاً فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم؛ حدثنا بذلك ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، عن ابن إسحاق.

وحدثت عن هشام بن محمد، عن أبيه، أنه قال: عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله، وأبو طالب - واسمه عبد مناف - والزبير، وعبد الكعبة، وعاتكة، وبرّة، وأميمة، ولد عبد المطلب إخوة؛ أم جميعهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم بن يقظة.

وكان عبد المطلب - فيما حدثني يونس بن عبد الأعلى - قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن قبيصة بن ذؤيب، أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة في أمر إن فعلته، ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها، فجاءت عبد الله بن عمر، فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمر في النذر إلا الوفاء به، فقالت المرأة: أفأنحُرُ ابني؟ قال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم؛ فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك، فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته، فقال: أمر الله بوفاء النذر [والنذر دين] ^(١)، ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم - وقد كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توافى له عشرة رهط، أن ينحُرَ أحدهم، فلما توافى له عشرة، أقرع بينهم. أيهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل، ثم أقرع بينه وبين الإبل، فطارت

القُرعة على المائة من الإبل — فقال ابن عباس للمرأة: فأرى أن تنحري مائة من الإبل مكان ابنك . فبلغ الحديث مروان ، وهو أمير المدينة ، فقال : ما أرى ابن عمرو ولا ابن عباس أصابا الفتيا ؛ إنه لا نذر في معصية الله ، استغفرى الله وتوئى إلى الله ، وتصدقى واعلمى ما استطعت من الخير ؛ فأمّا أن تنحري ابنك فقد نهاك الله عن ذلك . فسُرّ الناس بذلك ، وأعجبهم قول مروان ، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا ، فلم ^(١) يزالوا يفتنون بألا نذر في معصية الله .

* * *

وأما ابن إسحاق ، فإنه قصّ من أمر نذر عبد المطلب هذا قصة ؛ هي أشيع ^(٢) مما في هذا الخبر الذى ذكرناه عن ابن شهاب عن قبيصة بن ذؤيب ؛ وذلك ما حدثنا به ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان عبد المطلب بن هاشم — فيما يذكرون ^(٣) والله أعلم — قد نذر حين لقي من قريش في حفر زمزم ما لقي : لئن وُلد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعه ؛ لينحرن أحدهم لله عند الكعبة ، فلما توافى له ^(٤) بنوه عشرة ، وعرف أنهم سيمنعونه ، جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذى نذر ، ودعاهم إلى الوفاء لله بذلك ، فأطاعوه ، وقالوا : كيف نصنع ؟ قال : يأخذ كل رجل منكم قِدْحًا ، ثم ليكتب فيه اسمه ، ثم اتفوني به . ففعلوا ، ثم أتوه ، فدخل على هُبَل في جوف الكعبة ، وكانت هُبَل أعظم أصنام قريش بمكة ، وكانت على بئر في جوف الكعبة ، وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يُهدى للكعبة ، وكان عند هُبَل سبعة أقدح ^(٥) ، كل قِدْح منها فيه كتاب : قِدْح فيه العقل ^(٦) ، إذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقِداح السبعة ، [فإن خرج العقل فعلى من خرج حمله] ^(٧) ، وقِدْح فيه : «نعم» للأمر إذا أرادوه

١٠٧٥/١

(١) م : « فزالوا » .

(٢) كذا في م ، وفي ح : « أبلغ » .

(٣) ابن هشام : « يزعمون » .

(٤) ساقطة من ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « قِداح سبعة » ، والقِدح ، بالكسر : السهم قبل أن يراش وينصل ، وجمعه قِداح وأقدح .

(٦) العقل هنا : الدية

(٧) تكملة من سيرة ابن هشام .

يضرب به ؛ فإن خرج قِدْح : «نعم» عملوا به ، وقدح فيه «لا» ، فإذا أرادوا أمرا ضربوا به في القِداح ، فإذا خرج ذلك القِدْح لم يفعلوا ذلك الأمر ، وقدح فيه «منكم» ، وقِدْح فيه «ملتصق» ، وقِدْح فيه «من غيركم» ، وقِدْح فيه «المياه» إذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقِداح ، وفيها ذلك القِدْح ، فحينما خرج عملوا به . وكانوا إذا أرادوا أن يختنوا غلامًا ، أو يُنكِحوا مَنكحًا ، أو يدفنوا ميتًا ، أو شكّوا في نسب أحد منهم ذهبوا به إلى هُبُل وبمائة درهم وجزور ، فأعطوها صاحب القِداح الذي يضربها^(١) ، ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ، ثم قالوا : يا لهنا ، هذا ابن فلان ، قد أردنا به كذا وكذا ، فأخرج الحق فيه ؛ ثم يقولون لصاحب القِداح : اضرب ، فيضرب فإن خرج عليه «منكم» كان وسيطًا^(٢) وإن خرج عليه «من غيركم» كان حليفًا ، وإن خرج عليه «ملتصق» كان على منزلة منهم ، لا نسب له ولا حليف ، وإن خرج في شيء سوى هذا مما يعملون به «نعم» عملوا به ، وإن خرج «لا» أخرروه عامتهم ذلك حتى يأتوا به مرة أخرى ، يتتهون في أمورهم إلى ذلك مما خرجت به القِداح — فقال عبد المطلب لصاحب القِداح : اضرب على بنى هؤلاء بقيداحهم هذه ، وأخبره بنذره الذي نذّر ، فأعطى كل رجل منهم قِدْحَه الذي فيه اسمه — وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بنى أبيه ، وكان فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب إليه ، وكان عبد المطلب يرى أن السهم إذا أخطأه فقد أشوى^(٣) ، وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم — فلما أخذ صاحب القِداح القِداح ليضرب بها ، قام عبد المطلب عند هُبُل في جوف الكعبة يدعو الله ، ثم ضرب صاحب القِداح ، فخرج القِدْح على عبد الله ، فأخذ^(٤) عبد المطلب بيده ، وأخذ الشفرة ، ثم أقبل إلى إساف ونائلة — وهما وثنا قريش اللذان تنحرا عندهما ذبايحها — ليذبحه ، فقامت إليه قريش من أنديتها ، فقالوا : ماذا تريد يا عبد المطلب ؟ قال : أذبحه

(١) سيرة ابن هشام : «يضرب بها» .

(٢) الوسيط : خالص النسب .

(٣) يقال : رمى فأشوى ، إذا رمى ولم يصب المقتل .

(٤) سيرة ابن هشام : «فأخذه» .

فَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ وَبَنُوهُ : وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ؛ لَنْ فَعَلْتَ
هَذَا ، لَا يَزَالُ الرَّجُلُ ^(١) يَأْتِي بِابْنِهِ حَتَّى يَذْبِجَهُ ، فَمَا بَقَاءُ النَّاسِ عَلَى هَذَا إِفْقَالٍ
لِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُومٍ — وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنَ أُخْتِ الْقَوْمِ — :
وَاللَّهِ لَا تَذْبِجْهُ أَبَدًا حَتَّى تُعْذِرَ فِيهِ ؛ فَإِنْ كَانَ فِدَاؤُهُ بِأَمْوَالِنَا فَدِينَاهُ . وَقَالَتْ لَهُ قَرِيشُ
وَبَنُوهُ : لَا تَفْعَلْ وَانْطَلِقْ بِهِ إِلَى الْحِجَازِ ، فَإِنَّ بِهِ عَرَافَةَ لَهَا تَابِعٌ ، فَسَلِّمْنَا ،
ثُمَّ أَنْتَ عَلَى رَأْسِ أَمْرِكَ ؛ إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ تَذْبِجَهُ ذَبَحْتَهُ ، وَإِنْ أَمَرْتَنِي بِأَمْرِ
لَكَ وَلَهُ فِيهِ فَرَجٌ قَبِلْتَهُ . ١٠٧٧/١

فَانْطَلَقُوا حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ ، فَوَجَدُوهَا — فِيمَا يَزْعُمُونَ — بِخَيْرٍ ، فَرَكَبُوا إِلَيْهَا
حَتَّى جَاءُوهَا ، فَسَأَلُوهَا ، وَقَصَّ عَلَيْهَا عَبْدُ الْمُطَّلَبِ خَبْرَهُ وَخَبَرَ ابْنِهِ ، وَمَا أَرَادَ
بِهِ ، وَنَذَرَهُ فِيهِ . فَقَالَتْ لَهُمْ : ارْجِعُوا عَنِّي الْيَوْمَ حَتَّى يَأْتِيَنِي تَابِعِي فَأَسْأَلُهُ .
فَرَجَعُوا عَنْهَا ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهَا ، قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ يَدْعُو اللَّهَ . ثُمَّ غَدَوْا
عَلَيْهَا ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، قَدْ جَاءَنِي الْخَبَرُ ، كَمْ الدِّيَّةُ فِيكُمْ ؟ قَالُوا : عَشْرٌ مِنْ
الْإِبِلِ — وَكَانَتْ كَذَلِكَ — قَالَتْ : فَارْجِعُوا إِلَى بِلَادِكُمْ ، ثُمَّ قَرَّبُوا صَاحِبَكُمْ ،
وَقَرَّبُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، ثُمَّ اضْرَبُوا عَلَيْهَا وَعَلَيْهِ بِالْقِدَاحِ ، فَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى
صَاحِبِكُمْ فزِيدُوا فِي الْإِبِلِ ^(٢) حَتَّى يَرْضَى رَبُّكُمْ ، وَإِنْ خَرَجَتْ عَلَى الْإِبِلِ
فَانْحَرُوهَا ، فَقَدْ رَضِيَ رَبُّكُمْ ، وَنَجَا صَاحِبُكُمْ .

فَخَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ ، فَلَمَّا أَجْمَعُوا لَذَلِكَ مِنَ الْأَمْرِ قَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ
يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ قَرَّبُوا عَبْدَ اللَّهِ وَعَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ — وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ
عِنْدَ هُبَيْلٍ يَدْعُو اللَّهَ — فَخَرَجَ الْقِدْحُ ^(٣) عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا ، فَكَانَتْ
الْإِبِلُ عَشْرِينَ ، وَقَامَ عَبْدُ الْمُطَّلَبِ فِي مَكَانِهِ ذَلِكَ يَدْعُو اللَّهَ ، ثُمَّ ضَرَبُوا فَخَرَجَ
السَّهْمُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَزَادُوا عَشْرًا مِنَ الْإِبِلِ ، فَكَانَتْ ثَلَاثِينَ ، ثُمَّ لَمْ يَزَالُوا
يَضْرِبُونَ بِالْقِدَاحِ وَيَخْرُجُ الْقِدْحُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَكَلَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ زَادُوا مِنْ
الْإِبِلِ عَشْرًا ، حَتَّى ضَرَبُوا عَشْرَ مَرَّاتٍ ، وَبَلَغَتْ الْإِبِلُ مِائَةً ، وَعَبْدُ الْمُطَّلَبِ

(١) ح : « لَا يَزَالُ رَجُلٌ مَنَا » .

(٢) ر ، وسيرة ابن هشام : « مِنْ الْإِبِلِ » .

(٣) ح ، ر ، م ، وابن الأثير « فَخَرَجَتْ الْقِدَاحُ » .

قائم يدعو ، ثم ضربوا فخرج القيدُح على الإبل ، فقالت قریش ومن حضر :
 قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب . فزعموا أن عبد المطلب قال : لا والله حتى
 أضرب عليها ثلاث مرات ، فضربوا على الإبل وعلى عبد الله ، وقام عبد المطلب
 يدعو فخرج القيدُح على الإبل ، ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو ، ثم ١٠٧٨/١
 عادوا الثالثة فضربوا^(١) ، فخرج القيدُح على الإبل فنُحررت ، ثم تركت
 لا يُصد عنها إنسان ولا سبع^(٢) .

ثم انصرف عبدُ المطلب آخذاً بيد ابنه عبد الله ، فرّ - فيما يزعمون - على
 امرأة من بني أسد [بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب
 بن لؤي بن غالب بن فهر]^(٣) ، يقال لها : أم قتال^(٤) بنت نوفل بن أسد بن
 عبد العزى ، وهي أخت ورقة بن نوفل بن أسد ، وهي عند الكعبة ، فقالت
 له حين نظرت إلى وجهه : أين تذهب يا عبد الله ؟ قال : مع أبي ، قالت :
 لك عندى مثل الإبل التي نحررت عنك ، وقّع على الآن ، قال : إن معي أبي
 ولا أستطيع خلافه ولا فراقه . فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن
 عبد مناف بن زهرة - وهب يومئذ سيد بني زهرة سنّاً وشرفاً - فزوجه آمنة
 بنت وهب ، وهي يومئذ أفضل امرأة في قریش نسباً وموضعاً ، وهي لبرة
 بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصي ، وبرة لأُم حبيب بنت أسد
 ابن عبد العزى بن قصي ، وأُم حبيب بنت أسد لبرة بنت عوف بن عبيد بن
 عويج بن عدى بن كعب بن لؤي . فزعموا أنه دخل عليها حين ملكها مكانه
 فوقّع عليها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم . ثم خرج من عندها ، حتى
 أتى المرأة التي عرضت عليه ما عرّضت ، فقال لها : مالك لا تعرضين عليّ
 اليوم ما كنتِ عرضتِ عليّ بالأمس ؟ فقالت له : فارقك النور الذي كان
 معلق بالأمس ، فليس لي بك اليوم حاجة . وقد كانت تسمع من أخيها ورقة

١٠٧٩/١

(١) م ، وسيرة ابن هشام : « ثم ضربوا » .

(٢) سيرة ابن هشام : « لا يصد عنها إنسان ولا يمنع » .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ح : « قتال » بتشديد التاء .

ابن نوفل ، وكان قد تنصّر واتّبع الكتب ، حتى أدرك ، فكان فيما طلب من ذلك أنه كائن لهذه الأمة نبي من بني إسماعيل ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أبيه إسحاق بن يسار ؛ أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، وقد عمل في طين له ، وبه آثار من الطين ، فدعاها إلى نفسه ، فأبطأت عليه لما رأت به من آثار الطين ، فخرج من عندها ^(٢) ، فتوضأ وغسل عنه ما كان به من ذلك ، وعمد إلى آمنة فدخل عليها فأصابها ، فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم مرّت بأمّراته تلك ، فقال : هل لك ؟ فقالت : لا ، مررت بى وبين عينيك غرّة ، فدعوتنى فأبيت ، ودخلت على آمنة فذهبت بها . فزعموا أن أمّراته تلك كانت تحدث أنه مرّ بها وبين عينيه مثل غرّة الفرس ، قالت : فدعوته رجاء أن يكون بى ، فأبى على ، ودخل على آمنة بنت وهب فأصابها ، فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ^(٣) .

حدثني علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثنا محمد بن عمار القرشي ، قال : حدثنا الزنجي بن خالد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج عبد المطلب بعبد الله ليزوجه ، مرّ به على كاهنة من خشعم ، يقال لها فاطمة بنت مرّ ، متهودة ^(٤) من أهل تباله ، قد قرأت الكتب ، فرأت في وجهه نوراً ، فقالت له : يا فتى ، هل لك أن تقع على الآن وأعطيك مائة من الإبل ؟ فقال :

أما الحرامُ فالممات دُونَهُ والحِلّ لا حِلّ فأستبينه
* فكيف بالأمر الذى تبغيه ^(٤) * .

١٠٨٠/١

(١) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٠٣ - ١٠٥ .

(٢) كذا في ح سيرة ابن هشام ، وفي ط : « عنها » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٠٥ .

(٤) م : « متهودة » ...

(٤) الرجز في السهيل ١ : ١٠٤ ، وزاد فيه :

* يَنْحِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ * .

ثم قال : أنا مع أبي ولا أقدر أن أفارقه ، ففضى به ، فزوجه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ، فأقام عندها ثلاثاً ثم انصرف . ففر بالخثعمية فدعته نفسه إلى ما دعته إليه ، فقال لها : هل لك فيما كنت أردت ؟ فقالت : يا فتى ، إني والله ما أنا بصاحبة ربية ، ولكنني رأيتُ في وجهك نوراً فأردتُ أن يكون فيّ ، وأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد ، فما صنعتَ بعدى ؟ قال : زوجني أبي آمنة بنت وهب ، فأقمت عندها ثلاثاً ، فأنشأت فاطمة بنت مَرّ تقول ^(١) :

إِنِّي رَأَيْتُ خَيْلَةً لَمَعَتْ فتلألأتُ بحَنَاتِمِ الْقَطْرِ ^(٢)
فَلَمَّأَتْهَا نُوراً يُضِيءُ لَهُ مَا حَوْلَهُ كِبَاضَةٌ الْبَدْرِ ^(٣)
فَرَجَوْتُهَا فَخَرَّ أَبُوهُ بِهِ مَا كُلُّ قَادِحٍ زَنْدِهِ يُورِي ^(٤)
لِلَّهِ مَا زَهْرِيَّةٌ سَلَبْتُ ثَوْبِيكَ مَا اسْتَلَبْتُ وَمَا تَدْرِي ^(٥)

وقالت أيضاً :

بَنِي هَاشِمٍ قَدْ غَادَرَتْ مِنْ أَخِيكُمُ أَمِينَةٌ إِذْ لِلْبَاهِ تَعْتَرِكَانِ ^(١)
كَمَا غَادَرَ الْمَصْبِاحُ عِنْدَ خُمُودِهِ ^(٢) فَتَائِلٌ قَدْ مِثَّتْ لَهُ بِدَهَانِ ^(٣)
وَمَا كُلُّ مَا يَحْوِي الْفَتَى مِنْ تِلَادِهِ لِعَزِيمٍ وَلَا مَا فَاتَهُ لِسَوَانِ
فَأَجْمِلْ إِذَا طَالَبْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ سَيَكْفِيكَهُ جَدَّانِ يَعْتَلِجَانِ

(١) الروض الأنف : ١ : ١٠٥ .

(٢) الخناتم : جمع حنم ، وهو السحاب .

(٣) لمَّأَتْهَا : أبصرتها ، والبيت في اللسان أيضاً : ١ : ١٤٩ ، وفي السهيلي : « يضيء به » .

(٤) السهيلي :

* ورأيتُه شرفاً أبوه به *

(٥) رواية السهيلي :

لِلَّهِ مَا زَهْرِيَّةٌ سَلَبْتُ مِنْكَ الَّذِي اسْتَلَبْتُ وَمَا تَدْرِي !

(٦) أنساب الأشراف : « بعد خبوه » .

(٧) كذا في أنساب الأشراف ، وفي ط : « مبهت » .

سَيَكْفِيكَهُ إِمَّا يَدُهُ مُقْفَعَةٌ وَإِمَّا يَدُهُ مَبْسُوطَةٌ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَلَمَّا حَوَتْ مِنْهُ أَمِينَةٌ مَا حَوَتْ حَوَتْ مِنْهُ فَخَرًا مَا لِذَلِكَ ثَانٌ^(١)

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر قال : حدثنا معمر وغيره ، عن الزهري ، أن عبد الله بن عبد المطلب كان أجملَ رجال قريش ، فذكر لآمنة بنت وهب جمالُه وهيئته ، وقيل لها : هل لك أن تزوجيه ! فتزوجته آمنة بنت وهب ، فدخل بها ، وعلقت برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثه أبوه إلى المدينة في ميرة يحمل لهم تمراً ، فأتت بالمدينة ، فبعث عبد المطلب ابنه الحارث في طلبه حين أبطأ ، فوجده قد مات . قال الواقدي : هذا غلط ، واجتمع عليه عندنا في نكاح عبد الله بن عبد المطلب ما حدثنا به عبد الله بن جعفر الزهري ، عن أم بكر بنت المسور ، أن عبد المطلب جاء بابنه عبد الله ، فخطب على نفسه وعلى ابنه ، فتزوجا في مجلس واحد ، فتزوج عبد المطلب هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة ، وتزوج عبد الله ابن عبد المطلب آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة .

قال الحارث : قال ابن سعد : قال الواقدي : والثبَّت عندنا ، ليس بين أصحابنا فيه اختلاف ، أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقريش ، فنزل بالمدينة وهو مريض ، فأقام بها حتى توفى ، ودفن في دار التابعة — وقيل التابعة — في الدار الصغرى إذا دخلت الدار عن يسارك ، ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف . ١٠٨٢/١

ابن عبد المطلب

وعبد المطلب اسمه شيبه ، سُمِّي بذلك ؛ لأنه فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه : كان في رأسه شيبه .

وقيل له عبد المطلب ؛ وذلك أن أباه هاشماً كان شَخَصَ في تجارة له

(١) انظر أنساب الأشراف ١ : ٨٠ .

إلى الشام ، فسلك طريقَ المدينة إليها ، فلما قدم المدينة نزل - فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وفيما حدثت عن هشام ابن محمد عن أبيه . وفيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن محمد بن عمر ، ودخل حديث بعضهم في بعض ، وبعضهم يزيد على بعض - على عمرو بن زيد بن لبيد الخزرجي ، فرأى ابنته سلمى بنت عمرو - وأمّا ابن حميد فقال في حديثه عن سلمة ، عن ابن إسحاق : سلمى بنت زيد بن عمرو - ابن لبيد بن حرام بن خدّاش بن جندب بن عدّى بن النجار فأعجبه ، فخطبها إلى أبيها عمرو ، فأكحها إياها ، وشرط عليه ألاّ تلد ولداً إلاّ في أهلها ، ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبنى بها ، ثم انصرف راجعاً من الشام ، فبنى بها في أهلها بيثرب ، فحملت منه . ثم ارتحل إلى مكة ١٠٨٣/١ وحملها معه ، فلما أثقلت ردها إلى أهلها ، ومضى إلى الشام فأت بها بغزة ، فولدت له سلمى عبد المطلب ، فكث بيثرب سبع سنين أو ثمان سنين . ثم إن رجلاً من بني الحارث بن عبد مناة مرّ بيثرب ، فإذا غلمان ينتضلون ، فجعل شيبة إذا خَسَقَ^(١) قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء ، فقال له الحارثي : من أنت ؟ قال : أنا شيبة بن هاشم بن عبد مناف . فلما أتى الحارثي مكة ، قال للمطلب وهو جالس في الحجر : يا أبا الحارث ، تعلم أنّي وجدت غلماناً ينتضلون بيثرب ، وفيهم غلام إذا خَسَقَ قال : أنا ابن هاشم ، أنا ابن سيّد البطحاء . فقال المطلب : والله لا أرجع إلى أهلي حتى آتي به ، فقال له الحارثي : هذه ناقتي بالفناء فاركباها ، فجلس المطلب عليها ، فورد يثرب عشاء ، حتى أتى بني عدّى بن النجار ، فإذا غلمان يضربون كرة بين ظهري مجلس ، فعرف ابن أخيه فقال للقوم : أهذا ابن هاشم ؟ قالوا : نعم ، هذا ابن أخيك ، فإن كنت تريد أخذه فالساعة قبل أن تعلم به أمّه ، فإنها إن علمت لم تدعه ، وحلنا بينك وبينه . فدعاه ، فقال : يا بن أخي ، أنا عمك ، وقد أردت الذهاب بك إلى قومك - وأناخ

(١) خسق : أصاب وفتق .

راحلته — فما كذَّب أن جلس على عَجَزِ الناقة، فانطلق به ، ولم تعلم به أمه حتى كان الليل ، فقامت تدعو بحربها على ابنها ، فأخبرت أن عمه ذهب به ، وقدم به المطلب ضحوة ، والناس في مجالسهم ، فجعلوا يقولون : من هذا وراك ؟ ١٠٨٤/١
فيقول : عبد لي ، حتى أدخله منزله على امرأته خديجة بنت سعيد بن سهم ، فقالت : مَنْ هذا ؟ قال : عبد لي ، ثم خرج المطلب حتى أتى الحزورة ، فاشتري حلة فألبسها شيبه ، ثم خرج به حين كان العشي إلى مجلس بني عبد مناف ، فجعل بعد ذلك يطوف في سبلك مكة في تلك الحلة ، فيقال : هذا عبد المطلب ، لقوله : « هذا عبدى » حين سأله قومه ، فقال المطلب : عَرَفْتُ شَيْبَةَ وَالنَّجَّارُ قَدْ جَعَلَتْ أَبْنَاؤُهَا حَوْلَهُ بِالنَّبْلِ تَنْتَضِلُ

وقد حدثني هذا الحديث علي بن حرب الموصلي ، قال : حدثني أبو معن عيسى — من ولد كعب بن مالك — عن محمد بن أبي بكر الأنصاري ، عن مشايخ الأنصار ، قالوا : تزوج هاشم بن عبد مناف امرأة من بني عدى بن النجَّار ، ذات شرف ، تشرط على من خطبها المقام بدار قومها ، فتزوجت بهاشم ، فولدت له شيبه الحمد ، فرُبِّيَ في أخواله مكرماً ، فبينما هويئناضل فتیان الأنصار إذ أصاب خصَّله^(١) ، فقال : أنا ابن هاشم . وسمعه رجل مجتاز ، فلما قدم مكة ، قال لعمه المطلب بن عبد مناف : قد مررت بدار بني قَيْلَةَ ، فرأيت فتًى من صفته ومن صفته . . . يناضل فتیانهم ، فاعتزى إلى أخيك ، وما ينبغي ترك مثله في الغربية : فرحل المطلب حتى ورد المدينة ، فأرادته علي الرحلة ، فقال : ذاك إلى الوالدة . فلم يزل بها حتى أذنت له ، وأقبل به قد أرذفه ، فإذا لقيته اللاقي وقال : مَنْ هذا يا مطلب ؟ قال : عبد لي ، فسمى عبد المطلب . فلما قدم مكة وقفه على ملك أبيه ، وسلمه إليه ، فعرض له نوفل بن عبد مناف في رُكْح^(٢) له ، فاغتصبه إياه ، ففشى عبد المطلب إلى رجال قومه ، فسألم النصرة على عمه ، فقالوا : لسنا بداخلين بينك وبين عمك ، فلما رأى ذلك كتب إلى أخواله يصف لهم حال نوفل ، وكتب في كتابه : أَبْلَغُ بَنَى النَّجَّارِ إِنْ جِئْتَهُمْ أُنَى مِنْهُمْ وَأَبْنَهُمْ وَالْخَمِيسُ

(١) أصاب خصله ، أى غلب ، من قويم : أحرز خصله وأصاب خصله ؛ إذا غلب .

(٢) الركح : فاحية البيت .

رَأَيْتُهُمْ قَوْمًا إِذَا جِئْتَهُمْ هَوُّوا لِقَائِي وَأَحْبَبُوا حَسِيْسَ
فَإِنَّ عَمِّي نَوْفَلًا قَدْ أَمَى إِلَّا الَّتِي يُفْضِي عَلَيْهَا الْحَسِيْسُ

قال : فخرج أبو أسعد بن عدس^(١) النَّجَّارِيَّ في ثمانين راكبًا ، حتى
أتى الأبطح ، وبلغ عبد المطلب ، فخرج يلقاه ، فقال : المنزل يا خال !
فقال : أما حتى ألقى نوفلاً فلا . قال : تركته جالساً في الحجر في مشايخ
قريش ، فأقبل حتى وقف على رأسه ، ثم استل سيفه ، ثم قال : ورب هذه
البنية ؛ لتردن على ابن أختنا رُكحه أو لأملأن منك السيف ، قال : فإنتي
ورب هذه البنية أردت رُكحه . فأشهد عليه من حضر ، ثم قال : المنزل يا بن
أختي ، فأقام عنده ثلاثاً واعتمر ، وأنشأ عبد المطلب يقول :

تَأْتِي مَازِنٌ وَبَنُو عَدِيٍّ وَدِينَارُ بْنُ تَيْمِ اللَّاتِ ضَيْمِي
وَسَادَةُ مَالِكٍ حَتَّى تَنَاهَى وَنَكَبٌ بَعْدُ نَوْفَلٍ عَنْ حَرَمِي
بِهِمْ رَدُّ الْإِلَهِ عَلَى رُكْحِي وَكَانُوا فِي التَّنَسُّبِ دُونَ قَوْمِي^(٢)

وقال في ذلك سَمُرَةُ بْنُ عُمَيْرٍ ، أَبُو عَمْرِو الْكِنَانِيَّ^(٣) :

لَعَنَرِي لِأَخْوَالِ لُشَيْبَةَ قَصْرَةً مِنْ أَعْمَامِهِ دِنْيَا أَبْرُ وَأَوْصَلُ
أَجَابُوا عَلَى بُعْدِ دُعَاءِ ابْنِ أَخِيهِمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا إِذْ جَاوَزَ الْحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عُصْبَةَ خَزْرَجِيَّةٍ تَوَاصَوْا عَلَى بَرٍّ ، وَذُو الْبَرِّ أَفْضَلُ

١٠٨٦/١

قال : فلما رأى ذلك نوفل ، حالف بني عبد شمس كلها على بني هاشم .
قال محمد بن أبي بكر : فحدثت بهذا الحديث موسى بن عيسى ، فقال :
يا بن أبي بكر ، هذا شيء تترويه الأنصار تقرباً إلينا ؛ إذ صير الله الدولة
فينا ! عبد المطلب كان أعز في قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النجار من

(١) م : « على » . (٢) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ : « كانوا في التناصر » .

(٣) أنساب الأشراف ١ : ٧٠ ، ونسبها إلى شمر بن نمر الزاني ، مع اختلاف في الرواية .

المدينة إليه . قلت : أصلح الله الأمير ! قد احتاج إلى نصرهم مَنْ كان خيراً من عبد المطلب . قال : وكان متكئاً فجلس مغضباً ، وقال : مَنْ خير من عبد المطلب ! قلت : محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صدقت ، وعاد إلى مكانه ، وقال لبنيه : اكتبوا هذا الحديث من ابن أبي بكر .

وقد حدثت هذا الحديث في أمر عبد المطلب وعمه نوفل بن عبد مناف ، عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : حدثنا زياد بن عِلَاقَةَ التَّغْلَبِيّ - وكان قد أدرك الجاهليّة - قال : كان سبب بدء الحلف الذي كان بين بني هاشم وخزاعة الذي افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه مكة ، وقال : لتنصب^(١) هذه السحابة بنصر بني كعب ؛ أن نوفل بن عبد مناف - وكان آخر من بقي من بني عبد مناف - ظلم عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف على أركاح له - وهي الساحات - وكانت أم عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارية من الخزرج ، قال : فتَنَصَّفَ عبد المطلب عمه ، فلم ينصفه ، فكتب إلى أخواله :

١٠٨٧/١ يا طُولَ لَيْلِي لأُخْرَانِي وَأُشْفَالِي
يُنْبِي عَدِيًّا وَدِينَارًا وَمَا زَنْهَا
قَدْ كُنْتُ فَيْكُمْ وَلَا أُخْشَى ظُلَامَةَ ذِي
حَتَّى ارْتَحَلْتُ إِلَى قَوْمِي وَأَرْعَجَنِي
وَكُنْتُ مَا كَانَ حَيًّا نَاعِمًا جَذَلًا
فَنَابَ مُطَلِّبٌ فِي قَمَرٍ مُظْلِمَةٍ
أَنْ رَأَى رَجُلًا غَابَتْ عُمُومَتُهُ
أَنْحَى عَلَيْهِ وَلَمْ يَحْفَظْ لَهُ رَحِمًا
فَاسْتَنْفَرُوا وَآمَنُوا ضَيْمَ ابْنِ أَخْتِكُمْ
مَا مِثْلَكُمْ فِي بَنِي قَحْطَانَ قَاطِبَةً

هَلْ مِنْ رَسُولٍ إِلَى النَّجَّارِ أَخُوَالِي !
وَمَالِكًا عِصْمَةً الْجِيرَانِ عَنْ حَالِي
ظَلَمَ عَزِيزًا مُنِيعًا نَاعِمَ الْبَالِ
عَنْ ذَاكَ مُطَلِّبٌ عَمَى بِتَرْحَالِ
أَمْسَى الْعِرْضُنة سَحَابًا لِأَذْيَالِي
وَقَامَ نَوْفَلُ كَى يَعْدُو عَلَى مَالِي
وَغَابَ أَخُوَالُهُ عَنْهُ بِلَا وَالِ
مَا أَمْنَعَ الْمَرْءَ بَيْنَ الْعَمِّ وَالْخَالِ^(٢) !
لَا تَخْذُلُوهُ وَمَا أَنتُمْ بِمُخْذَلِ
حَى لِحَارٍ وَإِنْعَامٍ وَإِفْضَالِ

(١) ح : « لقد تنصت » .

(٢) ح : « ما أنتم » .

أَنْتُمْ لِيَانٌ لِمَنْ لَأَنْتَ عَرِيكَتُهُ سَلِّمْ لَكُمْ وَسَامُ الْأَبْنَخِ الْغَالِي (١)

قال : فقدِم عليه منهم ثمانون راكبًا ، فأناخوا بِفناء الكعبة ، فلما رآهم نوفل بن عبد مناف ، قال لهم : أنعموا صباحًا ! فقالوا له : لا نَعِمْ صباحُك أيها الرجل ! أنصف ابنَ أختِنَا من ظُلامته . قال : أفعلُ بِالحبِّ لكم والكرامة ؛ فردَّ عليه الأركاح وأنصفه .

قال : فانصرفوا عنه إلى بلادهم . قال : فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف ، فدعا عبد المطلب بسر (٢) بن عمرو وورقاء بن فلان ورجالاً من رجالات خزاعة ، فدخلوا الكعبة وكتبوا كتاباً .

وكان إلى عبد المطلب بعد مهلك عمّه المطلب بن عبد مناف ما كان إلى مَنْ قبله من بنى عبد مناف من أمر السَّقَاية والرَّفَادَة ، وشُرْفَ في قومه ، وعَظُمَ فيهم خطره ، فلم يكن يُعدَّل به منهم أحد ، وهو الذي كشف عن زمزم ، بئر إسماعيل بن إبراهيم ، واستخرج ما كان فيها مدفوناً ؛ وذلك غزالان من ذهب ، كانت جرَّهم دفنتهما — فيما ذكر — حين أخرجت من مكة ، وأسيافٌ قلعية ، وأدراع ، فجعل الأسياف باباً للكعبة ، وضرب في الباب الغزالين صفائح من ذهب ، فكان أول ذهب حُلِيَّتِه — فيما قيل — الكعبة . وكانت كُنيَّة عبد المطلب أبا الحارث ، كُنِيَ بذلك لأنَّ الأكبر من ولده المذكور كان اسمه الحارث ، وهو شيبة .

ابن هاشم

واسم هاشم عمرو ؛ وإنما قيل له هاشم ، لأنه أولُ مَنْ هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه ، وله يقول مطرود بن كعب الخزاعي — وقال ابن الكلبي : إنما قاله ابن الزُّبَيْرِي (٣) :

(١) الأبلخ : المتكبر .

(٢) ح : « بشر » .

(٣) أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٩ ، وذكر بعده :

وَهُوَ الَّذِي سَنَّ الرَّحِيلَ لِقَوْمِهِ رِحْلَ الشَّتَاءِ وَرِحْلَةَ الْأَصْيَافِ

١٠٨٩/١ عَمَرُوا الَّذِي هَشَمَ الثَّرِيدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْتَفْتُونَ عِجَافٌ^(١)

ذُكِرَ أَنَّ قَوْمَهُ مِنْ قَرِيشٍ ، كَانَتْ أَصَابَتُهُمْ لَزْبَةٌ وَقَحْطٌ ، فَرَحَلَ إِلَى فِلَسْطِينَ ، فَاشْتَرَى مِنْهَا الدَّقِيقَ ، فَقَدِمَ بِهِ مَكَّةَ ، فَأَمَرَ بِهِ فُخِيزَ لَهُ وَنَحَرَ جُزْؤَ رَأْسِهِ ، ثُمَّ اتَّخَذَ لِقَوْمِهِ مَرَقَةً ثَرِيدَ بِذَلِكَ الْخَبِيزِ .

وَذُكِرَ أَنَّ هَاشِمًا هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الرِّحْلَتَيْنِ لِقَرِيشٍ : رِحْلَةَ الشَّتَاءِ وَالصَّيْفِ .

وَحَدَّثَتْ عَنْ هَاشِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : كَانَ هَاشِمٌ ، وَعَبْدُ شَمْسٍ - وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ عَبْدِ مَنَاةَ ، وَالْمَطْلَبُ - وَكَانَ أَصْغَرَهُمْ - أُمَّهُمْ عَاتِكَةُ بِنْتُ مَرْثَةَ السُّلَيْمِيَّةِ ؛ وَنُفْلٌ - وَأُمُّهُ وَاقِدَةُ - بَنَى عَبْدِ مَنَاةَ ، فَسَادُوا بَعْدَ أَبْنَيْهِمْ جَمِيعًا ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُمُ الْحَبِيرُونَ ، قَالَ : وَلَهُمْ يُقَالُ :

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُحَوَّلُ رَحْلَهُ أَلَّا نَزَلْتَ بِأَلِ عَبْدِ مَنَاةٍ^(٢)

فَكَانُوا أَوَّلَ مَنْ أَخَذَ لِقَرِيشٍ الْعِصَمَ^(٣) ، فَانْتَشَرُوا مِنَ الْحَرَمِ ، أَخَذَ لَهُمْ هَاشِمٌ حَبَلًا مِنْ مَلُوكِ الشَّامِ الرُّومِ وَغَسَّانَ ، وَأَخَذَ لَهُمْ عَبْدُ شَمْسٍ حَبَلًا مِنَ النَّجَاشِيِّ الْأَكْبَرِ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ ، وَأَخَذَ لَهُمْ نُفْلٌ حَبَلًا مِنَ الْأَكَاسِرَةِ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْعِرَاقِ وَأَرْضِ فَارَسَ ، وَأَخَذَ لَهُمُ الْمَطْلَبُ حَبَلًا مِنْ مَلُوكِ حَمِيرَ ، فَاخْتَلَفُوا بِذَلِكَ السَّبَبِ إِلَى الْيَمَنِ ، فَجَبَّرَ اللَّهُ بِهِمْ قَرِيشًا ، فَسَمُّوا الْحَبِيرِينَ .

وَقِيلَ : إِنَّ عَبْدَ شَمْسٍ وَهَاشِمًا تَوَآمَى ، وَإِنَّ أَحَدَهُمَا وَلَدَ قَبْلَ صَاحِبِهِ ، وَلَاصِبَ لَهُ مِلْتَصِقَةٌ بِجَبْهَةِ صَاحِبِهِ ، فَنَحَّيَتْ عَنْهَا فَسَالَ مِنْ ذَلِكَ دَمٌ ، فَتَطَيَّرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقِيلَ : تَكُونُ بَيْنَهُمَا دِمَاءٌ . وَوَلَّى هَاشِمٌ بَعْدَ أَبِيهِ عَبْدَ مَنَاةٍ السَّقَايَةَ وَالرَّفَادَةَ .

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ

١٠٩٠/١

(١) الْمُسْتَفْتُونَ : الَّذِينَ أَصَابَتْهُمْ السَّنَةُ الْمُجْدِبَةُ الشَّدِيدَةُ .

(٢) مِنْ أَيْبَاتِ نَفْيِ أَمَالِي الْمُرْتَضَى ٢ : ٢٦٨ .

(٣) الْعِصَمُ (بِكسر ففتح) . الْحَبَالُ ، وَيُرَادُ بِهَا الْعُيُودُ .

محمد، قال : حدثني معروف بن الحَرْبُوذ المَكِّي ، قال : حدثني رجل من آل عدى بن الحِيار بن عدى بن نوفل بن عبد مناف عن أبيه ، قال : وقال وهب بن عبد قُصَيٍّ في ذلك - يعنى في إطعام هاشم قومه الشريد :

تَحَمَّلَ هَاشِمٌ مَا ضَاقَ عَنْهُ وَأَعْيَا أَنْ يَقُومَ بِهِ ابْنُ بَيْضِ
أَتَاهُمْ بِالْفَرَائِزِ مُتَأَفَاتٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ بِالْبُرِّ النَّفِيسِ
فَأَوْسَعَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ هَاشِمٍ وَشَابَ الْخُبْزَ بِاللَّحْمِ الْغَرِيبِ
فَظَلَّ الْقَوْمُ بَيْنَ مُكَلَّلَاتٍ مِنَ الشَّيْزَى وَحَاثُرَهَا يَفِيفُ

قال : فحسده أمية بن عبد شمس بن عبد مناف - وكان ذا مال - فتكلف أن يصنع صنيع هاشم ، فعجز عنه ، فشمت به ناس من قريش فغضب ، ونال من هاشم ، ودعاه إلى المنافرة ، فكره هاشم ذلك لِسَنِّهِ وَقَدْرِهِ ، ولم تدعه قريش وأحفظوه ، قال : فأبى أنافرك على خمسين ناقة سود الحدق ، تنحرها ببطن مكة ، والجلاء عن مكة عشر سنين . فرضى بذلك أمية ، وجعلا بينهما الكاهن الحِزَاعِيّ ، فنفسر هاشمًا عليه ، فأخذ هاشم الإبل فنحرها وأطعمها مَنْ حضره ، وخرج أمية إلى الشام ، فأقام بها عشر سنين ، فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأمية .

حدثني الحارث قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام ١٠٩١/١ ابن محمد ، قال : أخبرني رجل من بنى كنانة ، يقال له ابن أبي صالح ، ورجل من أهل الرقة مولى لبني أسد ، وكان عالمًا ، قالا : تنافر عبد المطلب ابن هاشم وحرب بن أمية إلى النجاشي الحبشي ، فأبى أن ينفسر^(١) بينهما ، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب ، فقال لحرب : يا أبا عمرو ، أتنافر رجلاً هو أطول منك قامة ، وأعظم منك هامة ، وأوسم منك وسامة ، وأقل منك لامة ، وأكثر منك ولدًا ، وأجزل منك صفدًا ، وأطول منك مدودًا^(٢) . فنفسره عليه . فقال حرب : إن

(١) ينفر بينهما ؛ أى أبى أن يفضل أحدهما على الآخر .

(٢) ر : « مددًا » .

من انتكاث الزمان أن جعلناك حَكَمًا ! فكان أول من مات من ولد عبد مناف ابنه هاشم ، مات بغزة من أرض الشام ، ثم مات عبد شمس بمكة فقُبِرَ بأجباد ، ثم مات نوفل بسلیمان من طريق العراق ، ثم مات المطلب بردمان من أرض اليمن ، وكانت الرقادة والسقاية بعد هاشم إلى أخيه المطلب .

ابن عبد مناف

واسمه المغيرة ، وكان يقال له القمر من جماله وحسنه ، وكان قصي يقول — فيما زعموا — : ولد لي أربعة ، فسميت اثنين بصنمي ، وواحدًا بداري ، وواحدًا بنفسي ؛ وهم عبد مناف وعبد العزى ابنا قصي — وعبد العزى والد أسد — وعبد الدار بن قصي ، وعبد قصي بن قصي — درج ولده — وبرة بنت قصي ؛ أهمهم جميعًا حُبَي بنت حُـلَـيـل بن حُبُـشِـيـة بن سلول بن كعب بن عمرو بن خُزاعة .

وحدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه ، قال : وكان يقال لعبد مناف القمر ، واسمه المغيرة ، وكانت أمه حُبَي دفعتة إلى مناف — وكان أعظم أصنام مكة — تدينًا بذلك ، فغلب عليه عبد مناف ، وهو كما قيل له :

كَانَتْ قُرَيْشٌ بَيْضَةً فَتَغَلَّقَتْ فَالْمَحُ خَالِصَةً لِعَبْدِ مَنَافٍ^(١)

ابن قصي

وقصي اسمه زيد ؛ وإنما قيل له قصي ، لأن أباه كلاب بن مرة كان تزوج أمَّ قصي فاطمة بنت سعد بن سَيْل — واسم سَيْل خير — بن حمالة بن عوف بن غنم بن عامر الجادر ، بن عمرو بن جُعْشَمَة بن يشكر ، من أزد شنوءة حلفاء في بني الدَّيْل ، فولدت لـكـلاب زهرة وزيداً ، فهلك كلاب وزيد صغير ، وقد شبَّ زهرة وكبر ، فقدم ربيعة بن حرام بن ضينة بن عبد بن كبير ابن عُدرة بن سعد بن زيد ، أحد قُضاعة ، فتزوج — فيما حدثنا ابن حميد ،

(١) من أبيات مطرود بن كعب الخزاعي ، أمالي المرتضى ٢ : ٢٦٨ ؛ وهو في اللسان (مح) والمهمل ١ : ٩٤ ، وابن أبي الحديد ٣ : ٤٥٣ ، والعين ٤ : ١٤٠ ، منسوب إلى ابن الزبيري . والمع : صفرة البيض .

قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق . وحدثت عن هشام بن محمد عن أبيه — فاطمة أم زهرة وقصى — وزهرة رجل قد بلغ ، وقصى فطيم أو قريب من ذلك — فاحتملها إلى بلاده من أرض بني عذرة ، من أشراف الشام ، فاحتملت معها قصياً لصغره ، وتخلّف زهرة في قومه ، فولدت فاطمة بنت سعد بن سبيل لربيعة بن حرام رزاح بن ربيعة ، فكان أخاه لأمّه ، وكان لربيعة بن حرام ثلاثة نفر من امرأة أخرى ؛ وهم حنّ بن ربيعة ، ومحمود بن ربيعة ، ١٠٩٣/١ وجلهم بن ربيعة . وشبّ زيد بن حنّ ربيعة ، فسمي زيد قصياً لبعده دأره عن دار قومه ، ولم يبرح زهرة مكة ، فبينا قصي بن كلاب بأرض قضاة لا ينتمى — فيما يزعمون — إلا إلى ربيعة بن حرام ، إذ كان بينه وبين رجل من قضاة شيء — وقد بلغ قصي ، وكان رجلاً شاباً — فأنبه القضاة بالغبّة وقال له : ألاّ تلحق بقومك ونسبك فإنك لست منا ! فرجع قصي إلى أمّه ، وقد وجد في نفسه مما قال له القضاة ، فسألها عمّا قال له ذلك الرجل ، فقالت له : أنت والله يا بنيّ أكرم منه نفساً والداً ، أنت ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة القرشيّ ، وقومك بمكة عند البيت الحرام ، وفيما حوله . فأجمع قصي الخروج إلى قومه والحق بهم ، وكره الغربة بأرض قضاة ، فقالت له أمّه : يا بنيّ لا تعجل بالخروج حتى يدخل عليك الشهر الحرام ، فتخرج في حاج العرب ، فإنّي أخشى عليك أن يُصيبك بعضُ البأس ، فأقام قصي حتى إذا دخل الشهر الحرام ، خرج حاج قضاة ، فخرج فيهم حتى قدِم مكة ، فلما فرغ من الحج أقام بها ، وكان رجلاً جليداً نسيباً ، فخطب إلى حُلَيْل بن حُبُشَيْة الخزاعيّ ابنته حبّياً بنت حُلَيْل ، فعرف حُلَيْل النسب ورغب فيه ، فزوَّجه — وحُلَيْل يومئذ فيما يزعمون — يلي الكعبة وأمر مكة .

فأما ابن إسحاق ، فإنه قال في خبره : فأقام قصي معه — يعني مع حُلَيْل — وولدت له ولده عبد الدار ، وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبد بنى قصي . فلما انتشر ولدّه ، وكثر ماله ، وعظم شرفه هلك حُلَيْل بن حُبُشَيْة ، ١٠٩٤/١ فرأى قصي أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وبنى بكر ، وأنّ قریشاً

قرعة^(١) إسماعيل بن إبراهيم ، وصريح ولده ، فكلّم رجلاً من قريش وبني كنانة ، ودعاهم إلى إخراج خزاعة وبني بكر من مكة ، فلما قبلوا منه ما دعاهم إليه وبإيعوه عليه ، كتب إلى أخيه من أمّه رزاح بن ربيعة بن حرام — وهو ببلاد قومه — يدعوه إلى نصرته ، والقيام معه ، فقام رزاح بن ربيعة في قضاة ، فدعاهم إلى نصر أخيه والخروج معه إليه ، فأجابوه إلى ما دعاهم من ذلك^(٢) .

وقال هشام في خبره : قدّم قصيّ على أخيه زهرة وقومه ، فلم يلبث أن ساد ، وكانت خزاعة بمكة أكثر من بني النضر ، فاستنجد قصيّ أخاه رزاحاً ، وله ثلاثة إخوة من أبيه ، من امرأة أخرى ، فأقبل بهم وبمن أجابه من أحباء قضاة ، ومع قصيّ قومه بنو النضر ، فنفوا خزاعة ، فتزوج قصيّ حبشيّ بنت حلسيل بن حبشيّة من خزاعة ، فولدت له أولاده الأربعة ، وكان حلسيل آخر من وليّ البيت ، فلما ثقل جعل ولاية البيت إلى ابنته حبشيّ ، فقالت : قد علمت أنّي لا أقدر على فتح الباب وإغلاقه ، قال : فإنّي أجعل الفتح والإغلاق إلى رجل يقوم لك به ، فجعله إلى أبي غبشان — وهو سليم بن عمرو بن بوي بن ملسكان بن أفصى — فاشتري قصيّ ولاية البيت منه بزيّ تخمر وبعود^(٣) . فلما رأت ذلك خزاعة كثّروا على قصيّ ، فاستنصر أخاه ، فقاتل خزاعة ، فبلغنا — والله أعلم — أن خزاعة أخذتها العدسة ، حتى كادت تُفسيّهم ، فلما رأت ذلك جلت عن مكة ، فنههم من وهب مسكنه ، ومنهم من باع ، ومنهم من أسكن ، فولّى قصيّ البيت وأمر مكة والحكم بها ، وجمع قبائل قريش ، فأنزلهم أبطح مكة . وكان بعضهم في الشّعاب ورءوس جبال مكة ، فقسّم منازلهم بينهم ، فسمي مُجمّعاً ، وله يقول مطرود — وقيل : إنّ قائله حذافة ابن غانم :

أَبُوكُمْ قُصَيٌّ كَانَ يَدْعَى مُجْمَعًا بِهِ جَمَعَ اللَّهُ الْقَبَائِلَ مِنْ فَهْرٍ

(١) فرعة الجبل : أعلاه ؛ يريد أن قريشاً في الذروة من ولد إسماعيل ، وفي ابن هشام : « قرعة » ، والقرعة : نخبة الشيء وخياره . (٢) سيرة ابن هشام ١ : ٨٤ ، مع اختلاف في الرواية . (٣) العود : المسن من الإبل ، وفي اليعقوبي : « وعود » .

وملّكه قومه عليهم .

وأما ابن إسحاق، فإنه ذكر أن رزاحاً أجاب قصياً إلى ما دعاه إليه من نصرته، وخرج إلى مكة مع إخوته الثلاثة، ومن تبعه لذلك من قضاة في حاج العرب، وهم مجمعون لنصر قصي، والقيام معه، قال: وخزاعة تزعم أن حليل بن حبشية أوصى بذلك قصياً، وأمره به حين انتشر له من ابنته من الأولاد ما انتشر، وقال: أذنت أولي بالكعبة والقيام عليها، وبأمر مكة من خزاعة، فعند ذلك طلب قصي ما طلب^(١).

فلما اجتمع الناس بمكة وخرجوا إلى الموقف، وفرغوا من الحج ونزلوا منى، وقصى مُجمّع لما أجمع له، ومن تبعه من قومه من قريش وبني كنانة ومن معه من قضاة، ولم يبق إلا أن ينفروا للصدر، وكانت صوفة تدفع بالناس من عرفة، وتجزئهم إذا نَفَرُوا من منى؛ إذا كان يوم النَّفَرِ أتوا لرمي الجمار - ورجل من صوفة يرمي للناس؛ لا يرمون حتى يرمى - فكان ذوو الحاجات المستعجلون يأتونه، فيقولون له: قم فارم حتى نرى معك، فيقول: لا والله حتى تَمِيلَ الشمس، فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجيل، يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك؛ ويقولون: ويلك قم فارم! فيأبى عليهم، حتى إذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، هذا الحديث، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد^(٢).

فإذا فرغوا من رمي الجمار، وأرادوا النَّفَر من منى، أخذت صوفة بناحيتي العقب، فحبسوا الناس، وقالوا: أجزى صوفة، فلم يُجز أحد من الناس حتى ينفذوا، فإذا نَفَرَت صوفة ومضت خلّى سبيل الناس، فانطلقوا بعدهم، فلما كان ذلك العام، فعلت ذلك صوفة كما كانت تفعل، قد عرفت ذلك لها العرب، وهو دين في أنفسهم في عهد جرهم وخزاعة وولايتهم، أتاها قصي بن

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٨٤ .

(٢) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ١ : ٨٥ مع اختلاف في الرواية .

كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة، فقالوا: نحن أولى بهذا منكم ، فناكروه فناكروهم ، فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً ، ثم انهزمت صوفة ، وغلبتهم قصي على ما كان بأيديهم من ذلك . وحال بينهم وبينه . قال : وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عن قصي بن كلاب ، وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة ، وأنه سيحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة ، فلما انحازوا عنه باداهم^(١) وأجمع لحربهم ، وثبت معه أخوه رزاح بن ربيعة بمن معه من قومه من قضاعة ، وخرجت لهم خزاعة وبنو بكر وهبوا لحربهم ، والتفوا فاقتتلوا قتالا شديداً ؛ حتى كثرت القتلى من الفريقين جميعاً ، وفشت فيهم الجراحة . ثم إنهم تداعوا إلى الصلح ، إلى أن يحكموا بينهم رجلا من العرب فيما اختلفوا فيه ، ليقضي بينهم ، فحكموا يعمر بن عوف ابن كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، فقضى بينهم بأن قصياً أولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة ، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر موضوع يشدخه^(٢) تحت قدميه ، وأن ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وبني كنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة ، وأن يخلّى بين قصي ابن كلاب وبين الكعبة ومكة ؛ فسمي يعمر بن عوف يومئذ الشّدّاخ ؛ لما شدّخ من الدماء ووضع منها . فولّى قصي البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم إلى مكة ، وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه ، فكان قصي أول ولد كعب ابن لؤي أصاب ملكاً أطاع له به قومه ، فكانت إليه الحجابة والسّاقية والرّفاة والشّدّة واللواء ، فحاز شرف مكة كلّها ، وقطع مكة أرباعاً بين قومه ، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها^(٣) .

١٠٩٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ويزعم الناس أن قريشاً هابت قطع شجر الحرم في منازلهم ، فقطعها قصي بيده ، وأعانوه ، فسمته العرب مجمّعاً لما جمع من أمرها ، وتيمنت بأمره ، فما تُنكح امرأة ولا رجل من قريش إلا في دار قصي بن كلاب ، وما يتشاورون

(١) ر : « ناداهم » .

(٢) يريد أنه أبطل تلك الدماء .

(٣) سيرة ابن هشام : ١ : ٨٧ .

في أمر ينزل بهم إلا في داره، ولا يعقدون لواء الحرب قوم من غيرهم إلا في داره، يعقدها لهم بعض ولده، وما تدرع^(١) جارية إذا بلغت أن تدرع من قريش إلا في داره؛ يشق عليها فيها درعها ثم تدعه، ثم ينطلق بها إلى أهلها؛ فكان أمره في قومه من قريش في حياته وبعد موته كالدائن المتبع، لا يعمل بغيره تيمناً بأمره ومعرفةً بفضله وشرفه، واتخذ قصي لنفسه دار الندوة، وجعل بابها إلى مسجد الكعبة، ففيها كانت قريش تقضي أمورها^(٢).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الملك بن راشد، عن أبيه، قال: سمعت السائب بن خبّاب صاحب المقصورة يحدث أنه سمع رجلاً يحدث عمر بن الخطاب - وهو خليفة - حديث قصي بن كلاب هذا وما جمّع من أمر قومه، وإخراجه خزاعة وبني بكر من مكة، وولايته البيت وأمر مكة؛ فلم يردّد ذلك عليه ولم ينكره.

قال: فأقام قصي بمكة على شرفه ومنزلته في قومه لا ينازع في شيء من أمر مكة؛ إلا أنه قد أقرّ للعرب في شأن حاجتهم ما كانوا عليه؛ وذلك لأنه كان يراه ديسناً في نفسه، لا ينبغي له تغييره، وكانت صوفة على ما كانت عليه، حتى انقرضت صوفة، فصار ذلك من أمرهم إلى آل صفوان بن الحارث ابن شجينة ورائة، وكانت عدوان على ما كانت عليه، وكانت النساء من بني مالك بن كنانة على ما كانوا عليه، ومرة بن عوف على ما كانوا عليه، فلم يزالوا على ذلك حتى قام الإسلام، فهدّم الله به ذلك كله. وابنتي قصي داراً بمكة، وهي دار الندوة، وفيها كانت قريش تقضي أمورها، فلما كبر قصي ورقّ [عظمه]^(٣) - وكان عبد الدار يكرهه، كان أكبر ولده، وكان - فيما يزعمون - ضعيفاً، وكان عبد مناف قد شرف في زمان أبيه، وذهب كلّ مذهب وعبد العزى بن قصي وعبد بن قصي، فقال قصي لعبد الدار فيما يزعمون: أما والله لألحقنك بالقوم، وإن كانوا قد شرفوا عليك؛ لا يدخل ١٠٩٩/١

رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها، ولا يعقد لقريش لواء الحربهم إلا أنت بيدك، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من

(١) أدبرت الجارية: لبست الدرع، ودرع المرأة: قميصها.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٨٧، ٨٨. (٣) من سيرة ابن هشام.

أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمورها إلا في دارك . فأعطاه داره، دار الندوة التي لا تقضى قريش أمراً إلا فيها ، وأعطاه الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة — وكانت الرفادة خرجاً تخرجه قريش في كل موسم من أموالها إلى قصي بن كلاب ، فيصنع به طعاماً للحاج يأكله من لم تكن له سعة ولا زاد ممن يحضر الموسم ؛ وذلك أن قصياً فرضه على قريش ، فقال لهم حين أمرهم به : يا معشر قريش ، إنكم جيران الله وأهل بيته الحرام ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم شرباً وطعاماً أيام هذا الحج ، حتى يصدروا عنكم . ففعلوا فكانوا يُخرجون لذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه إليه ، فيصنعه طعاماً للناس أيام منى ، فجرى ذلك من أمره على قومه في الجاهلية ، حتى قام الإسلام ، ثم جرى في الإسلام إلى يومك هذا ؛ فهو الطعام الذي يصنعه السلطان كل عام بمنى حتى ينتضى الحج^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني من أمر قصي ابن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع إليه ابن إسحاق بن يسار ، عن أبيه ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، قال : سمعته يقول ذلك لرجل من بني عبد الدار ، يقال له نُبَيْه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار . قال الحسن بن محمد : فجعل إليه قصي ما كان بيده من أمر قومه كله ، وكان قصي لا يخالف ولا يُرد عليه شيء صنعه . ١١٠٠/١
ثم إن قصياً هلك ، فأقام أمره في قومه من بعده بنوه .

ابن كلاب

وأمّ كلاب — فيما ذكر — هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة . وله أخوان من أبيه من غير أمّه ، وهما تميم وبقظة ، أمّهما — فيما قال هشام بن الكلبي — أسماء بنت عدى بن حارثة ابن عمرو بن عامر بن بارق .

وأما ابن إسحاق فإنه قال : أمّهما هند بنت حارثة البارقية . قال ويقال : بل يقظة لهند بنت سرير ، أمّ كلاب .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٨٩ .

ابن مرة

وأم مرة وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، وأخواه لأبيه وأمه عدى وهصيص . وقيل إن أم هؤلاء الثلاثة محشية . وقيل : إن أم مرة وهصيص محشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ، وأم عدى رقاش بنت ركبثة بن نائلة بن كعب بن حرب بن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس بن عيلان .

ابن كعب

وأم كعب ماوية — فيما قال ابن إسحاق وابن الكلبي — وماوية بنت كعب ابن القين بن جسر بن شنيع الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حائل بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وله أخوان من أبيه وأمه : أحدهما يقال له ١١٠١/١ عامر ، والآخر سامة ، وهم بنو ناجية ، ولهم من أبيهم أخ قد انضم ولده إلى غطفان ولحقوا بهم ، كان يقال له : عوف ، أمه الباردة بنت عوف بن غنم بن عبد الله بن غطفان .

ذكر أن الباردة لما مات لؤي بن غالب خرجت بابنها عوف إلى قومها ، فتزوجها سعد بن ذبيان بن بغيض ، فتبنت عوفاً ، وفيه يقول — فيما ذكر — فزارة بن ذبيان :

عَرَّجَ عَلَى ابْنِ لُؤْيٍ جَمَلَكُ يَتَرُكُ الْقَوْمَ وَلَا مَنَزِلَ لَكَ

ولكعب أخوان آخران أيضاً من أبيه من غير أمه ، أحدهما خزيمه ، وهو عائذة قريش ، وعائذة أمه ، وهي عائذة بنت الحيمس بن قحافة ، من خثعم ، والآخر سعد . ويقال لهم بئانة ، وبئانة أمهم ، فأهل البادية منهم اليوم — فيما ذكر — في بني أسعد^(١) بن همام ، في بني شيبان بن ثعلبة ، وأهل الحاضرة ينتمون إلى قريش .

(١) ر : « أسد » .

ابن لؤى

وأم لؤى - فيما قال هشام - عاتكة بنت يسخلد بن النضر بن كنانة، وهي أولى^(١) العواتك اللائي ولدن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش، وله أخوان من أبيه وأمه، يقال لأحدهما : تيسم، وهو الذى كان يقال له تيسم الأذرم - والد رَم نقصان فى الذَّقْن ؛ قيل إنه كان ناقص اللّحي - وقيس ، قيل : لم يبق من قيس أخى لؤى أحد ، وإن آخر مَنْ كان بقى منهم رجل هلك فى زمان خالد بن عبد الله القسرى، فبقى ميراثه ، لا يدري مَنْ يستحقّه . وقد قيل : إن أم لؤى وإخوته سلمى بنت عمرو بن ربيعة، وهو لُحَيّ بن حارثة ابن عمرو مزريقاء بن عامر ماء السماء ، من خِزاعة . ١١٠٢/١

ابن غالب

وأم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة . وإخوته من أبيه وأمه : الحارث ، ومُحارب ، وأسد ، وعوف ، وجَوْن ؛ وذئب ؛ وكانت محارب والحارث من قريش الظواهر ، فدخلت الحارث الأبطح .

ابن فهر

وفهر - فيما حدثت عن هشام بن محمد أنه قال : هو جماع قريش ، قال : وأمه جندلة بنت عامر بن الحارث بن مُضاض الجرهمي . وقال ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أمه جندلة بنت الحارث بن مُضاض بن عمرو الجرهمي . وكان أبو عبيدة معمر بن المثنى يقول - فيما ذكر عنه - أمه سلمى بنت أد بن طابخة بن إلياس بن مضر .

وقيل : إن أمه جميلة بنت عدوان من بارق ، من الأزد . وكان فهر فى زمانه رئيس الناس بمكة - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فى حربهم حسان بن عبد كلال بن مثوب

(١) كذا فى م ، وفى ط : « أول » .

ذِي حُرْثَ الحِمِيرِ . وكان حَسَّان - فيما قيل - أَقْبَلَ من اليَمَن مع حِمِيرٍ وقبائل من اليَمَن عَظِيمَةٍ ، يريد أن ينقل أحجار الكعبة من مَكَّة إلى اليَمَن ، ليجعل حجَّ الناس عنده ببِلادِهِ ، فأقبل حتى نَزَلَ بنخلة ، فأغار على سَرَحِ النَّاسِ ، ومنع الطريق ، وهاب أن يدخل مَكَّةَ ، فلما رأت ذلك قريش وقبائل كنانة وخزيمَة وأسد وجُدَامَ وَمَنْ كان معهم من أَفْنَاءِ مُضَرَ ، خرجوا إليه ، ورئيس النَّاسِ يومئذٍ فُهر بن مالك ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزمت حمير ، ١١٠٣/١ وأسِرَ حَسَّان بن عبد كلال ملك حِمِيرٍ ، أسره الحارث بن فِهْرٍ ، وقُتِلَ في المعركة - فيمن قتل من الناس - ابن ابنه قيس بن غالب بن فُهر ، وكان حَسَّان عندهم بمكة أسيراً ثلاث سنين ، حتى افتدَى منهم نفسه ، فخرَّج به ، فمات بين مَكَّة واليمن .

ابن مالك

وأُمُّهُ عِكْرِيْشَةُ بنت عَدُوَّان ، وهو الحارث بن عمرو بن قيس بن عَيْلَان ، في قول هشام .

وأُمَّا ابن إِسْحاق فإنه قال : أُمُّهُ عاتكة بنت عَدُوَّان بن عمرو بن قيس ابن عيلان .

وقيل : إِنَّ عِكْرِيْشَةَ لقبُ عاتكة بنت عَدُوَّان ، واسمها عاتكة .

وقيل إن أُمَّهُ هند بنت فَهْمٍ بن عمرو بن قيس بن عَيْلَان . وكان لِمَالِك أَخَوَان ، يقال لأحدهما : يَخْلُدُ ، فدخلت يَخْلُدُ في بني عمرو بن الحارث ابن مالك بن كنانة ، فخرجوا من جماع قريش . والآخر منهما يقال له : الصَّلْت ، لم يبق من ذريته أحد .

وقيل : سُمِّيَتْ قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يَخْلُد بن الحارث بن يَخْلُد بن النَّضَر بن كنانة ؛ وبه سُمِّيَتْ قريش قريشاً ، لأن عَيْرَ بني النَّضَر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عَيْر قريش ، قالوا : وكان قريش

هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم ، وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدرأ ،
احتفر بدرأ ، قالوا : فيه سميت البئر التى تدعى بدرأ ، بدرأ .

وقال ابن الكلبي : إنما قريش جماع نسب ، ليس بأب ولا أم ولا حاضن
ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمى بنو النضر بن كنانة قريشاً ؛ لأن النضر بن
كنانة خرج يوماً على نادى قومه ، فقال بعضهم لبعض : انظروا إلى النضر ،
كأنه جمل قريش^(١) .

وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بدابة تكون فى البحر تأكل دواب البحر ،
تدعى القرش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ؛ لأنها أعظم دواب
البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله ،
والتقريش - فيما زعموا - التفتيش . وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة
فيسدونها بما يبلغهم - واستشهدوا لقولهم : إن التقريش هو التفتيش ، بقول
الشاعر^(٢) :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُقَرَّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو فَهَلْ لَهْنَ انْتِهَاء!

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً . وقيل : بل لم تزل بنو النضر
ابن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصي بن كلاب ، ف قيل لهم : قريش ؛
من أجل أن التجمع هو التقرش ، فقالت العرب : تقرش بنو النضر ، أى
قد تجمّعوا .

وقيل : إنما قيل قريش ، من أجل أنها تقرشت عن الغارات .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن
عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن سعيد بن محمد
ابن جبشير بن مطعم ، أن عبد الملك بن مروان سأل محمد بن جبشير : متى

(١) الجمل القريش : الشديد .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، المعلقة ٢٦٤ - بشرح التبريزي ، وروايته :

* أَيُّهَا الشَّامِتُ الْمُبْلَغُ عَنَّا *

سميت قريش قريشاً ؟ قال : حين اجتمعت إلى الحرم من تفرقتها ، فذلك التجمع التقرش . فقال عبد الملك : ما سمعت هذا ، ولكن سمعت أن قصياً كان يقال له القرشي ، ولم تسم قريش قبله .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن ١١٠٥/١ عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن عبد المجيد بن سهيل بن عبد الرحمن بن عوف ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : لما نزل قصي الحرم وغلب عليه ، فعل أفعالاً جميلة^(١) ، ف قيل له : القرشي ، فهو أول من سمي به .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني أبو بكر بن أبي سبرة ، عن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي جههم ، قال : النضر بن كنانة كان يسمى القرشي .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال محمد بن عمر : وقصّي أحدث وقود النار بالمزدلفة ، حيث وقف بها حتى يراها من دفع من عرفة ، فلم تزل توقد تلك النار تلك الليلة في الجاهلية .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : فأخبرني كثير بن عبد الله المزني ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : كانت تلك النار توقد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان . قال : محمد بن عمر : وهي توقد إلى اليوم .

ابن النضر

واسم النضر قيس ، وأمه برة بنت مر بن أد بن طابخة . وإخوته لأبيه وأمه نضير ومالك ومالك وعامر والحارث وعمرو وسعد وعوف وغنم ومخرمة وجروك وغزوان وحذال . وأخوهم من أبيهم عبد مناة ، وأمه فكيهة — وقيل ١١٠٦/١

فَكْنَهة— وهى الذِّفراء بنت هَنْبَى بن بَلَسَى بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة .
وأخو عبد مناة لأُمّه على بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن عمرو بن
مازن الغساني ، وكان عبد مناة بن كنانة تزوجَ هنداً بنت بكر بن وائل ،
فولدت له ولده ، ثم خلف عليها أخوه لأُمّه على بن مسعود، فولدت له ،
فحُضِنَ على بنى أخيه، فَنُسِبوا إليه ، فقليل لبني عبد مناة: بنو على ، وإياهم
عنَى الشاعر بقوله :

لِللّهِ دَرُّ بَنِي عَدِىٍّ أَيْمٌ مِنْهُمْ وَنَاكِحٌ

وكعب بن زهير بقوله :

صَدُّمُوا عَلِيًّا يَوْمَ بَدْرِ صَدَمَةٍ دَانَتْ عَلَىٰ بَعْدَهَا لِنَزَارِ^(١)
ثم وثب مالك بن كنانة على على بن مسعود، فقتله، فودّاه أسد بن خزيمه.

ابن كنانة

وأُمّ كنانة عَوَانة بنت سعد بن قيس بن عَيْلَان. وقد قيل: إن أُمّه هند
بنت عمرو بن قيس ، وإخوته من أبيه أسد وأسدّة ، يقال إنه أبو جذام
والهؤن، وأُمهم بَرّة بنت مرّ بن أدّ بن طابخة ، وهى أُم النَّضْرِ بن كنانة؛
خَلَفَ عليها بعد أبيه .

ابن خُزَيْمَة

وأُمّه سلمى بنت سليم بن الحاف بن قُضاعة ، وأخوه لأبيّه وأُمّه هُذَيْل ،
وأخوهما لأُمّهمّا تغلب بن حُلُوان بن عمران بن الحاف بن قُضاعة .
وقد قيل : إن أُمّ خزيمه وهذيل سلمى بنت أسد بن ربيعة .

ابن مدركة

واسمه عمرو ، وأُمّه خُنْدِف ، وهى ليلي بنت حُلُوان بن عمران بن الحاف
ابن قُضاعة ، وأُمّها ضَرِيّة بنت ربيعة بن نزار. قيل: بها سُميَ حِمَى ضَرِيّة ،

وإخوة مدركة لأبيه وأمه عامر — وهو طابخة — وعمير — وهو قمعة — ويقال : إنه أبو خزاعة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق أنه قال : أم بني إلياس خندف ، وهي امرأة من أهل اليمن ، فغلبت على نسب بنيتها ، فقليل : بنو خندف .

قال : وكان اسم مدركة عامراً ، واسم طابخة عمراً . قال : وزعموا أنهما كانا في إبل لهما يرعيانها ، فاقتنصا صيداً ، فقعدا عليه بطبخانه ، وعدت عادية على إبلهما ، فقال عامر لعمرو : أتدرك الإبل أو تطبخ هذا الصيد ؟ فقال عمرو : بل أطبخ الصيد ، فلحق عامر الإبل ، فجاء بها ، فلما راحا على أبيهما ، فحدثاه بشأنهما ، قال لعامر : أنت مدركة ، وقال لعمرو : أنت طابخة .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قالوا : خرج إلياس في نجعة له ^(١) ، فنفرت إبله من أرنب ، فعخرج إليها عمرو فأدركها ، فسمي مدركة ، وأخذها عامر فطبخها فسمي طابخة ، وانقمع عمير في الحياء فلم يخرج فسمي قمعة ، وخرجت أمهم تمشي فقال لها : إلياس أين تخندفين ؟ فسميت خندف — والخندفة ضرب من المشي — قال : وقال قصي بن كلاب :

* أمهتي خندف وإلياس أبي *

١١٠٨/١

قال : وقال إلياس لعمرو ابنه :

* إنك قد أدركت ما طلبت *

ولعامر :

* وأنت قد أنضجت ما طبخت *

ولعمير :

* وأنت قد أسأت وانقمعت *

ابن إلياس

وأُمّه الرَّبَاب بنت حَيْدَة بن معدّ ، وأخوه لأبيه وأُمّه النَّاس^(١) ، وهو عَيْلَان ، وسمي عَيْلَان — فيما ذكر — لأنه كان يعاتب على جوده ، فيقال له : لتغلبنّ عليك النّعيّلة يا عيلان ، فلزمه هذا الاسم .
 وقيل : بل سُمّي عَيْلَان بفرّس كانت له تدعى عَيْلَان .
 وقيل : سُمّي بذلك ؛ لأنه ولد في جبل يسمى عَيْلَان .
 وقيل : سُمّي بذلك لأنه حضنه عبدٌ لمضر يدعى عَيْلَان .

ابن مضر

وأُمّه سَوْدَة بنت عكّ ، وأخوه لأبيه وأُمّه إِيَاد ، ولهما أخوان من أبيهما من غير أمّهما ، وهما ربيعة وأنمار ؛ أمّهما جدّالة بنت وعْلان بن جوشم ابن جُلْهُمَة بن عمرو ، من جرّهم .

وذكر بعضهم أن نزار بن معدّ لما حضرته الوفاة أوصى بنيه ، وقسّم ماله بينهم ، فقال : يا بنيّ ، هذه القبّة — وهي قبّة من أدَم حمراء — وما أشبهها من مالى لمضر ، فسمّى مضر الحمراء . وهذا الحياء الأسود وما أشبهه من مالى لربيعة ، فخلّف خيلادُهما ، فسمّى الفرّس . وهذه الخادم وما أشبهها من مالى لإياد — وكانت شمطاء — فأخذ البُلُق والنّقْد من غنمه . وهذه البدره والمجلس لأنمار يجلس فيه^(٢) ، فأخذ أنمار ما أصابه . فإن أشكل عليكم في ذلك شيء واختلفتم في القسمة فعليكم بالأنفعي الجرهمي . فاختلفوا في القسمة ، فتوجّهوا إلى الأنفعي ، فبينما هم يسرون في مسيرهم إذ رأى مُضَرّ كلاً قد رُعِيَ ، فقال : إنّ البعير الذي رعى هذا الكلاً لأعور ، وقال ربيعة : هو أزور ، قال إياد : هو أبتّر ، وقال أنمار : هو شرود ؛ فلم يسروا إلّا قليلاً حتى لقيتهم رجل توضّع به راحلته ، فسألهم عن البعير ، فقال مُضَرّ : هو أعور؟ قال : نعم ، قال ربيعة : هو أزور؟ قال : نعم ، قال إياد : هو أبتّر ؟ قال : نعم ، قال أنمار : هو شرود ؟ قال : نعم ، قال : هذه صفة بّعيري ،

(١) الأصول : « إلياس » . (٢) ح : « عليه » .

دَلَوْفِي عَلَيْهِ ، فَحَلَفُوا لَهُ : مَا رَأَوْهُ ، فَلَزِمَهُمْ وَقَالَ : كَيْفَ أَصَدَّقَكُمْ وَأَنْتُمْ تَصِفُونَ
 بِعِيرِي بِصَفْتِهِ ! فَسَارُوا جَمِيعًا حَتَّى قَدِمُوا نَجْرَانَ ، فَتَزَلُّوا بِالْأَفْعَى الْجَرْهَمِيَّ ،
 فَنَادَى صَاحِبُ الْبَعِيرِ : هَؤُلَاءِ أَصْحَابُ بَعِيرِي ، وَصَفُّوْا لِي صَفْتَهُ ثُمَّ قَالُوا :
 لَمْ نَرِهِ . فَقَالَ الْجَرْهَمِيُّ : كَيْفَ وَصَفْتُمُوهُ وَلَمْ تَرَوْهُ ؟ فَقَالَ مُضَرٌّ : رَأَيْتَهُ يَتَرَعَّى
 جَانِبًا وَيَدْنَعُ جَانِبًا فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَعُورٌ . وَقَالَ رَبِيعَةُ : رَأَيْتُ لِحْدَى يَدِيهِ
 ثَابِتَةً الْأَثَرِ وَالْأُخْرَى فَاسِدَةً الْأَثَرِ ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ أَفْسَدَهَا بِشِدَّةِ وَطْئِهِ لِازْوَرَارِهِ .
 وَقَالَ إِيَادُ : عَرَفْتُ أَنَّهُ أَبْتَرَّ بِاجْتِمَاعِ بَعْرِهِ ، وَلَوْ كَانَ ذِي تَالَا لِمَصْعٍ ^(١) بِهِ . وَقَالَ :
 أُنَمَارُ : عَرَفْتُ أَنَّهُ شُرُودٌ ؛ لِأَنَّهُ يَرَعَى الْمَكَانَ الْمُلْتَفَّ نَبْتَهُ ، ثُمَّ يَجُوزُهُ إِلَى مَكَانٍ ١١١٠/١
 آخَرَ أَرْقَ مِنْهُ نَبْتًا وَأَخْبَثَ ^(٢) . فَقَالَ الْجَرْهَمِيُّ : لَيْسُوا بِأَصْحَابِ بَعِيرِكَ
 فَاطْلُبِهِ ، ثُمَّ سَأَلَهُمْ : مَنْ هُمْ ؟ فَأَخْبَرُوهُ ، فَرَحَّبَ بِهِمْ فَقَالَ : أَتَحْتَاجُونَ إِلَيَّ
 وَأَنْتُمْ كَمَا أَرَى ! فِدَعَا لَمْ يَطْعَامَ فَأَكَلُوا وَأَكَل ، وَشَرَبُوا وَشَرِبَ ، فَقَالَ مُضَرٌّ :
 لَمْ أَرْ كَالِيَوْمَ خَمْرًا أَجُودَ ، لَوْلَا أَنَّهُ نَبَتَتْ عَلَى قَبْرِ ، وَقَالَ رَبِيعَةُ : لَمْ أَرْ
 كَالِيَوْمَ لَحْمًا أَطْيَبَ لَوْلَا أَنَّهُ رُبِّي بِلَبَنِ كَلْبٍ ، وَقَالَ إِيَادُ : لَمْ أَرْ كَالِيَوْمَ رَجُلًا
 أَسْرَى لَوْلَا أَنَّهُ لَغِيَرُ أَبِيهِ الَّذِي يَدْعَى لَهُ . وَقَالَ أُنَمَارُ : لَمْ أَرْ كَالِيَوْمَ قَطْعَ
 كَلَامًا أَنْفَعُ فِي حَاجَتِنَا [مِنْ كَلَامِنَا] ^(٣) .

وَسَمِعَ الْجَرْهَمِيُّ الْكَلَامَ فَتَعَجَّبَ لِقَوْلِهِمْ ، وَأَتَى أُمَّتَهُ فَسَأَلَهَا فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا كَانَتْ
 تَحْتَ مَلِكٍ لَا يُولِدُ لَهُ ، فَكَرِهَتْ أَنْ يَذْهَبَ الْمَلِكُ فَأَمَكَنْتُ رَجُلًا مِنْ نَفْسِهَا
 كَانَ نَزَلَ بِهَا ، فَوَطَّئَهَا فَحَمَلَتْ بِهِ ، وَسَأَلَ الْقَهْرْمَانُ عَنِ الْخَمْرِ ، فَقَالَ : مَنْ
 حَبَلَةٌ ^(٤) غَرَسْتُهَا عَلَى قَبْرِ أَبِييكَ ، وَسَأَلَ الرَّاعِي عَنِ اللَّحْمِ ، فَقَالَ : شَاةُ
 أَرْضَعْتُهَا لِبَنِ كَابَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ وَكَأَنَّ فِي الْغَنَمِ شَاةُ غَيْرِهَا . فَقِيلَ لِمُضَرٍّ : مَنْ أَيْنَ
 عَرَفْتَ الْخَمْرَ وَنَبَاتَهَا عَلَى قَبْرِ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ أَصَابَنِي عَلَيْهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ . وَقِيلَ
 لِرَبِيعَةَ : بِمَ عَرَفْتَ ؟ فَذَكَرَ كَلَامًا .

فَأَتَاهُمُ الْجَرْهَمِيُّ ، فَقَالَ : صَفُّوْا لِي صَفْتَكُمْ ^(٥) ، فَقَصَّصُوا عَلَيْهِ مَا أَوْصَاهُمْ

(١) يُقَالُ : مَصَعَتْ النَّافَةَ بِذَنْبِهَا ؛ أَيْ حَوَكْتَهُ وَضَرَبْتَهُ بِهِ .

(٢) م : « وَأَخْفَ » . (٣) تَكْمَلَةٌ مِنْ مَجْمَعِ الْأَمْثَالِ ١ : ١٦ .

(٤) الْحَبْلَةُ : شَجَرَةُ الْكُرْمِ .

(٥) ر : « قَصَّصْتُكُمْ » .

به أبوهم ، فقضى بالقُبَّة الحمراء والدنانير والإبل - وهي حُمْر - لمضر ، وقضى بالخباء الأسود وبالخيل الدُّهُم لربيعه ، وقضى بالخدام - وكانت شمطاء - وبالخيل البَلَق^(١) لإياد ، وقضى بالأرض والدراهم لأثمار .

ابن نزار

١١١١/١ وقيل إن نزاراً كان يكنى أبا إياد . وقيل : بل كان يكنى أبا ربيعة ، أمه مُعانة بنت جَوْشَم بن جُلْهُمَة بن عمرو ، وإخوته لأبيه وأمه . قنص ، وقناصة ، وسنام^(٢) ، وحيدان ، وحيدة ، وحيادة^(٣) ، وجنيد ، وجنادة ، والقحم ، وعُبيد الرَّماح ، والعُرف ، وعوف ، وشك ، وقضاعة ؛ وبه كان معدّ يكنى ، وعدة دَرَجوا^(٤) .

ابن معدّ

وأمّ معدّ - فيما زعم هشام - مَهْدَد بنت اللّهُم - ويقال : اللّهُم - ابن جُلْجَب بن جدیس . وقيل : ابن طَسَم . وقيل : ابن الطوسم ، من ولد يقشان^(٥) بن إبراهيم خليل الرحمن .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني : وإخوته من أبيه وأمه الدّيث - وقيل : إن الدّيث هو عك . وقيل : إن عكا هو ابن الدّيث ابن عدنان - وعدن بن عدنان ، فزعم بعض أهل الأنساب أنه صاحب عدن ؛ وإليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدَرَجوا ، وأبيّن - وزعم بعضهم أنه صاحب أبيّن وأنها إليه تنسب ، وأن أهلها كانوا ولده فدرجوا - وأدّ بن عدنان درج ، والضحاك ، والعيّ ، وأمّ جديعهم أمّ معدّ .

(١) ح ، ر : « والمأشبة البلق » ، م : « والخيل البلق » .

(٢) ر : « سام » .

(٣) ح : « جيادة » .

(٤) درجوا : انقرضوا .

(٥) ح : « يقشان » .

وقال بعض النسابة : كان عكّ انطلق إلى سمران من أرض اليمن ، وترك أخاه معداً ، وذلك أن أهل حضور لما قتلوا شعيب بن ذى مَهْدَمَ الحضوري ، بعث الله عليهم بختنصر عذاباً ، فخرج أرميا وبرخيا ، فحملاً معداً ، فلمّا سكنت الحرب ردّاه إلى مكة ، فوجد معدّ إخوته وعمومته من بني عدنان قد لحقوا بطوائف اليمن ، وتزوجوا فيهم ، وتعطفّت عليهم اليمن بولادة جرّهم إيتاهم ، واستشهدوا في ذلك قول الشاعر :

تَرَ كُنَّا أَلَدِيثَ إِخْوَتَنَا وَعَكَّا إِلَى سَمْرَانَ فَاَنْطَلَقُوا سِرَاعَا
وَكَانُوا مِنْ بَنِي عَدْنَانَ حَتَّى أَضَاعُوا الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ ، فضاء

ابن عدنان

ولعدنان أخوان لأبيه ؛ يدعى أحدهما نَسَبْتًا والآخر منهما عَمْرًا ، فنسبُ نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلف النسابون فيه إلى معدّ بن عدنان ، وأنه على ما بيّنت من نسبه .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن لهيعة عن أبي الأسود وغيره ، عن نسبة رسول الله صلى الله عليه وسلم : محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدد^(١) . ١١١٣/١
ثم يختلفون فيما بعد ذلك .

وقال الزبير بن بكار : حدثني يحيى بن المقداد الزمعي ، عن عمّه موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن وهب بن زَمْعَة ، عن عمته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «معدّ ابن عدنان بن أدد بن زَند بن يَرَى بن أعراق الثرى» . ، قالت أم سلمة : فزند هو الحميسع ، ويرى وهو نبت ، وأعراق الثرى هو إسماعيل بن إبراهيم .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن العجلاني ، عن موسى بن يعقوب الزمعي ، عن عمته ، عن جدتها ابنة المقداد بن الأسود البهراني ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : معد بن عدنان بن أدد بن يري بن أعراق الثري .

وقال ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد عن سلمة بن الفضل عنه عدنان — فيما يزعم بعض النسب — بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح^(١) ابن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٤/١

وبعض يقول : بل عدنان بن أدد بن أيتحب بن أيوب بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

قال : وقد انتمى قصي بن كلاب إلى قيذر في شعر .

قال : ويقول بعض النسب : بل عدنان بن ميدع بن منيع بن أدد بن كعب بن يشجب بن يعرب بن الهميم بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ، قال : وذلك أنه علم قديم أخذ من أهل الكتاب الأول .

وأما الكلبي محمد بن السائب فإنه — فيما حدثني الحارث ، عن محمد بن سعد ، عن هشام — قال : أخبرني مخبر عن أبي ولم أسمعه منه ؛ أنه كان ينسب معد بن عدنان بن أدد بن الهميم بن سلامان بن عوص بن بوز بن قموال ابن أبي بن العوام بن ناشد بن حزا بن بلكداس بن يدلاف بن طابخ بن جاحم ابن تاحش بن ماخي بن عبي بن عبقر بن عبيد بن الدعا بن حمدان بن سنبر ابن يثرب بن يحزن بن يلحن بن أروعى بن عبي بن ديشان بن عيص بن أقتاد ابن إيهام بن مقصر بن ناحث بن زارح بن شمي بن مزى بن عوص بن عرام ابن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم ؛ صلوات الله عليهما . ١١١٥/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن

محمد ، قال : وكان رجل من أهل تَدْمُر ، يكنى أبا يعقوب ، من مسلمة بنى إسرائيل ، قد قرأ من كتبهم ، وعلم علمًا ، فذكر أن بروخ بن ناريّا كاتب أرميا ، أثبت نسب معدّ بن عدنان عنده ، ووضعه في كتبه ، وأنه معروف عند أحبار أهل الكتاب ، مثبت في أسفارهم ، وهو مقارب لهذه الأسماء ، ولعلّ خلاف ما بينهم من قبل اللغة ، لأنّ هذه الأسماء ترجمت من العبرانية .

قال الحارث : قال محمد بن سعد : وأنشدني هشام ، عن أبيه شعر قصي :
فَلَسْتُ لِخَاصِنٍ إِنْ لَمْ تَأْتَلْ^(١) بِهَا أَوْلَادُ قَيْذَرَ وَالنَّبِيتُ
قال : أراد نبت بن إسماعيل .

وقال الزبير بن بكار : حدثني عمر بن أبي بكر المؤمليّ ، عن زكرياء ابن عيسى ، عن ابن شهاب ، قال : معدّ بن عدنان بن أدّ بن الهميّسع بن أسحب^(٢) بن نبت بن قيذار بن إسماعيل .

وقال بعضهم : هو معدّ بن عدنان بن أدّ بن أمين بن شاجب^(٣) بن ثعلبة بن عتر^(٤) بن دريح بن محلم^(٥) بن العوام بن المحتمل^(٦) بن رائمة^(٧) بن العيقان بن علة^(٨) بن الشحدود^(٩) بن الظريب^(١٠) بن عبقّر بن إبراهيم بن إسماعيل^{١١١٧/١} ابن يزن بن أعوج بن المطعم بن الطمح بن القسور بن عتود^(١١) بن ددع بن محمود بن الزائد بن ندوان بن أنامة^(١٢) بن دوس بن حصن بن النزال بن القمير ابن المجشّر بن معدمر بن صيفي بن نبت بن قيذار بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن .

(١) ح ، ر : حاضر ، م : « لخاصن » .

(٣) ح ، م : « شاجب » .

(٤) ح : « عبر » ، ر : « عمر » .

(٥) م : « ملجم » .

(٦) ح المحتمل : م : « المحتمل » .

(٧) ح : « زائدة » م : « رائمة » .

(٨) م : « عكة » . (٩) ح : « الشحدود » .

(١٠) ح : « الظريب » ، ر : « الضريب » .

(١١) كذا في ر ، وفي ح : « عبور » ، وفي م : « عبوث » .

(١٢) كذا في م .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن زيد بن يقدر بن يقدم بن هميسع بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن هميسع بن نبت بن سلمان — وهو سلامان — ابن حمل بن نبت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم .

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن المقوم بن ناحور بن مِشْرَح ابن يشجب بن مالك بن أيمن بن النبيت بن قيذر بن إسماعيل بن إبراهيم . ١١١٨/١

وقال آخرون : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن أدد بن هميسع بن أسحب^(١) ابن سعد بن ربح بن نصير بن حميل بن منح بن لافث بن الصابوح بن كنانة ابن العوام بن نبت^(٢) بن قيذر بن إسماعيل .

وأخبرني بعض النسّاب أنه وجد طائفة من علماء العرب قد حفظت لمعدّ أربعين أبا بالعربية إلى إسماعيل ، واحتجّت لقولهم ذلك بأشعار العرب ، وأنه قابل بما قالوا من ذلك ما يقول أهل الكتاب ، فوجد العدد متفقاً ، واللفظ مختلفاً ، وأملى ذلك على فكتبته عنه ، فقال : هو معدّ بن عدنان بن أدد بن ميسع — وهميسع هو سلمان وهو أمين — ابن هميتع — وهو هميدع وهو الشاجب ابن سلامان — وهو منجر ، وهو نبيت ؛ سمي بذلك — فيما زعم — لأنه كان منجر العرب ؛ لأن الناس عاشوا في زمانه ، واستشهد لقوله ذلك بقول قَعْنَسَب بن عتّاب الرياحي :

تَنَاشِدُنِي طَىٌّ وَطَىٌّ بَعِيدَةٌ وَتَذَكِّرُنِي بِالْوَدِّ أَزْمَانٍ نَبْتٌ ١١١٩/١

قال : نبيت بن عوص — وهو ثعلبة . قال : وإليه تنسب الثعلبية — ابن بورا — وهو بوز وهو عتر العتائر ، وأوّل من سنّ العتيرة للعرب — ابن شوحا وهو سعد رجب ، وهو أول من سنّ الرجبية للعرب — ابن يعمانا — وهو قموال ، وهو ربح الناصب ، وكان في عصر سليمان بن داود النبي صلى الله عليه وسلم — ابن كسدانا — وهو محلم ذو العين — ابن حرانا — وهو العوام — ابن

(١) ر : « أشحب » . (٢) ح : « نبيت » .

(٣) كذا في ر ، وفي ط : « بالودّ أزمان نبت » .

بلداسا - وهو المحتمل - ابن بدلانا - وهو يدلاف ، وهو رائمة - ابن طهبا - وهو طالب ، وهو العيقان - ابن جهمي - وهو جاحم ، وهو علة - ابن محشي - وهو تاحش ، وهو الشحدود - ابن معجالي - وهو ماخي ، وهو الظريب خاطم النار - ١١٢٠/١ ابن عقارا - وهو عافي ، وهو عبقر أبو الجن ، قال : وإليه تنسب جنة عبقر - ابن عاقاري - وهو عاقر ، وهو إبراهيم جامع الشمل . قال : وإنما سمي جامع الشمل لأنه آمن في ملكه كل خائف ، ورد كل طريد ، واستصلح الناس - ابن سداعي - وهو الدعا ، وهو إسماعيل ذو المطابخ ، سمي بذلك لأنه حين ملك أقام بكل بلدة من بلدان العرب دار ضيافة - ابن انداعي - وهو عبيد وهو يزن الطعان ، وهو أول من قاتل بالرماح ، فنسبت إليه - ابن همداني وهو حمدان ، وهو إسماعيل ذو الأعوج وكان فرساً له ، وإليه تنسب الأعوجية من الخيل - ابن بشماني - وهو بشين وهو المطعم في الخيل - ابن بثراني - وهو بثرم ، وهو الطمخ - ابن بجراني ^(١) - وهو يحزن ، وهو القصور - ابن بلحاني ، وهو يلحس ، وهو العنود ^(٢) - ابن رعواني - وهو رعوي ، وهو الدعدع - ابن عاقاري - وهو عاقر - ابن داسان ، وهو الزائد - ابن عاصار - وهو عاصر ، وهو النيدوان ذو الأندية ، وفي ملكه تفرق بنو القادور وهو القادور . وخرج الملك من ولد النبيت بن القادور إلى بني جاوان - ابن القادور ثم رجع إليهم ثانية - ابن قنادي - وهو قنار ، وهو إمامة ^(٣) بن ثامار ، وهو بهامي ، وهو دوس العتق ، وهو دوس أجمل الخلق ، زعم في زمانه ، فلذلك تقول العرب : أعتق من دوس لأمرين : أما أحدهما فلحسنه وعتقه ، والآخر لقدمه ، وفي ملكه أهلك جرهم بن فالج وقطورا ، وذلك أنهم بغوا في الحرم ، فقتلهم دوس ، وأتبع الذر آثار من بقي منهم ، فولج في أساعهم فأفناهم - ابن مقصر - وهو مقاصري ، وهو حصن ، ويقال له : ناحث ، وهو النزال بن زارح ، وهو قمير - ابن سمي - وهو سما ، وهو الحشبر ، وكان - فيما زعم - أعدل ملك ولي وأحسنه سياسة ، وفيه يقول أمية بن أبي الصلت لهرقل ملك الروم :

(٢) كذا في ح .

(١) كذا في ح .

(٣) كذا في ح .

١١٢٢/١ كُنْ كَالْمَجْشَرِ إِذْ قَالَتْ رَعِيَّتُهُ كَانَ الْمَجْشَرُ أَوْفَانًا بِمَا حَمَلَا

ابن مزرا - ويقال مرهر - ابن صنفاء^(١) ، وهو السمر ، وهو الصنف ،
هو أجود ملك رُئي على وجه الأرض ، وله يقول أمية بن أبي الصلت :

إِنَّ الصَّنْفِيَّ بْنَ النَّبِيِّ مُمَلَّكَاً أَعْلَى وَأَجُودُ مِنْ هِرْقَلٍ وَقَيْصَرَا

ابن جعثم - وهو عرام ، وهو النَّبِيت ، وهو قيذر ، قال : وتأويل «قيذر»
صاحب ملك ، كان أول من ملك من ولد إسماعيل - ابن إسماعيل صادق الوعد ،
ابن إبراهيم خليل الرحمن بن تارح - وهو آزر - ابن ناحور بن ساروع بن أرغوا
ابن بالغ - وتفسير «بالغ» القاسم بالسريانية ، لأنه الذي قسم الأرضين بين ولد
آدم ، وبالف ، فهو فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح
ابن ملك بن متوشلخ بن أخنوخ ، وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم - ابن
يرد - وهو يارد الذي عملت الأصنام في زمانه - ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش
ابن شيث - وهو هبة الله ابن آدم عليه السلام . وكان وصي أبيه بعد مقتل
هابيل ، فقال : هبة الله من هابيل ، فاشتق اسمه من اسمه . ١١٢٣/١

وقد مضى من ذكرنا الأخبار عن إسماعيل بن إبراهيم وآبائه وأمهاته فيما
بينه وبين آدم ، وبما^(٢) كان من الأخبار والأحداث في كل زمان من ذلك بعض
ما انتهى إلينا ، بوجيز من القول مختصر ، في كتابنا هذا ، فكرهنا إعادته .

وحدثت عن هشام بن محمد قال : كانت العرب تقول : إنما خدش
الخدوش منذ ولد أبونا أنوش ؛ وإنما حرم الخث ، منذ ولد أبونا شث ؛
وهو بالسريانية «شيث» .

* * *

ونعود الآن إلى :

(١) كذا في ح . (٢) ح ، ر : «وما» .

ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه

فتوفى عبد المطلب بعد الفيل بثاني سنين ؛ كذلك حدثنا ابن حميد ،

قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر : وكان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ، وذلك أن أبا طالب ، وعبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم كانا لأم ، فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده ، وكان يكون معه . ثم إن أبا طالب خرج في ركب من قريش إلى الشام تاجراً ، فلما نهياً للرحيل وأجمع السير ضُبط^(١) به رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما يزعمون -

فرق له أبو طالب ، فقال : والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقي ولا أفارقه ١١٢٤/١ أبداً ، أو كما قال . فخرج به معه ، فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام ، وبها راهب يقال له بَحِيرَى في صومعة له ، وكان ذا علم من أهل النصرانية ، ولم يزل في تلك الصومعة مذ قط راهب^(٢) ، إليه يصير علمهم عن كتاب - فيما يزعمون - يتوارثونه كابر أعن كابر . فلما نزلوا ذلك العام ببَحِيرَى ، صنع لهم طعاماً كثيراً ، وذلك أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في صومعته ، عليه غمامة تظله من بين القوم ، ثم أقبلوا حتى نزلوا في ظل شجرة قريباً منه ، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة ، وتَهَصَّرت^(٣) أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استظل تحتها ، فلما رأى ذلك بحيرى ، نزل من صومعته ، ثم أرسل إليهم فدعاهم جميعاً ، فلما رأى بحيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل يلحظه لحظاً شديداً ، وينظر إلى أشياء من جسده قد كان يجدُها عنده من صفته .

فلما فرغ القوم من الطعام وتفرقوا ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء في حاله ؛ في يقظته وفي نومه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلم يُخبره فيجدُها ببَحِيرَى موافقة لما عنده من صفته . ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه ، ثم قال ببَحِيرَى لعمه أبي طالب : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، فقال له ببَحِيرَى : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام

(١) كذا في ح ، وضب به : تعلق ، وفي ط والسيرة : « صب به » ، أي مال إليه .

(٢) قط هنا : اسم بمعنى الدهر ، ومذ ظرف ، وانظر ما نقله صاحب اللسان عن

الليثاني في مادة (ق ط ط) .

(٣) كذا في السيرة ، وتهصرت : مالت وتدلت . وفي ط : « وهصرت » .

أن يكون أبوه حيًّا . قال : فإنه ابنُ أخي ، قال : فما فعل أبوه ؟ قال : مات وأمه حبلى به ، قال : صدقت ، ارجع به إلى بلدك ، واحذرْ عليه يَهُودٌ ؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفتُ ، ليبغنه شرًّا ، فإنه كائن له شأن عظيم ، فأسرع به إلى بلده . فخرج به عمه سريعًا حتى أقدمه مكة^(١) . ١١٢٥/١

وقال هشام بن محمد : خرج أبو طالب برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بَصْرَى من أَرْضِ الشَّامِ ؛ وهو ابنُ تسع سنين .

حدثني العباس بن محمد ، قال : حدثنا أبو نوح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، عن أبي بكر بن أبي موسى ، عن أبي موسى ، قال : خرج أبو طالب إلى الشَّامِ ، وخرج معه رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشْيَاخٍ من قُرَيْشٍ ، فلما أشرفُوا على الرَّاهِبِ هَبَطُوا فحلُّوا رحالهم ، فخرج إليهم الرَّاهِبُ — وكانوا قبل ذلك يَمْرُونَ به فلا يخرج إليهم ولا يلتفت . قال : فهم يحلُّون رحالهم ؛ فجعل^(٢) يتخلَّلُهُمْ حتى جاء فأخَذَ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا سيِّدُ العالمين ، هذا رسولُ ربِّ العالمين ؛ هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين . فقال له أشْيَاخُ قُرَيْشٍ : ما عَلِمْنَاكَ^(٣) ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم تبق شجرة ولا حجر إلا خرَّ ساجدًا ؛ ولا يسجدون إلا لنبى ، وإني أعرفه بخاتم^(٤) النبوة ، أسفلَ من غُضْرُوفٍ كَتَفَهُ مثل التفاحة .

ثم رجع فصنَّعَ لهم طعامًا ، فلما أتاهم به كان هو في رِعيَّةِ الإبل . قال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غَمَامَةٌ ، فقال : انظروا إليه ؛ عليه غَمَامَةٌ يُظِلُّهُ ! فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فتيء الشجرة ، فلما جلس مالَ فتيء الشجرة عليه ، فقال : انظروا إلى فتيء الشجرة مال^(٥) عليه ؛ قال : فيمنا هو قائم عليهم ؛ وهو يناديهم ألا يذهبوا به إلى الروم ؛ فإن الروم إن رأوه عرفوه بالصفة فقتلوه ؛ فالتفت فإذا هو بسبعة نفرٍ قد أقبلوا من الروم ؛

(٢) ح : « وهو » .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١١٨ ، ١١٩ .

(٤) ح : « خاتم النبوة » .

(٣) ط : « ما عليك ؟ » .

(٥) ح : « مالت » .

فاستقبلهم ، فقال : ما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا أن هذا النبي خارج في هذا الشهر ؛ فلم يبقَ طريق إلا بُعثَ إليها ناس ، وإنّا اخترنا خيرةً ، بعثنا إلى طريقك هذا ؛ قال لهم : هل خَلَفْتُمْ خَلْفَكُمْ أجداً هو خيرٌ منكم ؟ قالوا : لا ؛ إنما اخترنا خيرةً لطريقك هذا ، قال : أفرأيتم أمراً أراد الله أن يقضيه ، هل يستطيع أحد من الناس رَدّه ! قالوا : لا ؛ فتابعوه وأقاموا معه ، قال : فأتاهم ، فقال : أنشدكم الله ، أيكم وليّه ؟ قالوا : أبو طالب ، فلم يزل يناشده حتى رَدّه ، وبعث معه أبو بكر رضى الله تعالى عنه بلالاً ، وزوده الراهب من الكعك والزيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس بن مخزومة ، عن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب ، عن أبيه محمد بن علي ، عن جدّه علي بن أبي طالب ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : ما هممتُ بشيءٍ مما كان أهلُ الجاهليّة يعملون به غيرَ مرتين ، كلّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك . ثمّ ما هممتُ بسوءٍ حتى أكرمني الله عزّ وجلّ برسالته ؛ فإنّي قد قلت ليلةً لغلامٍ من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرت لي غَسَمِي حتى أدخلَ مكة ، فأسمرَ بها كما يسمُرُ الشباب ! فقال : أفعَل ؛ فخرجتُ أريد ذلك ؛ حتى إذا جئتُ أوّلَ دارٍ من دُورِ مكة ، سمعتُ عزّاً بالدُفوف والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : فلان ابن فلان تزوّج بفلانة بنت فلان . ١١٢٧/١ . فجلستُ أنظرَ إليهم ، فضرب الله على أذني فممتُ فما أيقظني إلاّ مَسُّ الشمس ؛ قال : فجئتُ صاحبي ، فقال : ما فعلت ؟ قلت : ما صنعت شيئاً ، ثمّ أخبرته الخبر . قال : ثمّ قلتُ له ليلةً أخرى مثلَ ذلك ، فقال : أفعَل ، فخرجتُ فسمعتُ حين جئتُ مكة مثلَ ما سمعتُ حين دخلتُ مكة تلك الليلة ؛ فجلستُ أنظر ، فضرب الله على أذني ؛ فوالله ما أيقظني إلاّ مَسُّ^(١) الشمس ؛ فرجعتُ إلى صاحبي فأخبرته الخبر . ثمّ ما هممتُ بعدها بسوءٍ حتى أكرمني الله عزّ وجلّ برسالته .

ذكر تزويج النبي صلّى الله عليه وسلّم خديجة رضي الله عنها

قال هشام بن محمد: نكح رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة ، وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق ، قال : كانت خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي امرأة تاجرة ، ذات شرف ومال ، تستتجير^(١) الرجال في مالها ، وتضاربهم إيتاء بشيء تجعله لهم منه ، وكانت قريش قومًا تجارًا ؛ فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم ما بلغها من صدق حديثه ، وعظيم أمانته ، وكبرم أخلاقه ؛ بعثت إليه ، فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا ، وتعطيّه أفضل ما كانت تُعطى غيره من التجّار ؛ مع غلام لها يقال له ميسرة . فقبله منها رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فخرج في مالها ذلك ؛ وخرج معه غلامها ميسرة ؛ حتى قدما الشام ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قريبًا من صومعة راهب من الرهبان^(٢) ، فأطلع الراهب رأسه إلى ميسرة فقال : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ فقال له ميسرة : هذا رجل من قريش ، من أهل الحرم ، فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي^(٣) ، ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلّم سلعته التي خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قافلًا إلى مكة ؛ ومعه ميسرة . فكان ميسرة - فيما يزعمون - إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى مَلَكيْن يُظللانِه من الشمس ، وهو يسير على بعيره . فلما قدِم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به فأضعفت ، أو قريبًا من ذلك . وحدثها ميسرة عن

(١) ر ، و ابن هشام : « تستأجر » .

(٢) هو نسطورا ؛ وليس هو بحيرى المتقدم ذكره ، كذا قاله السهيلي .

(٣) قال السهيلي : « يريد ما نزل تحتها هذه الساعة إلا نبي ؛ لبعد العهد بالأنبياء

قبل ذلك » .

قول الرَّاهِب ، وَحَمَّاءَ كَانَ يَرَى مِنْ إِظْلَالِ الْمَلَائِكِينَ إِيَّاهُ - وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً حَازِمَةً لَبِيبَةً شَرِيفَةً ؛ مَعَ مَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَا مِنْ كَرَامَتِهِ - فَلَمَّا أَخْبَرَهَا مَيْسِرَةٌ بِمَا أَخْبَرَهَا ، بَعَثَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَتْ لَهُ - فِيمَا يَزْعُمُونَ - : يَا بَنَ عَمٍّ ، إِنِّي قَدْ رَغِبْتُ فَيْكَ لِقَرَابَتِكَ وَسِطَتِكَ^(١) فِي قَوْمِكَ ، وَأَمَانَتِكَ وَحَسَنِ خُلُقِكَ وَصِدْقِ حَدِيثِكَ . ثُمَّ عَرَضَتْ عَلَيْهِ نَفْسَهَا ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ يَوْمَئِذٍ أَوْسَطَ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا ، وَأَعْظَمَهُنَّ^(٢) شَرَفًا ، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا ؛ كُلُّ قَوْمٍهَا كَانَ حَرِيصًا عَلَى ذَلِكَ مِنْهَا لَوْ يَقْدَرُ عَلَيْهَا^(٣) .

فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ ذَلِكَ لِأَعْمَامِهِ ، فَخَرَجَ مَعَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ عَمُّهُ ؛ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ^(٤) ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ فَتَرَوَّجَهَا ، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدَهُ كَلْتُمْ إِلَّا إِبْرَاهِيمَ : زَيْنَبَ ، وَرَقِيَّةَ ، وَأُمَّ كَلْتُومَ ، وَفَاطِمَةَ ، وَالْقَاسِمَ - وَبِهِ كَانَ يَكْنَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالطَّاهِرَ وَالطَّيِّبَ . فَأَمَّا الْقَاسِمُ وَالطَّاهِرُ وَالطَّيِّبُ ؛ فَهَلَكُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَأَمَّا بَنَاتُهُ فَكَلْتُهُنَّ أَدْرَكْنَ الْإِسْلَامَ فَأُسْلِمْنَ ، وَهَاجَرْنَ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^(٥) .

١١٢٩/١

حَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ عَمْرِو بْنِ عُمَرَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ وَغَيْرُهُ ، عَنْ ابْنِ شِهَابٍ الزَّهْرِيِّ - وَقَدْ قَالَ ذَلِكَ غَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ : إِنَّ خَدِيجَةَ إِنَّمَا كَانَتْ اسْتَأْجَرَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(١) السُّطَّةُ : مِثْلُ الْوَسْطِ ؛ وَهُوَ مِنْ أَوْصَافِ الْمَدْحِ وَالتَّفْضِيلِ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « وَأَعْظَمَهُمْ » ؛ وَمَا أُثْبِتَهُ مِنْ ابْنِ هِشَامٍ .

(٣) ابْنُ هِشَامٍ : « لَوْ يَقْدَرُ عَلَيْهِ » ؛ وَبَعْدَهَا هُنَاكَ : « وَهِيَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ

ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مَرْثَةَ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ . وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حَجْرٍ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَعِيصٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ . وَأُمُّ فَاطِمَةَ هَالَةُ بِنْتُ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَنقَذٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَعِيصٍ بْنِ عَامِرٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ ابْنِ فِهْرٍ . وَأُمُّ هَالَةَ قَلَابَةُ بِنْتُ سَعِيدٍ بْنِ سَعْدٍ بْنِ سَهْمٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ هَضِيصٍ بْنِ كَعْبٍ بْنِ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ بْنِ فِهْرٍ » .

(٤) قَالَ السَّهْلِيُّ : « وَذَكَرَ غَيْرُ ابْنِ إِسْحَاقَ أَنَّ خُوَيْلِدًا كَانَ إِذْ ذَاكَ قَدْ هَلَكَ ، وَأَنَّ الَّذِي أَنْكَحَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هُوَ عَمُّهَا عَمْرُو بْنُ أَسَدٍ ؛ قَالَ الْمُبَرِّدُ وَطَائِفَةٌ مَعَهُ . وَقَالَ أَيْضًا : إِنَّ أَبَا طَالِبٍ هُوَ الَّذِي نَهَضَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَهُوَ الَّذِي خَطَبَ خُطْبَةَ النِّكَاحِ » .

(٥) الْخَبَرُ فِي سِيرَةِ ابْنِ هِشَامٍ ١ : ١٢١ - ١٢٣ .

عليه وسلم ورجلاً آخر من قريش إلى سوق حُباشة بتهامة ؛ وكان الذى زَوَّجها إياه خُوَيْلِد، وكان الذى مشَتْ^(١) فى ذلك مولاةٌ مولدة من مولات مَكَّة . قال الحارث : قال محمد بن سعد : قال الواقدي : فكلَّ هذا غلطٌ .

قال الواقدي : ويقولون أيضاً إنَّ خديجة أرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم تدعوه إلى نفسها - تعنى التزويج - وكانت امرأة ذات شرف ، وكان كلُّ قريش حريصاً على نِكَاحها - قد بذلوا الأموال^(٢) لو طمعوا بذلك ، فدعت أباهاً فسقته خمرأ حتى ثَمِل ، ونحرت بقره وخلقته بخلق ، وألبسته حُلَّةً حَبْرَةً ، ثم أرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمومته ، فدخلوا عليه ، فزوجه^(٣) ، فلمَّا صحا قال : ما هذا العَقير ؟ وما هذا العبير ؟ وما هذا الحبير ؟ قالت : زوجتني محمد بن عبد الله ، قال : ما فعلتُ أننى أفعل هذا وقد خطبك أكابرُ قريش ، فلم أفعل !

قال الواقدي : وهذا غلطٌ ، والثَّبت عندنا المحفوظ^(٤) من حديث محمد ابن عبد الله بن مسلم ، عن أبيه ، عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم . ومن حديث ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عُرْوَة ، عن أبيه ، عن عائشة . ومن حديث ابن أبي حبيبة ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أَنَّ عَمَّه عمرو بن أسد زَوَّجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنَّ أباه مات قبل الفِجَار^(٥) .

* * *

قال أبو جعفر : وكان منزل خديجة يومئذ المنزل الذى يعرف بها اليوم ، فيقال : منزل خديجة ، فاشتره معاوية - فيما ذكر - فجعله مسجداً يصلّى فيه الناس ، وبناء على الذى هو عليه اليوم لم يغيّر . وأمّا الحجر الذى على باب البيت عن يسار من يدخل البيت فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس تحته يستتر به من الرَّمْي إذا جاءه من دار أبى لهب ، ودار عدي ابن حمراء الثقفي خلف دار ابن علقمة ، والحجر ذراعٌ وشبر فى ذراع .

(١) م : « الذى مشى » . (٢) ح : « لها المال » .
(٣) ر : « فزوجه » . (٤) ابن سعد : « المحفوظ عن أهل العلم » .
(٥) الخبر فى طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢ ، ١٣٣

ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينبأ ، وما كان بين مولده ووقت نبوته من الأحداث فى بلده

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل سبب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة واختلاف المختلفين فى ذلك ، ووقت نكاحه صلى الله عليه وسلم إياها . وبعده السنة التى نكحها فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم هدمت قريش الكعبة بعشر سنين ثم بنيتها - وذلك فى قول ابن إسحاق - فى سنة خمس وثلاثين من مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان سبب هدمهم إياها فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن الكعبة كانت رضة^(١) فوق القامة ، فأرادوا رفعها وتسقيفها ؛ وذلك أن نفراً من قريش وغيرهم سرقوا كثر الكعبة ؛ وإنما كان يكون فى بئر فى جوف الكعبة .

* * *

وكان أمر غزالى الكعبة - فيما حدثت عن هشام بن محمد ، عن أبيه - أن الكعبة كانت رفعت حين غرق قوم نوح ، فأمر الله إبراهيم خليله عليه السلام وابنه إسماعيل أن يعيدا بناء الكعبة على أسسها الأولى ، فأعادا بناءها ، كما أنزل فى القرآن : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^(٢) ، فلم يكن له ولادة منذ زمن نوح عليه السلام ؛ وهو مرفوع . ثم أمر الله عز وجل إبراهيم أن ينزل ابنه إسماعيل البيت ، لما أراد الله من كرامة من أكرمه بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان إبراهيم خليل الرحمن وابنه إسماعيل يليان البيت بعد عهد نوح ، ومكة يومئذ بلاقع ؛ ومن حول مكة يومئذ جرهم والعماليق . فنكح إسماعيل عليه السلام امرأة من

(١) فى ابن هشام : « رضا » ؛ والرضم : أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط .

(٢) سورة البقرة : ١٢٧ .

جُرْهُم ؛ فقال في ذلك عمرو بن الحارث بن مُضَاض :
وصَاهِرْنَا مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ وَالِدًا فَأَبْنَاؤُهُ مِنَّا وَنَحْنُ الْأَصَاهِرُ

فولِيَ البيت بعد إبراهيم إسماعيل ، وبعد إسماعيل نَبَتْ ؛ وأُمُّه الجَرَهْمِيَّة ؛
ثم مات نَبَتْ ، ولم يَكْثُر ولد إسماعيل ، فغلبت جُرْهُم على ولاية البيت ؛
فقال عمرو بن الحارث بن مُضَاض :

وَكُنَّا وَلَاةَ الْبَيْتِ مِنْ بَعْدِ نَابِتٍ نَطُوفُ بِذَاكَ الْبَيْتِ ، وَالْخَيْرُ ظَاهِرُ

فكان أولَ مَنْ وَلِيَ مِنْ جُرْهُم البيتَ مُضَاض ، ثم وليته بعده بنوه
كأبرأ بعد كابر^(١) ؛ حتى بغت جُرْهُم بمكة ، واستحلوا حرمتها ، وأكلوا مالَ
الكعبة الذي يُهْدَى لها ، وظلموا مَنْ دخل مكة ، ثم لم يتناهَوْا حتى جعل
الرجُلُ منهم إذا لم يجد مكانًا يزنِي فيه يدخل الكعبة فزني . فزعموا أَنَّ
أُسَافًا بَغَى بنائِلَةَ في جَوَافِ الكعبة ، ففُسِّخَا حَجَّارَيْنِ ، وكانت مكة
في الجاهلية لا ظلمَ ولا بَغَى فيها ، ولا يستحلُّ حرمتها مَلِكٌ إِلَّا هلك مكانه
فكانت تسمى النَّاسَةَ ، وتُسَمَّى بِمَكَّةَ ، تَبَّكَ أَعْنَاقُ الْبَغَايَا إِذَا بَغَوْا فيها ؛
والجبابرة . ١١٣٢/١

قال : ولَمَّا لم تتناهَ جُرْهُم عن بَغْيِهَا ، وتفرَّق أولاد عمرو بن عامر من
اليمن ، فأنزع^(٢) بنو حارثة بن عمرو ، فأوطنوا^(٣) تهامة — فسميت^(٤) خَزَاعَةَ ،
وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة — وأسلم ومالك وملكان بنو أَفْصَى بن حارثة ،
فبعث الله على جُرْهُم الرِّعَافَ والنَّمْلَ ، فأفناهم . فاجتمعت خَزَاعَةُ ليجلُّوا مَنْ
بَقِيَ ، ورئيسُهم عمرو بن ربيعة بن حارثة ، وأُمُّه فَهْيَرَةُ بنت عامر بن الحارث
ابن مُضَاض ، فاقتتلوا . فلَمَّا أَحَسَّ عامر بن الحارث بالهزيمة ، خرج بغزالي
الكعبة وحجر الرِّكْنَ يلتمس التوبة ، وهو يقول :

(١) ر : « وعن كابر » .

(٢) أنزعوا ، أى تخلفوا .

(٣) أوطن بالمكان : أقام .

(٤) ط : « سبت » .

لَا هُمْ إِنْ جُرُّهُمْ عِبَادُكَ النَّاسُ طُرْفٌ وَهُمْ تِلَادُكَ
 * بِهِمْ قَدِيمًا عَمِرَتْ بِلَادُكَ *

فلم تُقبَلْ توبته ، فألقى غزالى الكعبة وحجر الركن فى زمزم ، ثم دفنها
 وخرج مَنْ بَقِيَ مِنْ جُرِّهِمْ إِلَى أَرْضٍ مِنْ أَرْضِ جَهَنَّةِ ، فجاءهم سَيْلٌ أُنِيٌّ فَذَهَبَ
 بِهِمْ ، فَذَلِكَ قَوْلُ أُمِيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ :

وَجُرُّهُمْ دَمَنُوا تِهَامَةً فِي السَّدْهِرِ فَسَالَتْ بِجَمْعِهِمْ إِضْمٌ^(١)

وَوَلَّى الْبَيْتَ عَمْرُو بْنُ رَبِيعَةَ . وَقَالَ بَنُو قُصَيٍّ : بَلْ وَلِيَهُ عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ ١١٣٣/١
 الْغُبَشَانِي^(٢) ، وَهُوَ يَقُولُ :

وَنَحْنُ وَلَيْنَا الْبَيْتَ مِنْ بَعْدِ جُرِّهِمْ لِنَعْمَرُهُ مِنْ كُلِّ بَاغٍ وَمُلْجِدٍ
 وَقَالَ :

وَادٍ حَرَامٌ طَيْرُهُ وَوَحْشُهُ نَحْنُ وَلَاتُهُ فَلَا نَغْشُهُ

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ الْحَارِثِ :

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا أُنَيْسٌ وَلَمْ يَسْمُرْ بِمَسَكَةٍ سَامِرٌ
 بَلَى نَحْنُ كُنَّا أَهْلَهَا فَأَبَادَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي وَالْجُدُودُ الْعَوَائِرُ

وَقَالَ :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ سِيرُوا إِنْ قَصَرَ كُمْ أَنْ تُصْبِحُوا ذَاتَ يَوْمٍ لَا تَسِيرُونَا^(٣)
 كُنَّا أَنَاسًا كَمَا كُنْتُمْ فَفَيْرَنَا دَهْرٌ ، فَأَنْتُمْ كَمَا كُنَّا تَكُونُونَا
 حُتُوًا الْمَطْيَ وَأَرْخُوا مِنْ أَرْمَتِهَا قَبْلَ أَلْمَاتٍ وَقَضُوا مَا تُقَضُّونَا

يَقُولُ : اْعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ ، وَافْرُغُوا مِنْ حَوَائِجِكُمْ فِي الدُّنْيَا ؛ فَوَلَّيْتُ خُرَازَةَ ١١٣٤/١
 الْبَيْتَ ؛ غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي قِبَائِلٍ مُضَرِّ ثَلَاثَ خِلَالٍ : الْإِجَازَةُ بِالْحَجِّ لِلنَّاسِ مِنْ

(١) معجم ما استعجم ١٦٦ .

(٢) فِي الْأَصُولِ : « الْغُسَانِي » ؛ وَانْظُرْ كِتَابَ الْأَشْتِقَاقِ ٤٧٩ .

(٣) قَصَرَ كُمْ : نَهَيْتُمْ وَغَايْتُمْ .

عرفة ، وكان ذلك إلى الغوث بن مُرّ - وهو صُوفة - فكانت إذا كانت الإجازة قالت العرب : أجزى صُوفة . والثانية الإفاضة من جمّع غداة النحر إلى منى ، فكان ذلك إلى بني زيد بن عدوان ؛ فكان آخر من ولي ذلك منهم أبو سيّارة عُمَيْلَة بن الأعزل بن خالد بن سعد بن الحارث بن وابلش^(١) ابن زيد ، والثالثة النسيء للشهور الحُرُم ، فكان ذلك إلى القلّمس ، وهو حُدَيْفَة بن فُقَيْم بن عدى من بني مالك بن كنانة ، ثم بنيه حتى صار ذلك إلى آخرهم أبي ثمامة ، وهو جُنادة بن عوف بن أميّة بن قُلْع بن حُدَيْفَة . وقام عليه الإسلام ، وقد عادت الحُرُم إلى أصلها ، فأحكمها الله وأبطل النسيء ؛ فلما كثرت معدّ تفرقت ، فذلك قول مهلهل :

غَنَيْتُ دَارُنَا تِهَامَةً فِي أَلَدِهِ ر ر وفيها بنو معدّة حُلُولًا

وأما قريش ، فلم يفارقوا مكّة ، فلما حضر عبدُ المطلب زمزم ، وجَدَ الغزاليّن ، غزاليّ الكعبة اللذين كانت جرّهم دفنتهما فيه ، فاستخرجهما ؛ وكان من أمره وأمرها ما قد ذكرت في موضع ذلك فيما مضى من هذا الكتاب قبل .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وكان الذي وجد عنده الكثر دُوَيْكًا مولّى لبني مُلَيْح بن عمرو ، من خزاعة . فقطعت قريش يده من بينهم ؛ وكان مِمّن اتّهم في ذلك الحارث بن عامر بن نوفل ، وأبو إهاب^(٢) ابن عَزْرِيْز بن قيس بن سُوَيْد التميمي - وكان أخا الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف لأمه - وأبو لَهَب بن عبد المطلب ؛ وهم الذين تزعم قريش أنهم وضعوا كثر الكعبة حين أخذه عند دُوَيْك مولى لبني مُلَيْح ، فلما اتّهمتهم قريش ، دلّوا على دُوَيْك ، فقُطِع ، ويقال : هم وضعوه عنده .

(١) ح : « واطر » ، ر : « واسر » ، والمثبت يوافق ما في الاشتقاق ٢٦٨

(٢) « كذا ضبطه صاحب القاموس بوزن كتاب .

وذكروا أن قريشاً حين استيقنوا بأن ذلك كان عند الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف، خرجوا به إلى كاهنة من كهاتان العرب، فسجعت عليه من كهانتها بالآلات يدخل مكة عشر سنين، بما استحل من حرمة الكعبة، فزعموا أنهم أخرجوه من مكة، فكان فيما حوّلها عشر سنين؛ وكان البحر قد رمى بسفينة إلى جدة لرجل من تجّار الروم، فتحطمت، فأخذوا خشبها فأعدّوه لسفّفيها؛ وكان بمكة رجل قبليّ نجّاراً، فنهياً لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها، وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم، فتشرف على جدار الكعبة، فكانوا يهابونها، وذلك أنه كان لا يدنو منها أحدٌ إلا احزّلت وكشت^(١) وفتحت فاهاً؛ فبينما هي يوماً تشرف على جدار الكعبة كما كانت تصنع، بعث الله عليها طائراً، فاختطفها فذهب بها، فقالت قريش: إنّا لنرجو أن يكون الله عزّ وجلّ قد رضى ما أردنا. عندنا عامل رقيق، وعندنا خشب، وقد كفانا الله [أمر]^(٢) الحية. وذلك بعد الفجار بخمس عشرة سنة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عامئذٍ ابن خمس وثلاثين سنة.

فلما أجمعوا أمرهم في هدمها وبنائها، قام أبو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم، فتناول من الكعبة حجراً، فوثب من يده؛ حتى رجع إلى موضعه، فقال: يا معشر قريش، لا تدخلوا في بنيانها من كسبكم إلا طيباً، ولا تدخلوا فيها مهراً بغياً، ولا بيع رباً، ولا مظلمة أحدٍ من الناس.

قال: والناس يتحكون هذا الكلام الوليد بن المغيرة^(٣)؛ حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثنا محمد بن إسحاق، عن عبد الله ابن أبي نجيح المكي، أنه حدث عن عبد الله بن صفوان بن أمية بن

(١) احزّلت: انضمت خوفاً، وكشت: صوتت لاحتكاك بعض جلدها ببعض.

(٢) تكلمة من ح.

(٣) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم.

خلف^(١) ، أنه رأى ابناً لجمدة بن هُبَيْرَة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ ابن عمران بن مخزوم يطوف بالبيت ، فسأل عنه فقبل له : هذا ابن لجمدة ابن هُبَيْرَة ، فقال عند ذلك عبد الله بن صفوان جدّ هذا — يعني أبا وهب الذي أخذ من الكعبة حجراً حين اجتمعت قريش لهدمها ، فوثب من يده حتى رجع إلى موضعه ، فقال عند ذلك : يا معشر قريش ، لا تُدْخِلُوا فِي بَنِيانِهَا مِنْ كَسْبِكُمْ إِلَّا طَيْبًا ، لا تُدْخِلُوا فِيهَا مَهْرَ بَغْيٍ ، ولا يَبِيعُ رَبًّا ولا مَظْلِمَةً أَحَدٍ .

وأبو وهب خال أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان شريفاً^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن قُرَيْشًا تَجَزَّأت الكعبة ، فكان شِقُّ الباب لبني عبد مناف وزهرة ، وكان ما بين الرُّكن الأسود والرُّكن اليماني لبني مخزوم وتيسم وقبائل من قريش ، ضُمُّوا إليهم ، وكان ظهر الكعبة لبني جُمَحَ وبني سَهْم^(٣) ، وكان شِقُّ الحِجْرِ — وهو الحطيم — لبني عبد الدار بن قصي ولبني أسد بن عبد العزى بن قصي ، وبني عدى بن كعب .

ثم إن الناس هابوا هَدْمَها وفرقوا منه ، فقال الوليد بن المغيرة : أنا

(١) بعده في ابن هشام : « ابن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هيصم بن كعب

بن لؤي » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٠ ، ١٣١ ، وفيها : وله يقول شاعر من العرب :

وَلَوْ بِأَبِي وَهْبٍ أَنْخْتُ مَطِيتِي غَدَتِ مِنْ نَدَاهُ رَحْلَهَا غَيْرَ خَائِبِ
بَأْيِضٍ مِنْ فَرَعَى لُؤْيٍ بِنِ غَالِبِ إِذَا حُصِّلَتْ أَنْسَابُهَا فِي الذَّوَائِبِ
أَبِي لَأَخْذِ الضَّمِّ يَرْتَاكِ لِلنَّدَى تَوَسَّطَ جَدَّاهُ فُرُوعُ الْأَطَايِبِ
عَظِيمُ رَمَادِ الْقَدْرِ يَمَلَأُ جِفَانَهُ مِنْ الْخُبْزِ يَعْلُوهُنَّ مِثْلُ السَّبَائِبِ

(٣) في ابن هشام : « لبني جمح وسهم ابني عمرو بن هيصم بن كعب بن لؤي » .

أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المِعْوَل ثم قام عليها ، وهو يقول : اللهم لم تُرْعَ^(١) ، اللهم لا نريد إلا الخير . ثم هَدَمَ من ناحية الرُّكْنَيْنِ ، فترَبَّصَ النَّاسُ به تلك اللَّيْلَةَ ، وقالوا : نظر ؛ فإن أُصِيبَ لم نهدم منها شيئاً ؛ ورددناها كما كانت ؛ وإن لم يصبه شيءٌ فقد رَضِيَ اللهُ ما صنعنا هَدَمْنَا^(٢) .

فأصبح الوليد من ليلته غادياً على عمله ، فهدم والناس معه ؛ حتى انتهى الهدم إلى الأساس ، فأفضوا إلى حجارة خُضِرَ كأنها أَسِنَّةٌ^(٣) آخذ بعضها ببعض^(٤) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض مَنْ يروى الحديث ، أن رجلاً من قريش ممن كان يهدمها ، أدخل عَتَلَةً بين حجرين منها ، ليقلع بها أحدها ، فلما تحرك الحجر انتقضت^(٥) مكة بأسرها ، فانتهوا عند ذلك إلى الأساس^(٦) .

قال : ثم إن القبائل جمعت الحجارة لبنائها ، جعلت كل قبيلة تجمع على حِدَتِها ، ثم بنوا حتى إذا بلغ البنيان مَوْضِعَ الرُّكْنِ اختصموا فيه ؛ كل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه دون الأخرى ؛ حتى تحاوزوا^(٧) وتحالفوا وتواعدوا للقتال ؛ فقرَّبَت بنو عبد الدار جَفَنَةً مملوءة دماً ؛ ثم تعاهدوا هم

(١) قال السهيلي : « قولهم : اللهم لم تُرْعَ ؛ هي كلمة يقال عند تسكين الروح والنَّفْسِ وإظهار اللين والبر في القول ؛ ولا روع في هذا الموطن فينقضي ؛ ولكن الكلمة تقتضى إظهار قصد البر ؛ فلذلك تكلموا بها ؛ وعلى هذا يجوز التكلم بها في الإسلام ؛ وإن كان فيها ذكر الروح الذي هو محال في حق الباري تعالى ؛ ولكن لما كان المقصود ما ذكرنا جاز النطق بها ، ويروى أيضاً : اللهم لم نزع ، وهو جلي لا يشكل » .

(٢) في ابن هشام : « فقد رضى الله صنعنا فهدمنا » .

(٣) ابن هشام : « أسنمة » . قال السهيلي : « وتشبيهها بالأسنة لا تشبه بها إلا في الزرقة ، وتشبيهها بأسنمة الإبل أولى لعظمها » .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ .

(٥) في ابن هشام : « انتقضت » ، أى اهتزت .

(٦) تحاوزوا ؛ أى انحازت كل قبيلة إلى جهة ، وفي إحدى نسخ ابن هشام : « تحاوروا » ،

أى تجادلوا وكثر الكلام والحوار بينهم .

وبنو عدى بن كعب على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم في الجفنة ؛ فسُمُوا لَعَنَةَ الدم بذلك ؛ فكثت قريش أربع ليالٍ - أو خمس ليالٍ - على ذلك . ثم إنهم اجتمعوا في المسجد ، فتشاوروا وتناصفوا ؛ فزعم بعضُ الرواة أن أبا أمية ابن المغيرة كان عامئذ أسن^(١) قريش كلها ، قال : يا معشر قريش ؛ اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول مَنْ يدخلُ من باب هذا المسجد ، يقضي بينكم فيه ؛ فكان أولَ مَنْ دخل عليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوه قالوا : هذا الأمين ، قد رَضِينَا به ؛ هذا محمد . فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر ، قال : هلم لي ثوباً^(٢) ، فأَتَيْتِي به . فأخذ الركن ، فوضعه فيه بيده ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا به موضعه ، وضعه بيده ، ثم بنى عليه ؛ وكانت قريش تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتزل عليه الوحي الأمين^(٣) .

قال أبو جعفر : وكان بناءُ قريش الكعبة بعد الفِجَارَ بخمس عشرة سنة ، وكان بين عام الفيل وعام الفِجَارَ عشرون سنة .

* * *

واختلف السلف في سن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نُبِئَ كم كانت ؟ فقال بعضهم : نُبِئَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما بنت قريش الكعبة بخمس سنين ؛ وبعد ما تمت له من مولده أربعون سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضَّبْعِيُّ ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة .

(١) ر : « أشرف » .

(٢) ح : « هلموا لي بثوب » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ ، ١٣٢

حدَّثنا عمرو بن علي وابن المنثني ، قالا : حدَّثنا يحيى بن محمد بن قيس قال : سمعتُ ربيعة بن أبي عبد الرحمن يذكر عن أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدَّثنا العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدَّثنا الأوزاعي ، قال : حدَّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدَّثني أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدَّثني ابنُ عبد الرحيم البرقي ، قال : حدَّثنا عمرو بن أبي سلامة ، عن الأوزاعي ، قال : حدَّثني ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، قال : حدَّثني أنس بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بُعث على رأس أربعين .

حدَّثني أبو شُرَحْبِيل الحمصي ، قال : حدَّثني أبو اليان ، قال : حدَّثنا إسماعيل بن عتيّاش ، عن يحيى بن سعيد ، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن ، عن أنس بن مالك ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدَّثنا ابن المنثني ، قال : حدَّثنا الحجاج بن المنهال ، قال : حدَّثنا حمّاد ، قال : حدَّثنا عمرو بن دينار ، عن عروة بن الزبير ، قال : بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين .

حدَّثنا ابن المنثني ، قال : حدَّثنا الحجاج ، عن حمّاد ، قال : أخبرنا عمرو ، عن يحيى بن جعدة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة : إنه كان يُعرض على القرآن كل عام مرّةً ؛ وإنه قد عُرض على العام مرتين ، وإنه قد خيّل إلى أن أجليّ قد حضر ؛ وأن أولَ أهلي لحاقاً^(١) بي أنت ؛ وإنه لم يُبعث نبيّ إلاّ بُعث الذي بعده بنصف من عمره ، وبعث عيسى لأربعين ، وبُعث لعشرين^(٢) .

(٢) في ط ، وفي المقاصد الحسنة ٣٦٢ :

(١) ح : « لحوقا » .

« ما بعث الله نبياً إلا عاش نصف ما عاش النبي قبله » ، ونقله برواية أخرى في ص ٣٧٢ ، وقال : إنه موضوع .

حدثني عبيد بن محمد الوراق ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال :
حدثنا هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة ، فكثَّ بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ومحمد بن ميمون الزعفراني ،
عن هشام بن حسان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسول
الله صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه وهو ابن أربعين سنة ، فكثَّ بمكة ثلاث
عشرة سنة . ١١٤١/١

* * *

وقال آخرون : بل نُبِئَ حين نُبِئَ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا
يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن يحيى بن سعيد ، عن
سعيد بن المسيب ، قال : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي وهو
ابن ثلاث وأربعين سنة .

حدثنا ابن المشني ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى
ابن سعيد ، قال : سمعت سعيداً - يعني ابن المسيب - يقول : أنزل على رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوحي ؛ وهو ابن ثلاث وأربعين سنة . [

ذكر اليوم الذي نُبِئ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الشهر الذي نُبِئ فيه وما جاء في ذلك

قال أبو جعفر : صحَّ الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدَّثنا به ابن المثنى ، قال : حدَّثنا محمد بن جعفر ، قال : حدَّثنا شعبة ، عن غَيْلَان بن جرير ، أنه سمع عبد الله بن معبد الزَّمَانِي ، عن أبي قَتَادَةَ الأنصاري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم الاثنين ، فقال : ذلك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم بعثتُ - أو أنزل عليّ فيه .

حدَّثنا أحمد بن منصور ، قال : حدَّثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدَّثنا أبو هلال ، قال : حدَّثنا غَيْلَان بن جرير المَعُولِيّ قال : حدَّثنا عبد الله بن معبد الزَّمَانِي ، عن أبي قَتَادَةَ ، عن عمر رحمه الله أنه قال ١١٤٢/١ للنبي صلى الله عليه وسلم : يا نبي الله ، صومُ يوم الاثنين ؟ قال : ذاك يوم وُلِدْتُ فيه ، ويوم أنزلت عليّ فيه النبوة .

حدَّثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : حدَّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حَنَشِ الصَّنَعَانِي ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستنبي يوم الاثنين ^(١) . قال أبو جعفر : وهذا ممَّا لا خلاف فيه بين أهل العلم .

* * *

واختلفوا في أيِّ الاثنين كان ذلك ؟ فقال بعضهم : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثمانِي عشرة خَلَّتْ من رمضان .
* ذكر من قال ذلك *

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلَمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن أيوب ، عن أبي قُلابَةَ عبد الله بن زيد

الجرمي ، أنه كان يقول — فيما بلغه وانتهى إليه من العلم : أنزل الفرقان على رسول الله صلى الله عليه وسلم لثاني عشرة ليلة خلت من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل أنزل لأربع وعشرين ليلة خلت منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثني محمد بن إسحاق، قال : حدثني من لا يثبتهم^(١) ، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة ابن دعام السدوسي، عن أبي الجلود، قال : نزل الفرقان لأربع وعشرين ليلة خلت من رمضان .

* * *

وقال آخرون : بل نزل لسبع عشرة خلت من شهر رمضان ؛ واستشهدوا^(٢)

لتحقيق ذلك بقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِي الْجَمْعَانِ ﴾^(٣) ؛ وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيدراً ؛ وأن التقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركون بيدراً كان صبيحة سبع عشرة من رمضان .

* * *

قال أبو جعفر : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل أن يظهر له^(٤) جبريل عليه السلام برسالة الله عز وجل إليه — فيما ذكر عنه — يرى ويعاين آثاراً وأسباباً من آثار من يريد الله إكرامه واختصاصه بفضله ؛ فكان من ذلك ما قد ذكرت فيما مضى من خبره عن الملكيين اللذين أتياه فشققا بطنه ، واستخرجا ما فيه من الغل والدنس ؛ وهو عند أمه من

(١) ح : « أنهم » .

(٢) ر ، م : « واستشهد لتحقيق قوله » .

(٣) سورة الأنفال ٤١ .

(٤) ح : « عليه » .

الرضاعة حكيمة ، ومن ذلك أنه كان إذا مرَّ في طريق لا يمرّ - فيما ذكر - عنه بشجرٍ ولا حَجَرٍ فيه إلّا سلّم عليه .

حدَّثني الحارث بن محمّد ، قال : حدَّثنا محمّد بن سعد ، قال : أخبرنا محمّد بن عمر ، قال : حدَّثنا عليّ بن محمّد بن عبيد الله بن عمر بن الخطّاب ، عن منصور بن عبد الرحمن ، عن أمّته ، عن برة بنت أبي تجرة ، قالت : إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم حين أراد الله كرامته وابتدأه^(١) بالنبوة ، كان إذا خرج لحاجته أبعدَ حتى لا يرى بيتاً ، ويفضي إلى الشّعاب وبطن الأودية ، فلا يمرّ بحجرٍ ولا شجرةٍ إلّا قالت : السّلام عليك يا رسول الله ، فكان يلتفتُ عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً^(٢) .

قال أبو جعفر : وكانت الأُمّ تتحدّث بمبعثه وتخبر علماء كلّ أمة منها قومها بذلك ؛ وقد حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدَّثني عليّ بن عيسى الحكمي ، عن أبيه ، ١١٤٤/١ عن عامر بن ربيعة ، قال : سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول : أنا أنظر نبياً من ولد إسماعيل ، ثم من بني عبد المطلب ولا أراني أدركه ؛ وأنا أومن به وأصدقه ، وأشهد أنه نبيّ ، فإن طال بك مدّة فرأيت ، فأقرته منّي السلام ، وسأخبرك ما نعتُهُ حتى لا يخفى عليك ! قلت : هلّم ، قال : هو رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ، ولا بكثير الشعر ولا بقليله ، وليس تفارق عينيه حمرة ، وخاتم النبوة بين كتفيه ، واسمه أحمد ، وهذا البلد مولدُهُ ومبعثه ، ثم يخرجهُ قومه منها ، ويكرهون ما جاء به ، حتى يهاجرَ إلى يثرب فيظهر أمرُهُ ؛ فإياك أن تُخدعَ عنه ، فإنّي طُفْتُ البلادَ كلّها أطلب^(٣) دين إبراهيم ، فكلّ من أسأل من اليهود والنصارى والمجوس يقولون : هذا الدّين وراءك ، وينعتونه مثل ما نعتُهُ لك ؛ ويقولون : لم يبق نبيٌّ غيره^(٤) .

(١) م : « فابتدأه » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٥٧ .

(٣) كذا في ح ، ر وطبقات ابن سعد ، وفي ط : « لطلب » .

(٤) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ ، ١٦٢ .

قال عامر: فلما أسلمتُ أخبرْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قول زيد ابن عمرو وأقرأته منه السلام، فردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ وترحمَ^(١) عليه، وقال: قد رأيتُهُ في الجنة يسحبُ ذنبولا.

حدثنا ابن حميد، قال: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، عن ابن إسحاق عَمَّنْ لَا يُتَّبَعُ، عن عبد الله بن كعب مولى عثمان، أَنَّهُ حَدَّثَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بَيْنَا هُوَ جَالِسٌ فِي النَّاسِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ دَاخِلٌ^(٢) الْمَسْجِدَ، يَرِيدُ عُمَرَ - يَعْنِي ابْنَ الْخَطَّابِ - فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ عُمَرُ قَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ لَعَلَى شِرْكِهِ بَعْدَ، مَا فَارَقَهُ - أَوْ لَقَدْ كَانَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِ الرَّجُلُ، ثُمَّ جَلَسَ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: هَلْ أَسْلَمْتَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، فَقَالَ: هَلْ كُنْتَ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ فَقَالَ الرَّجُلُ^(٣): سَبَّحَانَ اللَّهِ! لَقَدْ اسْتَقْبَلْتَنِي^(٤) بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتَهُ لِأَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِكَ مِنْذُ وَلَيْتَ! فَقَالَ عُمَرُ: اللَّهُمَّ غَقِّرَا؛ قَدْ كُنَّا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى شَرٍّ مِنْ ذَلِكَ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَعْتَنُقُ الْأَوْثَانَ حَتَّى أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ. فَقَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؛ لَقَدْ كُنْتُ كَاهِنًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. قَالَ: فَأَخْبِرْنَا مَا أَعْجَبُ مَا جَاءَكَ بِهِ صَاحِبُكَ. قَالَ: جَاءَنِي قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ - أَوْ سَنَةٍ - فَقَالَ لِي: «أَلَمْ تَرِ إِلَى الْجَنِّ وَالْإِبِلَاسِ، وَإِيَّاسِهَا مِنْ دِينِهَا، وَلِحَوْقِهَا بِالْقِلَاصِ وَأَحْلَاسِهَا^(٥)؟!». قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ عِنْدَ ذَلِكَ يَحْدُثُ النَّاسُ: وَاللَّهِ إِنِّي لَعِنْدَ وَثْنٍ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي نَفَرٍ مِنْ قَرِيْشٍ؛ قَدْ ذَبَحَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ عَجَلًا فَنَحْنُ نَنْظُرُ قَسَمَهُ لِيَقْسِمَ لَنَا مِنْهُ، إِذْ سَمِعْتُ مِنْ جَوْفِ الْعَجَلِ صَوْتًا مَا سَمِعْتُ صَوْتًا قَطُّ أَنْفَذَ مِنْهُ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ بِشَهْرٍ أَوْ شَيْعِهِ^(٥)، يَقُولُ: يَا آلَ ذَرِيحَ؛

(١) كَذَا فِي ر، م، وَفِي ط: «رَحِمَ عَلَيْهِ». (٢) ابْنُ هِشَامٍ: «دَاخِلًا».

(٣-٣) ابْنُ هِشَامٍ: «سَبَّحَانَ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَقَدْ خَلَّتْ فِيَّ، وَاسْتَقْبَلْتَنِي بِأَمْرِ مَا أَرَاكَ قُلْتَهُ لِأَحَدٍ».

(٤) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: هَذَا الْكَلَامُ سَجْعٌ وَلَيْسَ بِشِعْرِ. وَالْإِبِلَاسُ: الْفَذْلَةُ. وَالْإِيَّاسُ: الْيَاسُ. وَالْقِلَاصُ مِنَ الْإِبِلِ: الْفَتِيَّةُ. وَالْأَحْلَاسُ: جَمْعُ حَلَسَ، وَهُوَ الْكِسَاءُ يُوضَعُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ.

(٥) كَذَا فِي ابْنِ هِشَامٍ، قَالَ السَّهْبِيُّ: «أَوْ شَيْعِهِ، أَيْ دُونَهُ بِقَلِيلٍ، وَشَيْعَ كُلِّ شَيْءٍ مَا هُوَ تَبَعٌ لَهُ». وَفِي ط: «أَوْ سَنَةٍ»، وَالْأَجْوَدُ مَا أَثْبَتَهُ عَنْ ابْنِ هِشَامٍ.

أمرٌ نجيح ، ورَجُلٌ يصيح ؛ يقول : لا إله إلا الله ^(١) .

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا عليّ بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهريّ ، عن عبد الله بن كعب ، مولى عثمان بن عفّان ، مثله .

حدَّثنا الحارث ، قال : حدَّثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدَّثني محمد بن عبد الله ، عن الزهريّ ، عن محمد بن جُبَيْر بن مطعم ، عن أبيه ، قال : كنّا جلوساً عند صَتمِ بَيُوتَانَةٍ قبل أن يبعثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بشهر ؛ نحزننا جزوراً ؛ فإذا صائح يصيح من جَوَفِ واحدة : اسمعوا إلى العجب ! ذهب استراق الوحي ، ونرمي بالشَّهْبُ لنبيِّ بمكة اسمه أحمد ، مهاجره إلى يثرب . قال : فأمسكنا ، وعجبنا ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم ^(٢) .

حدَّثني أحمد بن سنان القطان الواسطيّ ، قال : حدَّثنا أبو معاوية قال : حدَّثنا الأعمش ، عن أبي ظَبْيَان ، عن ابن عبّاس ، أن رجلاً من بني عامر أتى النبيّ صلى الله عليه وسلّم ، فقال : أرني الخاتَمَ الذي بين كتفك ؛ فإن يكُ بك ^(٣) طِبٌّ داوَيْتُكَ ؛ فإني أطبّ العرب ، قال : أتحبّ أن أريك آية ؟ قال : نعم ؛ ادعُ ذاك العِذْقُ ، قال : فنظر إلى عِذْقٍ في نخلة ، فدعاه فجعل ينقز ^(٤) ؛ حتى قام بين يديه ، قال : قل له فليرجع ، فرجع ، فقال العامريّ : يا بني عامر ، ما رأيتُ كالْيَوْمِ أسحر !

* * *

قال أبو جعفر : والأخبار عن الدلالة على نبوته صلى الله عليه وسلّم أكثر من أن تحصى ، ولذلك كتاب يفرد إن شاء الله .

ونرجع الآن إلى :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٣٩ - ١٤٠ .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ١٦١ .

(٣) الطّبّ ها هنا : السحر .

(٤) النقر : الوثب .

ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم
عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال

جبريل عليه السلام إليه بوحيه

قال أبو جعفر : قد ذكرنا قبل بعض الأخبار الواردة عن أول وقت
مجيء جبريل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالوحي من الله ، وكم كان سنّ
النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ ؛ ونذكر الآن صفة ابتداء جبريل إياه بالمصير ١١٤٧/١
إليه ، وظهوره له بتنزيل ربه .

فحدثني أحمد بن عثمان المعروف بأبي الجوزاء ، قال : حدثنا وهب
ابن جرير ، قال : حدثنا أبي ، قال : سمعت النعمان بن راشد ، يحدث عن
الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة أنها قالت : كان أول ما ابتدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة ، كانت تجيء مثل فلتات
الصُّبح ، ثم حُيِّبَ إليه الخلاء ، فكان بغار بجراء يتحنّث فيه الليالي ذوات
العدد قبل أن يرجع إلى أهله ، ثم يرجع إلى أهله ، فيتزوّد لمثلها ؛ حتى فجأه
الحقّ ، فأتاه ، فقال : يا محمد ، أنت رسول الله ! قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : فجئت لركبتي وأنا قائم ، ثم زحفت^(١) ترجفُ بوادي^(٢) ، ثم
دخلت على خديجة ، فقلت : زملوني ، زملوني ! حتى ذهب عني الرّوع ،
ثم أتاني فقال : يا محمد ، أنت رسول الله . قال : فلقد هممت أن أطرح
نفسي من حالي من جبل ، فتبدّى لي حين هممت بذلك ، فقال : يا محمد ،
أنا جبريل ، وأنت رسول الله . ثم قال : اقرأ ، قلت : ما اقرأ ؟ قال : فأخذني
فغتنى ثلاث مرات ، حتى بلغ مني الجهد ، ثم قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ
الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٣) ، فقرأت . فأتيت خديجة . فقلت : لقد أشفقت على نفسي ، فأخبرتها
خبري ، فقالت : أبشّر ، فوالله لا يُخزّيك الله أبداً ؛ ووالله إنك لتستصل

(١) ر والتفسير : « رجعت » .

(٢) ر والتفسير : « فؤادي » .

(٣) سورة العلق ١ .

الرحيم ، وتصدق الحديث ، وتؤدى الأمانة ، وتحمل الكَلَّ وتَقْرِى الضيف ، وتعين على نواب الحق . ثم انطلقت بى إلى ورقة بن نوفل بن أسد ، قالت : اسمع من ابن أخيك ، فسألتى فأخبرته خبرى ، فقال : هذا الناموس^١ الذى أنزل على موسى بن عمران ، ليتنى فيها جدع ! ليتنى أكون حين يخرجك قومك ! قلت : أمخرجى هم ؟ قال : نعم ؛ إنه لم يجر رجل قط بما جئت به إلا عودى ، ولئن أدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً^(١) .

ثم كان أول ما نزل على من القرآن بعد «اقرأ» : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ . مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَمَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ * فَسُبِّحْهُ وَيُبْصِرُونَ ﴾ ، و ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ و ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴾^(١) .

حدثنى يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى يونس ، عن ابن شهاب ، قال : حدثنى عروة ، أن عائشة أخبرته . ثم ذكر نحوه ؛ غير أنه لم يقل : « ثم كان أول ما أنزل على من القرآن » . إلى آخره .

حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى السوارب ، قال : حدثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : حدثنا سليمان الشيبانى ، قال : حدثنا عبد الله بن شداد ، قال : أتى جبريل^٢ محمدًا صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، اقرأ ؟ فقال : ما أقرأ ؟ قال : فضمه^(٢) ، ثم قال : يا محمد ، اقرأ ، قال : ما أقرأ ؟ قال : فضمه ، ثم قال : يا محمد ، اقرأ ، قال : وما أقرأ ؟ قال : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فجاء إلى خديجة ، فقال : يا خديجة ، ما أراى إلا قد عرّض^(٣) لى ، قالت : كَلَّا والله ما كان ربك يفعل ذلك بك ، ما أتيت فاحشة قط . قال : فأتت

(١) الخبر فى التفسير ٣٠ : ١٦١ ، ١٦٢ (بولاق) .

(٢) ط : « فغمه » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) عرض لى ، أى أصابنى مس من الجن . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٨٣ .

١١٤٩/١ خديجةُ ورقةَ بنِ نوفل فأخبرته الخبر ، فقال : لئن كنت صادقة ، إنَّ زوجك لنبيٌّ ، وليلقين من أمتي شدةً ، ولئن أدركته لأومِنَنَّ به .
قال : ثم أبطأ عليه جبريل ، فقالت له خديجة : ما أرى ربَّك إلاَّ قد قلاك ، قال : فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَالضُّحَى * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير ، قال : سمعتُ عبد الله بن الزبير ، وهو يقول لعبيد بن عمير بن قنادة الليثي : حدثنا يا عبيد كيف كان بدء ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاء جبريل عليه السلام ؟ فقال عبيد — وأنا حاضر يحدث عبد الله بن الزبير ومن عنده من الناس : كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجاورُ في حراء من كلِّ سنة شهراً ، وكان ذلك مما تحنَّثُ ^(٢) به قريش في الجاهلية — والتحنت : التبرر — وقال أبو طالب :

* وَرَاقٍ لِيَرَقِي فِي حِرَاءٍ وَنَازِلٍ * ^(٣)

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاورُ ذلك الشهر من كلِّ سنة ، يطعم من جاءه من المساكين ، فإذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك ، كان أول ما يبدأ به — إذا انصرف من جواره — الكعبة قبل أن يدخل بيته ، فيطوف بها سبعاً ، أو ما شاء الله من ذلك ، ثم يرجع إلى بيته ، حتى إذا كان الشهر الذي أراد الله عزَّ وجلَّ فيه ما أراد من كرامته ، من السنة التي بعثه فيها ؛ وذلك في شهر رمضان ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى حراء — كما كان يخرج لجواره — معه أهله ؛ حتى إذا كانت الليلة التي أكرمها الله فيها برسالاته ورحم العباد بها ، جاءه جبريل بأمر الله فقال رسول الله صلى الله

(١) الخبر في التفسير ٣٠ : ١٦٢ (بولاق) . (٢) ح : « تحنث » .

(٣) صدره في ابن هشام :

* وَثَوْرٍ وَمِنْ أَرْسَى ثَبِيرًا مَكَانَهُ *

عليه وسلم ، فجاءني وأنا نائم بنمط من ديباج ، فيه كتاب ، فقال :
 اقرأ ، فقلت : ما اقرأ ؟ ففتني ^(١) ، حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلني فقال :
 اقرأ ، فقلت : ماذا اقرأ ؟ وما أقول ذلك إلا افتداءً منه أن يعود إلي بمثل
 ما صنع بي ، قال : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلَّمَ
 الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، قال : فقرأته ، قال : ثم انتهى ، ثم انصرف عني
 وهيئت من نومي ؛ وكأنما كتب في قلبي كتاباً .

قال : ولم يكن من خلق الله أحد أبغض إلي من شاعر أو مجنون ؛
 كنت لا أطيق أن أنظر إليهما ، قال : قلت إن الأبعد - يعني نفسه -
 لشاعر أو مجنون ، لا تحدث بها عني قريش أبداً ! لأعمدن إلى حالي من
 الجبل فلا طرحن نفسي منه فلا قتلنها فلا سترين .

قال : فخرجت أريد ذلك ؛ حتى إذا كنت في وسط من الجبل ؛ سمعت
 صوتاً من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله ، وأنا جبريل ، قال :
 فرفعت رأسي إلى السماء ؛ فإذا جبرئيل في صورة رجل صاف قدميه في أفق
 السماء ، يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبرئيل . قال : فوقفت أنظر
 إليه ، وشغلني ذلك عما أردت ؛ فما أتقدم وما أتأخر ؛ وجعلت أصرف وجهي
 عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك ؛ فما زلت واقفاً
 ما أتقدم أمامي ، ولا أرجع ورأى ؛ حتى بعثت خديجة رسلها في طلبي ؛ حتى
 بلغوا مكة ورجعوا إليها وأنا واقف في مكاني . ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً
 إلى أهلي ؛ حتى أتيت خديجة ، فجلست إلى فخذيها مضيئاً ^(٢) فقالت :
 يا أبا القاسم ؛ أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسل في طلبك ، حتى بلغوا
 مكة ورجعوا إلي . قال : قلت لها : إن الأبعد لشاعر أو مجنون ، فقالت :

(١) قال ابن الأثير : « الفت والفظ سواء ؛ كأنه أراد : عصرتي عصراً شديداً حتى وجدت

منه المشقة ، كما يجد من يغمس في الماء قهراً » .

(٢) مضيئاً ، أي ملتصقاً بها مائلاً إليها ؛ أضفت إلى الرجل ؛ إذا ملت نحوه ولصقت به .

أعيزك بالله من ذلك يا أبا القاسم ! ما كان الله ليصنعَ ذلك بك مع ما أعلم منك من صدق حديثك ، وعظم أمانتك ، وحسن خلقك ، وصلة رحمك ! وما ذاك يا بن عم ! لعلك رأيت شيئاً ؟ قال : فقلت لها : نعم . ثم حدثتها بالذي رأيت ، فقالت : أبشر يا بن عم واثبت ، فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكونَ نبيّ هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليها ثيابها ، ثم انطلقتُ إلى ورقة بن نوفل بن أسد - وهو ابن عمّها ، وكان ورقة قد تنصّر وقرأ الكتب ، وسمع من أهل التوراة والإنجيل - فأخبرته بما أخبرها به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنه رأى وسمع ، فقال ورقة : قدّوس ، قدّوس ! والذي نفس ورقة بيده ، لئن كنتِ صدقتينِ يا خديجة ، لقد جاءه الناموس (١) الأكبر - يعنى بالناموس جبرئيل عليه السلام الذي كان يأتي موسى - وإنه لنبيّ هذه الأمة ، فقول له فليثبت . فرجعت خديجة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبرته بقول ورقة ، فسهّل ذلك عليه بعض ما هو فيه من الهم ، فلما قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم جواره ، وانصرف صنع كما كان يصنع ؛ وبدأ بالكعبة فطاف بها . فلقيه ورقة بن نوفل ، وهو يطوف بالبيت ، فقال : يا بن أخي ، أخبرني بما رأيت أو سمعت ، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، فقال له ورقة : والذي نفسى بيده ، إنك لنبيّ هذه الأمة ، ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء إلى موسى ، ولتُكذِّبته وتؤذِّبته ، وتُخرِجه ، ولتقاتلته ؛ ولئن أنا أدركتُ ذلك لأنصرن الله نصرّاً يعلمه . ثم أدنى رأسه فقبل يافوَّعه ، ثم انصرف رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، إلى منزله (٢) .

١١٥٢/١

وقد زاده ذلك من قول ورقة ثباتاً ، وخفّف عنه بعض ما كان فيه من الهم . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير ، أنه حدث عن

(١) أصل الناموس ، هو صاحب سر الرجل في خيره وشره ؛ فعبر عن الملك الذي جاء بالوحي

بذلك .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٣ - ١٥٦ .

خديجة أنها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يثبتته فيما أكرمه الله به من نبوته : يا بن عم ، أنتستطيع أن تخبرني بصاحبك هذا الذي يأتيك إذا جاءك ؟ قال : نعم ، قالت : فإذا جاءك فأخبرني به ، فجاءه جبرئيل عليه السلام كما كان يأتيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة : يا خديجة هذا جبرئيل قد جاءني ، فقالت : نعم ، فقم يا بن عم ، فاجلس على فخذي اليسرى ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، قالت : فتحوّل فاقعد على فخذي اليمنى ، فتحوّل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها ، فقالت : هل تراه ؟ قال : نعم ؛ قالت : فتحوّل فاجلس في حجرى ، فتحوّل فجلس في حجرها ، قالت : هل تراه ؟ قال : نعم ، فتحسّرت ، فألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في حجرها ، ثم قالت : هل تراه ؟ قال : لا ، فقالت : يا بن عم ، اثبت وأبشر ؛ فوالله إنه لملك وما هو بشيطان ^(١) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وجدت بهذا الحديث عبد الله بن الحسن ، فقال : قد سمعت أمى فاطمة بنت الحسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة ، إلا أنى ١١٥٣/١ قد سمعتها تقول : أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها ، فذهب عند ذلك جبرئيل ، فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هذا ملك ، وما هو بشيطان ^(١) .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا عثمان بن عمر بن فارس ، قال : حدثنا على بن المبارك ، عن يحيى - يعنى ابن أبى كثير - قال : سألت أبا سلمة : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : يقولون : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾ ! فقال أبو سلمة : سألت جابر بن عبد الله : أى القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ، فقلت : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ﴾ ، فقال : لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : جاورت في حراء ، فلما قضيت جوارى ، هبطت فاستبطنت الوادى ،

فَنُودِيتُ ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي ، وَخَلَقَنِي وَقُدَّامِي ، فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ،
فَنَظَرْتُ فَوْقَ رَأْسِي ، فَإِذَا هُوَ جَالِسٌ عَلَيَّ عَرْشٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ،
فَخَشِيتُ مِنْهُ - قَالَ ابْنُ الْمُنْتَنَى : هَكَذَا قَالَ عُمَانُ بْنُ عَمْرِو ، وَإِنَّمَا هُوَ «فَجِئْتُ مِنْهُ» (١)
- فَلَقِيتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ، فَدَثَّرُونِي ، وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ :
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ .

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْمُبَارَكِ ، عَنْ
يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ عَنْ أَوَّلِ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ ،
قَالَ : نَزَلَتْ : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ أَوَّلُ ، قَالَ : قُلْتُ : لَأَنْتُمْ يَقُولُونَ : ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ، فَقَالَ : سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا أَحَدٌ ثَكَ
إِلَّا مَا حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : جَاوَرْتُ بِحِوَاءِ ،
فَلَمَّا قَضَيْتُ جَوَارِي ، هَبَطْتُ فَسَمِعْتُ صَوْتًا ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ١١٥٤/١
وَعَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ أَمَامِي فَلَمْ أَرَ شَيْئًا ، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ
شَيْئًا ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ، فَرَأَيْتُ شَيْئًا ، فَأَتَيْتُ خَدِيجَةَ ، فَقُلْتُ : دَثِّرُونِي ،
وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً ، قَالَ : فَدَثَّرُونِي وَصَبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِدًا ، فَتَزَلَّتْ :
﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (٢) .

وَحَدَّثْتُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، قَالَ : أَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوَّلَ مَا أَتَاهُ لَيْلَةَ السَّبْتِ ، وَلَيْلَةَ الْأَحَدِ ، ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِرِسَالَةِ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ ، وَعَلَّمَهُ الصَّلَاةَ ، وَعَلَّمَهُ : ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ
رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ ، وَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، يَوْمَ
أَوْحَى إِلَيْهِ ، أَرْبَعُونَ سَنَةً .

حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الطُّوسِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ ،
قَالَ : أَخْبَرَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَانَ الْقُرَشِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عَمْرُ بْنُ

(١) جِئْتُ مِنْهُ ، أَيْ خَفْتُ وَفَزَعْتُ ، وَانْظُرِ اللِّسَانَ .

(٢) الْحَبَرُ فِي التَّفْسِيرِ ٢٩ : ٩٠ (بُلَاق) .

عروة بن الزبير ، قال : سمعتُ عروة بن الزبير يحدث عن أبي ذر الغِفَارِيِّ قال : قلتُ : يا رسولَ الله ، كيف علمتَ أنك نبيٌّ أوَّل ما علمت ، حتى علمت ذلك واستيقنت ؟ قال : يا أبا ذرٍّ ، أتاني ملكان وأنا ببعض بطحاء مكة ، فوقع أحدهما في الأرض والآخر بين السماء والأرض ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : هو هو ، قال : فزنه برجل ، فوزنت برجل فرجحته ، ثم قال : زنه بعشرة ، فوزنتي بعشرة فرجحتهم ، ثم قال : زنه بمائة ، فوزنتي بمائة فرجحتهم ^(١) ، ثم قال : زنه بألف ، فوزنتي بألف فرجحتهم ، فجعلوا ينثرون ^(٢) عليَّ من كفة الميزان ، قال : فقال أحدهما للآخر : لو وزنته بأمرته رجحها . ثم قال أحدهما لصاحبه : شقَّ بطنه ، فشقَّ بطني ، ثم قال أحدهما : أخرج قلبه — أو قال : شقَّ قلبه — فشقَّ قلبي ، فأخرج منه مغمرَ الشيطان وعلقَ الدَّم ، فطرحها ، ثم قال أحدهما للآخر : اغسلْ بطنه غسَلِ الإناء ، واغسلْ قلبه غسَلِ الإناء — أو اغسلْ قلبه غسَلِ الملاءة — ثم دعا بالسَّكِينَةِ ، كأنها وجه هِرَّةٍ بيضاء فأدخلتْ قلبي ، ثم قال أحدهما لصاحبه : خطَّ بطنه ، فخاطا بطني ، وجعلا الخاتم بين كَتِفِي ، فما هو إلا أن وليا عنِّي فكأتما أعين الأمر معانية .

١١٥٥/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ، قال : فتَرَّ الوحيُّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترةً ، فحزنَ حزناً شديداً ، جعل يغدو إلى رموس شواحق الجبال ليتردَّى منها ، فكلَّما أوفى بذروة جبل تبدَّى له جبرئيل ، فيقول : إنك نبيُّ الله ؛ فيسكن لذلك جأشه ، وترجع إليه نفسه ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك ، قال : فيمينا أنا أمشي يوماً ، إذ رأيتُ الملك الذي كان يأتيني بحِراء ، على كرسيٍّ بين السماء والأرض ، فجئشتُ منه رعباً ، فرجعت إلى خديجة ، فقلت : زملوني ، فزملناه — أي دثرناه — فأَنزَلَ الله عزَّ وجلَّ :

(١) ر ، م : « فوزنتهم » .

(٢) ح ، ر : « ينثرون » .

﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ ، قال الزهري : فكان أول شيء أنزل عليه : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ حتى بلغ ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ^(١) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن ، أن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي سمعتُ صوتاً من السماء ، فرفعت رأسي ، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فجئني منه فرقاً ، وجئت فقلت : زملوني ، زملوني ! فدثرني ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنْذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ إلى قوله : ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ ، قال : ثم تتابع الوحي ^(١) .

* * *

قال أبو جعفر : فلما أمر الله عز وجل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقوم بإنذار قومه عقاب الله على ما كانوا عليه مقيمين من كفرهم بربهم وعبادتهم الآلهة والأصنام دون الذي خلقهم ورزقهم ؛ وأن يحدث بنعمة ربه عليه بقوله : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، وذلك — فيما زعم ابن إسحاق — النبوة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ، أي ما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث ؛ اذكروها وادعُ إليها . قال : فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ (بولاق) .

أهله ؛ فكان أول مَنْ صدّقه وآمن به واتّبعه من خلق الله - فيما ذكر - زوجته خديجة رحمها الله ^(١) .

حدّثني الحارث ، قال : حدّثنا ابنُ سعد ، قال : قال للمواقدي : أصحابنا مجمعون على أنّ أولَ أهل القبلة استجاب لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خديجة بنت خويلد رحمها الله .

* * *

قال أبو جعفر : ثم كان أول شيء فرضَ الله عزّ وجلّ من شرائع الإسلام عليه بعد الإقرار بالتوحيد والبراءة من الأوثان والأصنام وخلع الأنداد الصلاة - فيما ذكر .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثني بعضُ أهل العلم أنّ الصلاة حين افتُرِضَتْ على رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، أتاه جبرئيل وهو بأعلى ^(٢) مكة ، فهمز له بعقبه في ناحية الوادي ، فانفجرت منه عين ، فتوضأ جبرئيل عليه السلام ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلّم ينظر إليه ليريه كيف الطّهور للصلاة ، ثم توضأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم كما رأى جبرئيل عليه السلام توضأ ، ثم قام جبرئيل عليه السلام ، فصلّى به وصلّى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بصلاته . ثم انصرف جبرئيل عليه السلام ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم خديجة ، فتوضأ لها يُريها كيف الطّهور للصلاة ؛ كما أراه جبرئيل عليه السلام ، فتوضأت كما توضأ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ثم صلّى بها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كما صلّى به جبرئيل عليه السلام ، فصلّت بصلاته .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا هارون بن المغيرة وحكّام بن سلّم ،

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٢ ، ١٦٣

(٢) ح : « بمكة » .

عن عنبسة ، عن أبي هاشم الواسطي ، عن ميمون بن سيّاه ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان حينُ نَبِيِّ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكان ينام حول الكعبة ، وكانت قریش تنام حولها ، فأتاه ملكان : جبرئيل وميكائيل ، فقالا : بأيّهم أمرنا ؟ فقالا : أمرنا بسيّدهم ، ثم ذهبّا ثم جاءا من القبيلة ، وهم ثلاثة ، فألقوه وهو نائم ، فقلّبوه لظهره ، وشقّوا بطنه ، ثم جاءوا بماء من ماء زمزم ، فغسلوا ما كان في بطنه من شكّ أو شرك أو جاهليّة أو ضلالة ، ثم جاءوا بطست من ذهب ، مملوءة إيماناً وحكمة ، فلىء بطنه وجوفه إيماناً وحكمة ، ثم عرج به إلى السّماء الدّنيا ، فاستفتح جبرئيل ، فقالوا : مَنْ هَذَا ؟ فقال : جبرئيل ؛ فقالوا : مَنْ معك ؟ فقال : محمد ، قالوا : وقد بُعث ؟ قال : نعم ، قالوا : مرحباً ، فدعّوا له في دعائهم ، فلما دخل ؛ فإذا هو برجل جسيم وسيم ، فقال : مَنْ هَذَا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا أبوك آدم ، ثم أتوا به إلى السّماء الثّانية ، فاستفتح جبرئيل ، فقيل له مثل ذلك ، وقالوا في السّموات كلّها كما قال وقيل له في السّماء الدّنيا ، فلما دخل ، إذا برجلين ، فقال : مَنْ هؤُلاء يا جبرئيل ؟ فقال : يحيى وعيسى ابنا الخالة ، ثم أتى به السّماء الثّالثة ، فلما دخل إذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أخوك يوسف ، فضّل بالحسن على النّاس ، كما فضّل القمر ليلة البدر على الكواكب ، ثم أتى به السّماء الرّابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا إدريس ، ثم قرأ : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ ^(١) ، ثم أتى به السّماء الخامسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ قال : هذا هارون ، ثم أتى به السّماء السّادسة ، فإذا هو برجل ، فقال : من هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا موسى ، ثم أتى به السّماء السّابعة ، فإذا هو برجل ، فقال : مَنْ هَذَا يا جبرئيل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، ثم انطلق إلى الجنّة ، فإذا هو بنهر أشدّ بياضاً من اللبن ، وأحلى من العسل ، يجنبته قباب الدرّ ، فقال : ما هذا يا جبرئيل ؟ فقال : هذا الكوثر الذي

١١٥٨/١

أعطاك ربك، وهذه مساكنك ، قال : وأخذ جبرئيل بيده من تربته ، فإذا هو مسك أذفر ، ثم خرج إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وهى سِدْرَةُ نَبْتِ أَعْظَمُهَا أمثال الجرار ، وأصغرها أمثال البَيْض ، فدَنَا ربك عز وجل : ﴿ فَكَانَ

قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ ^(١) ، فجعل يتغشى السدرة من دُنُو ^(٢) ربها تبارك ١١٥٩/١

وتعالى ، أمثال الدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ألوان : فأوحى إلى عبده ، وفهمه وعلمه وفرض عليه خمسين صلاة ، فمرّ على موسى ، فقال : ما فَرَضَ على أمتك ؟ فقال : خمسين صلاة ، قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك ، فإن أمتك أضعف الأمم قوة ، وأقلها عمراً ؛ وذكر ما لقي من بنى إسرائيل ، فرجع فوضع عنه عشراً ، ثم مرّ على موسى ، فقال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف ؛ كذلك حتى جعلها خمساً ، قال : ارجع إلى ربك فسله التخفيف ، فقال : لستُ براجع ؛ غير عاصيك ؛ وقذف فى قلبه ألا يرجع ، فقال الله عز وجل : « لا يبدل كلامى ، ولا يردّ قضائى وفرضى » ، وخفف عن أمتي الصلاة لعشر . قال أنس : وما وجدت ريحاً قط ولا ريح عروس قط ، أطيّب ريحاً من جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ألزقت جلدى بجلده وشمّته .

* * *

قال أبو جعفر : ثم اختلف السلف فيمن اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمن به وصدّقه على ما جاء به ^(٣) من عند الله من الحقّ بعد زوجته خديجة بنت خويلد ، وصلى معه .

فقال بعضهم : كان أوّل ذكر آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدّقه بما جاءه من عند الله على بن أبى طالب عليه السلام .

(١) سورة النجم ٩ .

(٢) ح : « نور » .

(٣) ح : « جاءه » .

• ذكر بعض من قال ذلك ممن حضرن ذكره :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، عن شعبة^(١) ،
عن أبي بليج ، عن عمرو بن ميمون ، عن ابن عباس ، قال : أول من
صلّى على . ١١٦٠/١

حدثنا زكرياء بن يحيى الضّرير ، قال : حدثنا عبد الحميد بن بحر ،
قال : أخبرنا شريك ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن جابر ، قال :
بعث النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، وصلى على يوم الثلاثاء .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ،
عن عمرو بن مرة ، عن أبي حمزة ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من
أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب . قال : فذكرته
للتخعي ، فأنكره ، وقال : أبو بكر أول من أسلم .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن شعبة ، عن عمرو بن
مرة ، عن أبي حمزة مولى الأنصار ، عن زيد بن أرقم ، قال : أول من
أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن سعيد ، عن شعبة ، عن
عمرو بن مرة ، قال : سمعت أبا حمزة (رجلا من الأنصار) ، يقول : سمعت
زيد بن أرقم ، يقول : أول رجل صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على
عليه السلام .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذى ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ،
قال : أخبرنا العلاء^(٢) ، عن المنهال بن عمرو ، عن عباد بن عبد الله ، قال :
سمعتُ علياً يقول : أنا عبد الله وأخو رسوله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقوها
بعدي إلا كاذب^(٣) مفتّر ، صلّيت مع رسول الله قبل الناس بسبع سنين .

(٢) هو العلاء بن صالح التيمي (الميزان) .

(١) ر : « سعيد » .

(٣) ر : « كذاب » .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي^(١) ، قال : حدثنا سعيد بن خُثَيْم ، عن أسد بن عبيدة البجلي ، عن يحيى بن عفيف ، عن عفيف ، قال : جئتُ في الجاهلية إلى مكة ، فترلت على العباس بن عبد المطلب . قال : فلما طلعت الشمس وحلقت في السماء وأنا أنظر إلى الكعبة ، أقبل شابٌ ، فرمى ببصره إلى السماء ، ثم استقبل الكعبة ، فقام مستقبلها ، فلم يلبث حتى جاء غلام ، فقام عن يمينه . قال : فلم يلبث حتى جاءت امرأة ، فقامت خلفهما ، فرقع الشاب ، فرقع الغلام والمرأة ، فرقع الشاب فرقع الغلام والمرأة ، فخر الشاب ساجداً فسجداً معه ، فقلت : يا عباس ، أمر عظيم ! فقال : أمر عظيم ! أتدري مَنْ هذا ؟ فقلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري مَنْ هذا معه ؟ قلت : لا ، قال : هذا عليُّ بن أبي طالب ابن عبد المطلب ، ابن أخي . أتدري مَنْ هذه المرأة التي خلفهما ؟ قلتُ : لا ، قال : هذه خديجة بنت خويلد ، زوجة ابن أخي ، وهذا حدثني أن ربك رب السماء ، أمرهم بهذا الذي تراهم عليه ، وإسمُ الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحداً على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يونس بن بكير ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن أبي الأشعث الكِنْدِي ، من أهل الكوفة ، قال : حدثني إسماعيل بن إياس بن عفيف ، عن أبيه ، عن جده ، قال : كنت امرأة تاجراً ، فقدمت أيام الحج ، فأتيت العباس ، فبينما نحن عنده إذ خرج رجلٌ يصلّي ، فقام تُجَاهَ الكعبة ، ثم خرجت امرأة فقامت معه تصلّي ، وخرج غلام فقام يصلّي معه ، فقلت : يا عباس ، ما هذا الدين ؟ إن هذا الدين ما أدري ما هو ؟ قال : هذا محمد بن عبد الله ، يزعم أن الله أرسله به ، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه ، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد آمنت به ، وهذا الغلام ابنُ عمّه عليُّ بن أبي طالب ، آمن به . قال عفيف : فليتني كنتُ آمنتُ يومئذ فكنتُ أكون رابعاً !

حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة بن الفضل وعلى بن مجاهد ، قال سلمة : حدَّثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن أبي الأشعث - قال أبو جعفر : وهو في موضع آخر من كتابي عن يحيى بن الأشعث - عن إسماعيل بن إلياس بن عفيف الكندي - وكان عفيف أخا الأشعث بن قيس الكندي لأمه ، وكان ابن عمه - عن أبيه عن جدّه عفيف ، قال : كان العباس ابن عبد المطلب لي صديقاً ، وكان يختلفُ إلى اليمن ، يشتري العِطْرَ فيبيعه أيام الموسم ؛ فبينما أنا عند العباس بن عبد المطلب بمنى ، فأثاء رجل مجتمع ، فتوضأ فأسبغ الوضوء ، ثم قام يصلي ، فخرجت امرأة فتوضأت وقامت تصلّي ثم خرج غلام قد راهق ، فتوضأ ، ثم قام إلى جنبه يصلي ، فقلت : ويحك يا عباس ! ما هذا ؟ قال : هذا ابنُ أخى محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ، يزعم أن الله بعثه رسولا ، وهذا ابنُ أخى عليّ بن أبي طالب قد تابّعه على دينه ، وهذه امرأته خديجة ابنة خويلد ، قد تابعتّه على دينه . قال عفيف بعد ما أسلم ١١٦٣/١ ورسخ الإسلام في قلبه : يا ليتني كنتُ رابعاً !

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا عيسى بن سَوادة بن الجَعْد ، قال : حدَّثنا محمد بن المنكدر^(١) وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، وأبو حازم المدني^(٢) ، والكلبي ، قالوا : عليّ أولَ مَنْ أسلم . قال الكلبي : أسلم وهو ابنُ تسع سنين .

حدَّثنا ابن حميد ؛ قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان أولَ ذِكْرِ آمَنَ برسول الله صلى الله عليه وسلّم ، وصلىّ معه وصدّقه بما جاءه من عند الله ، عليّ بن أبي طالب ؛ وهو يومئذ ابن عشر سنين ، وكان ممّا أنعم الله به على عليّ بن أبي طالب عليه السّلام ، أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلّم قبل الإسلام .

(١) ر وابن الأثير : « المنذر » .

(٢) ر : « المري » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجّاج ، قال : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ، وما صنع الله له وأراد به من الخير ، أن قریشاً أصابتهم أزمة شديدة ، وكان أبو طالب ذا عيال كثير ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبّاس عمّه - وكان من أيسر بني هاشم : يا عبّاس ؛ إن أخاك أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة ، فانطلق بنا فلنخفف عنه من عياله ؛ آخذ من بني رجلا ، وتأخذ من بني رجلا ، فنكفهما عنه . قال العبّاس : نعم ، فانطلقا حتى أتيا أبا طالب ، فقالا : إننا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه ، فقال لهما أبو طالب : إذا تركتما لي عقيلاً ١١٦٤/١ فاصنعا ما شئتما ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّاً فضمّه إليه ، وأخذ العبّاس جعفرأ فضمّه إليه ، فلم يزل علي بن أبي طالب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله نبياً ، فاتبعه علي فآمن به وصدقّه ، ولم يزل جعفر عند العبّاس حتى أسلم واستغنى عنه ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حضرت الصلاة ، خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من عمّه أبي طالب وجميع أعمامه وسائر قومه ، فيصلّيان الصلوات فيها ؛ فإذا أمسيا رجعا ، فكلتا كذلك ما شاء الله أن يمكنّا . ثم إن أبا طالب عثر عليهما يوماً وهما يصلّيان ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بن أخي ، ما هذا الدّين الذي أراك تدين به ؟ قال : أي عمّ ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ، ودين أبينا إبراهيم - أو كما قال - بعثني الله به رسولا إلى العباد ، وأنت يا عمّ أحقّ منّ بذلت له النصيحة ، ودعوته إلى الهدى ، وأحقّ منّ أجابني إليه ، وأعانني عليه - أو كما قال . فقال أبو طالب : يا بن أخي ؛ إني لا أستطيع أن أفارق ديني ودين آبائي وما كانوا عليه ؛ ولكن والله لا يخلص إليك ^(١) بشيء تكرهه ما حبيت ^(٢) .

(١) ر : « لا يخلص إليك شيء » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٣ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وزعموا أنه قال لعلي بن أبي طالب : أي بُني ، ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟ قال : يا أبة ، آمنتُ بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به ، وصلّيت معه لله . فزعموا أنه قال له : أما إنّه لا يدعوك^(١) إلّا إلى خيّر ، فالزمه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : أسلم على وهو ابن عشر سنين .

قال الحارث : قال ابنُ سعد : قال الواقدي : واجتمع أصحابنا على أنّ عليّاً أسلم بعد ما تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، فأقام بمكة اثنتي عشرة سنة .

• • •

وقال آخرون : أوّلُ مَنْ أسلم من الرجال أبو بكر رضى الله عنه .

• ذكر من قال ذلك :

• حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مغمراء ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : قلت لابن عباس : مَنْ أوّل الناس إسلاماً ؟ فقال : أما سمعت قول حسان بن ثابت :

إِذَا تَذَكَّرْتَ شَجَوْا مِنْ أَخِي ثِقَةٍ فَاذْكُرْ أَخَاكَ أَبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلَ^(١)
خَيْرَ الْبَرِيَّةِ أَتَقَاهَا وَأَعَدَلَهَا بَعْدَ النَّبِيِّ وَأَوْفَاهَا بِمَا حَمَلَا
الثَّانِي . الثَّانِي الْمَحْمُودُ مَشْهُدُهُ وَأَوَّلَ النَّاسِ مِنْهُمْ صَدَقَ الرُّسُلَا

(١) ح ، ر : « يلعو » . (٢) ابن هشام ١ : ١٦٣ .

(٢) ديوانه ٢٩٩ ، ٣٠٠ مع اختلاف في الرواية .

وحدثني سعيد بن عنبسة الرازي ، قال : حدثنا الهيثم بن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه^(١) .

١١٦٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الهيثم ابن عدي ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا بحر^(٢) بن نصر الحولاني ، قال : حدثنا عبد الله بن وهب ، قال : أخبرني معاوية بن صالح ، قال : حدثني أبو يحيى وضمره بن حبيب وأبو طلحة ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : حدثني عمرو بن عبسة^(٣) قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بعكاظ ، قلت : يا رسول الله ، مَنْ تَبِعَكَ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ ؟ قال : اتَّبَعْنِي عَلَيْهِ رَجُلَانِ ؛ حُرٌّ وَعَبْدٌ : أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ ، قال : فأسلمت عند ذلك ، قال : فلقد رأيتني إذ ذاك رُبْعَ الْإِسْلَامِ .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : حدثنا صدقة ، عن نصر بن علقمة ، عن أخيه ، عن ابن عائذ ، عن جبير بن نفير ، قال : كان أبو ذر وابن عبسة كلاهما يقول : لقد رأيتني رُبْعَ الْإِسْلَامِ ، ولم يُسْلِمِ قَبْلِي^(٤) إلا النبي وأبو بكر وبلال ، كلاهما لا يدرى^(٥) متى أسلم الآخر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : أول مَنْ أسلم أبو بكر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : قال إبراهيم النخعي : أبو بكر أول مَنْ أسلم .

* * *

(١) ح : « بنحوه » .

(٢) م : « يحيى » .

(٣) في الأصول : « عنبسة » .

(٤) م : « قبل » .

(٥) م : « لا ندرى » .

وقال آخرون : أسلم قبل أبي بكر جماعة .
 * ذكر من قال ذلك :

١١٦٧/١

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا كنانة بن جَبَلَة ، عن إبراهيم بن طَهْمَان ، عن الحجاج بن الحجاج ، عن قتادة ، عن سالم بن أبي الجعد ، عن محمد بن سعد ، قال : قلت لأبي : أكان أبو بكر أولكم إسلامًا ؟ فقال : لا ، ولقد أسلم قبله أكثر من خمسين ؛ ولكن كان أفضلنا إسلامًا .

* * *

وقال آخرون : كان أولُ مَنْ آمن واتبع النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلّم من الرجال زيد بن حارثة مولاة .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : قال الواقدي : حدثني ابن أبي ذئب ، قال : سألت الزُّهري : مَنْ أولُ مَنْ أسلم ؟ قال : من النساء خديجة ، ومن الرجال زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثنا مُصعب بن ثابت ، عن أبي الأسود ، عن سليمان ابن يسار ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد — يعني ابن عمر — قال : حدثنا ربيعة بن عثمان ، عن عمران بن أبي أنس مثله .

وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا عبد الملك ابن مسلمة ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن أبي الأسود ، عن عروة ، قال : أولُ مَنْ أسلم زيد بن حارثة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ثم أسلم زيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فكان

أَوَّلَ ذِكْرٍ^(١) أُسْلِمَ ، وصَلَّى بعدَ عليّ بن أبي طالب ، ثم أُسْلِمَ أبو بكر بن أبي قُحافة الصديق ، فلما أُسْلِمَ أظهر إسلامه^(٢) ، ودعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى رسوله . قال : وكان أبو بكر رجلاً مألُفًا لقومه ، محبوبًا سهلاً ، وكان أنسب قريش لقريش ، وأعلم قريش بها ، وبما كان فيها من خير أو شر ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلقٍ ومعروفٍ ، وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الأمر ، لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته ، فجعل يدعو إلى الإسلام مَنْ وثق به من قومه ممَّن يغشاه ويجلس إليه ، فأُسْلِمَ على يديه - فيما بلغني - عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله ، فجاء بهم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين استجابوا له ، فأسلموا وصلُّوا ، فكان هؤلاء الثمانية ، النفر^(٣) الذين سبقوا إلى الإسلام ، فصلُّوا وصدَّقوا برسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وآمنوا بما جاء به من عند الله ؛ ثم تتابع الناسُ في الدخول في الإسلام ؛ الرجال منهم والنساء ؛ حتى فشا ذِكْرُ الإسلام بمكة وتحدَّث به الناس^(٤) .

وقال الواقدي في ذلك ما حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابنُ سعد ، عنه : اجتمع أصحابنا على أنَّ أَوَّلَ أهل القبلة استجابَ لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خديجة بنت خويلد ، ثم اختلف عندنا في ثلاثة نفر : في أبي بكر وعليّ ، وزيد بن حارثة ، أيُّهم أُسْلِمَ أَوَّلَ .

قال : وقال الواقدي : أُسْلِمَ معهم خالد بن سعيد بن العاص خامساً ، وأُسْلِمَ أبو ذر ، قالوا : رابعاً أو خامساً ، وأُسْلِمَ عمرو بن عبَّسة السلمي ، فيقال : رابعاً أو خامساً . قال : فإنما اختلف عندنا في هؤلاء النفر أيُّهم أُسْلِمَ أَوَّلَ ؛ وفي ذلك روايات كثيرة . قال : فيُختلف في الثلاثة المتقدمين ، وفي هؤلاء الذين كتبنا بعدهم .

(١) ر : « من »

(٢) ح ، م : « الإسلام » .

(٣) كذا في ح وفي ط : « نفر » ، وفي ابن هشام : « النفر الثمانية » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٤ ، ١٦٥ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني مُصعب بن ثابت ، قال : حدثنا أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن الأسود بن نوفل ، قال : كان إسلام الزبير بعد أبي بكر ، كان رابعاً أو خامساً .

وأما ابن إسحاق ، فإنه ذكر أن خالد بن سعيد بن العاص وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة ، من خزاعة ، أسلما بعد جماعة كثيرة غير الذين ذكرتهم بأسمائهم ؛ أنهم كانوا من السابقين إلى الإسلام^(١) .

* * *

ثم إن الله عز وجل أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بعد مبعثه بثلاث سنين أن يصدع بما جاءه منه ، وأن ييادي الناس بأمره ، ويدعو إليه ، فقال له : ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٢) ، وكان قبل ذلك - في السنين الثلاث من مبعثه ؛ إلى أن أمر بإظهار الدعاء إلى الله - مستسراً خفياً أمره صلى الله عليه وسلم ، وأنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾^(٣) ، قال : وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلّوا ذهبوا إلى الشعاب ، فاستخفوا من قومهم ؛ فبينما سعد بن أبي وقاص في نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في شعب من شعاب مكة إذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلّون ، فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون ؛ حتى قاتلوهم ، فاقتلوا ، فضرب سعد بن أبي وقاص يومئذ رجلاً من المشركين بلحني جمل فشجّه ، فكان أول دم أهرق^(٤) في الإسلام^(٥) .

١١٧٠/١

فحدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالا : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال :

(١) ابن هشام ١ : ١٦٨ .

(٢) سورة الحجر ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٤ - ٢١٦ .

(٤) ح : « هريق » .

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٦٨ ، ١٦٩ .

صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم الصفا، فقال : يا صباحاه ! فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ قال : أرأيت إن أخبرتكُم أن العدو^(١) مصبِّحكم أو ممسيِّكم ، أما كنتم تصدقونني ! قالوا : بلى ؛ قال : فلاني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ألهذا دعوتنا - أو جمعتنا ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾^(٢) إلى آخر السورة .

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) ، خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا ، فهتف : يا صباحاه ! فقالوا : من هذا الذي يهتف ؟ قالوا : محمد ، فقال : يا بني فلان ، يا بني عبد المطلب ، يا بني عبد مناف ! فاجتمعوا إليه ، فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الحبّل ، أكنتم مصدّقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذباً ، قال : فلاني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد . فقال أبو لهب : تباً لك ! ما جمعتنا إلا لهذا ! ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ إلى آخر السورة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن ١١٧١/١ إسحاق ، عن عبد الغفار بن القاسم ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب ، عن عبد الله بن عباس ، عن علي بن أبي طالب ، قال : لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ ، دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : يا علي ، إن الله أمرني أن أنذِر عشيرتي الأقربين ،

(١) ح : « المذاب » .

(٢) سورة المد : (٣) سورة الشعراء ٢١٤

فضقتُ بذلك ذرعاً ، وعرفتُ أننى متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره ، فصمتُ عليه حتى جاءني جبرئيل فقال : يا محمد ، إنك إلاّ تفعل ما تؤمر به يُعَذِّبُكَ رَبُّكَ ، فاصنعْ لنا صاعاً من طعام ، واجعل عليه رَحْلَ شاة ، واملاً لنا عُسّاً من لبن ، ثم اجمعْ لى بنى عبد المطلب حتى أَكَلَهُمْ ^(١) ، وأبلغهم ما أمرت به ، ففعلت ما أمرنى به . ثم دعوتُهم له ؛ وهم يومئذ أربعون رجلاً ، يزيدون رجلاً أو ينقصونه ؛ فيهم أعمامه : أبو طالب وحزمة والعباس وأبو لهب ؛ فلما اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الذى صنعت لهم ، فجنحت به ، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم حَذِيَّةً ^(٢) مِنَ اللحم ، فشققها بأسنانه ، ثم ألقاها فى نواحي الصَّحْفَةِ . ثم قال : خذُوا بِسْمِ اللَّهِ ، فأكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلاّ موضع ^(٣) أَيْدِيهِمْ ، وإيمُ الله الذى نَفَسْتُ عَلَى يَدَيْهِ ؛ وإن كان الرجل الواحد منهم لَيَأْكُلُ ما قدمت لجميعهم . ثم قال : اسقِ القوم ، فجنثتهم بذلك العُس ، فشربوا منه حتى رَوُّوا منه جميعاً ، وإيمُ الله إن كان الرجل الواحد منهم لَيَشْرَبُ مثله ، فلما أراد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمَهُمْ بَدَرَهُ أبو لهب إلى الكلام ، فقال : لَهْدَ مَا ^(٤) سَحَرَكُم صَاحِبُكُمْ ! ففترَّق القوم ولم يكلمَهُمْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : الغد يا على ؛ إن هذا الرجل سبقنى إلى ما قد سمعت من القول ، ففترَّق القوم قبل أن أَكَلَهُمْ ، فعَدُّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ، ثم اجمعهم إلى .

١١٧٢/١

قال : ففعلتُ ، ثم جمعتهم ثم دعاني بالطعام فقربته لهم ، ففعل كما فعل بالأمس ، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة . ثم قال : اسقهم ، فجنثتهم بذلك العُس ، فشربوا حتى رَوُّوا منه جميعاً ، ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا بنى عبد المطلب ؛ إني والله ما أعلمُ شاباً فى العرب جاء قومه

(١) م : « أعلمهم » .

(٢) الحَذِيَّة من اللحم : ما قطع منه طولاً .

(٣) ابن الأثير : « مواضع » .

(٤) لهْد : كلمة يتعجب بها ، وفى ط : « لقد ما » ، والصواب ما أثبتته من التفسير والنهاية

بأفضل مما قد جئتم به؛ إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة ، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه ، فأياكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيتى وخليفتى فيكم ؟ قال : فأحجم القوم عنها جميعاً ، وقلت : وإني لأحدثهم سنناً ، وأرمصهم ^(١) عيناً ، وأعظمهم بطناً ، وأحشمهم ساقاً ^(٢) ؛ أنا يا نبي الله ، أكون وزيرك عليه . فأخذ برقبتي ، ثم قال : إن هذا أخى ووصيتى وخليفتى فيكم ، فاسمعوا له وأطيعوا . قال : فقام القوم يضحكون ، ويقولون لأبي طالب : قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع ^(٣) .

١١٧٣/١

حدثني زكرياء بن يحيى الضرير ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن عثمان بن المغيرة ، عن أبي صادق ، عن ربيعة بن ناجد ، أن رجلاً قال لعلي عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، بم ورثت ابن عمك دون عمك ؟ فقال علي : هاؤم ! ثلاث مرات ؛ حتى اشرب الناس ، ونشروا آذانهم . ثم قال : جمَعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم - أو دعا رسول الله - بنى عبد المطلب منهم رهطه ، كلهم يأكل الجذعة ويشرب الفِرَق ^(٤) ، قال : فصنع لهم مُدّاً من طعام ، فأكلوا حتى شبعوا وبقي الطَّعام كما هو ؛ كأنه لم يمس . قال : ثم دعا بغُمر ^(٥) فشرَبوا حتى رَوُوا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا . قال : ثم قال : يا بنى عبد المطلب ، إني بُعِثْتُ إليكم بخاصة وإلى الناس بعامة ، وقد رأيتم من هذا الأمر ما قد رأيتم ، فأيتكم يباعدني عني أن يكون أخى وصاحبي ووارثي ؟ فلم يبق إليه أحدٌ ، فقامت إليه - وكنت أصغَرَ القوم - قال : فقال : اجلس ، قال : ثم قال ثلاث مرات ، كل ذلك أقوم إليه ، فيقول لي : اجلس ، حتى كان

(١) الرمص في العين كالنمص ، وهو قذى تملظ به ، وهو كناية عن صغر سنه .

(٢) حش الساقين : دقيقها .

(٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٧٤ ، ٧٥ (بولاق)

(٤) الفرق ، بكسر الفاء ، وبعضهم يقول بالفتح : مكياك كبير لأهل المدينة يكال به اللبن .

(٥) الغمر : القمح الصغير ، وفي ر : « بمس » .

في الثالثة، فضرب بيده على يدي، قال: فبذلك ورث ابن عمي دون عمي.

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، حدثنا محمد بن إسحاق، عن عمرو بن عبيد، عن الحسن بن أبي الحسن، قال: لما نزلت هذه الآية ١١٧٤/١ على رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأبطح، ثم قال: يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني قصي— قال: ثم فخذ^(١) قريشا قبيلة قبيلة، حتى مر^(٢) على آخرهم— إني أدعوكم إلى الله وأنذرکم عذابه^(٣).

حدثنا الحارث، قال: حدثنا ابن سعد، قال: أخبرنا محمد بن عمر، قال: حدثنا جارية بن أبي عمران، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن أبيه، قال: أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه من عند الله، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعوهم إلى^(٤) الله، فكان يدعو من أول ما نزلت عليه النبوة ثلاث سنين، مستخفياً، إلى أن أمر بالظهور للدعاء^(٥).

قال ابن إسحاق— فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عنه: فصدع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله، وبادى قومه بالإسلام، فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه، ولم يردوا عليه بعض الرد— فيما بلغني— حتى^(٦) ذكر آهتهم وعابها، فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلا من عصم الله منهم^(٧) بالإسلام؛ وهم قليل مستخفون، وحدث عليه أبو طالب عمه ومنعه، وقام دونه، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) فخذهم: دعاهم فخذنا فخذنا، والفخذ أقل من البطن، وأولها: الشعب ثم القبيلة، ثم الفصيلة، ثم العمار، ثم البطن. وانظر اللسان. وفي ر: «عد».

(٢) ح: «أق».

(٣) الخبر في التفسير ١٩: ٧٥ (برلاق).

(٤) م: «فأمره أن يدعوهم».

(٥) طبقات ابن سعد ١: ١٩٩ وهناك: «إلى أن أمر بالظهور للدعاء».

(٦) م: «عن».

(٧) زاد في ح: «عن ذلك».

على أمر الله مظهرًا لأمره ، لا يردّه عنه شيء . فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يُعتَبِهم ^(١) مِن شَيْءٍ [يكرهونه مما] ^(٢) أنكره عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ، ورأوا أن أبا طالب قد حَدَبَ عليه ، وقام دونه فلم يُسَلِّمْهُ لهم ، مشى رجالٌ من أشراف قريش إلى أبي طالب : عُتْبَةُ ابن ربيعة ، وشَيْبَةُ بن ربيعة ، وأبو البَخْتَرِي بن هشام ، والأسود بن المطَّلَب ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل بن هشام ، والعاص بن وائل ، ونيبه ومنبه ابنا الحجاج — أو مَنْ مشى إليه منهم — فقالوا : يا أبا طالب ، إن ابن أخيك قد سَبَّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسَفَّهَ أحلامنا ، وضلَّلَ آباءنا ؛ فإِما أن تكفَّهُ عَنَّا ، وإِما أن تُخَلِّىَ بَيْننا وبينه ؛ فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكهُ . فقال لهم أبو طالب قولاً رقيقاً ، وردَّهم ردّاً جميلاً ، فانصرفوا عنه ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه ؛ يظهر دين الله ، ويدعو إليه . قال : ثم شَرِي ^(٣) الأمرُ بينه وبينهم حتى تباعد الرجالُ ، وتضاغنوا ، وأكثرت قريش ذِكْرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها ، وتذاَمروا فيه ، وَحَضَّ بعضهم بعضاً عليه . ثم إنهم مَشَوْا إلى أبي طالب مرةً أخرى ، فقالوا : يا أبا طالب ، إن لك سِنّاً وشرفاً ومنزلةً فينا ، وإنَّا قد استنهنيناك من ابن أخيك فلم تَنْهَ عَنَّا ، وإِنا والله لا نصبر على هذا من شَتَمِ آبائنا ؛ وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا حتى تكفَّهُ عَنَّا أو تنازله وإِيَّاكَ في ذلك ؛ حتى يهلك أحدُ الفريقين — أو كما قالوا . ثم انصرفوا عنه ، فعظَّم على أبي طالب فراقُ قومه وعدواتهم له ؛ ولم يَطْبُ نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانِهِ ^(٤) .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : أن ناساً من قريش اجتمعوا ^(٥) ، فيهم أبو جهل ١١٧٦/١

(١) م : « يَغْنِيهم » ، ولا يعتَهم ، أي لا يرَضِيهم .

(٢) من ح .

(٣) شَرِي الأمر : اشتد واستطار . (٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٩ ، ١٧٠ .

(٥) م : « أجمعوا » .

ابن هشام ، والعاص بن وائل ، والأسود بن المطَّلَب ، والأسود بن عبد يغوث ؛
في نفرٍ من مَشِيخَةِ قريش ، فقال بعضهم لبعض : انطلقوا بنا إلى
أبي طالب فنكلمه^(١) فيه ؛ فليُنصِفنا منه ، فيأمره فليكَفَّ عن شتم آلهتنا ،
وندعه وإلهه الذي يعبد ؛ فإننا نخافُ أن يموتَ هذا الشيخ فيكون منا شيءٌ
فتعيرنا العرب ؛ يقولون : تركوه ؛ حتى إذا مات عمه تناولوه .

قال : فبعثوا رجلاً منهم يُدعى المطَّلَب ، فاستأذن لهم على أبي طالب ،
فقال : هؤلاء مشيخة قومك^(٢) وسرّواتهم ، يستأذنون عليك ، قال : أدخلهم ؛
فلما دخلوا عليه ، قالوا : يا أبا طالب ، أنت كبيرنا وسيّدنا ، فأنصفنا من
ابن أخيك ، فرره فليكَفَّ عن شتم آلهتنا ، وندعه وإلهه .

قال : فبعث إليه أبو طالب ، فلما دخلَ عليه رسولُ الله صلّى الله عليه
وسلم قال : يا بنَ أخي ؛ هؤلاء مشيخة قومك وسرّواتهم ، وقد سألوكم^(٣)
النَّصْف ، أن تكفَّ عن شتم آلهتهم ويدعوكم وإلهك . قال : أي عمّ ،
أولاً أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها ؟ قال : وإلامَ تدعوهم ؟ قال : أدعوهم
إلى أن يتكلّموا بكلمة تدين لهم بها العرب ، ويعليكون بها العجم . قال : فقال
أبو جهل من بين القوم : ما هي وأبيك ؟ لنعطينكها^(٤) . وعشراً^(٥)
أمثالها . قال : تقول : لا إله إلا الله ، قال : فننقروا [ونفترقوا]^(٦) وقالوا : سلّنا
غير هذه ، فقال : لو جئتموني بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم
غيرها ! قال : فغضبوا وقاموا من عنده غَضَابِي ، وقالوا : والله لنشتمتك وإلهك
الذي يأمرُك بهذا ، ﴿ وَأَنْطَلِقَ الْأَمْلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرْ وَعَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ
هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ إِلَّا اخْتَلَقَ ﴾^(٧) .

(١) ر والتفسير : « فلنكلمه » .

(٢) ر : « قريش » ، وسرّوات القوم : ساداتهم .

(٣) م : « سألو » .

(٤) ر : « لنعطيكها » ، م : « نعطيكها » .

(٥) ح : « وعشراً معها » .

(٦) من ح وابن الأثير .

(٧) سورة ص : ٦ ، ٧ .

وأقبل على عمه فقال له عمه : يابن أخى ، ما شططت عليهم ، فأقبل على عمه فدعاه ، فقال : قل كلمة أشهدك بها يوم القيامة ، تقول : لا إله إلا الله ، فقال : لولا أن تعيىكم بها العرب ، يقولون^(١) : جِزَع من الموت لأعطينكها ؛ ولكن على ملّة الأشياخ ، قال : فترلت هذه الآية : ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ 》^(٢) .

حدثنا أبو كُرَيْب وابن وَكِيع ، قالا : حَدَّثَنَا أَبُو أُسامة ، قال : حَدَّثَنَا الْأَعْمَش ، قال : حَدَّثَنَا عُبَاد ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : لما مَرَضَ أَبُو طَالِب ، دخل عليه رَهْطٌ من قُرَيْش ، فيهم أبو جهل ، فقال : إنَّ ابْنَ أَخِيكَ يَشْتِمُ آلَهُنَا ، ويفعل ويفعل ؛ ويقول ويقول ، فلو بعثت إليه فنهيتَه ! فبعث إليه ، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قَدْرٌ مجلس رجل ، قال : فخشى أبو جهل إنَّ جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق^(٣) له عليه ، فوثب فجلس في ذلك المجلس ولم يجد رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مجلساً قُرْبَ عمه ، فجلس عند الباب ، فقال له أبو طالب : أى ابن أخى ! ما بال قومك يشكونك ؛ يزعمون أنك تشتم آلهم ويقولون ويقولون ! قال : وأكثروا عليه من القول ، وتكلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا عم ، إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها ، تدين لهم بها العرب ، وتؤدى إليهم بها العجم الجِزْيَة . ففزعوا لكلمته ولقوله ؛ فقال القوم كلمة واحدة : نعم وأبيك عشراً . فما هى ؟ فقال أبو طالب : وأى كلمة هى يابن أخى ؟ قال : لا إله إلا الله ، قال : فقاموا فرعين ينفضون ثيابهم ، وهم يقولون : ﴿ أَجَلْ آلِ إِلَهَةٍ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ 》 . قال : ونزلت من هذا الموضع

(١) ح : « تقول » ، ابن الأثير : « وتقول » .

(٢) سورة القصص ٥٦ ، والحج في التفسير ٢٣ : ٨١ (بلاق) .

(٣) ح : « أرف » .

إلى قوله : ﴿لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ﴾ ^(١) . لفظ الحديث لأبي كريب ^(٢) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني يعقوب ابن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، أنه حدث أن قريشاً حين قالت لأبي طالب هذه المقالة ، بعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : يا ابن أخي ، إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا ، فأبقِ عليّ وعلى نفسك ولا تحملي من الأمر ما لا أطيق ! فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قد بدأ لعمه فيه بدءاً ^(٣) ، وأنه خاذله ومسلمه ، وأنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عمّاه ، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ^(٤) . ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ثم قام ، فلما ولي ناداه أبو طالب ، فقال : أقبل يا ابن أخي ، فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا ابن أخي ، فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبداً . ١١٧٩/١

قال : ثم إن قريشاً لما عرفت أن أبا طالب أبي خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم وإسلامه وإجماعه لفراقهم في ذلك ، وعداوتهم ، مشوا إليه بعُمارة بن الوليد بن المغيرة ، فقالوا له — فيما بلغني : يا أبا طالب ، هذا عُمارة

(١) سورة ص ٥ - ٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٧٩ (بلاق) .

(٣) البدء : الاسم من « بدأ » ؛ يريد : ظهر له رأى ؛ سمى الرأى بدءاً لأنه شيء يبدو بعد ما خفى .

(٤) قال السهيلي : « خص الشمس باليمين ؛ لأنها الآية المبصرة ، وخص القمر بالشمال لأنها الآية الممحوة ؛ وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له : إنى رأيت في المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ؛ ومع كل واحد منهما نجوم ! فقال عمر : مع أيهما كنت ؟ فقال : مع القمر ، قال : كنت مع الآية الممحوة ؛ اذهب فلا تعمل لى عملاً . وكان عاملاً له فعزله ؛ فقتل الرجل في صفين مع معاوية » .

ابن الوليد أنهد^(١) فتيّ في قريش وأشعره وأجمله ، فخذته فلك عقله ونصبرته ، واتخذته ولداً ؛ فهو لك ، وأسلم لنا ابن أخيك - هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه أحلامهم - فنقتله ؛ فلما رَجُلٌ كرجل ؛ فقال : والله لبئس ما تسوموني ! أتُعطوني ابنكم أغدو لكم ، وأعطيكُم ابني تقتلونه ! هذا والله ما لا يكون أبداً^(٢) . فقال المُطعم ابن عديّ بن نوفل بن عبد مناف : والله يا أبا طالب ، لقد أنصفك قومك ، وجهدوا على التخلص^(٣) . فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئاً ، فقال أبو طالب للمطعم : والله ما أنصفوني ؛ ولكنك قد أجمعت خيلا في ومظاهرة القوم على ، فاصنع ما بدا لك ! أو كما قال أبو طالب .

قال : فحقب^(٤) الأمر عند ذلك ، وحميت الحرب ، وتناذب القوم ، وبادى بعضهم بعضاً .

قال : ثم إن قريشاً تذاَمروا على مَنْ في القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه . فوثبت كل قبيلة على مَنْ فيها من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ، ومنع الله رسوله^{١١٨٠/١} منهم بعمه أبي طالب ، وقد قام أبو طالب حين رأى قريشاً تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني المطلب ، فدعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والقيام دونه . فاجتمعوا إليه ، وقاموا^(٥) معه ، وأجابوا إلى ما دعاهم إليه من الدّفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ما كان من

(١) أنهد ، أى أقوى وأجلد ؛ ويقال : فرس نهدي للذي يتقدم الخيل . قال السهيلي : « وعمارة بن الوليد هذا هو الذي أرسلته قريش مع عمرو بن العاص إلى أرض الحيشة » .

(٢) وفي رواية أخرى عن السهيلي أن أبا طالب قال لهم حين سألوه أن يأخذ عمارة بدلا من محمد عليه السلام : « أرايتم ناقة تحن إلى غير فضيلها وترأه ! لا أعطيكم ابني تقتلونه أبداً وأخذ ابنكم أكفله وأغذوه ! » ، وهو معنى ما ذكر ابن إسحاق .

(٣) ح : « أن يتخلصوا » .

(٤) فحقب الأمر عند ذلك ، قال السهيلي : « يريد اشتد ، وهو من قولك : حقب البعير ؛ إذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب . . . ثم يستعمل في الأمر إذا عسر » .

(٥) ح : « وأقاموا » .

أَبِي لَهَبٍ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَبُو طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ مِنْ جِدَّتِهِمْ مَعَهُ ؛ وَحَدَّثَهُمْ عَلَيْهِ ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ؛ وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ ^(١) .

* * *

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ بْنِ عَلِيٍّ الْجَهْضَمِيُّ ، وَعَبْدُ الْوَارِثِ بْنُ عَبْدِ الصَّمَدِ ابْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ — قَالَ عَلِيُّ بْنُ نَصْرِ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ عَبْدِ الْوَارِثِ ، وَقَالَ عَبْدُ الْوَارِثِ : حَدَّثَنِي أَبِي — قَالَ : حَدَّثَنَا أَبَانُ الْعَطَّارُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، عَنْ عُرْوَةَ ، أَنَّهُ كَتَبَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ — يَعْنِي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — لَمَّا دَعَا قَوْمَهُ لَمَّا بَعَثَهُ ^(٢) اللَّهُ مِنَ الْهَدْيِ وَالنُّورِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَبْعُدُوا مِنْهُ أَوَّلَ مَا دَعَاهُمْ ، وَكَادُوا يَسْمَعُونَ لَهُ ؛ حَتَّى ذَكَرَ طَوَاغِيَتَهُمْ . وَقَدِمَ نَاسٌ مِنَ الطَّائِفِ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُمْ أَمْوَالٌ ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَاشْتَدُّوا عَلَيْهِ ، وَكَرَهُوا مَا قَالَ [لَهُمْ] ^(٣) ، وَأَغْرَوْا بِهِ مَنْ أَطَاعَهُمْ ، فَانْصَفَقَ ^(٤) عَنْهُ عَامَّةُ النَّاسِ ، فَتَرَكُوهُ إِلَّا مِنْ حَفَظَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ ؛ وَهُمْ قَلِيلٌ ؛ فَكَثُرَ بِذَلِكَ مَا قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ يَكْثُرَ . ثُمَّ اتَّخَذَتْ رِعَاسُهُمْ بِأَنْ يَفْتِنُوا مَنْ تَبِعَهُ عَنِ دِينِ اللَّهِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَقِبَائِلِهِمْ ، فَكَانَتْ فِتْنَةٌ شَدِيدَةٌ الزَّلْزَالِ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ ؛ فَافْتَنَ مَنْ افْتَنَ ، وَعَصَمَ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ شَاءَ ؛ فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ بِالْمُسْلِمِينَ ، أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَخْرُجُوا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ — وَكَانَ بِالْحَبَشَةِ مَلِكٌ صَالِحٌ يُقَالُ لَهُ النُّجَاشِيُّ ، لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ بِأَرْضِهِ ، وَكَانَ يَنْتَقِي ^(٥) عَلَيْهِ مَعَ ذَلِكَ صِلَاحٌ ، وَكَانَتْ أَرْضُ الْحَبَشَةِ مَتَّعَجَرًا لِقُرَيْشٍ يَتَجَرَّونَ فِيهَا ، يَجْلِسُونَ فِيهَا رَفَاحًا ^(٦) مِنَ الرِّزْقِ ، وَأَمْنًا وَمَتَجَرًّا حَسَنًا —

١١٨١/١

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) م : « بما بعثه الله » .

(٣) من ح .

(٤) انصفقوا عنه : اتصرفوا .

(٥) ينتقى عليه ، أى يشيع عنه .

(٦) كذا في الطبري ، وفي اللسان : « ترفع الرجل : توسع ، وإنه لفي رفاغة ورفاغة من

العيش » .

فأمرهم بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؛ فذهب إليها عامتهم لما قهروا بمكة ، وخاف عليهم الفتن ، ومكث هو فلم يبرح ، فكث بذلك سنوات ؛ يشددون على مَنْ أسلم منهم .

ثم إنه فشا الإسلام فيها ، ودخل فيه رجال من أشrafهم .

* * *

قال أبو جعفر : فاختلف في عددٍ مَنْ خرَّج إلى أرض الحبشة ، وهاجر إليها هذه الهجرة ، وهي الهجرة الأولى .
فقال بعضهم : كانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأربعَ نسوة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا يونس بن محمد الظفري ، عن أبيه ، عن رجل من قومه . قال : وأخبرنا عبيد الله بن العباس الهذلي ، عن الحارث بن الفضيل ؛ قالوا : خرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سرّاً ، وكانوا أحدَ عشرَ رجلاً وأربعَ نسوة ، حتى انتهوا إلى الشعيبية ؛ منهم الراكب والماشي ، ووفق الله ١١٨٢/١ للمسلمين ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملوهم فيهما إلى أرض الحبشة بنصف دينار ، وكان مخرَجُهُمْ في رجب^(١) في السنة الخامسة ، من حين نبيّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر ؛ حيث ركبوا فلم يدركوا منهم أحداً .
قالوا : وقدمنا أرضَ الحبشة ، فجاورنا بها خيرَ جارٍ ؛ أمينا على ديننا ، وعبدنا الله ، لا نؤذَى ولا نسمعُ شيئاً نكرهه^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا محمد ابن عمر ، قال : حدثني يونس بن محمد ، عن أبيه . قال : وحدثني

(١) ابن سعد : « من رجب » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤

عبد الحميد^(١) ، عن محمد بن يحيى بن حَبَّان ؛ قالاً : تسمية القوم الرجال والنساء : عثمان بن عفان معه امرأته رُقَيْيَّة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عَتْبَةَ بن ربيعة معه امرأته سَهْلَة بنت سُهَيْل ابن عمرو ، والزَّيَّير بن العوام بن خُوَيْلد بن أسد ، ومُصْعَب بن عُجَيْر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدَّار ، وعبد الرَّحْمَن بن عَوْف بن عبد عَوْف ابن الحارث بن زُهْرَة ، وأبو سَلَمَة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ؛ معه امرأته أم سَلَمَة بنت أبي أمية بن المَغِيرَة بن عبد الله بن عمر ابن مخزوم ، وعثمان بن مظعون الجُمَحِيّ ، وعامر بن ربيعة العَنْزَرِيّ ؛ من عَنْزَر بن وائل - ليس من عَنْزَرَة - حليف بنى عدى بن كعب ، معه امرأته ليلَى بنت أبي حَشْمَة ، وأبو سَبْرَة بن أبي رُهْم بن عبد العُزْرَى العامريّ ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، وسُهَيْل بن بِيضَاء ، من بنى الحارث بن فِهْر ، وعبد الله بن مسعود حليف بنى زهرة^(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : كان الذين لحقوا بأرض الحبشة ، وهاجروا إليها من المسلمين - سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم صغاراً وولدوا بها - اثنين وثمانين رجلاً ؛ إن كان عَمَّار بن ياسر فيهم ؛ وهو يشك فيه !

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رأى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ما يصيبُ أصحابه من البلاء ، وما هو^(٣) فيه من العافية بمكانه من الله وعمه^(٤) أبي طالب ، وأنه لا يقدرُ على أن يمنعهُم ممَّا هم فيه من البلاء ، قال لهم : لو خرجتم إلى أرض الحبشة ! فإن بها ملكاً

(١) ابن سعد : « عبد الحميد بن جعفر » .

(٢) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ .

(٣) م : « وما هم » .

(٤) ابن هشام : « ومن عمه » .

لا يظلم أحدٌ عنده ، وهى أرض صدق ؛ حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه ! فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مخافة الفتننة ؛ وفِراراً إلى الله عزّ وجلّ بدينهم ؛ فكانت أول هجرة كانت فى الإسلام ؛ فكان أول من خرج من المسلمين من ١١٨٤/١ بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان بن عفان بن أبى العاص ابن أمية ؛ ومعه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومن بنى عبد شمس أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف ، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو ؛ أحد بنى عامر بن لؤى ؛ ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام .

فعدّ نفر الذين ذكرهم الواقدي ؛ غير أنه قال : من بنى عامر بن لؤى ابن غالب بن فهر أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ؛ ويقال : بل أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر بن لؤى . قال : ويقال : هو أول من قدمها ؛ فجعلهم ابن إسحاق عشرة ؛ وقال : كان هؤلاء العشرة أول من خرج من المسلمين إلى أرض الحبشة — فما بلغنى .

قال : ثم خرج جعفر بن أبى طالب ، وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة ؛ فكانوا بها ، منهم من خرج بأهله معه ، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه ؛ ثم عدّ بعد ذلك تمام اثنين وثمانين رجلاً ؛ بالعشرة الذين ذكرت بأسمائهم ؛ ومن كان منهم معه أهله وولده ؛ ومن ولد له بأرض الحبشة ، ومن كان منهم لا أهل معه ^(١) .

قال أبو جعفر : ولما خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة مهاجراً إليها ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم

مقيم بمكة ، يدعو إلى الله سرّاً وجهراً ، قد منّعه الله بعمته أبي طالب وبمن استجاب لنصرتة من عشرته ، ورأت قريش أنهم لا سبيل لهم إليه ، رموه بالسحر والكهانة والجنون ؛ وأنه شاعر ، وجعلوا يصدّون عنه من خافوا منه أن يسمع قوله فيتبعه ؛ فكان أشدّ ما بلغوا منه حينئذٍ — فيما ذكر — ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه عروة ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قلت له : ما أكثر ^(١) ما رأيت قريشاً أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تُظهر من عداوته ! قال : قد حضرتهُم وقد اجتمع أشرافهم يوماً في الحجر ، فدكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ! سقّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرّق جماعتنا ، وسب آلهتنا ! لقد صبرنا منه على أمر عظيم — أو كما قالوا .

فبينما هم كذلك إذ طلّع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل يمشي حتى استلم الركن ، ثم مرّ بهم طائفاً بالبيت ، فلما مرّ بهم غمزوه ^(٢) ببعض القول . قال : فعرفت ذلك في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مضى ، فلما مرّ بهم الثانية غمزوه مثلها ؛ فعرفت ذلك في وجهه ، ثم مضى ، ثم مرّ بهم الثالثة ، فغمزوه بمثلها ، فوقف فقال : أسمعون يا معشر قريش ! أما والذي نفس محمد بيده ، لقد جئتكم بالذبح ^(٣) ! قال : فأخذت القوم كلمته ؛ حتى ما منهم رجل إلا كأنما على رأسه طائر واقع ؛ وحتى إن أشدّهم فيه وصاة ^(٤) قبل ذلك ليرفوه ^(٥) بأحسن ما يجد من القول ؛ حتى إنه ليقول : انصرف يا أبا القاسم راشداً ، فوالله ما كنت جهولاً ^(٦) !

١١٨٦/١

(١) م : « ما أكبر » .

(٢) غمزوه : طعنوا فيه .

(٣) بالذبح ، أراد تهديدهم بالهلاك .

(٤) الوصاة : الوصية .

(٥) يرفؤه : يهدئه ويرفقه به ، وفي ر : « ليلقاه » .

(٦) ر : « ما كنت جهولاً قط » .

قال : فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ حتى إذا كان الغد ، اجتمعوا في الحجر ، وأنا معهم ، فقال بعضهم لبعض : ذكرتم ما بلغ منكم ، وما بلغكم عنه ؛ حتى إذا باداكم بما تكرهون تركتموه ! فييناكم كذلك إذا طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوثبوا إليه وثبة رجل واحد ؛ وأحاطوا به يقولون له : أنت الذى تقول كذا وكذا ! لما يبلغهم من عيب آلهتهم ودينهم ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم أنا الذى أقول ذلك ؛ قال : فلقد رأيت رجلاً منهم أخذاً يجمع رداه . قال : وقام أبو بكر الصديق دونه ، يقول وهو يبكى : ويلكم ! أقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ! ثم انصرفوا عنه . فإن ذلك أشد ما رأيت قريشاً بلغت منه قط^(١) .

حدثنا يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا بشر بن بكر ، قال : حدثنا الأوزاعي ، قال : حدثنا يحيى بن أبي كثير ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ، قال : قلت لعبد الله بن عمرو : حدثني بأشد شيء رأيت المشركين صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند الكعبة ، فلبى ثوبه فى عنقه ، وخنقه خنقاً شديداً ، فقام أبو بكر من خلفه ، فوضع يده على منكبيه ، فدفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال أبو بكر : يا قوم : ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾^(٢)

١١٨٧/١

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم كان واعية ، أن أبا جهل ابن هشام مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس عند الصفا ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف له ، فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولاه لعبد الله بن جُدعان التيمي فى مسكن لها فوق الصفا تسمع ذلك . ثم انصرف عنه ، فعمد إلى نادى^(٣)

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) سورة غافر ٢٨ .

(٣) ابن هشام : « إلى ناد من قريش » ، والنادى : مجلس القوم .

قريش عند الكعبة ، فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب أن أقبل متوشحاً قوسه ، راجعاً من قنص^(١) له - وكان صاحباً قنص يرميه ويخرج له ، وكان إذا رجع من قنصه لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة ، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلم وتحدث معهم ، وكان أعز قريش وأشدّها شكيمة - فلماً مرّ بالمولاة وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجع إلى بيته ، قالت : يا أبا عُمارة ، لو رأيت ما لقي ابنُ أخيك محمد آنفاً قبل أن تأتي من أبي الحكم بن هشام ! وجدّه ها هنا جالساً فسبّه وآذاه ، وبلغ منه ما يكره ، ثم انصرف عنه ولم يكلّمه محمد .

قال : فاحتمل حمزة الغضب لِمَا أراد الله به من كرامته ، فخرج سريعاً - لا يقف على أحد كما كان يصنع - يريد الطواف بالكعبة ، مُعدياً لأبي جهل إذا لقيه أن يقع به ، فلماً دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم ، فأقبل نحوه ؛ حتى إذا قام على رأسه ، رفع القوس فضربه بها ضربة فشجّه بها شجّةً منكّرة ، وقال : أتشتّمهُ وأنا على دينه أقول ما يقول ! فردّ ذلك على أن استطعت ! وقامت رجال بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل منه ، فقال أبو جهل : دعوا أبا عُمارة ، فإنّي والله لقد سببتُ ابنَ أخيه سبّاً قبيحاً . وتمّ حمزة على إسلامه ، فلماً أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عزّ ، وأن حمزة سيمنعه ، فكفّوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما كانوا ينالون منه^(٢) .

١١٨٨/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، قال : كان أوّل من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكّة عبد الله بن مسعود ، قال : اجتمع يوماً أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله ما سمعت قريشاً بهذا القرآن يجهرُ لها به قطّ ، فمن رجل يُسمعهموه ؟ فقال عبد الله

(١) القنص : الصيد .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٨٥ .

ابن مسعود : أنا ، قالوا : إنا نخشاهم عليك ، إنما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه ، فقال : دعوني ، فإن الله سيمنعني ، قال : فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها ، حتى قام عند المقام ثم قال : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ - رافعاً بها صوته - ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ، قال : ثم استقبلها يقرأ فيها ، قال : وتأملوا وجعلوا يقولون : ما يقول ابن أمّ عبد ! ثم قالوا : إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد . فقاموا إليه ، فجعلوا يضربون في وجهه ، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ . ثم انصرف إلى أصحابه ، وقد أثروا بوجهه ، فقالوا : هذا الذي خَشِينَا عليك ! قال : ما كان أعداء الله أهْوَنَ عليّ منهم الآن ^(١) ! لئن شئت لأغادينهم غداً بمثلها ، قالوا : لا ، حسبك ، فقد أسمعتهُم ما يكرهون ^(٢) ١١٨٩/١

* * *

قال أبو جعفر : ولما استقرّ بالذين هاجروا إلى أرض الحبشة القرارُ بأرض النجاشي واطمأنّوا ، تأمرت قريشٌ فيما بينها في الكَيْدِ بمن ضوّى إليها من المسلمين ، فوجّهوا عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي إلى النجاشي ، مع هدايا كثيرة أهدوها إليه وإلى بطارقه ، وأمرهما أن يسألا النجاشي تسليم من قبلكه وبأرضه من المسلمين إليهم . فشخص عمرو وعبد الله إليه في ذلك ، فنفذا لما أرسلهما إليه قومهما ، فلم يصلّا إلى ما أمّل قومهما من النجاشي ، فرجعا مقبوحين ، وأسلم عمر بن الخطاب رحمه الله ، فلمّا أسلم - وكان رجلاً جليداً منيعاً ، وكان قد أسلم قبل ذلك حمزة ابن عبد المطلب ، ووجد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أنفسهم قوة ، وجعل الإسلام يفشو ^(٣) في القبائل ، وحمى النجاشي من ضوّى ^(٤) إلى بلده منهم - اجتمعت قريش ، فائتمرت بينها : أن يكتبوا بينهم كتاباً

(١) ح : « اليوم » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠١ .

(٣) ح : « يقوى ويفشو » .

(٤) ضوى إلى بلده : لحا إليه .

يتعاقدون فيه ؛ على ألاّ يُنكحوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، ولا يُنكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يتاعوا منهم ، فكتبوا بذلك صحيفة ، وتعاهدوا وتوثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة ، تؤكداً بذلك الأمر على أنفسهم ، فلمّا فعلت ذلك قريش ، انحازت بنو هاشم وبنو المطلب إلى أبي طالب ، فدخلوا معه في شِعْبِهِ^(١) ، واجتمعوا إليه ، وخرج من بنى هاشم أبو لهب عبد العزّى بن عبد المطلب إلى قريش ، وظاهرهم عليه^(٢) ، فأقاموا على ذلك من أمرهم سنتين أو ثلاثاً ؛ حتى جهدوا ألاّ يصل إلى أحد منهم شيء إلاّ سرّاً ، مستخفياً به من^(٣) أراد صلتهم من قريش . وذكر أن أبا جهل لقي حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد ، معه غلام يحمل قمحاً يريد به نعمة خديجة بنت خويلد ، وهي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفعه في الشَّعْب ، فتعلّق به ، وقال : أتذهب بالطعام إلى بنى هاشم ! والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك^(٤) بمكة ! فجاء أبو البخترى بن هشام بن الحارث ابن أسد ، فقال : مالك وله ! قال : يحمل الطعام إلى بنى هاشم ، فقال له أبو البخترى : طعام لعمته عنده بعثت إليه فيه ، أفمنعه أن يأتيها بطعامها ! خلّ سبيل الرجل . فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه ، فأخذ أبو البخترى لحيّ بغير^(٥) ، فضربه فشجّه ، ووطئه وطحاً شديداً ، وحمزة ابن عبد المطلب قريب يرى ذلك ، وهم يكرهون أن يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فيشمتوا بهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ذلك ، يدعو قومه سرّاً وجهراً ، آناء الليل وآناء النهار ؛ والوحي عليه من الله متتابعٌ بأمره ونهيه ، ووعيد^(٦) من ناصبه العداوة ، والحجج لرسول الله صلى الله عليه وسلم على من خالفه^(٧) .

١١٩١/١

(١) الشعب : الطريق في الجبل .

(٢) ح : « عليهم » .

(٣) ط : « ممن » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٤) ح ، ر : « نفضحك » .

(٥) ر : « فقام أبو البخترى إلى لحي جمل » .

(٦) ح : « ووعيده » .

(٧) سيرة ابن هشام ١ : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

فذكر أن أشراف قومه اجتمعوا له يوماً - فيما حدثني محمد بن موسى الحرشي ، قال : حدثنا أبو خثلف عبد الله بن عيسى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ أن قريشاً وعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطوه مالاً فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، ويطثوا عقبه ، فقالوا : هذا لك عندنا يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء ؛ فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك حصلة واحدة فهي لك ولنا فيها صلاح . قال : ما هي ؟ قالوا : تعبد آلهتنا سنة ؛ اللات والعزى ، ونعبد إلهك سنة ، قال : حتى أنظر ما يأتي من عند ربي ! فجاء الوحي من اللوح المحفوظ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ السورة ، وأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾^(١).

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن علية ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني سعيد بن ميناء ، مولى أبي البخري ، قال : لقي الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خثلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشركك في أمرنا كله ؛ فإن كان الذي جئت به خيراً مما في أيدينا ، كنّا قد شررناك فيه ، وأخذنا بحظنا منه ؛ وإن كان الذي بأيدينا خيراً مما في يدك ، كنت قد شررنا في أمرنا ، وأخذت بحظك منه . فأنزل الله عز وجل : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ؛ حتى انقضت السورة^(٢) .

١١٩٢/١

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على صلاح قومه ، محباً مقاربتهم بما وجد إليه السبيل ، قد ذكر أنه تمنى السبيل إلى مقاربتهم ، فكان من أمره في ذلك ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال :

(١) سورة الزمر ٦٤ - ٦٦ ، والخبر في التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ٣٠ : ٢١٤ (بولاق) .

حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني^(١) ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تَوَلَّى قَوْمَهُ عَنْهُ ، وَشَقَّ عَلَيْهِ مَا يَرَى مِنْ مَبَاعِلِهِمْ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ ، تَمَنَّى فِي نَفْسِهِ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنَ اللَّهِ مَا يَقَارِبُ^(٢) بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمِهِ ، وَكَانَ يَسْرُهُ مَعَ جَبَّةِ قَوْمِهِ ، وَحَرَصَهُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَلِينَ لَهُ بَعْضُ مَا قَدْ غَلِظَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِمْ ، حَتَّى حَدَّثَ بِذَلِكَ نَفْسَهُ ، وَتَمَنَّاهُ وَأَحْبَبَهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَالتَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾^(٣) ، أَتَى الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِهِ ، لَمَّا كَانَ يَحْدُثُ بِهِ نَفْسَهُ ، وَيَتَمَنَّى أَنْ يَأْتِيَ بِهِ قَوْمَهُ : « تِلْكَ الْغَرَائِيقُ الْعَلَا ، وَإِنْ شَفَاعَتُهُنَّ لَتُرْتَجَى » ؛ فَلَمَّا سَمِعَتْ ذَلِكَ قَرِيشُ فَرِحُوا ، وَسَرَّهْمُ وَأَعْجَبَهُمْ مَا ذَكَرَ بِهِ آلِهَتُهُمْ ، فَأَصَاخُوا لَهُ - وَالْمُؤْمِنُونَ مُصَدِّقُونَ نَبِيِّهِمْ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ عَنْ رَبِّهِمْ ، وَلَا يَتَّهِمُونَهُ عَلَى خَطَا وَلَا وَهْمٍ وَلَا زَلٍّ - فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا وَخَتَمَ السُّورَةَ سَجَدَ فِيهَا ، فَسَجَدَ الْمُسْلِمُونَ بِسُجُودِ نَبِيِّهِمْ ، تَصَدِيقًا لَمَّا جَاءَ بِهِ ، وَاتِّبَاعًا لِأَمْرِهِ ، وَسَجَدَ مَنْ فِي الْمَسْجِدِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَرِيشٍ وَغَيْرِهِمْ ، لَمَّا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ ، فَلَمْ يَبْقَ فِي الْمَسْجِدِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا سَجَدَ ، إِلَّا الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةِ ، فَإِنَّهُ كَانَ شَيْخًا كَبِيرًا ، فَلَمْ يَسْتَطِعِ السَّجُودَ ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ حَقَنَةً مِنَ الْبَطْحَاءِ فَسَجَدَ عَلَيْهَا ، ثُمَّ تَفَرَّقَ النَّاسُ مِنَ الْمَسْجِدِ ، وَخَرَجَتْ قَرِيشُ ، وَقَدْ سَرَّهْمُ مَا سَمِعُوا مِنْ ذِكْرِ آلِهَتِهِمْ ، يَقُولُونَ : قَدْ ذَكَرَ مُحَمَّدٌ آلِهَتُنَا بِأَحْسَنِ^(٤) الذِّكْرِ ، قَدْ زَعَمَ فِيمَا يَتْلُو : « أَنَّهَا الْغَرَائِيقُ الْعَلَا ، وَأَنَّ شَفَاعَتَهُنَّ تَرْضَى » وَبَلَّغَتْ السَّجْدَةَ مَنْ بَأَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَقِيلَ : أَسْلَمَتْ قَرِيشُ ، فَنَهَضَ مِنْهُمْ رِجَالٌ ، وَتَخَلَّفَ آخَرُونَ ، وَأَتَى جَبْرِيلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَاذَا

١١٩٣/١

(١) ر : « المري » .

(٢) ر : « يقرب » .

(٣) سورة النجم ١ - ٢٠ .

(٤) ر : « فأحسن » .

صنعت! لقد تلوت على الناس ما لم آتِكَ به عن الله عزَّ وجلَّ، وقلت ما لم يقل لك! فحزن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك حُزْنًا شديدًا ، وخاف من الله خوفًا كثيرًا^(١) ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ - وكان به رحيمًا - يعزِّيه ويخففُ عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكُ قبله نبي ولا رسول تمنى كما تمنى ، ولا أحب كما أحب إلا والشيطان قد ألقى في أمْنِيَّتِهِ ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ^(٢) الله ما ألقى الشيطان وأحكم آياته ؛ أي فإنما أنت كبعض الأنبياء والرسل ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣) ، فأذهب الله عزَّ وجلَّ عن نبيِّه الحزن ، وآمنه من الذي كان يحاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهتهم : « أنها الغرائقُ العلاءُ وأنَّ شفاعتهن ترتضى » ، بقول الله عزَّ وجلَّ حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى : ﴿الْكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾ أي عوجاء ، ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَّتُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ﴾ - إلى قوله - ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾^(٤) ، أى فكيف تنفع شفاعة آلهتكم عنده !

فلما جاء من الله ما نسخ^(٥) ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيِّه^(٥) ، قالت قريش : ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله ، فغيّر ذلك وجاء بغيره ؛ وكان ذانك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقعا في فم كلِّ مشرك ، فازدادوا شرًّا إلى ما كانوا عليه^(٦) ، وشدة على مَنْ أسلم واتبع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم منهم ،

(١) ح والتفسير : « كبيراً » .

(٢) م : « فينسخ » .

(٣) سورة الحج ٥٢ .

(٤) سورة النجم ٢١ - ٢٦ .

(٥ - ٥) ح : « ما كان الشيطان ألقى على نبيه » .

(٦) الخبر إلى هنا في التفسير ١٧ : ١٣١ ، ١٣٢ (بولاق) .

وأقبل أولئك النفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا^(١) من أرض الحبشة لِمَا بلغهم من إسلام أهل مكة حين سجدوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى إذا دنوا من مكة ، بلغهم أن الذي كانوا تحدثوا به من إسلام أهل مكة كان باطلا ، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار ، أو مستخفياً ، فكان ممن قَدِم مكة منهم فأقام بها حتى هاجر إلى المدينة ، فشهد معه بدرًا من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي ، عثمان بن عفان ابن أبي العاص بن أمية ، معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل ، وجماعة آخر معهم ، عددهم ثلاثة وثلاثون رجلاً . ١١٩٥/١

حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس ، قالوا : جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش ، كثير أهله ، فتمننى يومئذ ألا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا بلغ : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ ألقى الشيطان عليه كلمتين : « تلك الغرائق^(٢) العلاء » وإن شفاعتهن لترجى^(٣) ، فتكلم بهما ، ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم معه جميعاً ، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته ، فسجد عليه — وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود — فرضوا بما تكلم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحبي ويميت ؛ وهو الذي يخلق ويرزق ؛ ولكن آهتنا هذه تشفع لنا عنده ؛ فإذا جعلت لها نصيباً فنحن معك . قالوا : فلما أمسى

(١) م : « خرجوا إليه » .

(٢) ح : « الغرائقة » .

(٣) ر : « ترقى » .

أتاه جبرئيل عليه السّلام ، فعرض عليه السّورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتُك بهاتين ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتريتُ على الله ، وقلتُ على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه : ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾^(١) ، فما زال مغموماً مهموماً ، حتى نزلت : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ — إلى قوله : ١١٩٦/١ ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٢).

قال : فسمع مَنْ كان بأرض الحبشة من المهاجرين أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائهم ، وقالوا : هم أحبُّ إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان ، ثم قام — فيما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في نقض الصحيفة التي كانت قريش كتبت بينها على بني هاشم وبني المطلب — نفرٌ من قريش . وكان أحسنهم بلاءً فيه هشام بن عمرو بن الحارث العامري ، من عامر بن لؤي — وكان ابنُ أخى نضلة بن هاشم بن عبد مناف لأمه — وإنه مشى إلى زهير ابن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب — فقال : يا زهير ، أرضيت أن تأكل الطعام ، وتلبس الثياب ، وتكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت ؛ لا يبايعون ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ولا ينكح إليهم ! أما إنني أحلف بالله لو كانوا أخوال أبي الحكم ابن هشام ثم دعوته إلى مثل مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً . قال : ويحك يا هشام ! فإذا أصنع ! إنتما أنا رجلٌ واحد ، والله لو كان معي رجلٌ آخر لقمتم في نقضها حتى أنقضها . قال : قد وجدت رجلاً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال له زهير : ابغِنا ثالثاً ، فذهب إلى المطعم بن عدي ١١٩٧/١ ابن نوفل بن عبد مناف ، فقال له : يا مطعم ، أقعد رَضِيت أن يهلك بطنان

(١) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٥ .

(٢) سورة الحج ٥٢ ، والخبر في التفسير ١٧ : ١٣١ (بولاق) .

من بنى عبد مناف ، وأنت شاهد على ذلك ، موافق لقريش فيه ! أما والله لئن أمكنتموه من هذه لتجدنهم إليها منكم سراعاً^(١) . قال : ويحك ! فإذا أصنع ! إنما أنا رجلٌ واحد ، قال : قد وجدت ثانياً ، قال : مَنْ هو ؟ قال : أنا ، قال : ابغنا ثالثاً^(٢) ، قال : قد فعلت ، قال مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية ، قال : ابغنا رابعاً ، فذهب إلى أبي البختري بن هشام ، فقال له نحواً مما قال للمطعم بن عدى ، فقال : وهل من أحد يُعين على هذا ؟ قال : نعم ، قال : مَنْ هو ؟ قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدى وأنا معك . قال : ابغنا خامساً ، فذهب إلى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، فكلّمه ، وذكر له قرابتهم وحقهم ، فقال له : وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد ؟ قال : نعم ، ثم سئى له القوم . فاتعدوا له خَطْمَ الحِجُونِ الذى^(٣) بأعلى مكة ، فاجتمعوا هنالك ، وأجمعوا أمرهم ، وتعاهدوا على القيام فى الصحيفة حتى ينقضوها ، وقال زهير : أنا أبدوكم فأكون أولكم يتكلّم ، فلما أصبحوا غدوا إلى أئديتهم ، وغدا زهير بن أبي أمية ، عليه حلة له ؛ فطاف بالبيت سبعاً ، ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة ؛ أنا كل الطعام ، ونشرب الشراب ، ونلبس الثياب ، وبنو هاشم هلكى لا يبايعون ولا يبتاع منهم ! والله لأقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظّالمة ، ١١٩٨/١ قال أبو جهل - وكان فى ناحية المسجد : كذبت ، والله لا تشقّ ! قال زمعة ابن الأسود : أنت والله أكذب ، ما رضينا كتابها حين كتبت ؛ قال أبو البختري : صدق زمعة ، لا نرضى ما كتب فيها ولا نُقرُّ به ! قال المطعم بن عدى : صدّقتم وكذّب مَنْ قال غير ذلك ؛ نبرأ إلى الله منها ، ومما كُتِب فيها ؛ وقال هشام بن عمرو نحواً من ذلك ، قال أبو جهل : هذا أمرٌ قضى بليلٍ ، وتُشَوَّر فيه بغير هذا المكان - وأبو طالب جالس فى ناحية المسجد - وقام المطعم بن عدى إلى الصحيفة ليشقّها ؛ فوجد الأرضة قد أكلتها ؛

(١) ط : « سرياً » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) قال فى اللسان : « ابغنى كذا » ، بهزة الوصل ، أى اطلب لى ، وأبغى بهزة القطع ، أى أعنى على الطلب .

(٣) كذا فى ح وابن الأثير ، وفى ط : « التى » .

إلا ما كان من «باسمك اللهم» ، وهي فاتحة ما كانت تكتب قريش ؛ تفتتح بها كتابها إذا كتبت .

قال : وكان كاتب صحيفة قريش — فيما بلغني — التي كتبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطه من بني هاشم وبني المطلب ، منصور بن عكرمة ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، فشككت يده (١) .

وأقام بقيتهم بأرض الحبشة ؛ حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمري ، فحملهم في سفيتين ، فقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بخير بعد الحديبية . وكان جميع من قدم في السفيتين ستة عشر رجلاً .

* * *

ولم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مقيماً مع قريش بمكة يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، صابراً على أذاهم وتكذيبهم إياه واستهزائهم به ؛ حتى إن كان بعضهم — فيما ذكر — يطرح عليه رجم الشاة وهو يصلّي ، ١١٩٩/١ ويطرحها في برّمتة إذا نُصبت له (٢) ؛ حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم — فيما بلغني — حجراً يستتر به منهم إذا صلى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني عمر بن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج بذلك إذا رُمي به في داره على العود فيقف على بابه ، ثم يقول : يا بني عبد مناف ، أيّ جوار هذا ! ثم يُلقيه بالطريق .

ثم إن أبا طالب وخديجة هلكا في عام واحد — وذلك فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق — قبل هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ، فعظمت المصيبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهما ؛ وذلك أن قريشاً

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٢) ر : « به » .

وصلُّوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلُّونَ إليه في حياته منه ؛
حتى نَشَرَ بعضُهم على رأسه التراب^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
حدثني هِشام بن عروة ، عن أبيه قال : لما نثر ذلك السَّفيه التَّرابَ على
رأسِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته
والتراب على رأسه ، فقامت^(٢) إليه إحدى بناته تغسل عنه التراب ؛ وهي تبكي ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : يَا بُنَيَّةُ لَا تَبْكِي ؛ فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ
أباك ! قال : ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما نالت مني قريش
شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب^(٣)

* * *

ولما هلك أبو طالب خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف
يلتمس من ثقيف النصر والمنعة^(٤) له من قومه ؛ وذُكر أنه خرج إليهم
وحده ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ١٢٠٠/١
قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : لما انتهى
رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف عمَّد إلى نفرٍ من ثقيف - هم يومئذ
سادة ثقيف وأشرافهم ؛ وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، ومسعود
ابن عمرو بن عمير ، وحبيب بن عمرو بن عمير ؛ وعندهم امرأة من قريش
من بني جُمَح ، فجلس إليهم - فدعاهم إلى الله وكلَّمهم بما جاء لهم^(٥)
من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على مَنْ خالفه من قومه ، فقال أحدهم :
هو يمرط^(٦) . ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : ما وجد الله

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٨ .

(٢) في الأصول : « قامت » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٣) ر : « الفضل والمعونة » .

(٤) ح : « جاء إليه » .

(٥) يمرطها : أى ينزعها ويرى بها .

أحدًا يرسله غيرك ! وقال الثالث : والله لا أكلّمك كلمةً أبداً ؛ لأن كنت رسولاً من الله كما تقول ؛ لأنّ أعظمُ خطراً من أن أردّ عليك الكلام ؛ ولأن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلّمك !

فقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يش من خيرٍ ثقيف ؛ وقد قال لهم فيما ذكر لي - : إذ فعلتم ما فعلتم فاكموا على . وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ قومَه عنه ، فيذّثرهم ^(١) ذلك عليه ، فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم ، يسبّونه ويصيحون به ؛ حتى اجتمع عليه الناس وألجّثوه إلى حائط ^(٢) لعُتْبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وهما فيه ، ورجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه ، فعمد إلى ظِلِّ حَبَلَةٍ ^(٣) من عنب ، فجلس فيه ، وأبنا ربيعة ينظران إليه ، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف . وقد لقي ١٢٠١/١ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي - تلك المرأة من بني جُمح ، فقال لها : ماذا لقينا ^(٤) من أحمائك ! فلما اطمأن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال - فيما ذكر لي : اللهم إليك أشكو ضعف قوّتي ، وقلةَ حيالتي ، وهواني على الناس ؛ يا أرحمَ الرَّاحمين ، أنت ربُّ المستضعفين ، وأنت ربّي ؛ إلى من تكلمني ! إلى بعيد يتجهمني ، أو إلى عدوّ ملككتهُ أمرى ؛ إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ! ولكن عافيتك هي أوسع لي . أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن ينزل بي غضبك ، أو يحل عليّ سخطك ، لك العتبى ^(٥) حتى ترضى ، لا حول ولا قوة إلا بك .

فلما رأى ابنا ربيعة : عُتْبة وشَيْبَة ما لقي ، تحرّكت له رجليهما ،

(١) قال ابن هشام : قوله : « يذّثرهم » ؛ يعنى يحرش بينهم ، قال عبيد :

وَلَقَدْ أَتَانِي عَنْ تَمِيمٍ أَنَّهُمْ ذَرُّوا لِقَتْلِي عَامِرٍ وَتَعَصَّبُوا

(٢) الحائط هنا : البستان .

(٣) الحبلّة : الكرمة من العنب .

(٤) ح : « لقيت » .

(٥) العتبى : الرضا .

فدعوا له غلاماً لهما نصرانيّاً ؛ يقال له عدّاس ، فقالا له : خذ قطعاً^(١) من هذا العنب وضّعه في ذلك الطّبق ، ثم اذهب به إلى ذلك الرّجل ، فقل له يأكل منه ؛ ففعل عدّاس ، ثم أقبل به حتّى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، قال : « بسم الله » ، ثم أكل ، فنظّر عدّاس إلى وجهه ، ثم قال : والله إنّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ومن أهل أىّ البلاد أنت يا عدّاس ؟ وما دينك ؟ قال : أنا نصرانيّ ، وأنا رجلٌ من أهل نينوى^(٢) فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمينٌ قرية الرّجل الصّالح يونس بن متى ؟ قال له : وما يدريك ما يونس بن متى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذاك أخبى ، كان نبيّاً وأنا نبيّ ، فأكبّ^(٣) عدّاس على^(٤) رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبّل رأسه ويديه ورجليه ، قال : يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه^(٥) : أمّا غلامك فقد أفسده عليك . فلما جاءهما عدّاس قالا له : ويلك يا عدّاس ! مالك تقبّل رأس هذا الرّجل ويديه وقدميه ! قال : ياسيّدى ما في [هذه]^(٦) الأرض خيرٌ من هذا الرّجل ! لقد خبرتني بأمر لا يعلمه^(٧) إلّا نبيّ ، فقالا : ويحك يا عدّاس ! لا يصرفنك عن دينك ، فإنّ دينك خيرٌ من دينه .

ثم إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطّائف راجعاً إلى مكّة حين يئس من خبر ثقيف ، حتّى إذا كان بنمخلة ، قام من جوف الليل يصاتى ، فرّ به نفرٌ من الجنّ الذين ذكر الله عزّ وجلّ .

قال محمّد بن إسحاق : وهم — فيما ذكرلى — سبعة نفر من جنّ أهل

(١) القطف : اسم للعنود ، وأصله اسم لكل ما يقطف .

(٢) نينوى : قال أبو ذر الخشنى : « ورويت ها هنا بضم النون الثانية وبفتحةها » .

(٣) ر : « فأنكب » .

(٤) م : « على رأس » .

(٥) ح : « للآخر » .

(٦) من م .

(٧) م : « بما لا يعلمه » .

نَصِيْبِيْنَ الْيَمَنِ ، فَاسْتَمَعُوا لَهُ ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ وَلَوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ،
 قَدْ آمَنُوا وَآجَبُوا إِلَى مَا سَمِعُوا ، فَقَصَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَبَرَهُمْ عَلَيْهِ :
 ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ ﴾ — إِلَى قَوْلِهِ :
 ﴿ وَيُجِزُّكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ ^(١) . وَقَالَ : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ
 اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ . . . ﴾ إِلَى آخِرِ الْقِصَّةِ مِنْ خَبَرِهِمْ فِي هَذِهِ السُّورَةِ ^(٢) .

قال محمد : وتسمية النفر من الجن الذين استمعوا ^(٣) الوحي — فيما بلغني —
 حساً ، ومساً ، وشاصراً ، وناصراً ، وإينا الأرد ، وأينين ، والأحقم .

١٢٠٣/١

* * *

قال : ثم قدِم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وقومه أشد ما كانوا
 عليه من خلافه وفراق دينه ، إلّا قليلاً مستضعفين ممّن آمن به .
 وذكر بعضهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف من الطائف
 مريداً مكة مرّ به بعض أهل مكة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 هل أنت مبلغ عني رسالة أرسلك بها ؟ قال : نعم ، قال : انت الأخنس
 ابن شريق ، فقل له : يقول لك محمد : هل أنت مجبري حتى أبلغ رسالة
 ربّي ؟ قال : فأتاه ، فقال له ذلك ، فقال الأخنس : إن الحليف لا يجبر
 على الصريح . قال : فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال :
 نعم ، قال : انت سهيل بن عمرو ، فقل له : إن محمداً يقول لك : هل
 أنت مجبري حتى أبلغ رسالات ربّي ؟ . فأتاه فقال له ذلك ، قال : فقال :
 إن بني عامر بن لؤي لا تجبر على بني كعب . قال : فرجع إلى النبي صلى الله
 عليه وسلم ، فأخبره ، قال : تعود ؟ قال : نعم ، قال : انت المطعم بن عدى ،
 فقل له : إن محمداً يقول لك : هل أنت مجبري حتى أبلغ رسالات ربّي ^(٤) ؟
 قال : نعم ، فليدخل ، قال : فرجع الرجل إليه ، فأخبره ، وأصبح المطعم

(١) سورة الأحقاف ٢٩ - ٣٠ .

(٢) سورة الجن ، والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٠ - ٢٦٣ .

(٣) م : « سمعوا » .

(٤) ح : « على أن أبلغ » .

ابن عدى قد لبس سلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخلوا المسجد ، فلما رآه أبو جهل ، قال : أمّجبر أم متابع ؟ قال : بل مجبر ، قال : فقال : قد أجرنا من أجرت ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة ، وأقام بها ، فدخل يوماً المسجد الحرام والمشركون عند الكعبة ، فلما رآه أبو جهل ، قال : هذا نبيكم يا بني عبد مناف ، قال عتبة بن ربيعة : وما تنكير أن يكون منّا نبي أو ملك ! فأخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم — أو سمعه — فأتاهم ، فقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت الله ولا لرسوله ؛ ولكن حميت لأنفك ، وأما أنت يا أبا جهل بن هشام ؛ فوالله لا يأتي عليك غير كبير^(١) من الدهر حتى تضحك قليلاً وتبكي كثيراً . وأما أنتم يا معشر الملأ من قريش ؛ فوالله لا يأتي عليكم غير كبير^(٢) من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون ، وأنتم كارهون .

* * *

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه في المواسم — إذا كانت — على قبائل العرب ، يدعوهم إلى الله [وإلى نصرته]^(٣) ويخبرهم أنه نبي مرسل ، ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبيد الله بن عبد الله بن عباس ، قال : سمعت ربيعة بن عباد يحدث أبي ، قال : إني لـغلام شاب مع أبي بمنى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب ، فيقول : يا بني فلان ، إنني رسول الله إليكم ؛ يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تخلعوا ما تعبدون^(٤) من دونه من هذه الأنداد ، وأن تؤمنوا بي

(١) ر : « كبير » .

(٢) ح : « كبير » .

(٣) من ر .

(٤) م : « ما يعبد » .

وتصدّقوني وتمنعوني ؛ حتى أبين عن الله ما بعثني به .

قال : وخلفه رجلٌ أحولٌ وضىءٌ ، له غدِيرَتَانِ^(١) ، عليه حلّةٌ عَدَنِيَّةٌ ، فإذا فرَغَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من قوله ، وما دعا إليه ، قال الرجل : يا بني فلان ، إنَّ هذا إنما يدعوكم إلى أن تسلُّخُوا اللات والعزَّى من أعناقكم ، وحلفاءكم من الجنِّ من بني مالك بن أقيش ، إلى ما جاء به من البدعة والضلالة ، فلا تطيعوه ولا تسمعوا له .

قال : فقلت لأبي : يا أبتَ مَنْ هذا الرجل الذي يتبعه ؛ يردّه عليه ما يقول ؟ قال : هذا عمّه عبد العزَّى أبو لهب بن عبد المطلب^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : وحدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثنا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى كِنْدَةَ في منازلهم ، وفيهم سيّد لهم ، يقال له مُلَيْح ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ، فأبوا عليه^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حُصَيْن ، أنَّهُ أتى كَلْبًا في منازلهم إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله ، فدعاهم إلى الله عزّ وجلّ ، وعرض عليهم نفسه ؛ حتى إنّه ليقول لهم : يا بني عبد الله ، إن الله قد أحسن اسم أبيكم . فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم^(٣) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : محمد بن إسحاق : حدَّثني بعضُ أصحابنا ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بني حَنِيْفَةَ في منازلهم ، فدعاهم إلى الله ، وعرض

(١) القديرة : الذؤابة من الشعر .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٣

(٣) سيرة ابن شام ٢ : ٢٦٤

عليهم نفسه ؛ فلم يكن أحدٌ من العرب أقبحَ ردًّا عليه منهم^(١)

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، أنه أتى بني عامر بن صعصعة ، فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم نفسه ، فقال رجل منهم ، يقال له بَيْسَحَرَّةَ بنُ فراس^(٢) : والله لو أننى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلتُ به العرب . ثم قال له : أرايت إن نحن تابعتك^(٣) على أمرك^(٤) ، ثم أظهركَ الله على مَنْ خالفك ؛ أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟ قال : الأمرُ إلى الله يضعه حيث يشاء . قال : فقال له : أفتهدف^(٥) نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرت كان الأمرُ لغيرنا ! لا حاجة لنا بأمرك . فأبوا عليه ، فلما صدّر الناس ، رجعت بنو عامر إلى شيخ لهم ؛ قد كانت أدركته السن ؛ حتى لا يقدر على أن يوافقَ معهم الموسم ، فكانوا إذا رجعوا إليه ، حدثوه^(٦) بما يكون في ذلك الموسم ؛ فلما قدِمُوا عليه ذلك العام ، سألمهم عما كان في موسمهم ، فقالوا : جاءنا فتى من قريش ، ثم أحد بني عبد المطّلب ؛ يزعم أنه نبي ، ويدعو^(٧) إلى أن نمنعه^(٨) ونقوم معه ؛ ونخرج به معنا إلى بلادنا . قال : فوضع الشيخُ يده على رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ، هل لها من تلافٍ ! هل لذنا بها^(٩) من مطلب ! والذي نفسُ فلان بيده ما تقوّلها إسماعيلي^(١٠) قطّ ! وإنّها لحقّ ، فأين كان رأيكم عنه !

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤

(٢) في ابن هشام : « فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة » .

(٣) ابن هشام : « تابعتك على أمرك » .

(٤) ح : « تابعتك وأمتنا بك » .

(٥) كذا في ابن هشام ؛ أى تصوير هدفاً يرمى ، وفي ط : « أفهدف » .

(٦) ح : « يحدثونه » .

(٧) ر ، وابن هشام : « يدعوننا » .

(٨) ح : « ويدعو الله ويريد أن نمنعه » .

(٩) مثل يضرب لما فات ؛ وأصله من ذناب الطائر ؛ إذ أفلت من الحبال .

(١٠) أى ما ادعى النبوة .

فكان رسول الله صلى عليه وسلم على ذلك من أمره ؛ كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعُو القبائل إلى الله وإلى الإسلام ، ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة ، لا يسمع بقادم يقدم من العرب ؛ ١٢٠٧/١ له اسمٌ وشرفٌ إلا تصدَّى له فدعاه إلى الله ، وعرض عليه ما عنده ^(١) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الطَّفَرِيُّ ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : قدِم سُوَيد بن صامت - أخو ^(٢) بني عمرو بن عوف - مكة حاجاً أو معتمراً ، قال : وكان سُوَيد إنما يسميه قومه فيهم الكامل ، لجلده وشعره ، ونسبه وشرفه ؛ وهو الذي يقول :

أَلَا رَبَّ مَنْ تَدْعُو صَدِيقًا وَلَوْ تَرَى مَقَالَتَهُ بِالْغَيْبِ سَاءَ مَا يَفْرَى ^(٣)
مَقَالَتَهُ كَالشَّحْمِ مَا كَانَ شَاهِدًا وَبِالْغَيْبِ مَا ثَوَّرَ عَلَى ثَغْرَةِ النَّحْرِ ^(٤)
يَسْرُكُ بَادِيهِ وَتَحْتَ أَدِيمِهِ نَمِيمَةٌ غَشِيَتْ تَبْتَرِي عَقَبَ الظَّهِرِ ^(٥)
تُبِينُ لَكَ الْعَيْنَانِ مَا هُوَ كَاتِمٌ وَلَا جِنَّ بِالْبَغْضَاءِ وَالنَّظَرِ الشَّرِّ
فَرِشْنِي بِخَيْرٍ طَالَمَا قَدْ بَرَيْتَنِي وَخَيْرُ الْمَوَالِي مَنْ يَرِيشُ وَلَا يَبْرِي ^(٦) ١٢٠٨/١
مع أشعار له كثيرة يقولها ^(٧) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٤ ، ٢٦٥ .

(٢) ر : « أحد » .

(٣) يفرى : يخلق من القول .

(٤) المأثور هنا : السيف الموشى .

(٥) تبتري : تقطع ، وعقب الظهر : عصبه .

(٦) راشه : قواه ، وبراه : أضعفه .

(٧) ذكر منها ابن هشام :

لَا تَحْصِنُنِي يَا بَنَ زُعْبِ بْنِ مَالِكٍ كَمَنْ كُنْتُ تُرْدِي بِالْعُيُوبِ وَتَحْتَلُّ
تَحَوَّلْتُ قَرْنًا إِذْ صُرِعْتُ بِعِزَّةٍ كَذَلِكَ إِنَّ الْحَازِمَ الْمُتَحَوِّلُ

قال : فتصدَّى له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به ، فدعاه إلى الله وإلى الإسلام . قال : فقال له سُويدٌ : فلعلَّ الذى معك مثلُ الذى معى ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : وما الذى معك ؟ قال : مجلَّةٌ^(١) لقمان - يعنى حكمة لقمان - فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : اعرضها علىَّ ، فعرضها عليه ، فقال : إنَّ هذا لكلامُ^(٢) حَسَنٌ ، معى أفضلُ من هذا ؛ قرآنُ أنزله الله علىَّ ، هدى ونورٌ . قال : فتلا عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، ودعاه إلى الإسلام ، فلم يبعد منه ، وقال : إنَّ هذا لقولُ حَسَنٌ .

ثم انصرف عنه ، وقدم المدينة ، فلم يلبث أن قتلتَه الخزرج ؛ فإن كان قومه ليقولون : قد قُتِلَ وهو مُسلمٌ ، وكان قتله قبل بُعث^(٣) .

* * *

حدثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثنى الحُصَيْن بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ ؛ أخو بنى عبد الأشهل ، عن محمود بن لَبِيد ؛ أخى بنى الأشهل ، قال : لما قدم أبو الحيسر أنسُ بن رافع مكة ، ومعه فتيةٌ من بنى عبد الأشهل ، فيهم إياس بن مُعَاذ ؛ يلتصقون الحلف من قُرَيْش على قومهم من الخزرج ، سمع بهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاهم فجلس إليهم ، فقال لهم : هل لكم إلى خيرٍ مما جئتم له ؟ قالوا : وما ذاك ؟ قال : أنا رسولُ الله ، بعثنى إلى العباد ، أدعوهم إلى الله أن يعبدوا الله ، ولا يشركوا به شيئاً ، وأنزل علىَّ الكتاب . ثم ذكر لهم^(٤) الإسلام ، وتلا عليهم القرآن . فقال إياس بن مُعَاذ - وكان ١٢٠٩/١

(١) المجلة : الصحيفة ؛ قال السبيل : « ولقمان كان نبياً . من أهل أيلة ؛ وهو لقمان ابن عتقاء بن سرور - فيما ذكروا - وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران - فيما ذكر الزجاج وغيره . وقيل فى اسمه غير ذلك ؛ وليس بلقمان بن عاد الحميرى » .

(٢) م : « كلام » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٤) م : « ذكرهم » .

غلاماً حَدَّثَنَا : أَيْ قَوْم ؛ هذا والله خيرٌ مما جئتم^(١) له . قال : فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حَفَنَةً من البطحاء ، فضربَ بها وجه إياس ابن معاذ ، وقال : دَعْنَا مِنْكَ ، فلَعَمْرِي لقد جئنا لغير هذا . قال : فصمت إياس ، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا إلى المدينة . فكانت وقعة بُعَاث بين الأوس والخزرج .

قال : ثم لم يلبث إياس بن مُعَاذ أن هلك . قال محمود بن لَسِيد : فأخبرني مَنْ حضره من قَوْمِي عند موته أنهم لم يزالوا يسمعونهُ يُهلِّل الله ويكبرُهُ ، ويحمده ويسبِّحه ؛ حتى مات ، فما كانوا يشكُّون أن قد مات مسلماً ، لقد كان استشعر الإسلام في ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع^(٢) .

* * *

قال : فلمَّا أراد الله عزَّ وجلَّ إظهارَ دينهِ وإعزازَ نبيِّهِ ، وإنجازَ مواعده له ، خرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الموسم الذي لقيَ فيه النفر من الأنصار ، فعَرَضَ نفسه على قبائل العرب ؛ كما كان يصنع في كلِّ موسم ؛ فبينما هو عند العقبة إذ لقيَ رهطاً من الخزرج أراد الله بهم خيراً .

قال ابن حُمَيد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن أشياخ من قومه ، قالوا : لما لقيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، قال لهم : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : نفرٌ من الخزرج ، قال : أَمِنْ مَوَالِي يَهُودَ ؟ قالوا : نعم ، قال : أفلا تجلسون حتى أكلمكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فجلسوا معه ، فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ ، وعَرَضَ عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن .

قال : وكان ممَّا صنَّع الله لهم به في الإسلام ، أن يهودَ كانوا معهم ١٢١٠/١

(١) ح : « جئنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

بيلادهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعِلْمٍ ، وكانوا أهلَ شركٍ ، أصحابَ أوثانٍ ،
 وكانوا قد غزَوْهم بيلادهم^(١) ، فكانوا إذا كان بينهم شيءٌ قالوا لهم : إن نبيًّا
 الآن مبعوثٌ قد أظَلَّ زمانه ، نتَّبِعْه ونقتلكم معه قَتْلَ عادٍ وإِرمَ . فلما كَلِمَ
 رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أولئك النِّفَرُ ، ودعاهم إلى الله ، قال بعضهم
 لبعض : تَعَلَّمْنَ والله إنَّه للنبيِّ الذي تُوْعِدُكم^(٢) به يهودُ ، فلا يَسْبِقُنَّكُمْ^(٣) إليه .
 فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدَّقوه ، وقَبِلوا منه ما عرض عليهم من
 الإسلام ، وقالوا له : إنا قد تركنا قَوْمنا ، ولا قومَ بينهم من العداوة والشرِّ
 ما بينهم ؛ وعسى الله أن يَجْمَعَهُمْ بك ، وسنقدِّم عليهم فندعوهم إلى أمرِك ،
 ونعرضُ عليهم الذي أجبناك إليه من هذا الدين ؛ فإنَّ يَجْمَعُهُم الله عليه ،
 فلا رجلَ أعزَّ منك. ثم انصرفوا عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى
 بيلادهم ، وقد آمَنُوا وصدَّقوا .

وهم - فيما ذُكِرَ لي - ستَّةُ نَفَرٍ من الخَزرجِ : منهم من بنى النِّجَارَ
 - وهم تَسِيمُ الله - ثم من بنى مالك بن النِّجَارِ بن ثعلبة بن عمرو بن الخَزرجِ
 ابن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، أسعدُ بن زُرارة بن عُدَس بن عُبيد
 ابن ثعلبة بن غَسَم بن مالك بن النِّجَارِ ؛ وهو أبو أَمَمة ؛ وعَوْف بن الحارث
 ابن رَفاعة بن سَوَاد بن مالك بن غَسَم بن مالك بن النِّجَارِ ؛ وهو ابنُ عَفراء^(٤)
 ومن بنى زُرَيْق بن عامر بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم
 ابن الخَزرجِ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجَلان
 ابن عمرو بن عامر بن زُرَيْق^(٥) .

١٢١١/١

ومن بنى سَلِمة بن سَعْد بن عليّ بن أسد بن ساردة بن يزيد بن
 جُشَم بن الخَزرجِ بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ؛ ثم من بنى سَواد ،

(١) غزَوْهم : غلبهم ، وفي ابن هشام : « غزَوْهم » .

(٢) ابن هشام : « تُوْعِدُكم » .

(٣) ابن هشام : « تَسْبِقُنَّكم » .

(٤) قال ابن هشام : « وعَفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن عبيد بن مالك بن النِّجَارِ » .

(٥) قال ابن هشام : « يقال : عامر بن الأزرق » .

قُطْبَةُ بنِ عامر بن حَديْدة بن عمرو بن سواد بن غَنَم بن كعب بن سَلِمة .
ومن بنى حَرَام بن كعب بن غَنَم بن كعب بن سَلِمة ، عَقْبَةُ
ابن عامر بن نَابِي بن زيد بن حرام .

ومن بنى عُبَيْد بن عدِيّ بن غَنَم بن كعب بن سَلِمة ، جَابِرُ بنُ
عبد الله بن رِقَاب بن النعمان بن سنان بن عُبَيْد^(١) .

* * *

قال : فلما قَدِمُوا المدينة على قومهم ، ذَكَرُوا لهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ودَعَوْهم إلى الإسلام ؛ حتَّى فشا فيهم فلم تَبْقَ دَارٌ من دُور الأنصار إلَّا وفيها ذِكرٌ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتَّى إذا كان العام المقبل ، وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلاً ، فلَقُوهُ بالعَقْبَةِ ، وهى العَقْبَةُ الأولى ، فبايعوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على بَيْعَةِ النساء ؛ وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب ؛ منهم من بنى النّجار أسعد بن زُرارة ١٢١٢/١ ابن عُدَس بن عُبَيْد بن ثعلبة بن غَنَم بن مالك بن النجار ؛ وهو أبو أَمَمة ؛ وعَوْف ومُعَاذ ابنا الحارث بن رفاعَة بن سَوَاد بن مالك بن غَنَم بن مالك ابن النّجار ؛ وهما ابنا عَفْرَاء .

ومن بنى زُرَيْق بن عامر ، رافع بن مالك بن العَجْلان بن عمرو بن عامر ابن زُرَيْق ، وذِكوَان^(٢) بن عبد قيس بن خلْدَة بن مَخْلَد بن عامر بن زُرَيْق .

ومن بنى عَوْف بن الخزرج ، ثم من بنى غَنَم بن عوف - وهم القواقل -^(٣)
عبادة بن الصامت بن قيس بن أَصْرَم بن فِهْر بن ثعلبة بن غَنَم بن عَوْف
ابن الخزرج ، وأبو عبد الرحمن ؛ وهو يزيد بن ثعلبة بن خَزَمَة بن أَصْرَم
ابن عمرو بن عَمارة ، من بنى غُصَيْنَة^(٤) من بَلِىّ ، حليف لهم .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٦٦ ، ٢٦٧

(٢) قال ابن هشام : « ذكر أنه مهاجرى أنصارى » .

(٣) قال ابن هشام : « وإنما قيل لهم القواقل ؛ لأنهم كانوا إذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهماً ، وقالوا له : قوئل يثرب حيث شئت » .

(٤) فى ابن هشام : « غصينة » .

ومن بنى سالم بن عَوْف بن عمرو بن عوف بن الخزرج عباس بن عبادة
ابن نَضْلَةَ بن مالك بن العجلان بن زيد بن غَنَم بن سالم بن عَوْف .
ومن بنى سَلِمة ، ثم من بنى حَرَام ، عَقْبَةُ بن عامر بن نَابِي بن
زيد بن حَرَام بن كعب بن غَنَم بن كَعْب بن سَلِمة .
ومن بنى سَوَاد ، قُطْبَةُ بن عامر بن حديد بن عمرو بن سواد بن غَنَم بن
كعب بن سَلِمة .

وشهداها من الأَوْس بنُ حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، ثم من بنى
الأَشْهَل : أبو الهيثم بن التَّيْهَان^(١) ، اسمه مالك ، حليف لهم .
ومن بنى عمرو بن عوف ، عُوَيْم بن ساعدة بن صَلْعَجَة^(٢) ، حليف لهم^(٣) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلِمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن مَرْثَد بن عبد الله اليزَني ،
عن أبي عبد الرحمن بن عُسَيْلَةَ الصَّنَابِجِي ، عن عبادة بن الصَّامِت ، قال :
كنت فيمَن حَضَرَ الْعَقْبَةَ الْوَلَى ؛ وَكُنَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ، فَبَايَعْنَا رَسُولَ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَيْعَةِ النِّسَاء ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْتَرَضَ الْحَرْبُ ؛
عَلَى الْإِلَاحِ نَشْرُكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقُ وَلَا نَزْنِي ، وَلَا نَقْتُلُ أَوْلَادَنَا ، وَلَا نَأْتِي بِيَهْتَانِ
نَفَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ؛ فَإِنْ وَفَيْتُمْ فَلَكُمْ الْجَنَّةُ ،
وإِنْ غَشَيْتُمْ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ فَأُخِذْتُمْ بِحَدِّهِ فِي الدُّنْيَا ؛ فَهُوَ كَفَّارَةٌ^(٤) لَهُ ، وَإِنْ
سَرْتُمْ عَلَيْهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ فَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ ؛ إِنْ شَاءَ عَذَّبَكُمْ ، وَإِنْ شَاءَ
غَفَرَ لَكُمْ^(٥) .

حدثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدثنا سَلِمة ، عن ابنِ إِسْحَاق ؛ أَنَّ ابْنَ
شَهَابٍ ذَكَرَ عَنْ عَائِذِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِي ، عَنْ عَبَادَةَ بْنِ

(١) قال ابن هشام : « التيهان يخفف ويثقل » .

(٢) ح : « صلجة » .

(٣) ابن هشام ١ : ٢٦٧

(٤) م : « الكفارة » .

(٥) ح : « عفا عنكم » . والخبر في ابن هشام ١ : ٢٦٨

الصامت ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فلما انصرف عنه القوم بعث معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصعب بن
عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، وأمره أن يقرئهم القرآن ،
ويعلمهم الإسلام ، ويفقههم في الدين ؛ فكان يسمى مُصعب بالمدينة : المقرئ ،
وكان منزله^(١) على أسعد بن زرارة بن عُدس أبي أمانة^(٢) .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن مُعَيْقِب ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد
ابن عمرو بن حزم ، أن أسعد بن زرارة خرج بِمُصعب بن عمير ؛ يريد
به دار بني عبد الأشهل ، ودار بني ظَفَر ؛ وكان سعد بن مُعاذ بن النعمان
ابن امرئ القيس ، ابن خالة أسعد بن زرارة ، فدخل به حائطاً من حوائط
بني ظَفَر^(٣) ، على بُر يقال لها بُر مَرَق ؛ فجلسا في الحائط ، واجتمع إليهما
رجالٌ ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأسيّد بن حُضَيْر يومئذ سيّدا قومهما من
بني عبد الأشهل ؛ وكلاهما مُشرك على دين قومه ، فلما سمعا به ، قال سعد
ابن مُعاذ لأسيّد بن حُضَيْر : لا أبا لك ! انطلق إلى هذين الرجلين اللذين
قد أتيا دارنا^(٤) ، ليسفها ضعفاءنا ، فازجرهما وانهما أن يأتيا دارنا^(٤) ، فإنه
لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت ، كفيتك ذلك ؛ هو ابن خالتي ،
ولا أجد عليه مقدماً . فأخذ أسيّد بن حُضَيْر حرّاً بَشته . ثم أقبل إليهما ؛

(١) قال السهيلي : « منزل » بفتح الزاي ، وكذلك كل ما وقع في هذا الباب ، من منزل فلان
على فلان . فهو بالفتح ؛ لأنه أراد المصدر ؛ ولم يرد المكان ؛ وكذلك قيده الشيخ أبو بحر ، بفتح
الزاي . »

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٩

(٣) قال ابن هشام : « واسم ظفر كعب بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس »

(٤) ابن هشام : « دارينا » .

فلما رآه أسعد بن زُرارة قال لِمُصْعَب : هذا سيد قومك قد جاءك ، فاصدق الله فيه . قال مُصْعَب : إن يجلس أكلّمه ، قال : فوقف عليهما مُتَشَتِّمًا ، فقال : ما جاء بكما إلينا ، تسفهان ضعفاءنا ! اعترلانا^(١) إن كانت لكما في أنفسكما حاجة . فقال له مُصْعَب : أو تجلس فتسمع ، فإن رضيت أمرًا قبلته ، وإن كرهته كُفّ عنك ما تكره ؟ قال : أنصفت ؛ ثم ركز حربته ، وجلس إليهما ، فكلّمه مُصْعَب بالإسلام ، وقرأ عليه القرآن ، فقالا فيما يذكر عنهما : والله لَعَرَفْنَا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم ، في إشرافه وتسهله . ثم قال : ما أحسنَ هذا وأجمله ! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالوا له : تغتسل ، فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين .

قال : فقام فاغتسل ، وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، ثم قام فركع ركعتين ، ثم قال لهما : إن ورائي رجلًا ؛ إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحدٌ من قومه ؛ وسأرسله إليكما الآن ؛ سعد بن معاذ . ثم أخذ حربته ، وانصرف إلى سعد وقومه ؛ وهم جلوس في نادبهم ؛ فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلا ، قال : أحلفُ بالله ، لقد جاءكم أسيد بن حُضَيْر بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف على النّادى ، قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلّمت الرجلين ، فوالله ما رأيت بهما بأسًا ، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت ، وقد حدّثت أن بنى حارثة ، قد خرجوا إلى أسعد بن زُرارة ليقتلوه ؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابنُ خالتك ليُخَفِّروك^(٢) ، قال : فقام سعد مُغَضَّبًا مبادرًا تخوفًا للذى ذكر له من بنى حارثة . فأخذ الحرّبة من يده ، ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئًا ؛ ثم خرج إليهما ؛ فلما رآهما سعد مطمئنين ، عرف أن أسيدًا إنما أراد أن يسمع منهما ، فوقف عليهما متشتمًا ، ثم قال لأسعد بن زُرارة : يا أبا أمامة ، لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمّت هذا

(١) ح : « اعترلا » .

(٢) الإخفار : نقض العهد .

مِنِّي . تغشانا^(١) في دارنا بما نكره ! وقد قال أسعد لمصعب : أي مصعب ! جاءك والله سيّد من وراءه من قومه ، إن يتبعك لم يخالف عليك منهم اثنان ، فقال له مصعب : أو تقعد فتسمع ، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته ، وإن كرهته عزلنا عنك ما نكره ؟ قال سعد : أنصفت ؛ ثم ركر الحربة ، فجلس فعرض عليه الإسلام ، وقرأ عليه القرآن . قالوا : فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم به ؛ في إشرافه وتسهّله .

ثم قال لهما : كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين ؟ قالوا : نغتسل فتطهر ثوبيك ، ثم تشهد شهادة الحق ، ثم تصلّي ركعتين . قال : فقام فاغتسل وطهر ثوبيه ، وشهد شهادة الحق ، وركع ركعتين ، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادى قومه ، ومعه أسيد بن حضير ؛ فلما رآه قومه مقبلاً ، قالوا : نحلف بالله لقد رجع سعد إليكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم ؛ فلما وقف عليهم ، قال : يا بني عبد الأشهل ؛ كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيّدنا وأفضلنا رأياً ، وأيمّنا نقيّةً ، قال : فإن كلام رجاليكم ونسائيكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله . قال : فوالله ما أمسى في دار عبّيد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة .

ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة ، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم يبق دار من دُور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ١٢١٧/١ إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف ؛ وتلك أوس الله ؛ وهم من أوس بن حارثة ؛ وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت ؛ وهو صيّق ، وكان شاعراً لهم ، وقائداً يسمعون منه ، ويطيعونه ، فوقف بهم عن الإسلام ؛ فلم يزل على ذلك^(٢) حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ ومضى بدر وأحد والخندق .

(١) ح : « تغشاني » .

(٢) ح : « كذلك » .

قال : ثم إنَّ مُصعبَ بن عُمر ، رجع إلى مكةَ وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى المُوَسِّم مع حُجَّاج قومهم من أهلِ الشُّرك ؛ حتى قدموا مكةَ ؛ فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبةَ من أوْسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته ، والنَّصر لِنبيه صلى الله عليه وسلم وإعزاز الإسلام وأهله^(١) ، وإذلال الشُّرك وأهله^(٢) .

فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني مَعْبُد بن كعب بن مالك بن أبي كعب بن القيس ، أخو بني سلمة ، أنَّ أخاه عبد الله بن كَعْب — وكان من أعلم الأنصار — حدَّثه أنَّ أباه كعب ابن مالك حدَّثه — وكان كعب ممَّن شهد العقبةَ ، وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها ، قال : خرجنا في حُجَّاج قومنا ، وقد صلَّينا وفقَّهنا ، ومعنا البراءُ ابن معرُور ، سيِّدُنا وكبيرنا . فلمَّا وُجِّهنا^(٣) لسفَرنا ، وخرجنا من المدينة ، قال البراءُ لنا : والله يا هؤلاء ، إنِّي قد رأيتُ رأيًا ، والله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ! قال : فقلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيتُ ألاَّ أدعَ هذه البنيةَ منِّي بظَهْر — يعني الكعبة — وأنَّ أصْلِيَّ^(٤) إليها . قال : فقلنا : والله ما بلغنا عن نبينا أنه يصلي إلَّا إلى الشَّام ، وما نريدُ أن نخالفه . قال : فقال : إنِّي لمُصلِّ إليها ، قال : فقلنا له : لكنَّا لا نفعل ، قال : فكنتَّا إذا حضرت الصلاة صلَّينا إلى الشَّام ، وصلى إلى الكعبة ، حتى قدمنا مكةَ .

١٢١٨/١

قال : وقد عيَّنا عليه ما صنَّع ، وأبى إلَّا الإقامة على ذلك ؛ فلما قدَّمنا مكةَ قال لي : يا ابنَ أخي ، انطلقْ بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى أسأله عَمَّا صنعتُ في سفرى هذا ، فإنِّي والله لقد وقَّع في نفسى منه شيء ؛ لما رأيت من خِلافكم إيَّاي فيه .

قال : فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكنتَّا لانعرفه ،

(١) م : « وإعزازاً لأهله » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٠ - ٢٧٣

(٣) وجهنا : توجهنا .

(٤) ر : « نصلي » .

ولم نره قبل ذلك - فلقينا رجلاً من أهل مكة، فسألناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: هل تعرفانه؟ قلنا: لا، قال: فهل تعرفان العباس ابن عبد المطلب عمه؟ قلنا: نعم - قال: وقد كنا نعرف العباس، كان لا يزال يقدّم علينا تاجراً - قال: فإذا دخلنا المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس ابن عبد المطلب، قال: فدخلنا المسجد؛ فإذا العباس جالس ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع العباس؛ فسلمنا؛ ثم جلسنا إليه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل؟ قال: نعم؛ هذا البراء بن معرور سيد قومه؛ وهذا كعب بن مالك - قال: فوالله ما أنسى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشاعر؟ قال: نعم - قال: فقال له البراء بن معرور: يا نبي الله؛ إني خرجت في سفرى هذا؛ وقد هدانى الله للإسلام، فرأيت ألا أجعل هذه البنية منى بظهر، فضليت إليها؛ وقد خالفنى أصحابى في ذلك؛ حتى وقع في نفسى من ذلك شيء؛ فإذا ترى يا رسول الله؟ قال: قد كنت على قبيلة لو صبرت عليها! فرجع البراء إلى قبيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وصلى معنا إلى الشام. قال: وأهلته يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات؛ وليس ذلك كما قالوا؛ نحن أعلم به منهم. قال: ثم خرجنا إلى الحج، وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق.

قال: فلما فرغنا من الحج؛ وكانت الليلة التى واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها؛ ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو جابر، أخبرنا^(١)، وكنا نكتُم من معنا من المشركين من قومنا أمرنا؛ فكلّمناه، وقلنا له: يا أبا جابر؛ إنك سيد من سادتنا، وشريف من أشرافنا، وإننا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطّاباً للنار غداً. ثم دعوناّه إلى الإسلام؛ وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إيانا العقبة.

قال: فأسلم، وشهد معنا العقبة - وكان نقيساً - فبتنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى إذا مضى ثلث الليل، خرجنا من رحالنا لميعاد رسول

(١) ابن هشام: أخذناه معنا.

الله صلى الله عليه وسلم ، نتسلل مستخفين تسلل القَطَا ؛ حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ؛ ونحن سبعون رجلاً ، ومعهم ^(١) امرأتان من نساءهم : نُسَيِّبة بنت كعب أمّ عمارة إحدى نساء بني مازن بن النَجَّار ، وأسما بنت عمرو بن عدى ، إحدى نساء بني سلَمة ؛ وهى أمّ منيع ؛ فاجتمعنا بالشعب ١٢٢٠/١
نتنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى جاءنا معه عمّه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه ؛ إلاّ أنه أحبّ أن يحضّرَ أمرَ ابن أخيه ، ويتوثّق له ؛ فلمّا جلس كان أوّل مَنْ تكلم العباس بن عبد المطلب ، فقال : يا معشر الخزرج - وكانت العربُ إنما يسمّون هذا الحَيّ من الأنصار : الخزرج ؛ خزرجهما وأوسها - إن محمداً منّا حيث قد علمتم ؛ وقد منعناه من قومنا ممّن هو على مثل رأينا ؛ وهو فى عزّ من قومه ومنّعة فى بلده ؛ وإنه قد أبى إلاّ الانقطاع إليكم والّحقّ بكم ؛ فإن كنتم ترون أنّكم وافون له بما دعوتوه إليه ؛ ومانعوه ممّن خالفه ؛ فأنتم وما تحمّلتم ^(٢) من ذلك ؛ وإن كنتم ترون أنّكم مُسلموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم ؛ فمن الآن فدعوه ، فإنّه فى عزّ ومنّعة من قومه وبلده .

قال : فقلنا له : قد سمعنا ما قلت ؛ فتكلّم يا رسول الله ؛ وخذ لنفسك وربك ما أحببت .

قال : فتكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتلا القرآن ، ودعا إلى الله ، ورغب فى الإسلام ، ثمّ قال : أبايعكم على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم .

قال : فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثمّ قال : والذي بعثك بالحقّ ، لنمنعنك ممّا تمنع منه أزربنا ^(٣) ، فبايعنا يا رسول الله ، فنحن والله أهل الحرب وأهل الحلقة ^(٤) ؛ ورثناها كابراً عن كابر .

(١) ابن هشام : « ومعنا امرأتان من نساءنا » .

(٢) ح : « حملتم » .

(٣) أزربنا ؛ أى نساءنا ؛ والمرأة قد يكنى عنها بالإزار .

(٤) الحلقة ، أى السلاح .

قال : فاعترض القول - والبراء يكلّم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أبو الهيثم بن التّيهان ، حليف بنى عبد الأشهل ، فقال : يا رسول الله ؛ إن بيننا وبين الناس حبالاً وإنّا قاطعوها - يعنى اليهود - فهل عسيّت إن نحنُ فعلنا ذلك ، ثم أظهرَكَ الله ، أن ترجع إلى قومك ، وتدعنا ! قال : فتبسّم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بل الدّم الدّم ، الهدم الهدم^(١) ! أنتم منى وأنا منكم ؛ أحارب من حاربتم وأسلم من سالمتم .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخرجوا إلى منكم اثنتى عشر نقيباً ؛ يكونون على قومهم بما فيهم . فأخرجوا اثنى عشر نقيباً ؛ تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء : أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ، ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم ، وأنا كفيل على قومي ، قالوا : نعم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري ، ثم أخو بني سالم بن عوف : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام تباعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تباعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس ؛ فإن كنتم ترون أنكم إذا نهكت أموالكم مصيبة ؛ وأشرافكم قتلاً أسلمتموه ؛ فمن الآن فهو والله خيزي^(٣) الدنيا والآخرة إن فعلتم ، وإن كنتم

(١) قال ابن قتيبة : « كانت العرب تقول عند عقد الحلف والحوار : دى دمك ، وهدى هدمك ؛ أى ما هدمت من الدماء هدمته أنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٣ ، ٢٧٥ .

(٣) ر : « خزي في الدنيا » .

تروُن أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، على نهكة^(١) الأموال ، وقتل الأشراف
فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فإننا نأخذه على مصيبة الأموال ،
وقتل الأشراف ؛ فما لنا بذلك يا رسول الله إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة ، قالوا :

١٢٢٢/١ أبسط يديك ، فبسط يده فبايعوه .

وأما عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا
ليشدّ العَقْدَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم . وأما عبدُ الله بن أبي
بكر ، فقال : والله ما قال العباس ذلك إلا ليؤخّر القوم تلك الليلة رجاء
أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سَلُول ، فيكون أقوى لأمر القوم . والله
أعلم أيّ ذلك كان ؛ فبنو النّجار يزعمون أن أبا أمانة أسعد بن زرارة كان
أول من ضرب على يديه^(٢) ، وبنو عبد الأشهل يقولون : بل أبو الهيثم
ابن التّيهان^(٣) .

قال ابن حُميد ، قال : سلمة ، قال محمد : وأما معبد بن كعب بن
مالك فحدثني - قال أبو جعفر : وحدثني سعيد بن يحيى بن سعيد - قال :
حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن معبد بن كعب ، قال :
فحدثني في حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك ، قال : كان
أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ؛ ثم تتابع
القوم ؛ فلمّا بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشّيطان من رأس العقبة
بأنفذ صوت سمعته قطّ : يا أهل الجباب^(٤) هل لكم في مُدّمم والصّباة^(٥)
معهُ ، قد اجتمعوا على حربكم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يقول عدو
الله ؟ هذا أزيب العقبة ، هذا ابن أزيب^(٦) ؛ اسمع عدو الله ؛ أما والله لأفرغنّ

(١) نهكة الأموال : نقصها ، وفي م : « تهلكة الأموال » .

(٢) ح : « يده » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ .

(٤) قال ابن هشام : « الجبابج : المنازل » .

(٥) المذم : المذموم غاية الذم . والصّباة : جمع صابئ ، بالهمزة ؛ وكان يقال للرجل إذ

أسلم زمن النبي عليه السلام : « صابئ » .

(٦) قال ابن هشام : « ويقال : ابن أزيب » ، وأزيب العقبة : اسم الشيطان .

لك. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ارفضوا^(١) إلى رحالكم. فقال له العباس ابن عباد بن نضلة: والذي بعثك بالحق لن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيا فنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لم نُؤمر بذلك ؛ ولكن ارجعوا إلى رحالكم ، قال : فرجعنا إلى مضاجعنا ، فمئنا عليها ؛ حتى أصبحنا ؛ فلما أصبحنا غدت علينا جيلة قريش حتى جاءونا في منازلنا ، فقالوا : يا معشر الخزرج ؛ إننا قد بلغنا أنكم قد جنتم إلى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا ، وتبايعونه على حربنا ؛ وإنه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم ؛ قال : فانبعث من هناك من مشركي قومنا يحلفون لهم بالله : ما كان من هذا شيء وما علمناه .

قال : وصدقوا لم يعلموا . قال : وبعضنا ينظر إلى بعض ؛ وقام القوم وفيهم الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، وعليه نعلان جديدان^(٢) .

قال : فقلت كلمة كأنني أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا : يا أبا جابر ؛ أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من ساداتنا مثل نعلني هذا الفتي من قريش ؟ قال : فسمعها الحارث ، فخلعهما من رجليه ؛ ثم رمى بهما إلى ، وقال : والله لتنتعلنهما . قال : يقول أبو جابر : مه أحفظت^(٣) والله الفتي ! فاردد^(٤) ١٢٢٤/١ عليه نعليه ، قال : قلت : والله لا أردنهما ؛ فأل والله صالح ، والله لن صدق القول لأسلبننه .

فهذا حديث كعب بن مالك عن العقبه وما حضر منها^(٤) .

* * *

قال أبو جعفر : وقال غير ابن إسحاق : كان مقدم من قدم على النبي صلى الله عليه وسلم للبيعة من الأنصار في ذي الحجة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدهم بمكة ببيعة ذي الحجة من تلك السنة ، والمحرم

(١) ارفضوا : تفرقوا .

(٢) قال السهيلي : « النعل مؤنثة ؛ ولكن لا يقال : جديدة في الفصح من الكلام ؛ وإنما يقال : ملحفة جديد ؛ لأنها في معنى جديدة ، أي مقطوعة » .

(٣) أحفظت : أغضبت .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٧ ، ٢٧٨

وصفر ؛ وخرج مهاجراً إلى المدينة في شهر ربيع الأول ؛ وقدِمها يوم الاثنين
لاثنى عشرة ليلة خَلَّتْ منه .

وحدثني علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصّمد بن عبد الوارث —
قال علي بن نصر : حدثنا عبد الصّمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث :
حدثني أبي — قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ،
عن عروة ؛ أنّه قال : لما رجع من أرض الحبشة من رَجَعَ منها مَن كان هاجراً^(١)
إليها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، جعل أهل الإسلام
يزدادون ويكثرون ، وإنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناسٌ كثير ، وفشا بالمدينة الإسلام ؛
فطَفِقَ أهلُ المدينة يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلّم بمكّة ، فلما رأت ذلك
قريش تذامرت على أن يفتنّوهم ، ويشتدوا عليهم^(٢) ، فأخذوهم وحرصوا
على أن يفتنّوهم ، فأصابهم جهد شديد ، وكانت الفتنة الآخرة ، وكانت
فتنتين : فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة ، حين أمرهم بها ، وأذن
لهم في الخروج إليها ، وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتيهم من أهل المدينة .

ثم إنه جاء رسول الله صلى الله عليه وسلّم من المدينة سبعون نقيباً ، رءوس
الذين أسلموا ، فوافوهُ بالحجّ فبايعوه بالعقبة ، وأعطوهُ عهدهم^(٣) ؛ على
أنّا منك وأنت منا ، وعلى أنه من جاء من أصحابك أوجئنا^(٤) ، فإنّا نمنعك مما نمنع
منه أنفسنا . فاشتدّت عليهم قريش عند ذلك ، فأمر رسول الله صلى الله عليه
وسلّم أصحابه بالخروج إلى المدينة ؛ وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول
الله صلى الله عليه وسلّم أصحابه وخرج ، وهي التي أنزل الله عزّ وجلّ فيها :
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ۖ ﴾^(٥) .

١٢٢٥/١

(١) م : « مهاجراً » .

(٢) م : « عليه » .

(٣) م : « عهدهم » .

(٤) م : « وجئنا » .

(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، أنهم أتوا عبد الله بن أبي بن سلول - يعني قريشاً - فقالوا مثل ما ذكر كعب بن مالك من القول لهم ، فقال لهم : إن هذا لأمرٌ جسيم ؛ ما كان قومي ليتفوتوا ^(١) عليّ بمثل هذا وما علمته كان . فانصرفوا عنه ، وتفرق الناس من منى ، فتنطس ^(٢) القوم الخبر فوجدوه قد كان ، وخرجوا في طلب القوم ، فأدركوا سعد بن عبادَةَ بالحاجر ^(٣) ، والمنذر بن عمرو أخا بني ساعدة ابن كعب بن إلخزج ؛ وكلاهما كان نقيباً ، فأما المنذر فأعجز القوم ، وأما سعد فأخذوه ، وربطوا يديه إلى عنقه ينسَع ^(٤) رَحْلَهُ ، ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة ، يضربونه ويحذونه بِجُمُتِهِ ^(٥) - وكان ذا شَعَرٍ كثير - فقال سعد : ١٢٢٦/١ فوالله إنني لأبيدهم ؛ إذ طلع عليّ نفر من قريش ؛ فيهم رجلٌ أبيض وَضِيءٌ شَعْشَاعٌ ^(٦) حلوم الرجال . قال : قلت : إن يكن عند أحدٍ من القوم خيرٌ فعند هذا ، فلماً دنا منّي رفع يديه فلطمني ^(٧) لطمَةً شديدة . قال : قلت في نفسي : والله ما عندهم بعد هذا ^(٨) خير . قال : فوالله إنني لأبيدهم يسحبونني ؛ إذ أوى ^(٩) إلى رجلٍ منهم ممن معهم ، فقال : ويحك ! أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد ^(١٠) ! قال : قلتُ : بلى والله ، لقد كنت أجيرٌ ^(١١) لجبير بن مطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد منافِ تَجَارَهُ ،

(١) يقال : تفوت عليه بكذا ؛ أي فاتته به .

(٢) كذا في ابن هشام ، وتنطس القوم الخبر ؛ أي أكثروا البحث عنه ، وفي ط : « تبطن » .

(٣) ابن هشام : « بأذاخر » .

(٤) النسع : الشراك الذي يشد به الرجل .

(٥) في ابن هشام : « يحذويه » . والجمة : جمع الشعر .

(٦) قال ابن هشام : « الشمشاع : الطويل الحسن » .

(٧) ح ، ر ، ابن هشام : « فلكمني لكمة » .

(٨) ح : « بعدها » .

(٩) ر : « أوى إلى » .

(١٠) م : « عقد » .

(١١) م : « أجيز » .

(١٢) التجار : جمع تاجر .

وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى ؛ وللمحارث بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . قال : ويحك ! فاهتف باسم الرجلين ، واذكر ما بينك وبينهما . قال : ففعلت ، وخرج ذلك الرجل إليهما ، فوجدهما فى المسجد عند الكعبة ، فقال لهما : إن رجلاً من الخزرج الآن يضرب بالأبطح ؛ وإنه ليَهْتَفُ بكما ، ويدكر أن بينه وبينكما جواراً ، قالوا : ومن هو ؟ قال : سعد بن عبادَة ، قالوا : صدقَ - والله إن كان ليَجِيرُ تجارتنا^(١) ، ويمنعهم أن يظلموا ببلده . قال : فجاء فخلصاً سعداً امن أيديهم وانطلق . وكان الذى لكم سعداً سهيل ابن عمرو ، أخو بنى عامر بن لؤى^(٢) .

* * *

قال أبو جعفر : فلما قدِموا المدينة ، أظهروا الإسلام بها ، وفى قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من أهل الشُّرك ؛ منهم عمرو بن الجَمُوح ابن زيد بن حرام بن كعب بن غنم بن سلمة ، وكان ابنه مُعَاذ بن عمرو قد شهد العقبة ، وبايع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى فتیان منهم ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بايع من الأوس والخزرج فى العقبة الآخرة ؛ وهى بيعة الحرب حين أذن الله عز وجل فى القتال بشروط غير الشروط فى العقبة الأولى ، وأما الأولى فإنما كانت على بيعة النساء ؛ على ما ذكرت الخبر به عن عبادَة بن الصامت قبل ؛ وكانت بيعة العقبة الثانية على حرب الأحمـر والأسود على ما قد ذكرت قبل ، عن عروة بن الزبير . وقد حدثنا ابن حميد - قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبادَة بن الوليد بن عبادَة بن الصامت ، عن أبيه الوليد ، عن عبادَة بن الصامت - وكان أحد النقباء - قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة الحرب ؛ وكان عبادَة من الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة الأولى .

* * *

قال أبو جعفر : فلما أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم فى

(١) كذا فى ابن هشام وط ؛ وفى الأصول : « تجارته » .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٧٨ ، ٢٧٩

القتال ، ونزل قوله : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(١) ، وبايعه الأنصار على ما وصفت من بيعتهم ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ممن هو معه بمكة من المسلمين بالهجرة والخروج إلى المدينة ، واللتحقوا بإخوانهم من الأنصار ؛ وقال : **إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ إِخْوَانًا وَدَارًا تَأْمَنُونَ فِيهَا** فخرجوا أرسالا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه بمكة ينتظر أن يأذن له ربه بالخروج من مكة ؛ فكان أول من هاجر من المدينة والهجرة إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش ، ثم من بني مخزوم ، أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، هاجر إلى المدينة قبل بَيْعَةِ أصحاب العقبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنة ، وكان قدِمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة من أرض الحبشة ، فلما آذنته قريش ، وبلغه لإسلام مَنْ أسلم من الأنصار ، خرج إلى المدينة مهاجراً .

ثم كان أول مَنْ قدِمَ المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة ، عامر بن ربيعة ، حليف بنى عدى بن كعب ، معه امرأته ليلى بنت أبي حشمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب . ثم عبد الله ابن جَحْش بن رِثَاب ، وأبو أحمد بن جَحْش — وكان رجلاً ضريب البصر ، وكان يطوف مكة أعلاها وأسفلها بغير قائد — ثم تتابع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أرسالا .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ؛ ينتظر أن يُؤْذَنَ له في الهجرة . ولم يتخلف معه بمكة أحد المهاجرين إلا أُخِذَ فحبس أو فنن إلا علي بن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة . وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تعجل ، لعلَّ الله أن يجعل لك صاحباً** ، فطمع أبو بكر أن يكونه ^(٢) ، فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) ر : « أن يكون هو صاحبه » .

قد صارت له شعبة وأصحاب من غيرهم ، بغير^(١) بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا أنهم قد نزلوا داراً ، وأصابوا منهم منعة ، فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا أنه قد أجمع أن يلحق بهم لحربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة ؛ وهي دار قُصَيِّ بن كلاب ، التي كانت قريش لا تقضي أمراً^(٢) إلا فيها ، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه^(٣) !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد بن جبر أبي الحجاج ، عن ابن عباس ، قال : وحدثني الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس والحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس قال : لما اجتمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا دار الندوة ، ويتشاوروا فيها في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا في اليوم الذي اتعدوا له ، وكان ذلك اليوم يسمى الزحمة ؛ فاعترضهم إبليس في هيئة شيخ جليل ، عليه بت^(٤) له ، فوقف على باب الدار ، فلما رأوه واقفاً على بابها ، قالوا : من الشيخ ؟ قال : شيخ من أهل نجد ، سمع بالذي اتعدتم له ، فحضر معكم ليستمع ما تقولون ، وعسى ألا يعدمكم منه رأى ونصح ، قالوا : أجل ، فادخل ، فدخل معهم ، وقد اجتمع فيها أشرف قريش كلهم ، من كل قبيلة ؛ من بني عبد شمس شيبه وعتبة ابنا ربيعة وأبو سفيان بن حرب ، ومن بني نوفل ابن عبد مناف طعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحارث بن عامر ابن نوفل . ومن بني عبد الدار بن قُصَيِّ النَّضَر بن الحارث بن كلفة . ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البخري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب ، وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم أبو جهل بن هشام ، ومن بني سهم نبيه

(١) م : « من غير بلدهم » .

(٢) م : « الأمر » .

(٣) م : « خافوا » .

(٤) البت : الكساء الغليظ .

ومُنَّبِه ابنا الحجاج. ومن بنى جُمُح أُمَيَّة بن خَلَف؛ ومَنْ كان معهم^(١) وغيرهم ممن لا يُعَدُّ من قريش.

فقال بعضهم لبعض : إنَّ هذا الرجلَ قد كان أمره ما قد كان وما قد رأيتم ؛ وإنَّا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمَنْ قد اتَّبَعه من غيرنا ، فأجمعوا فيه رأياً ؛ قال : فتشاروا. ثم قال قائلٌ منهم : احبِسُوهُ في الحديد ، وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربَّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله : زُهَيْراً ، والنَّابِغَةَ ومَنْ مضى منهم ؛ من هذا الموت حتى يصيبه منه ما أصابهم .

قال : فقال الشيخُ النجديُّ : لا والله ، ما هذا لكم برأى ؛ والله لو حبستموه — كما تقولون — لخرج أمره من وراء الباب الذي أغلقتُموه دونَه إلى أصحابه ؛ فلاؤشكوا أن يثبوا عليكم فيترعوه من أيديكم ، ثم يكاثروكم حتى يغلبوكم على أمركم هذا ؛ ما هذا لكم برأى فانظروا في غيره .

ثم تشاوروا ، فقال قائلٌ منهم : نخرجه من بين أظهرنا فنسفيه من بلدنا ؛^{١٢٣١/١} فإذا خرج عنا فوالله ما نبالي أين ذهب ، ولا حيث وقع ، إذا^(٢) غاب عنا وفرغنا منه . فأصلحنا أمرنا ، وألفتنا كما كانت .

قال الشيخُ النجديُّ : والله ما هذا لكم برأى ؛ ألم تروا حسنَ حديثه ، وحلاوةَ منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به ! والله لو فعلتُم ذلك ما أمنتُ أن يحلَّ على حيٍّ من العرب ، فيغلب عليهم^(٣) بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ، ثم يسير بهم إليكم حتى يطأكم بهم ، فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد . أديروا فيه رأياً غير هذا !

قال : فقال أبو جهل بن هشام : والله إنَّ لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعدُ ! قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : أرى أن تأخذوا من كل قبيلة

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « منهم »

(٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « غاب عنا أذاه » .

(٣) ح : « على قلوبهم » .

فَتَّى شَابًا جَلْدًا ، نَسِيًّا وَسِيطًا فِينَا ، ثُمَّ نَعْطِي كُلَّ فِتْنَى مِنْهُمْ سِيفًا صَارِمًا
ثُمَّ يَعْمِدُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ يَضْرِبُونَهُ بِهَا ضَرْبَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ فَيَقْتُلُونَهُ فَنَسْتَرِيحُ ؛ فَلَمَّا نَهَمُوا
إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ تَفَرَّقَ دَمُهُ فِي الْقَبَائِلِ كُلِّهَا ؛ فَلَمْ يَقْدِرْ بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ عَلَى حَرْبِ
قَوْمِهِمْ جَمِيعًا ، وَرَضُوا مِنَّا بِالْعَقْلِ فَعَقَلْنَاهُمْ لَهُمْ .

قال : فقال ^(١) الشيخ النجدي : القول ما قال الرجل ، هذا الرأي لا رأي
لكم غيره .

فتفرَّق القوم على ذلك وهم مجمعون له ، فأتى جبريل رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه !

قال : فلما كان العتمة من الليل ، اجتمعوا على بابه فترصدوه متى
ينام ، فيشبهون عليه . فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم ، قال لعلي بن
أبي طالب : نم على فراشي ، واتشح ^(٢) ببرد الحضرى الأخضر ؛ ففم فإنه
لا يخلص إليك شيء تكرهه منهم . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام
في برده ذلك إذا نام ^(٣) .

قال أبو جعفر : زاد بعضهم في هذه القصة في هذا الموضع : وقال له :
إن أذاك ابن أبي قحافة ، فأخبره أنتى توجهت إلى ثور ، فمَرَهُ فليلحق
بى ، وأرسل إلى بطعام ، واستأجر لى دليلاً يدلتنى على طريق المدينة ؛ واشتر
لى راحلة . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعمى الله أبصار الذين
كانوا يرصدونه ^(٤) عنه ، وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال :
اجتمعوا له ، وفيهم أبو جهل بن هشام ، فقال وهم على بابه : إن محمدًا

(١) ط : « يقول » ، وما أثبتته من ابن هشام .

(٢) ابن هشام « وتشح » .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٤) ح : « يرصدونه » .

يَزْعُمُ أَنْكُمْ إِنْ تَابَعْتُمُوهُ عَلَى أَمْرِهِ كُنْتُمْ مَلُوكَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ فَجَعَلْتُ لَكُمْ جَنَّاتٍ كَجَنَّاتِ الْأُرْدَنِ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ لَكُمْ مِنْهُ ذَبْحٌ ، ثُمَّ بُعِثْتُمْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ ؛ فَجَعَلْتُ لَكُمْ نَارَ تَحْرَقُونَ فِيهَا .

قال : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذ حَفْنَةً مِنْ تَرَابٍ ، ثُمَّ قَالَ : نَعَمْ ، أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ ، أَنْتَ أَحَدُهُمْ . وَأَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ عَنْهُ فَلَا يَرُونَهُ ^(١) ، فَجَعَلَ يَنْثُرُ ذَلِكَ التَّرَابَ عَلَى رِءُوسِهِمْ ؛ وَهُوَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَاتِ مِنْ يَس : ﴿ يَسْ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ ، حَتَّى فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ؛ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَيْثُ أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ .

فَأَتَاهُمْ آتٌ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : مَا تَنْتَظِرُونَ هَاهُنَا ؟ قَالُوا : مُحَمَّدًا ، قَالَ : خَيْبَكُمْ اللَّهُ ! قَدْ وَاللَّهِ خَرَجَ عَلَيْكُمْ مُحَمَّدٌ ، ثُمَّ مَا تَرَكُ ^(٢) مِنْكُمْ رَجُلًا إِلَّا وَقَدْ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تَرَابًا ، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ ؛ أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ ؟ قَالَ : فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، فَإِذَا عَلَيْهِ تَرَابٌ ، ثُمَّ جَعَلُوا يَطْلَعُونَ ^(٣) ، فَيَرَوْنَ عَلِيًّا عَلَى الْفَرَّاشِ ^(٤) مُتَسَجِّيًا ^(٥) ، يَبْرُدُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لِحَمْدِ نَائِمٍ ، عَلَيْهِ بُرْدُهُ ؛ فَلَمْ يَبْرَحُوا كَذَلِكَ حَتَّى أَصْبَحُوا ، فَقَامَ عَلَى ^(٦) عَنِ الْفَرَّاشِ ، فَقَالُوا : وَاللَّهِ لَقَدْ صَدَقْنَا الَّذِي كَانَ حَدَّثَنَا ، فَكَانَ مِمَّا نَزَلَ ^(٧) مِنَ الْقُرْآنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، وَمَا كَانُوا أَجْمَعُوا ^(٨) لَهُ :

(١) ح : « يرون له أثراً » .

(٢) ح : « لم يترك » .

(٣) ر : « يطلعون » .

(٤) ح : « في الفراش » .

(٥) ر : « متشحاً » .

(٦) ر : « من الفراش » .

(٧) ح : « أنزل الله » .

(٨) ح : « اجتمعوا » .

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(١) وقول الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمْتَرَبِّصِينَ﴾^(٢)

وقد زعم بعضهم أن أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبي الله صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه لحق بالغار من ثور، وقال: إن كان لك فيه حاجة فالحقه، فخرج أبو بكر مسرعاً^(٣)، فلحق نبي الله صلى الله عليه وسلم في الطريق، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم جرس أبي بكر في ظلمة الليل، فحسبه من المشركين، فأسرع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشى، فانقطع قبالة نعله ففلق إبهامه حَجَرًا فكثر دمها، وأسرع السعي، فخاف أبو بكر أن يشق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرفع صوته، وتكلم، فعرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حتى أتاه، فانطلقا ورجل رسول الله صلى الله عليه وسلم تستن دماً؛ حتى انتهى إلى الغار مع الصبح، فدخلوا. وأصبح الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلوا الدار، وقام على عليه السلام عن فراشه، فلما دنوا منه عرفوه، فقالوا له: أين صاحبك؟ قال: لا أدري، أو رقيباً كنت عليه! أمرتموه بالخروج فخرج، فانتهره وضربه وأخرجوه إلى المسجد، فحبسوه ساعة ثم تركوه، ونجى الله رسوله من مكرم وأنزل عليه في ذلك: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

(١) سورة الأنفال ٣٠.

(٢) سورة الطور ٣٠، ٣١. قال ابن هشام المنون: الموت. وريب المنون: ما يريب ويعرض منها؛ قال أبو ذؤيب الهذلي:

أَمِنَ الْمُنُونِ وَرَيْبَهَا تَتَوَجَّعُ وَالْدَّهْرُ لَيْسَ بِمَعْتَبٍ مِنْ يَخْزَعُ

والخبر: في ابن هشام ١: ٢٩٢.

(٣) ح: «يمشى مسرعاً».

قال أبو جعفر : وأذنَ الله عزَّ وجلَّ لرسوله صلى الله عليه وسلم عندَ ذلك بالهجرة ، فحدثنا عليُّ بن نصر الجهميُّ ، قال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وحدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، قال : لَمَّا خرج أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وقبِلَ (١) ١٢٣٥ / ١ أن يخرج - يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وقبل أن تنزل هذه الآية التي أُمِرُوا فيها بالقتال ، استأذنه أبو بكر ؛ ولم يكن أمره بالخروج مع مَنْ خرج من أصحابه ، حبسه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : أنظِرْنِي ، فإنِّي لا أدري ؛ لعلِّي يؤذن لي بالخروج . وكان أبو بكر قد اشترى راحلتين بعدَهما للخروج مع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ؛ فلَمَّا استنظره رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره بالذي يرجو من ربه أن يأذن له بالخروج ، حبَسَهُمَا وَعَلَقَهُمَا ، انتظارَ صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أَسْمَنَهُمَا ، فلما حبس عليه خروج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال أبو بكر : أطمع أن يؤذن لك ؟ قال : نعم ؛ فانتظره فكث بذلك (٢) .

فأخبرتني عائشة ، أنهم بينا هم ظُهْرًا في بيتهم ، وليس عند أبي بكر إلا ابتاه : عائشة وأسماء ؛ إذا هم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين قام قائم الظهيرة - وكان لا يخطئه يومًا أن يأتي بيتَ أبي بكر أوَّلَ النهار وآخره - فلما رأى أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم جاء ظُهْرًا ، قال له : ما جاء بك يا نبيَّ الله إلا أمرٌ حدث ؟ فلَمَّا دخلَ عليهم النبي صلى الله عليه وسلم البيت ، قال لأبي بكر : أخرج مَنْ عندك ، قال : ليس علينا عَيْنٌ ، إِنَّمَا هما ابتائى ، قال : إنَّ الله قد أذن لي بالخروج إلى المدينة ، فقال أبو بكر : يا رسولَ الله ، الصَّحَابَةُ ، الصَّحَابَةُ ! قال : الصَّحَابَةُ . قال أبو بكر : خذ إحدى الرَّاحِلَتَيْنِ - وهما الرَّاحِلَتَانِ اللَّتَانِ كان يُعَلِّفُهُمَا أبو بكر ، يُعَدُّهُمَا للخروج ، إذا ١٢٣٦ / ١

(١) م : « قبل » .

(٢) ح : « فمكثنا كذلك » .

أَذِنَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ — فَأَعْطَاهُ إِحْدَى الرَّاحِلَتَيْنِ ، فَقَالَ :
 خُذْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ^(١) فَارْتَحِلْهَا ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَدْ أَخَذْتُهَا
 بِالْثَمَنِ ، وَكَانَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مُوَلَّدًا ^(٢) مِنْ مُوَلَّدِي الْأَزْدِ ، كَانَ لِلطُّفَيْلِ ،
 ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَخْبَرَةَ ^(٣) ، وَهُوَ أَبُو الْحَارِثِ بْنِ الطُّفَيْلِ ، وَكَانَ أَخَا
 عَائِشَةَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَأُمْتَهُمَا ، فَأَسْلَمَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،
 وَهُوَ مَمْلُوكٌ لَهُمْ ، فَاشْتَرَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَعْتَقَهُ ، وَكَانَ حَسَنَ الْإِسْلَامِ ، فَلَمَّا خَرَجَ
 النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ ، كَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسِيحَةٌ ^(٤) مِنْ غَنَمِهِ
 تَرُوحُ عَلَى أَهْلِهِ ، فَأَرْسَلَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرًا فِي الْغَنَمِ إِلَى ثَوْرٍ ، فَكَانَ عَامِرُ بْنُ
 فُهَيْرَةَ يَرُوحُ بِتِلْكَ الْغَنَمِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْغَارِ فِي ثَوْرٍ ،
 وَهُوَ الْغَارُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ ، فَأَرْسَلَ بَظَهْرَهُمَا رَجُلًا مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ
 عَدَى ، حَلِيفًا لِقُرَيْشٍ مِنْ بَنِي سَهْمٍ ، ثُمَّ آَلَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ ؛ وَذَلِكَ
 الْعَدَوِيُّ يَوْمُئِذٍ مُشْرِكٌ ، وَلَكِنَّهُمَا اسْتَأْجَرَاهُ ، وَهُوَ هَادٍ بِالطَّرِيقِ . وَفِي اللَّيَالِي ^(٥)
 الَّتِي مَكَّنَا ^(٦) بِالْغَارِ كَانَ ^(٧) يَأْتِيهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ حِينَ يُمَسِّي بِكُلِّ
 خَبَرٍ ^(٨) بِمَكَّةَ ، ثُمَّ يَصْبِحُ بِمَكَّةَ وَيُرِيحُ عَامِرَ الْغَنَمِ كُلَّ لَيْلَةٍ ، فَيَحْلُبَانِ ،
 ثُمَّ يَسْرَحُ بُكْرَةً فَيَصْبِحُ ^(٩) فِي رُعْيَانِ النَّاسِ ، وَلَا يُفْطِنُ لَهُ ؛ حَتَّى إِذَا
 هَدَّاتُ عَنْهُمَا الْأَصْوَاتُ ، وَأَتَاهُمَا أَنْ قَدْ سَكَبَتْ عَنْهُمَا ، جَاءَهُمَا صَاحِبُهُمَا
 يَبْعِرُهُمَا ^(١٠) ، فَاَنْطَلَقَا وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا بِعَامِرِ بْنِ فُهَيْرَةَ يَخْدُمُهُمَا وَيَعِينُهُمَا ،
 يُرْدِفُهُ أَبُو بَكْرٍ وَيُعَقِبُهُ عَلَى رَحْلِهِ ، لَيْسَ مَعَهُمَا أَحَدٌ إِلَّا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ،

(١) ح : يَا رَسُولَ اللَّهِ .

(٢) ح : « مَوْلُودًا » .

(٣) ضبطه صاحب التقریب بفتح فسكون .

(٤) المنيحة : ذات اللبن . وفي الفائق : « منحة » .

(٥) ح : « فِي اللَّيَالِي » .

(٦) ح : « مَكَّنَهَا » .

(٧) م : « وَكَانَ » .

(٨) ح ، ر : « خَيْرٍ » .

(٩) ح : « فَأَصْبَحَ » .

(١٠) ح ، هـ : « يَبْعِرُهُمَا » .

وأخو بني عدى يهديهما الطريق ، فأجاز بهما في أسفل مكة^(١) ، ثم مضى ١٢٣٧/١
 بهما حتى حاذى بهما الساحل ، أسفل من عُسْفان ، ثم استجاز بهما حتى
 عارض الطريق بعد ما جاوز قُدَيْدًا ، ثم سلك الحرَّار^(٢) ، ثم أجاز على
 ثنية المرأة^(٣) ، ثم أخذ على طريق يقال لها^(٤) المدبلة بين طريق عمق
 وطريق الروحاء ، حتى توافوا^(٥) طريق العرج ، وسلك ماء يقال له الغابر عن
 يمين ركوبة ؛ حتى يطلع على بطن ريم ، ثم جاء حتى قدم المدينة على بني
 عمرو بن عوف قبل القائلة . فحدث أنه لم يبقَ فيهم إلا يومين - وتزعم
 بنو عمرو بن عوف أن قد أقام فيهم أفضل من ذلك - فافتاد راحلته
 فاتبعته حتى دخل في دور بني النجار ، فأراه رسول الله صلى الله عليه وسلم
 مريدًا كان بين ظهري دورهم .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
 إسحاق ، قال : حدثني محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الحصين التميمي ،
 قال : حدثني عروة بن الزبير ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ،
 قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخطئه أحد طرفي النهار
 أن يأتي بيت أبي بكر إما بكرة ، وإما عشيّة ، حتى إذا كان اليوم
 الذي أذن الله فيه لرسوله بالهجرة ، وبالحروج من مكة من بين ظهرائي
 قومه ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة ، في ساعة كان لا يأتي فيها .
 قالت : فلما رآه أبو بكر قال : ما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ١٢٣٨/١
 هذه الساعة إلا لأمرٍ حدث . قالت : فلما دخل تأخر أبو بكر عن سريره
 فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس عند أبي بكر إلا أنا وأختي

(١) م : « إلى أسفل مكة » .

(٢) م : « الحرار » .

(٣) ثنية المرأة ، موضع ذكره ياقوت . وفي ح : « المرأة » .

(٤) ر : « له » ؛ والطريق تذكر وتؤنث .

(٥) ط : « ثم يوافق » ، وما أثبتته من ح .

أسماء بنت أبي بكر ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : أَخْرِجْ عَنِّي مَنْ عِنْدَكَ^(١) ، قال : يا نبيَّ الله ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ ، وما ذاك فذاك أبي وأُمِّي ! قال : إِنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قد أذن لي بالخروج والهجرة ، فقال أبو بكر : الصُّحْبَةُ يا رسولَ الله ، قال : الصُّحْبَةُ .

قالت : فوالله ما شعرتُ قَطَّ قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبيكي من الفرح ؛ حتى رأيت أبا بكر يومئذٍ يبيكي من الفرح . ثم قال : يا نبيَّ الله ، إِنَّ هَاتَيْنِ راحلتائِ^(٢) ، كنت أعددتُهُما لهذا . فاستأجرا عبد الله بن أرقم — رجلًا من بني الدَّيْل بن بكر ، وكانت أُمُّهُ امرأةٌ من بني سَهْم بن عمرو ، وكان مشركًا — يدلُّهُما على الطريق ، ودفعًا إليه راحلتيهما ، فكانتا^(٣) عنده يرعاها^(٤) لميعادهما ، ولم يعلم — فيما بلغني — بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدٌ حين خرج إلاَّ عليُّ بن أبي طالب وأبو بكر الصديق ، وآل أبي بكر ؛ فأما عليُّ بن أبي طالب فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — أخبره بخروجه ، وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للنَّاس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بمكة أحدٌ عنده شيء يخشى عليه إلاَّ وضعه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لِمَا يُعرف من صدقه وأمانته . فلمَّا أجمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للخروج أتى أبا بكر بن أبي قُحافة ، فخرجوا من خَوْخَة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمَّدا إلى غار بشور جبل بأسفل مكة ، فدخلاه ، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله بن أبي بكر أن يسمع لهما ما يقول النَّاس فيهما نهاره ، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون في ذلك اليوم من الخبر ، وأمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ، ثم يُريحها عليهما إذا أمسى بالغار . وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام^(٥) إذا أمسَتْ بما يصلحهما ، فأقام رسولُ الله

١٢٣٩/١

(١) ح : « عندي » .

(٢) ح : « راحلتان » .

(٣) ح ، م : « فكانت » .

(٤) م : « يرعاهما » .

(٥) ر : « بالطعام » .

صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثاً ، ومعه أبو بكر ، وجعلت قريش حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم ، فكان عبد الله بن أبي بكر يكون في قريش ومعهم ، ويستمع ما يأترون به ، وما يقولون في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر ، ثم يأتيهما إذا أمسى فيخبرهما الخبر ، وكان عامر بن فهيرة مولى أبي بكر يرعى في رعيان أهل مكة ، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر ، فاحتلبا وذبحا ، فإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما إلى مكة اتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم ، حتى يُعفى عليه ؛ حتى إذا مضت الثلاث ، وسكن عنهما الناس ، أتاهما صاحبهما الذي استأجرا ببيعيريهما ، وأتتهما ١٢٤٠/١ أسماء بنت أبي بكر بسفرتهما ، ونسيت أن تجعل لها عصاما^(١) . فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة^(٢) ، فإذا ليس فيها عصام فحلت نطاقتها^(٣) ، فجعلته لها عصاماً ، ثم عكفتها به - فكان يقال لأسماء بنت أبي بكر : ذات النطاقين ؛ لذلك - فلما قَرَّبَ أبو بكر الراحلتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قَرَّبَ له أفضلهما ، ثم قال له : اركب فذاك أبي وأمتي ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني لا أركب بغيراً ليس لي ، قال : فهو لك يا رسول الله بأبي أنت وأمتي ! قال : لاولكن ما الثمن الذي ابتعتها به ؟ قال : كذا وكذا ، قال : قد أخذتها بذلك ، قال : هي لك يا رسول الله ، فركبا فانطلقا ، وأردف أبو بكر عامر بن فهيرة مولاهُ خلفه يخدمهما بالطريق^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر أنا نافر من قريش ، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على باب أبي بكر ، فخرجت إليهم ، فقالوا : أين أبوك يا ابنة أبي بكر ؟ قلت : لا أدري والله أين أبي ! قالت : فرفع أبو جهل يده -

(١) العصام : ما تعلق به السفرة وغيرها . (٢) السفرة : طعام المسافرين .

(٣) قال ابن هشام : «وسمعت غير واحد من أهل العلم يقول : ذات النطاقين ؛ وتفسيره أنها لما أرادت أن تعلق السفرة شقت نطاقتها اثنتين ، فعلقت السفرة بواحد ، وانطلقت بالآخر» .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٢ - ٤

وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خدّي لكمة طرح منها قرطبي . قالت : ثم انصرفوا
ومكثنا ثلاث ليال ، لاندري أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى
أقبل رجل من الجحينة ، من أسفل مكة يغني بأبيات من الشعر غناء العرب
والناس يتبعونه ؛ يسمعون صوته وما يرونه ، حتى خرج من أعلى مكة ، وهو
يقول :

جَزَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ خَيْرَ جَزَائِهِ رَفِيقَيْنِ حَلَا خَيْتَيَّ أُمِّ مَعْبِدٍ (١)
هُمَا نَزَلَاهَا بِالْهُدَى وَأَعْتَدُوا بِهِ فَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدٍ ١٢٤١/١
لِيَهْنُ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَعْدُهُا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدٍ

قالت : فلما سمعنا قوله عرفنا حيث وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأن وجهه إلى المدينة ، وكانوا أربعة : رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
وأبو بكر ، وعامر بن فهيرة ، وعبد الله بن أرقد دليلهما (٢) .

قال أبو جعفر : حدثني أحمد بن المقدم العجلي ، قال : حدثنا هشام
ابن محمد بن السائب الكلبي ، قال : حدثنا عبد الحميد بن أبي عبس بن
محمد بن أبي عبس بن جبر ، عن أبيه ، قال : سمعت قريش قائلاً يقول في
الليل على أبي قُبَيْس :

فَإِنْ يُسَلِّمِ السَّعْدَانِ يُصْبِحُ مُحَمَّدٌ بِمَكَّةَ لَا يَخْشَى خِلَافَ الْمُخَالِفِ
فَلَمَّا أَصْبَحُوا قَالَ أَبُو سَفْيَانَ : مَنْ السَّعْدَانِ ؟ سَعْدُ بَكْر ، سَعْدُ ١٢٤٢/١

تميم ، سعد هذيم ! فلما كان في الليلة الثانية ، سمعوه يقول :

أَيَا سَعْدُ سَعْدُ الْأَوْسِ كُنْ أَنْتَ نَاصِرًا وَيَا سَعْدُ سَعْدُ الْخَزَرَجِيِّنِ الْغَطَارِفِ
أُجِيبَا إِلَى دَاعِي الْهُدَى وَتَمَنِّيَا عَلَى اللَّهِ فِي الْفِرْدَوْسِ مُنِيَّةَ عَارِفِ
فَإِنَّ ثَوَابَ اللَّهِ لِلطَّالِبِ الْهُدَى جَنَّاتٍ مِنَ الْفِرْدَوْسِ ذَاتِ رَفَارِفِ

(١) قال ابن هشام : أم معبد بنت كعب ، من خزاعة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٤ ، ٥

فلما أصبحوا ، قال أبو سفيان : هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد .

* * *

قال أبو جعفر : وقدِم دليلهُما بهما قُبَاءَ ، على بنى عمرو بن عوف ، لثنتي عشرة ليلة خَلَّتْ من شهر ربيع الأول ، يوم الاثنين حين اشتد الضُّحى ، وكادت الشمس أن تعتدل .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة ، قال : حدثني رجال قومي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلّم ، قالوا : لما سمعنا بمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلّم من مكة ، وتوكفنا قدومه ^(١) ، كنّا نخرج إذا صلّينا الصبح إلى ظاهرِ حَرَّتِنَا ، ننتظر ^(٢) رسولَ الله صلى الله عليه وسلّم ؛ فوالله ما نَبْرَحُ حتى تَغْلِبَنَا الشمس على الظلال ^(٣) ؛ فإذا لم نجد ظلًّا دخلنا بيوتنا ، وذلك ١٢٤٣/١ في أيام حارّة ؛ حتى إذا كان في اليوم الذي قدِم فيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم جلسنا كما كنّا نجلس ؛ حتى إذا لم يبق ظِلٌّ دخلنا بيوتنا . وقدِم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين دخلنا البيوت ، فكان أوّل مَنْ رآه رجلٌ من اليهود ، وقد رأى ما كنّا نصنع ، وإنّا ^(٤) كنّا ننتظر قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فصرخ بأعلى صوته : يا بنى قَيْلَةَ ^(٥) هذا جدُّكم قد جاء . قال : فخرجنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو في ظلِّ نخلة ، ومعه أبو بكر في مثل سنِّه وأكثَرْنَا مَنْ لم يكن رأى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، قال : وركبه الناس ^(٦) ، وما نعرفه من أبي بكر ؛ حتى زال

(١) توكفنا قدومه : انتظرناه .

(٢) ر : « فننظر » .

(٣) ح : « القلال » .

(٤) ح : « وما » ، ر : « وإنما » .

(٥) بنو قيلة ؛ هم الأنصار ؛ وقيلة : اسم جدة كانت لهم .

(٦) ركبه الناس ، أى ازدحموا عليه .

الظلّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقام أبو بكر ، فأظلمه بردائه ، فعرفناه عند ذلك ، فنزل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما يذكرون - على كُلثوم بن هِدم ، أخى بنى عمرو بن عَوْف ، ثم أحد بنى عُبيد ، ويقال : بل نزل على سعد بن خَيْشَمَة .

ويقول مَنْ يذكُر أنه نزل على كُلثوم بن هِدم : إنَّما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خرج من مثل كُلثوم بن هِدم ، جلس للناس في بيت سعد بن خَيْشَمَة ؛ وذلك أنه كان عَزَبًا لا أهلَ له ، وكان منازلُ العزَّاب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين عنده ؛ فمن هنالك يقال : نزل على سعد بن خَيْشَمَة ، وكان يقال لبنت سعد بن خَيْشَمَة : بنت العزَّاب ، فالله أعلم أى ذلك كان ، كلاً قد سمعنا .

١٢٤٤/١ ونزل أبو بكر بن أبي قُحافة على خُبَيْب بن أَسَاف ، أخى بنى الحارث ابن الخزرج بالسُّنَح ، ويقول قائل : كان منزله على خارِجة بن زيد بن أبي زُهَيْر ، أخى بنى الحارث بن الخزرج .

وأقام على بن أبي طالب رضى الله عنه بمكة ثلاث ليال وأيامها ؛ حتى أدّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده إلى الناس ؛ حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل معه على كُلثوم ابن هِدم ، فكان على يقول : وإنَّما كانت إقامته بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، ليلة أوليتين ، وكان يقول : كنتُ نزلت بقباء على امرأة لا زوج لها مسلمة ، فرأيتُ إنساناً يأتيها في جَوْف الليل ، فيضرب عليها بابها ، فتخرج إليه فيعطيه شيئاً معه ، قال : فاستربتُ لشأنه ، فقلت لها : يا أمة الله ، مَنْ هذا الرجل الذى يضرب عليك بابك كل ليلة فتخرجين إليه ، فيعطيك شيئاً ، ما أدري ما هو ؟ وأنت امرأة مسلمة لا زوج لك ! قالت : هذا سهيل بن حُسَيْف بن واهب ، قد عرف أنتى امرأة لا أحد لي ؛ فإذا أمسى عدا على أوثان قومه فكسرها ، ثم ^(١) جاءنى بها ، وقال : احتطبي بهذا . فكان على بن

أبي طالب يَأْثُرُ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ حِينَ هَلَكَ عَنْدهُ بِالْعِرَاقِ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي هَذَا الْحَدِيثَ عَلِيُّ بْنُ هَنْدٍ بْنُ سَعْدِ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

فَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ ، وَيَوْمَ الْثَلَاثَاءِ ، وَيَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ ، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُمْ ؛ ثُمَّ أَخْرَجَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْنِ أَظْهَرِهِمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ؛ وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَكَثَ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .
وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : إِنَّ مَقَامَهُ بِقُبَاءَ كَانَ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَاخْتَلَفَ السَّلَفُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي مَدَّةِ مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ بَعْدَ^(٢) مَا اسْتَنْبَى ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَتْ مَدَّةُ مَقَامِهِ بِهَا إِلَى أَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَشَرَ سِنِينَ .

• ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ :

حَدَّثَنَا ابْنُ الْمُثَنَّى ، قَالَ : حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ قَيْسٍ الْمَدَنِيُّ — يَقَالُ لَهُ أَبُو زُكَيْرٍ — قَالَ : سَمِعْتُ رِبِيعَةَ بْنَ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَذْكُرُ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرًا .

حَدَّثَنِي الْحُسَيْنُ بْنُ نَصْرِ الْأَمْلِيِّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُبَيْدُ^(٣) اللَّهُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ شَيْبَانَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ؛ قَالَ : أَخْبَرْتَنِي عَائِشَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٠ ، ١١

(٢) ح : « يوم » .

(٣) ر : « عد » .

لبث بمكة عشر سنين ، ينزل^(١) عليه القرآن .

حدثنا ابنُ المثنى ، قال : حدثنا عبد الوهاب ، قال : حدثنا يحيى ابن سعيد ، قال : سمعتُ سعيد بن المسيّب ، يقول : أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وهو ابن ثلاث وأربعين ، فأقام بمكة عشرًا .

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، عن هشام ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين سنة ، فمكث بمكة عشرًا .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا عمرو بن عثمان الحمصي ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو بن دينار ، قال : هاجر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على رأس عشرين من مُخْرَجِهِ .

* * *

قال أبو جعفر : وقال آخرون : بل أقام بعد ما استنبي بمكة ثلاث عشرة سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا حماد - يعني ابن سلمة - ، عن أبي جَمْرَةَ ، عن ابن عباس ، قال : أقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم ، قال : حدثنا حماد ابن سلمة ، قال : حدثنا أبو جَمْرَةَ الضُّبَيْعِي ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأربعين سنة^(٢) ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة .

(١) ر : « ونزل » .

(٢) م : « لأربعين سنة بمكة » .

حدثني محمد بن معمر ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا زكرياء
ابن إسحاق ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ، قال : مكث
رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاث عشرة سنة .

حدثني عبيد^(١) بن محمد الوراق ، قال : حدثنا رَوْح ، قال : حدثنا
هشام ، قال : حدثنا عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : بُعِثَ النبي صلى الله
عليه وسلم لأربعين سنة ، فكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه ، ثم أمر^(٢)
بالمهجرة .

* * *

قال أبو جعفر : وقد وافق قولُ مَنْ قال : بُعِثَ رسول الله صلى الله عليه
وسلم لأربعين سنة ، وأقام بمكة ثلاث عشرة سنة قول أبي قيس صرمة بن
أبي أنس ، أخى بني عدى بن النجار ، فى قصيدته التى يقول فيها ، وهو يصف
كرامة الله إيتاهم بما أكرمهم به من الإسلام ، ونزول نبي الله صلى الله عليه
وسلم ، عليهم :

ثَوَى فى قُرَيْشٍ بَضْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً	يَذْكُرُ لو يَلْقَى صَدِيقًا مَوَاتِيًا ^(٣) !
وَيَعْرِضُ فى أَهْلِ المَوَاسِمِ نَفْسَهُ	فَلَمْ يَرَ مَنْ يُؤْوَى ، وَلَمْ يَرَ دَاعِيَا
فَلَمَّا أَنَا أَنظَرَ اللَّهُ دِينَهُ	فَأَصْبَحَ مَسْرُورًا بِطُيْبَةِ رَاضِيَا
وَأَلْقَى صَدِيقًا وَأَطْمَأْنَنَتْ بِهِ النَّوَى	وَكَانَ لَهُ عَوْنًا مِنَ اللَّهِ بَادِيَا
يَقْصُ لَنَا مَا قَالَ نُوحٌ لِقَوْمِهِ	وَمَا قَالَ مُوسَى إِذْ أَجَابَ الْمُنَادِيَا
وَأَصْبَحَ لَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَا	قَرِيبًا ، وَلَا يَخْشَى مِنَ النَّاسِ نَائِيَا
بَدَلْنَا لَهُ الْأَمْوَالَ مِنْ جُلٍّ مَالَنَا	وَأَنْفُسَنَا عِنْدَ الْوَعَى وَالنَّاسِيَا ^(٤)

(١) ر : « عبيد الله » .

(٢) ح ، م : « أمره » .

(٣) الأبيات فى الاستيعاب ٣٢٣ .

(٤) بعده فى الاستيعاب :

مُعَادِي الَّذِي عَادَى مِنَ النَّاسِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمَوَاتِيَا
(٢٥)

وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ لَا شَيْءَ غَيْرَهُ وَنَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ أَفْضَلُ هَادِيَا
فَأَخْبَرَ أَبُو الْقَيْسِ فِي قَصِيدَتِهِ هَذِهِ أَنَّ مَقَامَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فِي قَوْمِهِ قَرِيشٍ كَانَ بَعْدَ مَا اسْتَنْبَى وَصَدَّعَ بِالْوَحْيِ مِنَ اللَّهِ بَضْعَ عَشْرَةِ
حِجَّةٍ .

* * *

وقال بعضهم كان مقامه مكة خمس عشرة سنة :

* ذكر من قال ذلك :

حدثني بذلك الحارث ، عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن إبراهيم بن
إسماعيل ، عن داود بن الحصين ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ؛ واستشهد
بهذا البيت من قول أبي قيس صرمة بن أبي أنس ، غير أنه أنشد ذلك :
نَوَى فِي قُرَيْشٍ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقًا مُوَاتِيًا^(١) !

* * *

قال أبو جعفر : وقد روى عن الشعبي أن إسماعيل قرن برسول الله صلى
الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه ثلاث سنين . ١٢٤٩/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر
الواقدي ، قال : حدثنا الثوري ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي -
قال : وحدثنا إمامنا من لفظه منصور عن الأشعث ، عن الشعبي - قال :
قرن إسماعيل بنوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، يسمع حسّه ،
ولا يرى شخصه . ثم كان بعد ذلك جبريل عليه السلام . قال الواقدي :
فذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار ، فقال : والله يا بن أخي لقد سمعت
عبد الله بن أبي بكر بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة يتحدثان^(٢) في

(١) م : « مواليا » .

(٢) ح : « يتحدثان » .

المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا ، فأنكراه جميعاً وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبريل هو الذي قُرِنَ به ، وكان يأتيه بالوحي من يوم نُبِئْتُ إلى أن توفى صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابنُ أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة ، فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين ، فكان يعلمه الكلمة والشئ ، ولم ينزل القرآن على لسانه ، فلمّا مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام ، فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة وعشر سنين بالمدينة .

قال أبو جعفر : فعلل الذين قالوا : كان مقامه بمكة بعد الوحي عشرًا عدواً ومقامه بها من حين أتاه جبريل بالوحي من الله عز وجل ، وأظهر الدعاء إلى توحيد الله . وعدّ الذين قالوا : كان مقامه ثلاث عشرة سنة من أول الوقت الذي استنبى فيه ؛ وكان إسماعيل المقرون به وهى السنون الثلاث ١٢٥٠/١ التى لم يكن أمراً فيها بإظهار الدعوة .

وقد روى عن قتادة غير القولين اللذين ذكرت ؛ وذلك ما حدثت عن روح بن عبادة ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : نزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى سنين بمكة وعشرًا بعد ما هاجر ، وكان الحسن يقول : عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة .

ذكر الوقت الذي عمل فيه التأريخ

قال أبو جعفر : ولما قدم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، أمر بالتأريخ فيما قيل . حدثني زكرياء بن يحيى بن أبي زائدة ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن ابن جريج ، عن أبي سلمة ، عن ابن شهاب ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة — وقد مها في شهر ربيع الأول — أمر بالتأريخ .

* * *

قال أبو جعفر : فذكر أنهم كانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه إلى أن تمت السنة ، وقد قيل إن أول من أمر بالتأريخ في الإسلام عمر بن الخطاب ، رحمه الله .

* ذكر الأخبار الواردة بذلك :

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا حبان ابن علي العنبري ، عن مجالد ، عن الشعبي ، قال : كتب أبو موسى الأشعري إلى عمر : إنه تأتينا منك كتب ليس لها تأريخ . قال : فجمع عمر الناس للمشورة ، فقال بعضهم : أرخ لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال بعضهم : لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : لا بل نؤرخ لمهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن مهاجرة فرق بين الحق والباطل .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا خالد بن حبان أبو يزيد الخزاز ، عن فرات بن سلمان ، عن ميمون بن مهران ، قال : رفع إلى عمر صك محله في شعبان ، فقال عمر : أي شعبان؟ الذي هو آت ، أو الذي نحن فيه ؟ قال : ثم قال لأصحاب رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ضعوا للناس شيئاً يعرفونه ، فقال : بعضهم : اكتبوا على تأريخ الروم ، فقيل : إنهم يكتبون من عهد ذى القرنين ؛ فهذا يطول . وقال بعضهم : اكتبوا على تأريخ الفرس ؛ فقيل : إن الفرس كلما قام ملك طرح مَنْ كان قبله ؛ فاجتمع^(١) رأيتهم على أن ينظروا : كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ؟ فوجدوه عشر سنين ؛ فكتب التأريخ من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثت عن أمية بن خالد وأبي داود الطيالسي ، عن قرّة بن خالد السدوسي ، عن محمد بن سيرين ، قال : قام رجل إلى عمر بن الخطاب فقال : أرخوا ، فقال عمر : ما «أرخوا» ؟ قال : شيء تفعله الأعاجم ، يكتبون في شهر كذا من سنة كذا ، فقال عمر بن الخطاب : حسن ، فأرخوا . فقالوا : من أي السنين نبدأ ؟ قالوا : من مبعثه ، وقالوا : من وفاته ؛ ثم أجمعوا^(٢) على الهجرة . ثم قالوا : فأى الشهور نبدأ ؟ فقالوا : رمضان ، ثم قالوا : المحرم ، ١٣٥٢/١ فهو منصرف الناس من حجّتهم ؛ وهو شهر حرام ، فأجمعوا^(٣) على المحرم .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثني سعيد بن أبي مریم . وحدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعاً : حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل ابن سعد ، قال : ما أصاب الناس العدد ؛ ما عدوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من وفاته ، ولا عدوا إلا من مقدمه المدينة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا سعيد بن أبي مریم ، قال : حدثنا يعقوب بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن مسلم ، عن عمرو بن دينار ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وفيها ولد عبد الله بن الزبير .

(١) م : « فاجمع » .

(٢) م : « اجتمعوا » .

(٣) م : « فاجتمعوا » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا يعقوب ابن إسحاق بن أبي عباد ، قال : حدثنا محمد بن مسلم الطائفي ، عن عمرو ابن دينار ، عن ابن عباس ، قال : كان التأريخ في السنة التي قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا نوح بن قيس الطاحي ، عن عثمان بن محضن ، أن ابن عباس كان يقول في : ﴿ وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴾ ، قال : الفجر هو المحرم ، فجر السنة .

حدثني محمد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود بن يزيد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن المحرم شهر الله عز وجل ، وهو رأس السنة ، فيه يكسى البيت ، ويؤرخ^(١) التأريخ ، ويضرب فيه الورك ، وفيه يوم كان تاب فيه قوم ، فتاب الله عز وجل عليهم . ١٢٥٣/١

حدثني أحمد بن ثابت الرازي ، قال : حدثنا أحمد^(٢) ، قال : حدثنا رَوْح بن عبادة ، قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، أن أول مَنْ أَرَخَ الكُتُبَ يعلى بن أمية ، وهو باليمن ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة في شهر ربيع الأول ، وأن الناس أَرَخُوا لأوّل السنة ؛ وإنما أَرَخَ النَّاسُ لمقدم النبي صلى الله عليه وسلم .

وقال علي بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد ابن صالح ، عن الشعبي ، قال^(٣) : أَرَخَ بنو إسماعيل من نار إبراهيم عليه السلام إلى بنيان البيت ، حين بناه إبراهيم وإسماعيل ، ثم أَرَخَ بنو إسماعيل من بُنيان البيت ؛ حتى تفرقت^(٤) ، فكان كلما خرج قوم من تِهامة أَرَخُوا

(١) ح : « وتؤرخ التواريخ » . (٢) هو أحمد بن حنبل .

(٣) ح : « قال » .

(٤) ر : « حين » .

بمخرجهم^(١) ، وَمَنْ بَقِيَ بِتِهَامَةٍ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ يُؤَرِّخُونَ مِنْ خُرُوجِ
سَعْدٍ وَتَهْدٍ وَجُهَيْنَةٍ ، بَنِي زَيْدٍ ، مِنْ تِهَامَةٍ ؛ حَتَّى مَاتَ كَعْبُ بْنُ لُؤَيٍّ ، فَأَرَّخُوا
مِنْ مَوْتِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ إِلَى الْفِيلِ ؛ فَكَانَ التَّأْرِيخُ مِنَ الْفِيلِ ، حَتَّى أَرَّخَ عُمَرُ
ابْنُ الْخَطَّابِ مِنَ الْهَجْرَةِ ؛ وَذَلِكَ سَنَةٌ سَبْعُ عَشْرَةٍ أَوْ ثَمَانِي عَشْرَةَ .

حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا نَعِيمُ بْنُ
حَمَّادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الدَّرَاوَرْدِيُّ ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عِيقَدٍ أَنَّ اللَّهَ بْنَ أَبِي رَافِعٍ ، قَالَ :
سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ ، يَقُولُ : جَمَعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ النَّاسَ ، فَسَأَلَهُمْ ،
فَقَالَ : مِنْ أَىِّ يَوْمٍ نَكْتُبُ ؟ فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : مِنْ يَوْمِ هَاجَرَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَتَرَكَ أَرْضَ^(٢) الشَّرْكَ ، فَفَعَلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَهَذَا الَّذِي رَوَاهُ عَلَى بْنُ مَجَاهِدٍ ، عَمَّنْ رَوَاهُ عَنْهُ فِي تَأْرِيخِ
بَنِي إِسْمَاعِيلَ غَيْرُ بَعِيدٍ مِنَ الْحَقِّ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يُؤَرِّخُونَ عَلَى أَمْرِ مَعْرُوفٍ
يَعْمَلُ بِهِ عَامَتُهُمْ ، وَإِنَّمَا كَانَ الْمُؤَرِّخُ مِنْهُمْ يُؤَرِّخُ بِزَمَانِ قُحْمَةَ^(٣) كَانَتْ فِي
نَاحِيَةِ مِنْ نَوَاحِي بِلَادِهِمْ ، وَلِزَبَّةٍ أَصَابَتْهُمْ ؛ أَوْ بِالْعَامِلِ كَانِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ ،
أَوْ الْأَمْرُ الْحَادِثُ فِيهِمْ يَنْتَشِرُ خَبْرُهُ عَنْدهُمْ ؛ يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ اخْتِلَافُ شُعْرَائِهِمْ
فِي تَأْرِيخَاتِهِمْ ؛ وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ تَأْرِيخٌ عَلَى أَمْرِ مَعْرُوفٍ ، وَأَصْلٌ مَعْمُولٌ عَلَيْهِ ،
لَمْ يَخْتَلَفْ ذَلِكَ مِنْهُمْ .

وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ الرَّبِيعِ بْنِ ضُبَيْعٍ الْفَزَارِيِّ :

هَآنَذَا آمَلُ الْخُلُودَ وَقَدْ أَدْرَكَ عَقْلِي وَمَوْلَدِي حُجْرًا
أَبَا امْرِئِ الْقَيْسِ هَلْ سَمِعْتَ بِهِ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ طَالَ ذَا عُمْرًا

فَأَرَّخَ عُمَرُ بِحُجْرِ بْنِ عَمْرِو أَبِي امْرِئِ الْقَيْسِ .

وَقَالَ نَابِغَةُ بَنِي جَعْفَةَ :

(١) ر ، م : « مخرجهم » .

(٢) ر : « أهل » .

(٣) القحمة ، بالضم : القحط الشديد ؛ وكذلك اللزبة .

فَمَنْ يَكُ سَائِلًا عَنِّي فَأَنِّي مِنَ الشُّبَّانِ أَرْمَانَ الْخُنَّانِ (١)
فجعل النابتة تأريخه ما أَرَّخَ بزمان علته كانت فيهم عامة .

وقال آخر :

وَمَا هِيَ إِلَّا فِي لِأَزَارٍ وَعِلْقَةٍ مَغَارَ ابْنِ هَمَامٍ عَلَى حَيِّ خَشَعَمَا (٢)

فكل واحد من هؤلاء الذين ذكرت تأريخهم في هذه الأبيات ، أَرَّخَ على قُرْبِ زمان بعضهم من بعض ، وقُرْبَ وقت ما أَرَّخَ به من وقت الآخر ؛ بغير المعنى الذى أَرَّخَ بِهِ الآخر ؛ ولو كان لهم تأريخ معروف كما للمسلمين اليوم ولسائر الأمم غيرها ، كانوا إن شاء الله لا يتعدَّونه ؛ ولكن الأمر في ذلك كان عندهم إن شاء الله على ما ذكرت ؛ فأما قريش من بين العرب ؛ فإن آخر ما حصلت من تأريخها قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة على التأريخ بعام الفيل ؛ وذلك عام وُلِدَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بين عام الفيل والفجار عشرون سنة ، وبين الفجار وبناء الكعبة خمس عشرة سنة ، وبين بناء الكعبة ومبعث النبي صلى الله عليه وسلم خمس سنين .

* * *

قال أبو جعفر : وبُعِثَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن أربعين سنة ، وقُرْنُ بنبوته — كما قال الشعبي — ثلاث سنين : لإسرافيل ؛ وذلك قبل أن يؤمر بالدعاء وإظهاره على ما قدّمنا الرواية والإخبار به ، ثم قُرْنُ بنبوته جبريل عليه السلام بعد السنين الثلاث ، وأمره بإظهار الدعوة إلى الله ، فأظهرها ، ودعا إلى الله مقيماً بمكة عشر سنين ، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول من سنة أربع عشرة من حين استنبي ، وكان خروجه من مكة إليها يوم الاثنين ، وقدمه المدينة يوم الاثنين ؛ لمضى اثنتى عشرة ليلة من شهر ربيع الأول .

(١) في اللسان : « وزمن الخنّان زمن ماتت فيه الإبل » ، وأورد البيت .

(٢) البيت في اللسان (علق) من غير نسبة .

حدَّثني إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدَّثنا موسى بن داود ، عن ابن لهيعة ، عن خالد بن أبي عمران ، عن حنش الصنعاني ، عن ابن عباس ، قال : ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ، واستُنبي يوم الاثنين ، ورفع الحجر يوم الاثنين ، وخرج مهاجراً من مكة إلى المدينة يوم الاثنين ، ١٢٥٦/١ ، وقدم المدينة يوم الاثنين ، وقبض يوم الاثنين .

حدَّثنا ابن حمّيد ، قال : حدَّثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، قال : قدّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم المدينة يوم الاثنين ، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول .

* * *

قال أبو جعفر : فإذا كان الأمرُ في تأريخ المسلمين كالذي وصفت ، فإنه وإن كان من الهجرة ، فإنّ ابتداءهم إياه قبل مقدّم النبي صلى الله عليه وسلّم المدينة بشهرين وأيام ؛ هي اثنا عشر ؛ وذلك أنّ أوّل السنة المحرم ، وكان قدومُ النبي صلى الله عليه وسلّم المدينة ، بعد مُضي ما ذكرت من السنة ، ولم يؤرّخ التأريخ من وقت قدومه ؛ بل من أوّل تلك السنة .

ذكر ما كان

من الأمور المذكورة في أول سنة من الهجرة

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا وقت مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة، وموضعه الذي نزل فيه حين قدمها، وعلى من كان نزوله، وقد رُكِّبته في الموضع الذي نزل^(١)، وخبر ارتحاله عنه. ونذكر الآن ما لم نذكر قبل مما كان من الأمور المذكورة في بقية سنة قدمه؛ وهي السنة الأولى من الهجرة. فمن ذلك تجميعه صلى الله عليه وسلم بأصحابه الجمعة، في اليوم الذي ارتحل فيه من قبَاء؛ وذلك أن ارتحاله عنها كان يوم الجمعة عامداً^(٢) المدينة، فأدركته الصلاة، صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف، ببطن واد لهم - قد اتخذ^(٣) اليوم في ذلك الموضع مسجداً - فيما بلغني - وكانت هذه الجمعة، أولَ جمعة جمعتها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام، فخطب في هذه الجمعة؛ وهي أول خطبة خطبها بالمدينة فيما قيل.

١٢٥٧/١

* * *

خطبة رسول الله

صلى الله عليه وسلم في أول جمعة جمعتها بالمدينة

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال : أخبرنا ابن وهب، قال : حدثني سعيد بن عبد الرحمن الحميري، أنه بلغه عن خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عوف : الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله؛ أرسله بالهدى والنور والموعظة، على فطرة من الرسل، وقلته من

(١) ر : « نزل ». (٢) ح : « عامداً إلى المدينة ».

(٣) ح : « اتخذوا ».

العلم، وضلالة من الناس، وانقطاع من الزمان، ودنو من الساعة، وقرب من الأجل؛ من يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد غوى وفرط؛ وضلّ ضلّالاً بعيداً. وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم؛ أن يحضه على الآخرة، وأن يأمره بتقوى الله، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة، ولا أفضل من ذلك ذكراً؛ وإن تقوى الله لمن عمل به على وجل^(١) وخافة من ربه، عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة. ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمره في السر والعلانية، لا ينوي بذلك إلا وجه الله يكن له ذكراً^(٢) في عاجل أمره، وذخراً فيما بعد الموت، حين يفتقر المرء إلى ما قدّم، وما كان من سوا ذلك يودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه، والله رعوف بالعباد. والذي صدق قوله، وأنجز^(٣) وعده، لا خلف لذلك، فإنه يقول عز وجل: ١٢٥٨/١ ﴿مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٤). فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية، فإنه من يتق الله يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجراً، ومن يتق الله فقد فاز فوزاً عظيماً. وإن تقوى الله يوقى مقتته، ويوقى عقوبته، ويوقى سخطه، وإن تقوى الله يبيض الوجه، ويرضى الرب، ويرفع الدرجة.

خذوا بحظكم، ولا تفرطوا في جنب الله؛ قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله، ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين. فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه، وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وتماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حي عن بينة، ولا قوة إلا بالله. فأكثرُوا ذكرَ الله، واعملوا لما بعد اليوم، فإنه من يصلح ما بينه وبين الله يكفّه الله ما بينه وبين الناس، ذلك بأن الله يقضى على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون^(٥).

(١) ح : « رجا » . (٢) ح : « ذخراً وذكراً » .

(٣) ح ، م : « ونجز » . (٤) سورة ق ٢٩ .

(٥) ر : « ما لا يملكون » .

منه ؛ الله أكبرُ ، ولا قوةَ إلا بالله العظيم ! .

* * *

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ركب ناقته ، وأرخى لها الزمام ، فجعلت لا تمرُّ بدار من دُور الأنصار إلا دعاه أهلُها إلى التزول عندهم ، وقالوا له : هلم يا رسولَ الله ! إلى العُدَّة والعُدَّة والمنفعة ؛ فيقول لهم صلى الله عليه وسلم : خَلُّوا زِمَامَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ ؛ حتى انتهى إلى موضع مسجده اليوم ، فبركت على باب مسجده ^(١) ؛ وهو يومئذ ميربَدٌ ^(٢) لِعَلَامِينَ يَتِيمِينَ من بني النَجَّار في حِجْرٍ مُعَاذِ بْنِ عَفْرَاء ؛ يقال لأحدهما سهل وللآخر سهيل ، ابنا عمرو بن عباد ابن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النَجَّار . فلما بركت لم ينزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، ثم وثبتت فسارت غيرَ بعيد ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم واضعٌ لها زِمَامَهَا لا يَشْنِيهَا به ؛ ثم التفتت خلفها ، ثم رجعت إلى مَبْرَكِهَا أَوَّلَ مرة ، فبركت فيه ووضعت جيرانَهَا ، ونزل عنها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فاحتمل أبو أيوب رحله ، فوضعه في بيته ، فدعته الأنصار إلى التزول عليهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : المرءُ مع رحله . فنزل على أَبِي أَيُوبَ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَلِيبَ ، في بني غَنَمِ بْنِ النَّجَّار ^(٣) .

١٢٥٩/١

قال أبو جعفر : وسأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن المِرْبَدِ مَنْ هُوَ ؟ فَأَخْبَرَهُ مُعَاذُ بْنُ عَفْرَاءَ ، وقال : هُوَ لِيَتِيمِينَ لِي ، سَأَرْضِيهِمَا . فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُبْنَى مَسْجِدًا ، وَنَزَلَ عَلَى أَبِي أَيُّوبَ ، حَتَّى بَنِيَ مَسْجِدَهُ وَمَسَاكِنَهُ . وَقِيلَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اشْتَرَى مَوْضِعَ مَسْجِدِهِ ، ثُمَّ بَنَاهُ .

والصحيح عندنا في ذلك ، ما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا

(١) و : « المسجد » .

(٢) المربد : الموضع الذي يجفف فيه التمر .

(٣) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ١١ ، ١٢

يزيد بن هارون، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، عن أبي التَّيَّاح ، عن أنس ابن مالك ، قال : كان موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لبني النجار ، وكان فيه نخل وحِثْرٌ وقبورٌ من قبور الجاهليَّة ، فقال لهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : ثامنوني^(١) به ، فقالوا : لا نبتغي^(٢) به ثمناً إلا ما عند الله . فأمر ٢٦٠/١ : رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالنَّخلِ ففطَّع ، وبالحِثْرِ فأفسد ، وبالقبور فنبتشت ، وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يصلي في مراعض الغنم ، وحيث أدركته الصلاة .

قال أبو جعفر : وتولَّى بناء مسجدِه صلى الله عليه وسلم هو بنفسه وأصحابه^(٣) من المهاجرين والأنصار .
وفي هذه السَّنة بُني مسجد قُباء .

* * *

وكان أوَّلَ من توفِّيَ بعد مقدِّمه المدينة من المسلمين - فيما ذكر - صاحب مسنِّزِهِ كلثوم بن الهدم ، لم يلبث بعد مقدِّمه إلا يسيراً حتى مات .
ثم توفِّيَ بعده أسعدُ بن زُرارة في سَنَةِ مقدِّمه ، أبو أمانة . وكانت وفاته قبل أن يفرَّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بناء مسجده ، بالذِّبْحَةِ^(٤) والشَّهَقَةِ^(٥) . فحدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد ابن إسحاق . حدَّثني عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بُسَّ^(٦) المَيِّتُ أبو أمانة ليهودٍ ومنافقي العرب ! يقولون : لو كان محمد نبيّاً لم يمتْ صاحبه ؛ ولا أمليكَ لنفسي ولا لصاحبي من الله شيئاً^(٧) .

(١) ثامنوني به ؛ أي اجعلوا لها ثمناً .

(٢) و : « لا نبتغي » .

(٣-٣) و : « وأصحابه المهاجرون » .

(٤) الذبحة : وجع في الحلق يخفق فيقتل .

(٥) الشهقة : الصيحة .

(٦) ر : « لبس » .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩ .

وقد حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن معمر ، عن الزهري ، عن أنس ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كَوَى أسعد ابن زُرارة من الشوكة^(١) .

قال ابن حُميد ، قال سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثني عاصم ابن عمر بن قتادة الأنصاري أنه لما مات^(٢) أبو أمامة أسعد بن زُرارة ، اجتمعت بنو النجار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان أبو أمامة نقييهم - فقالوا : يا رسول الله ؛ إن هذا الرجل قد كان منّا حيث قد علمت ؛ فاجعل منّا رجلاً مكانه ، يقيم من أمرنا ما كان يقيمه ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم أحوالي وأنا منكم ؛ وأنا نقييكم .

قال : وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَخْصَّ بها بعضهم دون بعض ؛ فكان من فضل^(٣) بني النجار الذي تعد^(٤) على قومهم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان نقييهم^(٥) .

وفي هذه السنة مات أبو أحيشة بماله بالطائف . ومات الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي فيها بمكة .

* * *

وفيهما بنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة بعد مقدمه المدينة بثمانية أشهر ؛ في ذي القعدة في قول بعضهم ، وفي قول بعض : بعد مقدمه المدينة بسبعة أشهر ، في شوال ، وكان تزوجها بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد وفاة خديجة وهي ابنة ست سنين ، وقد قيل : تزوجها وهي ابنة سبع .

(١) الشوكة : حمرة تظهر في الوجه وغيره من الجسد . والخبر في نهاية ابن الأثير : ٢٤٠ ، ٢٤١ .

(٢) ح : « أصيب » .

(٣) ح : « قصة بني النجار وفضلهم » .

(٤) ح : « يعدونه » . ر : « يعد » ، سيرة ابن هشام : « الذي يعدون » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٠ .

حدثنا عبد الحميد بن بيسان السكري ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل - يعني ابن أبي خالد - عن عبد الرحمن بن أبي الضحاك ، عن رجل من قریش ، عن عبد الرحمن بن محمد ، أن عبد الله بن صفوان وآخر ١٢٦٢/١ معه أتيّا عائشة ، فقالت عائشة : يا فلان ؛ أسمعت حديث حَفْصَةَ ؟ قال لها : نعم يا أمّ المؤمنين ، قال لها عبد الله بن صفوان : وما ذاك ؟ قالت : خِلَالٌ فيّ تسع لم تكن في أحد من النساء إلا ما آتى الله مريم بنت عمران ؛ والله ما أقول هذا فخراً على أحد من صواحي ، قال لها : وما هن^(١) ؟ قالت : نزل الملكُ بصورتي ، وتزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لسبع سنين ، وأهديتُ إليه لتسع سنين ، وتزوجني بكرّاً لم يشركه فيّ أحدٌ من الناس ، وكان يأتيه الوحي وأنا وهو في لحاف واحد ، وكنتُ من أحب الناس إليه^(٢) ، ونزل في آية من القرآن كادت الأمة أن تهلك ، ورأيت جبريل ولم يره أحدٌ من نسائه غيري ، وقُبِض في بيتي لم يله أحدٌ غير الملك وأنا .

* * *

قال أبو جعفر : وتزوجها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما قيل - في شوال ، وبتى بها حين بنى بها في شوال .

* ذكر الرواة بذلك :

حدثنا ابنُ بشار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ، عن عبد الله بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : تزوجني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في شوال ، وبتى بي في شوال . وكانت عائشة تستحب أن يُبنى بالنساء^(٣) في شوال .

(١) كذا في ر ، وفي ط : « هو » .

(٢) زاد بعد ر : « وابنة أحب الناس إليه » .

(٣) كذا في ر ، وفي ط : « بنسائها » .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن إسماعيل بن أمية ،
 عن عبد الله بن عُرْوَة ، عن عُرْوَة ، عن عائشة ، قالت : تزوّجني رسولُ الله
 صلّى الله عليه وسلّم في شوال ، وبني بي في شوال ، فأىُّ نساء رسول الله
 كانت أحظّي عنده منّي ! وكانت عائشة تستحبّ أن يُدْخَلَ بالنساء^(١)
 في شوال .

قال أبو جعفر : وقيل : إنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بنى بها
 في شوال يوم الأربعاء ، في منزل أبي بكر بالسُّنَّح .
 وفي هذه السنة بعثَ النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم إلى بناتِهِ وزوجتِهِ
 سَوْدَةَ بنت زَمْعَةَ ، زيدَ بن حارثة وأبا رافع ، فحملاهنَّ^(١) من مكّة إلى
 المدينة .

ولما رجع - فيما ذكر - عبد الله بن أَرَيْقِطٍ إلى مكّة أخبر عبد الله بن
 أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر ، فَخَرَجَ عبدُ الله بَيْعَاتٍ إليه ، وصَحْبَهُمْ
 طَلْحَةَ بن عبيد الله ، معهم^(٢) أمّ رومان ، وهى أمّ عائشة ؛ وعبد الله بن
 أبي بكر حتى^(٣) قدموا المدينة .

وفي هذه السنة زَيْدٌ في صلاة الحَضَر - فيما قيل - ركعتان ، وكانت
 صلاة الحَضَر والسفَر ركعتين ؛ وذلك بعد مقدّم رسول الله صلّى الله عليه
 وسلّم المدينة بشهر ، في ربيع الآخر ، لمُضَيِّ اثنتي عشرة ليلة منه^(٤) ،
 زعم الواقديّ أنه لا خلاف بين أهل الحجاز فيه .

* * *

وفيها - في قول بعضهم - وُلِدَ عبد الله بن الزُّبَيْر . وفي قول الواقديّ :
 وُلِدَ في السَّنَةِ الثَّانِيَةِ من مقدّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة
 في شوال .

(١) كذا في ر وفي ط : « بنائها » .

(٢) ر : « معه » .

(٣) م : « حين » .

(٤) ر : « مضت منه » .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : قال محمد بن
عُمَرَ الواقدي : وُلِدَ ابنُ الزُّبَيْرِ بعد الهجرة بعشرين شهراً بالمدينة .
١٢٦٤/١

قال أبو جعفر : وكان أوَّلَ مولودٍ ولد من المهاجرين في دار الهجرة ،
فكَبُرَ — فيما ذُكِرَ — أصحابُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين وُلِدَ ؛
وذلك أنَّ المسلمين كانوا قد تحدَّثوا أنَّ اليهود يذكرون أنَّهم قد سَحَرُواهم
فلا يُولَدُ لهم ؛ فكان تكبيرُهم ذلك سروراً منهم بتكذيب الله اليهود
فيما قالوا من ذلك .

وقيل : إن أسماءَ بنتَ أبي بكر ، هاجرتُ إلى المدينة وهي حاملٌ به .
وقيل أيضاً : إنَّ النُّعْمَانَ بنَ بَشِيرٍ وُلِدَ في هذه السنة ؛ وإنَّه أوَّلَ مولودٍ
وُلِدَ للأنصار بعد هجرة النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم إليهم ؛ وأنكر ذلك
الواقدي أيضاً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا الواقدي ،
قال : حدثنا محمد بن يحيى بن سهل بن أبي حُثَمَةَ ، عن أبيه ، عن
جدِّه ، قال : كان أوَّلَ مولودٍ من الأنصار (١) النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ ؛ ولد بعد
الهجرة بأربعة عشر شهراً ، فتوفى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو ابن
ثمانين سنين ، أو (٢) أكثر قليلاً .

قال : وولد النُّعْمَانُ قبل بدر بثلاثة أشهر أو أربعة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن
عمر ، قال : حدثنا مُصْعَبُ بنُ ثَابِتٍ ، عن أبي الأسود ، قال : ذُكِرَ
النُّعْمَانُ بنُ بَشِيرٍ عند ابنِ الزُّبَيْرِ (٣) ، فقال : هو أَسَنُ مني بستة أشهر .

قال أبو الأسود : ولد ابنُ الزُّبَيْرِ على رأس عشرين شهراً من مهاجرة

(١) ر : « ولد للأنصار » .

(٢) م : « وأكثر » .

(٣) ح ، م : « عبد الله بن الزبير » .

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وولِد النعمان على رأس أربعة عشر شهراً في ربيع الآخر .

قال أبو جعفر : وقيل : إنّ المُختارَ بن أبي عُبَيْدِ الثَّقَفِيّ وزياد ابن سُمَيْة فيها ولدا .

* * *

قال : وزعم الواقديّ أنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عقد في هذه السنّة في شهر رمضان ، على رأس سبعة أشهر من مهاجره ، لحمزة بن عبد المطلب لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ، ليعترض^(١) لِعَبِيرَات^(٢) قريش ، وأنّ حمزة لقيّ أبا جهل [بن هشام]^(٣) في ثلاثمائة رجل ، فحجز بينهم مَجْدِيّ بن عمرو الجُهَنِيّ فافترقوا ، ولم يكن بينهم قتال . وكان الذي يحمل لواءَ حمزة أبو مرثد .

١١٦٥/١

وأنّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم عقد أيضاً في هذه السنّة ، على رأس ثمانية أشهر من مهاجره في شوال ، لعُبَيْدَة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لواء أبيض ، وأمره بالمسير^(٤) إلى بطن رابغ ، وأنّ لواءه كان مع مسطح بن أثانّة ، فبلغ ثنية المرة - وهي بناحية الجحفة - في ستين من المهاجرين ، ليس فيهم أنصاريّ ؛ وأنّهم التقوا هم والمشركون على ماء يقال له أحياء ؛ فكان بينهم الرميّ دون المسايقة^(٥) .

قال : وقد اختلفوا في أمير السريّة ؛ فقال بعضهم : كان أبو سفيان بن حرب ، وقال بعضهم : كان مُكْرَز بن حفص .

قال الواقديّ : ورأيت الثّبتَ على أبي سفيان بن حرب ، وكان في مائتين من المشركين .

(١) ر : « ليعترض » .

(٢) العيرات : جمع العير ؛ وهي الإبل التي تحمل الميرة ؛ لا واحد لها من لفظها ، قال سيبويه : « جمعوه بالألف والياء لمكان التانيث ؛ وحركوا الياء لمكان الجمع بالتاء » .

(٣) من ر .

(٤) م : « بالسير » .

(٥) المسايقة : التضارب بالسيف .

قال : وفيها عَقَدَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لسعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّارِ لواءً أبيضَ يحمله المقداد بن عمرو في ذى القعدة . وقال : حدَّثني أبو بكر بن إسماعيل ، عن أبيه ، عن عامر^(١) بن سعد ، عن أبيه ، ١٢٦٦/١ قال : خرجتُ في عشرين رجلاً على أقدامنا - أوقال : واحد^(٢) وعشرين رجلاً - فكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ ، ونسير الليلَ حتى صَبَحْنَا الخَرَّارَ صُبْحَ خَامِسَةِ ؛ وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قد عهد إلى أَلَا أَجَاوَزَ الخَرَّارَ ، وكانت العِيرُ قد سَبَقَتْني قبل ذلك بيوم ، وكانوا ستين ، وكان مَنْ مع سعد كلَّهم من المهاجرين .

* * *

قال أبو جعفر : وقال ابن إسحاق في أمر كلِّ هذه السرايا التي ذكرتُ عن الواقديَّ قولَه فيها غير ما قاله الواقديَّ ، وأنَّ ذلك كلُّه كان في السنة الثَّانِيَةِ من وقت التاريخ .

حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمة بن الفضل ، قال : حدَّثني محمَّد بن إسحاق ، قال : قدِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المدينةَ في شهر ربيع الأوَّل لاثنتي عشرة ليلة مضت منه ، فأقام بها ما بقِيَ من شهر ربيع الأوَّل وشهرَ ربيع الآخرَ وجُمَادَيَيْنِ وَرَجَبَ وشعبانَ ورمضانَ وشوَّالاً وذا القعدة وذا الحجة - وولى تلك الحجةَ المشركونَ - والمحرَّم . وخرج في صَفَرٍ غازياً على رأس اثني عشر شهراً من مقدَمه المدينة ، لِيُسْتَتَى عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوَّل ؛ حتى بلغ ودَّانَ ؛ يريد قريشاً وبنى ضَمْرَةَ بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ؛ وهي غزوةُ الأَبْواءِ ، فوادَعتهُ^(٣) فيها بنو ضَمْرَةَ ؛ وكان الَّذي وادَّعه منهم عليهم سيدهم كان في زمانه ذلك ، مَخْشِي بن عمرو ، رجل^(٤) منهم .

(١) ح ، م : «عاصم» .

(٢) ح : «في واحد وعشرين» .

(٣) وادعته : سالته وعاهدته ألا تحاربه .

(٤) ح : «ورجل» .

قال : ثم رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، ولم يلقَ كَيْدًا ، فأقام بها بقيةَ صفرٍ وصدراً من شهر ربيع الأول^(١) . ١٢٦٧/١

وبعث في مقامه ذلك عبّيدةَ بن الحارث بن المطّلب في ثمانين أو ستين راكباً من المهاجرين ؛ ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، حتى بَلَغَ أحياء (ماء بالحجاز بأسفل ثنيةِ المَرّة) ، فلقِيَ بها جَمْعاً عظيماً من قريش ؛ فلم يكن بينهم قتال ؛ إلاّ أن سعد بن أبي وقّاص قد رمى يومئذ بسهم ؛ فكان أول سهم رُمِيَ به في الإسلام .

ثم انصرف القوم عن القوم والمسلمين حاميّةً ، وفَرَّ مِنَ المشركين إلى المسلمين المِقْدَاد بن عمرو البَهْرانيّ حليف بنى زُهرة ، وعُتْبَةُ بن غَزْوَان بن جابر حليف بنى نوفل بن عبد مناف - وكانا مسلمين ؛ ولكنهما خرجا يتوصّلا^(٢) بالكُفّار إلى المسلمين - وكان على ذلك الجمع^(٣) عِكرِمة بن أبي جهل .

قال مُحَمّد : فكانت رايةُ عبّيدة - فيما بلغني - أول راية عقدّها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في الإسلام لأحد من المسلمين^(٤) .

وحدّثنا ابن حُمَيد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمّد بن إسحاق ، قال : وبعض العلماء يزعم أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم كان بعثه حين أقبل من غزوة الأَبواء قبل أن يصلَ إلى المدينة . قال : وبعث حمزة بن عبد المُطّلب في مقامه ذلك إلى سيف البحر من ناحية العيص في ثلاثين راكباً من المهاجرين ؛ وهى من أرض جُهينة ليس فيهم من الأنصار أحدٌ ، فلقِيَ أبا جهل بن هشام بذلك السّاحل في ثلاثائة

(١) في السيرة : « قال ابن هشام : وهى أول غزوة غزاها » ، والخبر في السيرة ٢ : ٥٤ .

(٢) في ابن هشام : « ليتوصلا بالكفار » ؛ أى أنهما جعلّا خروجهما مع الكفار وسيلة للوصول إلى المسلمين .

(٣) و : « ذلك الجمع من المشركين » .

(٤) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٥ .

راكب من أهل مكة ، فحجز بينهم مَجْدِي بن عمرو الجُهَنِي ، وكان ١٢٦٨/١
مُؤَادِعًا لِلْفَرِيقَيْنِ جَمِيعًا ، فانصرف القومُ بعضهم عن بعض ، ولم يكن
بينهم قتال .

قال : وبعضُ القوم يقول : كانت راية حمزة أول راية عقدَها رسول الله
صَلَّى الله عليه وسلَّم لأحد من المسلمين ، وذلك أَنَّ بَعَثَهُ وَبَعَثَ
عُبَيْدَةَ بن الحارث كانا معًا ، فُشِبَّه ذلك على الناس .

قال : وَالَّذِي سَمِعْنَا من أهل العلم عندنا أَنَّ راية عُبيدة بن الحارث
كانت أولَ راية عُقِدَتْ في الإسلام ^(١) .

قال : ثم غزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في شهر ربيع الآخر ،
يريد قريشًا ، حتى إذا بلغُ بَوَاط من ناحية رَضَوَى رجع ولم يَلْقَ
كَيْدًا ، فلبث بقيَّة شهر ربيع الآخر وبعضَ جُمادى الأولى ^(٢) .

ثم غزا يريد قريشًا ، فسلَّك على نَقَب بنى دينار بن النجَّار ، ثم
على فَيْسَفَاء الخَبَّار ، فنزل تحت شجرة بيوطحاء ابن أزهَر ، يقال لها :
ذات السَّاق ، فصلَّى عندها ، فتمَّ مسجده . وصُنِعَ له عندها
طعامٌ فأكل منه وأكل الناس معه ، فموضع أَثَافِي البُرْمَةِ معلوم
هنالك . واستُقِيَ ^(٣) له من ماء به يقال له المُشْتَرِب ^(٤) . ثم ارتحل
فترك الخلائق ^(٥) بَيْسَار ، وملك شُعْبَةَ يقال لها شعبة عبد الله — وذلك اسمها
اليوم — ثم صبَّ لَيْسَار ، حتى هبطَ يَلْكِل ، فنزل بمجمعه ومجتمع
الضَّبُّوعَةِ ؛ واستُقِيَ له من بئر بالضَّبُّوعَةِ . ثم سلك الفَرَش ؛ فرش
ملل ، حتى لَقِيَ الطريق بصخيرات اليمام . ثم اعتدل به الطريق حتى

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٦

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧ .

(٣) ط : « فاستقي » ؛ وما أثبتته من ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « المشترب » .

(٥) في ياقوت : « وكان لعبد الله بن أحمد بن جحش أرض يقال لها الخلائق بنواحي المدينة » .

نزل العُشَيْرَة من بطن يَنْبُع ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الأولى ولياليَ من جُمَادَى الآخرة ، ووادَعَ فيها بنى مُدَلَج وحلفاءهم من بنى ضَمْرَة . ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلقَ كيداً .

وفى تلك الغزوة قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ما قال .

قال : فلم يُقِم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم حين قدِم من غَزْوَةِ العُشَيْرَةِ بالمدينة إلّا لياليَ قلائل لا تَبْلُغ العَشْرَ ، حتى أغار كُرُزُ بن جابر الفِهْرِي على سَرْحِ المدينة ، فخرج رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في طلبه ، حتى بلغ وادياً يقال له سَفَوَان من ناحية بدر ، وفاتته كُرُز فلم يدركه ؛ وهى غزو بدر الأولى ؛ ثم رجع رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المدينة ، فأقام بها بقيَّة جُمَادَى الآخرة ورجبَ وشعبان . وقد كان بعث فيما بين ذلك سَعْد بن أبي وقَّاص في ثمانية رهط^(١) .

١٢٧٠/١

* * *

وزعم الواقديّ أنّ في هذه السنة — أعنى السّنة الأولى من الهجرة — جاء أبو قيس بن الأسَلَت رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فعرض عليه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام ، فقال : ما أحسنَ ما تدعو إليه ! أنظرُ في أمرى ، ثم أعود إليك . فلقيةُ عبدُ الله بن أبيّ ، فقال له : كرهتَ والله حربَ الخَزَرَج ! فقال أبو قيس : لا أسليم^(٢) سنة ؛ فات في ذى القعدة .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨٠٥٧ .

(٢) ابن الأثير : « إلى سنة » .

ثم كانت السنة الثانية من الهجرة

فغزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - في قول جميع أهل السِّيَر - فيها ، في ربيع الأول بنفسه غَزْوَةَ الْأَنْبَاء - ويقال وَدَّان - وبينهما ستَّة أميال هي بحداثتها ؛ واستخلف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على المدينة حين خرج إليها سعد بن عُبَادَة بن دُلَيْم . وكان صاحبَ لوائه في هذه الغَزَا حمزة بن عبد المُطَّلِب ، وكان لوائه - فيما ذكر - أبيض .

وقال الواقدي: كان مُقامه بها خمسَ عشرة ليلة ، ثم قدِم المدينة.

* * *

قال الواقدي : ثم غزا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في مائتين من أصحابه ؛ حتى بلغ بُواط في شهر ربيع الأول ؛ يعترض لِعَيْرَات قريش ، ١٢٧٠/١ وفيها أُمَيَّة بن خلف ومائة رجلٍ من قريش ، وألفان وخمسمائة يعير . ثم رَجَعَ ولم يَلْقَ كَيْدًا .

وكان يحملُ لواءه سعدُ بن أبي وقَّاص ، واستخلف على المدينة سعدُ ابن مُعَاذ في غَزْوَتِهِ هذه .

* * *

قال^(١) : ثم غزا في ربيع الأول في طلب كُرْزَيْن بن جابر الفِهْرِي في المهاجرين ، وكان قد أغار على سَرَح^(٢) المدينة ، وكان يرعى^(٣) بالجمَّاء فاستاقه ، فطلبه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حتى بلغ بدْرًا فلم يلحقه ؛ وكان يحمل لواءه عليُّ بن أبي طالب عليه السلام . واستخلف على المدينة زيد بن حارثة .

(١) ح : « قال الواقدي » . (٢) السرح : المال السارح ، ولا يسمى من الأموال سرحاً إلا ما يغدى به ويراح . (٣) ح ، ر : « وكانت ترمى » .

[غزوة ذات العُشيرة]

قال : وفيها خرج رسولُ الله صَلَّى عليه وسلَّم يعترض لِعِصْرَاتِ قريش حين أبدأت^(١) إلى الشَّام في المهاجرين - وهي غزوة ذات العُشيرة - حتى بلغ يَنْبُع ، واستخلف على المدينة أبا سلَمة بن عبد الأسد ؛ وكان يحمل لواءه حمزة بن عبد المطلب . فحدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقيُّ ، قال : حدثنا محمد بن سلَمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يزيد بن خُثَيْم^(٢) ؛ عن محمد بن كعب القرظيُّ ؛ قال : حدثنا أبوك يزيد بن خُثَيْم ، عن عمَّار بن ياسر ، قال كنت أنا وعلىّ رفيقين مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في غزوة العُشيرة ، فنزلنا متزلاً ، فرأينا رجالاً من بني مُدَلِج يعملون في نخْل لهم ، فقلت : لو انطلقنا ! فنظرنا إليهم كيف يعملون ، فانطلقنا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم غَشِينَا النَّعَاسُ ، فعمدنا إلى صَوْر^(٣) من النخل ؛ فمئنا تحته في دُقْعَاء^(٤) من التراب ، فما أيقظنا^(٥) إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، أتانا وقد تَتَرَبَّعْنَا في ذلك التراب ؛ فحرك عليّاً^(٦) برجله ، فقال : قم يا أبا تراب ؛ ألاّ أخبرك بأشقى النَّاسِ ؟ أحمر ثمود عاقر النَّاقَة ، والذي يضربك [يا عليّ]^(٧) على هذا

١٢٧٢/١

(١) يقال : أبدأ من أرض إلى أرض أخرى ، وبدأ ؛ إذا خرج منها إلى غيرها .

(٢) في ابن هشام : « يزيد بن محمد بن خيثم » .

(٣) الصور : جماع النخل ، ولا واحد له من لفظه .

(٤) الدُقْعَاء : التراب اللين .

(٥) في ابن هشام : « فوالله ما أهبنا إلا رسول الله » ؛ وأهبنا : أيقظنا .

(٦) ح : « فحرك عليّاً » ، وفي ابن هشام : « يحركنا برجله » .

(٧) من سيرة ابن هشام .

— يعنى قَرْنَه — فيخْضِبُ^(١) هذه منها ؛ وأخذ بلحيته^(٢) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني يزيد بن محمد بن خُثَيْم^(٣) المحاربي ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن محمد بن خُثَيْم — وهو أبو يزيد — عن عمَّار بن ياسر ، قال : كنت أنا وعلى رفیقین ، فذكر نحوه .

وقد قيل في ذلك غير هذا القول ؛ وذلك ما حدَّثني به محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدَّثنا عبد العزيز بن أبي حازم ، عن أبيه ، قال : قيل لسهل^(٤) بن سعد : إن بعضَ أمراء المدينة يريد أن يبعث إليك تَسْبُّ علياً^(٥) عند المنبر ، قال : أقول ماذا ؟ قال : تقول : أبا تراب ، قال : والله ما سَمَّاه بذلك^(٦) إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : قلتُ : وكيف ذاك يا أبا العباس ؟ قال : دخل عليّ علي فاطمة ، ثم خرج من عندها ، فاضطجع في فَيْءِ المسجد . قال : ثم دخل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم علي فاطمة ، فقال لها : أين ابنُ عمِّك ؟ فقالت : هو ذاك مضطجع في المسجد ، قال : فجاءه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فوجده قد سقط رداؤه عن ظهره ، وخلصَ التراب إلى ظهره ، فجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول : اجلس أبا تراب . فوالله ما سَمَّاه به إلا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ والله ما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه !

* * *

(١) ابن هشام : « حتى يبل منها هذه » .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٥٨ . قال السهيلي : « وأصح من ذلك ما رواه البخاري في جامعه ؛ وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجده في المسجد نائماً ، وقد ترب جنبه ، فجعل يحث التراب عن جنبه ويقول : قم أبا تراب ؛ وكان قد خرج إلى المسجد مغاضباً لفاطمة . وهذا معنى الحديث ؛ وما ذكره ابن إسحاق من حديث عمار مخالف له ؛ إلا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بها مرتين : مرة في المسجد ، ومرة في هذه الغزوة » .

(٣) كذا ضبطه صاحب التقريب ، بمعجمة ومثلثة ، مصغراً .

(٤) م : « لسهيل » . (٥) س : « علي » (٦) ر ، م : « ذلك » .

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة في صفر ، لئال يقين منه ، تزوج على بن أبي طالب عليه السلام فاطمة رضي الله عنها ؛ حدثت بذلك ، عن محمد بن عمر ، قال : حدثنا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة ، عن إسحاق ابن عبد الله بن أبي فروة ، عن أبي جعفر .

* * *

[سرية عبد الله بن جحش]

قال أبو جعفر الطبري : ولما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب كُرُز بن جابر الفهري إلى المدينة ، وذلك في جمادى الآخرة ، بعث في رجب^(١) عبد الله بن جحش معه ثمانية رهط من المهاجرين^(٢) ؛ ليس فيهم من الأنصار أحد ؛ فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الزهري ويزيد بن رومان ؛ عن عروة بن الزبير ، بذلك .

* * *

وأما الواقدي فإنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله ابن جحش سرية في اثني عشر رجلاً من المهاجرين .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، عن الزهري ويزيد بن رومان ، عن عروة ، قال : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم له كتاباً - يعني ١٢٧٤/١

(١) زاد ابن هشام : « مقفله من بدر الأولى » .

(٢) في ابن هشام : « وكان أصحاب عبد الله بن جحش من المهاجرين ثم من بني عبد شمس بن عبد مناف : أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ؛ ومن حلفائهم عبد الله ابن جحش ؛ وهو أمير القوم ، وعكاشة بن محسن بن حراثان ، أحد بني أسد بن خزيمه ؛ حليف لهم . ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر ، حليف لهم . ومن بني زهرة بن كلاب سعد ابن أبي وقاص . ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة ؛ حليف لهم من عذ بن وائل ، وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع ؛ أحد بني تميم ، حليف لهم ، ونعالد بن البكير أحد بني سعد بن ليث حليف لهم . ومن بني الحارث بن فهر سهيل بن يضاء » .

لعبد الله بن جحش - وأمره ألا ينظر فيه حتى يسير يومين ؛ ثم ينظر فيه فيمضي له أمره به ، ولا يستكره أحداً من أصحابه ، فلما سار عبد الله ابن جحش يومين ، فتح الكتاب ، ونظر فيه ، فلما فيه : « وإذا نظرت في كتابي هذا ؛ فسير حتى تنزل نخلة^(١) بين مكة والطائف ؛ فترصد بها قريشاً ، وتعلم لنا من أخبارهم ». فلما نظر عبد الله في الكتاب ، قال : سمع وطاعة ؛ ثم قال لأصحابه : قد أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أمضي إلى نخلة ، فأرصد بها قريشاً حتى آتيه منهم بخبر ، وقد نهاني أن أستكره أحداً منكم ؛ فمن كان منكم يريد الشهادة ، ويرغب فيها فلينطلق ، ومن كره ذلك فليرجع ؛ فأما أنا فاضل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فمضى ومضى معه أصحابه ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، وسلك على الحجاز ؛ حتى إذا كان بمعدن فوق الفرع^(٢) [يقال له بـحجران]^(٣) ، أضل سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غَزْوَان بغيراً لهما كانا يعتقبانه^(٤) ، فتخلفا عليه في طلبه . ومضى عبد الله بن جحش وبقية أصحابه حتى نزل بنخلة ، فمرت به عير لقريش تحمل زبيباً وأدماً وتجارة من تجارة قريش فيها منهم عمرو بن الحضرمي^(٥) ، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل بن عبد الله بن المغيرة الخزوميان ، والحكم بن كيسان مولى هشام بن المغيرة . فلما رآهم القوم هابوهم ؛ وقد نزلوا قريباً منهم ، فأشرف لهم عكاشة بن محصن - وقد كان حلق رأسه - فلما رأوه أمينوا ، وقالوا : عمار^(٦) لا بأس عليكم منهم^(٧) . وتشاور القوم فيهم ؛ وذلك في آخر يوم من رجب ؛

(١) و : « بنخلة » .

(٢) كذا ضبطه ياقوت ، بضم أوله وسكون ثانيه ؛ وقال السهيلي : هو بضمين .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) يعتقبانه ، أى يركبه هذا عقبة وهذا عقبة ، والعقبة : النوبة .

(٥) قال ابن هشام : « واسم الحضرمي عبد الله بن عباد ، أحد الصدف ، واسم الصدف عمرو ابن مالك . أحد السكون بن المغيرة بن أشرس بن كندة ، ويقال : كندى » .

(٦) عمار ، أى معتمرون ، والاعتمار زيارة البيت الحرام . (٧) ح : « منه » .

فقال القوم : والله لئن تركتم القومَ هذه الليلة ليدخلنَّ الحرمَ ؛ فليمتنعنَّ به منكم ؛ ولئن قتلتموهم لتقتلنَّهم في الشهر الحرام . فتردَّد القوم ، وهابوا الإقدام عليهم ؛ ثم تشجَّعوا^(١) عليهم ، وأجمعوا على قتل مَنْ قدَّروا عليه منهم ، وأخذ ما معهم ؛ فرمى واقدُ بن عبد الله التميميَّ عمرو بن الحضرميَّ بسهم فقتله ، واستأسر عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله فأعجزهم ، وأقبل عبد الله بن جحش وأصحابه بالعيير والأسيرين ؛ حتى قدَّموا على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة .

قال : وقد ذكرَ بعضُ آل عبد الله بن جحش ، أن عبد الله بن جحش ، قال لأصحابه : إنَّ لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ممَّا غنمتم الخمسَ - وذلك قبل أن يفرض الله من الغنائم الخمس - فعزل لرسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم خمسُ الغنيمة ، وقسم سائرَها بين أصحابه ؛ فلمَّا قدَّموا على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، قال : ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام . فوقَّف العير والأسيرين ؛ وأبى أن يأخذ من ذلك شيئاً . فلمَّا قال ذلك رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم سقط في أيدي القوم ، وظنُّوا أنَّهم قد هلكوا ، وعنتهم المسلمون فيما صنعوا . وقالوا لهم : صنعتم ما لم تؤمروا به ، وقاتلتهم في الشهر الحرام ولم تؤمروا بقتال ! وقالت قريش : قد استحلَّ محمدٌ وأصحابه الشهر الحرام ، فسفكوا فيه الدَّم وأخذوا فيه الأموال ، وأسروا فيه الرجال . فقال مَنْ يردُّ ذلك عليهم من المسلمين ممَّن كان بمكة : إنما أصابوا ما أصابوا في شعبان . وقالت يهود ؛ تفاعل^(٢) بذلك على رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : عمرو بن الحضرميَّ قتله واقد بن عبد الله : « عمرو » عمرت الحرب ، و « الحضرمي » حضرت الحرب ، و « واقد بن عبد الله » وقدت الحرب ؛ فجعل الله عزَّ وجلَّ ذلك عليهم لا لهم^(٣) .

فلمَّا أكثر الناس في ذلك أنزل الله عزَّ وجلَّ على رسوله صلَّى الله عليه

١٢٧٦/١

(١) التفسير : « ثم شجعوا » .

(٢) و : « تفاؤلا » ؛ وفي التفسير : « تفاعل » .

(٣) ح والتفسير : « وبهم » .

وسلّم : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ...﴾^(١) الآية .
فلما نزل القرآن بهذا من الأمر وفرّج الله عن المسلمين ما كانوا فيه من
الشفق^(٢) ، قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم العير والأسيرين^(٣) .

وبعثت إليه قريش في فداء عثمان بن عبد الله والحكم بن كيسان ، فقال رسول
الله صلّى الله عليه وسلم : لا تُفديا بكموهما ؛ حتى يقدّم صاحبانا - يعنى سعد
ابن أبي وقاص وعتبة بن غزوان - فإنّا نخشاكم عليهما ؛ فإن تقتلوهما نقتل
صاحبيكم . فقدم سعد وعُتْبَةُ ، ففاداهما^(٤) رسول الله صلّى الله عليه وسلّم
منهم ؛ فأما الحكم بن كيسان فأسلم فحسُن إسلامه ، وأقام عند رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم حتى قتل يوم بئر معونة شهيداً^(٥) .

* * *

قال أبو جعفر : وخالف في بعض هذه القصة محمد بن إسحاق والواقدي
جميعاً السدي ؛ حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
١٢٧٧/١ قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ
فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ؛ وذلك أن رسول
الله صلّى الله عليه وسلّم بعث سرية وكانوا سبعة نفر ؛ عليهم
عبد الله بن جحش الأسدي وفيهم عمّار بن ياسر ، وأبو حذيفة بن عتبة بن
ربيعه ، وسعد بن أبي وقاص ، وعُتْبَةُ بن غزوان السلمي حليف لبني
نوفل ، وسُهَيْل بن بيضاء ، وعامر بن فهيرة ، وواقد بن عبد الله
اليربوعي ؛ حليف لعمر بن الخطاب . وكتب مع ابن جحش كتاباً وأمره
ألا يقرأه حتى يتزل بطن ملأ ؛ فلما نزل بطن ملأ فتح الكتاب ؛
فإذا فيه : أن سِرَّ حتى تنزل بطن نخلة ؛ فقال لأصحابه : من كان يريد

(١) سورة البقرة ٢١٧ .

(٢) الشفق * الخوف والحذر .

(٣) الخبر إلى هنا في التفسير ٤ : ٣٠٢ - ٣٠٥ .

(٤) ابن هشام : « فآفداهما » .

(٥) ابن هشام ٢ : ٥٩ ، ٦٠ .

الموت فليَمُضْ وليُوصِرْ ؛ فإني مُوصٍ وماضٍ لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسار وتخلّف عنه سعد بن أبي وقاص وعُتْبَةُ بن غزوان ، أضلّا راحلة لهما ، فأتيا بُحْرانَ يطلبانِها ، وسار ابنُ جَحَشٍ إلى بطن نخلة ؛ فإذا هو بالحكم بن كَيْسَانَ ، وعبد الله بن المغيرة ، والمغيرة بن عثمان ، وعمرو بن الحضرمي ؛ فاقتتلوا ، فأسرُوا الحكم بن كَيْسَانَ وعبد الله بن المغيرة ، وانفلت (١) المغيرة ، وقُتِلَ عمرو بن الحضرمي ، قتله واقد بن عبد الله . فكانت أولَ غنيمةَ غنمِها أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم .

فلما رجعوا إلى المدينة بالأسيرين وما أصابوا من الأموال ؛ أراد أهل مكة أن يُفادوا الأسيرين ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حتّى ننظرَ ١٢٧٨/١ ما فعل صاحبانا ! فلما رجع سعد وصاحبه فادى بالأسيرين ، ففجّر (٢) عليه المشركون ، وقالوا : محمّد يزعم أنّه يتبع طاعة الله (٣) ، وهو أولُ من استحلّ الشهر الحرام ، وقتل صاحبنا في رجب ! فقال المسلمون : إنّما قتلناه في جمادى - وقيل في أول ليلة من رجب وآخر ليلة من جمادى - وغمّد (٤) المسلمون سيوفهم حين دخل رجب ؛ فأنزل الله عز وجل يُعَيِّرُ أهل مكة : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ . . . ﴾ الآية (٥) .

* * *

قال أبو جعفر : وقد قيل إنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان

(١) ح ، و : « وأفلت » .

(٢) و : « ففخر » .

(٣) م : « ربه » .

(٤) و : « أغمد » ؛ وغمد السيف وأغمده : أدخله في الغمد .

(٥) الخبر في التفسير ٤ : ٣٠٥ - ٣٠٦ .

انتدب^(١) لهذا المسير أبا عبيدة بن الجراح ، ثم بدا له^(٢) فيه ، فندب له عبد الله بن جحش .

• ذكر الخبر بذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ؛ حدثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، أنه حدثه رجل عن أبي السَّوَّار ؛ يحدثه عن جُنْدَب بن عبد الله ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه بعث رهطاً ، فبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح ؛ فلما أخذ لينطلق بكى صباية^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث رجلاً مكانه يقال له عبد الله بن جحش ، وكتب له كتاباً وأمره ألا يقرأ الكتاب حتى يبلغ كذا وكذا : « ولا تُكرِهَنَّ أحداً من أصحابك على السير^(٤) معك » . فلما قرأ الكتاب استرجع ، ثم قال : سمعاً وطاعة لأمر الله ورسوله ! فخبّرهم بالخبر ؛ وقرأ عليهم الكتاب ، فرجع رجلان ومضى بقيتهم ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ، ولم يدروا ذلك اليوم من^(٥) رَجَب أو من جُمادى ! فقال المشركون للمسلمين : فعلتم كذا وكذا في الشهر الحرام ! فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثوه الحديث ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ ، الفتنه هي الشرك .

وقال بعض الذين — أظنّه قال — : كانوا في السريّة : والله ما قتلك إلا واحداً ؛ فقال : إن يكن خيراً فقد وليت ، وإن يكن ذنباً فقد عملت^(٥) .

* * *

ذكر بقية ما كان في السنة الثانية من سني الهجرة

ومن ذلك ما كان من صرف الله عز وجل قبيلة المسلمين من الشام

(١) و : « ندب » .

(٢) بدا له في الأمر بدواً وبداه ؛ أى نشأ له فيه رأى آخر ؛ ومنه قولهم : « هو ذو بدوات » .

(٣) ر : « المسير » .

(٤) التفسير : « ولم يدروا ذلك اليوم أمن رجب أو من جمادى » .

(٥) كذا في م و التفسير ، وفي ط « علمت » والخبر في التفسير ٤ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

إلى الكعبة ، وذلك في السنة الثانية من مقدّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة في شعبان .

* * *

واختلف السلف من العلماء في الوقت الذي صُرِفَ (١) فيه من هذه السنة ؛ فقال بعضهم - وهم الجمهور الأعظم : صُرِفَ في النصف من شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدّم رسول الله صلّى الله عليه وسلم المدينة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عبّاس - وعن مِرّة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم : كان النَّاسُ يصلّون قبيل بيت المقدس ؛ فلما قدّم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم المدينة على رأس ثمانية عشر شهراً من مُهاجره ، كان (٢) إذا صلّى رفع رأسه إلى السماء ينظر ما يؤمر ، وكان يصلّي قبيل بيت المقدس ؛ فنسختها الكعبة ، وكان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم يحب أن يصلّي قبيل الكعبة ، فأنزل الله عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ (٣) ، الآية .

١٢٨٠/١

حدثنا ابنُ حمّيد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، قال : صُرِفَ القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهراً من مقدّم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة .

وحدّث عن ابن سعد ، عن الواقديّ مثل ذلك . وقال : صرِفَ القبلة في الظهر يوم الثلاثاء للنصف من شعبان .

* * *

(١) ح : « صرِفَ القبلة فيه » .

(٢) ط : « وكان » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) سورة البقرة ١٤٤ . والخبر في التفسير ٣ : ١٧٣ .

قال أبو جعفر : وقال آخرون : إنما صُرِفَت القبلة إلى الكعبة لسنة عشر شهراً مضت من سني الهجرة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا المثنى بن إبراهيم الأملي ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا همام بن يحيى ، قال : سمعت قتادة ، قال : كانوا يصلُّون نحو بيت المقدس ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم بمكةَ قبل الهجرة ، وبعد ما هاجر رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم صلَّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ، ثم وجهه بعد ذلك نحو الكعبة البيت الحرام ^(١) .

حدثني يونسُ بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابنُ وهب ، قال : سمعتُ ابنَ زيد يقول : استقبل النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم بيتَ المقدس ستة عشر شهراً ، فبلغه أن يهودَ تقول : والله ما درى محمدٌ وأصحابه أين قبلتهم حتى هديناهم ! فكرِهَ ذلك النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم ، ورفع وجهه إلى السماء ، فقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ ... ﴾ ^(٢) الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة فُرِضَ - فيما ذُكِرَ - صومُ رمضان . وقيل : إنَّه فُرِضَ في شعبان منها . وكان النبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم حين قدِمَ المدينة ، رأى يهودَ تصوم يومَ عاشوراء ؛ فسألهم فأخبروه أنَّه اليوم الذي غرَّقَ الله فيه آلَ فرعون ، ونَجَّى موسى ومن معه منهم ؛ فقال : نحنُ أحقُّ بموسى منهم . فصامَ وأمرَ النَّاسَ بصومه ، فلما فُرِضَ صوم شهر رمضان ، لم يأمرهم بصوم يوم عاشوراء ، ولم ينههم عنه .

(١) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، مع اختلاف في الرواية .

(٢) الخبر في التفسير ٢ : ٥٢٩ ، ٥٢٦ ، مع اختلاف في الرواية .

وفيها أمر الناس بإخراج زكاة الفطر . وقيل إنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلَّم خطب الناس قبل [يوم] ^(١) الفِطْرِ بيوم أو يومين ، وأمرهم بذلك . وفيها خرَجَ ^(٢) إلى المصَلَّى فصلَّى بهم صلاةَ العيد ؛ وكان ذلك أوَّلَ خُرُوجَةٍ خرجها بالنَّاس إلى المصَلَّى لصلاة العيد .

وفيها - فيما ذكر - حُمِلَت العَنَزَةُ ^(٣) له إلى المصَلَّى فصلَّى إليها ، وكانت للزبير بن العوام - كان النجاشيَّ وهبها له - فكانت تحمَلُ بين يديه في الأعياد ، وهى اليوم فيما بلغنى عند المؤذنين بالمدينة . وفيها كانت وقعة بدر الكبرى بين رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والكفار من قُرَيْش ؛ وذلك فى شهر رمضان منها .

* * *

ثم اختلفوا فى اليوم الذى فيه كانت الحرب بينه وبينهم ، فقال بعضهم : ١٢٨٢/١ كانت وقعة بدر يوم تسعة عشر من شهر رمضان .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن أبى إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن ابن مسعود ، قال : التمسوا ليلة القدر فى تسع عشرة ليلة من رمضان ؛ فإنها ليلة بدر .

حدثنا محمد بن عمار الأسدي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبى إسحاق ، عن حُجَيْرِ الثعلبي ، عن الأسود

(١) من ح .

(٢) ح : « خرج النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) فى شرح مواهب القسطلانى للزرقانى (٣ : ٤٣٧) : « العنزة ، بفتح المهملة والنون والزاي ، قال الحافظ : عصا أقصر من الرمح يقال لها سنان ؛ وقيل : هى الحربة القصيرة ، وفى رواية : عصا عليها زج . وفى طبقات ابن سعد أن النجاشي أهداها للنبي صلى الله عليه وسلم ... ، وروى أنها للزبير أخذها من شرك يوم أحد . ونقل عن ابن سيد الناس أن الزبير قدم بها من الحبشة » .

عن عبد الله ، قال : التمسوا ليلة القدر في تسع عشرة من رمضان ، فإن صبيحتها كانت صبيحة بدر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد بن محمد المحاربى ، قال : حدثنا ابنُ أبي الزناد ، عن أبيه ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد ، أنه كان لا يُحْيِي ليلةً من شهر رمضان كما يحيى ليلة تسع عشرة وثلاث وعشرين ، ويصبح وجهه مصفرًا من أثر السَّهَر ، فقل له ، فقال : إن الله عز وجل فرّق في صبيحتها بين الحقّ والباطل .

* * *

وقال آخرون : كانت يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابنُ المشي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعتُ أبا إسحاق يُحدث عن حُجَيْر ، عن الأسود وعلقمة ، أن^(١) عبد الله بن مسعود ، قال : التمسوها في سبع عشرة . وتلا هذه الآية : ﴿ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ ﴾^(٢) ، يوم بدر ، ثم قال : أو تسع عشرة ، أو إحدى وعشرين .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن الزبير بن عدي ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، عن عبد الله ، قال : كانت بدر صبيحة تسع عشرة من رمضان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابنُ سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر ، قال : حدثنا الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الأسود ، عن عبد الله مثله . قال الحارث : قال ابنُ سعد ، قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن

صالح ، فقال : هذا أعجب الأشياء ؛ ما ظننتُ أن أحداً من أهل الدنيا شكَّ^(١) في هذا ؛ إنها صبيحة سبع عشرة من رمضان^(٢) ، يوم الجمعة .

قال محمد بن صالح : سمعتُ عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن رومان ، يقولان ذلك . قال لي محمد بن صالح : يابنٌ أخى ، وما تحتاج إلى تسمية الرجال في هذا ! هذا أبينُ من ذلك^(٣) ؛ ما يجهل هذا النساء في بيوتهن .

قال الواقدي : فذكرته لعبد الرحمن بن أبي الزناد ، فقال : أخبرني أبي ، عن خارجة بن زيد ، عن زيد بن ثابت ، أنه كان يُحْيِي ليلةَ سبعِ عشرة من شهر رمضان ؛ وإن^(٤) كان ليُصْبِحَ وعلى^(٥) وجهه أثر السهر ، ويقول : فرق الله في صبيحتها بين الحقِّ والباطل ، وأعزَّ في صبيحتها^(٦) الإسلام ، وأنزل فيها القرآن^(٧) ، وأذلَّ فيها أئمةَ الكفر . ١٢٨٤/١

وكانت وقعة بدر يوم الجمعة . حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى ابن واضح ، قال : حدثني يحيى بن يعقوب أبو طالب ، عن أبي عَوْن محمد ابن عبيد الله الثقفي ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَميَّ عبد الله بن حبيب ، قال : قال قال الحسن بن علي بن أبي طالب : كانت ليلة الفُرْقان يوم التقى الجمعان ، لسبع عشرة من رمضان .

وكان الندى هاجَ وقعة بدر وسائر الحروب التي كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين مشركي قريش — فيما قال عُرْوَةُ بن الزُّبَيْر — ما كان من قَتْلِ واقد بن عبد الله التميمي عمرو بن الحضرمي .

(١) و : « يشك » .

(٢) و : « من شهر رمضان » .

(٣) و : « ذاك » .

(٤) ر : « وأنه » .

(٥) م : « على » .

(٦) ح ، ر : « صبيحتها » .

(٧) ر ، و : « الفرقان » .

ذكر وقعة بدر الكبرى

حدثنا علي بن نصر بن علي ، وعبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث — قال علي : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، وقال عبد الوارث : حدثني أبي — قال : حدثنا أبان العطار ، قال : حدثنا هشام بن عروة ، عن عروة ، أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : أما بعد ، فإنك كتبت إلى أبي سفيان ومخرجه ، تسألني كيف كان شأنه ؟ كان من شأنه أن أبا سفيان بن حرب أقبل من الشام في قريب من سبعين راكباً من قبائل قريش كلها ، كانوا ١٢٨٥/١ تجاراً بالشام ، فأقبلوا جميعاً معهم أموالهم وتجارهم ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛ وقد كانت الحرب بينهم قبل ذلك ، فقتلت قتلى ، وقتل ابن الحضرمي في ناس بنخللة ، وأسرت أسارى من قريش ؛ فيهم بعض بني المغيرة ، وفيهم ابن كيسان مولاهم ، أصابهم عبد الله بن جحش وواقد حليف بني عدى بن كعب ، في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثهم مع عبد الله بن جحش ، وكانت تلك الوقعة هاجت الحرب بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، وأول ما أصاب به بعضهم بعضاً من الحرب ، وذلك قبل مخرج أبي سفيان وأصحابه إلى الشام . ثم إن أبا سفيان أقبل بعد ذلك ومن معه من ركب قريش^(١) مقبلين من الشام ، فسلوكوا طريق الساحل ، فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه وحدثهم بما معهم من الأموال ، وبقلة عددهم ، فخرجوا لا يريدون إلا أبا سفيان والركب معه ؛ لا يرونها إلا غنيمة لهم ؛ لا يظنون أن يكون كبير قتال إذا لقوهم ، وهي التي أنزل الله عز وجل فيها : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾^(٢) .

فلما سمع أبو سفيان أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معترضون له^(٣) ،

(١) الركبان والركب : أصحاب الإبل في السفر . وفي م : « رؤساء قريش » .

(٢) سورة الأنفال ٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٣٩٩ .

(٣) ر ، و : « لهم » .

بعث إلى قريش : إنَّ محمدًا وأصحابه معترضون لكم ، فأجيزوا^(١) تجارتكم^(٢) . فلما أتى قريشًا الخبرُ - وفي غير أبي سفيان ؛ من بطون كعب ابن لؤي كلها - نفّر لها أهل مكة ؛ وهى نفرة بنى كعب بن لؤي ، ليس فيها من بنى عامر أحدٌ إلا من كان من بنى مالك بن حسل ؛ ولم يسمع بنفرة قريش رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ولا أصحابه ؛ حتى قدّم النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا - وكان طريق ركبان قريش ؛ من أخذ منهم طريق الساحل إلى الشام - فحفض^(٣) أبو سفيان عن بدر ، ولزم طريق الساحل ، وخاف الرصد^(٤) على بدر ، وسار النبي صلى الله عليه وسلم حتى عرس قريشًا من بدر ، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام في عصابة من أصحابه إلى ماء بدر ، وليسوا^(٥) يحسبون أن قريشًا خرجت لهم ، فبينما النبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ إذ ورد بعض روايا^(٦) قريش ماء بدر ، وفيمن ورد من الروايا غلام لبني الحجاج أسود ؛ فأخذه نفر الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الزبير إلى الماء ، وأفلت بعض أصحاب العبد نحو قريش ، فأقبلوا به حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في معرسته ، فسألوه عن أبي سفيان وأصحابه ؛ لا يحسبون إلا أنه معهم ، فطفق العبد يحدثهم عن قريش ومن خرج منها ، وعن رؤسهم ، ويصدقهم الخبر ؛ وهم أكره شيء إليهم الخبر الذى يخبرهم ؛ وإنما يطلبون حينئذ بالركب أبا سفيان وأصحابه ، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي ؛ يركع ويسجد يرى ويسمع ما يُصنع^(٧) بالعبد ، فطفقوا إذا ذكر لهم أنها قريش جاءتهم ، ضربوه وكذبوه ، وقالوا : إنما تكتمنا أبا سفيان وأصحابه ؛ فجعل العبد إذا

١٢٨٦/١

١٢٨٧/١

(١) و : « فأجيزوا » .

(٢) م : « فأخبروا تجارتكم » .

(٣) الحفض : السير اللين .

(٤) الرصد : المرتصدون المترقبون على الطريق .

(٥) و : « ليس » .

(٦) روايا : جمع راوية ، ويراد بالراوية هنا القوم يستقون الماء على الدواب .

(٧) م : « ما صنع » .

أَذْلَقُوهُ بِالضَرْبِ^(١) وسألوه عن أبي سفيان وأصحابه^(٢) - وليس له بهم علم؛ إنما هو من رَوَايا قريش - قال : نعم ، هذا^(٣) أبو سفيان ، والركب حينئذ أسفل منهم^(٤) ؛ قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ - حتى بلغ - ﴿ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾^(٥) ، فطفقوا إذا قال لهم العبد : هذه قريش قد أتتكم ضربه ، وإذا قال لهم : هذا أبو سفيان تركوه .

فلما رأى صنيعهم النبي صلى الله عليه وسلم انصرف من صلاته وقد سمع الذي أخبرهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والذي نفسى بيده ، إنكم لتضربونه إذا صدق ، وتركونه إذا كذب ! قالوا : فإنه يحدثنا أن قريشاً قد جاءت ، قال : فإنه قد صدق ؛ قد خرجت قريش تجير^(٦) ركبها ، فدعا الغلام فسأله فأخبره بقريش ، وقال : لا أعلم لي بأبي سفيان ، فسأله : كم القوم^(٧) ؟ فقال : لا أدري ؛ والله هم كثير عددهم^(٨) . فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ أَطْعَمَهُمْ^(٩) أَوَّلَ مَنِ أَمْسَ ؟ فسمي رجلاً أطعمهم ، فقال : كم جزائر نحر لهم^(١٠) ؟ قال : تسع جزائر ، قال : فمن أطعمهم أمس ؟ فسمي رجلاً ، فقال : كم نحر لهم ؟ قال : عشر جزائر ؛ فزعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : القوم ما بين التسعمائة إلى الألف . فكان نَفْرة^(١١) قريش يومئذ خمسين وتسعمائة .

١٢٨٨/١

(١) أذلقوه بالضرب : أضعفوه .

(٢) ساقط من ح ، م .

(٣) م : « هو » .

(٤) ر : « منكم » .

(٥) سورة الأنفال ٤٢ .

(٦) و : « تجيز » .

(٧) ح : « فسأله عن القوم » .

(٨) ر : « عدد كثير » .

(٩) ر : « أطعمكم » .

(١٠) و : « لكم » . والجزور : الناقة المجزورة ، والجمع جزائر .

(١١) النفرة والنفر والنفير : القوم ينفرون إلى القتال .

فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم فنزل الماء وملاً الحياض ، وصف عليها أصحابه ، حتى قدم عليه القوم . فلما ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدرأ قال : هذه مصارعهم ؛ فوجدوا النبي صلى الله عليه وسلم قد سبقهم إليه ونزل عليه . فلما طلعا^(١) عليه زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه قريش قد جاءت بجلستها^(٢) وفخرها ؛ تحادك^(٣) وتكذبُ رسولك ! اللهم إني أسألك ما وعدتني .

فلما أقبلوا استقبلهم ، فحثاً في وجوههم التراب ؛ فهزمهم الله . وكانوا قبل أن يلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاءهم راكب من أبي سفيان والركب الذين معه : أن ارجعوا^(٤) — والركب الذين يأمرهم قريشاً بالرجعة بالجحفة — فقالوا : والله لا نرجع حتى ننزل بدرأ ، فنقيم به^(٥) ثلاث ليال ، ويرانا ممن غشينا من أهل الحجاز ؛ فإنه لن يرانا أحد من العرب وما جمعنا فيقاتلنا . وهم الذين قال الله عز وجل : ﴿ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾^(٦) ؛ فالتقوا هم والنبي صلى الله عليه وسلم ، ففتح الله على رسوله ، وأخرى أئمة الكفر وشق صدور المسلمين منهم^(٧) .

حدثني هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، قال : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن حارثة ، عن علي عليه السلام ، قال : لما قدمنا المدينة أصبنا من ثمارها ، فاجتوينها ، وأصابنا بها وعك ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخبر عن بدر ؛ فلما بلغنا أن المشركين قد أقبلوا سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر — وبدر بئر — فسبقنا المشركين إليها ، فوجدنا فيها رجلين ، منهم رجل من

١٢٨٩/١

(١) و : « اطلعوا » .

(٢) ح ، و : « بجليتها » .

(٣) ر ، م : « تجادل » .

(٤) في التفسير : « إنا أجزنا القوم ، وأن ارجعوا » .

(٥) و ، والتفسير : « فيه » .

(٦) سورة الأنفال ٤٧ .

(٧) الخبر ورد مرفقاً في التفسير ١٣ : ٤٤٣ ، ٥٧٨ .

قريش ، ومولّى لعُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ ؛ فأما القرشيّ فأنفلت^(١) ، وأمّا مولى عُقْبَةَ فأخذناه ، فجعلنا نقول : كم القوم ؟ فيقول : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ؛ فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه ، حتى انتهوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : كم القوم ؟ فقال : هم والله كثير ، شديدٌ بأسهم ، فجهد النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يخبره كم هم ، فأبى . ثمّ إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله : كم ينحرون من الجُزُر ؟ فقال : عشرًا كل يوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : القوم ألف .

ثمّ إنه أصابنا من الليل طَشٌ^(٢) من المطر ، فانطلقنا تحت الشجر والحجف^(٣) نستظلُّ تحتها من المطر ، وبات رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربّه : اللهمّ إنّ تَهْلِكُ هذه العِصابة لا تُعْبَدَ في الأرض . فلما أن طلع الفجر نادى : الصلاة عباد الله ! فجاء الناس من تحت الشجر والحجف ، فصلى بنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وحرّض على القتال ، ثم قال : إنّ جمَعَ قريش عند هذه الضِّلعة^(٤) من الجبل . فلما أن دنا القوم منا وصافقناهم^(٥) ؛ إذا رجلٌ من القوم على جمل أحمر يسير في القوم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : يا على ، نادِ لي حمزة — وكان أقربهم إلى المشركين — : من صاحب الجمل الأحمر ؟ وماذا يقول لهم ؟ وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن يكن في القوم من يأمر بالخير ؛ فعسى أن يكون صاحب الجمل الأحمر ، فجاء حمزة ، فقال : هو عتبة بن ربيعة ؛ وهو ينهى عن القتال ، ويقول لهم : إني أرى قوماً مُستَمِيتين لا تصلون^(٦) إليهم وفيكم خير ؛ يا قوم اعصبوها اليوم برأسى ، وقولوا : جبن عتبة ابن ربيعة ؛ ولقد علمتم أنّي لست بأجبنكم .

١٢٩٠/١

(١) ر : « فأفلت » .

(٢) الطش : المطر الصيف فوق الرذاذ .

(٣) الحجف : ضرب من الترس ؛ واحتلتها حجلة ؛ وهى من الجلود خاصة .

(٤) الضلعة : الجانب .

(٥) صاف القوم غيرهم في القتال مصافة ، أى وقفوا مصطفين .

(٦) و : « لا يوصل إليهم » .

قال : فسمع أبو جهل فقال : أنت تقول هذا ! والله لو غيرك يقول هذا لعضضته^(١) ! لقد ملئت رثتُك وجوفك رُعبًا ، فقال عتبة : إيتاي تعير يامصفر^(٢) استه ! ستعلم اليوم أينما أجبن !

قال : فبرز عتبة بن ربيعة وأخوه شيبه بن ربيعة ، وابنه الوليد ، حمية ، فقالوا : من يبارز ؟ فخرج فتية من الأنصار ستة ، فقال عتبة : لا نريد هؤلاء ؛ ولكن يبارزنا من بنى عمنا من بنى عبد المطلب . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا علي قم ، يا حمزة قم ، يا عبيدة بن الحارث قم ، فقتل الله عتبة بن ربيعة وشيبه بن ربيعة والوليد بن عتبة ، وجرح عبيدة بن الحارث ؛ فقتلنا منهم سبعين ، وأسرونا منهم سبعين .

قال : فجاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيرًا ، فقال : يا رسول الله ؛ والله ما هذا أسرنى ، ولكن أسرنى رجل أجلح^(٣) من أحسن الناس وجهًا ، على فرس أبلق ، ما أراه فى القوم ، فقال الأنصارى : أنا أسرته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد آزرك الله بملك كريم . قال علي : فأسر من بنى عبد المطلب العباس وعقيل ونوفل بن الحارث .

حدثني جعفر بن محمد البرزورى ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة ، عن علي ، قال : لما أن كان يوم بدر ، وحضر البأس اتقينا برسول الله ، فكان من أشد الناس بأسًا ، وما كان منا أحد أقرب إلى العدو منه . ١٢٩١/١

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب^(٤) ، عن علي ، قال : سمعته

(١) ح : « لفصصته » .
 (٢) مصفر استه ، قال السهيلي : « إنما أراد مصفر بدنه ؛ ولكنه قصد المبالغة فى الذم ، فخص منه بالذكر ما يسوؤه أن يذكر » .
 (٣) الجلح : انحسار الشعر عن جانبي الرأس ، وفى ح : « أجلح الرأس » .
 (٤) و : « مصرف » .

يقول : ما كان فينا فارسٌ يوم بدر غير مِقْدَاد بن الأسود ؛ ولقد رأيتُنا وما فينا إلا نائمٌ ، إلا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قائمًا إلى شجرة يصلّي ، ويدعو حتى الصبح .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سمعَ بأبي سفيان بن حربٍ مقبلًا من الشام في عيرٍ لقريشٍ عظيمة ، فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم ؛ وفيها ثلاثون راكبًا من قريش — أو أربعون — منهم مخزّمة بن نوفل بن أهيّب بن عبد مناف بن زهرة ، وعمرو بن العاص بن وائل بن هشام ابن سعيّد بن سهم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن مسلم الزهريّ وعاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكرٍ ويزيد بن رومان ؛ عن عروة وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كلُّ قد حدثني بعض هذا الحديث ؛ فاجتمع حديثهم ١٢٩٢/١ فيما سَقَتُ من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلًا من الشام ، ندب المسلمين إليهم ، وقال : هذه عيرُ قريشٍ فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها ، لعلَّ الله أن ينفلِكموها ، فاندب الناس فخَفَّ بعضهم وثقل بعضهم ؛ وذلك أنهم لم يظنُّوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربًا ، وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسّس الأخبار ، ويسأل من لقي من الرُكبان تخوُّفًا على أموال الناس ؛ حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان ؛ أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعيرك . فحذر عند ذلك ، فاستأجر ضَمَضَم بن عمرو الغفاريّ ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدًا قد عرّض لها في أصحابه ،

فخرج ضمضم بن عمرو سريعاً إلى مكة^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابنُ إسحاق :
وحدثني مَنْ لا أَتَهُم ، عن عِكْرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ويزيد
ابن رومان ، عن عُرْوَة ، قال : وقد رأتُ عاتكةُ بنت عبد المطلب قبل قدوم
ضمضم مكة ثلاث ليال رؤيا أفزعتها ، فبعثتُ إلى أخيها العباس بن عبدالمطلب
فقالَت له : يا أخى ، والله لقد رأيتُ الليلة رؤيا لقد أفظعتنى^(٢) ، وتخوّفت
أن يدخلَ على قومك منها شرٌّ ومصيبة ، فاكْتُمْ على^(٣) ما أخذتُك [به]^(٤)
قال لها : وما رأيتِ ؟ قالت : رأيتُ راكباً أقبل على بعير له حتى وقف
بالأبطح . ثم صرخ بأعلى صوته : أن^(٥) انفروا يا آل غُدَرٍ^(٦) لمصارعكم في
ثلاث ! فأرى الناس^(٧) اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فيناهم
حولَه مشكَلَ به بعيره على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بأعلى صوته بمثلها : أن
انفروا يا آل غُدَرٍ لمصارعكم في ثلاث ! ثم مثل به بعيره على رأس
أبي قُبَيْسٍ ، فصرخ بمثلها ، ثم أخذَ صخرة فأرسلها ، فأقبلتْ تهوى حتى
إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت^(٨) فما بقى بيت من بيوت مكة ، ولا دارٌ من
دورها إلا دخلت منها فليقة .

١٢٩٣/١

قال العباس : والله إن هذه لرؤيا رأيتِ فاكْتُمِها ولا تذكرِها لأحد .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ .

(٢) أفظعتنى : اشتدت على .

(٣) ابن هشام : « اكْتُمْ عني » .

(٤) من سيرة ابن هشام .

(٥) ابن هشام : « ألا انفروا » .

(٦) كذا في ط ، بضم الغين وفتح الدال . وفي اللسان : « ورجل غادر وغدار وغدير وغدور ، وكذلك الأنثى بغير هاء ، وغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، وأكثر ما يستعمل هذا النداء في الشتم ، يقال : يا غدر ، وفي الحديث : « يا غدر ، ألسنت أسعى في غدرتك ! » ، ويقال في الجمع : يا لغدر (بضم الغين وفتح الدال) ، ومنه حديث عاتكة : يا لغدر يا الفجر ! » . وقال السهيلي : « هو بضم الغين والدال ، جمع غلور » .

(٧) في سيرة ابن هشام : « فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ؛

فيينا هم حوله ، مثل به بعيره . ومثل به : قام به » .

(٨) ارفضت : تفرقت .

ثم خرج العباس فلقى الوليد بن عتبة بن ربيعة - وكان له صديقاً - فذكرها له واستكتمه إياها ، فذكرها الوليد لأبيه عتبة ، ففشا الحديث ؛ حتى تحدثت به قريش [في أُنديتها] (١) .

قال العباس : فغدوت أطوف بالبيت وأبو جهل بن هشام في رهط من قريش قعودٌ يتحدثون برؤيا عاتكة ؛ فلما رآني أبو جهل ، قال : يا أبا الفضل ؛ إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . قال : فلما فرغت أقبلتُ إليه حتى جلست معهم ، فقال لي أبو جهل : يا بني عبد المطلب ؛ متى حدثتُ فيكم هذه النبئة ! قال : قلتُ : وما ذاك ؟ قال : الرؤيا التي رأت عاتكة ، قال : قلت : وما رأت ؟ قال : يا بني عبد المطلب ، أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم ، حتى تتنبأ نساؤكم ! قد زعمت عاتكة في رؤياها أنه قال : انفروا في ثلاث ، فسنتربص بكم هذه الثلاث ؛ فإن يكن ما قالت حقاً فسيكون ، وإن تمضِ الثلاث ولم يكن من ذلك شيء ؛ نكتب عليكم كتاباً أنكم أكذب أهل بيت في العرب .

قال العباس : فوالله ما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت ذلك وأنكرت أن تكون رأت شيئاً . قال : ثم تفرقنا ؛ فلما أمسيت لم تبق امرأة من بني عبد المطلب إلا أتتني ، فقالت : أقررت لهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ، ثم قد تناول النساء وأنت تسمع ؛ ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت ! قال : قلت : قد والله فعلت ؛ ما كان مني إليه من كبير ، وإيم الله لأتعرضن له ؛ فإن عاد لأكفينكموه (٢) .

قال : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة ، وأنا حديد مغضب ، أرى أن قد فاتني منه أمرٌ أحب أن أدركه منه .

قال : فدخلت المسجد فرأيت ؛ فوالله إنني لأمشي نحوه أتعرضه (٣) ليعود لبعض ما قال فأقع به - وكان رجلاً خفيفاً حديد الوجه ، حديد اللسان ،

(١) من سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام : « لأكفينكنه » .

(٣) ج : « أتعرض له » .

حديد النظر— إذْ خرج نحو باب المسجد يشتدّ. قال : قلتُ في نفسي : ما له لعنه الله ! أكلّ هذا فرقاً من أن أشاتمهُ ! قال : وإذا هو قد سمع ما لم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو الغفاريّ ، وهو يصرخ ببطن الوادي واقفاً على بعيره ، قد جدّع^(١) بعيره ، وحولّ رحلته ، وشقّ قميصه ، وهو يقول : يا معشر قريش ، اللطيمة اللطيمة^(٢) ! أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه ، لا أرى أن تدركوها ؛ الغوث الغوث !

قال : فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر . فتجهّز الناس سراعاً ، وقالوا : أيظنّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرميّ ! كلا والله ليعلمنّ غير ذلك . فكانوا بين رجلين : إمّا خارج ، وإمّا باعث مكانه رجلاً ، وأوعبت^(٣) قريش فلم يتخلف من أشرافها أحدٌ ؛ إلاّ أنّ أبا لبّ بن عبدالمطلب تخلف ، فبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ؛ وكان لاط له^(٤) بأربعة آلاف درهم كانت له عليه ، أفلس بها ، فاستأجره بها على أن يجزّي عنه بعثه ، فخرج عنه وتخلف أبو لبّ^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، أن أُمّية بن خلف كان قد أجمع القعود ، وكان شيخاً جليلاً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيط ، وهو جالس في المسجد بين ظهريّ قومه بمجمرة يحملها ، فيها نار ومجمر^(٦) ، حتى وضعها بين يديه ، ثم قال : يا أبا عليّ ، استجمر ؛ فإنما أنت من النساء ، قال : قبحك الله وقبح ما جئت به ! قال : ثم تجهّز ، فخرج مع الناس ، فلمّا فرغوا من جهازهم ، وأجمعوا السيّر ؛ ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب ، فقالوا : إنا نخشى أن يأتونا من خلفنا^(٧) .

١٢٩٦/١

(١) جدع بعيره : قطع أنفه .

(٢) اللطيمة : الإبل التي تحمل البز والطيب .

(٣) أوعب القوم : إذا خرجوا كلهم للغزو .

(٤) لاط له : أرى ، وفيح والأغاني : « لظ » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦١ ، ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧١ - ١٧٤ (طبعة الدار)

(٦) المجرم : المود يتخير به .

(٧) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٢ ، والأغاني ٤ : ١٧٤ ، ٢٧٥

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ،
وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، قال : لما أجمعت قريش
المسير ، ذكرت الذي بينها وبين بني بكر ، فكاد ذلك أن يشنّهم ، فتبدّى
لهم إبليس في صورة سُرّاقة بن جُعْثُم المَدْلُجِيّ - وكان من أشرف كنانة -
فقال : أنا جارٌ لكم من أن تأتيتكم كنانة بشيء تكرهونه . فخرجوا سراعاً ^(١) .

* * *

قال أبو جعفر : وخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن
غير ابن إسحاق - لثلاث ليال خلّون من شهر رمضان في ثلثمائة وبضعة
عشر رجلاً من أصحابه ، فاختلّف في مبلغ الزيادة على العشرة .
فقال بعضهم ، كانوا ثلثمائة وثلاثة عشر ^(٢) رجلاً .

١٢٩٧/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ^(٣) ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدّث أن أصحاب بدر يوم
بدر ^(٤) كعدّة أصحاب طالوت ، ثلثمائة رجل وثلاثة عشر رجلاً ؛ الذين
جاوَزُوا النهر ، فسكت ^(٥) .

حدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا أبو مالك الجنبّي ، عن
الحجاج ، عن الحكم ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : كان المهاجرون
يومَ بدر سبعة وسبعين رجلاً ؛ وكان الأنصار مائتين وستة وثلاثين رجلاً ،
وكان صاحبُ راية رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ بن أبي طالب عليه
السلام ، وصاحبُ راية الأنصار سعد بن عبّادة ^(٦) .

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، والأغاني ٤ : ١٧٥

(٢) و : « عشرين » .

(٣) كذا في ط ، و في م : « ابن إسحاق » ، والصواب ما في ط ، وأبو إسحاق من روى عن

البراء بن عازب . تهذيب التهذيب ١ : ٤٢٥ .

(٤) و : « أنهم كانوا » .

(٥) كذا في ط .

(٦) الأغاني ٤ : ١٧٥ .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة رجل وأربعة عشر ، من شهد منهم ، ومن ضُربَ بسهمه وأجره ؛ حدثنا بذلك ابنُ حُمَيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : كانوا ثلثمائة وثمانية عشر .

وقال آخرون : كانوا ثلثمائة وسبعة .

* * *

وأما عامة السلف ؛ فإنهم قالوا : كانوا ثلثمائة رجل وبضعة عشر رجلا .

• ذكر من قال ذلك :

١٢٩٨/١

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيري ، قالا : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أنّ عدّة أصحاب بدر على عدّة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر — ولم يَجْزُ^(١) معه إلاّ مؤمن — ثلثمائة وبضعة عشر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : كنّا نتحدث أنّ أصحاب النبيّ صلتى الله عليه وسلم كانوا يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلا ، على عدّة أصحاب طالوت ؛ مَنْ جاز معه النهر ؛ وما جاز معه إلاّ مؤمن .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ؛ عن سُفيان ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، بنحوه .

حدثنا إسماعيل بن إسرائيل الرَّمْلِيّ ، قال : حدثنا عبد الله بن محمد ابن المغيرة ، عن ميسر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، قال : عدّة أهل بدر عدّة أصحاب طالوت .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا مسعر ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر : أنتم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت ، وكان أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : خلاص طالوت في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ؛ عدة أصحاب بدر .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : كان مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، وجعل على الساقة ^(١) قيس بن أبي صغصعة أخا بني مازن بن النجار ، في ليال مضت من شهر رمضان ؛ فسار حتى إذا كان قريباً من الصفراء ، بعث بسبب بن عمرو الجهني ، حليف بني ساعدة وعدى بن أبي الزغباء الجهني حليف بني النجار إلى بدر ، يتحسنان ^(٢) له الأخبار عن أبي سفيان بن حرب وعيره ؛ ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قدماهما ؛ فلما استقبل الصفراء - وهي قرية بين جبلين - سأل عن جبلينهما : ما أسماؤهما ؟ فقالوا لأحدهما : هذا مسليح ؛ وقالوا للآخر : هذا مخري ؛ وسأل عن أهلها ، فقالوا : بنو النار وبنو حراق (بطنان من بني غفار) ، فكرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرور بينهما ،

(١) ساقة الجيش : مؤخرته .

(٢) ابن هشام والأغاني : « يتحسنان » ، والتجسس والتحسس : تطلب الأخبار والبحث عنها .

وتفأل (١) بأسمائهما وأسماء أهاليهما ؛ فتركهما والصَّفراء (٢) بيسار ، وسلك ذات اليمين على واد يقال له ذَفِران ؛ فخرج منه حتى إذا كان ببعضه نزل .

وأناه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمْنَعُوا عِيْرَهُمْ ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس ، وأخبرهم عن قُريش ، فقام أبو بكر رضي الله عنه ، فقال فأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو ، فقال : يا رسول الله ، امض لما أمرك الله ، فحنُّ معك ؛ والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (٣) ؛ ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون . فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد - يعنى مدينة الحبشة - لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه . فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيراً ، ودعاً له بخير (٤) .

* * *

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أبو يحيى ، قال : حدثنا المخارق ، عن طارق ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : ١٣٠١/١ لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلى مما فى الأرض من شيء ؛ كان رجلاً فارساً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غضب احمرت وجنتاه ؛ فأناه المقداد على تلك الحال (٥) ، فقال : أبشر يا رسول الله ؛ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ ، ولكن والذي بعثك بالحق لنكونن من بين يديك ومن خلفك ، وعن يمينك وعن شمالك ، أو يفتح الله لك (٦) .

* * *

(١) الفأل فى الأصل ، ضد الطيرة ؛ وينقل إلى ما يكون صالحاً تجوزاً . وفى الحديث : « ويعجبني الفأل الصالح » ، قال فى اللسان : « وهذا يدل على أن الفأل منه ما يكون صالحاً ، ومنه ما يكون غير صالح » .

(٢) فى بعض النسخ : « الصفراء » . (٣) سورة المائدة ٢٤ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٣ ، ٦٤ ، والأغانى ٤ : ١٧٦ ، ١٧٧ .

(٥) ج ، م : « ذلك الحال » . (٦) الأغانى ٤ : ١٧٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا على أيها الناس — وإنما يريد الأنصار ؛ وذلك أنهم كانوا عدد الناس ؛ وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة ، قالوا : يا رسول الله ؛ إنا برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمامنا ؛ نمنعك مما تمنع منه أبناءنا ونساءنا ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصرتهم ؛ إلا ممن دهمته بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم — فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ! قال : أجل ، قال : فقد آمنا بك وصدقتك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا ؛ على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ؛ فوالذي بعثك بالحق ، إن استعرضت^(١) بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ؛ ما تخلف منا رجل واحد ؛ وما نكرو أن تلقى بنا عدونا غداً ! إنا لصبر عند الحرب ، صدق عند اللقاء ؛ لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله .

فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله ، وأبشروا ؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين ؛ والله لكأنني الآن أنظر إلى مصارع القوم .

ثم ارتحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذفران ، فسلك على ثنايا يقال لها الأصافر^(٢) ، ثم انحط منها على بلد يقال لها الدبة ، وترك الحنّان بيمين ؛ — وهو كتيب عظيم كالجليل — ثم نزل قريباً من بدر ، فركب هو ورجل من أصحابه — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن يحيى بن حبان — حتى وقف على شيخ من العرب^(٣) ؛ فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه ، وما بلغه عنهم ، فقال

(١) استعرض البحر : أتاه من جانبه عرضاً . (٢) في بعض النسخ : « الصفراء » .

(٣) قال ابن هشام : « يقال ذلك الشيخ سفيان الضمري » .

الشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني مِمَّنْ أنتم ! فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إذا أخبرتنا أخبرناك ؛ فقال : وذلك بذلك ! قال : نعم ، قال الشيخ : فإنه بلغني أن محمدًا وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا ، فإن كان صدقني الذي أخبرني فهو اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — وبلغني أن قريشًا خرجوا يوم كذا وكذا ؛ فإن كان الذي حدثني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا — للمكان الذي به قريش — فلما فرغ من خبره ، قال : مِمَّنْ أنتم ؟ فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : نحن من ماء ؛ ثم انصرف عنه . قال يقول الشيخ : « ما من ماء » ، أمِنْ ماءِ العراق ^(١) !

ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ؛ فلما أمسى بعث على ابن أبي طالب والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص ، في نفرٍ من أصحابه إلى ماء بدرٍ يلتمسون له الخبر عليه — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، كما حدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير — فأصابوا راويةً لقريش فيها أسلم ؛ غلام بنى الحجاج ، وعريض أبو يسار ، غلام بنى العاص بن سعيد ؛ فأتوا بهما رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلي ؛ فسألهما ، فقالا : نحن سقاة قريش ؛ بعثونا لنسقيهم من الماء ، فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان ؛ فضربوهما ، فلما أذلقوهما قالوا : نحن لأبي سفيان ، فتركوهما ، وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد سجدتين ، ثم سلم ، فقال : إذا صدقاكم ضربتموهما ، وإذا كذباكم تركتموهما ! صدقًا والله ! إنهما لقريش ؛ أخبراني : أين ^(٢) قريش ؟ قالوا : هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى — والكتيب : العَقَنَقْل — فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لهما : كم القوم ؟ قالوا : كثيرٌ ، قال : ما عدتهم ؟ قال : لا ندرى ، قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالوا : يومًا تسعًا ويومًا عشرًا ، قال رسول

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغانى ٤ : ١٧٨ ، ١٧٩

(٢) سيرة ابن هشام : « عن قريش » .

الله صلى الله عليه وسلم : القوم ما بين التسعمائة والألف . ثم قال لهما رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم : فَمَنْ فِيهِمْ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ؟ قال : عِثْبَةُ بْنُ
رَبِيعَةَ ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ ، وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ بْنُ هِشَامٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ،
وَنُوفَلُ بْنُ خُوَيْلِدٍ ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نُوفَلٍ ، وَطُعَيْمَةُ بْنُ عَدِيٍّ بْنِ
نُوفَلٍ ، وَالنَّضَرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلَدَةَ ، وَزَمْعَةُ بْنُ الْأَسَدِ ، وَأَبُو جَهْلٍ
ابْنُ هِشَامٍ ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلْفٍ وَنُبَيْهَ ، وَمُنْبَهَةُ ابْنَةُ الْحِجَاجِ ، وَسُهَيْلُ بْنُ عَمْرِو ،
وَعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وَدٍّ . فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ :
هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أُلْقِيَ إِلَيْكُمْ أَفْلَاحٌ^(١) كَبِدِهَا .

قالوا : وقد كان بَسْبَسُ بْنُ عَمْرِو وَعَدِيُّ بْنُ أَبِي الرَّغْبَاءِ مَضِيًّا حَتَّى
نَزَلَا بِدْرًا ، فَأَنَاخَا إِلَى تَلٍّ قَرِيبٍ مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ أَخَذَا شَنًّا^(٢) يَسْتَقِيَانِ فِيهِ -
وَمَجْدِيُّ بْنُ عَمْرِو الْجَهَنِّيُّ عَلَى الْمَاءِ - فَسَمِعَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ جَارَيْتَيْنِ مِنْ
جَوَارِي الْحَاضِرِ^(٣) ، وَهُمَا تَتَلَاذِمَانِ^(٤) عَلَى الْمَاءِ ، وَالْمَلْزُومَةُ^(٥) تَقُولُ لِمَا حَبَّتْهَا :
إِنَّمَا تَأْتِي الْعَيْرُ غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، فَأَعْمَلَ لَهُمْ ثُمَّ أَقْضَيْكَ الَّذِي لَكَ . قَالَ :
مَجْدِيُّ : صَدَقَتْ ، ثُمَّ خَلَصَ بَيْنَهُمَا ، وَسَمِعَ ذَلِكَ عَدِيٌّ وَبَسْبَسُ ، فَجَلَسَا
عَلَى بَعِيرَيْهِمَا ، ثُمَّ انْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَاهُ
بِمَا سَمِعَا .

وَأَقْبَلَ أَبُو سَفْيَانَ قَدْ تَقَدَّمَ الْعَيْرَ حَذِرًا حَتَّى وَرَدَ الْمَاءَ ، فَقَالَ لِمَجْدِيِّ بْنِ
عَمْرِو : هَلْ أَحْسَسْتِ أَحَدًا ؟ قَالَ : مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَنْكَرُهُ ؛ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ
رَاكِبِينَ أَنَاخَا إِلَى هَذَا التَّلِّ ، ثُمَّ اسْتَقِيَا فِي شَنٍّ لُهُمَا ؛ ثُمَّ انْطَلَقَا . فَأَتَى أَبُو سَفْيَانَ
مَنَاخَهُمَا ، فَأَخَذَ مِنْ أُبْعَارِ بَعِيرَيْهِمَا فَفَتَّهَ ؛ فَإِذَا فِيهِ نَوَى^(٦) . فَقَالَ : هَذِهِ وَاللَّهِ
عَلَائِفُ يَشْرَبُ ! فَرَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ سَرِيعًا ، فَضَرَبَ وَجْهَ عَيْرِهِ عَنِ الطَّرِيقِ ، فَسَاحَلَ

(١) الأفلاذ : القطع .

(٢) الشن : الرق البالي .

(٣) الحاضر : القوم النازلون على الماء .

(٤) التلازم : تملق الغريم بغريمه .

(٥) الملزومة : المدينة .

(٦) ابن هشام : « النوى » .

بها^(١) ، وترك بدراناً يساراً ، ثم انطلق حتى أسرع .

وأقبلت قريش ، فلما نزلوا الجحفة رأى جهيمُ بن الصلت بن مخرمة ابن المطلب بن عبد مناف رؤيا ؛ فقال : إني رأيتُ فيما يرى النائم ، وإنني لبين النائم واليقظان ، إذْ نظرتُ إلى رجل أقبل على فرسٍ حتى وقف ومعه بعيرٌ له ، ثم قال : قُتِلَ عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأميمة بن خلف ، وفلان وفلان ؛ فعَدَدَ رجالاً ممن قتل يومئذ من أشرف قريش ؛ ورأيتُه ضرب في لبّةٍ بعيره ، ثم أرسله في العسكر ، فما بقي خبياء من أخبية العسكر . إلا أصابه نَضْحُ^(٢) من دمه .

قال : فبلغتُ أبا جهل ، فقال : وهذا أيضاً نبيٌّ آخرٌ من بني المطلب ؛ سيَعْلَمُ غداً مَنْ المقتول إن نحن التقينا !

ولما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عيره ، أرسل إلى قريش : إنكم إنما خرجتم لتمنعوا غيركم ورجالكم وأموالكم ؛ فقد نجاها الله ، فارجعوا . فقال أبو جهل ابن هشام : والله لا نرجع حتى نردَ بدراناً - وكان بدرٌ موسماً من مواسم العرب ، تجتمع لهم بها سوقٌ كلَّ عام - فنقيم عليه ثلاثاً ، وننحرَ الجُزُرَ ، ونُطْعِمُ الطعام ، ونسقي الحُمور ، وتُعزِفَ علينا القيّان ، وتسمع بنا العرب ؛ فلا يزالون يهابوننا أبداً ؛ فامضوا . فقال الأخنسُ بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي - وكان حليفاً لبني زُهرة وهم بالجحفة : يا بني زُهرة ؛ قد نجى الله لكم أموالكم ، وخلّص لكم صاحبكم مخرمة بن نوفل ؛ وإنما نفرتم لتمنعوه وماله ، فاجعلوا بي جُبْنَهَا وارجعوا ، فإنه لا حاجةَ بكم في أن تخرجوا في غير ضيعة ؛ لا ما يقول هذا - يعني أبا جهل - فرجعوا ؛ فلم يشهدوها زهريٌّ واحدٌ ؛ وكان فيهم مطاعاً . ولم يكن بقي من قريش بطن إلا نفّر منهم ناس ، إلا بني عدي بن كعب ، لم يخرج منهم رجلٌ واحدٌ ، فرجعت بنو زُهرة مع الأخنس بن شريق ، فلم يشهد بدراناً من هاتين القبيلتين أحدٌ . ومضى القوم .

(١) ساحل بها ، أى أخذ بها طريق الساحل .

(٢) نضح ، أى طلع .

قال : وقد كان بين طالب بن أبي طالب - وكان في القوم - وبين ١٣٠٨/١
بعض قريش مُحَاوَرَةً^(١) ، فقالوا : والله لقد عَرَفْنَا يا بني هاشم - وإن^(٢)
خرجتم معنا - أن هواكم مع محمد . فرجع طالب إلى مكة فيمن^(٣) رجع .

* * *

قال أبو جعفر : وأما ابن الكلبي ؛ فإنه قال فيما حَدَّثْتُ عنه : شَخَصَ
طَالِبُ بن أبي طالب إلى بدر مع المشركين ، أخرج كرهًا . فلم يوجد في
الأسرى ولا في القتلى ، ولم يرجع إلى أهله ، وكان شاعرًا ؛ وهو الذي يقول :
يَا رَبُّ إِمَّا يَغْزُونَ طَالِبَ^(٤) فِي مِقْنَبٍ مِنْ هَذِهِ الْمَقَانِبِ^(٥)
فَلْيَكُنِ الْمَسْلُوبَ غَيْرَ السَّالِبِ وَلْيَكُنِ الْمَغْلُوبَ غَيْرَ الْغَالِبِ^(٦)

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : ومضت قريش حتى نزلوا
بالْعُدْوَةِ الْقُصُوصَى من الوادي ؛ خلف الْعَقَنْقَلِ ، وبطن الوادي وهو
يَتَلَيَّلُ ، بين بدر وبين الْعَقَنْقَلِ ؛ الكثيب الذي خلفه قريش ، وَالْقَلْبُ^(٧)
يبدر في الْعُدْوَةِ الدُّنْيَا من بطن يَتَلَيَّلُ إلى المدينة ، وبعث الله السماء ، وكان
الوادي دَهْسًا^(٨) ، فأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه منها
ما لَبَدَّ لَهُمُ الْأَرْضَ ؛ ولم يمنعهم المسير ، وأصاب قريشًا منها ما لم يقدرُوا على
أن يرتحلوا معه ؛ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبَادِرُهُم إلى الماء ؛
١٣٠٩/١ حتى إذا جاء أدنى ماء من بدر نزل به^(٩) .

(١) ح : « مجاورة » . (٢) م : « إن » .

(٣) و : « مع من رجع » . (٤) ابن هشام : « لا هم » .

(٥) ابن هشام : « في عصابة تخالف محارب » ؛ والمقنب : الجماعة من الخيل ؛ مقدار
ثلاثمائة أو نحوها .

(٦) قال ابن هشام : قوله : « فليكن المسلوب » ، وقوله : « وليكن المغلوب » ، عن غير
واحد من الرواة للشعر .

(٧) القلب : جمع قليب ، وهو البئر .

(٨) الدهس : كل مكان لين لم يبلغ أن يكون رملا .

(٩) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٤ ، ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٧٨ ، ١٨٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن رجال من بني سلمة ؛ أنهم ذكروا أن الحُبَاب ابن المنذر بن الجموح ، قال : يا رسول الله ، أرايت هذا المنزل ، أمتزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخره ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال : بلى هو الرأي والحرب والمكيدة ؛ فقال : يا رسول الله ، فإن هذا ليس لك بمتزل ، فانهمض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فتزله ، ثم نغور^(٢) ما سواه من القلب ، ثم نبني عليه حوضاً فتملؤه ماء ، ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أشرت بالرأى . فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس ، فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم ؛ فتزل عليه ، ثم أمر بالقلب فعُورَت ، وبني حوضاً على القلب الذي نزل عليه فلىء ماء ، ثم قذفوا فيه الآنية^(٣) . ١٣١٠/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن سعد بن معاذ قال : يا رسول الله ، نبينى لك عريشاً من جريد فتكون فيه ، ونُعدُّ عندك ركائبك ، ثم نلقى عدونا ؛ فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا^(٤) كان ذلك مما^(٥) أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك ، فلحققت بمن وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ، ما نحن بأشدَّ حباً لك منهم ؛ ولو ظنوا أنك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك . يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه^(٦) خيراً ، ودعا له بخير .

(١) م : « منزل » .

(٢) عور العين ؛ إذا دفنها ، وفي ابن هشام : « نغور » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٥ ، والأغاني ٤ : ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٤) ح : « عليه » .

(٥) ابن هشام : « ما أحببنا » .

(٦) ر : « عليهم » .

ثم بُني لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشٌ ، فكان فيه ؛ وقد ارتحلت قريش حين أصبحت ، فأقبلتْ ، فلمّا رآها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم تصوّب^(١) من العَقَنَقْل - وهو الكُثيب الذي منه جاءوا إلى الوادي - قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تُحَادُثُكَ وتُكَذِّبُ رسولَكَ ؛ اللهم فنصرَكَ الذي وعدتني ؛ اللهم فأحْنِهِمْ^(٢) الغَدَاة !

وقد قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - ورأى عتبة بن ربيعة في القوم ، على جمل له أحمر : إن يكنْ عندَ أحدٍ من القوم خيرٌ ؛ فعند صاحب الجمل ١٣١١/١ الأحمر ؛ إن يُطِيعوه يَرْشُدُوا . وقد كان خُفَاف بن إِيْمَاء بن رَحَضَةَ الغِفَارِي - أو أبوه إِيْمَاء بن رَحَضَةَ - بعث إلى قريش حين مرّوا به ابنًا له يِجْزَائِر^(٣) أهداها لهم ، وقال : إن أحببتم أن أُمِدَّكم بسلام ورجال فَعَلْنَا ؛ فأرسلوا إليه مع ابنه : أنْ وصَلْتُكَ الرَّحْم^(٤) ! فقد قضيت الذي عليك ؛ فلَعَمْرِي لئن كنّا لِنُقاتِلَ الناس ؛ ما بنا ضعفٌ عنهم ؛ ولئن كنّا نقاتل الله - كما يزعم محمد - فما لأحد بالله من طاقة .

فلَمّا نزل الناس ، أقبل نفر من قريش ؛ حتى وردوا حوضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم حَكِيم بن حِزَام ، على فرس له ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوهم ؛ فما شرب منهم رجل إلا قُتِلَ يومئذ ؛ إلا ما كان من حَكِيم بن حِزَام ، فإنه لم يُقْتَل^(٥) ؛ نجا على فرس له يقال له الوجيه ، وأسلم بعد ذلك ؛ فحسن إسلامه ؛ فكان إذا اجتهد في يمينه قال : لا والذي نجّاني ١٣١٢/١ يوم بدر^(٦) !

حدَّثنا ابنُ حُمَيْد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق :

(١) التصوب : الانتذار من علو .

(٢) أحْنِهِمْ : أهلكهم .

(٣) الجزائر : الذبائح ؛ واحدا جزور .

(٤) ابن هشام : « رحم » .

(٥ - ٥) ابن هشام : « فإنه لم يقتل ، ثم أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، والأغاني ٤ : ١٨٤ ، ١٨٥ .

وحدثني إسحاق بن يسار وغيره من أهل العلم ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا : لما اطمأنّ القوم ، بعثوا عُثَيْرَ بْنَ وَهَبِ الْجُمَحِيِّ ، فقالوا : احزُرْ^(١) لنا أصحابَ محمد ، قال : فاستجال بفرسه حول العسكر ، ثم رجع إليهم ، فقال : ثلثمائة رجل ، يزيدون قليلا أو ينقصون^(٢) ؛ ولكن أمهلوني حتى أنظر ؛ ألقوم كمين أم مدد ؟ قال : فضرب في الوادي ؛ حتى أبعد فلم ير شيئا ، فرجع إليهم ، فقال : ما رأيت شيئا ، ولكني قد رأيتُ - يا معشرَ قريش - الولايا^(٣) تحمل المنايا ، نواضح^(٤) يثرب تحمل الموت الناقع ؛ قوم ليس لهم^(٥) منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم ؛ والله ما أرى [أن]^(٦) يقتل رجل منهم حتى يُقتل رجل منكم ؛ فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خيرُ العيش بعد ذلك ! فَرَوْا رَأْيَكُمْ .

فلما سمع حكيم بن حزام ذلك ، مشى في الناس^(٧) ، فأتى عتبة بن ربيعة ، فقال : يا أبا الوليد ؛ إنك كبيرُ قريش الليلة وسيدها ، والمطاع فيها ؛ هل لك ألا تزال^(٨) تذكر منها^(٩) بخير إلى آخر الدهر ! قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس ، وتحمل دمَ حليفك عمرو بن الحضرمي ! قال : قد فعلت ، أنت على بذلك ؛ إنما هو حليفي فعلى عَقْلِهِ ، وما أصيب من ماله ؛ فأت ابن الحنظلية^(١٠) ؛ فأنتى لأخشى أن يشجر^(١١) أمر الناس غيره -

١٣١٣/١

(١) الحزر : التخمين .

(٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « ينقصونه » .

(٣) الولايا : جمع ولية : وهي البرذعة التي تكون تحت الرجل ؛ وفي ابن هشام : « البلايا » .

(٤) النواضح : الإبل التي يستقى عليها الماء . ، ثم استعمل في كل بئر ولو لم يحمل الماء .

(٥) ح ، م ، ابن هشام : « معهم » .

(٦) تكملة من ابن هشام .

(٧) خ : « القوم » .

(٨) ابن هشام : « إلى أن » .

(٩) ابن هشام « فيها » .

(١٠) في ابن هشام : « والحنظلية أم أبي جهل ؛ وهي أسماء بنت مخربة ، أحد بنى نهمل

ابن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم » .

(١١) يشجر ؛ من الشجار ؛ وهو المخالفة والمخاصمة .

يعنى أبا جهل بن هشام^(١)

حدثنا الزبير بن بكار، قال : حدثنا عثامة^(٢) بن عمرو السهمي، قال :
حدثني مسور بن عبد الملك اليربوعي، عن أبيه، عن سعيد بن المسيب،
قال : بينما نحن عند مروان بن الحكم، إذ دخل حاجبه، فقال : هذا
أبو خالد حكيم بن حزام، قال : إئذن له، فلمّا دخل حكيم بن حزام،
قال : مرحباً بك يا أبا خالد ! ادنُ، فحال له مروان عن صدر المجلس،
حتى كان بينه وبين الوسادة، ثمّ استقبله مروان، فقال : حدثنا حديث بدر،
قال : خرجنا حتى إذا نزلنا الجحفة رجعت قبيلة من قبائل قريش بأسرها،
فلم يشهد أحدٌ من مشركيهم بدرًا. ثمّ خرجنا حتى نزلنا العدو التي ذكرها^(٣) ١٣١٤/١
الله عزّ وجلّ، فجئت عتبة بن ربيعة، فقلت : يا أبا الوليد، هل لك أن
تذهب بشرف هذا اليوم ما بقيت؟ قال : أفعل ماذا؟ قلت : إنكم لا تطالبون
من محمد إلا دم ابن الحضرمي، وهو حليفك، فتحمل ديتته وترجع
بالناس. فقال : أنت وذاك، وأنا أتحمل بديتته، واذهب إلى ابن الحنظليّة
— يعنى أبا جهل — فقل له : هل لك أن ترجع اليوم بمنّ معك عن ابن عمك؟
فجئته فإذا هو في جماعة من بين يديه ومن ورائه، وإذا ابن الحضرمي واقف
على رأسه، وهو يقول : قد فسخت عقدي من عبد شمس، وعقدي إلى
بنى مخزوم. فقلت له : يقول لك عتبة بن ربيعة : هل لك أن ترجع اليوم
عن ابن عمك بمنّ معك؟ قال : أما وجد رسولاً غيرك ! قلت : لا، ولم أكن
لأكون رسولاً لغيره. قال حكيم : فخرجت مبادراً إلى عتبة، لئلا ينفوتني
من الخبر شيء، وعتبة متّكئ على إيماء بن رخصة الغفاري، وقد أهدي
إلى المشركين عشر جزائر، فطلع أبو جهل والشر في وجهه، فقال لعتبة : انتفخ
سحرُك ! فقال له عتبة : ستعلم ! فسلب أبو جهل سيفه، فضرب به من
فرسه، فقال إيماء بن رخصة : بشس الفأل^(٤) هذا ! فعند ذلك قامت الحرب^(٥).

* * *

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٦ ، ٦٧ ، والأغاني ٤ : ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٢) ط : « عثامة » ، وانظر الفهرس . (٣) كذا في و ، وفي ط : « قال » .

(٤) الأغاني : « المقام » . (٥) الخبر في الأغاني ٤ : ١٨٦ ، ١٨٧ .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ثم قام عتبة بن ربيعة خطيباً ، فقال : يا معشر قريش ، إنكم والله ما تصنعون بأن تلتقوا محمداً وأصحابه شيئاً ، والله لئن أصبتموه لا يزال رجلٌ ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه ، قتل ابن عمه أو ابن خاله أو رجلاً من عشيرته ؛ فارجعوا وخلّوا بين محمد وبين سائر العرب ؛ فإن أصابوه فذاك الذي أردتم ، وإن كان غير ذلك ألفاكم ولم تعرّضوا^(١) منه ما تريدون . قال حكيم : فانطلقت أومُّ أبا جهل ؛ فوجدته قد نثّل^(٢) درعاً له من جرابها ؛ فهو يهيتها^(٣) . فقلت : يا أبا الحكم ، إن عتبة قد أرسلني إليك بكذا وكذا - للذي قال - فقال : انتفخ والله سحره^(٤) حين رأى محمداً وأصحابه ؛ كلاً والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه ، وما بعثه ما قال ؛ ولكنه قد رأى محمداً وأصحابه أكلت جزور ؛ وفيهم ابنه فقد تخوفكم عليه . ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي ، فقال له : هذا حليفك ، يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثأرك بعينك ، فقم فانشد خفرتك^(٥) ومقتل أخيك . فقام عامر بن الحضرمي فاكتشف ثم صرخ : واعمره ! واعمره ! فحميت الحرب ، وحقب^(٦) أمر الناس ؛ واستوسقوا^(٧) على ما هم عليه من الشر ، وأفسد على الناس الرأي الذي دعاهم إليه عتبة بن ربيعة .

١٣١٦/١

فلما بلغ عتبة بن ربيعة قول أبي جهل : « انتفخ سحره » ، قال : سيعلم المصفر أمته من انتفخ سحره ، أنا أم هو ! ثم التمس بيضة يدخلها في رأسه فما وجد في الجيش بيضة تسعته من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجّر^(٨) على رأسه بيرد له .

(١) الأغاني : « ولم تعدوا » .

(٢) نثّل : أخرج .

(٣) ابن هشام : « يهتها » ؛ أي يطلبها بمكر الزيت .

(٤) انتفخ سحره ؛ أي رثته ؛ يقال ذلك للجبان .

(٥) انشد خفرتك ؛ أي اطلب من قريش الوفاء بخفرتهم لك ، أي عهدهم ؛ لأنه كان

حليفاً لهم وجاراً .

(٦) حقب أمرهم : اشتد .

(٧) استوسقوا : اجتمع أمرهم .

(٨) الاعتجّر : لف العمامة على الرأس .

وقد خرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي - وكان رجلاً شرساً سيئاً الخلق - فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهني منه أولاموتن^(١) . فلما خرج خرج له حمزة بن عبد المطلب ، فلما التقيا ضربه حمزة ، فأطن^(٢) قدمه بنصف ساقه ، وهو دون الحوض ، فوقع على ظهره تشخب^(٣) .
رجله دماً نحو أصحابه ، ثم حبساً إلى الحوض حتى اقتحم فيه ، يريد ١٣١٧/١ - زعم - أن يُبرئ يمينه ، واتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض .

ثم خرج بعده عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبه بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ، حتى إذا فصل من الصف دعاً إلى المبارزة ، فخرج إليه فتية من الأنصار ثلاثة نفر منهم : عوف ومعوذ ابنا الحارث - وأمهما عفراء - ورجل آخر يقال له عبد الله بن رواحة ، فقال : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار . فقالوا : ما لنا بكم حاجة ! ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفأنا من قومنا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم يا حمزة بن عبد المطلب ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي بن أبي طالب ، فلما قاموا ودنوا منهم ، قالوا : من أنتم ؟ قال عبيدة : عبيدة ، وقال حمزة : حمزة ، وقال علي : علي ، قالوا : نعم أكفأ كرام ! فبارز عبيدة بن الحارث - وكان أسن القوم - عتبة بن ربيعة ، وبارز حمزة شيبه بن ربيعة ، وبارز علي الوليد بن عتبة ، فأما حمزة فلم يمهل شيبه أن قتله ، وأما علي فلم يمهل الوليد أن قتله ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما بضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه^(٤) ، وكرر حمزة وعلي^(٥) ١٣١٨/١ بأسياهما على عتبة ، فذففا^(٦) عليه فقتلاه ، واحتملا صاحبهما عبيدة فجاءا به^(٧) إلى أصحابه ، وقد قطعت رجله ، فحشها يسيل ، فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألسن شهيداً يا رسول الله ! قال :

(١) أطن : اطار .

(٢) تشخب : يسيل منها الدم بصوت .

(٣) أثبت صاحبه : جرحه جراحة لم يقم معها .

(٤) ذففا عليه : أسرعا لقتله .

(٥) ابن هشام : « فحازاه » .

بلى ، فقال عبيدة : لو كان أبو طالب حياً لعلم أنى أحق بما قال منه حيث يقول :

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نَصْرَعَ حَوْلَهُ ^(١) وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَاوَا الْحَلَالِ ^(٢) ۞

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عتبة بن ربيعة قال للفتية من الأنصار حين انتسبوا : أكفاء كرام ، إنما نريد قومنا ، ثم تراحف الناس ؛ ودنا بعضهم من بعض ، وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ألا يحملوا حتى يأمرهم ؛ وقال : إن اكتنقكم القوم فانضحوهم ^(٣) عنكم بالنبل ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش معه أبو بكر .

قال أبو جعفر : وكانت وقعة بدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان ، كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ؛ كما حدثني أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين . وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني حبان بن واسع بن حبان بن واسع ، عن أشياخ من قومه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدل صفوف أصحابه يوم بدر ، وفي يده قدح ^(٥) يعدل به القوم ، فرت بسواد ^(٦) بن غزيرة ، حليف بني عدى بن النجار ، وهو مستنبل ^(٧) من الصف ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم في بطنه بالقدح ، وقال : استنبل يا سواد بن غزيرة ؛ قال : يا رسول الله أوجعتني وقد بعثك الله بالحق ، فأقذني ^(٨) . قال : فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه ثم قال : استنبل ، قال : فاعتنقه وقبل بطنه ، فقال : ماحملك

(١) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٧ ، ٦٨ ، وهو أيضاً في الأغاني ٤ : ١٨٧-١٩٠

(٢) م : « دونه » .

(٣) النضح بالنبل : الرمي به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، والأغاني ٤ : ١٩٠ .

(٥) القدح : السهم .

(٦) كذا في ط ، وقال ابن هشام : يقال « سواد » ، مثقلة ، وسواد في الأنصار غير هذا مخفف .

(٧) مستنبل : متقدم . قال ابن هشام : يقال : « مستنبل » .

(٨) أقذني : أى اقتص لي من نفسك .

على هذا يا سَوَاد ؟ فقال : يا رسولَ الله ، حضرَ ما ترى فلم آمن القتل .
فأردتُ أن يكونَ آخرَ العهد بك أن يمَسَّ جلدِي جلدَكَ . فدعا له رسول الله
صلَّى الله عليه وسلم بخير ، وقال له خيراً .

ثم عدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم الصَّوْفَ ، ورجع إلى العريش ،
ودخله ، ومعه فيه أبو بكر ليس معه فيه غيره ، ورسولُ الله صلى الله عليه
وسلم يناشد ربَّه ما وعده من النَّصر، ويقول فيما يقول : اللهمَّ إنك إن تهْلِك
هذه العصابة اليوم - يعنى المسلمين - لا تُعْبَد بعد اليوم ، وأبو بكر يقول :
يا نبيَّ الله ، بعض مناشدتك ربَّك ! ، فإن الله عزَّ وجلَّ منجزٌ لك ما وعدك ^(١) . ١٣٢٠/١

فحدثني محمد بن عبيد المحاربي ، قال : حدثنا عبدُ الله بن المبارك ،
عن عكرمة بن عَمَّار ، قال : حدثني سَمَّاك الحنفي ، قال : سمعتُ ابنَ عباس
يقول : حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر ، ونظر رسولُ
الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين وعِدَّتْهم ، ونظر إلى أصحابه نيِّفًا على
ثلثائة ، استقبل القبلة ، فجعل يدعو ، يقول : اللهمَّ أنجزْ لي ما وعدتني ،
اللهمَّ إن تهْلِك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ؛ فلم
يزل كذلك حتى سقط رداؤه ، فأخذ أبو بكر فوضع رداءه عليه ، ثم التزمه
من ورائه ، ثم قال : كفاك يا نبيَّ الله ، بأبي وأنت وأمي ، مناشدتك ربَّك ؛ فإنه
سينجز لك ما وعدك ! فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ
فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ^(٢) .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا الثَّقَفِيُّ - يعنى عيد الوهاب - عن
خالد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم ، قال
وهو في قبته يوم بدر : اللهمَّ إني أسألك عهدك ووعدك ؛ اللهمَّ إن شئت
لم تُعْبَدَ بَعْدَ اليوم !

(١) سيرة ابن هشام ٦٨ ، ٦٩ ، والأغانى ٤ : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الأنفال ٩ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٤٠٩ ، والأغانى ٤ : ١٩١ ، ١٩٢ .

قال : فأخذ أبو بكر بيده ، فقال : حسبك يا نبي الله ، فقد ألححت على ربك - وهو في الدرع - فخرج وهو يقول : ﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُؤَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾ . بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذَى وَأَمْرٌ ^(١) .

* * *

١٣٢١/١ رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : وقد خَفَقَ ^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقةً وهو في العريش ؛ ثم انتبه ، فقال : يا أبا بكر ، أذاك نصرُ الله ، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده ، على ثناباه النقع ^(٣) . قال : وقد رُمِيَ مِهْجَعٌ مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل ؛ فكان أولَ قَتِيلٍ من المسلمين ، ثم رُمِيَ حارثة بن سُرَاقَة ، أحد بني عدى بن النجار وهو يشرب من الحوض فقتل . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرَّضَهُمْ ، ونَقَلَ كُلَّ امرئٍ منهم ما أصاب ، وقال : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَقَاتِلُهُمُ الْيَوْمَ رَجُلٌ فَيَقْتُلُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ ؛ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ . فقال عَمِيرُ بْنُ الْحَمَامِ ، أخو بني سلمة ، وفي يده تَمَرَاتٌ يَأْكُلُهُنَّ : بَخْ بَخْ ^(٤) ، فإني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ! ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قُتِلَ ^(٥) وهو يقول :

رَكُضًا إِلَى اللَّهِ بَغِيرَ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
* غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ *

١٣٢٢/١ حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أَنَّ عَوْفَ بْنَ الْحَارِثِ - وهو ابن

(١) سورة القمر ٤٥ ، ٤٦ . والخبر في الأغاني ٤ : ١٩٢

(٢) خفق : نام نومًا خفيفًا .

(٣) النقع : التراب .

(٤) يخ ، بكسر الخاء وإسكانها ؛ كلمة تقول للإعجاب .

(٥) الخبر إلى هنا في سيرة ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ ، وهو أيضًا في الأغاني ٤ : ١٩٢ ، ١٩٣

عفراء - قال : يا رسول الله ، ما يُضْحِكُ^(١) الربَّ من عبده ؟ قال : غَمَسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِرًا . ففزع دُرْعًا كانت عليه ، ففقدفها ؛ ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتِلَ^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق . وحدثني محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَيْرِ العُدْرِيّ ، حليف بنى زُهْرَةَ ، قال : لما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قال أبو جهل : اللهم أَقْطَعْ عَنَّا لِيلَ الرَّحْمِ ، وَآتَانَا بِمَا لَا يُعْرَفُ ؛ فَأَحْنِهِ^(٣) الغداة ، فكان هو المستفتح^(٤) على نفسه .

ثم إنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أخذ حَفْنَةً مِنَ الْحَصْبَاءِ ، فاستقبل بها قريشًا ، ثم قال : شأهت الوجوه ! ثم نَفَحَهُمْ بها ، وقال لأصحابه : شَدُّوا ، فكانت الهزيمة ، فقتل الله مَنْ قَتَلَ مِنْ صناديد قريش ، وأَسِرَ مَنْ أَسِرَ منهم . فلما وضع القوم أيديهم يأسرون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش ، وسعد بن معاذ قائم على باب العريش الذى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، متوشحًا بالسيف ، فى نفر من الأنصار يجرسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخافون عليه كَرَّةَ الْعَدُوِّ ، ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لى - فى وجه سعد بن معاذ الكَرَاهِيَةَ لِمَا يصنع الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكأنك يا سعد تكره ما يصنع الناس !
قال : أجلْ والله يا رسول الله ! كانت أوّل وقعة أوقعها الله بالمشرّكين ؛ فكان الإِثْخَانُ فى القتل أعجبَ إلىَّ من استبقاء الرجال^(٥) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبّد ، عن بعض أهله ، عن ابن عباس ،

(١) ما يضحك ربك ، أى ما يرضيه غاية الرضا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٦٨ ، ٦٩ . (٣) أحنه : أهلكه .

(٤) يريد أنه حكم على نفسه بهذا الدعاء ، وانظر اللسان (فتح) .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠٩ ، والأغاني ٤ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يومئذ : إني قد عرفت أن رجالاً من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهًا ، لا حاجة لهم بقتالنا ، فمن لقي منكم أحداً من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام بن الحارث بن أسد فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب عم رسول الله فلا يقتله ؛ فإنه إنما أخرج مستكرهًا .

قال : فقال أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة : أنقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وعشيرتنا ، ونترك العباس ! والله لئن لقيته لألحمته^(١) السيف . فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل يقول لعمر بن الخطاب : يا أبا حفص ، أما تسمع إلى قول أبي حذيفة ، يقول : أضرب وجه عم رسول الله بالسيف ! فقال عمر : يا رسول الله ، دعني فلا أضرب^(٢) عنقه بالسيف ؛ فوالله لقد نافق .

قال^(٣) عمر : والله إنه لأوّل يوم كنتاني فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي حفص — ١٣٢٤/١

قال : فكان أبو حذيفة يقول : ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلت يومئذ ، ولا أزال منها خائفًا إلا أن تكفرها عني الشهادة . فقُتِل يوم اليمامة شهيداً . قال : وإنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أبي البختري ؛ لأنه كان أكفّ القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، كان لا يؤذيه ولا يبلغه عنه شيء يكرهه ؛ وكان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبت قريش على بني هاشم وبني المطلب ، فلقيه المُجَذَّر بن زياد البكوي ، حليف الأنصار من بني عدي ، فقال المجذّر بن زياد لأبي البختري : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهى عن قتلك — ومع أبي البختري زميل^(٤) له خرج معه من مكة ، وهو جُنادة بن مُلَيْحَة بنت زُهَيْر بن الحارث بن أسد ، وجُنادة رجل من بني لَيْث . واسم أبي البختري العاص بن هشام

(١) لألحمته ، أي لأطعن لحمه بالسيف ولأخالطه . وقال ابن هشام : « ويقال : لألحمته بالسيف » ، أي لأضربه به في وجهه .

(٢) و : « فلا أضرب » ، وكذلك في ابن هشام .

(٣) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « فقال » .

(٤) الزميل : الذي يركب مع صاحبه على بعير واحد .

ابن الحارث بن أسد - قال : وزميلي ؟ فقال : المجذّر : لا والله ما نحن بتاركى زميلك ؛ ما أمرنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلاّ بك وحدك ، قال : لا والله إذاً ، لأموتنّ أنا وهو جميعاً ؛ لاتحدّث عنّي نساء قريش من أهل مكة أننى تركتُ زميلي حِرْصاً على الحياة . فقال أبو البخترى حين نازله المجذّر ، وأبى إلاّ القتال ، وهو يرتجز :

لَنْ يُسْلِمَ ابْنُ حُرَّةٍ أَكِيلَهُ حَتَّى يَمُوتَ أَوْ يَرَى سَبِيلَهُ
فاقتتلا ، فقتله المجذّر بن ذِياد .

قال : ثم أتى المجذّر بن ذِياد رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لقد جَهِدْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَأْسِرَ فَأَتَيْكَ بِهِ ؛ فَأَبَى إِلَّا الْقِتَالَ ، فقاتلته فقتلته^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، قال . وحدّثنى أيضاً عبد الله بن أبي بكر ، وغيرهما ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : كان أميّة بن خلف لي صديقاً بمكة - وكان اسمي عبد عمرو ، فسميتُ حين أسلمتُ : « عبد الرحمن » ، ونحن بمكة - قال : فكان يلقاني ونحن بمكة ، فيقول : يا عبد عمرو ، أرغبتُ عن اسم سمّاكَه أبوك ؟ فأقول . نعم ، فيقول : فإنّني لا أعرف « الرحمن » ؛ فاجعل بيني وبينك شيئاً أدعوك به ؛ أما أنت فلا تجيئني باسمك الأوّل ، وأمّا أنا فلا أدعوك بما لا أعرف . قال : فكان إذا دعاني : « يا عبد عمرو » ، لم أجبه ، فقلت : اجعل بيني وبينك يا أبا عليّ ما شئت ، قال : فأنت « عبد الإله » ، فقلت : نعم ، فكنت إذا مررت به قال : يا عبد الإله ، فأجيبه ، فأحدّث معه ؛ حتّى إذا كان يومٌ بدر ، مررت به وهو واقف مع ابنه عليّ بن أميّة ، آخذاً بيده ، ومعى أذراعٌ قد استلبتها ، فأنا أحملها . فلمّا رآني^(٢) قال : يا عبد عمرو ! فلم أجبه ،

١٣٢٦/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٩ ، ١٧ ، والأغانى ٤ : ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) م : « رأى ذلك » .

فقال : يا عبد الإله ، قلت : نعم ، قال : هل لك فيّ ، فأنا خير لك من هذه الأذراع التي معك ؟ قال : قلت : نعم ، هلمّ إذا^(١) . قال : فطرح الأذراع من يدي وأخذت بيده ويد ابنه عليّ ، وهو يقول : ما رأيتُ كالיום قطّ ! أما لكم حاجة في اللبن !^(٢) قال : ثم خرجت أمشي بهما^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عون ، عن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن ابن عوف ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن بن عوف ، قال : قال لي أمية بن خلف وأنا بينه وبين ابنه ، آخذٌ بأيديهما : يا عبد الإله ، من الرجل منكم ، المعلم بريشة نعامة في صدره ؟ قال : قلت : ذاك حمزة بن عبد المطلب ، قال : ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل ! قال عبد الرحمن : فوالله إنني لأقودهما إذ رآه بلال معي - وكان هو الذي يعذب بلالا بمكة على أن يترك الإسلام فيخرجهُ إلى رمضاء^(٤) مكة إذا حميت ، فيضجعه على ظهره ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول : لاتزالُ هكذا حتى تفارق دين محمد ، فيقول بلال : أحدٌ أحدٌ - فقال بلال حين رآه : رأس الكفر أمية ابن خلف ، لا نجوتُ إن نجوتُ^(٥) ؛ قال : قلت : أي بلال ، أسيرى^(٦) ! قال : لا نجوتُ إن نجوا . قال : قلت : تسمع^(٧) يا ابن السوداء ! قال : لانجوتُ إن نجوا ، ثم صرخ بأعلى صوته : يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية ابن خلف ، لانجوتُ إن نجا ! قال : فأحاطوا بنا ، ثم جعلونا في مثل المسكة^(٨)

١٣٢٧/١

(١) ابن هشام : « ها الله ذا » ، وها تنبيه ، وذا إشارة إلى نفسه .

(٢) قال ابن هشام : « يريد باللبن ، أن من أسرف اقتديت منه بإبل كثيرة اللبن » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ ، ٧١ ، والأغاني ١٤ : ١٩٦ ، ١٩٧ .

(٤) الرمضاء : الرمل الحار من الشمس .

(٥) في ابن هشام : « لا نجوت إن نجا » .

(٦) ابن هشام : « أبأ سيري » .

(٧) ابن هشام : « اتسمع » والتسمع : التشهير .

(٨) في مثل المسكة ، أي جعلونا في حلقة كالسوار وأحذقوا بنا .

وأنا أذُبُّ عنه^(١)؛ قال : فضرب رجلٌ ابنه فوقع . قال : وصاح أميَّة صبيحة ما سمعت بمثلها قط . قال : قلت : انجُ بنفسك ، ولا نجاء ؛ فوالله ما أغني عنك شيئاً . قال : فهبرُوهما^(٢) بأسيا فهم حتى فرغوا منهما .

قال : فكان عبد الرحمن يقول : رحم الله بلالا ! ذهبت أذراعى وفجعنى بأسيرى^(٣) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدّثنى عبدُ الله بن أبي بكر ، أنّه حدّث عن ابن عبّاس ، أن ابن عباس ، قال : حدّثنى رجلٌ من بني غِفَار ، قال : أقبلتُ أنا وابنُ عمّ لي حتى أضعدنا في جبل يُشرف بنا على بدر ، ونحن مشرّكان ، ننتظر الوقعة على مَنْ تكون الدّبرة ، فنتهب مع من ينتهب . قال : فبينما نحن في الجبل ؛ إذ دنت مِنّا سحابة ، فسمعنا فيها حَمَحَمَة الخيل ، فسمعت قائلاً : ١٣٢٨/١ يقول : أقدمُ حَيَزُوم^(٤) . قال : فأما ابن عمّتي فأنكشف قِناعُ قلبه فمات مكانه ؛ وأما أنا فكدتُ أهلك ، ثم تماسكت^(٥) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدّثنى أبي إسحاق بن يسار ، عن رجال من بني مازن بن النّجار ، عن أبي داود المازنيّ - وكان شهد بدرا - قال : إني لأتبعُ رجلاً من المشركين يوم بدر لأضربه ، إذ وقع رأسه قبل أن يصلَ إليه سيفي ، فعرفت أن قد قتله غيري .

حدّثنى عبدُ الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصريّ ، قال : حدّثنا يحيى بن بُكير^(٦) ، قال : حدّثنا محمد بن يحيى الإسكندرانيّ عن العلاء بن

(١) في ابن هشام بعدها : « قال : فأخلف رجل السيف » ؛ ويقال : أخلف الرجل السيف ، إذا سلّه من غمده .

(٢) هبروها : قطعوها . (٣) سيرة ابن هشام ٧١ : ٢ ، والأغاني ٤ : ١٩٧ ، ١٩٨

(٤) قال أبو ذر الحثني . « قال ابن سراج : أقدم ، كلمة تزجر بها الخيل ، وحيزوم

اسم فرس جبريل عليه السلام ، ويقال فيه : جيرون » .

(٥) ابن هشام ٧١ : ٢ ، والأغاني ٤ : ١٩٨ .

(٦) هو يحيى بن عبد الله بن بكير .

كثير ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزومة ، عن أبي أمامة ابن سهل بن حنيف ، قال : قال لى أبى : يا بُنى ، لقد رأيتنا يوم بدر ، وإنَّ أحدنا ليشيرُ بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثنى الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم مولى عبد الله بن الحارث ، عن عبد الله بن عباس ، قال : كانت سيماء الملائكة يوم بدر عمام بيضاً قد أرسلوها في ظهورهم ، ويوم حنين عمام حمراً ، ولم تقاتل الملائكة في يوم من الأيام سوى يوم بدر . وكانوا يكونون فيما سواه من الأيام عددًا ومددًا لا يضربون ^(٢) .

١٣٢٩/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : وحدثنى ثور بن زيد مولى بنى الدليل ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : وحدثنى عبد الله بن أبي بكر ، قال : كان معاذ بن عمرو بن الجموح أخو بنى سلمة يقول : لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، أمر بأبى جهل أن يلتمس في القتلى ، وقال : اللهم لا يعجزتك ، قال : فكان أول من لقى أبا جهل معاذ بن عمرو بن الجموح ، قال : سمعت القوم وأبو جهل في مثل الحرجة ^(٣) وهم يقولون : أبو الحكم لا يُخلّص إليه . فلما سمعتها جعلته من شأني ، فصمدت نحوه ، فلما أمكنتى حملت عليه فضربته ضربة أطنت ^(٤) قدمه بنصف ساقه ؛ فوالله ما شبّهتها حين طاحت إلا النواة تطيح ^(٥) من تحت مِرْضَخَة ^(٦) النوى حين يُضرب بها .

١٣٣٠/١

(١) الأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٢) ابن هشام ٢ : ٢٨٦ ، والأغاني ٤ : ١٩٩ .

(٣) قال ابن هشام : « الحرجة الشجر الملتف ؛ وفي الحديث ، عن عمر بن الخطاب أنه سأل عن الحرجة فقال : هي شجرة من الأشجار لا يوصل إليها » .

(٤) أطنت قدمه : أطارتها .

(٥) تطيح : تذهب .

(٦) المِرْضَخَة : التي يدق بها النوى للعلف .

قال : وضربني ابنه عِكْرْمَة على عاتقي ؛ فطرح يدي ، فتعلقت بجلدة من جنبي ، وأجهضني ^(١) القتال عنه ؛ فلقد قاتلت عامة يومي ، وإني لأسحبها خلفي ؛ فلما آدَتْنِي جعلت عليها رجلي ، ثم تَمَطَّيْتُ بها ، حتى طرحتها .

قال : ثم عاش مُعَاذ بعد ذلك ، حتى كان في زمن عثمان بن عفان . قال : ثم مرّ بأبي جهل - وهو عقير ^(٢) - مُعَوِّذ بن عفراء ، فضربه حتى أثبتته ^(٣) ؛ فتركه وبه رمق ؛ وقاتل معوّذ حتى قُتِل ، فمرّ عبد الله بن مسعود بأبي جهل حين أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلْتَمَس في القتلى ، وقد قال لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم - فيما بلغني : انظروا إن خفيَ عليكم في القتلى إلى أثر جُرح بركبته ؛ فإنّي ازدحمت أنا وهو يوماً على مأدبة لعبد الله ابن جُدعان ؛ ونحن غلامان ؛ وكنت أشفّ منه بيسير ؛ فدفعته ، فوقع على ركبتيه ، فَجَحَّشَ ^(٤) في إحداهما جَحْشًا لم يزل أثره فيه بعد . قال عبد الله بن مسعود : فوجدته بآخر رَمَقٍ ، فعرفته ، فوضعت رجلي على عنقه . قال : وقد كان ضَبَّثَ ^(٥) بي مرة بمكة ، فأذاني ولكزني . ثم قلت : هل أخزأك الله يا عدوّ الله ! قال : وبما ذا أخزاني ! أعمدُ من رجل قَتَلْتُمُوهُ ^(٦) ! ١٣٣١/١ أخبرني لمن الدبّرة ؟ [اليوم] ^(٧) قال : قلت : لله ولرسوله ^(٨) .

حدّثنا ابنُ حُميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، عن محمد بن إسحاق : وزعم رجال من بني مخزوم أن ابن مسعود ، كان يقول : قال لي أبو جهل : لقد ارتقيت يا رُوَيْعَى الغنم مرتقى صعباً ! ثم احتزرت رأسه ؛ ثم جئت به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فقلت : يا رسول الله ، هذا رأس عدوّ الله

(١) أجهضني : غلبني واشتد على . (٢) العقير : المجروح .

(٣) أثبتته : جرحه جراحة لا يتحرك معها .

(٤) جحش : خدش .

(٥) ضبث ، قال ابن هشام : « قبض عليه ولزمه » .

(٦) يقال : أعمد من رجل قتله قومه ، أي أعجب ، قال أبو عبيد : معناه هل زاد على سيد قتله قومه ! أي أن هذا ليس بعار . (٧) من الأغاني . (٨) سيرة ابن هشام ٧١: ٢ ، والأغاني ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

أبى جهل ، قال : فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : آله الذى لا إله غيره^(١) ! — وكانت يمينُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم — قال : قلتُ : نعم ؛ والله الذى لا إله غيره ، ثم ألقيتُ رأسه بين يدي رسولِ الله صلى الله عليه وسلّم . قال : فحمد الله^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما أمرَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالقتل أن يُطرحوا في القليب^(٣) طُرحوا فيه ؛ إلا ما كان من أمية بن خلف ؛ فإنه انتفخ في درعه حتى ملأها ، فذهبوا ليحرقوه ، فتزائل^(٤) فأقروه ، وألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة ، فلما ألقاهم في القليب ، وقف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عليهم ، فقال : يا أهلَ القليب ، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ! فإني وجدتُ ما وعدني ربي حقاً . فقال له أصحابه : يا رسولَ الله ، أتكلّم قوماً موتى ! قال : لقد علموا أن ما وعدتهم حق ، قالت عائشة : والناس يقولون : «لقد سمعوا ما قلت لهم» ، وإنما قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : «لقد علموا»^(٥) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق . قال : وحدثني حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : سمع أصحاب رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وهو يقول من جوف الليل : يا أهلَ القليب ، يا عتبة بن ربيعة ، يا شيبه بن ربيعة ، يا أمية بن خلف ، يا أبى جهل بن هشام — فعدّد مَنْ كان معهم في القليب : هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً ؛ فإني قد وجدتُ ما وعدني

(١) قال السبيل : « الله الذى لا إله إلا هو » ، هو بالخفض عند سيبويه وغيره ؛ لأن الاستفهام عوض عن الخافض عنده .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٢ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ .

(٣) القليب : البئر .

(٤) تزائل : تفرق .

(٥) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغانى ٤ : ٢٠١ ، ٢٠٢ .

ربِّي حقًّا ! قال : المسلمون : يا رسولَ الله ؛ أتنادى قومًا قد جَيَّفُوا^(١) ! فقال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ؛ ولكنَّهم لا يستطيعون أن يجيبوني^(٢) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني بعضُ أهلِ العلم ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم قال هذه المقالة : قال : يا أهلَ القَلْبِيب ، بئسَ عشيرةُ النِّبِيِّ كنتم لنبيِّكم ! كذَّبتموني وصدَّقني الناس ، وأخرجتموني وآوَى النَّاس ، وقاتلتموني ونصرني الناس . ثم قال : هل وجدتم ما وعدكم ربُّكم حقًّا ؟ للمقالة التي قال . قال : ولما أمر بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يُلقَوْا في القَلْبِيب ، أخذ عتبة بن ربيعة ١٣٣٢/١ فسحب إلى القَلْبِيب ، فنظر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - فيما بلغني - في وجه أبي حذيفة بن عتبة ؛ فإذا هو كئيب قد تغيَّر ، فقال : يا أبا حذيفة ؛ لعلَّكَ دخلكَ مِن شَأْنِ أبيكَ شيء ! - أو كما قال صَلَّى الله عليه وسلَّم - فقال : لا والله يا نبيَّ الله ، ما شككتُ في أبي ولا في مصرعه ؛ ولكنِّي كنتُ أعْرِف من أبي رأيًا وحِلْمًا وفضلًا ؛ فكنتُ أرجو أن يهديه ذلك إلى الإسلام ؛ فلما رأيتُ ما أصابه ، وذكرت ما مات عليه من الكفر بعد الذي كنتُ أرجو له ، حَزَنَنِي ذلك ، قال : فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم له بخير ، وقال له خيرًا .

ثم إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم أمر بما في العسكر ممَّا جَمَعَ الناس فجَمَعَ ؛ فاختلف المسلمون فيه ، فقال مَن جُمِعَ : هولنا ؛ قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نَفَل كلَّ امرئٍ ما أصاب ، فقال الذين كانوا يقاتلون العدوَّ ويطلبونهم : لولا نحن ما أصبتموه ، لنحن شغلنا القوم عنكم حتى أصبتم ما أصبتم . فقال الذين يحرسون رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم مخافة أن يخالف إليه العدوَّ : والله ما أنتم بأحقَّ به منَّا ؛ لقد رأينا أن نقتل العدوَّ إذْ ولَّانا الله ، ومنحنا أكتافهم ؛ ولقد رأينا أن نأخذ المتاع

(١) جيفوا : أى صاروا جيفًا .

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٤ ، والأغاني ٤ : ٢٠٢ .

حين لم يكن دونه مَنْ يَمْنَعُهُ ؛ ولكن خَفْنَا على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم كَرَّةَ العدوِّ ، فقمنا دونه ؛ فما أنتم بأحقَّ به منَّا (١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
 ١٣٣٤/١ وحدَّثني عبد الرحمن بن الحارث وغيره من أصحابنا ، عن سليمان بن موسى الأشدق ، عن مكحول ، عن أبي أمامة الباهلي ، قال : سألت عبادة بن الصَّامت عن الأنفال ، فقال : فينا معشر أصحاب بدر نزلت ؛ حين اختلفنا في النَّفْلِ ، وساءت فيه أخلاقنا ، فترعه الله من أيدينا ، فجعله إلى رسوله ، فقسَّمه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بين المسلمين عن يَمَافٍ — يقول على السَّواء — فكان في ذلك تقوى الله ، وطاعة رسوله ، وصلاح ذات البين .

قال : ثمَّ بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عند الفتح عبدَ الله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية بما فتح الله على رسوله صَلَّى الله عليه وسلم وعلى المسلمين ، وبعث زيد بن حارثة إلى أهل السافلة .

قال أسامة بن زيد : فأتانا الخبر حين سَوَّينا التراب على رِقِيَّة بنت رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم التي كانت عند عثمان بن عفان ، كان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم خلفني عليها مع عثمان .

قال : ثمَّ قدم زيد بن حارثة فجثته وهو واقف بالمصلَّى قد غَشِيَهُ الناس وهو يقول : قَتِلَ عَتْبَةُ بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو جهل بن هشام ، وزَمْعَةُ بن الأسود ، وأبو البَخَرِيِّ بن هشام ، وأمِيَّة بن خلف ونبیه ومنبیه ابنا الحجاج . قال : قلت : يا أباهُ أَحَقُّ هذا ! قال : نعم والله يا بُنَيَّ .
 ثم أقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قافلاً إلى المدينة ؛ فاحتمل معه النَّفْلَ الذي أصيب من المشركين ، وجعل على النَّفْلِ عبد الله بن كعب بن زيد ابن عوف بن مَبْذُول بن عمرو بن مازن بن النَّجَّار . ثمَّ أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا خرج من مَضِيقِ الصَّفَرَاء ، نزل على كَثِيب بين المَضِيق وبين النازية — يقال له سَيَر — إلى سَرَحَةٍ به ، فقسَّم هنالك النَّفْلَ

١٣٣٥/١

الَّذِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى السَّوَاءِ ، وَاسْتَقَى لَهُ مِنْ مَاءٍ بِهِ يُقَالُ لَهُ الْأُرَاقُ .

ثم ارتحل رسولُ الله ﷺ عليه وسلم حتى إذا كان بالروحاء ، لقَّيَهُ المسلمون يُهَنِّتُونَهُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ سَلَمَةُ بْنُ سَلَامَةَ بْنِ وَقْشٍ — كَمَا حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، فَقَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، كَمَا حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، وَيزِيدُ بْنُ رُومَانَ : وَمَا الَّذِي تَهْنِئُونَ بِهِ ! فَوَاللَّهِ إِنْ لَقِينَا إِلَّا عَجَائِزَ صَلُعًا كَالْبُدُنِ الْمَعْقَلَةِ ، فَحَرَنَاهَا . فَبَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : يَا بَنِي أَخِي ، أُولَئِكَ الْمَلَأُ^(١) . قَالَ : وَمَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَسَارَى مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَكَانُوا أَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَسِيرًا ، وَكَانَ مِنَ الْقَتْلَى مِثْلُ ذَلِكَ — وَفِي الْأَسَارَى عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَالنَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ كَلْبَةَ — حَتَّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالصُّفْرَاءِ ، قَتَلَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، قَتَلَهُ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(٢) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : كَمَا حَدَّثَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ، قَالَ : ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الظُّبَيْةِ ، قَتَلَ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ حِينَ أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُقْتَلَ : فَنُ لِلصَّيِّةِ يَا مُحَمَّدَ ! قَالَ : النَّارُ ، قَالَ : فَقَتَلَهُ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ بْنُ أَبِي الْأَقْلَحِ الْأَنْصَارِيُّ ، ثُمَّ أَحَدُ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ .

قَالَ : كَمَا حَدَّثَنِي أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ عَمَّارٍ بْنُ يَاسِرٍ ، قَالَ : وَلَمَّا انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عِرْقِ الظُّبَيْةِ حِينَ قَتَلَ عُقْبَةَ لَقَّيَهُ أَبُو هِنْدٍ مَوْلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْبَيْضِ بِحَمِيَّتٍ مَمْلُوءٍ حَيْسًا^(٣) ، وَكَانَ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرِ ، ثُمَّ شَهِدَ الْمَشَاهِدَ كُلَّهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،

(١) المَلَأُ : الْأَشْرَافُ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، والأغاني ٤ : ٢٠٣ .

(٣) قَالَ ابْنُ هِشَامٍ : الْحَمِيَّةُ : « الزَّقُّ . وَالْحَيْسُ : السَّمْنُ يَخْلُطُ بِالْمَرِّ وَالْأَقْطُ » .

وكان حجّام رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إنما أبو هند امرؤٌ من الأنصار ، فأنكحوه وأنكحوها إليه ، ففعلوا . ثم مضى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى قدِم المدينة قبل الأسارى بيوم^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن سعد بن زُرارة ، قال : قدِم بالأسارى حين قدِم بهم وسودة بنت زمعة زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم عند آل عَفْرَاء في منّاحتهم على عَوْف ومُعَوذ ابْنِي عَفْرَاء - قال : وذلك قبل أن يُضْرَبَ عليهنّ الحجاب - قال : تقول سودة : والله إني لأعندهم إذ أتينا ، فقيل : هؤلاء الأسارى قد أُتِيَ بهم ، قالت : فُرِحْتُ إلى بيتي ورسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فيه ؛ وإذا أبو يزيد سهيل بن عمرو في ناحية الحُجْرة ، مجموعة يده إلى عنقه بحبل ، قالت : فوالله ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد كذلك أن قلت : يا أبا يزيد ، أعطيتُم بأيديكم ، ألاّ متمّ كراما ! فوالله ما أنبهنّني إلّا قولُ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من البيت : يا سودة ، أعلى الله وعلى رسوله ! قالت : قلت : يا رسول الله ؛ والَّذِي بعثك بالحقّ ما ملكتُ نفسي حين رأيتُ أبا يزيد مجموعةً يده إلى عنقه بحبل أن قلت ما قلت^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني نُبَيْه بن وهب ، أخو بني عبد الدّار ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين أقبل بالأسارى فرّقهم في أصحابه ، وقال : استوصُوا بالأسارى خيرا - قال : وكان أبو عزيز بن عمير بن هاشم ، أخو مصعب بن عمير لأبيه وأمه في الأسارى - قال : فقال أبو عزيز : مرّ بي أخي مصعب بن عمير ، ورجل من الأنصار يأسِرني ، فقال : شدّ يدك به ؛

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ ، ٧٨ ، والأغاني ٤ : ٢٠٤ .

فإن أمه ذاتُ متاع ، لعلّها أن تفتديتهُ منك . قال : وكنت في رهط من الأنصار حين أقبلوا بي من بدر ، فكانوا إذا قدّموا غداً لهم وعشاءهم خصّوني ١٣٣٨/١ بالخبز ، وأكلوا التمر لوصيّة رسول الله صلى الله عليه وسلم لإياهم بنا ، ما تقع في يد رجل منهم كسرة من الخبز إلا تنفخني بها . قال : فأستحي ، فأردّها على أحدهم فإردّها عليّ ما يمسّها (١) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : وكان أوّل مَنْ قدّم مكة بمُصّاب قريش الحَيَّسُمَان بن عبد الله بن إياس ابن ضُبَيْعَةَ بن مازن بن كعب بن عمرو الخزاعيّ — قال أبو جعفر : وقال الواقديّ : الحيسُمان بن حابس الخزاعيّ — قالوا : ما وراءك ؟ قال : قُتل عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو الحكم بن هشام ، وأمّية بن خلف ، وزمعة بن الأسود ، وأبو البخترى بن هشام ونُسبته ومنبه ابنا الحجاج . قال : فلمّا جعل يعدّد أشراف قريش ، قال صفّوان بن أمّية وهو قاعد في الحِجْر : والله إن يعقل هذا فسَلّوه عني ، قالوا : ما فعل صفوان بن أمّية ؟ قال : هو ذاك جالسا في الحِجْر ، وقد والله رأيتُ أباه وأخاه حين قتلا (٢) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدّثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس ، عن عكرمة مولى ابن عبّاس ، قال : قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : كنت غلاماً للعبّاس بن عبد المطّلب ، وكان الإسلام قد دخلنا أهل البيت ، وأسلمت أم الفضل وأسلمتُ ، وكان العبّاس يهاب قومه ، ويكره أن يخالفهم ، وكان يكمّم إسلامه ، وكان ذا مال كثير متفرّق في قومه ، وكان أبو لبّ عدوّ الله قد تخلف عن بدر ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا ، لم يتخلف رجل إلّا بعث مكانه رجلاً ، فلمّا جاء الخبر عن مُصّاب أصحاب بدر من قريش ، كبته الله وأخزاه ، ووجدنا في أنفسنا قوّة وعزّاً .

قال : وكنت رجلاً ضعيفاً ، وكنت أعمل القِداح ، أنحتُها في حَجْرَةٍ
 زمزم ، فوالله إنني لجالس فيها أنحت القِداح ، وعندي أمّ الفضل جالسة ،
 وقد سرتنا ما جاءنا من الخبر ، إذ أقبلَ الفاسق أبو لهب يجرّ رجلينه بشرّ ،
 حتى جلس على طُنْبِ الحجرة ، فكان ظهره إلى ظهري ؛ فبينما هو جالس
 إذ قال الناس : هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد قدم . قال :
 فقال أبو لهب : هلمّ إلىّ يا بنّ أخي ؛ فعندك الخبر . قال : فجلس إليه ،
 والناس قيام عليه ، فقال : يا بنّ أخي ، أخبرني ؛ كيف كان أمر الناس ؟
 ١٣٤٠/١ قال : لا شيء ؛ والله إن كان إلّا أن لقيناهم ، فنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا
 ويأسرون كيف شاءوا ؛ وإيمُ الله مع ذلك ما لُمتُ الناس ؛ لقينا
 رجلاً بيضاً على خيل بلُقي بين السماء والأرض ؛ ما تليق^(١) شيئاً ولا يقوم
 لها شيء . قال أبو رافع : فرفعت طُنْب^(٢) الحجرة بيدي ، ثم قلت : تلك
 الملائكة . قال : فرفع أبو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة ، قال :
 فتاورته^(٣) ، فاحتملني ، فضرب بي الأرض ثم برك علىّ يضربني - وكنت رجلاً
 ضعيفاً - فقامت أمّ الفضل إلى عمود من عمود الحجرة ، فأخذته فضربت به
 ضربة فشجت^(٤) في رأسه شجرة منكّرة ، وقالت : تستضعفه أنْ غاب عنه سيّده !
 فقام مولياً ذليلاً ، فوالله ما عاش إلّا سبع ليال حتى رماه الله عزّ وجلّ بالعدسة^(٥)
 فقتلته ، فلقد تركه ابناه ليلتين أو ثلاثاً ما يدفنانه حتى أنتن في بيته - وكانت
 قريش تتقي العدسة وعدّوتها كما يتقي الناس الطاعون - حتى قال لهما
 رجل من قريش : ويحكمما ! ألاّ تستحيان أنّ أباكما قد أنتن في بيته
 لا تغيبانه ! فقالا : إنا نخشى هذه القرحة ، قال : فانطلقا فأنا معكما ،
 فما غسلوه إلّا قذفاً بالماء عليه من بعيد ، ما يمسّونه ، ثم احتملوه فدفنوه بأعلى
 مكة إلى جدار ، وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه^(٦) .

(١) ما تليق : ما يتقى . (٢) طنب الحجرة : طرفها .

(٣) تاورته : وثبت إليه .

(٤) كذا في الأغاني ، وفي ط : « فلقت » .

(٥) العدسة : قرحة قاتلة كالطاعون .

(٦) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٨ ، ٧٨ ، والأغاني ٤ : ٢٠٥ ، ٢٠٦ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق : وحدثني العباس بن عبد الله بن معبد ، عن بعض أهله ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : لمّا أمسى القوم من يوم بدر ، والأسارى محبسون فى الوثاق ، بات رسول الله صلى الله عليه وسلم ساهراً أول ليلة ، فقال له أصحابه : يا رسول الله ، مالك لا تنام ! فقال : سمعت تضور العباس فى وثاقه ، قال : فقاموا إلى العباس فأطلقوه ، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني الحسن بن عمار ، عن الحكم بن عتيبة بن مقسم ، عن ابن عباس ، قال : كان الذى أسر العباس أبو اليسر كعب بن عمرو أخو بني سلمة ، وكان أبو اليسر رجلاً مجموعاً ، وكان العباس رجلاً جسيماً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى اليسر : كيف أسرت العباس يا أبا اليسر ؟ فقال : يا رسول الله ؛ لقد أعانى عليه رجلٌ ما رأيته قبل ذلك ولا بعده ؛ هيئته كذا وكذا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد أغانك عليه ملك كريم^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني يحيى بن عباد ، عن أبيه عباد ، قال : ناحت قريش على قتلاهم ، ثم قالوا : لا تفعلوا فيبلغ ذلك محمداً وأصحابه ، فيشمت^(٢) بكم ، ولا تبعثوا فى فداء أسراكم حتى تستأنوا بهم^(٣) ؛ لا يتأرب^(٤) عليكم محمد وأصحابه فى الفداء^(٥) .

(١) الأغاني ٤ : ٢٠٦ .

(٢) سيرة ابن هشام والأغاني : « فيشمتوا » .

(٣) حتى تستأنوا بهم : أى تؤخروا فداءهم ، وفى الأغاني : « حتى تأسوا » .

(٤) يتأرب : يتأني ويتشدد . وفى السيرة واللسان - مادة أرب : « لا يأرب » ، وأرب : تشدد .

(٥) سيرة ابن هشام ٧٩ ، والأغاني ٤ : ٢٠٦ .

قال : وكان الأسود بن عبد المطَّلَب^(١) قد أصيب له ثلاثة من ولده : زَمْعَةُ بن الأسود ؛ وعَقِيل بن الأسود ، والحارث بن الأسود ؛ وكان يحب أن يبكي على بنيه ؛ فبينما هو كذلك ؛ إذ سمع نائحة من الليل ، فقال لغلام له وقد ذهب بصره : انظر هل أحلَّ النَّحْبُ ؟ هل بكت قريش على قتلها ؟ لعلتي أبكي على أبي حكيمة - يعني زَمْعَةَ - فإنَّ جَوْفِي قد احترق ! قال : فلما رجع إليه الغلام ، قال : إنما هي امرأة تبكي على بعير لها أضلته . قال : فذلك حين يقول :

أَتَبْكِي أَنْ يَضِلَّ لَهَا بَعِيرٌ وَيَمْنَعُهَا مِنَ النَّوْمِ الشُّهُودُ^(٢) ١٣٤٣/١
فَلَا تَبْكِي عَلَى بَكْرِ وَلَكِنْ عَلَى بَذْرِ تَقَاصَرَتِ الْجُدُودُ^(٣)
عَلَى بَذْرِ سَرَاةِ بَنِي هُصَيْنٍ وَمَحْزُومٍ وَرَهْطِ أَبِي الْوَلِيدِ^(٤)
وَبَكِّي إِنْ بَكَيْتِ عَلَى عَقِيلٍ وَبَكِّي حَارِثًا أَسَدَ الْأُسُودِ^(٥)
وَبَكِّيهِمْ وَلَا تَسْمِي^(٦) جَمِيعًا فَمَا لِأَبِي حَكِيمَةٍ مِنْ نَدِيدٍ
أَلَا قَدْ سَادَ بَعْدَهُمْ رَجَالٌ وَلَوْ لَا يَوْمٌ بَذْرٍ لَمْ يَسُودُوا^(٧)

قال : وكان في الأسارى أبو وداعة بن ضُبَيْرَةَ السَّهْمِيُّ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : إن له ابناً تاجرًا كَيْسًا ذا مال ؛ وكأنكم به قد جاءكم في فداء أبيه ! قال : فلَمَّا قالت قريش : لا تعجلوا في فداء أسرائكم لا يتأرب^(٨) عليكم محمد وأصحابه ، قال المطَّلَب بن أبي وداعة - وهو الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عَنَى - : صدقتم ، لا تعجلوا بفداء أسرائكم .

(١) كذا في السيرة ؛ وهو الموافق لما في حماسة أبي تمام والاشتقاق لابن دريد ٩٤ ، وفي ط : « ابن عبد يغوث » .

(٢) حماسة أبي تمام - بشرح التبريزي ٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٣) البكر : الفتى من الإبل . تقاصرت الحدود ، أى تواضعت الحظوظ .

(٤) سراة : جمع سري ؛ وهو السيد الكريم .

(٥) بكاء بالتضعيف ، كبكاء المخفف .

(٦) لا تسمى مخفف « لا تسمى » .

(٧) قال ابن هشام : « هذا إقواء » .

(٨) سيرة ابن هشام : « لا يتأرب » .

ثم انسل من الليل ، فقدم المدينة ، فأخذ أباه بأربعة آلاف درهم ، ثم انطلق به ، ثم بعث قريش في فداء الأسارى ، فقدم مكرز بن حفص ابن الأخيف في فداء سهيل بن عمرو ، وكان الذي أسره مالك بن الدخشم ، أخو بني سالم بن عوف ، وكان سهيل بن عمرو أعلم^(١) من شفته السفلى^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : فحدثني محمد بن عمرو بن عطاء بن عيَّاش^(٣) بن علقمة ، أخو بني عامر بن لؤي ، أن عمر بن الخطاب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله انتزع ثيبتى سهيل بن عمرو . السفليين يدلع^(٤) لسانه ، فلا يقوم عليك خطيبا في موطن أبدا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أمثل به فيمثل الله بي ، وإن كنت نبيا .

قال : وقد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر في هذا الحديث : إنه عسى أن يقوم مقامًا لا تدمه ؛ فلمّا قاوهم فيه مكرز ، وانتهى إلى رضاهم ، قالوا : هات الذي لنا . قال : اجعلوا رجلي مكان رجله ، واخلّوا سبيله حتى يبعث إليكم بفدائه . قال : فخلّوا سبيل سهيل ، وجسوا مكرزا مكانه عندهم^(٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعبّاس بن عبد المطلب حين انتهى به إلى المدينة : يا عبّاس ، أقد نفسك وابني^(٦) أخيك عتيقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث ، وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم ، أخا بني الحارث بن فهر ؛ فإنك ذو مال .

(١) الأعم : المشقوق الشفة العليا ؛ وأما المشقوق الشفة السفلى ؛ فهو الأفطح .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٩ ، ٨٠ ، والأغاني ٤ : ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) ط : « عباس » ، والصواب ما أثبت ، وانظر كتب التراجم .

(٤) يدلع : يخرج .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٠ .

(٦) الأغاني : « ابن » .

فقال : يا رسول الله ؛ إننى كنتُ مُسْلِمًا ؛ ولكنَّ القوم استكروهونى ، فقال :
الله أعلم بإسلامك ؛ إن يكن ما تذكر حقًا فالله يجزيك به ، فأما ظاهرُ
أمرك فقد كان علينا ، فافقد نفسك — وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم
قد أخذ منه عشرين أوقيةً من ذهب — فقال العباس : يا رسول الله ، احسبها
لى فى فداى ، قال : لا ؛ ذاك شيء أعطانا الله عز وجل منك ، قال : فإنه
ليس لى مال . قال : فأين المال الذى وضعته بمكة حيث خرجت من عند
١٣٤٥/١ أم الفضل بنت الحارث ، ليس معكما أحد . ثم قلت لها : إن أصيبتُ فى
سفرى هذا فللفضل كذا وكذا ، ولعبد الله كذا وكذا ، ولِقُشَم كذا وكذا ،
ولعبيد الله كذا وكذا ! . قال : واللذى بعثك بالحق ما عليم هذا أحد
غيرى وغيرها ؛ وإنى لأعلم أنك رسول الله ، فقدى العباس نفسه وابنى^(١)
أخيه وحليفه^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد ،
قال : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : كان
عمرو بن أبى سفيان بن حرب — وكان لابنة عُقْبَةَ بن أبى مُعَيْط — أسيرًا فى
يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر ، فقيل لأبى سفيان :
افند عَمْرًا ، قال : أجمع على دى ومالى ! قتلوا حَنَظَلَةَ وأفدى
عمرًا ! دَعُوهُ فى أيديهم يمسكوه ما بدا لهم . قال : فبينما هو كذلك محبوسٌ
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرج سعدُ بن النعمان بن أكل ،
أخو بنى عمرو بن عوف ، ثم أحد بنى معاوية معتمرًا ، ومعه مِرْبِية^(٣) له ؛
وكان شيخًا كبيرًا مسلمًا فى غنم له بالنقيع^(٤) ؛ فخرج من هنالك معتمرًا ؛
ولا يخشى الذى صنَّع به ؛ لم يظن أنه يُحبس بمكة ؛ إنما جاء معتمرًا ؛

(١) الأغاني : « وابن أخيه » .

(٢) الأغاني ٤ : ٢٠٧ .

(٣) مربة ، تصغير امرأة .

(٤) م : « البقيع » ، والصواب ما فى ط والسيرة ؛ والنقيع : موضع قرب المدينة ، والبقيع :
موضع داخل المدينة ؛ والأول هو المراد .

وقد عهده قريشا لا تعترض لأحد حاجاً أو معتمراً إلا بخير ؛ فعدا عليه ١٣٤٦/١
أبو سفيان بن حرب ، فحبسه بمكة بابنه عمرو بن أبي سفيان ، ثم قال
أبو سفيان :

أَرْهَطَ ابْنِ أَكَّالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تَعَاقَدْتُمْ لَا تُسْلِمُوا السَّيِّدَ الْكَهْلَا^(١)
فَإِنَّ بَنِي عَمْرٍو لثَامٌ أَذِلَّةٌ لَنْ لَمْ يَفُكُّوا عَنْ أُسَيْرِهِمُ الْكِبَلَا

قال : فشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛
فأخبروه خبره ، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان فيفكوا شيخهم ؛
ففعّل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعثوا به إلى أبي سفيان ، فخلّى
سبيل سعد .

قال : وكان في الأسارى أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن
عبد شمس^(٢) ختن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، زوج ابنته زينب ، وكان
أبو العاص من رجال مكة المعدودين مالا وأمانة وتجارة ، وكان لهالة بنت خويلد
[وكانت]^(٣) خديجة خالته ، فسألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
أن يزوجه ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخالفها ؛ وذلك قبل
أن ينزل عليه ، فزوجه ؛ فكانت تعدّه بمنزلة ولدها ؛ فلما أكرم الله عز وجل
رسوله بنبؤته آمنت به خديجة وبناته ، فصدّقته وشهدن^(٤) أن ما جاء
به هو الحق ؛ ودنّ بدينه ؛ وثبت أبو العاص على شيركة .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد زوج عتبة بن أبي لهب
لأحدى ابنتيه رقية أو أمّ كلثوم ؛ فلما بادى قريشاً بأمر الله عز وجل
وباعده^(٥) ، قالوا : إنكم قد فرغتم محمداً من همّه ؛ فردوا عليه بناته ، فاشغلوه
بهنّ ، فمشوا إلى أبي العاص بن الربيع ، فقالوا له : فارق صاحبك ؛ ونحن

(١) كذا في السيرة ، و ، وفي ط : « تفاقدم » .

(٢) قال ابن هشام : « أسره خراش بن الصمة ، أحد بني حرام » .

(٣) من ابن هشام .

(٤) م : « وشهدت » .

(٥) ابن هشام : « بالعداوة » .

نَزَّوَجَكَ أَيْ امْرَأَةً شَتَّتَ مِنْ قَرِيشٍ ، قَالَ : لَا هَا اللَّهُ إِذَا ؛ لَا أَفَارِقُ صَاحِبَتِي
وَمَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِامْرَأَتِي امْرَأَةً مِنْ قَرِيشٍ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَتَّبِعِي عَلَيْهِ فِي صَهْرِهِ خَيْرًا - فِيمَا بَلَغَنِي .

قَالَ : ثُمَّ مَشَوْا إِلَى الْفَاسِقِ ابْنِ الْفَاسِقِ ، عَثْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ ، فَقَالُوا لَهُ :
طَلَّقْ ابْنَتَكَ مُحَمَّدٌ وَنَحْنُ نَزَّوَجَكَ أَيْ امْرَأَةً مِنْ قَرِيشٍ شَتَّتَ ؛ فَقَالَ : إِنْ
زَوَّجْتُمُونِي ابْنَتَهُ أَبَانَ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ ، أَوْ ابْنَتَهُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ
فَارْقَتُهَا . فَرَزَّوَجَهُ ابْنَتَهُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَفَارَقَهَا ، وَلَمْ يَكُنْ عَدُوَّ اللَّهِ دَخَلَ بِهَا ،
فَأَخْرَجَهَا اللَّهُ مِنْ يَدِهِ كَرَامَةً لَهَا ، وَهَوَانًا لَهُ ؛ فَخَلَفَ عَلَيْهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ
بَعْدَهُ ؛ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُحِلُّ بِمَكَّةَ وَلَا يَحْرِمُ
مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ ، وَكَانَ الْإِسْلَامُ قَدْ فَرَّقَ بَيْنَ زَيْنَبَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أُسْلِمَتْ وَبَيْنَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ؛ إِلَّا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَفْرُقَ بَيْنَهُمَا ؛ فَأَقَامَتْ مَعَهُ عَلَى إِسْلَامِهِمْ
وَهُوَ عَلَى شِرْكِهِ ؛ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا
سَارَتْ قَرِيشٌ إِلَى بَدْرٍ سَارَ فِيهِمْ أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ؛ فَأَصِيبَ فِي الْأَسَارِ
يَوْمَ بَدْرٍ ، وَكَانَ بِالْمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ^(١) .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ :
فَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبَّادَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ ، عَنْ أَبِيهِ عَبَّادَ ، عَنْ عَائِشَةَ
زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَتْ : لَمَّا بَعَثَ أَهْلَ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ
أُسْرَائِهِمْ ، بَعَثَ زَيْنَبَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ أَبِي الْعَاصِ
ابْنِ الرَّبِيعِ بِمَالٍ ، وَبَعَثَ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى
أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا .

قَالَتْ : فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهَا رِقَّةً
شَدِيدَةً ، وَقَالَ : إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا
فَافْعَلُوا ! فَقَالُوا : نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَأَطَاعُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد أخذَ عليه - أو وعَدَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم - أن يخلِّيَ سبيلَ زينبَ إليه ، أو كان فيما شرطَ عليه في إطلاقه ؛ ولم يظهر ذلك منه ولا من رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فيعلم ما هو ! إلاَّ أنَّه لما خرج أبو العاص إلى مكَّة وخُلِّيَ سبيلُهُ ، بعث رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم زيدَ بن حارثةَ ورجلاً من الأنصار مكانه ، فقال : كونا ببطن يأجج ؛ حتى تمرَّ بكما زينب فتصحباهما ، حتى تأتياي بها ، فخرجا مكانهما ؛ وذلك بعد بلز بشهر أو شَيعه^(١) . فلما قدِم أبو العاص مكَّة أمرها بالحقوق بأبيها ؛ فخرجت تجهز^(٢) .

فحدثنا ابنُ حُميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبدُ الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، قال : حَدَّثْتُ عن زينب أنَّها قالت : بينا أنا أتجهزُ بمكَّةَ للحقوق بأبي ، لقيتُني هند بنت عتبة ، فقالت : أى ابنة محمد^(٣) ؛ ألم يَسْلُغْنِي أَنَّكَ تريدِين الحقوق بأبيك ! قالت : فقلت : ما أردتُ ذلك ، قالت : أى ابنة عمي ، لا تفعلِي ؛ إن كانت لك حاجةٌ بمتاع مما يرفقُ بك في سفرك ، أو بمال تبُلغين^(٤) به إلى أبيك ، فإنَّ عندى حاجتك فلا تضطني^(٥) مني ؛ فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلاَّ لتفعل . قالت : ولكنني خفتُها ، فأنكرتُ أن أكون أريد ذلك ، وتجهزَت .

فلما فرغت ابنةُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من جَهازها قدِم لها حموها كِنانة بن الربيع أخو زوجها بغيراً فركبتَه ، وأخذ قوسه وكنانته ، ثم خرج بها نهاراً يقود بها ، وهى في هودج لها . وتحدث بذلك رجال قريش ،

(١) شيعه : قريب منه .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام : « يا بنت محمد » .

(٤) سيرة ابن هشام : « تبُلغين » .

(٥) لا تضطني : لا تستحي ، وأصله الهز ؛ يقال : اضطأنت المرأة : استحييت ؛

فحذفت الهمزة تخفيفاً .

فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بذي طوى ، فكان أول مَنْ سبق إليها
هَبَّار بن الأسود بن المطَّلَب بن أسد بن عبد العزَّى ونافع بن عبد القيس ،
والفهرى^(١) . فروَّعها هَبَّار بالرمح وهي في هودجها - وكانت المرأة حاملاً ؛ فيما
يزعمون - فلما رجعت طرحت ذا بطنها ، وبرك حموها ، ونثر كنانته ثم
قال : والله لا يدنو مني رجلٌ إلا وضعت فيه سهماً ، فتكركر^(٢) النَّاس عنه ،
وأناه أبو سفيان في جلَّة قريش ، فقال : أيُّها الرجل ، كفَّ عنا نَبْلِكَ
حتى نكلِّمك ، فكفَّ . فأقبل أبو سفيان حتَّى وقف عليه ، فقال : إنَّك
لم تُصِبْ ، خرجتَ بالمرأة على رعوس الرجال علانية ، وقد عرفت مصيبتنا
ونكبتنا وما دخل علينا من محمد ، فيظنَّ الناس إذا خُرج بابنته علانية من
بين أظهرنا أنَّ ذلك عن ذلِّ أصابنا عن مصيبتنا ، ونكبتنا التي كانت ، وأنَّ
ذلك منا ضعفٌ ووَهْنٌ ؛ لَعَمْرِي ما لنا حاجة في حبسها عن أبيها ، ومالنا في
ذلك من ثُورة^(٣) ؛ ولكن أرجع المرأة ، فإذا هدا الصوت ، وتحدث النَّاس
أنا قد ردَدناها ، فسَلَّها سرّاً فألَحِقَها بأبيها^(٤) . ففعل حتى إذا هدا الصوتُ
خرج بها ليلاً ، حتَّى أسلمها إلى زيد بن حارثة وصاحبِه ، فقدِمَ بها على
رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم .

١٣٥٠/١

قال : فأقام أبو العاص بمكَّة ، وأقامت زينبُ عند رسول الله صلَّى الله
عليه وسلَّم بالمدينة ، قد فرَّقَ بينهما الإسلام ، حتى إذا كان قبيلَ الفتح خرج
تاجراً إلى الشام - وكان رجلاً مأموناً بمال له ، وأموال رجال من قريش أبضعوها
معه - فلما فرغ من تجارته - وأقبل قافلاً ؛ لقيته سريةٌ لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ، فأصابوا ما معه ، وأعجزهم هرباً ، فلما قدِمَت السرية بما أصابوا
من ماله ، أقبل أبو العاص تحت الليل ؛ حتى دخل على زينب بنت رسول الله

(١) ط : « الفهرى » ؛ . وما أثبتته من الروض الأنف . قال السهيلي : « قال : وسبق
إليها هبار بن الأسود ، والفهرى ، ولم يسم ابن إسحاق الفهرى ، وقال ابن هشام : هو نافع بن
عبد قيس ، وفي غير السيرة أنه خالد بن عبد قيس » .
(٢) تكركر النَّاس عنه : رجعوا وانصرفوا .
(٣) الثُّورة : طلب الثَّار .
(٤) م : « بأهلها » .

صَلَّى الله عليه وسلم ، فاستجار بها ، فأجارته في طلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح - فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كما حدثني يزيد بن رومان - فكبر وكبر الناس معه ، صرخت زينب من صُفَّة^(١) النساء : أيها الناس ، إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع . فلما سلم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم من الصلاة ، أقبل على الناس ، فقال : أيُّها النَّاسُ ، هل سمعتم ما سمعت ! قالوا : نعم ، قال : أما والذي نفس محمد بيده ، ما علمت بشيء كان حتى سمعت منه ما سمعتم ؛ إنه يجير على المسلمين أديانهم . ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على ابنته ، فقال : أي بنية أكرهى مثواه ولا يخلص إليك ، فإنك لا تحلين له^(٢) .

١٣٥١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني عبدُ الله بن أبي بكر ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى السريّة الذين أصابوا مال أبي العاص ، فقال لهم : إن هذا الرجل منّا حيث قد علمتم ، وقد أصبتم له مالا ، فإن تحسنوا تردّوا عليه الذي له ؛ فإننا نحبّ ذلك ؛ وإن أبيتم فهو فتيء الله الذي أفاءه عليكم ؛ فأنتم أحقّ به . قالوا : يا رسولَ الله ، بل نردّه عليه !

قال : فردّوا عليه ماله حتى إن الرجل ليأتى بالحبل^(٣) ، ويأتي الرجل بالشنة^(٤) والإداوة^(٥) ؛ حتى إن أحدهم ليأتى بالشظاظ^(٦) ؛ حتى ردّوا عليه ماله بأسره ؛ لا يفقد منه شيئا . ثم احتسمل إلى مكّة ، فأدّى إلى كلّ ذى مال من قريش

(١) الصفة : السقيفة .

(٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٨٢ ، ٨٣ .

(٣) ابن هشام : « الدلو » .

(٤) الشنة : السقاء البالي .

(٥) الإداوة : إناء صغير من جلد .

(٦) الشظاظ : خشبة عفاها تدخل في عروة الجوالق ، والجمع أشظة .

ماله من كان أبْضَعَ معه ، ثم قال : يا معشرَ قريش ؛ هل بَقِيَ لأحد منكم عندى مال لم يأخذه ؟ قالوا : لا فجزاك الله خيراً ؛ فقد وجدناك وفياً كريماً ، قال : فإننى أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله ؛ والله ما منعنى من الإسلام عنده إلاَّ تخوُّفُ أن تظنوا أنى إنما أردت أكلَ أموالكم ؛ فلما أداها الله إليكم ، وفرغت منها أسلمت . ثم خرج حتى قدِم على رسول الله صلى الله عليه وسلَّم (١) .

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني داود بن الحصين ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن عبد الله بن عباس ، قال : ردَّ عليه رسولُ الله صلى الله عليه وسلَّم زينب بالنِّكاح الأول ، ولم يُحدِث شيئاً بعد ست سنين (١) .

* * *

حدثنا ابنُ حُميد ، قال حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال محمد بن إسحاق ، حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : جلس عُمير بن وهب الجُمحى مع صفوان بن أمية بعد مصاب أهل بدر من قريش بيسير في الحِجر - وكان عُمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش ، وكان ممن يؤذى رسولَ الله صلى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، ويلقون منه عناء وهم بمكة ، وكان ابنُه وهب بن عمير في أسارى بدر - فذكر أصحاب القليب ومصابهم ، فقال صفوان : والله إنَّ في العيش خير بعدهم ، فقال عُمير : صدقت والله ! أما والله لولا دين علىَّ ليس له عندى قضاء وعيالٌ أخشى عليهم الضيعة بعدى ، لركبت إلى محمد حتى أقتله ، فإنَّ لى قبيلهم علَّةٌ ، ابنى أسيرٌ في أيديهم .

١٣٥٢/١

فاغتتمها صفوان بن أمية ، فقال : علىَّ دينك أنا أقضيه عنك ، وعيالك مع عيالى أو أسيرهم ما بقوا ، لا يسعنى شيء ويعجز عنهم ، قال عمير : فاكتم علىَّ شأنك وشأنك : قال : أفعل .

قال : ثم إن عميراً أمر بسيفه فشُحِدَ له وسُمّ ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، فبينما عمر بن الخطاب في نفر من المسلمين في المسجد يتحدثون عن يوم بدر ، ويذكرون ما أكرمهم الله عز وجل به ، وما أراهم في عدوهم ، إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب حين أناخ بعيره على باب المسجد ، متوشحاً بالسيف ، فقال : هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ، ما جاء إلا لشر ! وهو الذي حرّش^(١) بيننا ، وحرّزنا^(٢) للقوم يوم بدر . ثم دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا نبي الله ، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه ، قال : فأدخله علي .

قال : فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه ، فلبسه بها ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : ادخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده ، واحذروا هذا الخبيث عليه ، فإنه غير مأمون . ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه ، قال : أرسله يا عمر ، ادنُ يا عمير ، فدنا ثم قال : أنعموا صباحاً - وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ؛ بالسلام تحية أهل الجنة ، قال : أما والله يا محمد إن كنت لحديث عهد بها . قال : ما جاء بك يا عمير ؟ قال : جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم ، فأحسنوا فيه . قال : فما بال السيف في عنقك ! قال : قسبحها الله من سيوف ! وهل أغنت شيئاً ! قال : اصدقني بالذي جئت له ، قال : ما جئت إلا لذلك ، فقال : بلى ، قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر ، فذكرتما أصحاب القليب من قريش ، ثم قلت : لولا دين علي وعيالي لخرجت حتى أقتل محمداً ، فتحمل لك صفوان بدينك وعيالك ، على أن تقتلني له . والله عز وجل حائل بيني وبينك . فقال عمير : أشهد أنك رسول الله ؛ قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت

(١) حرش : أفسد .

(٢) الحرز : تقدير العدد تحميته .

تأتينا به من خبر السماء ، وما ينزل عليك من الوحي ؛ وهذا أمرٌ لم يحضره إلا أنا وصفوان ؛ فوالله إني لأعلم ما أتاك به إلا الله ؛ فالحمد لله الذي هداني للإسلام ، وساقني هذا المساق . ثم تشهد شهادة الحق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ففقهوا أخاكم في دينه ، وأقرئوه وعلموه القرآن ، وأطلقوا له أسيرَه .

قال : ففقهوا ، ثم قال : يا رسول الله : إني كنت جاهدًا في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله ؛ وإنني أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم إلى الله وإلى الإسلام ؛ لعل الله أن يهديهم ؛ وإلا أذيتهم في دينهم كما كنت أؤذي أصحابك في دينهم .

قال : فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلحق بمكة ، وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول لقريش : أبشروا بوقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ؛ حتى قدم راكب فأخبره بإسلامه ، فحلف ألا يكلمه أبدًا ولا ينفعه بنفع أبدًا . فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو إلى الإسلام ، ويؤذي من خالفه أذى شديدًا فأسلم على يديه أناس كثير^(١) .

* * *

فلما انقضى أمر بدر ، أنزل الله عز وجل فيه من القرآن الأنفال بأسرها . حدثنا أحمد بن منصور ، قال : حدثنا عاصم بن علي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار ، قال : حدثنا أبو زُمَيْل ، قال : حدثني عبد الله بن عباس ؛ حدثني عمر بن الخطاب ، قال : لما كان يوم بدر التقوا ، فهزم الله المشركين ، فقتل منهم سبعون رجلاً ، وأسير سبعون رجلاً ، فلما كان يومئذ شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعليًا وعمر ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ؛ فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ؛ فيكون ما أخذنا منهم قوة ، وعسى الله أن يهديهم ،

١٣٥٥/١

فَيَكُونُوا لَنَا عَصُودًا . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ترى يا بن الخطاب ؟ قال : قلتُ : لا والله ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، ولكني أرى أن تمكِّنني من فلان فأضربَ عنقه ، وتمكِّن حمزة من أخ له فيضربَ عنقه ، وتمكِّن عليًّا من عَقِيل فيضربَ عنقه ، حتى يعلم الله أن ليس في قلوبنا هَوَادَةٌ للكُفَّار ؛ هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم .

قال : فهوى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت أنا ، فأخذ منهم الفداء ، فلمَّا كان الغدُ قال عمر : غدوتُ إلى النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم وهو قاعدٌ وأبو بكر ، وإذا هما يبكيان ، قال : قلت : يا رسول الله أخبِرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ ، وإن لم أجدُ تبًا كيتُ لبُكائكما . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : للَّذِي عَرَضَ عَلَى أَصْحَابِك من الفداء . لقد عَرِضَ عَلَى عَذَابِكُم أدنى من هذه الشجرة - لشجرة قريبة - وأنزل الله عزَّ وجل : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُفْخِنَ فِي الْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فِيمَا أَخَذْتُم عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ^(١) ؛ ثم أحلَّ لهم الغنائم .

فلمَّا كان من العام القابل في أحد عُرُوقِهِمَا بما صنعوا ، قُتِلَ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون ، وأسر سبعون ، وكسرت رباعيته وهُشِمَت البَيْضَةُ على رأسه ، وسال الدم على وجهه ، وفرَّ أصحابُ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وصعدوا الجبل ، فأنزل الله عزَّ وجل هذه الآية : ﴿ أَوْ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا ﴾ إلى قوله : ١٣٥٦/١ ﴿ إِنْ أَلَّهِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ^(٢) ، ونزلت هذه الآية الأخرى : ﴿ إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ مِنْ بَعْدِ الْقَمِّ أَمَنَةً ﴾ ^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٦٧

(٢) سورة آل عمران ١٦٥

(٣) سورة آل عمران ١٥٣ ، ١٥٤

حدثني سلم بن جُنادة ، قال : حدثنا أبو معاوية ، قال : حدثنا الأعمش ، عن عمرو بن مُرّة ، عن أبي عبيدة ، عن عبد الله ، قال : لما كان يوم بدر ، وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقيهم واستأنهم ؛ لعل الله أن يتوب عليهم . وقال عمر : يا رسول الله كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فضرّب أعناقهم . وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر وأدياً كثير الخطب فأدّخِلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم ناراً . قال : فقال له العباس : قطعتك رحيمك ! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يُجيبهم ، ثم دخل ، فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر ، وقال ناس : يأخذ بقول عمر ، وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة ، ثم خرج عليهم رسول الله ، فقال : إن الله عز وجل ليلين قلوب رجال فيه حتى تكون ألّين من اللّين^(١) ؛ وإن الله ليشدّ قلوب رجال فيه حتى تكون أشدّ من الحجارة ؛ وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : ﴿ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٢) ، ومثلك يا أبا بكر ، مثل عيسى ، قال : ﴿ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٣) ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾^(٤) ، ومثلك كمثّل موسى ، قال : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾^(٥) . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة فلا يفلتن منهم أحدٌ إلا بغيضاء أو ضرب عتق ؛ قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل ابن بيضاء ؛ فإني سمعته يذكر الإسلام . فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

١٣٥٧/١

(١) م : « اللين » .

(٢) سورة إبراهيم ٣٦

(٣) سورة المائدة ١١٨

(٤) سورة نوح ٢٦

(٥) سورة يونس ٨٨

فَارَأَيْتُنِي فِي يَوْمٍ أَخُوفٌ أَنْ تَقَعَ عَلَيَّ الْحِجَارَةُ مِنَ السَّمَاءِ مَنَى فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ، حَتَّى قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِلَّا سَهِيلَ بْنَ بَيْضَاءِ » قَالَ : فَأَنْزَلَ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ... ﴾ إِلَى آخِرِ آيَاتِ الثَّلَاثِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ : لَمَّا نَزَلَتْ - يَعْنِي هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ مَا كَانَ لَنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى ﴾ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ نَزَلَ عَدَّاءُ مِنَ السَّمَاءِ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، لِقَوْلِهِ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ، كَانَ الْإِثْمُ خَفَانٌ فِي الْقَتْلِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ اسْتِيقَاءِ الرِّجَالِ .

* * *

قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَهْمِهِ وَأَجْرُهُ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانِينَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْهُ : وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مِنَ الْأَوْسِ مَعَهُ وَمَنْ ضَرَبَ لَهُ بِسَهْمِهِ وَاحِدٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا . وَجَمِيعُ مَنْ شَهِدَ مَعَهُ مِنَ الْخَزَرَجِ مِائَةً وَسَبْعُونَ رَجُلًا فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، وَجَمِيعُ مَنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ أَرْبَعَةً عَشَرَ رَجُلًا ، سِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ .

وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - تِسْعَمِائَةً وَخَمْسِينَ مَقَاتِلًا ؛ وَكَانَتْ خَيْلُهُمْ مِائَةً فَرَسٍ .

وَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ جَمَاعَةَ اسْتَصْغَرَهُمْ - فِيمَا زَعَمَ الْوَاقِدِيُّ - فَهُمْ فِيمَا زَعَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ، وَرَافِعُ بْنُ خَدِيجٍ ، وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَسِيدُ بْنُ ظُهَيْرٍ ، وَعُمَيْرُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ثُمَّ أَجَازَ عُمَيْرًا بَعْدَ أَنْ رَدَّهَ فَقَتَلَ يَوْمَئِذٍ .

وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد بعث قبل أن يخرج من المدينة طَلْحَةَ بن عبيد الله ، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل ، إلى طريق الشام يتحسّسان الأخبار عن العير ، ثم رجعا إلى المدينة ، ففقدَ ماها يوم وقعة بدر ، فاستقبلا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بتُربَيَّان ؛ وهو منحدراً من بدر يريد المدينة .

* * *

قال الواقدي : كان خروج رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من المدينة في ثلاثمائة رجل وخمسة ، وكان المهاجرون أربعة وسبعين رجلاً ، وسائرهم من الأنصار ، وضرب لثمانية بأجورهم وسُهمانهم : ثلاثة من المهاجرين ؛ أحدهم عثمان بن عفان كان تخلف على ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ماتت ، وطلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ، كان بعهنهما يتحسّسان الخبر عن العير ، وخمسة من الأنصار : أبو لُبابة بشير بن عبد المنذر ؛ خلفه على المدينة ، وعاصم بن عدى بن العجلان ؛ خلفه على العالية ، والحارث بن حاطب ؛ رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم ، والحارث ابن الصمة ؛ كُسِرَ بالروحاء ، وهو من بني مالك بن النجار ، وخَوَاتُ بن جُبَيْر ، كسر من بني عمرو بن عوف . قال : وكانت الإبل سبعين بعيراً ، والحيل فرسين : فرس للمقداد بن عمرو ، وفرس لمُرثد بن أبي مرثد .

١٣٥٩/١

* * *

قال أبو جعفر : وروى عن ابن سعد ، عن محمد بن عمر ، عن محمد بن هلال ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : ورثي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثر المشركين يوم بدر مُصْلِتًا السَّيْفَ ، يتلو هذه الآية : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ۖ ﴾ (١) .

قال : وفي غزوة بدر انتفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه ذا الفقار ،

وكان لمُسَبِّه بن الحجاج .

قال : وفيها غم جمَل أبي جهل ؛ وكان مَهْرِيًّا يغزو عليه ويضرب في لِقاحه .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة ، مُنْصَرَفَهُ من بدر ، وكان قد وادع حين قدم المدينة يهودَها ؛ على أن لا يُعِينُوا عليه أحدًا ؛ وأنه إن دَهَمَهُ بها عَدُوٌّ نصره . فلمَّا قَتَلَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مَنْ قَتَلَ ببدر من مشركي قريش ، أظهروا له الحسدَ والبغى ، وقالوا : لم يلق محمدٌ من يُحَسِّنُ القتال ؛ ولو لقيْنَا لاقى عندنا قتالًا لا يشبهه قتال أحد ؛ وأظهروا نقضَ العهد .

* * *

غزوة بني قَيْنُقَاع

فحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان من أمر بني قَيْنُقَاع ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم جمعهم ١٣٦٠/١ بسوق بني قَيْنُقَاع ، ثم قال : يا معشر اليهود ، احذَرُوا من الله عز وجل مثل ما نزل بقريش من النُقْمَةِ ، وأسلموا ؛ فإنَّكم قد عرفتم أني نبيٌّ مُرْسَلٌ تجدون ذلك في كتابكم ؛ وفي عهد الله إليكم . قالوا : يا محمد ؛ إنَّكَ ترى أنا كقومك ! لا يغرَّتْكَ أنكَ لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ؛ إنا والله لئن حاربنا لتعلمنَّ أنَّا نحن الناس ^(١) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن بني قَيْنُقَاع كانوا أولَ يهود نقضوا ما بينهم وبين رسولِ الله صلى الله عليه وسلَّم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

فحدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابن سعد ، قال : حدَّثنا محمد بن عمر :

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠ .

عن محمد بن عبد الله ، عن الزهري ، أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى القينقاع كانت في شوال من السنة الثانية من الهجرة .

قال الزهري عن عروة : نزل جبريلُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية : ﴿ وَإِمَّا يَنْتَظِرُونَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْذِرْهُمْ عَلَى سَوَاءٍ ﴾ ^(١) ، فلما فرغ جبريل عليه السلام من هذه الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إني أخاف من بني قينقاع ، قال عروة : فسار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية .

قال الواقدي : وحدثنى محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : حاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يطلع منهم أحد . ثم نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكُتِفُوا وهو يريد قتلهم ، فكلمهم فيهم عبد الله بن أبي .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصروهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول حين أمكنه الله منهم ، فقال : يا محمد ، أحسن في موالى - وكانوا حلفاء الخزرج - فأبطأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد ، أحسن في موالى ، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم . قال : فأدخل يده في جيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلني ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى رأوا في وجهه ظللاً ^(٢) - يعني تلونا - ثم قال : ويحك أرسلني ! قال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن إلى موالى . أربعمائة حاسروا ثلثمائة دارع قد منعوني من الأسود والأحمر ، تحصدتهم في غداة واحدة ! وإني والله لا آمن وأخشى الدوائر . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك ^(٣) .

(١) سورة الأنفال ٥٨ .

(٢) ابن هشام « ظللا » ، وهما جمع ظلة ، وهي السحابة ، استعارها لتغير الوجه عند الغضب .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ ، ١٢١ .

قال أبو جعفر : وقال محمد بن عمر في حديثه عن محمد بن صالح ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : خلّوهم لعنهم الله ولعنه معهم ! فأرسلوهم . ثم أمر بإجلالهم ، وغنم الله عز وجل رسوله والمسلمين ما كان لهم من مال - ولم تكن لهم أرضون ؛ إنما كانوا صاعغة - فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم سلاحاً كثيراً وآلة صياغتهم ؛ وكان الذي ولي إخراجهم من المدينة بذراريهم عبادة بن الصامت ، ففضى بهم حتى بلغ بهم دباب^(١) وهو يقول : الشرف الأبعد ، الأقصى فالأقصى ! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر .

* * *

قال أبو جعفر : وفيها كان أول خميس خمس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ؛ فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم صقيّة^(٢) والخميس وسهمه ، وفَضَّ^(٣) أربعة أخماس على أصحابه ، فكان أول خميس قبضه رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكان لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بني قينقاع لواءً أبيض ، مع حمزة بن عبد المطلب ، ولم تكن يومئذ رايات . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، وحضرت الأضحى ؛ فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى وأهل اليُسْر من أصحابه ، يوم العاشر من ذي الحجة ، وخرج بالناس إلى المصلّى فصلّى بهم ، فذلك أول صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس بالمدينة بالمصلّى في عيد ، وذبح فيه بالمصلّى بيده شاتين - وقيل ذبح شاة .

قال الواقدي : حدثني محمد بن الفضل ، من ولد رافع بن خديج ، عن أبي مبشّر ، قال : سمعت جابر بن عبد الله ، يقول : لما رجعنا من بني قينقاع ضحينا في ذي الحجة صبيحة عشر ، وكان أول أضحى رآه

(١) ط : « ذباب » ، وانظر الفهرس وياقوت . (٢) الضى : سهم الرئيس من الغنمية .

(٣) يقال : فض الشيء على القوم ؛ أى فرقه وقسمه عليهم .

المسلمون ، وذبحنا في بني سليمة فعدت في بني سليمة سبع عشرة أضحية .

* * *

قال أبو جعفر : وأما ابن إسحاق فلم يؤقت لغزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي غزاها بني قينقاع وقتاً ، غير أنه قال : كان ذلك بين غزوة السويق وخروج النبي صلى الله عليه وسلم من المدينة يريد غزوة قريش ؛ حتى بلغ بني سليم وبحرآن ، معدتاً بالحجاز من ناحية القرع^(١) .

١٣٦٣/١

وأما بعضهم ، فإنه قال : كان بين غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر الأولى وغزوة بني قينقاع ثلاث غزوات وسريّة أسراها . وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما غزاهم تسع ليال خلتون من صفر من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بعد ما انصرف من بدر ، وكان رجوعه إلى المدينة يوم الأربعاء لثمان ليال بقيت من رمضان ، وأنه أقام بها بقية رمضان . ثم غزا قرقرة الكدّر حين بلغه اجتماع بني سليم وغطفان ؛ فخرج من المدينة يوم الجمعة بعد ما ارتفعت الشمس ، غرة شوال من السنة الثانية من الهجرة إليها .

وأما ابن حميد ، فحدثنا عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر إلى المدينة ، وكان فراغه من بدر في عقب شهر رمضان - أو في أول شوال - لم يقيم بالمدينة إلا سبع ليال ؛ حتى غزا بنفسه يريد بني سليم ، حتى بلغ ماء من مياههم ؛ يقال له الكدّر ، فأقام عليه ثلاث ليال ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وفدى في إقامته تلك جُلّ الأسارى من قريش^(٢) .

وأما الواقدي ، فزعم أن غزوة النبي صلى الله عليه وسلم الكدّر كانت في المحرم من سنة ثلاث من الهجرة ، وأن لواءه كان يحمله فيها علي بن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

أبي طالب ؛ وأنه استخلف فيها ابن أم مكتوم المَعِصِيَّ على المدينة .
 وقال بعضهم : لمَّا رجع النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم من غزوة الكُدُر
 إلى المدينة ، وقد ساق النِّعم والرَّعاء ولم يلق كيداً . وكان قدومه منها - فيما
 ١٣٦٤/١ زعم - لعشر خَمَلَوْنَ من شَوَّال ، بعث غالب بن عبد الله الليثيَّ يوم الأحد
 لعشر ليالٍ مضيئِين من شَوَّال إلى بني سليم وغطفان في سَرِيَّةٍ ، فقتلوا فيهم ، وأخذوا
 النِّعم ، وانصرفوا إلى المدينة بالغنيمة يوم السبت ، لأربع عشرة ليلة بقيت من
 شَوَّال ، واستشهد من المسلمين ثلاثة نفر ، وإنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
 أقام بالمدينة إلى ذى الحِجَّة ، وإنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم غزا يوم
 الأحد لسبع ليالٍ بقيين من ذى الحِجَّة غزوة السَّويق .

* * *

غزوة السَّويق

قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال في ذلك ما حدَّثنا ابنُ
 حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن ابنِ إسحاق ، قال : لمَّا رجع رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من غزوة الكُدُر إلى المدينة ، أقام بها بقيَّةَ شَوَّال
 من سنة اثنتين من الهجرة ، وذا القعدة . ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة
 السَّويق في ذى الحِجَّة . قال : وولِّيَ تلك الحِجَّةَ المشركون من تلك
 السَّنَةِ (١) .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بنِ إسحاق ،
 عن محمد بنِ جعفر بن الزبير ويزيد بن رومان ومَن لا أَتَّهم ، عن عبيد الله
 ابنِ كعب بن مالك - وكان من أعلم الأنصار - قال : كان أبو سفيان بن
 حرب حين رجع إلى مكَّة ، ورجع فتلُّ (٢) قریش إلى مكَّة من بدر ، نذَرَ
 ألاَّ يمسَّ رأسه ماء من جَنَابَةٍ حتى يغزوَ محمداً . فخرج في مائتي راكب ١٣٦٥/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩ .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

من قریش ، لِيُسِيرَ يمينه ، فسلك السَّجْدِيَّةَ حتى نزل بصُدور قَنَاة إلى جبل يقال له تَيْتٌ ، من المدينة على بريد أو نحوه . ثم خرج من اللَّيْلِ حتى أتى بنى النَّضِير تحت اللَّيْلِ ، فَأَتَى حُبَيْيَّ بنَ أَخْطَبَ ، فضرب عليه بابه فَأَبَى أن يفتح له وخافه ، فَأَبَى فانصرف إلى سَلَامَ بنِ مِشْكَمٍ — وكان سيد النَّضِير في زمانه ذلك ، وصاحب كَتَرَهُم^(١) — فاستأذن عليه فَأَذِنَ له فقراه وسقاه ، وَبَطَّنَ^(٢) له خبر الناس ، ثم خرج في عَقَبِ ليلته ؛ حتى جاء أصحابه ، فبعث رجالا من قُرَيْشٍ إلى المدينة ، فَأَتَوْا ناحية منها يقال لها العُرَيْضُ ، فحرقوا في أَصْوار^(٣) من نخل لها ، ووجدوا رجلاً من الأنصار وحليفاً له في حَرْثٍ لهما فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين ؛ وَنَذَرَ بهم الناس ، فخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم في طلبهم ، حتى بلغ قرقرة الكُدُر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا من مزود القوم ما قد طرحوه في الحَرْث ؛ يتخفَّون منه للنَّجاة . فقال المسلمون حين رجع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : أنطمع أن تكون لنا غزوة ؟ قال : نعم^(٤) .

* * *

وقد كان أبو سفيان قال وهو يتجهز خارجاً من مكة إلى المدينة أبياتاً من شعريُحَرَّضُ قُرَيْشًا :

كُرُّوا عَلَى يَثْرَبٍ وَجَمْعِهِمْ فَإِنَّ مَا جَمَعُوا لَكُمْ نَفْلُ
إِنَّ يَكُ يَوْمُ الْقَلْبِ كَانَ لَهُمْ فَإِنَّ مَا بَعْدَهُ لَكُمْ دَوْلُ
آلَيْتُ لَا أَقْرَبُ النِّسَاءَ وَلَا يَمْسُ رَأْسِي وَجِلْدِي الْفُسْلُ
حَتَّى تُبِيرُوا قِبَائِلَ الْأَوْسِ وَالْ خَزْرَجِ ، إِنَّ الْفُؤَادَ مُشْتَعْلُ
فَأُجَابَهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ :

تَلَهَّفُ أُمُّ الْمَسْبُوحِينَ عَلَى جَيْشِ ابْنِ حَرْبٍ بِالْحَرَّةِ الْفُسْلِ
إِذْ يَطْرَحُونَ الرِّجَالَ مِنْ سَمِّ الطَّيْرِ تَرْقَى لَقْنَةُ الْجَبَلِ

(١) الكثر هنا : ما كان يجمعون من أموال يحفظونها لمهماتهم ونوائبهم .

(٢) بطن له ، أى أعلمه سرهم .

(٣) الأصوار : جمع صور ؛ وهو النخل مجتمعة .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٩

جاءوا بجمع لو قيس مبركه ما كان إلا كمفحص الذئيل^(١)
عارٍ من النضر والثراء ومن أبطال أهل البطحاء والأسل

وأما الواقديّ فزعم أن غزوة السويق كانت في ذي القعدة من سنة اثنتين من الهجرة . وقال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائتي رجل من أصحابه من المهاجرين والأنصار . ثم ذكر من قصة أبي سفيان نحوًا مما ذكره ابن إسحاق ، غير أنه قال : فرّ - يعني أبا سفيان - بالعريض ، برجل معه أجير له يقال له معبد بن عمرو ، فقتلهما وحرّق آياتًا هناك وتبنّا ، ورأى أن^{١٣٦٧/١} يمينه قد حُلّت ، وجاء الصريخ إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فاستنفر الناس ، فخرجوا في أثره فأعجزهم . قال : وكان أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب الدقيق ويتخفّون ، وكان ذلك عامّة زادهم ؛ فلذلك سُميت غزوة السويق .

وقال الواقديّ : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر .

* * *

قال أبو جعفر : ومات في هذه السنة - أعني سنة اثنتين من الهجرة - في ذي الحجة عثمان بن مظعون ، فدفنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقيع ، وجعل عند رأسه حَجَرًا علامة لقبره .

وقيل : إن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وُلد في هذه السنة .

قال أبو جعفر : وأما الواقديّ ، فإنه زعم أن ابن أبي سبيرة حدّثه عن إسحاق بن عبد الله عن أبي جعفر ، أن عليّ بن أبي طالب عليه السلام بنى

(١) البيت في اللسان (دال) ، وروايته :

جاءوا بِجَمِيشٍ لَوْ قِيسَ مُعْرَسُهُ مَا كَانَ إِلَّا كَمُعْرَسِ الذَّئِيلِ

بفاطمة عليها السلام في ذى الحجة ، على رأس اثنين وعشرين شهرا .

قال أبو جعفر : فإن كانت هذه الرواية صحيحة فالقول الأول باطل .

وقيل : إن في هذه السنة كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم المعاقيل^(١)
فكان معلقاً بسيفه .

(١) المعائل : جمع معلة ، بضم القاف ؛ وهي الدية .

ثم دخلت السنة الثالثة من الهجرة

[غزوة ذي أمر]

فحدثنا ابن حميد ، قال حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقبعة ذي الحجة والمحرم ، أو قريباً منه ، ثم غزا نجدا يريد غطفان ؛ وهي غزوة ذي أمر ، فأقام بنجد صفرًا كله أو قريباً من ذلك . ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ ١٣٦٨/١ كيداً ، فلبث بها شهر ربيع الأول كله إلا قليلاً منه .

ثم غزا يريد قريشاً وبنى سُلَيْم ، حتى بلغ بَحْران (مَعْدِنًا بالحجاز من ناحية الفُرْع) فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلقَ كيداً^(١) .

* * *

خبر كعب بن الأشرف

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة سرى النبي صلى الله عليه وسلم سرية إلى كعب بن الأشرف ؛ فزعم الواقدي أن النبي وجهه من وجهه إليه في شهر ربيع الأول من هذه السنة .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان من حديث ابن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب بدر ؛ وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية^(٢) بشيرين ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه وقتل من قتل من المشركين ؛ كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث ابن أبي بردة بن أسير الظفري ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبي أمامة بن سهل ، قال : كل

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٠ .

(٢) العالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة من قراها وعمايرها إلى تهامة ، وما كان دون ذلك من جهة تهامة فهو السافلة .

قد حدثني بعض حديثه ، قال : قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء ،
ثم أحد بني نسيهان ، وكانت أمه من بني النضير ، فقال حين بلغه الخبر :
ويلكم أحمقاً هذا ! أترون أن محمدًا قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان
- يعني زيد بن حارثة ، وعبد الله بن رواحة ؟ وهؤلاء أشرف العرب وملوك
الناس . والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لنا
من ظهرها (١) .

١٣٦٩/١

فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فترل على
المطلب بن أبي وداعة بن ضبيرة السهمي ، وعنده عاتكة بنت أسيد بن
أبي العيص بن أمية بن عبد شمس ، فأنزله وأكرمه ؛ وجعل يحترض
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكي على أصحاب
القليب الذين أصيبوا ببدر من قريش . ثم رجع كعب بن الأشرف إلى
المدينة ، فشجب بأم الفضل بنت الحارث ، فقال :

أراحِلُ أَنْتَ لَمْ تَحُلْ بِمَنْقَبَةٍ وتاركُ أَنْتَ أُمَّ الْفَضْلِ بِالْحَرَمِ !
صَفْرَاهُ رَادَعَةٌ لَوْ تُعَصَّرُ أَنْعَصَرَتْ مِنْ ذِي الْقَوَارِيرِ وَالْحَنَاءِ وَالْكُتَمِ
يَرْتَجُّ مَا بَيْنَ كَعْبَيْهَا وَمَرْفَقَيْهَا إِذَا تَأْتَتْ قِيَامًا ثُمَّ لَمْ تَقُمْ
أَشْبَاهُ أُمَّ حَكِيمٍ إِذْ تُوَاصِلُنَا وَالْحَبْلُ مِنْهَا مَتَيْنٌ غَيْرُ مُنْجَدِمٍ
إِحْدَى بَنِي عَامِرٍ جُنَّ الْفَوَادُ بِهَا وَلَوْ تَشَلَّ شَقَتْ كَعْبًا مِنَ السَّقَمِ
فَرَعُ النِّسَاءِ وَفَرَعُ الْقَوْمِ وَالْدُّهَا أَهْلُ التَّحِلَّةِ وَالْإِفَاءِ بِالذَّمَمِ
لَمْ أَرِ شَمْسًا بَلِيلٍ قَبْلَهَا طَلَعَتْ حَتَّى تَجَلَّتْ لَنَا فِي لَيْلَةِ الظُّلَمِ (٢)

ثم شجب بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم ؛ فقال النبي صلى الله
عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن
إسحاق ، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بردة : ممن لى من ابن الأشرف !

(١) م : « ظاهرها » .

(٢) لم تذكر هذه الأبيات في رواية ابن هشام ؛ وذكر موضعها آياتاً مطلقاً :

طَحَنَتْ رَحَى بَدْرِ لِمَهْلِكِ أَهْلِهِ وَلِمِثْلِ بَدْرِ تَسْتَهْلُ وَتَدْمَعُ

قال : فقال محمد بن مسلمة ، أخو بني عبد الأشهل : أنا لك به يا رسول الله ، ١٣٧٠/١
أنا أقتله . قال : فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك ، فرجع محمد بن مسلمة ،
فكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب . إلا ما يعلّقُ [به] ^(١) نفسه ، فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعاه فقال له : لِمَ تركت الطعام والشراب ؟
قال : يا رسول الله ، قلت قولاً لا أدرى أفي به أم لا ! قال : إنما عليك الجهد ،
قال : يا رسول الله ، إنه لا بُدَّ لنا من أن نقول . قال : قولوا ما بدا لكم ، فأنتم
في حلٍّ من ذلك !

قال : فاجتمع في قتله محمد بن مسلمة وسليمان بن سلامة بن وقش -
وهو أبو نائلة أحد بني عبد الأشهل ، وكان أخاكعب من الرضاة - وعباد
ابن بشر بن وقش ، أحد بني عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ،
أحد بني عبد الأشهل ، وأبو عبس بن جبّر ، أخو بني حارثة . ثم قَدَّموا
إلى ابن الأشرف قبل أن يأتوه سليمان بن سلامة أبا نائلة ، فجاءه فتحدث
معه ساعة ، وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال : ويحك
يا ابن الأشرف ! إني قد جئتُك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكسّم عليّ ، قال :
أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل بلاءً [علينا] ^(١) عادتنا ^(٢) العرب ورمونا
عن قوسٍ واحدة ، وقطعت عنا السبيلُ حتى ضاع العيال ، وجهدت
الأنفس ، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالنا ! فقال كعب : أنا ابن الأشرف ،
أما والله لقد كنت أخبرتك يا بن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول ،
فقال سليمان : إني قد أردت أن تبعنا طعاماً ونزّهتك ونوثق لك ، وتحسن
في ذلك . قال : ترهونني أبناءكم ! فقال : لقد أردت أن تفضّحتنا ! إن معي
أصحاباً لي على مثل رأيي ، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم ، وتحسن في ١٣٧١/١
ذلك ، ونزّهتك من الحلقة ^(٣) ما فيه لك وفاء - وأراد سليمان ألا ينكر
السلاح إذا جاءوا بها - فقال : إن في الحلقة لوفاء ، قال : فرجع سليمان إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) م : « عادتنا » .

(٣) الحلقة هنا : السلاح كله .

أصحابه ، فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح فينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١) .

حدثنا ابنُ حميد قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق قال : فحدثني ثور بن زيد الدبلي ، عن عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : مشى معهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد ، ثم وجههم وقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعينهم . ثم رجع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته في ليلة مُقَمَّرَةٍ ، فأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتَفَ به أبو نائلة - وكان حديثَ عهد بعُرس - فوثب في ملحفتِه^(٢) ؛ فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤُ مُحاربٌ ؛ وإنَّ صاحبَ الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة . قال : إنه أبو نائلة ؛ لو وجدني نائماً لما أيقظني ، قالت : والله إني لأعرف في صوته الشر . قال : يقول لها كعب : لو دُعِيَ الفتى لطعنة^(٣) أجاب ، فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قالوا له : هل لك يا بن الأشرف ، أن نتماشى إلى شعب العجوز^(٤) فتحدث به بقية ليلتنا هذه ! قال : إن شئتم ! فخرجوا يتماشون ، فمشوا ساعة . ثم إنَّ أبا نائلة شام يده في فودِ رأسه ، ثم شمَّ يده ، فقال : ما رأيتُ كالليلة طيبَ عطرٍ قط . ثم مشى ساعة ثم عاد لمثلها ، حتى اطمأنَّ ثم مشى ساعة ، فعاد لمثلها ، فأخذ بفودِ رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ؛ فاختلعت عليه أسيافهم ، فلم تُغن شيئاً . قال محمد بن مسلمة : فذكرت مغولاً^(٥) في سيفي حين رأيتُ أسيافنا لا تغني شيئاً ، فأخذته ، وقد صاح عدوُّ الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار . قال : فوضعتة في ثُنْدُوتِه ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانَتَه ، ووقع عدوُّ الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ بجرح في رأسه أو رجله ، أصابه بعضُ أسيافنا .

١٣٧٢/١

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

(٢) الملحفة : اللباس الذي فوق سائر اللباس .

(٣) و : « إلى طعنة » ، ابن هشام : « لو يدعى إلى طعنة » .

(٤) شعب العجوز : موضع بظاهر المدينة ؛ ذكره ياقوت ، وقال : « قتل عنده كعب

ابن الأشرف » .

(٥) المغول : السكين التي تكون في السوط .

قال : فخرجنا حتى سلكنّا على بنى أميّة بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بُعات حتى أسندنا^(١) في حرة العريض ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ونزفه الدّم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتبع آثارنا . قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل وهو قائم يصلي ، فسلمنا عليه ، فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدوّ الله ، وتفلس على جرح صاحبنا ، ورجعنا إلى أهلنا ، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدوّ الله ، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ ظفرت به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحِيصَة بن مسعود على ابن سُنَيْسَة — رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويبيعهم فقتله — وكان حُوَيْصَة بن مسعود إذ ذاك لم يُسَلِّم ، وكان أسنّ من محيصة — فلما قتله جعل حويصة يضربه ويقول : أى عدوّ الله ! قتلتك^(٢) ! أما والله لرُبّ شحْم في بطنك من ماله ! قال محيصة : فقلت له : والله لو أمرنى بقتلك مَنْ أمرنى بقتله لضربت عنقك . قال : فوالله إن كان لأوّل إسلام حويصة ، وقال : لو أمرك محمد بقتلى لقتلتني ! قال : نعم والله ، لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك . قال : والله إن ديناً بلغ بك هذا لَعَجَب ! فأسلم حُوَيْصَة^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق . قال : حدثني هذا الحديث مولى لبني حارثة ، عن ابنة نخيصة ، عن أبيها .

قال أبو جعفر : وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

* * *

وزعم الواقدي أن في ربيع الأول من هذه السنّة تزوّج عثمان بن عفان أمّ كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأدخلت عليه في جمادى

(١) أسند في الحرة : صعبها .

(٢) ابن هشام : « أقتلتك ! » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤ .

الآخرة ، وأنّ في ربيع الأول من هذه السنة غزا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم غزوة أنمار—ويقال لها : ذو أمّر— وقد ذكرنا قول ابن إسحاق في ذلك قبل .
قال الواقديّ : وفيها وليد السائب بن يزيد ابن أخت النّمر .

* * *

غزوة القرّة

قال الواقديّ : وفي جُمادى الآخرة من هذه السنة ، كانت غزوة القرّة وكان أميرهم — فيما ذكر — زيد بن حارثة ، قال : وهي أول سرية خرج فيها زيد بن حارثة أميراً . ١٣٧٤/١

قال أبو جعفر : وكان من أمرها ما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سرية زيد بن حارثة التي بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم فيها حين أصاب عيرَ قريش ، فيها^(١) أبو سفيان بن حرب ، على القرّة ، ماء من مياه نجد . قال : وكان من حديثها أن قريشاً قد كانت خافت^(٢) طريقها التي كانت تسلك إلى الشام حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلّكوا طريق العراق ، فخرج منهم تجّار فيهم أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضّة كثيرة ؛ وهي عظم تجارتهم ، واستأجروا رجلاً من بكر بن وائل يقال له فرّات بن حبيّان ، يدلّهم على ذلك^(٣) الطريق ، وبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة ، فلقيهم على ذلك الماء ، فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرّجال ، فقدم بها على رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم^(٤)

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقديّ ، فزعم أنّ سبب هذه الغزوة كان أنّ قريشاً قالت : قد عورّ علينا محمد متّجراً ونحن على طريقنا . وقال أبو سفيان

(١) ابن هشام : « وفيها » .

(٢) ابن هشام : « خافوا طريقهم » .

(٣) ابن هشام : « في ذلك على الطريق » .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٢١ .

وصفوان بن أمية : إن أقمنابمكة أكلنا رموس أموالنا . قال أبو زمعة^(١) بن الأسود :
 فأنا أدلكم على رجل يسلك بكم النجدية ، لو سلكها مغمض العينين
 لاهتدى . قال صفوان : من هو ؟ فحاجتنا إلى الماء قليل ؛ إننا نحن
 شاتون . قال : فرات بن حيّان ؛ فدعواه فاستأجراه ؛ فخرج بهم في الشتاء ،
 فسلك بهم على ذات عرق ، ثم خرج بهم على غمرة ، وانتهى إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم خبر العير وفيها مال كثير ، وآتية من فضة حملها
 صفوان بن أمية ؛ فخرج زيد بن حارثة ، فاعترضها ، فظفر بالير ، وأفلت
 أعيان القوم ؛ فكان الخمس عشرين ألفا ، فأخذه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ، وقسم الأربعة الأخماس على السرية ، وأتى بفرات بن حيّان العجلي
 أسيراً ، فقبل : إن أسلمت لم يقتلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما
 دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم أسلم ، فأرسله .

* * *

مقتل أبي رافع اليهودي

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة كان مقتل أبي رافع اليهودي — فيما
 قيل — وكان سبب قتله ، أنه كان — فيما ذكر عنه — يظاهر كعب بن
 الأشرف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجه إليه — فيما ذكر —
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في النصف من جمادى الآخرة من هذه السنة
 عبد الله بن عتيك ، فحدثنا هارون بن إسحاق الهمداني ، قال : حدثنا
 مصعب بن المقدم ، قال : حدثني إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن
 البراء ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي
 — وكان بأرض الحجاز — رجلاً من الأنصار ، وأمر عليهم عبد الله بن عقبة —
 أو عبد الله بن عتيك — وكان أبو رافع يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ويغني عليه ، وكان في حصن له بأرض الحجاز ، فلما دنا منه وقد غربت
 الشمس ، وراح الناس بسرّحهم ، قال لهم عبد الله بن عقبة — أو عبد الله بن

(١) ط : « زمعة » ، وزمعة مات يوم بدر .

عَتِيكَ : اجلسوا مكانكم ، فإنني أنطلق وأتلفف للبواب ، لعلني أدخل ! قال : فأقبل حتى إذا دنا من الباب ، تقنّع بثوبه ؛ كأنه يقضي حاجة ، وقد دخل الناس ، فهتف به البواب . يا عبد الله ، إن كنت تريد أن تدخل فادخل ، فإنني أريد أن أغلق الباب . قال : فدخلت فكمننت^(١) تحت آري^(٢) حمار ؛ فلما دخل الناس أغلق الباب ثم علّق الأقاليد على ود^(٣) . قال : فقممت إلى الأقاليد فأخذتها ، ففتحت الباب ، وكان أبو رافع يسمرُ عنده في علالي ؛ فلما ذهب عنه أهل سمره ، فصعدتُ إليه فجعلت كلما فتحت باباً أغلقته على من داخل . قلت : إن القوم نذروا بي لم يخلصوا إلى حتى أقتله . قال : فانتهيتُ إليه ؛ فإذا هو في بيت مظلم وسط عياله ؛ لا أدري أين هو من البيت ! قلت : أبا رافع ! قال : من هذا ؟ قال : فأهويتُ نحو الصوت ، فأضربهُ ضربة بالسيف ، وأنا دهّش فما أغنى شيئاً وصاح ؛ فخرجت من البيت ومكثت غير بعيد . ثم دخلت إليه ، فقلت : ما هذا الصوت يا أبا رافع ؟ قال : لأملك الويل ! إن رجلاً في البيت ضربني قبل بالسيف ، قال : فأضربه فأثخنه ولم أقتله . قال : ثم وضعتُ ضبيب^(٤) السيف في بطنه ، حتى أخرجته من ظهره ، فعرفت أنني قد قتلت ، فجعلت أفتح الأبواب باباً فباباً ، حتى انتهيت إلى درجة ؛ فوضعت رجلي ، وأنا أرى أنني انتهيت إلى الأرض ، فوقعت في ليلة مقمرة ؛ فانكسرت ساق ، قال : فعصبتها بعمامتي ، ثم إنني انطلقتُ حتى جلست عند الباب ، فقلت : والله لا أبرح الليلة حتى أعلم : أقتلته أم لا ؟ قال : فلما صاح الديك ، قام الناعي عليه على السور ، فقال : أننعي أبا رافع ربّاح أهل الحجاز ! قال : فانطلقت إلى أصحابي ، فقلت : النجاء ! قد قتل الله أبا رافع ، فانتهيت إلى

(١) م : « فكنت » .

(٢) الآري : محبس الدابة .

(٣) الود : الودد ، بلغة تميم ، وفي ابن الأثير : « وتد » .

(٤) ضبيب السيف : حده .

النبي صلى الله عليه وسلم ، فحدثته فقال : ابسط رجلك ، فبسطتها فمسحها فكأنما لم أشتكها قط .

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن هذه السريّة التي وجهها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع سلام بن أبي الحقيق لأنما وجهها إليه في ذى الحجة من سنة أربع من الهجرة ، وأن الذين توجهوا إليه فقتلوه ، كانوا أبا قتادة ، وعبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، والأسود بن خزاعي ١٣٧٨/١ وعبد الله بن أنيس .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قصّ من قصّة هذه السريّة ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : كان سلام بن أبي الحقيق - وهو أبو رافع - ممّن كان حزّب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف في عداوته رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، فاستأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتل سلام بن أبي الحقيق ؛ وهو بخير ، فأذن لهم ^(١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن محمد بن إسحاق ، عن محمد مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : كان مما صنع الله به لرسوله أن هذين الحبيّين من الأنصار : الأوس والخزرج ؛ كانا يتصاولان ^(٢) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ؛ لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء ^(٣) إلا قالت الخزرج : والله لا يذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإسلام ؛ فلا يتنهون حتى يوقعوا مثلها . قال : وإذا فعلت الخزرج شيئاً ، قالت الأوس مثل ذلك . فلمّا أصابت الأوس

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩

(٢) يتصاولان : يتفاخران .

(٣) غناء : كفاية وخير .

كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : لا يذهبون بها فضلاً علينا أبداً . قال : فتذاكروا : مَنْ رَجُلٌ لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ! فذكروا ابنَ أبي الحقيق وهو بخير ؛ فاستأذنوا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج إليه من الخزرج ثم من بني سليمة خمسة ^(١) نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربيع ، وخزاعي بن الأسود ؛ حليف لهم من أسلم ، فخرجوا ، وأمر عليهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم عبدَ الله بن عتيك ، ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة .

١٣٧٩/١

فخرجوا حتى قدموا خير ؛ فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلاً ؛ فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه من خلفهم على أهله ، وكان في عليّة ^(٢) له إليها عَجَلَة ^(٣) روميّة ، فأسندوا فيها حتى قاموا على بابه فاستأذنوا ، فخرجت إليهم امرأته فقالت : مَنْ أنتم ؟ فقالوا : نفرٌ من العرب نلتمس الميرة ، قالت : ذاك صاحبكم فادخلوا عليه ، فلمّا دخلنا أغلقنا عليها وعلينا باب الحجرة ، وتخوفنا أن تكون دونه محاولة تحول بيننا وبينه . قال : فصاحت امرأته ، ونوّهت بنا ، وابتدريته وهو على فراشه بأسيافا ؛ والله ما يدلّنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ؛ كأنه قُبْطِيّة ^(٤) مُلْقاة . قال : ولما صاحبت بنا امرأته ، جعل الرجل منّا يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ؛ فيكفّ يده ؛ ولولا ذلك فرغنا منها بليل ، فلمّا ضربناه بأسيافنا ، تحامل عليه عبدُ الله بن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول : قَطَنِي قِطَنِي !

قال : ثم خرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك سيئ البصر ، فوقع من الدرجة فتوشت رجله وثثاً شديداً واحتملناه حتى نأق به متهدراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال : وأوقدوا النيران ، واشتدوا في كل وجه يطلبوننا ؛ حتى إذا

١٣٨٠/١

(١) ط : « ثمانية » ، والصواب ما أثبتته من ابن هشام .

(٢) المليّة ، بالكسر والضم : بيت منفصل عن الأرض بيت أو نحوه .

(٣) قال ابن الأثير : « في عجلة من نخل ، هو أن ينقر الخنوع ويجعل فيه مثل الدرج

ليصعد فيه إلى الغرف ونحوها » . (٤) القبطية : ضرب من الثياب منسوب إلى قبط مصر

(بالكسر) على غير قياس .

يشسوا رجعوا إلى صاحبهم فاكتنفوه ؛ وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ! فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم ، فانطلق حتى دخل في الناس ، قال : فوجدته ورجال يهود عنده ، وامرأته في يدها المصباح تنظر في وجهه . ثم قالت تحدثهم وتقول : أما والله لقد عرفت صوت ابن عتيك ؛ ثم أكذبت ، فقلت : أتى ابن عتيك بهذه البلاد ! ثم أقبلت عليه لتنظر في وجهه ثم قالت : فاظ (١) وإله يهود ! قال : يقول صاحبنا ؛ فما سمعت من كلمة كانت ألد إلى نفسي منها ، ثم جاءنا فأخبرنا الخبر فاحتملنا صاحبنا ، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده في قتله ؛ وكلنا يدعيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، فجنناها بها فنظر إليها ، فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام . فقال حسان بن ثابت ؛ وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وسلام ابن أبي الحقيق :

للهِ دَرٌّ عَصَابَةٍ لَا قِيَتَهُمْ يابنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا بَنَ الْأَشْرَفِ (٢)
يسرُّونَ بِالْبَيْضِ الْخُفَافِ إِلَيْكُمْ مَرَحًا كَأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرَفٍ (٣)
حَتَّى أَتَوْكُمْ فِي مَحَلٍّ بِلَادَكُمْ فَسَقَوْكُمْ حَتْفًا بَيْضَ ذُفِّ (٤)
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَضْعَفِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْجِفٍ (٥)

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي وعباس بن عبد العظيم العنبري ، قالا : حدثنا جعفر بن عون ، قال : حدثنا إبراهيم بن إسماعيل ، قال : حدثني إبراهيم بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك ، أن أباه حدثه عن أمه ابنة عبد الله بن أنيس ، أنها حدثته عن عبد الله بن أنيس ، أن

(١) فاظ : هلك . (٢) ديوانه ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، والعصاية : الجماعة من الناس .
(٣) يسرون ، من السرى ؛ وهو السر ليل . والببيض الخفاف : السيوف . ومرحاً : نشاطاً .
مغرف : أى في غريف ؛ وهو الأجمة من البردى والحلفاء والقصب .
(٤) ذفف ، أى سريعة القتل .

(٥) رواية الديوان : « مستضعفين لكل أمر » . والخبر والشعر سيرة ابن هشام ٢ : ٢٠٩-٢١١ .
(٣٢)

الرهط الذين بعثهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى ابن أبي الحُقَيْق ليقتلوه : عبد الله بن عَتِيك ، وعبد الله بن أنيس ، وأبو قَتَادَة ، وحليف لهم ، ورجل من الأنصار ؛ وأنهم قدِمُوا خَيْبَرَ ليلاً . قال : فعَمَدْنَا إلى أبوابهم نغلقها من خارج ، ونأخذ المفاتيح ، حتى أغلقنا عليهم أبوابهم ، ثم أخذنا المفاتيح فألقيناها في فقير^(١) ، ثم جئنا إلى المَشْرَبَةِ^(٢) التي فيها ابنُ أبي الحُقَيْق ، فظهرت عليها^(٣) أنا وعبد الله بن عتيك وقعد أصحابنا في الحائط ، فاستأذن عبد الله بن عتيك ؛ فقالت امرأة ابن أبي الحُقَيْق : إنَّ هذا لصوت عبد الله بن عتيك . قال ابنُ أبي الحُقَيْق : ثكلتك أمك ! عبدُ الله بن عتيك يئرب ؛ أين هو عندك هذه الساعة ! افتحي لي ؛ إنَّ الكريم لا يردُّ عن بابه هذه الساعة . فقامت ففتحت ؛ فدخلتُ أنا وعبد الله على ابن أبي الحُقَيْق ، فقال عبد الله بن عتيك : دونك ، قال : فشهرت عليها السيف ، فأذهب لأضربها بالسيف فأذكر نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عن قتل النساء والولدان ، فأكف عنها ، فدخل عبد الله بن عتيك على ابن أبي الحُقَيْق . قال : فأنظر إليه في مَشْرَبَةِ مظلمة إلى شدة بياضه ، فلمَّا رآني ورأى السيف ، أخذ الوسادة فاتَّقاني بها ، فأذهب لأضربه فلا أستطيع ، فوخزته بالسيف وخزاً . ثم خرج إلى عبد الله ابن أنيس ، فقال : أقتله ؟ قال : نعم ، فدخل عبد الله بن أنيس فذفَف عليه . قال : ثم خرجت إلى عبد الله بن عتيك ؛ فانطلقنا ، وصاحت المرأة : وابَيْتَانَاه وابَيْتَانَاه ! قال : فسقط عبدُ الله بن عتيك في الدَّرَجَة ، فقال : وارجلاه وارجلاه ! فاحتمله عبد الله بن أنيس ؛ حتى وضعه إلى الأرض . قال : قلت : انطلق ، ليس برجلك بأس . قال : فانطلقنا ، قال عبد الله بن أنيس : جئنا أصحابنا فانطلقنا ، ثم ذكرت قوسي أنى تركتها في الدَّرَجَة^(٤) ؛ فرجعت إلى قوسي ؛ فإذا أهلُ خَيْبَرَ يَمُوجُ بعضهم في بعض ؛ ليس لهم

١٣٨٢/١

(١) قال ابن الأثير : الفقير هنا : البئر .

(٢) المشربة : الغرفة ؛ لأنهم كانوا كانوا يشربون فيها .

(٣) و : « عليه » . (٤) الدرجة : المرقاة .

كلام إلا مَنْ قَتَلَ ابن أبي الحقيق؟ مَنْ قتل ابن أبي الحقيق؟ قال:
فجعلت لا أنظر في وجه إنسان، ولا ينظر في وجهي إنسان إلا قلت:
مَنْ قتل ابن أبي الحقيق؟ قال: ثم صعدت الدرجة؛ والناس يظهرون
فيها؛ ويتزولون؛ فأخذت قوسي من مكانها، ثم ذهبت فأدركت أصحابي،
فكننا نكمن النهار ونسير الليل؛ فإذا كمنّا بالنهار أقعدنا منّا ناطوراً^(١)
ينظر لنا؛ فإن رأى شيئاً أشار إلينا؛ فانطلقنا حتى إذا كنا بالبيضاء كنت -
قال موسى: أنا ناطورهم، وقال عباس: كنت أنا ناطورهم - فأشرت إليهم
فذهبوا جمزاً^(٢) وخرجت في آثارهم؛ حتى إذا اقتربنا من المدينة أدركتهم،
قالوا: ما شأنك؟ هل رأيت شيئاً؟ قلت: لا، إلا أني قد عرفت أن قد
بلغكم الإعياء والوصب، فأحببت أن يحملكم الفزع.

* * *

قال أبو جعفر: وفي هذه السنة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم حفصة
بنت عمر في شعبان؛ وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمي في
الجاهلية، فتوفى عنها.

وفيها كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً؛ وكانت في
شوال يوم السبت لسبع ليالٍ خلون منه - فيما قيل - من سنة ثلاث من
الهجرة.

* * *

غزوة أحد

قال أبو جعفر: وكان الذي هاج غزوة أحد بين رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومشركي قريش وقعة بدر وقتل مَنْ قُتل بيدٍ من أشرف
قريش ورؤسائهم؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن
إسحاق، قال: وحدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب

١٣٨٤/١

(١) الناطور في الأصل: حارس الكرم والنحل.

(٢) الجمز: السير السريع.

الزُّهْرَى ، ومحمد بن يحيى بن حَبَّان ، وعاصم بن عمر بن قَتَادَة ، والحُصَيْن ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن مُعَاذ وغيرهم من علمائنا ؛ كلَّهم قد حدَّث ببعض هذا الحديث عن يوم أُحُد ، وقد اجتمع حديثهم كلَّهم فيما سَقُتُ من الحديث عن يوم أُحُد ، قالوا^(١) :

لما أُصِيبَتْ قريش - أو من قاله منهم - يوم بدر من كفار قريش من أصحاب القَلْبِيب ، فرجع فكلَّهم^(٢) إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبد الله بن أبي ربيعة ، وعِكْرَمَة بن أبي جهل ، وصفوان بن أمية ، في رجال من قريش ممَّن أُصِيبَ آبَاؤُهُم وأَبْنَاؤُهُم وإِخوانُهُم ببدر ؛ فكلَّموا أبا سفيان بن حرب ومَن كانَتْ له في تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشرَ قريش ، إنَّ مُحَمَّدًا قد وتَرَكَم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربِهِ ؛ لعلَّنا أن ندرك منه ثأراً بمن أُصِيبَ مِنَّا ، فاجتمع قريش لحرب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حين فعل ذلك أبو سفيان وأصحاب العير بأحبيشها^(٣) ومن أطاعها من قبائل كِنانة وأهل تِهامة ؛ وكلَّ أولئك قد استَعَوْوا^(٤) على حرب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم .

١٣٨٥/١

وكان أبو عَزَّة عمرو بن عبد الله الجُمَحِيّ قد منَّ عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يوم بدر . وكان فقيراً ذا بنات^(٥) ، وكان في الأسارى ، فقال : يا رسولَ الله ، إني فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتُها ، فامننْ عليَّ صَلَّى الله عليك ! فنَّ عليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال صَمَقَوَان

(١) أخبار غزوة أحد عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٥ - ١٤٣ ، والأغاني ١٥ : ١٧٩ - ٢٠٧ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفل : القوم المنهزمون .

(٣) الأحابيش : الجماعة أياً كانوا ؛ أو هم أحابيش قريش ، أو هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمه ؛ اجتمعوا عند جبل يسمى « حبشيا » ، بأسفل مكة ، فحالفوا قريشاً .

(٤) يقال : هو يستعوى القوم ؛ أى يستغيث بهم ؛ وفي الأغاني : « استغفوا » بالغين المعجمة ؛ وهما سواء .

(٥) ابن هشام : « عيال » .

ابن أمية : يا أبا عزة ، إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فخرج معنا .
 فقال : إن محمدًا قد منّ عليّ فلا أريد أن أظاهيرَ عليه ، فقال : بلى
 فأعنا بنفسك ، فلك الله^(١) إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل
 بناتك مع بناتي يصيبهنّ ما أصابهنّ من عسر ويسر . فخرج أبو عزة يسير
 في تهامة ، ويدعو بني كنانة . وخرج مسافع بن عبد مناف بن وهب بن
 حذافة بن جُمح ؛ إلى بني مالك بن كنانة يحرضهم ويدعوهم إلى حرب
 رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، ودعا جبير بن مطعم غلامًا له يقال له
 وحشي ، كان حبشيًا يقذف بحربة له قدّف الحبشة ، قلما يُخطئ بها ،
 فقال له : اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت عمّ محمد بعمى طعيمة بن
 عدي فأنت عتيق .

فخرجت قريش بحدّها وجدّها وأحايشها ، ومن معها^(٢) من بني
 كنانة وأهل تهامة ، وخرجوا معهم بالطّعن^(٣) التماس الحفيظة ؛ ولثلاً
 يفرّوا . فخرج أبو سفيان بن حرب - وهو قائد الناس ، معه هند بنت عتبة
 ابن ربيعة - وخرج عكرمة بن أبي جهل بن هشام بن المغيرة بأُم حكيم بنت
 الحارث بن هشام بن المغيرة ، وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت
 الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية بن خلف بَبْرزة - قال أبو جعفر:
 وقيل ببرّة - بنت مسعود بن عمرو بن عمير الثقفية ؛ وهي أمّ عبد الله
 ابن صفوان - وخرج عمرو بن العاص بن وائل بريطة بنت منبّه بن
 الحجاج ، وهي أمّ عبد الله بن عمرو بن العاص ، وخرج طلحة بن
 أبي طلحة ، وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار بسُلّافة
 بنت سعد بن شهيد - وهي أمّ بني طلحة مُسافع والجلاس وكلاب ؛ قتلوا
 يومئذ وأبوهم - وخرجت خناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بني مالك
 ابن حِسل ، مع ابنها أبي عزيز بن عمير ؛ وهي أمّ مُضغَب بن عمير ،

(١) ابن هشام : « لك الله » .

(٢) م : « تبها » .

(٣) الظن : جمع ظئنة ؛ وهي المرأة ما دامت في المودج .

وخرجت عَمْرَة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ وكانت هند بنت عُتْبَة بن ربيعة كُلَّمَا مَرَّتْ بوحشَى أو مَرَّ بها قالت : إليه ^(١) أبا دَسَمَة ! اشْف واشتَف - وكان وحشَى يكنى أبا دَسَمَة . فأقبلوا حتى نزلوا بعينين بجبل بيطن السَّبْحَة ؛ من قناة على شفير الوادى ممّا يلي المدينة .

١٣٨٧/١

فلَمَّا سمع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم والمسلمون قد نزلوا حيث نزلوا قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم للمسلمين : إني قد رأيت بقرًا فأولتها خيرًا ، ورأيت في ذُباب سيفي ثَلَمًا ، ورأيت أننى أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة ؛ فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مقام ؛ وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها . ونزلت قريش منزلها من أحد يوم الأربعاء . فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة . وراح رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين صَلَّى الجمعة ، فأصبح بالشعب من أحد . فالتقوا يوم السبت للنصف من شوال ؛ وكان رأى عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، يرى رأى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم في ذلك : ألا يخرج إليهم ؛ وكان رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم يكره الخروج من المدينة ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره : يا رسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ^(٢) ، لا يروُنّا أنّا جَبَنًا عنهم وضعفنا ، فقال عبدُ الله بن أبي بن سلول : يا رسولَ الله ، أقم بالمدينة ولا تخرج إليهم ؛ فوالله ما خرجنا منها إلى عدوّ لنا قطّ إلاّ أصاب منّا ، ولا دخلها ^(٣) علينا إلاّ أصبنا منه ، فدعّهم يا رسولَ الله ؛ فإن أقاموا أقاموا بشرّ مجلس ، وإن دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ، ورامهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ،

١٣٨٨/١

(١) ابن هشام : « وها » .

(٢) م : « أعداء الله » .

(٣) الأغاني : « يدخلها » .

وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا. فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ؛ حتى دخل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فليس لأُمته ؛ وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة ، وقد مات في ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له مالك بن عمرو ، أحد بني النّجار ، فصلّى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ثم خرج عليهم وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهَ هُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ذلك لنا .

* * *

قال أبو جعفر : وأما السديّ ؛ فإنه قال في ذلك غير هذا القول ؛ ولكنه قال ما حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بتزول المشركين من قريش وأتباعها أحداً ، قال لأصحابه : أشيروا عليّ ما أصنع ! فقالوا : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ، فقالت الأنصار : يا رسول الله ، ما غلبنا عدوّ لنا قطّ أنا في ديارنا (١) ، فكيف وأنت فينا ! فدعا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عبدَ الله بن أبيّ بن سلّول — ولم يدعه قطّ قبلها — فاستشاره فقال : يا رسولَ الله ، اخرج بنا إلى هذه الأكلب ؛ وكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة ، فيقاتلوا في الأزقة ، فأتاه النّعمان بن مالك الأنصاريّ ، فقال : يا رسولَ الله لا تحرمني الجنة ؛ فواللّذي بعثك بالحقّ لأدخلنّ الجنة ، فقال له : بيم ؟ قال : بأنّي أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنّك رسول الله ، وأنّي لا أفرّ من الزّحف . قال : صدقت ، فقتل يومئذ . ثم إن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها ، فلما رأوه قد لبس السّلاح ندموا وقالوا : بش ما صنعنا ! نشيرُ على رسول الله والوحي يأتيه ! فقاموا فاعتذروا إليه ، وقالوا : اصنع ما رأيت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : لا ينبغي لنبيّ أن يلبس لأُمته فيضعها حتى يقاتل . فخرج

رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى أحد في ألف رجل ؛ وقد وعدهم الفتح إن صبروا . فلمّا خرج رجع عبد الله بن أبي بن سلول في ثلاثمائة ، فنبعهم أبو جابر السُّلَميّ يدعوهم ، فلمّا غلبوه وقالوا له : ما نعلم قتالا ؛ ولئن أطينّا لترجعن معنا ؛ قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾^(١) فهم بنو سَلِمة وبنو حارثة ، همّوا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي ، فعصمهم الله عزّ وجلّ ، وبقي رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في سبعمائة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : قالوا : لما^(٢) خرج عليهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قالوا : يا رسولَ الله ؛ استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ما ينبغي لنبيّ إذا لبس لأمتّه أن يضعها حتى يقاتل ؛ فخرج رسولُ الله في ألف رجل من أصحابه ؛ حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين أحد والمدينة انخزل عنه عبد الله بن أبيّ بن سلول بثلاث الناس ، فقال : أطاعهم فخرج وعصاني ؛ والله ما ندرى علام نقتل أنفسنا ها هنا أيها الناس ! فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النِّفاق وأهل الرِّيب ، واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام ، أخو بني سلمة ، يقول : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيّكم وقومكم عند ما حضر من عدوهم ! قالوا : لو نعلم أنّكم تقاتلون ما أسلمناكم ؛ ولكنّا لا نرى أن يكون قتال ، فلما استعصوا عليه ، وأبوا إلا الانصراف عنه ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ! فسيغنى الله عنكم !

* * *

قال أبو جعفر : قال محمد بن عمر الواقديّ : انخزل عبد الله بن أبيّ عن رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الشَّيْخين بثلاثمائة ، وبقي رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في سبعمائة ، وكان المشركون ثلاثة آلاف ، والحليل

(١) سورة آل عمران ١٢٢ .

(٢) م : « فلما » .

مائتي فرس ، والظُّعَنُ خمس عشرة امرأة .

قال : وكان في المشركين سبعمائة دارع ؛ كان في المسلمين مائة دارع ؛ ولم يكن معهم من الخيل إلاّ فرسان : فرسٌ لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وفرس لأبي بردة بن نيار الحارثي . فأدلىج^(١) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من ١٣٩١/١ الشيخين حين طلعت الحمراء - وهما أُطمان ، كان يهودى ويهودية أعميان يقومان عليهما ؛ فيتحدّثان فلذلك ، سُميّا الشيخين ؛ وهو في طرف المدينة - قال : وعرض رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم المقاتلة بالشيخين بعد المغرب ؛ فأجاز مَنْ أجاز ، وردّ مَنْ ردّ ، قال : وكان فيمن ردّ زيد بن ثابت وابن عمر ، وأسيد بن ظهير ، والبراء بن عازب ، وعَرَّابة بن أوس . قال : وهو الذي قال فيه الشَّماخ :

رَأَيْتُ عَرَّابَةَ الْأَوْسِيِّ يَنْبِيْ
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَّابَةُ بِالْيَمِينِ^(٢)

قال : وردّ أبا سعيد الخُدريّ ، وأجاز سَمُرَةَ بن جندب ورافع بن خديج ، وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قد استصغر رافعاً ، فقام على خُفَّين له فيهما رقاع ، وتناول على أطراف أصابعه ؛ فلما رآه رسولُ الله صَلَّى الله تعالى عليه وسلّم أجازَه .

حدَّثني الحارث ، قال : حدَّثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا محمد بن عمر ، قال : كانت أم سَمُرَةَ بن جندب تحت مُرَيّ بن سِنان بن ثعلبة ، عمّ أبي سعيد الخُدريّ ، فكان ربيبه ، فلما خرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى أحد ، وعرض أصحابه ، فردّ من استصغر ردّ سَمُرَةَ بن جندب ، وأجاز رافع بن خديج ، فقال سَمُرَةُ بن جندب لربيبه مُرَيّ بن سنان : يا أبتِ ،

(١) أدلىج : سار في آخر الليل .

(٢) ديوانه ٩٦ ، ٩٧

١٣٩٢/١ أجاز رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم رافع بن خديج ، وردّني وأنا أصرع رافع بن خديج ، فقال : مُرّني بن سنان : يا رسول الله ، رددت ابني ، وأجزت رافع بن خديج وابني يصرعه ! فقال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم لرافع وسمرة : تصارعا ، فصرع سمرة رافعاً ، فأجازه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فشهدا مع المسلمين .

قال : وكان دليل النبي صَلَّى الله عليه وسلّم أبو حثمة الحارثي .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : قال : ومضى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم حتى سلك في حرّة بني حارثة ، فذبّ فرس بذنبه ^(١) ، فأصاب كلاب ^(٢) سيف ، فاستلّه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم - وكان يُحبُّ القال ولا يعتاف - لصاحب السيف : شِم سيفك ، فإني أرى السيوف تستسلُّ اليوم . ثم قال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لأصحابه : من رجلٌ يخرج بنا على القوم من كسب ، من طريق لا يمرُّ بنا عليهم ؟ فقال أبو حثمة ^(٣) أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فقدّمه فنفذ به في حرّة بني حارثة وبين أموالهم حتى سلك به في مال المربع بن قيطي - وكان رجلاً منافقاً ضرير البصر - فلما سمع حس رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ومن معه من المسلمين ، قام يحشني في وجوههم التراب ، ويقول : إن كنت رسول الله ، فإني لا أحلُّ لك أن تدخل حائطي ، قال : وقد ذكر لي أنه أخذ حفنة من تراب في يده ، ثم قال : لو أعلم أنني لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا تفعلوا ؛ فهذا الأعمى البصر ، الأعمى القلب . وقد بدّر إليه سعد بن زيد أخو بني عبد الأشهل حين نهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عنه ،

١٣٩٣/١

(١) ذب بذنبه ، أي حركه ليذب به الطير .

(٢) الكلاب : مسار يكون في قائم السيف ؛ وفيه النؤابة لتعلقه بها .

(٣) ابن هشام والأغاني : « خيشمة » .

فضربه بالقوس في رأسه فشجّه ، ومضى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على وجهه ؛ حتى نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحدٌ حتى نأمره بالقتال ؛ وقد سرتحت قريش الظهْر^(١) والكرع في زروع كانت بالصمغة^(٢) من قناة للمسلمين . فقال رجل من المسلمين حين نهى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن القتال : أترعى زروع بني قيلة^(٣) ! ولمّا نُضارب ! وتعباً رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للقتال وهو في سبعمئة رجل ، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل ؛ ومعهم مائتا فرس قد جنبوها ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل ، وأمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على الرّماة عبد الله بن جُبَيْر ، أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلّم بشياب بيض ، والرّماة خمسون رجلاً ، وقال : انضح^(٤) عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا إن كانت لنا أو علينا ؛ فاثبت مكانك لا تؤثّين من قبلك ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين درعين^(٥) .

* * *

فحدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدم ، قال : ١٣٩٤/١ : حدثنا إسرائيل . وحدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، قال : حدثنا أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : لمّا كان يومُ أحد ، ولقي رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المشركين أجلس رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم رجالاً بإزاء الرّماة ، وأمر عليهم عبد الله بن جُبَيْر ، وقال لهم : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتمونا ظهرنا عليهم ، وإن رأيتموهم ظهرُوا علينا فلا تعينونا . فلمّا لقي القوم هزم المشركين حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن ، وبدت

(١) الظهر : الإبل . والكرع : الخيل .

(٢) الصمغة : موضع قرب أحد .

(٣) بنو قيلة : الأوس والخزرج .

(٤) انضح الخيل ؛ أى ادفهم .

(٥) ظاهر بين درعين ؛ أى لبس درعا فوق درع .

خلاخيلهنّ ، فجعلوا يقولون : الغنيمة الغنيمة ! فقال عبد الله : مهلا ، أما علمتم ما عهد إليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأبَوْا ، فانطلقوا ، فلَمَّا أتَوْهم صَرَف الله وجوهمهم ؛ فأصيب من المسلمين سبعون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : أقبل أبو سفيان في ثلاث ليال خلون من شوال ، حتّى نزل أحدًا ، وخرج النبي صلى الله عليه وسلم ، فأذن في الناس فاجتمعوا ، وأمر الزبير على الخيل ؛ ومعه يومئذ المقداد بن الأسود الكندي ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللّواء^(١) رجلاً من قريش يقال له مُصعب بن عمير ، وخرج حمزة بن عبد المطلب بالحسر^(٢) ، وبُعِث حمزة بين يديه ، وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ؛ ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير ، وقال : استقبل خالد^(٣) بن الوليد ؛ فكنّ بإزائه حتّى أودنك ، وأمر بخيل أخرى ، فكانوا من جانب آخر ، فقال : لا تبرحن^(٤) حتّى أودنكم . وأقبل أبو سفيان يحمل اللّات والعزى ، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الزبير أن يحمل ، فحمل على خالد بن الوليد ؛ فهزمه الله ومن معه ، فقال : ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ ﴾ — إلى قوله — ﴿ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ﴾^(٥) ؛ وإنّ الله عزّ وجلّ وعَدَ المؤمنين أن ينصرهم^(٦) ؛ وأنّه معهم . وأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناساً من الناس ؛ فكانوا من ورائهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كونوا ها هنا ، فردُّوا وجهَ مَنْ فرّ منّا ، وكونوا حراساً لنا من قبيل ظهورنا . وأنّ رسول

١٣٩٥/١

(١) الأغاني : « الراية » .

(٢) الأغاني : « بالجيوش » .

(٣) و : « خالدا » .

(٤) و : « لا تبرحوا » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٢ .

(٦) الأغاني : « النصر » .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم لمّا هزم القوم هو وأصحابه ، قال الذين كانوا جُعِلُوا من ورأهم بعضهم لبعض ، ورأوا النساء مُصْعَدَات في الجبل ، ورأوا الغنائم : انطلقوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فأدركوا الغنمة^(١) قبل أن يسبقونا^(٢) إليها ؛ وقالت طائفة أخرى : بل نطيع رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم فنثبت مكاننا ؛ فذلك قوله لهم : ﴿ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا ﴾ الذين أرادوا الغنمة ، ﴿ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ﴾ الذين قالوا : نطيع رسول الله ونثبت مكاننا ، فكان ابن مسعود يقول : ما شعرت أن أحداً من أصحاب النبي صَلَّى الله عليه وسلّم كان يريد الدنيا وعرضها ؛ حتى كان يومئذ .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لمّا برز رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى المشركين بأحد أمر الرّثّة ، فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين ؛ وقال [لهم]^(٣) : لا تبرحوا مكانكم إن رأيتم [أننا]^(٤) قد هزمناهم ، فإنّا لا نزال غالبين ما ثبتتم مكانكم . وأمّر عليهم عبد الله بن جُبَيْر أخا خوات بن جُبَيْر . ثم إن طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام ، فقال : يا معشر أصحاب محمد ، إنكم تزعمون أن الله يعجلنا^(٥) بسيفكم إلى النار ، ويعجلكم بسيفنا إلى الجنة ؛ فهل منكم أحدٌ يعجله الله بسيفي إلى الجنة ، أو يعجلني بسيفه إلى النار ! فقام إليه عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه ، فقال : والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى أعجلك^(٥) بسيفي إلى النار ، أو تعجلني بسيفك إلى الجنة ، فضربه علىّ فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته ، فقال : أنشدك الله والرحم يا بن عم ! فتركه ، فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وقال لعلّي : ما منعك أن تجهيزَ عليه ؟ قال : إن ابن عمّي ناشدني حين انكشف

(١) الأغاني : « الغنائم » .

(٢) الأغاني : « يسبقوا » .

(٣-٣) من الأغاني .

(٤) الأغاني : « تعجلنا » .

(٥) الأغاني : « يعجلك الله عز وجل بسيفي إلى النار » .

عورته فاستحييتُ منه . ثم شدّ الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود على المشركين فهزمهم ؛ وحملَ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه فهزموا أبا سفيان . فلما رأى ذلك خالد بن الوليد - وهو على خيل المشركين - حمل فرمته الرماة فانقمع ^(١) . فلما نظر الرماة إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه ، بادروا الغنيمة ، فقال بعضهم : لا نترك أمر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم . وانطلق عامتهم فلحقوا ^(٢) بالعسكر ، فلما رأى خالد قلّة الرماة صاح في خيله ، ثم حمل فقتل الرماة ؛ وحمل على أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم . فلما رأى المشركون أنّ خيلهم تقاتل ، نادوا فشدوا على المسلمين ، فهزمهم وقتلهم .

فحدثني بشر بن آدم ، قال : حدثنا عمرو بن عاصم الكلابيّ ، قال : حدثنا عبيد الله بن الوازع ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، قال : قال الزبير : عرض رسول الله صلّى الله عليه وسلم سيفاً في يده يوم أحد ؛ فقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ قال : فقممت فقلت : أنا يا رسول الله ، قال : فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقممت فقلت : أنا يا رسول الله ، فأعرض عني ، ثم قال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقال : أنا آخذه بحقه ؛ وما حقه ؟ قال : حقه ألا تقتل به مسلماً ، وألا تفرّ به عن كافر ؛ قال : فدفعه إليه . قال : وكان إذا أراد القتال أعلم بعصاة ؛ قال : فقلت : لأنظرن اليوم ما يصنع ، قال : فجعل لا يرتفع له شيء إلا هتكه وأفراه ؛ حتى انتهى إلى نسوة في سفح جبل ، معهن دُفوف هن ؛ فيهن امرأة تقول :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقٍ إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقُ
وَنَبْسُطُ النَّمَارِقُ أَوْ تَذْبِرُوا نُفَارِقُ
* فِرَاقٌ غَيْرِ وَاِمِقْ *

(١) انقمع : اختفى .

(٢) و : « فلق » .

قال : فرفع السيف ليضربها ، ثم كف عنها . قال : قلت : كل عملك قد رأيت ، أرايت رفعلك للسيف عن المرأة بعد ما أهويت به إليها ! قال : فقال : أكرمت سيف رسول الله أن أقتل به امرأة .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فقال رسول الله صلى الله عليه ١٣٩٨/١ وسلم : مَنْ يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ^(١) ؛ حتى قام إليه أبو دُجَّانة سمالك بن خَرْشَة أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به في العدو حتى ينحني ؛ فقال : أنا آخذه بحقه يا رسول الله ؛ فأعطاه إياه — وكان أبو دُجَّانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصاة له حمراء يعصها على رأسه علم الناس أنه سيقا تل — فلمّا أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ عصابته تلك ، فعصب ^(٢) بها رأسه ؛ ثم جعل يتبخر بين الصّفين .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بني سلمة ؛ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أبا دُجَّانة يتبخر : إنّها لمشيةٌ يبغيضها الله عزّ وجلّ إلّا في هذا الموطن . وقد أرسل أبو سفيان رسولاً ، فقال : يا معشر الأوس والخزرج ، خلّوا بيننا وبين ابن عمّنا ننصرف عنكم ، فإنّه لا حاجة لنا بقتالكم . فردّوه بما يكره .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ١٣٩٩/١ عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أبا عامر عبد ^(٣) عمرو بن صيفي بن مالك بن النعمان بن أمة ^(٤) ، أحد بني ضُبَيْعَة ؛ وقد كان خرج إلى مكة مباعدًا

(١) الأغاني : « بينهم » .

(٢) ابن هشام : « فاعتصب بها » .

(٣) ساقطة من الأغاني .

(٤) الأغاني : « أمة » .

لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، معه خمسون غلاماً من الأوس ؛ منهم عثمان ابن حُنَيْفٍ - وبعض النَّاسِ يقول : كانوا خمسة عشر - فكان يعد قريشاً أن لو قد لقِيَ مُحَمَّدٌ لم يختلف عليه منهم رجلان ، فلمّا التقى الناس ، كان أوّل مَنْ لَقِيَهُمْ أبو عامر في الأحابيش وعُبدَانِ أهل مَكَّةَ ، فنادى : يا معشر الأوس ، أنا أبو عامر ، قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يا فاسق - وكان أبو عامر يسمّى في الجاهلية «الراهب» ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم «الفاسق» - فلمّا سمع ردّهم عليه ، قال : لقد أصاب قومي بعدى شرّاً . ثم قاتلهم قتالا شديداً ، ثم راضخهم بالحجارة ^(١) ، وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللّواء من بني عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يا بني عبد الدار ، إنكم وليتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ؛ وإنّما يؤتى النَّاسُ من قبل راياتهم ؛ إذا زالت زالوا ؛ فلما أن تكفونا لواءنا ؛ وإما أن تخلصوا بيننا وبينه فسنكفيكموه . فهمّوا به وتواعده ، وقالوا : نحن نسلّم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ! وذلك الذي أراد أبو سفيان . فلمّا التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة في النسوة اللّواتي معها ، وأخذن الدُّفوفَ يضربن خلف الرجال ويحرّضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

إِنْ تُقْبَلُوا نُعَانِقُ وَنَفْرَشُ النَّمَارِقُ
أَوْ تَدْبُرُوا نُفَارِقُ فِرَاقَ غَيْرِ وَاِمِقُ

وتقول :

وَيْهًا بَنِي عَبْدِ الدَّارِ^(٢) ! وَيَهًا حُمَاةَ الْأَدْبَارِ^(٣) !
* ضَرْبًا بِكُلِّ بَتَّارٍ^(٤) *

(١) الأغاني : « الحجارة » . والمراضحة : المراماة .

(٢) الأغاني : « إيهًا » .

(٣) حماة الأدبار : الذين يحمون أعقاب الناس .

(٤) البتار : السيف القاطع .

واقْتَتَلَ الناسَ حتَّى حميت الحرب ، وقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ حتَّى أَمْعَنَ فِي الناسِ ، وَحَمَزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ وَعَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي رِجَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَصْرَهُ ، وَصَدَقَهُمْ وَعْدَهُ ، فَحَسُّوهُمْ ^(١) بِالسَّيْفِ حتَّى كَشَفُوهُمْ ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ لَا شَكَّ فِيهَا .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ عَبَّادٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، قَالَ : قَالَ الزُّبَيْرُ : وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَنْظُرَ إِلَى خَدَمِ هِنْدَ بِنْتِ عَتَبَةَ وَصَوَاحِبِهَا ^(٢) ١٤٠١/١ مَشْمَرَاتٍ هَوَّارٍ ، مَادُونِ أَخْذِهِمْ قَلِيلٌ كَثِيرٌ ؛ إِذْ مَالَتِ الرُّمَّةُ إِلَى الْعَسْكَرِ حِينَ كَشَفْنَا الْقَوْمَ عَنْهُ يَرِيدُونَ النَّهْبَ ، وَخَلَوْا ظَهْرَنَا لِلْخَيْلِ ؛ فَأَتَيْنَا مِنْ أَدْبَارِنَا وَصَرَخَ صَارِخٌ : أَلَا إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ! فَاِنْكَفَأْنَا ^(٣) وَانْكَفَأَ عَلَيْنَا الْقَوْمُ ؛ بَعْدَ أَنْ أَصَبْنَا أَصْحَابَ اللَّوَاءِ حتَّى مَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ مِنَ الْقَوْمِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ ، أَنَّ اللَّوَاءَ لَمْ يَزَلْ صَرِيحًا حتَّى أَخَذَتْهُ عَمْرَةُُ بِنْتُ عُلْقَمَةَ الْحَارِثِيَّةُ ، فَرَفَعَتْهُ لِقَرِيشٍ ، فَلَاثُوا بِهِ ^(٤) ، وَكَانَ اللَّوَاءُ مَعَ صَوَابٍ ، غُلَامٌ لِبْنِي أَبِي طَلْحَةَ ، حَبَشِيٌّ ، وَكَانَ آخِرَ مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُمْ ، فَقَاتَلَ حتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ ، ثُمَّ بَرَكَ عَلَيْهِ ، فَأَخَذَ اللَّوَاءَ بِصَدْرِهِ وَعُنُقِهِ حتَّى قُتِلَ عَلَيْهِ ؛ وَهُوَ يَقُولُ : اللَّهُمَّ هَلْ أَعْذَرْتُ ! فَقَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ فِي قَطْعِ يَدِ صَوَابٍ حِينَ تَقَافُوا بِالشَّعْرِ :

فَفَرَّوْهُم بِاللَّوَاءِ وَشَرُّ فَخْرٍ لَوْ لَا حِينَ رُدَّ إِلَى صَوَابٍ ^(٥)
جَعَلْتُمْ فَخْرَكُمْ فِيهَا لَعَبْدٍ مِنَ الْأُمَمِ مَنْ وَطِئَ عَفْرَ التَّرَابِ ^(٦)

(١) حَسُّوهُمْ : اسْتَصَلَبُوهُمْ . (٢) وَ : « وَصَوَاحِبُهَا » .

(٣) انْكَفَأْنَا : رَجَعْنَا .

(٤) لَاثُوا بِهِ : اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ . وَفِي الْأَغَانِي : « فَلَاثُوا بِهَا » . (٥) دِيْوَانُهُ ٦٢

(٦) ابْنُ هِشَامٍ وَالِدِيَّانُ : « مَنْ يَطَأُ عَفْرَ التَّرَابِ » .

ظَنَنْتُمْ وَالسَّفِيهُ لَهُ ظُنُونٌ وَمَا إِنْ ذَاكَ مِنْ أَمْرِ الصَّوَابِ
بَأَنَّ جِلَادَنَا يَوْمَ التَّقِينَا بِمَكَّةَ بَيْنَكُمْ حُمْرَ الْعِيَابِ
أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهُ وَمَا إِنْ تُمْصَبَانِ عَلَى خَضَابٍ^(١)

حدثنا أبو كُرَيْبٍ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا حِبَّانُ ابن عليٍّ ، عن محمد بن عبيد الله بن أبي رافع ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : لما قَتَلَ عليٌّ بن أبي طالب أصحاب الألوية^(٢) ، أبصر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليٍّ : احمل عليهم ، فحمل عليهم ؛ ففرّق جمعهم ، وقتل عمرو بن عبد الله الجُمَحِيُّ . قال : ثم أبصر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم جماعة من مشركي قريش ، فقال لعليٍّ : احمل عليهم ، فحمل عليهم ففرّق جماعتهم ؛ وقتل شيبة بن مالك أحد بني عامر بن لُؤَيٍّ ، فقال جبريل : يا رسولَ الله ، إن هذه لَلْمُؤَاسَاةُ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إنه منّي وأنا منه ، فقال جبريل : وأنا منكما ، قال : فسمعوا صَوْتَنَا :

لَا سَيْفَ إِلَّا ذُو الْقَعَا ر وَلَا فَتًى إِلَّا عَلِيٌّ

قال أبو جعفر : فلما أتى المسلمون من خلفهم انكشفوا وأصاب منهم المشركون ، وكان المسلمون لما أصابهم ما أصابهم من البلاء أثلاثاً : ثلث قتل ، وثلث جريح ، وثلث منهزم ؛ وقد جهده الحرب حتى ما يدرى ما يصنع ، وأصيب ربّاعية^(٣) رسول الله صلى الله عليه وسلم السفلى ، وشُقَّتْ شفته ،

(١) قال ابن هشام : « آخرها بيتا يروى لأبي خراش الهذلي ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أَقْرَّ الْعَيْنَ أَنْ عُصِبَتْ يَدَاهَا وَمَا إِنْ تُمْصَبَانِ عَلَى خَضَابِ

في أبيات له يعنى امرأته في غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضاً لمعقل بن خويلد الهذلي » .

(٢) الأغاني : « لما قتل أصحاب الألوية » .

(٣) الرباعية : السن التي بين الثانية والثلاث .

وكُلِّمَ في وجنتيه وجبته في أصول شعره ، وعلاه ابنُ قميئة بالسيف على شقه الأيمن ؛ وكان الذي أصابه عُتْبَةُ بن أبي وقاص .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن حميد ، عن أنس بن مالك ، قال : لما كان يوم أحد ، كُسِرَتْ رَبَاعِيَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وشج ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم عن وجهه ، ويقول : كيف يُفْلَحُ قومٌ خَضَبُوا وجه نبيهم بالدم . وهو يدعوهم إلى الله عز وجل ! فأنزل الله عز وجل : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ... ﴾ (١) الآية .

* * *

قال أبو جعفر : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم : مَنْ رَجُلٌ يَشْرِي لَنَا نَفْسَهُ !

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن محمود بن عمرو بن يزيدي بن السكك ، قال : فقام زياد بن السكك في نفر خمسة من الأنصار ، وبعض الناس يقول : إنما هو عمارة بن زياد ابن السكك ، فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، ثم رجلا ، يقتلون دونه ؛ حتى كان آخرهم زياد — أو عمارة بن زياد بن السكك (٢) — فقاتل حتى أثبتته الجراحة ، ثم فاءت من المسلمين فئة (٣) حتى أجهضوهم (٤) عنه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أدنوه مني ، فأدنوه منه ، فوسدته قدمه ؛ فمات وخذته على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترس دون ١٤٠٤/١

(١) سورة آل عمران ١٢٨ .

(٢) الأغاني : « زياد بن عمارة بن زياد بن السكك » .

(٣) الفئة : الجماعة .

(٤) أجهضوهم : أزالوهم وغلبوهم .

(٥) الأغاني : « من دون » .

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أبو دُجَانَةَ بنفسه يَقَعُ النَّبْلَ فِي ظَهْرِهِ وهو مُنْحَنٍ عَلَيْهِ ؛ حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِ النَّبْلُ ، وَرَمَى سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ سَعْدٌ : فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنَاولُنِي وَيَقُولُ : ارْمِ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ! حَتَّى إِنَّهُ لَيَنَاولُنِي السَّهْمَ مَا فِيهِ نَصْلٌ ، فيقول : ارْمِ بِهِ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَى عَنْ قَوْسِهِ حَتَّى انْدَقَّتْ سَيْتُهَا (١) ، فَأَخَذَهَا قَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ؛ فَكَانَتْ عِنْدَهُ ، وَأَصَابَتْ يَوْمئِذٍ عَيْنَ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ ؛ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَدَّهَا بِيَدِهِ ؛ فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنِهِ وَأَحَدَهُمَا .

* * *

قال أبو جعفر : وَقَاتَلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ دُونَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَعَهُ لَوَاؤُهُ حَتَّى قُتِلَ ؛ وَكَانَ الَّذِي أَصَابَهُ ابْنُ قَسْمِيَّةَ (٢) اللَّيْثِيُّ . وهو يَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ فَرَجَعَ إِلَى قَرِيشٍ ، فَقَالَ : قَتَلْتُ مُحَمَّدًا . فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ بْنُ عَمِيرٍ أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللِّوَاءَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَقَاتَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى قُتِلَ أَرْطَاةُ بْنُ عَبْدِ (٣) شُرَحْبِيلَ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ ؛ وَكَانَ أَحَدَ النَّفَرِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ اللَّوَاءَ ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ سَبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى الغُبَّشَانِيَّ - وَكَانَ يَكْنَى بِأَبِي نَيْسَارٍ - فَقَالَ لَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ : هَلُمَّ إِلَى يَا بَنَ مَقْطَعَةِ الْبَطُورِ - وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمُّ أَعْمَارٍ مَوْلَاةُ شَرِيْقٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ وَهَبِ الثَّقَفِيِّ ، وَكَانَتْ خَتَّانَةً بِمَكَّةَ - فَلَمَّا التَّقِيَا ضَرَبَهُ حَمْزَةُ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ

(١) سبه القوس : طرفه .

(٢) الأغاني وابن هشام : « ابن قسمة » . (٣) ساقطة من رواية الأغاني .

وَحَشِيَّ غُلَامٌ جَبِيرُ بْنُ مَطْعِمٍ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَى حِمْزَةِ يَهْدُ^(١) النَّاسِ بِسَيْفِهِ ، مَا يُبْلِقُ^(٢) شَيْئًا يَمُرُّ بِهِ ؛ مِثْلَ الْجَمَلِ الْأَوْرَقِ ؛ إِذْ تَقْدَمُنِي إِلَيْهِ سِبَاعُ بْنُ عَبْدِ الْعَزَى ، فَقَالَ لَهُ حِمْزَةُ : هَلُمَّ إِلَيَّ يَا بْنَ مَقْطَعَةِ الْبُظُورِ ! فَضَرَبَهُ ؛ فَكَأَنَّمَا أَخْطَأَ رَأْسَهُ ، وَهَزَزَتْ حَرْبَتِي حَتَّى إِذَا رَضِيتُ مِنْهَا دَفَعْتُهَا عَلَيْهِ فَوَقَعَتْ فِي لَبَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ ، وَأَقْبَلَ نَحْوِي ، فَغَلَبَ فَوْقَهُ ، فَأَمْهَلْتُهُ حَتَّى إِذَا مَاتَ جِئْتُ فَأَخَذْتُ حَرْبَتِي ؛ ثُمَّ تَنَحَّيْتُ إِلَى الْعَسْكَرِ ؛ وَلَمْ يَكُنْ لِي بِشَيْءٍ حَاجَةٌ غَيْرِهِ . وَقَدْ قَتَلَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتِ بْنِ أَبِي الْأَقْلَحِ أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ مَسَافِعَ بْنَ طَلْحَةَ وَأَخَاهُ كِلَابَ بْنَ طَلْحَةَ ؛ كِلَاهُمَا يُشْعِرُهُ^(٣) سَهْمًا ؛ فَيَأْتِي أُمُّهُ سُلَاقَةً فَيَنْصَعُ رَأْسَهُ فِي حَجْرٍ ، فَتَقُولُ : يَا بَنِيَّ ، مَنْ أَصَابَكَ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ رَجُلًا حِينَ رَمَانِي يَقُولُ : خَذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَقْلَحِ ! ١٤٠٦/١ فَتَقُولُ : أَقْلَحِيَّ ! فَتَذَرْتُ لِلَّهِ إِنْ أَلَّهِ أَمَكْنَهَا مِنْ رَأْسِ عَاصِمٍ أَنْ تَشْرِبَ فِيهِ الْغُخْمَرَ . وَكَانَ عَاصِمٌ قَدْ عَاهَدَ اللَّهَ أَلَّا يَمَسَّ مُشْرِكًا أَبَدًا وَلَا يَمَسَّهُ .

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الْقَاسِمُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعٍ ؛ أَخُو بَنِي عَدَى بْنِ النَّجَّارِ ، قَالَ : انْتَهَى أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ؛ عَمَّ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، إِلَى عَمْرِو بْنِ الْخَطَّابِ وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي رِجَالٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَالَ : مَا يَجْلِسُكُمْ ؟ قَالُوا : قَتَلَ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : فَمَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ ؟ قَوْمُوا فَمُوتُوا [كَرَامًا] ^(٤) عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ ؛ فَقَاتَلَ حَتَّى قَتَلَ ؛ وَبِهِ سَمِيَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حُمَيْدُ الطَّوِيلُ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : لَقَدْ وَجَدْنَا بِأَنَسِ بْنِ

(١) هذه بالسيف : قطعه .

(٢) ما يبلق : ما يترك وما يبق .

(٣) أشعره سهمًا : خالطه به .

(٤) من الأغاني .

النَّضْرَ يَوْمُئِذٍ سَبْعِينَ ضَرْبَةً وَطَعَنَ فَمَا عَرَفَهُ إِلَّا أخته ، عَرَفَتْهُ بِحَسَنِ بَنَانِهِ .

حدَّثَنَا ابنُ حميد ، قال : حدَّثَنَا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان أول مَنْ عَرَفَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد الهزيمة وقول الناس : « قُتِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم » — كما حدَّثني ابنُ شهاب الزهريّ — كعب بن مالك ، أخو بني سلمة ، قال : عرفت عينيه تزهَّران تحت المغفر، فناديت : بأعلى صوتي : يا معشرَ المسلمين أبشروا ! هذا ^(١) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ! فأشار إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أن أنصت . فلما عَرَفَ المسلمون رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم نهضوا به ، ونهضَ نحو الشعب ، معه علي بن أبي طالب ، وأبو بكر بن أبي قحافة ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، والحارث بن الصَّمَّة ، في رهط من المسلمين ^(٢) . فلما أسند ^(٣) رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في الشعب أدركه أبي بن خلف وهو يقول : أين مُحَمَّدٌ ! لا نجوتُ إن نجوتَ ! فقال القوم : يا رسولَ الله ، أيعطف عليه رجل مِنَّا ؟ قال : دعوه ، فلما دنا تناول رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الحربة من الحارث بن الصَّمَّة — قال : يقول بعض الناس فيما ذكر لي : فلما أخذها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، انتفض بها انتفاضة تطايرَ ناعته تطايرُ الشعراء ^(٤) عن ظهر البعير إذا انتفض بها ؛ ثم استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدَّأدأ ^(٥) منها عن فرسه مرَّارًا .

وكان أبي بن خلف — كما حدَّثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد ابن اسحاق ، عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف — يلقي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بمكة ، فيقول : يا مُحَمَّدُ إن عندى العودَ ، أعلفه كلَّ يومَ فَرَقًا ^(٦) من ذُرَّة أقتلك عليه ! فيقول

(١) م : « هذاك » . (٢) الخبر إلى هنا في التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) أسند في الجبل : رقي فيه .

(٤) الشعراء : ذباب أحمر ، وقيل أزرق ، يقع على الإبل ويؤذيها أذى شديداً .

(٥) تدَّأدأ : تدحرج .

(٦) الفرق : مكيال لأهل المدينة يسع ثلاثة أصواع .

رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش ، وقد خلدشه في عنقه ^(١) خَدَشًا غير كبير ؛ فاحتقن الدم ، قال : قتلني والله محمد . قالوا : ذهب والله فؤادك ؛ والله إن بك بأس ^(٢) . قال : إنه قد كان بمكة قال لي : أنا أقتلك ؛ فوالله لو بصق عليّ لقتلني . فمات عدو الله بسرف وهم قافلون به إلى مكة .

قال : فلما انتهى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى فم الشعب ، خرج عليّ بن أبي طالب حتى ملأ دَرَقَتَهُ من المِهْرَاس ^(٣) . ثم جاء به إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ليشرب منه ؛ فوجد له ريحاً فعافه ؛ ولم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدَّم ؛ وصَبَّ على رأسه ؛ وهو يقول : اشتدَّ غضب الله على من دَمَى وَجْهَ نَبِيِّهِ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، عمَّنْ حديثه ، عن سعد بن أبي وقاص ، أنه كان يقول : والله ما حرَّصت على قتل رجل قطّ ما حرَّصت على قتل عُتْبَةَ بن أبي وقاص ؛ وإن كان ما علمتُ لَسَيِّءَ الخلق ، مبغضاً في قومه ؛ ولقد كفاني منه قولُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : «اشتدَّ غضب الله على من دَمَى وجه رسول الله» .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّي ، قال : أتى ابن قميئة الحارثي أحد بني الحارث ابن عبد مناة بن كنانة ، فرمى رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بحجر ، فكسر أنفه ورباعيته ، وشجّه في وجهه ، فأثقله وتفرّق عنه أصحابه ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة ، فقاموا عليها ، وجعل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يدعو الناس : إلى عباد الله !

(١) الأغاني : « حلقه » .

(٢) الأغاني : « ما بك بأس »

(٣) المهراس : ماء يجبل أحد .

١٤٠٩/١ إلى عباد الله ! فاجتمع إليه ثلاثون رجلاً ، فجعلوا يسرون بين يديه ، فلم يقف أحد إلا طلحة وسهل بن حنيف ، فحماء طلحة ، فرمى بسهم في يده فبيست يده ، وأقبل أبي بن خلف الجُمُحَى ؛ وقد حلف ليقتلنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : بل أنا أقتله ، فقال : يا كذاب ، أين تنقِرُ ! فحمل عليه فطعنه النبي صلى الله عليه وسلم في جيب الدرع ؛ فجرح جرحاً خفيفاً ، فوقع يخورُ خَوَّارَ الثور ؛ فاحتملوه ، وقالوا : ليس بك جراحة ، فما يجزئك ؟ قال : أليس قال : « لأقتلَنَّك » ! لو كانت بجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ! فلم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح .

وفشا في النَّاس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد قُتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة : ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبي ؛ فيأخذ لنا أمانة من أبي سفيان ! يا قوم إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم . قال أنس بن النضر : يا قوم إن كان محمدٌ قد قُتل ؛ فإن ربَّ محمد لم يقتل . فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد : اللهم أنى أعتذر إليك مما يقول هؤلاء ، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء ! ثم شدَّ^(١) بسيفه فقاتل حتى قتل ؛ وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو النَّاس حتَّى انتهى إلى أصحاب الصخرة ؛ فلما رأوه وَضَعَ رَجُلٌ سهماً في قوسه ، فأراد أن يرميه فقال : أنا رسولُ الله ؛ ففرحوا بذلك حين وجدوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم حيّاً ، وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن في أصحابه مَنْ يمتنع به ؛ فلما اجتمعوا وفيهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن ؛ فأقبلوا يذكرون الفتح ، وما فاتهم منه ، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا ، فقال الله عزَّ وجلَّ للذين قالوا : « إن محمداً قد قتل ، فارجعوا إلى قومكم » : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾

(١) م : « سل سيفه » .

وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَإِنَّ يَضُرَّ اللَّهُ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١﴾ .
 فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم ، فلمّا نظروا إليه نسوا ذلك الذي كانوا
 عليه ، وأهمّهم أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : ليس لهم
 أن يعلّونا ؛ اللَّهُمَّ ! إِنْ تَقْتُلْ هَذِهِ الْعَصَابَةَ لَا تُعْبِدَ ! ثمّ ندب أصحابه ،
 فرمّوهم بالحجارة حتى أنزلوهم ؛ فقال أبو سفيان يومئذ : اعلُّ هُبْلَ حَنْظَلَةَ
 بحنظلة ، ويومٌ بيومٌ ^(٢) بدر . وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب ، وكان جنباً
 فغسلته الملائكة ؛ وكان حنظلة بن أبي سفيان قُتِلَ يوم بدر ؛ وقال أبو سفيان :
 لنا العزى ولا عزى لكم ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لعمر : قل : الله
 مولانا ولا مولى لكم . فقال أبو سفيان : أفيكم ^(٣) محمّد ! أما إنّها ^(٤) قد كانت
 فيكم مثله ؛ ما أمرت بها ولا نهيت عنها ؛ ولا سرّرتني ولا ساءتني ؛ فذكر الله
 عزّ وجلّ إشراف أبي سفيان عليهم ، فقال : ﴿ فَأَتَابَكُمْ غَمًّا بِغَمِّ لِكَيْلَا
 تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ، والغمّ الأول ما فاتهم من الغنيمة
 والفتح ، والغمّ الثاني إشراف العدو عليهم ، ﴿ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ ﴾ ١٤١١/١
 من الغنيمة ﴿ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ ﴾ ^(٥) من القتل حين تذكرون . فشغلهم أبو سفيان ^(٦) .
 قال أبو جعفر : وأما ابنُ إسحاق ، فإنه قال — فيما حدثنا ابنُ حميد
 قال : حدثنا سلمة عنه — بينا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في الشعب ؛
 ومعه أولئك النّفَر من أصحابه إذ علّت عالية من قريش الجبل ، فقال رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلّم : اللَّهُمَّ ! إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يعلّونا ؛ فقاتل عمر بن
 الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ؛ ونهض رسولُ
 الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى صخرة من الجبل ليعلوها . وقد كان بدّن رسولُ

(١) سورة آل عمران ١٤٤ .

(٢) م : « ويوم أحد بيوم بدر » .

(٣) م : « فيكم » .

(٤) م : « قال : فما إنها » ، وفي التفسير « قالوا : نعم ، قال » .

(٥) سورة آل عمران ١٥٣ .

(٦) التفسير ٧ : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وظاهرَ بين درْعَيْنِ^(١) ، فلما ذهب لينهض لم يستطع ؛ فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض حتّى استوى عليها^(٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد : قال : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، كما حدثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعتُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يقول يومئذ : أوجب طلحة حين صنع برسول الله ما صنع .

قال أبو جعفر : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى بعضهم إلى المنى دون الأعوص ، وفرَّ عثمان بن عفان ١٤١٢/١ وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان (رجلا من الأنصار) ؛ حتى بلغوا الجَلْعَبَ (جبلا بناحية المدينة مما يلي الأعوص) ، فأقاموا به ثلاثاً ثم رجعوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؛ فزعموا أن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال لهم : لقد ذهبتم فيها عريضة^(٣) .

* * *

قال أبو جعفر : وقد كان حنظلة بن أبي عامر الغسيل ، التقى هو وأبو سفيان بن حرب ، فلما استعلاه حنظلة رآه شدّاد بن الأسود— وكان يقال له . ابن شعوب— قد علا أبا سفيان ، فضربه شدّاد فقتله ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : إن صاحبكم^(٤) — يعنى حنظلة — لتغسله الملائكة . فسلوا أهله : ما شأنه ؟ فسئلتُ صاحبه ، فقالت : خرج وهو جنب حين سمع الهائنة^(٥) ؛ فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لذلك غسّلته الملائكة ، فقال شدّاد ابن الأسود فى قتله حنظلة :

لأَخْيَيْنِ صَاحِبِي وَنَفْسِي بَطْعَنَةً مِثْلَ شُعَاعِ الشَّمْسِ

(١) وظاهر بين درعين ، أى لبس إحداهما على الأخرى .

(٢) الخبر فى التفسير ٧ : ٣٠٨ ، ٣٠٩ .

(٣) عريضة ، أى واسعة ، وانظر النهاية ٣ : ٨٢ . (٤) و : « صاحبكما » .

(٥) الهائنة : الصوت الذى تفرع منه وتخافه من العدو .

وقال أبو سفيان بن حرب ؛ وهو يذكر صبره ذلك اليوم ، ومعاونة ابن شعوب شدّاد بن الأسود إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نجّيتُ كُمَيْتَ طِمْرَةَ^(١) ولم أحمل النّعماء لابن شعوب^(٢)
 فما زال مهزى مزجَرَ الكلبِ منهم^(٣) لدى غُدُوقٍ حتى دَنَتْ لِقُرُوبُ^(٤)
 أقاتلُهم وأدّعي يالَ غالبِ وأدفعُهم عني برُكنِ صليبِ
 فبَكَى ولا ترعى مقالة عاذلِ ولا تسألي من عَبرَةٍ ونَجيبِ^(٥)
 أباك وإخواناً له قد تتابعوا وحقّ لهم من عَبرَةٍ بنصيبِ
 وسلى الذى قد كان فى النّفس أننى قتلْتُ من النّجار كُلَّ نجيبِ
 ومن هاشمٍ قرماً نجيباً ومُضْعَباً وكان لدى الهيجا غير هَيُوبِ^(٦)
 ولو أننى لم أشف منهم قُرُوتِي لكانت شجى فى القلب ذات ندُوبِ^(٧)
 فأبوا وقد أودى الحلائبُ منهم لهم خَدَبٌ من مُعْطَبٍ وكُثيبِ^(٨)
 أصابهم من لم يكن لدمائهم كَفِياً ولا فى خُطّةٍ بضربِ

فأجابه حسان بن ثابت فقال :

ذكرت القُرُومَ الصّيدَ من آل هاشمِ ولستَ لزورٍ قُلتَهُ مُصِيبِ^(١)
 أتعجبُ أن أقصَدْتَ حَمْزَةَ منهم نجيباً وقد سَمِيتَ بنَجيبِ^(٢)
 أَلَمْ يَقْتُلُوا عَمراً وعُتْبَةَ وابنه وشيْبَةَ والحَجَّاجَ وابنَ حَبِيبِ !

(١) الطمرة : الفرس السريعة الوثب .

(٢) مزجر الكلب ؛ أى لم يبعد منهم إلا بمقدار الموضع الذى يزجر الكلب فيه .

(٣) القرم : الفحل الكريم من الإبل ؛ يريد حمزة .

(٤) القرونة : النفس ، وفى ابن هشام : « لم أشف نفسى منهم » .

(٥) الحلائب : الجماعات ، أو أنصار الرجل من بنى عمه ؛ ورواية البيت فى ابن هشام :

قالوا وقد أودى الجلايبُ منهم بهم خَدَبٌ من مُعْطَبٍ وكُثيبِ

(٦) أبيات أبي سفيان وجواب حسان ؛ فى ديوان حسان ٦٤ - ٦٦ .

(٧) أقصده : رماه .

غَدَاةَ دَعَا الْعَاصِيَ عَلِيًّا فَرَاغَهُ بِضَرْبَةِ عَضْبٍ بَلَّ بِخَضِيبِ

وقال شدّاد بن الأسود، يذكر يده عند أبي سفيان بن حرب فيما دفع عنه :

وَلَوْلَا دِفَاعِي يَا بَنَ حَرْبٍ وَمَشْهَدِي لِأَلْفَيْتَ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ حَجِيبِ
وَلَوْلَا مَكْرَمِي الْمُهْرَ بِالنَّعْفِ قَرَقَرْتِ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أَوْ ضِرَاهُ كَلِيبِ

وقال الحارث بن هشام يجيب أبا سفيان في قوله :

* وما زال مُهْرِي مَزَجَرَ الْكَلْبِ مِنْهُمْ *

وظنّ أنه يعرض به إذ فرّ يوم بدر :

وإِنَّكَ لَوْ غَايَنْتَ مَا كَانَ مِنْهُمْ لَأَبَتْ بِقَلْبٍ مَا بَقِيَتْ نَحِيبٌ^(١)
لَدَى صَحْنٍ بِدُرٍّ أَوْ لِقَامَتْ نَوَائِحٌ عَلَيْكَ، وَلَمْ تَحْفَلِ مُصَابَ حَبِيبِ
جَزَيْتَهُمْ يَوْمًا بِبَدْرٍ كَمَثَلِهِ عَلَى سَابِجٍ ذِي مَيْعَةٍ وَشَيْبِ^(٢)

١٤١٥/١

* * *

قال أبو جعفر : وقد وقفت هند بنت عتبة - فيما حدثنا ابن حميد ؛
قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني
صالح بن كيسان - والنسوة الثلاثي معها يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم ، يسجد عن الأذان والأنوف^(٣) ؛ حتى اتخذت
هند من آذان الرجال وأنفهم خدماً^(٤) وقلائد ، وأعطت خدماً وقلائدها
وقيرطتها وحشياً ، غلام جبير بن مطعم ، وبقرت عن كبد حمزة

(١) النخيب : الجبان الفزع .

(٢) السابج : الفرس الذي كأنه يسبح في جريه . والميعة : الخفة والنشاط ، شيب ،
أى شاب .

(٣) الأغاني : « الأنف » .

(٤) الخدم : جمع خدمة ، بالتحريك ؛ وهى الخلخال .

فلاكنها فلم تستطع أن تُسَيِّغَهَا فَلَفَطَتْهَا . ثُمَّ عَلَتْ عَلَى صَخْرَةٍ مُشْرِفَةً ،
فصرخت بأعلى صوتها بما قالت من الشعر حين ظفروا بما أصابوا من أصحاب
رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، قال : حدثني صالح بن كيسان ، أنه حدث أن عمر بن الخطاب
قال لحسان : يا بن الفُرَيْعَةِ لوسمعت ما تقول هند ورأيت أشهرها ، قائمة
على صخرة ترتجز بنا ، وتذكر ما صنعت بحمزة ! فقال له حسان : والله
لئنِّي لأنظر إلى الحربة تهوى وأنا على رأس فارغ - يعني أطمه - فقلت :
والله إن هذه لسلّاحٌ ما هي بسلّاح العرب ، وكأنّها إنما تهوى إلى حمزة ؛
ولا أدري . أسمعني بعض قولها أكفيكموها ؛ قال : فأنشده عمرُ بعض
ما قالت ، فقال حسان يهجو هنداً :

أَشْرَتْ لَكَاعٍ وَكَانَ عِلَاتُهَا	لَوْثًا إِذَا أَشْرَتْ مَعَ الْكُفْرِ ^(١)
لَعَنَ إِلَاهُ وَزَوْجَهَا مَعَهَا	هِنْدَ الْهُنُودِ عَظِيمَةَ الْبُظْرِ
أَخْرَجَتْ مُرْقِصَةً إِلَى أَحَدٍ	فِي الْقَوْمِ مُقْتَبَةً عَلَى بَكْرِ ^(٢)
بَكْرٍ ثَقَالٍ لَا حَرَكَ بِهِ	لَا عَنْ مُعَاتِبَةٍ وَلَا زَجْرِ ^(٣)
وَعَصَاكَ إِسْتَكٍ تَتَقِينَ بِهَا	دُقَى الْعُجَايَةِ هِنْدُ الْفَهْرِ ^(٤)
قَرَحَتْ عَجِيرَتُهَا وَمَشْرَجُهَا	مِنْ دَأْبِهَا نَصًّا عَلَى الْقَتْرِ ^(٥)

(١) ديوانه ٢٢٩ . لكاع : كفى بها عن هند ، وامرأة لكاع : لثيمة ، ورواية الأغاني :
« من الكفر » .

(٢) الإرقاص : أن يحمل البعير على الخبيب ، وفي الديوان : « معنقة على بكر » .

(٣) الثفال : البطيء من الإبل .

(٤) يقال : عصاه استه ، أي ليس معه عصا ؛ فهو يحرك استه على المطية حتى تسير .

والعجاية : العصب يضرب حتى يلين . والفهر : حجر يملأ الكف .

(٥) النص : ضرب من السير السريع ؛ والقتر ، بالضم : الناحية والجانب .

ظَلَّتْ تُدَاوِيهَا زَمِيلَتُهَا بِالماءِ تَنْصَحُهُ وَبِالسُّدْرِ
أَخْرَجَتْ نَائِرَةً مَبَادِرَةً بِأَيْدِيكِ وَأَبْنِكَ يَوْمَ ذِي بَدْرِ
وَبِعَمِّكَ الْمُسْتَوْهِ فِي رَدْعٍ وَأَخِيكَ مِنْعِفَرَيْنِ فِي الْجَفْرِ^(١)
وَنَسِيتِ فَاحِشَةً أَتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ، وَيَحْكُ سُبَّةَ الدَّهْرِ!^(٢)
فَرَجَعْتَ صَاغِرَةً بِلا تَرَةٍ مِنَّا ظَفَرْتِ بِهَا وَلَا نَصْرِ
زَعَمَ الْوَلَايِدُ أَنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صَغِيرًا كَانَ مِنْ عَهْرِ

قال أبو جعفر: ثم إن أبا سفيان بن حرب أشرف على القوم - فيما حدثنا هارون بن إسحاق قال: حدثنا مصعب بن المقدم، قال: حدثنا إسرائيل.

وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثني أبي، عن إسرائيل، قال: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء، قال: ثم إن أبا سفيان أشرف علينا، فقال: أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه؛ مرتين، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ ثلاثاً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تجيبوه، ثم التفت إلى أصحابه، فقال: أمّا هؤلاء فقد قُتِلُوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا، فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال: كذبت يا عدو الله، قد أبى الله لك ما يخزيك! فقال: اعلُّ هُبْل! اعلُّ هُبْل! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيئوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا: الله أعلّى وأجَلُّ! قال أبو سفيان: ألا لنا العزى ولا عزى لكم! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أجيئوه، قالوا: ما نقول؟ قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم! قال أبو سفيان: يوم

(١) المستوه: المضروب في استه. والردع: الدم. الديوان: «المسلوب بزه» وفي ط: «ودع»، وما أثبت من الأغاني.

(٢) الأغاني: «سبّة الدهر».

يوم بدر ، والحرب سجال ، أما إنكم ستجدون في القوم مثلاً لم أمر بها ولم تسؤني .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال في حديثه : لمّا أجاب عمرُ أبا سفيان قال له أبو سفيان : هلمّ يا عمر ، فقال له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إيتيه فانظر ما شأنه ؟ فجاءه فقال له أبو سفيان : أنشدك الله يا عمر ، أقتلنا محمداً ؟ فقال عمر : اللهم لا ؛ وإنه ليسمع كلامك الآن ، فقال : أنت أصدّق عندى من ابن قميثة^(١) وأبرّ ؛ لقول ابن قميثة لهم : إني قتل محمداً . ثم نادى أبو سفيان ، فقال : إنه قد كان في قتلكم مثل^(٢) والله ما رضيت ولا سخطت ، ولا نهيت ولا أمرت^(٣) .

وقد كان الحليّس بن زبّان أخو بني الحارث بن عبد مناة ؛ وهو يومئذ سيّد الأحابيش ، قد مرّ بأبي سفيان بن حرب ، وهو يضرب في شدق حمزة بزجّ الرمح ؛ وهو يقول : ذقّ وعقّق^(٤) ! فقال الحليّس : يا بني كنانة ، هذا سيّد قريش يصنع بآبن عمّه كما ترون لحماً^(٥) ! فقال : اكتمها ، فإنّها كانت زلّة ؛ فلمّا انصرف أبو سفيان ومنّ معه نادى : إنّ موعدكم بدر ١٤٩٩/١ للعام المقبل ، فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم لرجل من أصحابه : قل نعم هي بيننا وبينك موعد .

ثم بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علىّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : اخرج في آثار القوم فانظر ماذا يصنعون ، وماذا يريدون ! فإن كانوا قد اجتمعوا الخيل ، وامتلأوا الإبل ، فإنّهم يريدون مكّة ؛ وإن ركبوا الخيل ، وساقوا الإبل ؛ فهم يريدون المدينة ؛ فواللّذي نفسي بيده ؛ لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأنجزتهم . قال علىّ : فخرجت في آثارهم أنظر ماذا

(١) الأغاني : « قمّة » . (٢) الأغاني : « إنه قد كان مثل » . والمثل : جمع مثلة .

(٣) التفسير ٧ : ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٤) ذقّ عقق ، أى ذقّ جزاء فلك يا عاق ؛ وعقق : معدول عن عاق للبالغة ، كغدر

من غادر .

(٥) لحماً ، أراد وهو قتيل .

يصنعون ؛ فلما اجتمعوا الخيل وامتطوا الإبل توجهوا إلى مكة ؛ وقد كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم قال : أى ذلك كان فأخفنه^(١) حتى تأتيتنى . قال على عليه السلام : فلما رأيتهم قد توجهوا^(٢) إلى مكة أقبلت أصبح ؛ ما أستطيع أن أكرم الذى أمرنى به رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لما بى من الفرح ؛ إذ رأيتهم انصرفوا إلى مكة عن المدينة .

وفرح الناس لقتلاهم ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة المازنى أخى بنى النجار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من رجل ينظر لى ما فعل سعد بن الربيع ؟ — وسعد أخو بنى الحارث بن الخزرج — أفى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار : أنا أنظرك يا رسول الله ما فعل ؛ فنظر فوجده جريحاً فى القتلى به رمق ، قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر له : أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : فأنا فى الأموات ، أبلغ رسول الله عنى السلام ، وقل له : إن سعد ابن الربيع يقول لك : جزاك الله خيراً ما جزى نبي عن أمته ؛ وأبلغ عنى قومك السلام ، وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله إن خليص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم وفيكم عين تطرف . ثم لم أبرح حتى مات ؛ فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده يبطن الوادى قد بقير بطنه عن كبده ، ومثله به ، فجدع أنفه وأذناه .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى بحمزة ما رأى ، قال : لولا أن تحزن صفة أو تكون سنة من بعدى لتركته حتى يكون فى أجواف السباع وحواصل الطير ؛ ولئن أنا أظهرت الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم ؛ فلماً رأى

(١) و : « فأخف » .

(٢) م : « وجهوا » .

المسلمون حزنَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وغيظه على ما فعلَ بعمّه ، قالوا : والله لئن ظهرنا عليهم يوماً من الدهر لنمثّلنَ بهم مُثْلَةً لم يمثّلها ١٤٢١/١ أحد من العرب بأحد قطّ ! .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : أخبرني بُرَيْدة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن ابن عباس . قال ابن حميد ، قال سلّمة : وحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وحدثني الحسن بن عُمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن مِقْسَم ، عن ابن عباس ، قال : إن الله عزّ وجلّ أنزل في ذلك من قول رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وقول أصحابه : ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴾ ^(١) ، إلى آخر السورة ، فعفا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم وصبر ونهى عن المُثْلَةِ .

قال ابن إسحاق : وأقبلتُ - فيما بلغني - صفيّةُ بنتُ عبد المطلب لتنظر إلى حمزة - وكان أخاها لأبيها وأُمها - فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لابنها الزبير بن العوام : القها فارجمها ، لا ترى ما بأخيها . فلقيها الزبير فقال لها : يا أمّة ! إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يأمرُك أن ترجعي ، فقالت : ولم ، وقد بلغني أنه مُثِّلَ بأخي وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان من ذلك ! لاحتسبنَ ولأصبرنَ إن شاء الله . فلما جاء الزبير رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خلّ سبيلها ، فأتته فنظرتُ إليه وصلّيتُ عليه ؛ واسترجعتُ واستغفرتُ له ؛ ثم أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم به فدُفِن .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : فزعم بعض آل عبد الله بن جحش - وكان لأُمَيِّمَةَ بنت عبد المطلب خاله حمزة ؛ وكان قد مُثِّلَ به كما مُثِّلَ بحمزة ؛ إلا أنه

لم يُسْقَرْ عن كبده - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دَفَنَهُ مع حمزة في قبره ؛ ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عاصم بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد وقع ^(١) حُسَيْلُ بن جابر - وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان - وثابت بن وقش بن زَعُوراء في الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ؛ وهما شيخان كبيران : لأبالك ! ماتتظرو؟ فوالله إن بقي لواحد منّا من عمره إلا ظِمٌّ حِمَار ^(٢) ؛ إنّا نحن هامة اليوم ^(٣) أو غَد ؛ أفلا نأخذ أسيافا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله عز وجل يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأخذنا أسيافهما ، ثم خرجا حتى دخلا في النَّاس ، ولم يُعْلَمَ بهما ؛ فأما ثابت بن وقش فقتله المشركون ، وأما حُسَيْلُ بن جابر ، اليَمَان ، فاختلف عليه أسياف المسلمين فقتلوه ؛ ولا يعرفونه . فقال حُذَيْفَة : أبى ! قالوا : والله إن عرفناه . وصدقوا ، قال حُذَيْفَة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ! فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَهُ ^(٤) فتصدّق حُذَيْفَة بِدِيَتِهِ على المسلمين ، فزادته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال محمد بن إسحاق : حدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، أن رجلا منهم كان يُدْعَى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد : فأَتَيْتْ به إلى دار قومه وهو يموت ؛ فاجتمع إليه أهل الدار ؛ فجعل المسلمون يقولون من الرجال والنساء : أبشِرْ يا بن حاطب بالجنة ،

(١) كذا في م ، وفي الأغاني : « رجع » .

(٢) ظم الحمار : ما بين الشربتين له ؛ وليس شيء من الدواب أقصر ظمنا من الحمار ، يرد الماء كل يوم في الصيف مرتين .

(٣) هامة اليوم ، أى سنوت اليوم أو غدا .

(٤) وداه ، أى أدى ديته .

قال : وكان حاطب شيخاً قد عسا^(١) في الجاهلية ، فَتَجَمَّ يومئذ نفاقه ، فقال : بأيّ شيء تبشرونه ، أبجنته من حرمل^(٢) ! غررتم والله هذا الغلام من نفسه ، وفجعتموني به !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجلٌ أتى^(٣) لا يُدْرَى من أين هو ، يقال له قُزَمَان ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا ذُكِرَ له : إنه لَمِنْ أهل النار ؛ فلماً كان يوم أحد ، قاتل قتالا شديداً ، فقتل هو وحده ثمانية من المشركين أو تسعة ؛ وكان شهماً شجاعاً ذا بأس ؛ فأثبتته الجراحة ، فاحتمل إلى دار بني ظَفَر . قال : فجعل رجالٌ من المسلمين يقولون : والله لقد أبليت اليوم يا قُزَمَان ؛ فأبشر ! قال : بم أبشر ! فوالله إن قاتلتُ إلا على أحساب قومي ؛ ولولا ذلك ما قاتلت ؛ فلماً اشتدت عليه جراحته ، أخذ سهماً من كنانته فقطع رواهش فترفه ١٤٢٤/١ الدم فمات ؛ فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أشهد أنتي رسولُ الله حقاً !

وكان ممن قُتِل يوم أحد مُخَيَّرِيق اليهودي ، وكان أحد بني ثعلبة ابن الفِطَينِون ، لماً كان ذلك اليوم قال : يا معشر يهود ؛ والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لَحَقٌ . قالوا : إنَّ اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبت ، فأخذ سيفه وعدته ، وقال : إن أصيبتُ فإلى محمد يصنع فيه ما شاء . ثم غداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني : مُخَيَّرِيق خير يهود .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن

(١) عسا ، أى كبر وأسن .

(٢) قال السهيلي : « يريد الأرض التي دفن فيها ؛ وكانت تنبت الحرمل : أى ليس له جنة إلا ذاك » .

(٣) الأتى : الغريب ليس من القوم .

إسحاق ، قال : وقد احتمل ناسٌ من المسلمين قَتْلَهم إلى المدينة . فدفنهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : ادفنهم حيث صرُّعُوا .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سليمة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ حين أمر بدفن القتلى : انظروا عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو بن حرام . فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد . قال : فلمّا احتفر معاوية القناة أخرجا وهما يثنيان ^(١) كأنما دفنا بالأمس .

قال : ثم انصرف رسولُ الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقينهُ حَمْسَةُ بنت جحش — كما ذكر لي — فَنَعِيَ لها ^(٢) أخوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها خالها حمزة بن عبد المطلب ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نَعِيَ لها زوجها مصعب بن عمير ، فصاحت وولولت ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : إن زَوْجَ ^(٣) المرأة منها لمكان ؛ لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال : ومَرَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ؛ فَذَرَفَتْ عَيْنَا رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قال : لكن حمزة لا بواكى له ! فلمّا رجع سعد بن معاذ وأسيّد بن حُضَيْمِر إلى دار بني عبد الأشهل أمرَ نساءهم أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني عبد الواحد بن أبي عَوْن ، عن إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص ؛

(١) م : « يثنيان » .

(٢) م : « إليها » .

(٣) م : « لزوج » .

قال : مرّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بامرأة من بني دينار ؛ وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم بأحد ؛ فلما نعوها لها قالت : فما فعل رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ؟ قالوا : خيرًا يا أمّ فلان ؛ هو بحمد الله كما تحبّين ؛ قالت : أرنيه حتى أنظرَ إليه ، فأشير لها إليه حتى إذا رأيته قالت : كلُّ مصيبة بعدك جَسَلٌ (١) !

* * *

قال أبو جعفر : فلما انتهى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم الى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلي عن هذا دمه يا بنية ؛ وناولها على عليه السلام سيفه ، وقال : وهذا فاغسلي عنه ؛ فوالله لقد صدقني اليوم . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف ، وأبو دُجّانة سماك بن خرسة . وزعموا أن علي بن أبي طالب حين أعطى فاطمة عليهما السلام سيفه قال :

أَفَاطَمَ هَاكَ السَّيْفَ غَيْرَ دَمِهِمُ فَلَسْتُ بِرَعْدِيدٍ وَلَا بِمِلِيمٍ
لَعَمْرِي لَقَدْ قَاتَلْتُ فِي حُبِّ أَحْمَدٍ وَطَاعَةَ رَبِّ بِالْعِبَادِ رَحِيمٍ
وَسَيِّفِي بِكَفِّي كَالشَّهَابِ أَهْزُهُ أَجُذُّ بِهِ مِنْ عَاتِقِي وَصِيمٍ
فَارَزَلْتُ حَتَّى فَضَّ رَبِّي جُمُوعَهُمْ وَحَتَّى شَفَّيْنَا نَفْسَ كُلِّ حَلِيمٍ

وقال أبو دُجّانة حين أخذ السيف من يد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقاتل به قتالا شديداً - وكان يقول : رأيت إنساناً يخمش الناس خمشاً شديداً فصمدت له ، فلما حملت عليه بالسيف ولولت ؛ فإذا امرأة ؛ فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة - وقال أبو دُجّانة :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَتْنِي خَالِي وَنَحْنُ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ
أَلَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ أَضْرِبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ (٢)

(١) جلال ، أى صغيرة ، وهو من الأضداد . (٢) الكيول : آخر الصفوف في الحرب .

[غزوة حمراء الأسد]

وكان رجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يوم السبت ؛ وذلك يوم الوقعة بأحد ؛ فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، قال : كان يوم أحد يوم السبت ؛ للنصف من شوال ؛ فلما كان الغد من يوم أحد - وذلك يوم الأحد لست عشرة ليلة خلت من شوال - أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس بطلب العدو ؛ وأذن مؤذنه : ألا يخرجن معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس . فكلّمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقال : يا رسول الله ، إن أبي كان خلفني على أخوات لي سبع ، وقال لي : يا بُنى ؛ إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذي أترك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسي ؛ فتخلف على أخواتك . فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه ؛ وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مرهباً للعدو ؛ وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ؛ ليظنوا به قوة ، وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم . ١٤٢٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني عبد الله بن خازجة بن زيد بن ثابت ، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان ، أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحدًا ، قال : شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وأخ لي ، فرجعنا جريحين ؛ فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو ، قلت لأخي وقال لي : أنفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ! والله ما لنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ؛ فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكنت أيسر جرحاً منه - فكنت إذا غلب حملته عقبة^(١) ومشى عقبة ؛ حتى

(١) العقبة ، بالضم : النوبة .

انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون ، فخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، حتى انتهى إلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ؛ وهى من المدينة على ثمانية أميال ، فأقام بها ثلاثاً : الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

وقد مرّ به - فيما حدّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدّثنا سَلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم - معبدُ الخَزَاعِيّ ، وكانت خَزَاعَةُ مسلمهم ومشرِكهم عَيْبَةً ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة ، صَفَقَتْهُمْ ^(٢) معه ، لا يخفون عليه شيئاً كان بها - ومعبد يومئذٍ مشرك - فقال : يا مُحَمَّدُ ؛ أما والله لقد عزّ علينا ما أصابك في أصحابك ؛ وَلَوْ دُنَا أَنْ اللَّهَ كَانَ أَغْفَاكَ فِيهِمْ ! ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء الأسد ؛ حتى لقيَ أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حدّ أصحابه وقادتهم وأشرفهم ؛ ثم رجعنا قبل أن نستأصلهم ؛ لَنَسْكُرَنَّ على بقيّتهم ؛ فلنَفرُغَنَّ منهم . فلما رأى أبو سفيان معبداً ، قال : ما وراءك يا معبد ؟ قال : مُحَمَّدٌ قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمعٍ لم أر مثله قطّ ؛ يتحرّقون عليكم تحرقاً ؛ قد اجتمع معه مَنْ كان تخلف عنه في يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قطّ . قال : ويلك ما تقول ! قال : والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الحيل . قال : فوالله لقد أجمعنا الكثرة عليهم لنستأصل ^(٣) بقيّتهم ، قال : فإنتى أنهلك عن ذلك ، فوالله لقد حملنى ما رأيت على أن قلت فيه آياتاً من شعر ، قال : وماذا قلت ؟ قال : قلت :

كَادَتْ تُهْدُّ مِنَ الْأَصْوَاتِ رَاحِلَتِي إِذْ سَالَتْ الْأَرْضُ بِالْجُرْدِ الْأَبَابِيلِ ^(٤)

(١) عيبة الرجل : موضع سره .

(٢) ساقطة من رواية الأغاني .

(٣) في الأغاني : « لنستأصل شأقهم » .

(٤) تهّد : يبلغ منها الجهد وتكسر . والجرد : جمع أجرد ؛ وهو الفرس القصير الشعر .

والأبابيل : الجماعات .

تَرْدِي بِأَسَدٍ كِرَامٍ لَا تَنَابِلُهُ غَدَ اللَّقَاءِ وَلَا خُرْقٍ مَعَارِيلِ
 ١٤٣٠/١ فَظَلْتُ عَدَوًّا أَظُنُّ الْأَرْضَ مَائِلَةً لَمَّا سَمَوَا بِرُئَيْسٍ غَيْرِ مَخْذُولِ
 قُلْتُ وَيْلَ ابْنِ حَرْبٍ مِنْ لِقَائِكُمْ إِذَا تَغَطَّمَتِ الْبَطْحَاءُ بِالْجَلِيلِ^(١)!
 إِنِّي نَذِيرٌ لِأَهْلِ الْبَسَلِ ضَاحِيَةٌ لِكُلِّ ذِي إِرْبَةٍ مِنْهُمْ وَمَقُولِ^(٢)
 مِنْ جَيْشٍ أَحْمَدَ لَا وَخْشٍ قَنَابِلُهُ وَلَيْسَ يُوصَفُ مَا أَنْذَرْتُ بِالْقِيلِ^(٣)

قال : ففنى ذلك أبا سفيان ومن معه . ومَرَّ به ركبٌ من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ، قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ، قال : فهل أنتم مبلَّغون عنى محمدًا رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمل لكم إبلكم هذه غدًا زبيباً بعكَّاظ إذا وافيتوها ؟ قالوا : نعم ؛ قال : فإذا جئتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسيرَ إليه وإلى أصحابه ؛ لنستأصل بقيَّتهم . فرَّ الركبُ برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ، فقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه : حسبنا الله ونعم الوكيل !

قال أبو جعفر : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد الثالثة ؛ فزعم بعضُ أهل الأخبار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظفر في وجهه إلى حمراء الأسد بمعاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، وأبى عترة الجُمَحِيِّ ؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف على المدينة حين خرج إلى حمراء الأسد ابنَ أمِّ مكتوم .

* * *

(١) تغططت : اضطربت . والجبل : الأمة وكل صنف من الناس .

(٢) في الأغاني : « لأهل السيل » ؛ والسيل : من أسماء مكة . ضاحية : علانية . المقول المقل .

(٣) الوحش : رذالة الناس وصغارهم . والقنابل : جمع قنبلة ؛ وهى الطائفة من الناس . وفي الأغاني : « تنابله » .

وفي هذه السنة - أعني سنة ثلاث من الهجرة - وُلِدَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بن أبي طالب في النصف من شهر رمضان .

وفيها عَلِقَتْ فَاطِمَةُ بِالْحُسَيْنِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا . وقيل : لم يكن بين ولادتها الحسن وحملها بالحسين إلا خمسون ليلة .

وفيها حملت - فيما قيل - جَمِيلَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بن أبي بَعْدٍ اللَّهِ بن حَنْظَلَةَ بن أبي عامر في شوال . *

ذكر الأحداث التي كانت في سنة أربع من الهجرة

[غزوة الرجيع]

ثم دخلت السنة الرابعة من الهجرة ، فكان فيها غزوة الرجيع في صفر . وكان من أمرها ما حدثني به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أجد رهط من عضل والقارة^(١) فقالوا له : يا رسول الله ؛ إن فينا إسلاماً وخيراً ؛ فابعث معنا نفرًا من أصحابك يَفْقَهُونَا^(٢) في الدين ، ويقرءوننا^(٣) القرآن ، ويعلموننا^(٤) شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفرًا ستة من أصحابه : مرثد بن أبي مرثد الغنوي حليف حمزة بن عبد المطلب ، وخالد بن البكير حليف بني عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبي الألقح أخا بني عمرو بن عوف ، وخبيب بن عدى أخا بني جحجبي بن كلفة بن عمرو بن عوف ، وزيد بن الدثينة أخا بني بياضة بن عامر ، وعبد الله بن طارق حليفًا لبني ظفر من بلي .

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مرثد بن أبي مرثد ، فخرجوا مع القوم ، حتى إذا كانوا على الرجيع (ماء لهذيل بناحية من الحجاز من صدور الهدأة) غدروا بهم ، فاستصرخوا^(٥) عليهم هذيلًا ، فلم يَرعَ القومُ وهم في رحالهم إلا بالرجال في أيديهم السيوف ، قد غشّوهم . فأخذوا أسيافهم ليقاتلوا^(٦) القوم ، فقالوا لهم : إننا والله ما نريد قتلكم ؛ ولكننا

(١) قال ابن هشام : « عضل والقارة : من الهون بن خزيمة بن مدركة » .

(٢) في رواية الأغاني ، بحذف النون على الجزم في جواب الطلب ؛ وإثباتها على أن تكون الجملة صفة لنفر .

(٣) استصرخوا : استنصروا .

(٤) ابن هشام : « ليقاتلوه » .

نريد أن نصيب بكم شيئاً من أهل مكة ، ولكم عهد الله وميثاقه ألا نقتلكم .
فأمّا مرثد وخالد بن البكير وعاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فقالوا : والله
لا نقبل من مشرك عهداً ولا عقداً أبداً ؛ فقاتلوهم حتى قتلوهم جميعاً .

وأمّا زيد بن الدثينة وخبيّ بن عدى وعبد الله بن طارق فلانوا ورقوا
ورغبوا في الحياة ، فأعطوا بأيديهم^(١) ، فأسروهم ، ثمّ خرجوا بهم إلى مكة
ليبيعوهم بها حتى إذا كانوا بالظهران ، انتزع عبدُ الله بن طارق يده
من القرآن^(٢) ، ثمّ أخذ سيفه واستأخر عنه القوم ، فروّاه بالحجارة حتى
قتلوه ، فقبّره بالظهران .

وأما خبيّ بن عدى وزيد بن الدثينة ، فقددوا بهما مكة ، فباعوهما
فابتاع خبيبا حجير بن أبي إهاب التميمي حليف بني نوفل لعقبته بن
الحارث بن عامر بن نوفل - وكان حجير أخا الحارث بن عامر لأمّه - ليقتله
بأبيه ، وأمّا زيد بن الدثينة ، فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن
خلف ، وقد كانت هذيل حين قتل عاصم بن ثابت قد أرادوا رأسه لبيعوه
من سُلَافَة بنت سعد بن شهيد ، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم
أحد : لئن قدرت على رأس عاصم لتشرّبن في قحفه الخمر ، ففعلته
الدبر^(٣) . فلما حالت بينهم وبينه ، قالوا : دعوه حتى يمسي فتذهب عنه ،
فتأخذه ، فبعث الله الوادي . فاحتمل عاصما فذهب به ، وكان عاصم قد
أعطى الله عهداً ألا يمسه مشرك أبداً ولا يمس مشركاً أبداً ، تنجّساً^(٤)
منه . فكان عمر بن الخطاب يقول حين بلغه ، أن الدبر منعتة : عجباً ،
لحفظ الله العبد المؤمن ! كان عاصم نذر ألا يمسه مشرك ، ولا يمس مشركاً
أبداً في حياته ، ففعله الله بعد وفاته كما امتنع منه في حياته^(٥) .

(١) أعطوا بأيديهم : انقادوا . (٢) القرآن : الحبل يربط به الأسير .

(٣) الدبر : الزناير والنحل .

(٤) يقال : فلان يتنجس ؛ إذا فعل فلان يخرج به عن النجاسة ، كما يقال : يتأثم ويتحرج
ويتحنّث ؛ إذا فعل فلان يخرج به عن الإثم والحرّج والحش .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ١٦٧ ، ١٦٨ ، الأغاني ٤ : ٢٢٥ - ٢٢٧

(طبعة دار الكتب) .

قال أبو جعفر : وأما غيرُ ابنِ إسحاق ، فإنه قصّ من خبر هذه السريّة غير الذي قصّه ، والذي قصّه غيره من ذلك ما حدّثنا أبو كُريب ، قال : حدّثنا جعفر بن عون العمريّ ، قال : حدّثنا إبراهيم بن إسماعيل ، عن عمرو - أوعمر - بن أسيد ، عن أبي هُريرة ، أن رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم بعث عشرة رهط ، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت ، فخرجوا حتى إذا كانوا بالهدأة ذُكِرُوا حتى من هُدَيل ، يقال لهم : بنو ليحيان ، فبعثوا إليهم مائة رجل راميّاً ، فوجدوا ما كلّهم حيث أكلوا التمر ، فقالوا : هذه نوى يثرب ، ثمّ اتّبعوا آثارهم ؛ حتى إذا أحسّ بهم عاصم وأصحابه التجئوا إلى جبل ، فأحاط بهم الآخرون ، فاستنزولهم ، وأعطوهم العهد ؛ فقال عاصم : والله لا أنزل على عهد كافرٍ ، اللهمّ أخبر نبيك عنّا . ونزل إليهم ابن الدثينة البياضيّ ، وخُبيب ، ورجل آخر ، فأطلق القوم أوتار قسيّهم ، ثمّ أوثقوهم ، فجرحوا رجلاً من الثلاثة ، فقال : هذا والله أوّل الغدر ؛ والله لا اتّبعكم . فضربوه فقتلوه ، وانطلقوا بخُبيب وابن الدثينة إلى مكّة ، فدفعوا خُبيياً إلى بنى الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ، وكان خُبيب هو الذي قتَلَ الحارث بأحد ؛ فبينما خُبيب عند بنات الحارث ؛ إذ استعار من إحدى بنات الحارث موسى يستحدّ^(١) بها للقتل ، فراع المرأة - ولها صبيّ يدُرْج - إلا بخُبيب قد أجلس الصبيّ على فخذه ، والموسى في يده ، فصاحت المرأة ، فقال خُبيب : أتخشين أنّي أقتله ! إن الغدر ليس من شأننا . قال : فقالت المرأة بعد : ما رأيتُ أسيراً قطّ خيراً من خُبيب ؛ لقد رأيته وما بمكّة من ثمرة ؛ وإن في يده لقيطاً من عنب يأكله ؛ إن كان إلا رزقاً رزقه الله خُبيياً .

وبعث حتى من قریش إلى عاصم ليؤتوا من لحمه بشيء ، وقد كان لعاصم فيهم آثار^(٢) بأحد ؛ فبعث الله عليه دبراً ، فحمّست لحمه ، فلم

(١) يستحد : يخلق شرعاً عاتته ، وفي اللسان - حدد : « وفي حديث خُبيب أنه استعار موسى استحد بها ؛ لأنه كان أسيراً عندهم وأرادوا قتله لئلا يظهر شرعاً عاتته عند قتله » .

(٢) آثار : جمع ثأر على القلب .

يستطيعوا أن يأخذوا من لحمه شيئاً ، فلمّا خرجوا بخُبَيْب من الحرم ليقتلوه ، قال : ذَرُونِي أَصِلْ رَكَعَتَيْنِ ، فتركوه فصلّى سجدتين ، فجرت سنة لمن قُتِلَ صَبْرًا أَنْ يَصِلَّى رَكَعَتَيْنِ . ثم قال خُبَيْب : لولا أن يقولوا جَزَع لَزِدْتُ ، ١٤٣٦/١ وما أبالي :

* عَلَى أَىِّ شِقِّ كَانَ اللَّهُ مَصْرَعِي ^(١) *

ثم قال :

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالٍ شِلُو مُمَزَّع ^(٢)
اللهم أَحْصِهِمْ ^(٣) عَدَدًا ، وَخُذْهُمْ بَدَدًا ^(٤) .
ثم خرج به أَبُو سِرْوَةَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نُوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةٍ ؛
فَضْرَبَهُ فَقَتَلَهُ ^(٥) .

* * *

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ إِسْمَاعِيلَ ، قَالَ : وَأَخْبَرَنِي جَعْفَرُ بْنُ عَمْرٍو بْنُ أُمَيَّةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ وَحْدَهُ عَيْنًا إِلَى قَرِيشٍ ، قَالَ : فَجِئْتُ إِلَى خَشْبَةَ خُبَيْبٍ وَأَنَا أَتَخَوَّفُ الْعَيُونَ ، فَرَقِيتُ فِيهَا ، فَحَلَلْتُ خُبَيْبًا ، فَوَقَعَ إِلَى

(١) صدره :

* فَوَاللَّهِ مَا أَرْجُو إِذَا مِتُّ مُسْلِمًا *

من أبيات ذكرها ابن هشام في السيرة ٢ : ١٧٠ ، بنسبتها إلى خبيب ، وقال : « وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له » .

(٢) في ذات الإله ، أى في طاعته وطلب رضاه . والأوصال : جمع وصل ؛ وهو العضو .
وانشلو : الجسد .

(٣) أحصهم ، أى أهلكهم بحيث لا تبقى من عددهم أحداً .

(٤) خذهم بدداً ، قال ابن الأثير : « يروى بكسر الباء ؛ جمع بدءة ؛ وهى الحصة والنصيب ، أى اقتلهم حصصاً مقسمة لكل واحد حصته ونصيبه ، ويروى بفتح الباء ، من التبديد ؛ أى متفرقين في القتل ، واحداً بعد واحد » .

(٥) نقله في الأغاني ٤ : ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

الأرض، فانتبذت^(١) غير بعيد، ثم التفت فلم أر لخبيب رمة^(٢)؛ فكأنما الأرض ابتلعتة؛ فلم تذكر لخبيب رمة حتى الساعة^(٣).

* * *

قال أبو جعفر: وأما زيد بن الدثينة؛ فإن صفوان بن أمية بعث به — فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق — مع مولى له يقال له نسطاس إلى التنعيم، وأخرجه من الحرم ليقُتلَه، واجتمع إليه رهط من قريش؛ فبهيم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قدّم ليقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن مكانك نضرب عنقه، وأنك في أهلك! قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وأنا جالس في أهلي. قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت في الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا. ثم قتله نسطاس^(٤).

* * *

ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري

إذ وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفيان بن حرب

ولمّا قُتِل من وجهه النبي صلى الله عليه وسلم إلى عضل والقارة من أهل الرجيع، وبلغ خبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن أمية الضمري إلى مكة مع رجل من الأنصار، وأمرهما بقتل أبي سفيان بن حرب؛ فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن جعفر بن الفضل بن الحسن بن عمرو بن أمية الضمري، عن أبيه، عن جده — يعني عمرو بن أمية — قال: قال عمرو بن

(١) انتبذت: تنحيت.

(٢) ط: «أرمة»، وما أثبتته من الأغاني.

(٣) الأغاني ٤: ٢٢٨، ٢٢٩.

(٤) الأغاني ٤: ٢٣٠.

أُمِّيَّة : بغنى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بعد قتل خُبيب وأصحابه ، وبعث معي رجلاً من الأنصار ، فقال : اثنيا أبا سفيان بن حرب فاقْتلاه ، قال : فخرجتُ أنا وصاحبي ومعى بعير لى ، وليس مع صاحبي بعير ، وبرجله علّة . فكنت أحمله على بعيرى ؛ حتى جئنا بطن يأجج ؛ ففعلنا ببعيرنا فى فناء شِعْب ، فأسندنا فيه ، فقلت لصاحبي : انطلق بنا إلى دار أبى سفيان ؛ فإنى محاول قتله . فانظر ؛ فإن كانت مجاوله أو خشيت شيئاً فالحق ببعيرك فاركه ، والحق بالمدينة فات رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم فأخبره الخبر ، وخلّ عني ؛ فإنى رجل عالم بالبلد ، جرىء عليه ، نجيب الساق . فلمّا دخلنا مكّة ومعى مثل خافية النسر — يعنى خنجره^(١) — قد أعددتّه ؛ إن عانقنى^(٢) إنسان قتلتّه به ، فقال لى صاحبي : هل لك أن نبدأ فنطوف بالبيت أسبوعاً ، ونصلّى ركعتين ؟ فقلت : أنا أعلم بأهل مكّة منك ؛ إنهم إذا أظلموا رشوا أفنيّتهم ، ثم جلسوا بها ، وأنا أعرف بها من الفرس الأبلق .

قال : فلم يزلْ بى حتّى أتينا البيت ، فطفنا به أسبوعاً ، وصلّينا ركعتين ، ثم خرجنا فررنا بمجلس من مجالسهم ، فعرفنى رجل منهم ، فصرخ بأعلى صوته : هذا عمرو بن أُمِّيَّة ! قال : فتبادرتنا أهل مكّة وقالوا : تالله ما جاء بعمرو خير ! واللّذى يُحلف به ما جاءها قطّ إلاّ لشرّ — وكان عمرو رجلاً فاتكاً متشيطناً فى الجاهلية — قال : فقاموا فى طلبى وطلب صاحبي ، فقلت له : النجاء ! هذا والله اللّذى كنت أحذر ؛ أمّا الرجل فليس إليه ١٤٣٩/١ سبيل ، فانجُ بنفسك ، فخرجنا نشدّ حتى أصدعنا فى الجبل ، فدخلنا فى غار ، فبتنا فيه ليلتنا ، وأعجزناهم ، فرجعوا وقد استترتْ دونهم بأحجار حين دخلت الغار ، وقلت لصاحبي : أمهلنى حتى يسكن الطلب عنا ؛ فإنهم والله ليطلبنّا ليلتهم هذه ويومهم هذا^(٣) حتى يمسّوا . قال : فوالله إنى لفيه إذ أقبل عثمان بن مالك بن عبيد الله التيميّ ، يتخيّل^(٤) بفرس له ، فلم يزلْ يدنو ويتخيّل بفرسه حتى قام علينا بباب الغار . قال : فقلت لصاحبي : هذا والله ابن مالك ؛

(١) و : « خنجرأ » . (٢) ابن الأثير : « عاقى » . (٣) و : « غدأ » .

(٤) يتخيّل ، أى يعجب بنفسه ، وق ط : « يتخل » . وفى ابن الأثير : « يتخل » .

والله لئن رأنا ليُعلمَنَّ بنا أهل مكة . قال : فخرجت إليه فوجأته بالخنجر تحت الثدي ، فصاح صيحة أسمع أهل مكة ، فأقبلوا إليه ، ورجعت إلى مكاني ، فدخلت فيه ، وقلت لصاحبي : مكانك ! قال : واتَّبِعْ أَهْلُ مَكَّةَ الصوتَ يشتدُّونَ ، فوجدوه وبه رمقٌ ، فقالوا : ويلك مَنْ ضربك ! قال : عمرو بن أميَّة : ثم مات وما أدركوا ما يستطيع أن يخبرهم بمكاننا ، فقالوا : والله لقد علمنا أَنَّهُ لم يأتَ الخير ، وشغلهم صاحبهم عن طلبنا ، فاحتملوه ؛ ومكثنا في الغار يومين حتى سكن عنا الطلب . ثم خرجنا إلى التنعيم ؛ فإذا خشبةٌ خبيـبٌ ، فقال لي صاحبي : هل لك في خُـبـيـبٍ تُـزـلّه عن خشبته ؟ فقلت : أين هو ؟ قال : هو ذاك حيث ترى . فقلت : نعم ، فأمهلني وتنع عني . قال : وحوله حرس يحرسونه . قال عمرو بن أميَّة : فقلت للأصاري : إن خشيت شيئاً فخذ الطريق إلى جـمـلـك فاركبهُ والحقْ برسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، فأخبره الخبر ، فاشتددت إلى خشبته فاحتلته واحتملته على ظهري ؛ فوالله ما مشيتُ إلاّ نحو أربعين ذراعاً حتى نذروا بي ، فطرحته ؛ فما أنسى وجبته حين سقط ؛ فاشتدوا في أثرِي ، فأخذت طريق الصفراء فأعيوا ، فرجعوا ، وانطلق صاحبي إلى بعيره فركبه ؛ ثم أتى النبي صلَّى عليه وسلَّم فأخبره أمرنا ، وأقبلت أمشي ، حتى إذا أشرفتُ على الغليل ، غليل^(١) ضجنان ، دخلت غاراً فيه ، ومعى قوسي وأسهمي ، فبينما أنا فيه إذ دخل عليّ رجل من بني الدَّيْل بن بكر ، أعورٌ طويل يسوق غنماً له ، فقال : مَنْ الرجل ؟ فقلت : رجل من بني بكر ، قال : وأنا من بني بكر ، ثم أحد بني الدَّيْل . ثم اضطلع معي فيه ، ورفع عقيرته يتغنّى ويقول :

ولستُ بمسلمٍ ما دمتُ حيّاً ولستُ أدِينُ دينَ المُسلمينَا

فقلت : سوف تعلم ! فلم يلبث الأعرابي أن نام وغطاً ، فقمّت إليه فقتلته أسوأ قتلة قتلها أحدٌ أحدًا ؛ قمت إليه فجعلت سيّـة قوسي في عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليها حتى أخرجتها من قفاه .

قال : ثم أخرج مثل السَّبُع ؛ وأخذت الحجّة كأنى نسر ، وكان النّجاء حتى أخرج على بلد قد وصفه ، ثم على ركوبة ، ثم على التّقيع ؛ فإذا رجلان

(١) الغليل ، واحد الغلّان : وهي منابت الطلح ، وضجنان : موضع بعينه .

من أهل مكة بعثتهما قريش يتحسّسان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرفتاهما فقلت : استأسيرا ، فقالا : أنحن نستأسر لك ! فأرى أحدهما بسهم فأقتله ، ثم قلت للآخر : استأسير ، فاستأسر ، فأوثقته ، فقدمتُ به على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن سليمان بن وردان ، عن أبيه ، عن عمرو بن أمية ، قال : لما قدمتُ المدينة ، مررتُ بمشيخةٍ من الأنصار ، فقالوا : هذا والله عمرو بن أمية ، فسمع الصبيان قولهم ، فاشتدوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرونه ، وقد شددت لبهام أسيرى بوتر قوسي ، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إليه فضحك حتى بدت نواجذه ، ثم سألتني فأخبرته الخبر ، فقال لي خيراً ودعا لي بخير .

* * *

وفي هذه السنة تزوج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة أمّ المساكين من بني هلال في شهر رمضان ، ودخل بها فيه ، وكان أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونَشَأَ^(١) ؛ وكانت قبله عند الطفيل بن الحارث ، فطلقها .

ذكر خبر بئر معونة

قال أبو جعفر : وفي هذه السنة — أعني سنة أربع من الهجرة — كان من أمر السرية التي وجهها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، فقُتِلت بئر معونة . وكان سبب توجيه النبي صلى الله عليه وسلم إياهم لِمَا وجههم له ، ما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : وحدثني محمد بن إسحاق ، ١٤٤٢/١ قال : فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بقية شوال وذا القعدة وذا الحجة والمحرم ، وولى تلك الحجة المشركون .

ثم بعث أصحاب بئر معونة في صفر على رأس أربعة أشهر من أحد ، وكان من حديثهم ما حدثني أبي : إسحاق بن يسار ، عن المغيرة بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيرهما من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعبُ

(١) النش : وزن نواة من ذهب ؛ وقيل : هو وزن عشرين درهماً .

الأسنة - وكان سيّد بنى عامر بن صعصعة - على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة ، وأهدى له هديّة ، فأبى رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم أن يقبلها ، وقال : يا أبا براء ، لا أقبل هديّة مشرك ، فأسلمَ إن أردت أن أقبل هديّتك . ثم عرض عليه الإسلام ، وأخبره بما له فيه ، وما وعد الله المؤمنين من الثواب ، وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعُد ، وقال : يا محمد ، إن أمرك هذا الذى تدعو إليه حسنٌ جميلٌ ، فلو بعثت رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعَوْهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : إني أخشى عليهم أهل نجد ! فقال أبو براء : أنا لهم جارٌ ، فابعثهم فليدعُوا النَّاسَ إلى أمرك . فبعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة المُعَنِقِ^(١) ليموت فى أربعين رجلاً من أصحابه من خيار المسلمين ؛ منهم الحارث بن الصّمة ، وحرام بن ملحان أخو بنى عدى بن النّجار ، وعروة بن أسماء بن الصّلت السّلمى ، ونافع ابن بُدَيْل بن ورقاء الخزاعى ، وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر ؛ فى رجال مُسَمَّيْن من خيار المسلمين^(٢) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ، عن حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المنذر بن عمرو فى سبعين راكباً ، فساروا حتى نزلوا بئر معونة - وهى أرض بين أرض بنى عامر وحرّة بنى سليم ، كيلاً البلدين منها قريب ، وهى إلى حرّة بنى سليم أقرب - فلما نزلوها بعثوا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم إلى عامر بن الطّفَيْل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه ، حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخْفِرَ أبا براء ؛ قد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سليم : عُصيّة ، ورِعْلا ، وذَكْوَان ؛ فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشَوْا القوم ، فأحاطوا

(١) المعنق : المسرع ؛ وإنما سمي بذلك لأنه أسرع إلى الشهادة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤

بهم في رحالهم ، فلمّا رأوهم أخذوا السيوف ، ثم قاتلوهم حتى قُتلوا عن آخرهم ، إلّا كعب بن زيد أخا بني دينار بن النّجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارتث^(١) من بين القتلى ، فعاش حتى قُتِل يوم الخندق .

وكان في سرّح القوم عمرو بن أمية الضمريّ ، ورجل^(٢) من الأنصار أحد بني عمرو بن عوف ، فلم يُنبئْهما بمُصاب أصحابهما إلا الطّير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأناً ، فأقبلا لينظرا إليه ، فإذا القوم في دمائهم ، وإذا الخيل التي أصابتهم واقفة . فقال الأنصاريّ لعمر بن أمية : ماذا ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم عليه وسلّم فنخبره الخبر ، فقال الأنصاريّ : لكنني ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قُتِل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرني عنه الرجال . ثمّ قاتل القوم حتى قُتِل ، وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنّه من مُضَرَ ، أطلقه عامر بن الطّفَيْل ، وجزّ ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنّها كانت على أمّه . فخرج عمرو بن أمية حتى إذا كان بالقرقرة من صدر قناة ، أقبل رجلان من بني عامر حتى نزلا معه في ظلّ هو فيه ؛ وكان مع العامريّين عقد من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وجوار لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا : ممّن أنتما ؟ فقالا : من بني عامر ، فأمهلهما حتّى إذا ناما عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنّه قد أصاب بهما ثورة^(٣) من بني عامر ، بما أصابوا من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم . فلمّا قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم أخبره الخبر ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : لقد قتلْت قَتيلين لأدبنيهما . ثم قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : هذا عمل أبي براء ؛ قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا براء فشقّ عليه إخْفَارُ عامر إِيّاه ، وما أصاب رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمنّ أصيب عامر بن فُهَيْرَة^(٤) .

* * *

(١) ارتث ، أى وقع وبه جراح .

(٢) قال ابن هشام : « هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة بن الجلاح » .

(٣) الثورة : الثأر . (٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٤ ، ١٧٥ .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أنَّ عامرَ بن الطَّفِيل ، كان يقول : إنَّ الرجلَ منهم لما قتل رأيته رُفِعَ بين السماء والأرض حتى رأيت السماءَ من دونه . قالوا : هو عامر بن فهيرة ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن أحدِ بني جعفر ، رجل من بني جبَّار بن سلمى بن مالك ابن جعفر ، قال : كان جبَّارُ فيمن حَضَرها ^(٢) يومئذ مع عامر ، ثم أسلم بعد ذلك . قال : فكان يقول : ممَّا دعاني إلى الإسلام أننى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعتة يقول حين طعنته : فُزْتُ والله ! قال : فقلت في نفسي : ما فاز ! أليس قد قتلْتُ الرجل ! حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : الشهادة ، قال : فقلت : فاز لعمرُ الله ! فقال حسَّان بن ثابت يُحرِّضُ بني أبي البراءِ على عامر بن الطَّفِيل :

بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَلَمْ يَرْعُكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ ذَوَائِبِ أَهْلِ نَجْدٍ ^(٣)
تَهَكُّمُ عَامِرٍ بَابِي بَرَاءَ لِيُخْفِرَهُ ، وَمَا خَطَا كَعْمَدٍ
أَلَا أَبْلُغُ رَيْبَةَ ذَا الْمَسَاعِي فَمَا أَحْدَثْتُ فِي الْحَدَثَانِ بَعْدِي ^(٤)
أَبُوكَ أَبُو الْحُرُوبِ أَبُو بَرَاءَ وَخَالُكَ مَا جِدَّ حَكَمُ بْنُ سَعْدٍ

وقال كعب بن مالك في ذلك أيضًا :

لَقَدْ طَارَتْ شَمَاعًا كُلَّ وَجْهِ خِفَارَةٌ مَا أَجَارَ أَبُو بَرَاءَ

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٥

(٢) أى فيمن حضر يوم بئر معونة .

(٣) ديوانه ١٠٧ مع اختلاف في ترتيب الأبيات .

(٤) المساعي : السعى في طلب المجد والمكارم .

فَمَثَلُ مُسَهَّبٍ وَبَنِي أَبِيهِ
بَنِي أُمِّ الْبَنِينَ أَمَا سَمِعْتُمْ
وَتَنْوِيهِ الصَّرِيخِ بَلَى وَلَكِنْ
فَمَا صَفَرَتْ عِيَابُ بَنِي كِلَابٍ
أَعَامِرَ عَامِرِ السَّوَاتِ قَدِمًا
أَخْفَرَتْ النَّبَى وَكُنْتَ قَدِمًا
فَلَسْتَ كَجَارِ جَارِ أَبِي دُوَادٍ
وَلَكِنْ عَارُكُمْ دَاءٌ قَدِيمٌ

بِحَنْبِ الرَّدَمِ مِنْ كَفَنِي سَوَاءٍ^(١)
دُعَاءُ الْمُسْتَفِثِ مَعَ الْمَسَاءِ!
عَرَفْتُمْ أَنَّهُ صَدَقُ اللَّقَاءِ
وَلَا الْقُرْطَاءُ مِنْ ذِمِّ الْوَفَاءِ
فَلَا بِالْعَقْلِ فُزْتُ وَلَا السَّنَاءِ
إِلَى السَّوَاتِ تَجْرَى بِالْعَرَاءِ!
وَلَا الْأَسَدِيُّ جَارِ أَبِي الْعَلَاءِ
وَدَاءُ الْقَدْرِ فَأَعْلَمُ شَرُّ دَاءِ

١٤٤٦/١

فلما بلغ ربيعة بن عامر أبي البراء قول حسن وقول كعب ، حمل
على عامر بن الطفيل فطعنه ، فشطب الرُمحُ عن مقتلته ، فخر عن فرسه .
فقال : هذا عمل أبي براء ! إن مت فدمي لعمتي ولا يتبعن به ؛ وإن
أعش فسأرى رأيي فيما أتى إلى^(٢)

* * *

حدثني محمد بن مرزوق ، قال : حدثنا عمرو بن يونس ، عن عكرمة ،
قال : حدثنا إسحاق بن أبي طلحة ، قال : حدثني أنس بن مالك في
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلى أهل بئر معونة ؛ قال : لا أدري ، أربعين أو سبعين ! وعلى ذلك
الماء عامر بن الطفيل الجعفي ، فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم الذين بُعِثُوا ؛ حتى أتوا غارًا مشرفًا على الماء فعدوا
فيه . ثم قال بعضهم لبعض : أيُّكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه
وسلم أهل هذا الماء ؟ فقال - أراه ابن ملحان الأنصاري - : أنا أبلغ
رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج حتى أتى حيواء منهم ،
فاحتبى أمام البيوت ، ثم قال : يا أهل بئر معونة ، إنني رسول رسول الله إليكم ،

١٤٤٧/١

إِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَأَمِينُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ .
فَخَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ كَيْسَرِ الْبَيْتِ بِرُمَحٍ فَضْرَبَ بِهِ فِي جَنْبِهِ حَتَّى خَرَجَ مِنَ الشَّقِّ^١
الْآخِرِ ، فَقَالَ : اللَّهُ أَكْبَرُ ، فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ! فَاتَّبَعُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْا أَصْحَابَهُ
فِي الْغَارِ ، فَقَتَلَهُمْ أَجْمَعِينَ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ .

قال إسحاق : حَدَّثَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ فِيهِمْ
قُرْآنًا : « بَلِّغُوا عَنَّا قَوْمَنَا أَنَا قَدْ لَقِينَا رَبَّنَا ، فَرْضِي عَنَّا ، وَرَضِينَا عَنْهُ » ، ثُمَّ
نُسِخَتْ ، فَرَفَعَتْ بَعْدَ مَا قَرَأْنَاهُ زَمَانًا ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ
الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ *
فَرِحِينَ ^(١) ۝

حَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْأَوْزَاعِيُّ ، قَالَ :
حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ،
قَالَ : بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الْكَلَابِيِّ
سَبْعِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ . قَالَ : فَقَالَ أَمِيرُهُمْ : مَكَانَكُمْ حَتَّى آتِيَكُمْ بِخَبَرِ الْقَوْمِ !
فَلَمَّا جَاءَهُمْ قَالَ : أَتُؤْمِنُونَنِي حَتَّى أَخْبَرَكُمْ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ؛ فَبَيْنَا هُوَ عِنْدَهُمْ ؛ إِذْ وَخَزَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ بِالسِّنَانِ . قَالَ : فَقَالَ
الرَّجُلُ : فُزْتُ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ! فَقَتَلَ ، فَقَالَ : عَامِرُ : لَا أَحْسِبُهُ إِلَّا أَنْ لَهُ
أَصْحَابًا ، فَاقْتَصَبُوا أَثَرَهُ حَتَّى أَتَوْهُمْ فَقَتَلُوهُمْ ، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ .
قَالَ أَنَسُ : فَكُنَّا نَقْرَأُ فِيمَا نُسِخَ : « بَلِّغُوا عَنَّا إِخْوَانَنَا أَنْ قَدْ لَقِينَا
رَبَّنَا ، فَرْضِي عَنَّا وَرَضِينَا عَنْهُ » .

١٤٤٨/١

وفي هذه السنة — أعني السنة الرابعة من الهجرة — أَجَلَّتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ .

* * *

ذكر خبر جلاء بني النضير

قال أبو جعفر : وكان سبب ذلك ما قد ذكرنا قبل من قتل عمرو بن

(١) سورة آل عمران ١٦٩ ، ١٧٠ ، والخبر في التفسير ٧ : ٣٩٣ .

أُمَيَّةُ الضَّمْرِيُّ الرَّجُلَيْنِ الَّذِينَ قَتَلَهُمَا فِي مَنْصَرَفِهِ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَّهَهُ إِلَيْهِ مَعَ أَصْحَابِ بَرْمَعُوَّةَ، وَكَانَ لَهُمَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ. وَقِيلَ إِنَّ عَامَرَ بْنَ الطُّفَيْلِ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّكَ قَتَلْتَ رَجُلَيْنِ لَهَا مِنْكَ جَوَارٌ وَعَهْدٌ؛ فَابْعَثْ بِيَدَيْتِهِمَا. فَاَنْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى قُبَاءَ، ثُمَّ مَالَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ مُسْتَعِينًا بِهِمْ فِي دِيَّتِهِمَا، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.

فَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا سَلَمَةُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ، يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ^(١) مِنْ بَنِي عَامَرَ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عُمَرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ، لِلْجَوَارِ الَّذِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقْدَهُ لَهَا؛ — كَمَا حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُوْمَانَ — وَكَانَ بَيْنَ بَنِي النَّضِيرِ وَبَيْنَ بَنِي عَامَرَ حِلْفٌ وَعَقْدٌ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَّةِ ذَيْنِكَ الْقَتِيلَيْنِ؛ قَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، نَعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ مِمَّا اسْتَعَنْتَ بِنَا عَلَيْهِ. ثُمَّ خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَقَالُوا: إِنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ هَذِهِ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَنْبِ جَدَارٍ^(٢) مِنْ بِيُوتِهِمْ، قَاعِدٌ — فَقَالُوا: مَنْ رَجُلٌ يعلو على هذا البيتِ، فيلقى عليه صخرة فيقتله بها فَيَرْحَنَا مِنْهُ؟ فَانْتَدَبَ لَذَلِكَ عُمَرُو بْنُ جِحَاشٍ بْنُ كَعْبٍ أَحَدَهُمْ؛ فَقَالَ: أَنَا لَذَلِكَ، فَصَعِدَ لِيَلْقَى عَلَيْهِ الصَّخْرَةَ — كَمَا قَالَ — وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ؛ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٌ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ؛ فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرَ مِنْ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَا تَبْرَحُوا حَتَّى آتِيَكُمْ، وَخَرَجَ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَلَمَّا اسْتَلْبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ، قَامُوا فِي طَلَبِهِ، فَلَقُوا رَجُلًا مُقْبِلًا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَسَأَلُوهُ عَنْهُ، فَقَالَ: رَأَيْتُهُ دَاخِلًا الْمَدِينَةَ، فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَهَوْا إِلَيْهِ، فَأَخْبَرَهُمُ الْخَبَرَ بِمَا كَانَتْ يَهُودٌ قَدْ أَرَادَتْ

١٤٤٩/١

(١) و : «الرجلين» . (٢) م : «خراب» .

من الغدر به ، وأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

ثم سار بالنَّاس إليهم ؛ حتى نزل بهم ، فتحصَّنوا منه في الحصون ، فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بقطع النخل والتَّحريق فيها ، فنادوه : يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على مَنْ صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها (١) !

* * *

قال أبو جعفر : وأما الواقدي ، فإنه ذكر أن بني النَّضير لما تأمروا بما تأمروا به من إلقاء الصَّخرة على رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، نهاهم عن ذلك سلَّام بن مِشْكَم وخوفهم الحرب وقال : هو يعلم ما تريدون ، فعصوه ، فصعد عمرو بن جِحاش لِيُدْحِرَج الصخرة ، وجاء النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم الخبر من السماء ، فقام كأنَّه يريد حاجة ، وانتظره أصحابه ، فأبطأ عليهم ، وجعلت يهود تقول : ما حبس أبا القاسم ، وانصرف أصحابه ؟ فقال كنانة بن صُورِيا (٢) : جاء الخبر بما همتم به ، قال : ولما رجع أصحابُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم انتهوا إليه وهو جالس في المسجد ، فقالوا : يا رسول الله ، انتظرناك ومضيت ، فقال : همت يهود بقتلي ، وأخبرتني الله عز وجل ، ادعوا لي محمد بن مسلمة ، قال : فأتى محمد بن مسلمة (٣) ، فقال : اذهب إلى يهود فقل لهم : اخرجوا من بلادى فلا تساكنونى وقد همتم بما همتم به من الغدر .

قال : فجاءهم محمد بن مسلمة ، فقال لهم : إن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم يأمركم أن تظعنوا من بلاده ، فقالوا : يا محمد ، ما كنا نظنَّ أن يجيئنا بهذا رجل من الأوس ! فقال محمد : تغيَّرت القلوب ، وبما الإسلام العهود ؛

(١) قال السهيلي : « قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ؛ حتى أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا . . . ﴾ الآية .

(٢) م : « من موريا » .

(٣) م : « فأتى محمد » .

فقالوا : نتحمّل . قال : فأرسل إليهم عبدُ الله بن أبيّ يقول : لا تخرجوا ، فإنّ معي من العرب وممنّ انضوى إلىّ من قومي ألفين ، فأقيموا فهم يدخلون معكم ، وقُرَيْظَةُ تدخل معكم . فبلغ كعب بن أسد صاحب عهد بني قُرَيْظَةَ فقال : لا ينقض العهد رجل من بني قُرَيْظَةَ وأنا حتّى ، فقال سَلَامُ بن مِشْكَمَ لحِيسَى بن أخطب : يا حِيسَى اقبل هذا الذي قال محمّد ؛ فإنّما شرفنا على قومنا بأموالنا قبل أن تقبل ما هو شرٌّ منه . قال : وما هو شرٌّ منه ؟ قال : أخذ الأموال وسبى الذرية وقتل المقاتلة ، فأبى حِيسَى ، فأرسل جُدَيْى ١٤٥١/١ ابن أخطب إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم : إنا لا نريم^(١) دارنا فاصنع ما بدا لك ! قال : فكبر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، وكبّر المسلمون معه ، وقال : حاربت يهود ، وانطلق جُدَيْى إلى ابن أبيّ يستمدّه . قال : فوجدته^(٢) جالساً في نفر من أصحابه ، ومنادى النّبىّ صلّى الله عليه وسلّم ينادى بالسلاح ، فدخل ابنه عبد الله بن عبد الله ابن أبيّ ، وأنا عنده ، فأخذ السّلاح ، ثم خرج يعدّو ، قال : فأيسّت من معونته . قال : فأخبرت بذلك كله حِيسَى ، فقال : هذه مكيدة من محمّد ، فزحف إليهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فحاصرهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خمسة عشر يوماً ؛ حتى صالحوه على أن يحقن لهم دماءهم ، وله الأموال والحلقة .

فحدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمّي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : حاصرهم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم - يعني بنى النّضير - خمسة عشر يوماً حتّى بلغ منهم كلّ مبلغ ، فأعطوه ما أراد منهم ، فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم ، وأن يُخرجهم من أرضهم وأوطانهم ، ويسيرهم إلى أذرعات الشام ، وجعل لكلّ ثلاثة منهم بعيراً وسيّئاً .

(١) م : « ندع » .

(٢) و : « فوجده » .

حدثنا ابنُ عبدِ الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الزهرى ، قال : قاتلهم النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم حتى صالحهم على الجلاء ، فأجلاهم إلى الشام ، على أن لهم ما أقلت الإبل من شئ إلا الحلقة - والحلقة : السلاح .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وقد كان رهطٌ من بنى عوف بن الخزرج ، منهم عبد الله بن أبى بن سكلول ووديعة ومالك بن أبى قوقل ، وسويد وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ؛ فإننا لن نسلِمكم ؛ وإن قوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا فلم يفعلوا ؛ وقذف الله فى قلوبهم الرُّعبَ ، فسألوا رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلم أن يُجلبِيَهُمْ ، ويكفَّ عن دمائهم ؛ على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم ؛ إلا الحلقة . ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نجاف^(١) بابه ؛ فيضعه على ظهر بعيره ؛ فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام ؛ فكان أشرافهم ممن سار منهم إلى خيبر سلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق ، وحبيى بن أخطب ، فلما نزلوها دان لهم أهلها^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث أنهم استقلوا بالنساء والأبناء والأموال ، معهم الدفوف والمزامير والقيان يعزفن خلفهم ، وأن فيهم يومئذ لأم عمرو ، صاحبة عروة بن الورد العبسى ؛ التى ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بنى غفار^(٣) بزهاء^(٤) وفخر ، ما رؤي مثله من حى من الناس فى

(١) النجاف : العتبة التى بأعلى الباب .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٧٦ ، ١٧٨ .

(٣) هى سلمى ، وقال الأصمعى : اسمها ليل بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب ، امرأة من كنانة ؛ كانت ناكحة فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد فسيبها . وكنانة من غفار . وانظر الروض الأنف .

(٤) الزهاء : الكبر والإعجاب .

زمانهم ؛ وخلقوا الأموال لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يضعها حيث يشاء ، فقسّمها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار ، إلاّ أن سهل بن حنيف وأبا دُجانة سيمّاك بن خرسّة ، ذكرا فقرا فأعطاهما رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . ولم يسلم من بنى النّضير إلاّ رجلان : يامين بن عمير بن كعب ابن عم عمرو بن جِحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاهما^(١).

قال أبو جعفر : واستخلف رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إذ خرج لحرب بنى النّضير - فيما قيل - ابن أمّ مكتوم ، وكانت رايته يومئذ مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

* * *

وفي هذه السنة مات عبدُ الله بن عثمان بن عفّان ، في جمادى الأولى منها ، وهو ابن ستّ سنين ، وصلى عليه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، ونزل في حفرة عثمان بن عفان .
وفيها وليد الحسين بن عليّ عليه السلام ، ليلالٍ خلون من شعبان .

* * *

[غزوة ذات الرقاع]

واختلّف في التي كانت بعد غزوة النبي صَلَّى الله عليه وسلم بنى النّضير من غزواته ، فقال ابن إسحاق في ذلك ، ما حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلكة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، قال : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النّضير شهرى ربيع ، وبعض شهر جمادى . ثم غزا نجداً - يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان - حتى

نزل نخلاً ، وهي غزوة ذات الرقاع ^(١) ؛ فلقى بها جمعاً ^(٢) من غطفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ؛ وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين صلاة الخوف ، ثم انصرف بالمسلمين ^(٣) .

وأما الواقدي ؛ فإنه زعم أن غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات الرقاع ، كانت في المحرم سنة خمس من الهجرة . قال : وإنما سُميت ذات الرقاع ؛ لأن الجبل الذي سُميت به ذات الرقاع جبل به سواد وبياض وحمرة ؛ فسُميت الغزوة بذلك الجبل . قال : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة على المدينة عثمان بن عفان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ومحمد - يعني ابن عبد الرحمن - عن عروة بن الزبير ، عن أبي هريرة ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى نجد ، حتى إذا كنّا بذات الرقاع من نخل ، لقي جمعاً من غطفان ؛ فلم يكن بيننا قتال ؛ إلا أن الناس قد خافوهم ، ونزلت صلاة الخوف ، فصَدَعَ أصحابه صدعين ، فقامت طائفة مواجهة العدو ، وقامت طائفة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكبّر أصحابه ، ثم ركع يمين خلفه ، وسجد بهم ، فلمّا قاموا مشوا القهقري إلى مصاف أصحابهم ، ورجع الآخرون ، فصلّوا لأنفسهم ركعة ، ثم قاموا فصلّوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة وجلسوا ، ورجع الذين كانوا مواجهة العدو ^(٤) ، فصلّوا الركعة الثانية ،

(١) قال ابن هشام : « وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ؛ لأنهم رقعوا بهاريايتهم . ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع يقال لها ذات الرقاع » .

(٢) ابن هشام : « جمعاً عظيماً » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ : « بالناس » .

(٤) س : « مواجهي العدو » .

فجلسوا جميعاً ، فجمعهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالسلام ، فسَلّم عليهم .

* * *

قال أبو جعفر : وقد اختلفت الرواية في صفة صلاة رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم هذه الصلاة ببطن نخْل اختلافًا متفاوتًا ، كرهت ذكره^(١) في هذا الموضع خشية إطالة الكتاب ، وسأذكره إن شاء الله في كتابنا المسمّى « بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام » في كتاب صلاة الخوف منه . وقد حدّثنا محمد بن بشار ، قال : حدّثنا معاذ بن هِشَام ، قال : حدّثني أبي ، عن قتادة ، عن سليمان اليشكريّ ، أنّه سأل جابر بن عبد الله عن إقصار الصلّاة : أى يوم أنزل ، أو في أى يوم هو ؟ فقال جابر : انطلقنا نتلقّى^(٢) غيرَ قريش آتية من الشام ؛ حتى إذا كنا بنخْل جاء رجلٌ من القوم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال : يا محمد ، قال : نعم ، قال : هل تخافني ؟ قال : لا ، قال : فمن يمنعك مني ؟ قال : الله يمنعني منك ، قال : فسلّ السيفَ ثم تهدّده وأوعده . ثم نادى بالرحيل وأخذ السلاح . ثم نودى بالصلّاة ، فصلّى نبيّ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بطائفة من القوم ، وطائفة أخرى تحرّسهم ، فصلّى بالذين يلونه ركعتين ، ثم تأخّر الذين يلونه على أعقابهم ، فقاموا في مصافّ أصحابهم ، ثم جاء الآخرون فصلّى بهم ركعتين ، والآخرون يحرسونهم . ثم سلّم ، فكانت للنبيّ صَلَّى الله عليه وسلّم أربع ركعات ، وللقوم ركعتين ركعتين ؛ فيومئذ أنزل الله عزّ وجلّ في إقصار الصلّاة ، وأمير المؤمنين بأخذ السلاح^(٣) .

حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلّمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصريّ ، عن جابر بن عبد الله الأنصاريّ ؛ أنّ رجلاً من بني محارب يقال له فلان بن الحارث ، قال لقومه من غَطَفان ومحارب : ألا أقتلُ لكم محمدًا ؟ قالوا : نعم ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتيكُ به ؛ فأقبلَ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وهو جالسٌ ، وسيفُ

(١) كذا في و ، وفي ط : « ذكرها » . (٢) ط : « متلقّى » ، وما أثبتته من التفسير

(٣) الخبر في التفسير ٩ : ١٣٢

رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره ، فقال : يا محمد ، انظر إلى سيفك هذا ! قال : نعم ، فأخذه فاستله ، ثم جعل يهرزه ويهم به ، فيكبه الله عز وجل . ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟ قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ! قال : ثم غمد السيف ، فردّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ لَا يَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيهِمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ (١) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : حدثني صدقة بن يسار ، عن عَقِيل بن جابر ، عن جابر ابن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل من المسلمين امرأة من المشركين ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلاً أتى زوجها وكان غائباً ، فلما أخبر الخبر ، حلف ألا ينتهي حتى يهرق في أصحاب محمد دماً ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم منزلاً ، فقال : مَنْ رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ فانتدب رجل من المهاجرين ورجل من الأنصار ، فقالا : نحن يا رسول الله ، قال : فكونا بفم الشعب - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا الشعب ، من بطن الوادي - فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري : أي الليل تحب أن أكفيكه ؟ أوله أو آخره ؟ قال : بل أكفي أوله ؛ فاضطجع المهاجري فنام ، وقام الأنصاري يصلي ، وأتى زوج المرأة ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه ربيّة القوم ، فرمى بسهم فوضعه فيه فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي . ثم رماه بسهم آخر ، فوضعه فيه ، فترعه ، فوضعه وثبت قائماً يصلي ، ثم عاد له بالثالث فوضعه فيه ، فترعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه ، فقال : اجلس ، فقد أثبت (٢) .

١٤٥٧/١

(١) سورة المائدة ١١ ، وانظر سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ . (٢) ابن هشام : « أثبت » .

قال: فوثب المهاجرى، فلمّا رآهما الرجل، عرف أنهم قد نذروا به؛ ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء، قال: سبحان الله! أفلا؛ أهبتنى أول ما رماك! قال: كنتُ في سورة أقرأها فلم أحبّ أن أقطعها حتى أنفدها؛ فلمّا تتابع على الرمي ركعتُ فأذنتُك، وإيم الله لولا أن أضيع ثغراً أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسي قبل أن أقطعها أو أنفدها^(١).

* * *

ذكر الخبر عن غزوة السويق

وهي غزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدرًا الثانية لميعاد أبى سفيان .
حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ١٤٥٨/١
لما قدّم رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة من غزوة ذات الرقاع ،
أقام بها بقيّة جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجب ، ثم خرج في
شعبان إلى بدر لميعاد أبى سفيان حتى نزل ، فأقام عليه ثمانى ليالٍ ينتظر
أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان في أهل مكّة ، حتى نزل مَجَنَّة من ناحية
مر الظهران - وبعض الناس يقول : قد قطع عُسفان - ثم بدا له الرجوع ،
فقال : يا معشر قريش ، إنّه لا يصلحكم إلّا عامٌ خيصبٌ ترعون فيه
الشجر ، وتشربون فيه اللبن ؛ وإنّ عامكم هذا عام جدب ؛ وإنّى راجع
فارجعوا . فرجع ورجع الناس ، فسمّاهم أهل مكّة جيش السّويق . يقولون :
إنّما خرجتم تشربون السّويق .

فأقام رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم على بدرٍ ينتظر أبا سفيان لميعاده ،
فأتاه مخشئ بن عمرو الضّمريّ ، وهو الذى وادعه على بنى ضَمْرَةَ في غزوة
ودّان ، فقال : يا محمد ، أجنث للقاء قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم
يا أخا بنى ضَمْرَةَ ؛ وإن شئت مع ذلك ردّدنا إليك ما كان بيننا وبينك ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٢ ، ١٨٣ .

* هي غير الغزوة التى عرفت بهذا الاسم أيضاً ؛ وقد مر ذكرها في حوادث السنة
الثانية ص ٤٨٣ .

ثم جالدها . حتى يحكم الله بيننا وبينك . فقال : لا والله يا محمد ، ما لنا بذلك منك من حاجة ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان ؛ فمر به معبد بن أبي معبد الخزاعي ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوي^(١) به فقال :

١٤٥٩/١ قد نفرت من رُفقتي محمد وعجوة من يثرب كالعُنجد^(٢)

تهوي على دين أبيها الأتلد^(٣) قد جعلت ماء قديدي موعدي

* وماء ضجنان لها ضحى الغد^(٤) *

* * *

وأما الواقدي ؛ فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ندب أصحابه لغزوة بدر لموعد أبي سفيان الذي كان وعده الالتقاء فيه يوم أحد رأس الحول للقتال في ذي القعدة . قال : وكان نعيم بن مسعود الأشجعي قد اعتمر ، فقدم على قريش ، فقالوا : يا نعيم ، من أين كان وجهك ؟ قال : من يثرب ، قال : وهل رأيت لمحمد حركة ؟ قال : تركته على تعبئة لغزوكم ، — وذلك قبل أن يسلم نعيم — قال : فقال له أبو سفيان : يا نعيم ، إن هذا عام جدب ، ولا يصلحنا إلا عام^(٥) ترعى فيه الإبل الشجر ، ونشرب فيه اللبن ، وقد جاء أوان موعد محمد ، فالحق بالمدينة فثبّطهم وأعلمهم أننا في جمع كثير ، ولا طاقة لهم بنا ؛ فيأتى الخلف منهم أحب إلى من أن يأتى من قبلنا ، ولك عشر فرائض أضعها لك في^(٥) يد سهيل بن عمرو يضمونها . فجاء سهيل بن عمرو إليهم ، فقال نعيم لسهيل : يا أبا يزيد ، أنضمن^(٦) هذه الفرائض وأنطلق إلى محمد فأثبّطه ؟ فقال : نعم ، فخرج نعيم حتى قدم المدينة ، فوجد الناس يتجهّزون ، فتدسّس لهم ، وقال : ليس هذا برأى ،

(١) تهوي : تسرع .

(٢) العنجد : حب الزبيب .

(٣) الدين هنا : الدأب والمادة . والأتلد : القديم .

(٤) سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٦ .

(٥) و : « على » .

(٦) م : « تقمن » .

ألم يُجرح محمد في نفسه ! ألم يقتل أصحابه ! قال : فنبط الناس ؛ حتى بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتكلم ، فقال : والذي نفسي بيده ، ١٤٦٠/١ لو لم يخرج معي أحد لخرجت وحدي .
ثم أنهج الله عز وجل للمسلمين بصائرهم ؛ فخرجوا بتجاراتهم ، فأصابوا الدرهم درهمين ؛ ولم يلقوا عدواً ؛ وهي بدور الموعد ؛ وكانت موضع سوق لهم في الجاهلية ، يجتمعون إليها في كل عام ثمانية أيام .
قال أبو جعفر : واستخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة عبد الله بن رواحة .

• • •

قال الواقدي : وفي هذه السنة تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية في شوال ؛ ودخل بها .
قال : وفيها أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب يهود ؛ وقال : إنني لا آمن أن يبدلوا كتابي .
وولي الحج في هذه السنة المشركون .

ثم كانت السنة الخامسة من الهجرة

ففي هذه السنة تزوج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم زينبَ بنتَ جحش .
حدثت عن محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي
عن محمد بن يحيى بن حبان ، قال : جاء رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم
بيتَ زيد بن حارثة ، وكان زيدُ إنَّمَا يقال له زيد بن محمد ، ربَّما فقده
رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الساعة ، فيقول : أين زيد ؟ فجاء منزله
يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً^(١) ؛ فأعرض
عنها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسولَ الله ،
فادخل بأبي أنت وأمي ! فأبى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يدخل ؛ وإنَّمَا
عجلت زينب أن تلبس إذ قيل لها : رسولُ الله^(٢) صَلَّى الله عليه وسلَّم
على الباب ، فوثبت عجلة ، فأعجبت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فولَّت
وهو يهمهم بشيء لا يكادُ يفهم ؛ إلَّا أنه أعلن : سبحان الله العظيم !
سبحان الله مُصَرِّفَ القلوب ! قال : فجاء زيدُ إلى منزله ، فأخبرته امرأته أن
رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أتى منزله ، فقال زيد : ألا قلت له : ادخل !
فقالت : قد عرضتُ عليه ذلك فأبى ، قال : فسمعتِه^(٣) يقول شيئاً ؟ قالت :
سمعتُه^(٤) يقول حين ولَّى : سبحان الله العظيم ، سبحان الله مُصَرِّفَ القلوب !
فخرج زيدُ حتَّى أتى^(٥) رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فقال : يا رسولَ الله ،
بلغني أنك جئت منزلي^(٦) ؛ فهلاًّ دخلت بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله ،
لعل زينب أعجبتك فأفارقها ! فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : أمسِكْ

(١) يقال : امرأةٌ فضل ، أى تلبس ثوباً واحداً . (٢) س : « هذا رسول الله » .

(٣) كذا في م ، وفي ط : « فسمعتِه » . (٤) و : « قد سمعته » .

(٥) س : « رأى » . (٦) س : « إلى منزلي » .

عليك زوجك، فما استطاع زيد إليها سبيلاً بعد ذلك اليوم؛ فكان يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك؛ ففارقها زيد واعتزلها وحلت.

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع عائشة؛ إذ أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم غشيّة، فسرى عنه وهو يتبسّم ويقول^(١): من يذهب إلى زينب يبشرها، يقول: إن الله زوجنيها؟ وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ...﴾^(٢) القصّة كلّها.

قالت عائشة: فأخذني ما قرّب وما بعد لما يبلغنا من جمالها؛ وأخرى هي أعظم الأمور وأشرفها، ما صنع الله لها؛ وزوجها، فقلت: تفخّر علينا بهذا.

قالت عائشة: فخرجت سلّمتي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم تخبرها بذلك، فأعطتها أوصاحاً عليها^(٣).

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يريد، وعلى الباب ستر من شعر؛ فرفعت الريح السّتر فانكشف وهي في حُجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم، فلمّا وقع ذلك كرهت إلى الآخر، قال: فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، فقال: مالك! أراك منها شيء! فقال: لا والله يا رسول الله، ما رأيت إلا خيراً. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمسك عليك زوجك واتق الله؛ فذلك قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ

(١) م؛ «وهو يقول».

(٢) سورة الأحزاب ٣٧.

(٣) الأوصاح: جمع وضح؛ وهو حلّ من فضة.

لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ، تَخْفِي فِي نَفْسِكَ إِنَّ فَارَقَهَا تَرْجِعَهَا ^(١) .

* * *

[غزوة دومة الجندل]

قال الواقدي : وفيها غزاً دومة الجندل في شهر ربيع الأول ، وكان سببها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه أن جمعاً تجمعوا بها وذنوا من أطرافه . فغزاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى بلغ دومة الجندل ، ولم يلق كيداً ، وخلف على المدينة سباع بن عرفة الغفاري . ١٤٦٣/١

* * *

قال أبو جعفر : وفيها وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم عيينة ابن حصن أن يرعى بتغلمين وما والاها .

قال محمد بن عمر - فيما حدثني إبراهيم بن جعفر ، عن أبيه - وذلك أن بلاد عيينة أجذبت ، فوادع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى بتغلمين إلى المراض ، وكان ما هنالك قد أخصب بسحابة وقعت ، فوادعه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرعى فيما هنالك .

قال الواقدي : وفيها توفيت أم سعد بن عبادة وسعد غائب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دومة الجندل .

* * *

ذكر الخبر عن غزوة الخندق

وفيها : كانت غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق ^(٢) في شوال ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق :

(١) الخبر في التفسير ٢٢ : ١٠ - ١١ (بولاق) .

(٢) أخبار غزوة الخندق فيما نقل عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ١٨٧ - ١٩٣ .

وكان الذى جَرَّ غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق — فيما قيل — ما كان من إجلاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النصير عن ديارهم .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن رومان ، مولى آل الزبير ، عن عروة بن الزبير ومن لا أتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، وعن الزهرى ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعن ١٤٦٤/١ محمد بن كعب القرظى وعن غيرهم من علمائنا ؛ كلُّ قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث بعض ؛ أنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود منهم سلام بن أبى الحقيق النصيرى^(١) وحبيى بن أخطب النصيرى ، وكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق النصيرى ، وهوذة بن قيس الوائلى ، وأبو عمارة الوائلى ؛ فى نفر من بنى النصير ونفر من بنى وائل ؛ هم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ؛ فدعَوْهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إننا سنكون معكم عليه حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ؛ إنكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه . قال : فهم الذين أنزل الله عز وجل فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحَبِيبِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ — إلى قوله — ﴿ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(٢) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرتهم ما قالوا ونشطوا لما دعَوْهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأجمعوا لذلك واتعدوا له .

(١) قال السهيل : « ونسب طائفة من بنى النصير ؛ فقليل فيهم : النصيرى ؛ وهكذا تنقيد فى النسخة العتيقة ، وقياسه النصيرى ؛ إلا أن يكون من باب قولهم : « ثقى وقرشى ؛ وهو خارج عن القياس » .

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غَطَفَانَ من قَيْسِ عَيْلَانَ
 ١٤٦٥/١ فدعَوْهم إلى حَرْبِ رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأخبروهم أنهم سيكونون
 معهم عليه ؛ وأنَّ قريشا تابعوهم على ذلك وأجمعوا فيه ، فأجابوهم .

فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غَطَفَانَ
 وقائدها عَيْيَنَةُ بن حِصْنِ بن حذيفة بن بدر في بني فزارة ، والحارث بن
 عوف بن أبي حارثة المزي في بني مرة ، ومسعود^(١) بن رُحَيْلَةَ بن نُؤَيْرَةَ
 ابن طريف بن سُحُمة بن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن
 رَيْث بن غَطَفَانَ ؛ فيمن تابعه من قومه من أشجع .

* * *

فلما سمع بهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وبما أجمعوا له من الأمر ،
 ضرب الخندق على المدينة . فحدثت عن محمد بن عمر ، قال : كان الذي
 أشار على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بالخندق سلمان ، وكان أوّل مشهد
 شهده سلمان مع رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ؛ وهو يومئذ حرّ ، وقال :
 يا رسول الله ؛ إنا كنا بفارس إذا^(٢) حوصرنا خندقنا علينا .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : فعَمِلَ رسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وترغيباً للمسلمين في الأجر ، وعمل فيه المسلمون : فدأب فيه ودأبوا ، وأبطأ عَنْ
 ١٤٦٦/١ رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن المسلمين في عملهم رجالٌ من المنافقين ،
 وجعلوا يُورُون بالضعف^(٣) من العمل ، ويتسلّلون إلى أهاليهم
 بغير علم من رسولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا إذن . وجعل الرجل من
 المسلمين إذا نابته نائبة من الحاجة التي لا بدّ منها يذكر ذلك لرسولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويستأذنه في اللحق بحاجته^(٤) ؛ فيأذن له ؛

(١) كذا في ط ؛ وهو يوافق ما في الإصابة ٣ : ٣٩٠ ؛ وفي السيرة : « مسعر » .

(٢) م : « إن » .

(٣) ابن هشام : « بالضعيف » . ويورون : يسترون .

(٤) س : « بأهله لحاجته » .

فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله رغبةً في الخير ، واحتساباً له ؛ فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) . فترلت هذه الآية في كل من كان من أهل الحسبة من المؤمنين والرغبة في الخير ؛ والطاعة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم . ثم قال يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ﴾ إلى قوله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ (٢) ، أى قد علم ما أنتم عليه من صدق أو كذب ، وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ؛ وارتجزوا فيه برجل من المسلمين يقال له جُعَيْلٌ ، فسمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمراً » ، فقالوا :

سَمَاهُ مِنْ بَعْدِ جُعَيْلٍ عَمْرًا وَكَانَ لِلْبَّائِسِ يَوْمًا ظَهْرًا (٣)

فإذا مروا بعمره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عمرا » ، ١٤٦٧/١ ، وإذا قالوا : « ظهرًا » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ظهرًا » (٤) .

فحدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا محمد بن خالد بن عثمة ، قال : حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب

(١) سورة النور ٦٢ .

(٢) سورة النور ٦٣ ، ٦٤ .

(٣) الظهر : القوة والمعونة ؛ والضمير في « سماه » للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال : أبو ذر الحاشي : « وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا : الإبل ؛ فيكون البيت على وجه آخر تقديره : وكان المال للبائس يوماً ظهراً ؛ فأضمر اسم « كان » ؛ وإن لم يتقدم ما يفسره ؛ لأن مساق الكلام يدل عليه ؛ كما قالوا : إذا كان غداً فأتني ؛ أى إذا كان اليوم غداً .

(٤) ابن هشام : « وإذا مروا بظهر » .

من أجْمُ الشَّيْخَيْنِ^(١) طرف بنى حارثة ؛ حتى بلغ المذاد^(٢) ثم قطعته أربعين ذراعاً بين كل عشرة ، فاحتق^(٣) المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي - وكان رجلاً قوياً - فقالت الأنصار : سلمان منّا ، وقالت المهاجرون : سلمان منّا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : سلمان منّا أهل البيت . قال عمرو بن عوف : فكنت أنا وسلمان ، وحذيفة بن اليمان ، والنعمان بن مقرن المزي ، وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً ، فحفرتنا تحت ذوباب حتى بلغنا الندى^(٤) ، فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء^(٥) مَرَوَةً فكسرت حديدنا ، وشقت علينا . فقلنا : يا سلمان ، ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره خبر هذه الصخرة ، فإمّا أن نعدل عنها فإن المعدل قريب ، وإمّا أن يأمرنا فيها^(٦) بأمره ؛ فلما لا نحب أن نجاوز خطّه .

فَرَاقَى سلمان حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قُبَّة تَرْكِيَّة ؛ فقال : يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنّا ! خرجت صخرة بيضاء من الخندق^(٧) مَرَوَةً ، فكسرت حديدنا ، وشقت علينا حتى ما نُحْيِكَ^(٨) فيها قليلاً ولا كثيراً ؛ فمرّنا فيها بأمرك ؛ فلما لا نحب أن نجاوز خطّك .

(١) الأجم : واحد آجام المدينة ، وهو بمعنى الأطم ، وآجام المدينة آطامها وحصونها .
والشيخان : موضع بالمدينة ؛ كان فيه معسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة خرج لقتال المشركين بأحد . انظر ياقوت (أجم - شيخ) .

(٢) المذاد ، قال ياقوت : « موضع بالمدينة حيث حفر الخندق النبي صلى الله عليه وسلم » .

(٣) في اللسان : « احتق القوم : قال كل واحد منهم : الحق في يدي ؛ وفي حديث ابن عباس في قراءة القرآن : متى ما تغلوا في القرآن تحتقوا ، يعني المراد في القرآن ؛ ومعنى تحتقوا تختصموا فيقول كل واحد منهم : الحق في يدي » . وفي س ، و ، والتفسير : « فاختلف » .

(٤) م : « الترى » ، س : « الشرى » ، التفسير : « الصربي » .

(٥) المرو : حجارة بيض براقّة تكون فيها النار ، وتقدح منها ، واحدها مروة .

(٦) كذا في التفسير ، وفي ط : « فيه » .

(٧) التفسير : « من بطن المروة » .

(٨) التفسير : « حتى ما يحى منها قليل ولا كثير » .

فهبط رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم مع سلمان في الخندق ، ورقبنا نحن التسعة على شقَّة^(١) الخندق ، فأخذ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المعول من سلمان ، ف ضرب الصخرة ضربةً صدَّعها ، وبرقت منها بركة أضاء ما بين لابتينها^(٢) - - يعني لابتى المدينة - حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم . فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح ، وكبر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الثانية ، فصدَّعها وبرق منها بركة أضاء ما بين لابتينها ، حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ؛ فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الثالثة فكسرها ، وبرق منها بركة أضاء ما بين لابتينها ؛ حتى لكان مصباحاً في جوف بيت مظلم ، فكبر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم تكبير فتح وكبر المسلمون ، ثم أخذ بيد سلمان فرقى ، فقال سلمان : بأبى أنت وأُمى يا رسول الله ! لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط ! فالتفت رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى القوم ، فقال : هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كاللوح ، فرأيناك تكبر فنكبر ، ولا نرى شيئاً غير ذلك . قال : صدقتم ، ضربت ضربتي الأولى ، فبرق الذى رأيتم ، أضاءت لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثانية ، فبرق الذى رأيتم ؛ أضاءت لى منها قصور الحمر من أرض الروم ، كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، ثم ضربت ضربتي الثالثة ، فبرق منها الذى رأيتم ؛ أضاءت لى منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب ، فأخبرني جبريل أن أمتى ظاهرة عليها ، فأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ، وأبشروا يبلغهم النصر ! فاستبشر المسلمون ، وقالوا : الحمد لله موعد صادق بار ، وعدنا النصر بعد الحصر . فطلعت الأحزاب ، فقال المؤمنون : ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾^(٣)

(١) س والتفسير : « شقة الخندق » . (٢) الالة : الحرة ، والمدينة تقع بين لابتين .

(٣) سورة الاحزاب ٢٢ .

وقال المنافقون: ألا تعجبون! يحدّثكم ويؤمنّ بكم ويعدّكم الباطل! يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى؛ وأنها تفتّح لكم؛ وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا! وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، قال: حدّثنا محمد بن إسحاق عنّ لايتهم، عن أبي هريرة، أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في زمن عمر وعثمان وما بعده: افتتحوا ما بدالكُم! فواللذي نفس أبي هريرة بيده؛ ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطي محمد مفاتيحها قبل ذلك.

حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: كان أهل الخندق ثلاثة آلاف. قال: ولمّا فرغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجُرف والغابة^(٢)، في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومنّ تابعهم من كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطفان ومنّ تابعهم من أهل نجد؛ حتى نزلوا بذئب نَقَمَى إلى جانب أحد.

وخرج رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه والمسلمون؛ حتى جعلوا ظهورهم إلى سلّع، في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره^(٣)، وأمر بالذراري والنساء. فرفعوا^(٤) في الآطام^(٥). وخرج عدوّ الله حييئ بن أخطب؛

(١) سورة الأحزاب ١٢، والخبر في التفسير ٢١: ٨٥، ٨٦ (بولاق).

(٢) كذا في ط، وفي ابن هشام: «زغابة». قال السبيل: «زغابة: اسم موضع، بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة».

(٣) م: «عسكرهم».

(٤) م: «فدفعوا»، وابن هشام: «فجعلوا».

(٥) الآطام: الحصون، الواحد أطم.

حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقْد بني قُرَيْظَة وعهدهم ؛ وكان قد وادَعَ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على قومه ، وعاهده على ذلك وعاقده ؛ فلمَّا سمع كعب بحُيَيِّ بن أخطب ، أغلَقَ دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له ، فناده حُيَيٌّ : يا كعب ، افتح لي ، قال : ويحك يا حُيَيٌّ ! إنك امرؤٌ مشثوم ، إني قد عاهدت محمداً فليست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلاّ وفاءً وصدقا . قال : ويحك ! افتح لي أكلّمك ، قال : ما أنا بفاعل ؛ قال : والله إن أغلقتَ دُونِي إلاّ على جَشِيشَتِكَ^(١) أن آكل معك منها ؛ فأحفظَ^(٢) الرجل ، ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب ! جئتُك بعزِّ الدهر وببَحْرِ طامٍ ، جئتُك بقريش على قادتها وساداتها ؛ حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وساداتها حتى أنزلتهم بذَنَبٍ نَقَمَى إلى جانب أحد ؛ قد عاهدوني وعاهدوني ألاّ يرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . فقال له كعب بن أسد : جئني والله بذلّ الدهر ! بجهام قد هراق ماءه يرعِد ويُبْرِق ، ليس فيه شيء ! ويحك فدعني ومحمداً وما أنا عليه ؛ فلم أرَ من محمد إلاّ صدقا ووفاءً ! فلم يزلْ حُيَيٌّ بكعب يفتِّله في الذرّوة والغارب ؛ حتى سَمَحَ له ، على أن أعطاه عهداً من ١٤٧٢/١

الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرئ ممّا كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم سعد بن مُعَاذ بن النعمان بن امرئ القيس أحد بني عبد الأشهل - وهو يومئذ سيّد الأوس - وسعد بن عباد بن دُلَيم ، أحد بني ساعدة بن كعب بن الخزرج - وهو يومئذ سيّد الخزرج - ومعهما عبدُ الله بن رواحة أخو بلحارث بن الخزرج ، وخوَّات بن جبّير ، أخو بني عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا : أحقّ ما بلغنا عن

(١) الجشيشة : طعام يصنع من الجشيش . وهو البر يطحن غليظا .

(٢) أحفظه : أغضبه .

هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقاً فالحنوا لى لَحْنًا نعرفه ، ولا تَقْتُوا فى أَعْضَادِ النَّاسِ ، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس .

فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخصب ما بلغهم عنهم ، ونالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد . فشاتمهم سعد بن عباد وشاتموه ، وكان رجلا فيه حد^(١) ، فقال له سعد ابن معاذ : دَعْ عَنْكَ مشاتمهم ؛ فما بيننا وبينهم أربى^(٢) من المشامة . ثم أقبل سعد وسعد ومن^(٣) معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلْ والقارة [أى]^(٤) كغدر عَضَلْ والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب الرجيع ؛ خُبَيْب بن عَدِي وأصحابه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ! أبشروا يا معشر المسلمين ، وعَظُمَ عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظنّ المؤمنون كلّ ظنّ ، ونَجِمَ النِّفَاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعَتَّبُ ابن قُشَيْرٍ ، أخو بني عمرو بن عوف : كان محمدٌ يَعِدُنَا أن نأكلَ كنوزَ كسرى وقيصر ؛ وأحدنا لا يَقْدِرُ أن يذهب إلى الغائط ! وحتى قال أوس بن قَيْظَى ، أحد بني حارثة بن الحارث : يا رسول الله ، إن بيوتنا لعورة من العدو — وذلك عن ملأ من رجال قومه — فأَذَنُ لنا فلنرجع إلى دارنا ؛ فإنّها خارجة من المدينة .

فأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وأقام المشركون عليه بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ؛ ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي^(٥) بالنَّبَل والحصار .

فلما اشتدّ البلاء على النَّاس بعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم — كما حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة . وعن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري — إلى

(١) ابن هشام : « حدة » ؛ وما بمعنى الغضب .

(٢) أربى : أعظم .

(٣) من سيرة ابن هشام .

(٤) ابن هشام : « الرما » بكسر الميم والراء المشددين وتخفيف الباء ؛ وهى المراماة .

١٤٧٤/١

عُيَيْنَ بن حصن ، وإلى الحارث بن عَوْف بن أَبِي حارثة المَرِّيَّ - وهما قائدَا غَطَفَان - فأعطاهما ثلث ثمار المدينة ؛ على أن يرجعَا بِمَنْ مَعَهُمَا عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه ، فجرى بينه وبينهم الصلح ؛ حتى كتبوا الكتاب ، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح إلا المَراوضة في ذلك ، ففعلوا ، فلما أراد رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن مُعَاذ وسعد بن عباد ؛ فذكر ذلك لهما ، واستشارهما فيه فقالا : يا رسول الله ؛ أمرٌ تجبُّه فنصنعه ، أم شيءٌ أمرك الله عز وجل به ؛ لا بُدَّ لنا من عمل به ، أم شيءٌ تصنعه لنا ؟ قال : لا ، بل لكم ؛ والله ما أصنعُ ذلك إلا أني رأيت العرب قد رَمَتكم عن قوس واحدة ، وكالِبُوكُم^(١) من كل جانب ، فأردت أن أكسِرَ عنكم شوكتهم لأمرٍ ما ساعة . فقال له سعد بن معاذ : يا رسول الله ؛ قد كُنَّا نحنُ وهؤلاء القوم على شِرْك بالله عز وجل وعبادة الأوثان ، ولا نعبد الله ولا نعرفه ؛ وهم لا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قِرَى^(٢) أو بيعاً ، أفحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزانا بك ، تُعطيهم أموالنا ! ما لنا بهذا من حاجة ؛ والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم . فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : فأنت وذاك ! فتناول سعدُ الصحيفة ؛ فمحا ما فيها من الكتاب ، ثم قال : لسيجئوا علينا .

فأقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ؛ ١٤٧٥/١ لم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبدود بن أبي قيس ، أخو بني عامر بن لُثَيٍّ ، وعِكرمة بن أبي جهل وهُبَيْرَةُ بن أبي وهب الخزوميَّان ، ونوفل بن عبد الله ، وضِرَار بن الخطَّاب^(٣) بن مرداس ، أخو بني محارب بن فيهر ؛ قد تلبَّسوا للقتال ، وخرجوا على خيلهم ، ومروا على بني كِنانة ، فقالوا : تهيتوا يا بني كِنانة للحرب ؛ فستعلمون اليوم

(١) كالِبُوكُم : اشتدوا عليكم .

(٢) القرى : ما يصنع الضيف من الطعام .

(٣) زاد ابن هشام بعدها : « الشاعر » .

مَنْ الْفَرَسَانِ ! ثُمَّ أَقْبَلُوا نَحْوَ الْخَنْدَقِ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَيْهِ ^(١) ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا : وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لِمَكِيدَةٌ مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَكِيدُهَا ؛ ثُمَّ تَيَمَّمُوا مَكَانًا مِنَ الْخَنْدَقِ ضَيِّقًا ، فَضَرَبُوا خِيُولَهُمْ ، فَاقْتَحَمَتْ مِنْهُ ؛ فَجَالَتْ بِهِمْ فِي السَّبَّخَةِ بَيْنَ الْخَنْدَقِ وَسَلْعٍ ، وَخَرَجَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ حَتَّى أَخَذَ عَلَيْهِمُ الثُّغْرَةَ الَّتِي أَفْحَمُوا مِنْهَا خِيْلَهُمْ ، وَأَقْبَلَتْ الْفَرَسَانِ تَعْنِيقُ ^(٢) نَحْوَهُمْ . وَقَدْ كَانَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِوُدٍّ قَاتِلَ يَوْمِ بَدْرٍ ؛ حَتَّى أَثْبِتَتْهُ الْجِرَاحَةُ ، فَلَمْ يَشْهَدْ أَحَدًا ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْخَنْدَقِ خَرَجَ مُعْلِمًا ^(٣) لِيُرَى مَكَانَهُ ؛ فَلَمَّا وَقَفَ هُوَ وَخِيْلُهُ ، قَالَ لَهُ عَلِيٌّ : يَا عَمْرُو ؛ إِنَّكَ كُنْتَ تَعَاهِدُ اللَّهَ أَلَّا يَدْعُوكَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى خَلَّتَيْنِ إِلَّا أَخَذْتَ مِنْهُ إِحْدَاهُمَا ! قَالَ : أَجَلٌ ! قَالَ لَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِلَى رَسُولِهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ ، قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي بِذَلِكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى النَّزَالِ ، قَالَ : وَلَيْمَ يَا بْنَ أَخِي ؛ فَوَاللَّهِ مَا أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ ! قَالَ : عَلِيٌّ : وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَحَبُّ أَنْ أَقْتَلَكَ . قَالَ : فَحَمِيَّ عَمْرُو عِنْدَ ذَلِكَ ، فَاقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ فَعَقَّرَهُ - أَوْ ضَرَبَ وَجْهَهُ - ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى عَلِيٍّ ، فَتَنَازَلَا وَتَجَاوَلَا ، فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَرَجَتْ خِيْلُهُ مِنْهَزِمَةً ؛ حَتَّى اقْتَحَمَتْ مِنَ الْخَنْدَقِ هَارِبَةً ، وَقَتَلَ مَعَ عَمْرُو رَجُلَانِ : مُنَبِّهَ بْنَ عَثْمَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ بْنِ السَّبَّاقِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ ، أَصَابَهُ سَهْمٌ فَمَاتَ مِنْهُ بِمَكَّةَ ؛ وَمِنْ بَنِي نَخْرُومِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَغِيرَةِ ؛ وَكَانَ اقْتَحَمَ الْخَنْدَقَ فَتَوَرَّطَ فِيهِ ، فَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ ، فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ ، قَتَلْتُمَا أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ ! فَتَزَلَّ إِلَيْهِ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ ، فَغَلَبَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى جَسَدِهِ ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَبِيعَهُمْ جَسَدَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَا حَاجَةَ لَنَا بِجَسَدِهِ وَلَا ثَمَنَهُ ؛ فَشَأْنُكُمْ بِهِ . فَخَلَّتْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ

(١ - ١) سيرة ابن هشام : « ثُمَّ أَقْبَلُوا تَعْنِيقًا بِهِمْ خِيْلَهُمْ ؛ حَتَّى وَقَفُوا عَلَى الْخَنْدَقِ » .

(٢) الْمُعْلِمُ : الَّذِي جَعَلَ لَهُ عَلَامَةً يَعْرِفُ بِهَا .

(٣) تَعْنِيقٌ : تَسْرِعُ .

عن أبي ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل الأنصاري ، ثم أحد بني حارثة ، أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة ؛ وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن .

قالت عائشة : وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب . قالت : فر سعد^(١) وعليه درع^(٢) مقلصة^(٣) ، قد خرجت منها ذراعه كلها ؛ وفي يده حربته يرقد^(٤) بها ويقول :

١٤٧٧/١

لَبْتُ قَلِيلًا يَشْهَدُ الْهَيْجَا حَمَلٌ لَا بَأْسَ بِالْمَوْتِ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ^(٥) .
قالت له أمه : الحق يا بُنْتَى ، فقد والله أحررت .

قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ؛ والله لوددتُ أن درع سعد كانت أسيف^(٦) ؛ مما هي ! قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه .

قالت : فرمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل^(٧) ، رماه - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة - حبان بن قيس بن العريقة أحد بني عامر بن لؤي ؛ فلمّا أصابه قال : خذها وأنا ابن العريقة ؛ فقال سعد : عرق الله وجهك في النار ! اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها ، فإنه لا قوم أحبّ إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك ، وكذبوه وأخرجوه . اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لي شهادة ولا تُمتني حتى تقرأ عيني من بني قريظة .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت :

(١) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت ؛ يقال : تقلص الشيء ؛ إذا ارتفع وانقبض ، وفي و : « مفاضة » . (٢) يرقد : يسرع .

(٣) قال السهيلي : « هو بيت تمثل به » ، يعني به حمل بن سعدانة بن حارثة بن معقل بن كعب ابن عليم بن جناب الكلبي .

(٤) أسيف : أكل .

(٥) الأكحل : عرق في الذراع .

خرجتُ يومَ الخَسْدُقِ أَقْفُو آثارَ الناسِ ؛ فواللهِ إِنِّي لَأَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ وَثِيدَ^(١) الأَرْضِ خَلْقِي - تَعْنِي حِسَّ الأَرْضِ - فَالْتَفْتُ فَلِذَا أَنَا بِسَعْدٍ ؛ فَجَلَسْتُ إِلَى الأَرْضِ ، وَمَعَهُ ابْنُ أَخِيهِ الْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ - شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَدَّثَنَا بِذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو - يَحْمِلُ مِجَنَّتَهُ ، وَعَلَى سَعْدٍ دِرْعٌ مِنْ حَدِيدٍ قَدْ خَرَجَتْ أَطْرَافُهُ مِنْهَا .

قالت : وكان من أعظم الناس وأطولهم .

قالت : فَأَنَا أَتَخَوَّفُ عَلَى أَطْرَافِ سَعْدٍ ، فَمَرَّ بِي يَرْتَجِزُ ، وَيَقُولُ :

لَبْتُ قَلِيلًا يُدْرِكُ الْهَيْجَا حَمَلٌ مَا أَحْسَنَ الْمَوْتَ إِذَا حَانَ الْأَجَلُ !

قالت : فَلَمَّا جَاوَزْنِي قَمْتُ فَاقْتَحَمْتُ حَدِيقَةً فِيهَا نَقَرَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَفِيهِمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ تَسْبِغَةٌ لَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ : وَالتَّسْبِغَةُ الْمِغْفَرُ - لَا تُرَى إِلَّا عَيْنَاهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنَّكَ لَتَجَرِيئَةٌ ؛ مَا جَاءَ بِكَ ؟ مَا يَدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَكُونُ تَحَوُّزٌ أَوْ بَلَاءٌ ! فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يُلَوِّمُنِي حَتَّى وَدَدْتُ أَنْ الأَرْضُ تَنْشَقَّ لِي فَأَدْخُلَ فِيهَا ، فَكَشَفَ الرَّجُلُ التَّسْبِغَةَ عَنْ وَجْهِهِ ، فَلِذَا هُوَ طَلْحَةُ ؛ فَقَالَ : إِنَّكَ قَدْ أَكْثَرْتَ ، أَيْنَ الْفِرَارُ ، وَأَيْنَ التَّحَوُّزُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ !

١٤٧٩/١

قالت : فَرَمَيْ سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ ، رَمَاهُ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِيقَةِ ؛ فَقَالَ : خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْعَرِيقَةِ ؛ فَقَالَ : سَعْدٌ : عَرَّقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ! فَأَصَابَ الْأَكْحَلَ مِنْهُ فَقَطَعَهُ . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو : زَعَمُوا أَنَّهُ لَمْ يَنْقَطِعْ مِنْ أَحَدٍ قَطًّا إِلَّا لَمْ يَزَلْ يَبْضُ دَمًا حَتَّى يَمُوتَ . فَقَالَ سَعْدٌ : اللَّهُمَّ لَا تَمِيتْنِي حَتَّى تَقْرَأَ عَيْنِي فِي بَنِي قُرَيْظَةَ ! وَكَانُوا حُلَفَاءَ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ ، عَنْ لَيْثِهِمْ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ كَانَ

(١) قَالَ فِي اللِّسَانِ : « وَفِي حَدِيثٍ عَائِشَةُ : خَرَجَتْ أَقْفُو آثارَ النَّاسِ يَوْمَ الْخَلْقِ ؛ فَسَمِعْتُ وَثِيدَ الأَرْضِ خَلْقِي . الْوَثِيدُ : شِدَّةُ الْوَطْءِ عَلَى الأَرْضِ يَسْمَعُ كَالنَّوْءِ مِنْ بَعْدِ » .

يقول : ما أصاب سعداً يومئذ بالسهم إلا أبو أسامة الجُشمي حليف بني مخزوم ؛ فالله أعلم أى ذلك كان !

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : كانت صفيّة بنت عبد المطلب في فارغ (حصن حسان بن ثابت) . قالت : وكان حسان معنّا فيه مع النساء والصبيان . قالت صفيّة : فرّ بنا رجلٌ من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليس بيننا وبينهم أحدٌ يدفع عنّا ، ورسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن^(١) أنا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى ، يطيف بالحصن ، وإنّي والله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود ، وقد شغل عنّا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزلْ إليه فاقتله . فقال : يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! قالت : فلمّا قال ذلك لي ، ولَمْ أَرْ عنده شيئاً احتجزت^(٢) ؛ ثم أخذت عموداً ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلتها ، فلمّا فرغت منه رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ؛ فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجلٌ ؛ قال : مالى بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : وأقام رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ؛

(١) و : « إذا »

(٢) احتجزت : شددت وسطى ، قال أبو ذر الحثني : « ومن رواه : اعتجرت ، فعناه شددت

معجزي » .

(٣) قال السبيل : « ويحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسان كان جباناً شديد الجبن ؛ وقد رفع هذا بعض العلماء وأنكره ؛ وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ؛ وقال : لو صح هذا لهجى به حسان ؛ فإنه كان يهاجى الشعراء ، كضرار وابن الزبير وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فاعيره أحد منهم بجهن ، ولا سمه به ؛ فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق ، وإن صح فلمله كان معطلاً في ذلك اليوم بعملة منعمته من شهود القتال » .

فيما وصف الله عز وجل من الخوف والشدّة ؛ لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم .

ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيسف بن ثعلبة بن قنفة بن هلال ابن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ؛ فمُرني بما شئت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ؛ فخذل عنا إن استطعت ؛ فإن الحرب خدعة . فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة - وكان لهم نديماً في الجاهليّة - فقال لهم : يا بني قريظة ، قد عرفتم ودّي إياكم ، وخاصة ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتهم ؛ فقال لهم : إن قريشاً وغطفان قد جاءوا لحرب محمد ، وقد ظاهروهم عليه ، وإن قريشاً وغطفان ليسوا كهيشكم ^(١) ؛ البلد بلدكم ، به أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ؛ لا تقدرون على أن تحوّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشاً وغطفان أموالهم وأبناؤهم ونساؤهم وبلدهم وبغيره ؛ فليسوا كهيشكم ، إن رأوا نهزةً وغنيمة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ؛ ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ؛ فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشrafهم يكونون بأيديكم ؛ ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمداً ؛ حتى تنجزوه ، فقالوا : لقد أشرت برأي ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشاً ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : يا معشر قريش ، قد عرفتم ودّي إياكم ، وفراق محمد ؛ وقد بلغني أمرٌ رأيتُ حقاً على أن أبلغكموه نصحاً لكم ، فاكتبوا عليّ . قالوا : نفعل ، قال : فاعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم ؛ فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ؛ ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم ؛ فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهناً من رجالكم ؛ فلا تدفعوا إليهم منكم رجلاً واحداً . ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال :

١٤٨٢/١

(١) ابن هشام : « كأنهم » .

يا معشر غطفان ؛ أنتم أصلي وعشيرتي ، وأحب الناس إليّ ، ولا أراكم تتهموني ! قالوا : صدقت ، قال : فاكمثوا عليّ ، قالوا : نفعل ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش ، وحذرهم ما حذرهم ؛ فلمّا كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس ؛ وكان ممّا صنع الله عزّ وجلّ لرسوله [أن] ^(١) أرسل أبو سفيان وروعس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي جهل ، في نفرٍ من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنّنا لسنا بدار مقام ؛ قد هلك الخفّ والحافر ، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرُغ ممّا بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم أنّ اليوم السبت ، وهو يوم لا نعمل فيه شيئًا ؛ وقد كان أحدث فيه بعضنا حديثًا فأصابه ما لم يخفّ عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا ؛ حتى نناجز محمدًا ؛ فإنّا نخشى إن ضرستكم الحرب ، واشتدّ عليكم القتال ، أن تسمروا إلى بلادكم وتركونا والرجل في بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك من محمد . فلمّا رجعت إليهم الرّسل بالذي قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : تعلمون والله أنّ الذي حدّثكم نعيم بن مسعود لحق . فأرسلوا إلى بني قريظة : إنّنا والله لا ندفع إليكم رجلًا واحدًا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة حين انتهت الرّسل إليهم بهذا : إنّ الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ؛ ما يريد القوم إلّا أن يقاتلوا ؛ فإن وجدوا فرصة انتهبوها ؛ وإن كان غير ذلك ١٤٨٣/١ تسمروا ^(٢) إلى بلادهم ، وخلّوا بينكم وبين الرجل في بلادكم . فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنّنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنًا ، فأبوا عليهم ، وخذل الله بينهم ؛ وبعث الله عزّ وجلّ عليهم الريح في ليلٍ شاتية شديدة البرد ، فجعلت تكفأ قدورهم ، وتطرح أبنتهم . فلمّا انتهى إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حذيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا .

حدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدّثنا يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : قال فتى

(١) من ابن هشام . (٢) ابن هشام : « انشعروا إلى بلادهم » .

من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، رأيت رسول الله وصحبته ! قال : نعم يا ابن أخي ، قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنّا نجهّد ، فقال الفتى : والله لو أدركناه ما تركناه يمشى على الأرض ، ولحملناه على أعناقنا . فقال حذيفة : يا ابن أخي ؛ والله لقد رأيتنا مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالحنديق ، وصلّى هويّاً^(١) من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم [ثم يرجع]^(٢) — يشترط له رسول الله أنه يرجع^(٣) — أدخله الله الجنة ؟ فما قام رجل . ثم صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا فقال مثله ، فما قام منّا رجل ، ثم صلّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هويّاً من الليل ، ثم التفت إلينا ، فقال : مَنْ رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يشترط له رسول الله الرجعة — أسأل الله أن يكون رفيقاً في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد . فلما لم يبق أحدٌ دعاني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلم يكن لي بدٌّ من القيام حين دعاني . فقال : يا حذيفة ؛ اذهب فادخل في القوم فانظر ما يفعلون ، ولا تحدثن شيئاً حتى تأتينا ؛ قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ؛ لا تقرُّ لهم قِدرًا ولا نارًا ولا بناء . فقام أبو سفيان بن حرب ، فقال : يا معشر قريش ، لينظر امرؤ جليسه ، قال : فأخذت بيد الرجل الذي كان إلى جنبي ، فقلت : مَنْ أنت ؟ قال : أنا فلان بن فلان . ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ، لقد هلك الكُرَاع والخُفّ ، وأخلفنّا^(٤) بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره ؛ ولقينا من هذه الريح ما ترون ؛ والله ما تطمئنّ لنا قِدرٌ ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل .

ثم قام إلى جملة وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ؛ فما أطلق عقّاله إلّا وهو قائم ؛ ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إلّا أحدث^(٥) شيئاً حتى آتية ، ثم شئت لقتلته بسهم . قال حذيفة :

(١) الهوى : الهزيع من الليل . (٢) من ابن هشام (٣) ابن هشام : « الرجعة » .

(٤) التفسير : « واختلفت » .

(٥) ابن هشام : « ألا تحدث » .

فرجعتُ إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وهو قائم يصلي في مِرْطٍ لبعض نسائه مُرَحَّلٍ ، فلما رآني أدخلني بين رجليه وطرح عليّ طرف المِرْطِ ^(١) ثم ركع وسجد ، فأذلقته . فلما سلّم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم ^(٢) .

١٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق قال : فلما أصبح نبيّ الله صَلَّى الله عليه وسلّم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ووضعوا السلاح .

* * *

غزوة بني قريظة

فلما كانت الظهْر ، أتى جبريلُ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم — كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ^(٣) ، عن ابن شهاب الزُّهْرِيّ — معجراً ^(٤) بعمامة من إستبرق ، على بغلة عليها رحالة ^(٥) ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أقد ^(٦) وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال نعم ، قال جبريل : ما وضعت الملائكةُ السلاحَ وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ؛ إن الله يأمرُك يا محمد بالسَّير إلى بني قريظة ، وأنا عائد إلى بني قريظة .

فأمر رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم مناديا ، فأذن في النَّاسِ : إن ^(٧) من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلّينَ العصرَ إلا في بني قريظة ^(٨) .

(١) المِرْط : كساء من صوف وخز أو كتان يؤتزربه .

(٢) الخبر في التفسير ٢١ : ٨٠ ، ٨١ (بولاق) .

(٣) أخبار غزوة بني قريظة ما نقل عن ابن إسحاق ، في سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٤ - ٢٠٣ .

(٤) الاعتجار : أن يتعمم الرجل دون تلح ، أي لا يلقى شيئاً تحت لحيته .

(٥) الرحالة : السرج .

(٦) ابن هشام والتفسير : « أوقد »

(٧) ساقطة من ابن هشام .

(٨) بعدها في ابن هشام : « واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم » .

وقدّم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم على بن أبي طالب براءته إلى بني قُريظة ، وابتدروا الناس ، فسار على بن أبي طالب عليه السلام ؛ حتى إذا دنا من الحصون ، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم منهم ؛ فرجع حتى لقي رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالطريق ، فقال : يا رسولَ الله ، لا عليك ألاّ تدنو من هؤلاء الأخاب^(١) ! قال : لِمَ ؟ أظنّك سمعت لي منهم أذى ! قال : نعم يا رسول الله . لو قد رأوتني لم يقولوا من ذلك شيئا . فلمّا دنا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من حصونهم ، قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله ، وأنزل بكم نعمته ! قالوا : يا أبا القاسم^(٢) ، ما كنت جهولا . ومرّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم على أصحابه بالصّورين قبل أن يصل إلى بني قُريظة ، فقال : هل مرّ بكم أحد ؟ فقالوا : نعم يا رسولَ الله ، قد مرّ بنا دحيةُ بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء ، عليها رحالة عليها قطيفة ديباج ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يُزكّرلُ بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم . فلمّا أتى رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بني قريظة ، نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم ، يقال لها بئر أنا^(٣) ؛ فلاحق به النَّاس ، فأناه رجالٌ من بعد العشاء الآخرة ، ولم يُصلّوا العصر ، لقول رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : لا يصلّين أحدُ العصر إلّا في بني قريظة ، لشيء لم يكن لهم منه بُدٌّ من حربهم ؛ وأبوا أن يُصلّوا ، لقول النبي صلى الله عليه وسلّم : حتّى تأتوا بني قُريظة ، فصلّوا العصر بها بعد العشاء الآخرة . فما عابهم الله بذلك في كتابه ؛ ولا عَنّفهم به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم . والحديث عن محمّد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن معبّد بن كعب بن مالك الأنصاري .

* * *

(١) التفسير : « الأخاب » .

(٢) س : « يا محمد » .

(٣) أنا ، مثل « هنا » ، أو مثل « حتى » ، أو بكسر النون المشددة ، ويروى بموحدة بدل النون : من آبار بني قريظة — ياقوت .

حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد ابن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة ، عن عائشة ، قالت : ضرب رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم على سعد قُبَّة في المسجد ، ووضع السلاح - يعني عند منصرف رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من الخندق - ووضع المسلمون السلاح ، فجاءه جبريل عليه السلام ، فقال : أَوْضَعِ السِّلَاحَ ! ١٤٨٧/١ فوالله ما وضعت الملائكة بَعْدُ السلاح ، اخرجُ إليهم ^(١) فقاتلهم ، فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بلامته فلبسها ، ثم خرج وخرج المسلمون ؛ فرَبَّنِي غَنِّمْ ، فقال : من مَرَّ بِكُمْ ؟ قالوا : مَرَّ عَلَيْنَا دِحْيَةُ الْكَلْبِيِّ - وكان يشبهُ سُنَّتَهُ ^(٢) وليحيتِه وجهه بجبريل عليه السلام - حتى نزل عليهم ، وسعدٌ في قُبَّتِهِ التي ضرب عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد ؛ فحاصرهم شهراً - أو خمساً وعشرين ليلة - فلما اشتدَّ عليهم الحصار قيل لهم : انزلوا على حكم رسول الله ، فأشار أبو لُبَابَةَ بن عبد المنذر إنَّه الذبيح ، فقالوا : نزل على حكم سعد بن مُعَاذ ، فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : انزلوا على حكمه ، فنزّلوا ، فبعث إليه رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بحمار بأكساف من ليف ، فحمل عليه . قالت عائشة : لقد كان بَرّاً كَلِمَهُ ^(٣) حتى ما يرى منه إلا مثل الخُرْص ^(٤) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : وحاصرهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خمساً وعشرين ليلة ؛ حتى جَهَدَهُم الحِصَارُ ؛ وقذف الله في قلوبهم الرعب - وقد كان حِيَّتِي بن أخطب دخلَ على بني قُرَيْظَةَ في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان ، وفاءً لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه - فلما أيقنوا أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم غيرُ منصرف عنهم حتَّى يَناجزَهُمْ ، قال كعب بن أسد لهم : ١٤٨٨/١ يا معشرَ يهود ، إنَّه قد نزل بكم من الأمر ما ترون ^(٥) ، وإني عارض ^(٥)

(١) س : « بهم » . (٢) السنة هنا : الصورة ، وقيل : صفحة الخد .

(٣) الخرص : حلقة القرط ؛ وقول عائشة في الفائق ١ : ٣٣٥ .

(٤) س : « قد نزل » . (٥) س : « أعرض » .

عليكم خِلَالاً ثلاثاً فخذوا أيَّها شتمتم ! قالوا : وما هن ؟ قال : فتابع (١) هذا الرجل ونُصِدَّقه ؛ فوالله لقد كان تبيِّن لكم أنَّه لَنبِيٍّ (٢) مرسل ، وأنه للذي كنتم تجدونه في كتابكم ، فتأمَّنُوا على دماءكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ، قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدياً ، ولا نستبدل به غيره . قال : فإذا أبيتم هذه على فنهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُصَلِّتين السيوف ؛ ولم نترك وراءنا ثَقَلًا يهمتنا ؛ حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ؛ فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلكم عِرى لنجدن النساء والأبناء . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ؛ فما خير العيش بعدهم ! قال : فإذا أبيتم هذه على فإنَّ الليلة ليلة السَّبِّ ؛ وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمِنُوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غيرةً . قالوا : نُنْفسد سببتنا ، ونُحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه مَنْ كان قبلنا ، إلا مَنْ قد علمت . فأصابه (٣) من المسخ ما لم يخفَ عليك . قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازمياً .

قال : ثم إنَّهم بعثوا إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : أن ابعث إلينا أبا لُبابة بن عبد المنذر ؛ أخا بني عمرو بن عوف — وكانوا (٤) حلفاء الأوس — نستشيرهم في أمرنا ، فأرسله رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال ، وبهش (٥) إليه النساءُ والصبيان يبكون في وجهه ؛ فرَّق لهم وقالوا له : يا أبا لُبابة ، أترى أن ننزل على حكم محمد ! قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلْقته : إنه الذَّبِيع ؛ قال أبو لُبابة : فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني خُنْتُ الله ورسوله .

ثم انطلق أبو لُبابة على وجهه ، ولم يأت رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم

١٤٨٩/١

(١) ابن هشام والتفسير : « نابع » .

(٢) و : « نبى » .

(٣) التفسير : « فأصابهم » .

(٤) س : « من حلفاء » .

(٥) بهش إليه النساء : خفوا إليه ، وفي ابن هشام والتفسير : « جهش » .

حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُدِه ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوبَ الله عليَّ مما صنعت ؛ وعاهد الله ألاَّ يَطَّأَ بني قريظة أبداً . وقال : لا يراني الله في بلد خُصَّتْ الله ورسوله فيه أبداً . فلما بلغ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خبره ، وأبطأ عليه - وكان قد استبطأه - قال : أما لو جاءني لاستغفرت له ؛ فأماً إذْ فعل ما فعل ، فما أنا بالَّذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه (١) .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيْط ، أن توبة أبي لُبابة أنزلت على رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم : وهو في بيت أم سلمة . قالت أم سلمة : فسمعتُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم من السَّحَرِ يضحك فقلت : ممَّ تضحك يا رسول الله ، أضحكك الله سنك ! قال : تيبَ على أبي لُبابة ، فقلت : ألاَّ أبشّره بذلك يا رسول الله ! قال : بلَى إن شئت ؛ قال : فقامت على باب حجرتها - وذلك قبل أن يُضرب عليهن ١٤٩٠/١ الحجاب - فقالت : يا أبا لُبابة ، أبشّر فقد تاب الله عليك . قال : فنارَ الناس إليه ليُطلقوه ؛ فقال : لا والله حتى يكون رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم هو الذي يُطلقني بيده ، فلما مرَّ عليه خارجاً إلى الصَّبح أطلقه (٢) . قال ابن إسحاق : ثمَّ إن ثعلبة بن سَعْيَةَ وأُسَيْد بن سَعْيَةَ ، وأسَد ابن عُبَيْد - وهم نفر من بني هَدَل ؛ ليسوا من بني قُرَيْظَةَ ولا النَّصِير ، نَسَبَهُمْ فوق ذلك - هم بنو عمِّ القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قُرَيْظَةَ على حكم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم - وخرج في تلك الليلة عمرو بن

(١) خبر ابن إسحاق كله في التفسير ٢١ : ٩٥ ، ٩٦ (بولاق) .

(٢) بعدها في السيرة عن ابن هشام : « أقام أبو لُبابة مرتبطاً بالجدع ست ليال ، تأتيه امرأته

في كل وقت صلاة فتحله للصلاة ثم تعود فتربطه بالجدع ، فيما حدثني بعض أهل العلم . والاية

التي نزلت في توبته قول الله عز وجل : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا

وَآخَرٌ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ ﴾ .

سُعْدَى الْقُرْظَى ، فَرَّ بِحَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَعَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الْأَنْصَارِيِّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ ؛ فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : عمرو بن سعدى - وكان عمرو قد أبى أن يدخلَ مع بنى قُريظة في غَدْرِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً - فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى عَشَرَاتِ الْكَرَامِ . ثم خَلَّى سَبِيلَهُ ؛ فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمدينة تلك الليلة . ثم ذهب فلا يُدْرَى ^(١) أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا ! فذكر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شأنه ، فقال : ذاك رجل نَجَّاهُ اللَّهُ بِوَفَائِهِ .

قال ابن إسحاق : وبعضُ النَّاسِ يزعم أنه كان أوثقَ بُرْمَةٍ ^(٢) فيمن أوثق من بنى قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فأصبحت رُمْتُهُ مُلْفَاةً لا يُدْرَى أين ذهب ، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيه تلك المقالة . والله أعلم .

قال ابن إسحاق . فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يا رسول الله ، إنهم مَوَالِينَا دُونَ الْخَزْرَجِ ، وقد فعلت في موالىي الخزرج بالأمس ما قد علمت - وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بنى قُريظة حاصر بنى قَيْثُقَاعَ ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ؛ فسأله إِيَّاهُمْ عبد الله بن أبيّ بن سَكْلُولَ ، فوهبهم له . فلما كَلَّمَهُ الْأَوْسُ قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ أَنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ ! قالوا : بلى ، قال : فذاك إلى سَعْدِ بْنِ مَعَاذٍ - وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في خَيْمَةِ امْرَأَةٍ ^(٣) من أسلم ^(٤) يقال لها رُفَيْدَةُ في مسجده ، كانت تُدَاوِي الْجَرْحَى ، وتحتسب بنفسها على خدمة مَنْ كان به ضَيْعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ؛ وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد قال لقومه حين أصابه السَّهْمُ بِالْخَنْدَقِ : اجعلوه في خيمة رُفَيْدَةَ ، حتى أعوده من قريب - فلما

(٢) الرمة : الحبل .

(١) في ابن هشام : « فلم يدرك » .

(٤) كذا في ابن هشام وفي ط : « المسلمين » .

(٣) س : « لامرأة » .

حكّمه رسول الله صلّى الله عليه وسلم في بني قريظة ، أتاها قومه ، فاحتملوه على حِمَارٍ قد وطّئوا له بوسادة من أدم - وكان رجالاً جسيماً - ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن^١ ١٤٩٢/١ في مواليك ؛ فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلم إنّما ولاك ذلك لتُحسِنَ فيهم . فلما أكثرُوا عليه قال : قد أتى لسعد ألاّ تأخذَه في الله لومة لائم . فرجع بعضُ من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه .

* * *

قال أبو جعفر : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم - فيما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا محمد بن بشر ، قال : حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبي ، عن علقمة : في حديث ذكره ، قال : قال أبو سعيد الخدري : فلما طلع - يعني سعداً - قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم - أو قال : إلى خيركم - فأنزلوه ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : احكم فيهم ، قال : فإنّي أحكم فيهم أن تقتل مُقاتلتهم ، وأن تُسبّي ذراريهم ، وأن تُقسّم أموالهم . فقال : لقد حكمت فيهم بحكم الله وحكم رسوله .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق : وأمّا ابن إسحاق فإنه قال في حديثه : فلما انتهى سعدٌ إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم والمسلمون ؛ قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم ، فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم قد ولاك^(١) [أمر] مواليك لتحكم فيهم ، فقال سعد : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أنّ الحكم فيها ما حكمت ! قالوا : نعم ، قال : وعلى من هاهنا ؟ - في النّاحية التي فيها رسول^١ ١٤٩٣/١

(١) من سيرة ابن هشام .

الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وهو معرض عن رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم لإجلالاً له - فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : نعم ، قال سعد : فإنّي أحكمُ فيهم بأن تُقتلَ الرجال ، وتُقسَم الأموال ، وتُسبَى الذراري والنساء .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرفعة (١) .

قال ابنُ إسحاق : ثمّ استنزلوا ، فحبسهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم في دار ابنة الحارث ، امرأة من بني النجّار . ثمّ خرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ؛ يُخرج بهم إليه أرسالا ؛ وفيهم عدوُ الله حيي بن أخطب ، وكعب بن أسد ؛ رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ؛ المكشّر لهم يقول : كانوا من الثمانمائة إلى التسعمائة . وقد قالوا لكعب بن أسد - وهم يُذهّب بهم إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم أرسالا (٢) - : يا كعب ، ما ترى ما يصنع بنا ! فقال كعب : في كلّ موطن لا تعقلون : ألا ترون الداعي (٣) لا ينزع ، وأنّه من ذُهِبَ به منكم لا يرجع ، هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وأتى بيحيى بن أخطب عدوُ الله وعليه حلّة له فقاحية (٤) قد شققها عليه من كلّ ناحية كموضع الأنملة ، أنملة أنملة ، لثلا يُسلّبها ، مجموعة يدها إلى عنقه بحبل . فلمّا نظر إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، قال : أما والله ما لمتُ نفعي في عداوتك ؛ ولكنه من يخذل الله يخذل .

١٤٩٤/١

(١) الأربعة : السموات ، واحدها ربيع .

(٢) أرسالا ، أى طائفة بعد طائفة .

(٣) ب : « الراعي » .

(٤) حلة فقاحية : على لون الورد حين هم أن يتفتح .

ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنَّه لا بأس بأمر الله ، كتاب الله وقدَره ، وملحمة قد كتبت ^(١) على بني إسرائيل . ثم جلس فضربت عنقه ، فقال جبل بن جَوَّال الثعلبي :

لَعَمْرُكَ مَا لَامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلُ اللَّهُ يُخْذَلِ
لِجَاهِدٍ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَهَا وَقَلَّلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقْلَقِلٍ

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لم يُقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنَّها لعندي تحدّثتُ معي ، وتضحك ظهراً وبطناً ، ورسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقتلُ رجالهم بالسوق ، إذ هتف هاتفٌ باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت : ويلك مالك ! قالت : أقتل ! قلت : ولم ؟ قالت : حدّثتُ أحدثه . (١٩٥/١)
قالت : فأنطلقَ بها فضربت عنقها ^(٢) . فكانت عائشة تقول : ما أنسى عجبنا منها ، طيبَ نفس وكثرة ضحك ، وقد عرفتُ أنها تُقتل !

وكان ثابت بن قيس بن شَمَّاس — كما حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزُّهري — أتى الزُّبير ^(٣) بن باطا القرظي — وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزُّبير قد مَنَّ على ثابت بن قيس بن شَمَّاس في الجاهلية . قال محمد : مما ذكر لي بعضُ ولد الزُّبير ، أنه كان مَنَّ عليه يوم بُعث ؛ أخذه فجَزَّ ناصيته ، ثم خلَّى سبيله — فجاءه ^(٤) وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفني ؟ قال : وهل يجهلُ مثلي مثلك !

(١) في ابن هشام : « كتبها الله » .

(٢) قال أبو ذر الحُثَينِي : « هي امرأة الحسن القرظي » .

(٣) قال السهيلي : « هو الزُّبير ، بفتح الزاي وكسر الباء ، جد الزُّبير بن عبد الرحمن المذكور في الموطأ في كتاب النكاح » .

(٤) ابن هشام : « فجاءه ثابت » .

قال : إني قد أردتُ أن أجزيك بيدك عندي ، قال : إنَّ الكريم يجزي الكريم . ثم أتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ؛ قد كانت للزبير عندي يدٌ ؛ وله على منيةٌ ؛ وقد أحببت أن أجزيه بها ؛ فهب لي دمه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ؛ فما يصنع بالحياة ! فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أهله وولده ، قال : هم لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني امرأتك ولدك فهم لك . قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم ! فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ماله ! قال : هو لك ، فأتاه فقال : إنَّ رسول الله قد أعطاني مالك فهو لك ، قال : أي ثابت ! ما فعل الذي كان وجهه مِرَّة صينية تراءى فيها^(١) عذارى الحى ؛ كعب بن أسد ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل سيّد الحاضر والبادى ؛ حُيَيّ بن أخطب ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل مقدّمنا إذا شدّدنا ، وحاميتنا إذا كررنا ؛ عزّال بن شمويل ؟ قال : قُتل ، قال : فما فعل المجلسان - يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة - قال : ذَهَبُوا ، قَتَلُوا . قال : فإنتى أسألك بيدى عندك يا ثابت ، إلاّ ألحقّتنى بالقوم ؛ فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله قبلة دكّو^(٢) نَضَحَ حَتَّى أَلْقَى الْأَحِبَّةَ ! فقدّمه ثابت ففُضِرَ عنقه ؛ فلما بلغ أبا بكر قوله : « ألقى الأحبة » قال : يلقاهم والله فى نار جهنّم خالدًا فيها مُخَلَّدًا أبدًا . فقال ثابت بن قيس بن الشماس فى ذلك ، يذكر الزبير بن باطا :

١٤٩٦/١

(١) كذا فى ابن هشام ، وفى ط : « فيه » .

(٢) فى ابن هشام : « فتلة » ، قال أبو ذر الحثي ، : « ومن رواء : « قبلة » بالقاف والباء فهو بمقدار ما يقبل الرجل الدلو ليصبها فى الحوض ثم يصرفها ؛ وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة » .

وَفَتْ ذِمَّتِي أَنِّي كَرِيمٌ وَأَنْتِي صَبُورٌ إِذَا مَا الْقَوْمُ حَادُّوا عَنِ الصَّبْرِ
وَكَانَ زَبِيرٌ أَعْظَمَ النَّاسَ مِنَّةً عَلَيَّ فَلَمَّا شَدَّ كَوْعَاهُ بِالْأَسْرِ
أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ كَيْمَا أَفْكُهُ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ بِحَجْرًا لَنَا يَجْرِي

قال : وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم قد أمر بقتل مَنْ أنبت
منهم .

فحدثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : حدثنا سَلَمَةُ ، قال : حدثني محمد بن
إسحاق ، عن أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي صَعْصَعَةَ ، أخى بنى
عدى بن النّجار ؛ أَنَّ سَلَمَةَ بنت قيس أمّ المنذر أخت سَلَيْطَ بن قيس
— وكانت إحدى خالات رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم ، قد صَلَّتْ معه
القبليتين ، وبَايَعَتْهُ ^(١) بيعة النساءِ — سَأَلَتْهُ رِفَاعَةُ بن شمويل ^(٢) القرظي —
وكان رجلاً قد بلغ ولاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك — فقالت : يَا تَبِيَّ اللَّهِ ،
بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ! هَبْ لِي رِفَاعَةَ بن شمويل ؛ فَإِنَّهُ قَدْ زَعَمَ أَنَّهُ سَيُصَلِّيَ ،
وَيَأْكُلُ لَحْمَ الْجَمَلِ ؛ فَوَهَبَ لَهَا ؛ فَاسْتَحْيَتْهُ .

قال ابن إسحاق : ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمَ أَمْوَالَ
بَنِي قُرَيْظَةَ وَنِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَأَعْلَمَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَهْمَانِ
الْخَيْلِ وَسَهْمَانِ الرِّجَالِ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْخُمْسَ ؛ فَكَانَ لِلْفَارِسِ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ ؛
لِلْفَرَسِ سَهْمَانِ وَلِفَارِسِهِ سَهْمٌ ، وَلِلرَّجُلِ مِمَّنْ لَيْسَ لَهُ فَرَسٌ سَهْمٌ ؛ وَكَانَتْ
الْخَيْلُ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ سِتَّةَ وَثَلَاثِينَ فَرَسًا ، وَكَانَ أَوَّلُ الْفَيْءِ وَقَعَ فِيهِ السَّهْمَانِ
وَأَخْرَجَ مِنْهُ الْخُمْسَ ، فَعَلَى سُنَّتِهَا وَمَا مَضَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فِيهَا وَقَعَتْ الْمَقَاسِمُ ، وَمَضَتْ السَّنَةُ فِي الْمَغَازِي ؛ وَلَمْ يَكُنْ يُسْهِمُ لِلْخَيْلِ
إِذَا كَانَتْ مَعَ الرَّجُلِ إِلَّا لِفَرَسَيْنِ .

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَعْدَ بْنَ زَيْدِ الْأَنْصَارِيَّ ،

(١) و : « وبَايعت » .

(٢) ابن هشام : « سمويل » .

أخا بني عبد الأشهل بسبايا من سبايا بني قُرَيْظَةَ إلى نجد ، فابتاع له بهم خيلاً وسلاحاً ، وكان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رِيحانة بنت عمرو بن خُثَافَةَ^(١) إحدى نساء بني عمرو بن قُرَيْظَةَ ، فكانت عند رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حتى توفى عنها وهي في مِلْكِهِ ، وقد كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم عرض عليها أن يتزوجها ، ويضربَ عليها الحجاب ، فقالت : يا رسولَ الله ، بل تتركني في ملكك فهو أخفّ عليّ وعليك . فتركها ؛ وقد كانت حين سبأها رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم قد تعصّت^(٢) بالإسلام ، وأبستْ إلّا اليهوديّة ، فغزها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ووجد في نفسه لذلك من أمرها ؛ فبينما هو مع أصحابه إذ سمع وقعَ نعلين خلفه ، فقال : إنّ هذا لثعلبة بن سعيّة يبشّرني بإسلام ريحانة ، فجاءه فقال : يا رسولَ الله ، قد أسلمت ريحانة ، فسرّه ذلك .

فلما انقضى شأن بني قُرَيْظَةَ انفجر جُرْحُ سعد بن معاذ ، وذلك أنه دعا — كما حدّثني ابنُ وكيع ، قال : حدّثنا ابن بشر ، قال : حدّثنا محمد بن عمرو ؛ قال : حدّثني أبي ، عن علقمة ، في خبر ذكره عن عائشة : ثم دعا سعد بن معاذ — يعني بعد أن حكم في بني قُرَيْظَةَ ما حكم — فقال : اللهم إنّك قد علمت أنّه لم يكن قوم أحبّ إلىّ أن أقاتلَ أو أجاهد من قوم كذبوا رسولك . اللهم إنّ كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئاً فأبقني لها ، وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فاقبضني إليك . فانفجر كلامه ، فرَجَعَهُ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم إلى خيمته^(٣) التي ضربت عليه في المسجد . قالت عائشة : فحضره رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، وأبو بكر ، وعمر ؛ فواللذي نفس محمد بيده ؛ إني لأعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر وإني لفي حُجْرَتِي . قالت : وكانوا كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ ﴾^(٤)

(١) كذا في ابن هشام وشرح المواهب ، والطبري ٣ : ٢٤٣٢ ؛ وفي الأصل : «جنافة» .

(٢) تعصت ، أي عصت .

(٣) س : « القبة » .

(٤) سورة الفتح ٢ .

قال علقمة : أى أمّة ! كيف كان يصنع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ؟ قالت : كانت عينه لا تندم مع على أحد ؛ ولكنه كان إذا اشتدّ وجده على أحد ، أو إذا وجد فإنما هو آخذٌ بلحيته .

حدثنا ابنُ حميد ؛ قال : حدثنا سلّمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، قال : لم يُقتل من المسلمين يوم الخندق إلاّ ستة نفر ، وقُتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقُتل يوم بني قريظة خنّاد بن سُويد بن ثعلبة بن عمرو ابن بلحارث بن الخزرج ، طُرِحَتْ عليه رَحَى فشدّخته شدخاً شديداً . ومات أبو سنان بن محصن بن حُرْثان ، أخو بني أسد بن خزيمه ، ورسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم محاصراً بني قريظة ، فدفن في مقبرة بني قُريظة . ولمّا انصرف رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم عن الخندق ، قال : الآن نَغْزُوهم — يعنى قريشاً — ولا يغزوننا ، فكان كذلك حتى فتح الله تعالى على رسوله صلّى الله عليه وسلّم مكّة .

وكان فتح بني قُريظة في ذى القعدة أو في صدر^(١) ذى الحجة ، في قول ابن إسحاق . وأما الواقديّ فإنه قال : غزاهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في ذى القعدة ، لليال بقيتين منه ؛ وزعم أن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمر أن يُشَقَّ لبني قُريظة في الأرض أخاديد ثم جلس ؛ فجعل على الزبير يضربان أعناقهم بين يديه ، وزعم أن المرأة التي قتلها النبي صلّى الله عليه وسلّم يومئذ كانت تسمى بُنَيَّانَة ، امرأة الحَكَم القرظي ، كانت قتلت خنّاد بن سُويد ، رمّت عليه رَحَى ، فدعا له رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم ، فضرب عتقها بخلّاد بن سويد .

* * *

واختلف في وقت غزوة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم بني المصطلق ؛ وهي الغزوة التي يقال لها غزوة المُريسيّيع — والمريسيّيع اسم ماء من مياه خُزاعة بناحية قديد إلى الساحل — فقال : ابن إسحاق — فيما حدثنا ابن حميد ،

(١) ابن هشام : « و صدر » .

قال : حدثنا سلمة ، عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق من خزاعة ، في شعبان سنة ست من الهجرة .

وقال الواقدي : غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم المريسيع في شعبان سنة خمس من الهجرة . وزعم أن غزوة الحندق وغزوة بني قريظة كانتا بعد المريسيع لحرب بني المصطلق من خزاعة .

وزعم ابن إسحاق - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم انصرف بعد فراغه من بني قريظة ؛ وذلك في آخر ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة - فأقام بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفرًا وشهر ربيع ، وولى الحجة في سنة خمس المشركون .

ذكر الأحداث التي كانت في سنة ست من الهجرة

غزوة بني لحيان

قال أبو جعفر: وخرج رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في جُمادى الأولى على رأس ستَّة أشهر من فتح بني قُريظة إلى بني لحيان ، يطلب ١٥٠١/١ بأصحاب الرجيع ؛ خُبَيْب بن عدى وأصحابه ؛ وأظهر أنه يريد الشام ليصيب من القوم غيرةً . فخرج من المدينة ، فسلك على غُرَاب (جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام) ثم على مَخِيض ، ثم على البراء ؛ ثم صفق^(١) ذات اليسار ، ثم على يَمَن ، ثم على صُخَيْرَات اليمام ، ثم استقام به الطريق على المحجة من طريق مكة ، فأغذَّ السير سريعاً ؛ حتى نزل على غُرَّان ؛ وهي منازل بني لحيان — وغُرَّان واد بين أَمَج وعُسْفان — إلى بلد يقال له ساية ، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا في ربوس الجبال ، فلمَّا نزلها رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم وأخطأه من غرَّتهم ما أراد ، قال : لو أننا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أننا قد جئنا مكة . فخرج في مائتي راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان ، ثم بعث فارسين من أصحابه ؛ حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم ، ثم كَرَّرا وراح قافلا^(٢) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق .
— قال : والحديث في غزوة بني لحيان — عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ، عن عبيد الله بن كعب .

قال ابنُ إسحاق : ثم قدِم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم المدينة ، فلم يُقِمْ إلاَّ ليلتي قلائل حتى أغار عُبَيْسَةُ بن حِصْن بن حذيفة بن بدر الفزاري في خيل لطفان على لِقَاح رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالغابة ؛ ١٥٠٢/١ وفيها رجلٌ من بني غِفَّار وامرأته ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح^(٣) .

* * *

(١) صفق: عدل . (٢) الخبر في سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٢ .

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان .

غزوة ذى قرد

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبي بكر ومن لا أنتمهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك ، كلٌ قد حدث في غزوة ذى قرد بعض الحديث ، أنه أول من نذر^(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمي ، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبد الله .

* * *

وأما الرواية عن سلمة بن الأكوع بهذه الغزوة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة ، منصرفاً من مكة عام الحديبية ، فإن كان ذلك صحيحاً ، فينبغي أن يكون ما روى عن سلمة بن الأكوع كان إما في ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، وإما في أول سنة سبع ، وذلك أن انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة عام الحديبية كان في ذى الحجة من سنة ست من الهجرة ، وبين الوقت الذي وقته ابن إسحاق لغزوة ذى قرد والوقت الذي روى عن سلمة بن الأكوع قريب من ستة أشهر . حدثنا حديث سلمة بن الأكوع الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا أبو عامر العقدي ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة - يعني بعد صلح الحديبية - فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهره^(٢) مع رباح غلام رسول الله ، وخرجت معه بفرس لطلحة بن عبيد الله . ١٥٠٣/١
فلما أصبحنا إذا عبد الرحمن بن عبيدة قد أغار على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستاقه أجمع ، وقتل راعيه . قلت : يا رباح ، خذ هذا الفرس وأبلغه طلحة . وأخبر رسول الله أن المشركين قد أغاروا على سرحيه . ثم قمت

(١) نذر : علم .

(٢) الظهر : الإبل تعد للركوب أو حمل الثقل .

على أكمة فاستقبلت المدينة، فناديت ثلاثة أصوات: يا صَبَاحاه ! ثم خرجت في آثار القوم أرميهم بالنَّبْل ، وأرتجز وأقول : : «أنا»^(١) ابن الأكوع ، واليوم يوم الرضع .

قال : فوالله ما زلت أرميهم وأعقر بهم^(٢) ، فإذا رجع إلى فارس منهم أتيت شجرة وقعدت في أصلها ، فرميتُ فَعَقَرْتُ به ؛ وإذا تضايق الجبل فدخلوا في مُتَضَايِقِي^(٣) علوت الجبل ، ثم أَرَدَ يَهُم بالحجارة؛ فوالله ما زلت كذلك حتى ما خَلَقَ اللهُ بَعيراً من ظهر رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم إلا جعلته وراء ظهري ، وَخَلَعُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَحَتَّى أَلْقَوْا أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ رُمْحاً وَثَلَاثِينَ بُرْدَةً^(٤) ، يَسْتَخْفُونَ^(٥) بها لَا يُلْقُونَ^(٦) شيئاً إلا جعلت عليه آراماً^(٧) حتى يعرفه رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم وأصحابه ، حتى إذا انتهَوْا إلى متضايق من ثنية^(٨) وإذا هم قد أتاهم عِيْسَنَةُ بن حِصْن بن ١٥٠٤/١ بدر مُمِداً ، ففعدوا يَتَضَمَّحُونَ^(٩) ، وقعدت على قَرْنٍ^(١٠) فوقهم ، فنظر

(١) كذا في صحيح مسلم ، وفي ط : « وأنا » .

(٢) في اللسان : « أصل العقر : ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم . . . ومنه حديث ابن الأكوع « وما زلت أرميهم وأعقر بهم » ، أي أقتل مركوبهم ؛ يقال : عقرت به ؛ إذا قتلت مركوبه » .

(٣) صحيح مسلم : « فدخلوا في تضايقه » . والتضايق : ضد الاتساع .

(٤) صحيح مسلم : « ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقيوا أكثر من ثلاثين بردة » .

(٥) يستخفون ، أي يطلبون بإلقائها الخفة ؛ ليكونوا أقدر على الفرار .

(٦) صحيح مسلم : « لا يطرحون » .

(٧) الآرام : الأعلام .

(٨) الثنية : العقبة والطريق في الجبل ، وفي صحيح مسلم : « حتى أتوا متضايقا من

ثنية » .

(٩) في نهاية ابن الأثير : « بينما نحن نتضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ أي نتغدى ، والأصل فيه أن العرب كانوا يسرون في ظعنهم ، فإذا مروا ببقعة من الأرض فيها كلاً وعشب قال قائلهم : ألا ضحوا رويداً ! أي أرققوا بالإبل حتى نتضحى أي نزال من هذا المرعى ، ثم وضعت التضحية مكان الرفق لتصل الإبل إلى المنزل وقد شبع ، ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل في وقت الضحى : هو يتضحى ؛ أي يأكل في هذا الوقت ؛ كما يقال : يتغدى ويتعشى في الغداء والعشاء » .

(١٠) القرن : الجبل الصغير المنقطع عن الجبل الكبير ، وفي صحيح مسلم : « وجلست على

رأس قرن » .

عَيْسِيَّة، فقال : ما الذى أرى^(١) ؟ قالوا : لقينا من هذا البرح^(٢) ، لا والله ما فارقنا هذا منذ غلّس ، يرمينا حتى استنقذ^(٣) كل شيء فى أيدينا . قال : فليقسم^(٤) إليهم أربعة . فعمد إلى أربعة^(٥) منهم . فلما أمكنوني من الكلام ، قلت : أتعرفوني ؟ قالوا : من أنت ؟ قلت : سلمة بن الأكوع ؛ والذى كرم وجه محمد لا أطلب أحداً منكم إلا أدركته ، ولا يطلبني رجل منكم فيدركني . قال أحدهم : أنا^(٥) أظن ، قال : فرجعوا فما برحت مكاني ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخلّلون الشجر ؛ أولهم الأخرم الأسدي ، وعلى إثره أبو قتادة الأنصاري ، وعلى إثره المقداد بن الأسود الكندي ، فأخذت بعنان فرس الأخرم ، [فولوا مدبرين]^(٦) ، فقلت : يا أخرم ؛ إن القوم قليل ، فاحذرهم لا يقتطعوك حتى يلحق بنا رسول الله وأصحابه . فقال : يا سلمة ، إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بيني وبين الشهادة . قال : فحليته ، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيسى ، ففقر الأخرم بعبد الرحمن فرسه ، فطعنه عبد الرحمن فقتله ، وتحول عبد الرحمن على فرسه ، ولحق أبو قتادة عبد الرحمن فطعنه وقتله ، وعقر عبد الرحمن بأبي قتادة فرسه ، وتحول أبو قتادة على فرس الأخرم ؛ فانطلقوا هاربين . قال سلمة : فولد كرم وجه محمد ، لتبعتهم أعدو على رجلى ؛ حتى ما أرى ورائي من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ولا غبارهم شيئاً .

قال : ويعدّلون قبل غروب الشمس إلى شِعْب فيه ماء يقال له ذو قَرَد

(١) صحيح مسلم : « ما هذا الذى أرى ؟ » .

(٢) البرح : الشدة .

(٣) صحيح مسلم : « حتى انتزع » .

(٤) صحيح مسلم : « فصعد إلى أربعة منهم في الجبل » .

(٥) ط : « إن » .

(٦) من صحيح مسلم .

يشربون منه وهم عِطَاش ؛ فنظروا إلى أعدو في آثارهم ؛ فَحَلَسْتُهُمْ^(١)
فما ذاقوا منه قطرة .

قال : وَيُسْنَدُونَ^(٢) في ثنية ذى أثير^(٣) ، ويعطف على واحدٍ فأرشفه
بسمهم في نغص^(٤) كتفه ، فقلت :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكْوَعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

فقال : أَكْوَعِي غُدُوَّةً^(٥) ! قلت : نعم يا عدو نفسه ؛^(٦) وإذا
فرَّسان على الثنية ، فجثت بهما أقودهما إلى رسول الله^(٦) ، ولحقني عامر عتي
بعد ما أظلمت بسطحية^(٧) فيها مِدْقَةٌ من لبن ، وسطيحة فيها ماء ،
فتوضأت وعليت وشربت ، ثم جثت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على الماء الذي حلستهم^(٨) عنه ، عند ذى قَرَدٍ ، وإذا رسولُ الله قد أخذ تلك
الإبل التي استنفذت من العدو ، وكل رُمح ، وكل بُردة ؛ وإذا بلال قد
نَحَرَ ناقة من الإبل التي استنفذت من العدو ، فهو يشوي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم من كبسدها وسنامها ، فقلت : يا رسول الله ؛ خلني
فلأنتخب^(٩) مائة رجل من القوم ، فأتبع القوم فلا يبق^(١٠) منهم عين .
فضحك رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حتى بدا — وقد بان — نواجذه .
[في ضوء النار]^(١١) . ثم قال : أَكُنْتَ فاعلا ! فقلت : إِي وَالَّذِي أَكْرَمَكَ !

(١) فحلستهم ، أى طردتهم وأجليتهم .

(٢) أسندوا ، أى صعدوا ، وفي صحيح مسلم : « ويخرجون فيثبتون في ثنية » .

(٣) كذا ذكر في ط ، ولم أجد هذا الموضع في ياقوت .

(٤) النغص : العظم الرقيق على طرف الكتف ؛ سمي بذلك لكثرة تحركه .

(٥) صحيح مسلم : « قال : يا ثكلته أمه ! أكوعه بكرة ! » .

(٦ - ٦) صحيح مسلم : « قال : وأردوا فرسين على ثنية ، قال : فجثت بهما أسوقهما إلى رسول
الله صلى الله عليه وسلم » .

(٧) السطيحة : إزاء من جلود ، سطح بعضها على بعض . والمذقة : قليل من لبن مزوج بماء .

(٨) صحيح مسلم : « حلستهم » .

(٩) صحيح مسلم : « فأنتخب » .

(١٠) صحيح مسلم : « فلا يبق منهم مخبر إلا قتلته » .

(١١) من صحيح مسلم .

فلما أصبحنا قال رسول الله إنهم ليُقَرَّوْنَ^(١) بأرض غَطَفَان . قال ،
فجاء رجلٌ من غَطَفَان ، فقال : نحر لهم فلان جزورا ، فلما كشطوا^(٢)
عنها جلدها رأوا غُبَّارًا ؛ فقالوا : أتيتُم^(٣) ! فخرجوا هارين ، فلما
أصبحنا قال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : خيرُ فُرُسانا اليوم أبو قتادة ،
وخير رجالتنا سلمة بن الأكوع . ثمَّ أعطانِي رسولُ الله صَلَّى الله عليه
وسلَّم [سهمين] ^(٤) سهم الفارس ، وسهم الرجل ؛ [فجمعهما لي
جميعًا] ^(٤) ، ثم أردفني رسولُ الله وراءه على العَصْبَاء ^(٥) ؛ [راجعين
إلى المدينة] ^(٤) . فبينما نحن نسير ؛ وكان رجل من الأنصار لا يُسْبِقُ شِدًّا^(٦)
فجعل يقول : ألا مِن مسابق ! فقال ذاك مِرَارًا ؛ فلما سمعته قلتُ :
أما تُكْرِم كريمًا ولا تهاب شريفًا ! فقال : لا ؛ إلا أن يكون رسول الله ،
فقلت : يا رسول الله ، بأبي أنت وأُمي ! ائذَنْ لي ^(٧) فلا سَابقَ الرجل ! قال :
إن شئت ، قال : فطفرت ^(٨) فعدوتُ ، فربطتُ شَرَفًا أو شرفين فألحقه ^(٨)
وأصكَّه بين كتفيه ، فقلت : سبقتك ^(٩) والله ! فقال : إنني أظنّ ، ^(١٠)
فسبقته إلى المدينة ، فلم نمكث بها إلا ثلاثًا حتى خرجنا إلى خَيْبَر ^(١١) .

١٥٠٧/١

* * *

- (١) يقرون : يضافون .
(٢) صحيح مسلم : « كشفوا جلدها » .
(٣) صحيح مسلم : « أتاكم القوم » .
(٤) من صحيح مسلم .
(٥) العصابة : لقب ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٦) شِدًّا ، أى عدوا على الرجلين .
(٧) صحيح مسلم : « ذرف » .
(٨ - ٨) صحيح مسلم : « فربطت عليه شرفاً أو شرفين أستبق لنفسى ، ثم عدوت في إثره ،
فربطت عليه شرفاً أو شرفين ؛ ثم إنى رفعت حتى ألحقه » . والشرف : ما ارتفع من الأرض ، ومعنى
ربطت ، حبست نفسي عن الجرى الشديد .
(٩) صحيح مسلم : « قد سبقت » .
(١٠) أى أظن ذلك ، وفى ط : « إن أظن » .
(١١) الخبر فى صحيح مسلم ٣ : ١٤٣٣ - ١٤٤١ ؛ بسنده عن سلمة بن الأكوع ؛ مع
اختلاف فى الرواية .

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله - يعنى مع سلمة بن الأكوع - معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا على ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف في ناحية سلك ، ثم صرخ : واصباحاه ! ثم خرج يشتد في آثار القوم - وكان مثل السبع - حتى لحق بالقوم ، فجعل يردُّهم بالنسبل ، ويقول إذا رمى : «خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ ، وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ» .

فإذا وُجِّهَتْ الخيل نحوه ، انطلق هارباً ، ثم عارضهم ؛ فإذا أمكنه الرمي رمى ، ثم قال :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمَ يَوْمَ الرُّضْعِ^(١)

قال : فيقول قائلهم : أويكنا^(٢) هو أول النهار .

قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صباح ابن الأكوع ؛ فصرخ بالمدينة : الفرع الفرع ! فتنامت^(٣) الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن عمرو .

ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ، عبادة بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعورا ، أخو بني عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بني كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظهير أخو بني حارثة بن الحارث - يشك فيه - وعكاشة بن محصن ، أخو بني أسد بن خزيمة ، ومحرز بن نضلة ، أخو بني أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، أخو بني سلمة ، وأبو عيَّاش ؛ وهو عبيد بن زيد بن صامت ، أخو بني زريق .

فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد .

ثم قال : اخرج في طلب القوم حتى ألحقك في الناس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما بلغني عن رجال من بني زريق - لأبي عيَّاش : يا أبا عيَّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلاً هو أفرس منك فلحق بالقوم ! قال أبو عيَّاش : فقلت : يا رسول الله ، أنا

(١) الرضع : جمع راضع ، وهو اللثيم . (٢) كذا في ابن هشام ، وفي ط : «أكيكنا» .

(٣) فترامت .

أفرس^١ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فوالله ما جَرَى خمسين ذراعاً حتى طرحني ؛ فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيه أفرس منك ! وأقول : أنا أفرس الناس . فزعم رجال من بني زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبي عبيّاش مُعَاذ بن معص - أو عائذ بن ما عَص - ابن قيس بن خُلْدَة - وكان^(١) ثامناً - وبعض الناس يعدّ سلمة بن عمرو بن الأكوع أحدَ الثمانية ، ويطرحُ أَسِيد بن ظُهَيْر أخا بني حارثة ، ولم يكن سلمة يومئذ فارساً ، وكان أول مَنْ لحق بالقوم على رجله ؛ فخرج الفرسان في طلب القوم ، حتى تلاحقوا^(٢) .

١٥٠٩/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، أن أول فارسٍ لحقَ بالقوم مُحَرِّز بن نَضْلَة ، أخو بني أسد بن خزيمَة - ويقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له : قمير - وأنَّ الفزع لما كان ، جالَ فرسٌ لمحمود بن مسلمة في الحائط حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صَنِيعاً^(٣) جاماً^(٤) ، فقال نساءٌ من نساء بني عبد الأشهل حين رأى الفرس يجول في الحائط بجذع من نخل هو مربوط به : يا قُمَيْر ، هل لك في أن تركبَ هذا الفرس - فإنه كما ترى - ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ! قال : نعم ، فأعطنيه إياه ، فخرج عليه ، فلم يَنْشَبْ أن يَنْدَ الخيل بِجَمَامِهِ^(٥) حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا معشرَ اللكيعة حتى يلحق بكم مَنْ وراءكم من أديباركم من المهاجرين والأنصار .

قال : وحَمَلَ عليه رجلٌ منهم فقتله ، وجال الفرس فلم يقدرُوا عليه ؛

(١) كذا في ابن هشام ، وفي ط : « كان » ، بدون واو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) الفرس الصنيع : الذي يخدمه أهله ، ويقومون عليه .

(٤) يقال : جم الفرس ؛ إذا ترك ولم يركب .

(٥) الجمام كسحاب : الراحة ، والباه هنا للسبية .

حتى وقف على آريته^(١) في بني عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره ، وكان اسم فرس محمود ذا اللمة^(٢) .

حدثنا ابن حُميد ، قال : حَدَّثَنَا سلمة ، قال : حَدَّثَنِي محمد بن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن عبيد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، أن محرزاً إنما كان على فرس لعُكَّاشَة بن محصن يقال له^(٣) الجناح ، ١٥١٠/١ قَتَلَ مُحْرَزٌ ، واستُلب الجناح . ولمَّا تلاحقت الخيول قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ الحارث بن رَبِيعٍ أخو بني سلمة ، حبيب بن عينة بن حصن ، وغشَّاه ببرده ، ثم لحق بالنَّاس ، وأقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون ، فإذا حبيب مسجى^(٤) ببردة أبي قتادة ، فاسترجع^(٥) الناس ، وقالوا : قَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم : ليس بأبي قتادة ، ولكنه قَتَلَ لأبي قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه . وأدرك عُكَّاشَة ابن محصن أو باراً وابنه عمرو بن أو بار على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح فقتلها جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح . وسار رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم حتى نزل بالجبل من ذِي قَرْد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأقام عليه يوماً وليلة . فقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتني في مائة رجل لاستنقذت بقيمة السرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم — فيما بلغني : إنهم الآن لَيُغَبِّقُونَ^(٦) في غَطَفَان .

وقسم^(٧) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم في أصحابه في كل مائة جزوراً ،

(١) الآرى : الخيل الذي تشد به الدابة ، وقد يسمى الموضع الذي تقف فيه الدابة آرياً أيضاً .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٣ ، ٢١٤ .

(٣) س : « لها » .

(٤) مسجى : مغطى .

(٥) استرجع الناس : قالوا : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٦) يغبقون : يشربون اللبن وقت العشي .

(٧) ابن هشام : « فقسم » .

فأقاموا عليها ، ثم رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم قافلاً حتى قدم المدينة^(١) .

فأقام بها، بعضُ جمادى الآخرة ورجب . ثم غزا بلمصطلق من خِزاعة في شعبان سنة ست .

* * *

ذكر غزوة بني المصطلق

١٥١١/١

حدثنا ابنُ حُميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل وعلى بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ، وعن عبد الله بن أبي بكر . وعن محمد بن يحيى بن حَبَّان ، قال : كُلُّ قَدْ حَدَّثَنِي بعضُ حديثِ بني المصطلق ، قالوا : بلغ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم أَنَّ بَلْمُصْطَلِقَ^(٢) يجتمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبي ضرار ؛ أبو جُوَيْرِيَّة بنت الحارث ، زوج النبي صَلَّى الله عليه وسلّم ، فلمَّا سمع بهم رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم خرج إليهم حتى لقيهم على ماء^(٣) من مياههم ، يقال له : المُرَيْسِيع ، من ناحية قُدَيْد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا قتالاً شديداً ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ مِنْهُمْ ، وَنَقَلَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ؛ فأفأهم الله عليه .

وقد أصيب رجلٌ من المسلمين من بنى كَلْب بن عوف بن عامر بن ليث ابن بكر ، يقال له هشام بن صُبَّابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة ابن الصَّامِت ، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٤

(٢) ابن هشام : « بنى المصطلق » .

(٣) ابن هشام : « على ماء لهم » .

(٤) س : « وأصيب » .

فبينما الناس على ذلك الماء وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بني غفار يقال له جهنجاه بن سعيد^(١) ، يقود له فرسه ، فازدحم جهنجاه وسنان الجهني^(٢) حليف بني عوف بن الخزرج على الماء ، ١٥١٢/١ فافتتلا ، فصرخ الجهني : يا معشر الأنصار ، وصرخ جهنجاه : يا معشر المهاجرين^(٣) ، فغضب عبد الله بن أبي بن سلول ، وعنده رهط من قومه^(٤) ، فيهم زيد بن أرقم غلام حديث السن ، فقال : أقد^(٥) فعلوها ! قد نافرنا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما عدونا^(٦) وجلايب^(٧) قريش ما قال القائل : « سَمَنٌ كَلِمَتِكَ يَا كُلُّكَ » ؛ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرز منها الأذل ! ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال : هذا ما فعلتم بأنفسكم ! أحللتهم بلادكم ، وقاسمتهم أموالكم ! أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير بلادكم .

فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه . فأخبره الخبر

(١) ابن هشام : « جهجاه بن مسعود » . وفي الإصابة ١ : ٢٥٤ : « جهجاه بن سعيد ، وقيل : ابن قيس ، وقيل ابن مسعود الغفاري ؛ شهد بيعة الرضوان بالحديبية . . . » وذكر خبره في غزاة بني المصطلق .

(٢) في ابن هشام : « سنان بن وبر الجهني » . وقال السهيلي : « وقال غيره : هو سنان ابن تميم - من جهينة - بن سود بن أسلم ، حليف الأنصار » .

(٣) قال السهيلي : « ولم يذكر ما قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سمعها ؛ وفي الصحيح أنه عليه السلام قال : دعوها فإنها منتنة . يعنى أنها كلمة خبيثة ؛ لأنها من دعوى الجاهلية . وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً ؛ فإنما ينبغي أن تكون الدعوة للمسلمين ؛ فن دعا في بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيه ثلاثة أقوال : أحدهما أن يجلد من استجاب له خمسين سوطاً ؛ اقتداء بأبي موسى الأشعري في جلده التابعة الحمدي خمسين سوطاً ؛ حين سمع : « يا لعامر الإسلام ! » فأقبل يشتد بعصبة . والثاني أن فيها الجلد دون العشر لنهي عليه السلام أن يجلد أحد قومه العشرة إلا في حد . والقول الثالث اجتهاد الإمام في ذلك على حسب ما يراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن ، وإما بالجلد » .

(٤) س : « قوهم » .

(٥) ابن هشام : « أوقد » .

(٦) ابن هشام : « ما أعدنا » .

(٧) جلايب قريش ؛ كان المشركون يلقبون من يسلم من قريش بذلك . وأصل الجلايب

الأزر الغلاظ ؛ وكانوا يلتحفون بها ؛ فلقبهم بذلك .

وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : يا رسول الله مُرْ به عَبَّاد بن بشر بن وقش فليقتله ، فقال رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم : فكيف يا عُمَرُ إذا تحدّث الناس : أن محمداً يقتل أصحابه ! لا ، ولكن أذن بالرحيل - وذلك في ساعة لم يكن رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم يرتحل فيها - فارتحل الناس ، وقد مشى عبد الله بن أبيّ بن سلول إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلّغه ما سمع منه . فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به - وكان عبدُ الله بن أبيّ في قومه شريفاً عظيماً - فقال من حضر رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلّم من أصحابه من الأنصار : يا رسولَ الله ، عسى أن يكون الغلام أوهم ^(١) في حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ! حدّباً ^(٢) على عبد الله بن أبيّ ودفعاً عنه .

١٥١٣/١

فلما استقلّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم وسار ، لقيه أسيد بن حضير ، فحياه تحية النبوة ، وسلّم عليه ، ثم قال : يا رسولَ الله ، لقد رُحْتُ في ساعة منكّرة ما كنت تروح فيها ! فقال له رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم : أو ما بلغك ^(٣) ما قال صاحبكم ! قال : وأيّ صاحب يا رسولَ الله ! قال : عبد الله بن أبيّ ، قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة أخرج الأعزُّ منها الأذلّ ، قال أسيد : فأنت والله يا رسولَ الله تخرجه إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ! ثم قال : يا رسولَ الله ، ارفقْ به فوالله لقد جاء الله بك ، وإن قومه لينظّمون له الخرز ليتوجّوه ؛ فإنه ليسرى ^(٤) أنك قد استلبته مبلّكاً ^(٥) .

ثم متنّ ^(٦) رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم بالناس يومهم ذلك حتّى أمسى ، وليلتهم حتّى أصبح ، وصدّرَ يومهم ذلك حتّى آذتهم الشمس .

(١) يقال : وهم في كذا ، إذا أسقط وأخطأ ، ومثله « أوهم » .

(٢) التفسير : « حدّاً » .

(٣) التفسير : « أما » .

(٤) و : « يرى »

(٥) س : « سلبته ملكه » .

(٦) و : « سار » . ابن هشام والتفسير : « مشى » . ومتن ، أى سار بهم حتّى أضعف إليهم ؛ يقال : متن بالإبل ؛ إذا أنعبها حتّى الضعف .

ثم نزل بالنَّاس ؛ فلم يكن إلا أن وجدوا مَسَّ الأرض وقعوا نياما ؛ وإنما فعَل ذلك [رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(١) ليشغل الناس عن الحديث الذي كان بالأمس من حديث عبد الله بن أبي .

ثم راح بالنَّاس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فَوَيْقُ النَّقِيع ^(٢) ، يقال له نقعاء ، فلما راح رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هبَّت على الناس ريحٌ شديدةٌ آذتهم ، وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تخافوا ^(٣) ، فإنما هبَّت لموت عظيم من عظماء الكفار ، فلما قدِموا المدينة وجدوا رِفاعَةَ بن زيد بن التَّأبوت ، أحد بني قَيْسِئُقَاع — وكان من عظماء يهود ، وكهفماً للمنافقين — قدمات في ذلك اليوم .

ونزلت السورة التي ذكر الله فيها المنافقين في عبد الله بن أبي بن سَلُول ومن كان [معه] ^(٤) على مثل أمره ، فقال : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، فلما نزلت هذه السورة أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم فقال : هذا الذي أوفى الله بأذنه .

* * *

حدثنا أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم ، قال : خرجت مع عمي في غَزَاةٍ ، فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول لأصحابه : ﴿ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ والله ، ﴿ لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾ ^(٥) ؛ فذكرت ذلك لعمي ، فذكره عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل إلى

(١) من ابن هشام .

(٢) كذا في ط وال تفسير ، بالنون ، وفي رواية ابن إسحاق بالباء ؛ وهما قولان ذكرهما ياقوت

في معجم البلدان ٨ : ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ .

(٣) س : « لا تخافوها » .

(٤) من التفسير .

(٥) سورة المنافقين ٧ : ٨٠ .

فحدثته ، فأرسل إلى عبد الله وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ؛ قال : فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقه ، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط ، فجلست^(١) في البيت ، فقال لي عمي : ما أردت إلى^(٢) أن كذبك رسول الله ومقتلك ! قال : حتى أنزل الله عز وجل : ﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ ﴾ ، قال : فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها ، ثم قال : إن الله صدقك^(٣) يا زيد^(٤) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبي الذي كان من أمر أبيه . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد ابن إسحاق ، عن عاصم بن عمر بن قتادة ؛ أن عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنّه قد بلغني أنّك تريد قتل عبد الله بن أبي — فيما بلغك عنه — فإن كنت فاعلا فرئي به ، فأنا أحمل إليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بهارجل أبرّ بوالده مني ؛ وإنّي أخشى أن تأمر به غيري فيقتله ، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبي يمشي في الناس فأقتله ؛ فأقتل مؤمناً بكافر فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نرفق به ، ونحسّن صحبته ما بقي معنا . وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحديث ، كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ، ويعنفونه ويتوعّدونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم : كيف ترى يا عمر ! أما والله لو قتلته يوم أمرتني بقتله ، لأرعدت له أنف لو أمرتها اليوم

(١) التفسير : « فدخلت » .

(٢) س : « إلا » .

(٣) س : « صدقت يا زيد » .

(٤) الخبر في التفسير ٢٨ : ٧٠ ، ٧١ (بولاق) .

بقتله لقتلته. قال : فقال عمر : قد والله علمتُ ، لأمرُ رسولِ الله أعظمُ بركة من أمرى . (١)

قال : وقدم مقيس بن صُبابَة من مكة مسلماً فيما يُظهر ، فقال : يا رسولَ الله ، جئتُك مسلماً وجئتُ أطلب دية أخى قتل خطأ . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديّة أخيه هشام بن صُبابَة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتدّاً ، فقال في شعر :

شَفَى النَّفْسَ أَنْ قَذَبَتْ بِالْقَاعِ مُسْنَدًا تُضَرِّجُ ثَوْبِيهِ دِمَاءَ الْأَخَادِعِ (٢)
وَكَانَتْ هُمُومُ النَّفْسِ مِنْ قَبْلِ قَتْلِهِ تَلِمُ ، فَتَحْمِينِي وَطَاءَ الْمُضَاجِعِ (٣)
حَلَلْتُ بِهِ وَتَرَى ، وَأَدْرَكْتُ تُورَتِي وَكُنْتُ إِلَى الْأَوْثَانِ أَوَّلَ رَاجِعِ (٤)
تَأَرْتُ بِهِ فِهْرًا وَحَمَلْتُ عَقْلَهُ سَرَاةَ بَنِي النَّجَارِ أَرْبَابَ فَارِعِ (٥)

وقال مقيسُ بن صُبابَة أيضاً :

جَلَلَتْهُ ضَرْبَةٌ بَاءَتْ ، لَهَا وَشَلٌ مِنْ نَاقِعِ الْجَوْفِ يَعْلُوهُ وَيَنْصَرِمُ (٦)
فَقُلْتُ وَالْمَوْتُ تَفْشَاهُ أَسِيرَتُهُ لَا تَأْمَنَنَّ بَنَى بَكْرٍ إِذَا ظَلِمُوا (٧)

وأصيب من بني المصطلق يومئذ ناسٌ كثيرٌ ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين : مالكاً وابنه ، وأصاب رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منهم

(١) التفسير ٢٨ : ٧٥ ، ٧٦ (بولاق) ، وابن هشام ٢ : ٢١٧ ، ٢١٨ .

(٢) القاع : المنخفض من الأرض . وتضرج : تلتطخ . والأخادع : عروق القفا ؛ وإنما هما أخذعان ؛ فجعمهما مع يليهما .

(٣) تلم : تحل لي . وتحميني : تمنعني . ووطاء المضاجع : ليناتها .

(٤) الوتر : طلب الثأر . والثورة : الثأر .

(٥) ط : « تأرت به قهراً ! » ، وما أثبتته من ابن هشام . العقل : الدية . وسراة بني النجار :

خيارهم . وفارع : حصن لهم .

(٦) جللته ضربة : علوته بها . وباءت : أخذت بالثأر . يقال : بؤت بفلان ؛ إذ أخذت

بثأره . والوشل : القطر ، ويريد بنافع الجوف الدم . ينصرم : ينقطع .

(٧) الأسرة : التكسر الذي يكون في جلد الوجه والجبهة .

سبيًا كثيرًا ، ففشا قَسَمُهُ في المسلمين ؛ ومنهم جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار زوج النبي صلى الله عليه وسلم ^(١) .

١٥١٧/١

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما قَسَمَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم سبايا بني المصطلق ، وقعت جُوَيْرِيَّة بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس ابن الشماس — أو لابن عمِّ له — فكاتبتُه على نفسها — وكانت امرأة حُلُوَّةً مُلَاحَةً ^(٢) ، لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه — فأَتَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها ، قالت : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حُجْرَتِي كَرِهْتَهَا ، وعرفت أنه سيرني منها مثل ما رأيت ، فدخلتُ عليه ، فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قوم ، وقد أصابني من البلاء ما لم يَخْفَ عليك ؛ فوقع في السهم لثابت بن قيس بن الشماس — أو لابن عمِّ له — فكاتبتُه على نفسي ، فجتكت أستعينك على كتابتي ، فقال لها : فهل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى كتابتك وأتزوجك ، قالت : نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت ، قالت : وخرج الخبر إلى النَّاس أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية بنت الحارث ، فقال النَّاس : أصهارُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسلوا ما بأيديهم .

قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بني المصطلق ، فأعلم امرأةً كانت أعظمَ بركة على قومها منها ^(٣) .

* * *

حديث الإفك

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ .

(٢) الملاحه : الشديدة الملاحه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢١٨ ، ٢١٩ .

قال : وأقبل رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم من سفره ذلك - كما حدَّثني أبي إسحاق ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة - حتى إذا كان قريباً من المدينة - وكانت [معه] ^(١) عائشة في سفره ذلك - قال أهل الإفك فيها ما قالوا ^(٢) .

١٥١٨/١

حدَّثنا ابنُ حميد قال : حدَّثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي وعن سعيد بن المسيب ^(٣) ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة [بن مسعود] ^(٤) قال الزهري : كلُّ قد حدَّثني بعض هذا الحديث ، وبعضُ القوم كان أوعى له من بعض . قال : وقد جمعت لك كل الذي حدَّثني القوم .

حدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني محمد بن إسحاق ، قال : حدَّثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وحدَّثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قال : وكلُّ قد اجتمع حديثه في خبر قصّة عائشة عن نفسها حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، فكلُّ قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً ، ويحدِّث بعضهم ما لم يحدِّث بعضٌ ، وكلُّ كان عنها ثقة ، وكلُّ قد حدَّث عنها ١٥١٩/١ بما سمع .

قالت عائشة : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إذا أراد سفرًا أقرع بين نسائه ، فأَيَّتُهُنَّ خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلمَّا كانت غزوة بني المصطلق ، أقرع بين نسائه كما كان يصنع ؛ فخرج سهمي عليهن ، فخرج بي رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . قالت : وكان النساء إذ ذاك إنّما يأكلن العلق ^(٥) لم يُهَبَّجِهِنَّ ^(٦) اللحم فيثقلن . قالت : وكنت إذا رُحِلَ بغيري جلستُ في هودجِي ، ثمَّ يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بغيري ،

(١) من سيرة ابن هشام . (٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ .

(٣) ابن هشام : « سعيد بن جبير » . (٤) من التفسير .

(٥) العلق : بضم ففتح ؛ وهي ما فيه بلغة من الطعام إلى وقت الغداء .

(٦) التهييج ، كالورم في الجسم ، قد يكون من سمن وقد يكون من آفة .

ويحملوني فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدّونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم من سفره ذلك ، وجّه قافلاً ، حتّى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً ، فبات فيه بعضَ الليل ، ثم أذنّ في النَّاس بالرحيل ، فلماً ارتحل النَّاس خرجتُ لبعض حاجتي وفي عنقي عقدٌ لى فيه جَزَعٌ^(١) ظَفَّار ، فلماً فرغتُ انسلّ من عنقي ولا أدري ؛ فلماً رجعتُ إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه في عنقي فلم أجده ، وقد أخذ النَّاس في الرحيل . قالت : فرَجَعْتُ عَوْدِي على بدئي إلى المكان الذي ذهبتُ إليه ؛ فالتمسته حتّى وجدته ، وجاء خلافي القوم الذين كانوا يرجّلون لى البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنّي فيه كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدّوه على البعير ، ولم يشكّوا أنّي فيه . ثم أخذوا برأس البعير فانطلقوا به ، ورجعتُ إلى العسكر وما فيه داع ولا محجب ، قد انطلق الناس . قالت : فتلفّفت بجلبابى ثم اضطجعت في مكاني الذي ذهبتُ إليه ؛ وعرفت أنّ لو قد افتقدوني قد رجعوا إلى . قالت : فوالله إنّني لمضطجعة ، إذ مرّ بى صفوان بن المُعْطَل السُّلَمي^(٢) ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع النَّاس في العسكر ؛ فلماً رأى سوادى أقبل حتّى وقف علىّ فعرفنى - وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب - فلماً رآنى قال : إنّنا لله وإنّا إليه راجعون ! أظعينة رسول الله ! وأنا متلففة في ثيابى . قال : ما خالفكَ رَحِمَكِ اللهُ ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرّب البعير فقال : ارْكَبى رَحِمَكِ اللهُ ! واستأخر عنى . قالت : فركبتُ وجاء فأخذ برأس البعير ، فانطلق بى سريعاً يطلب الناس ؛ فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتّى أصبحت ، ونزل النَّاس ، فلما اطمأنّوا طلع الرجل يقودنى ، فقال أهلُ الإفك فيّ ما قالوا . فارتج^(٣)

(١) الجزع : الحرز . وظفار : مدينة باليمن قرب صنعاء ؛ ينسب إليها الجزع الظفارى .

(٢) قال السهيلي : « يكْنى أبا عمرو ؛ وكان يكون على ساقه العسكر ، يلتقط مما يسقط من متاع المسلمين حتّى يأتيهم به ؛ ولذلك تخلف في هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا . وقد روى في تخلفه سببٌ آخر ؛ وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتّى يرحل الناس » .

(٣) ابن هشام : « ارتجع العسكر » ، أى تحرك واضطرب .

العسكر ، والله ما أعلم بشيء من ذلك . ثم قدمنا المدينة ، فلم أمكث^(١) أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغني شيء من ذلك ؛ وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبوتى ، ولا يذكران لى من ذلك قليلاً ولا كثيراً^(٢) ، إلا أننى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ؛ كنت إذا اشتكيت رحمينى ولطف بى ؛ فلم يفعل ذلك فى ١٦٢١/١ شكواى^(٣) تلك ، فأنكرت منه ، وكان إذا دخل على وأمى تمرصتى ، قال : كيف تيكُم ؟ لا يزيد على ذلك . قالت : حتى وجدت فى نفسى ممّا رأيت من جفائه عنى ، فقلت له : يا رسول الله ، لو أذنت لى فانتقلت إلى أمى فمرصتتى ! قال : لا علىك ! قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا أعلم بشيء ممّا كان ، حتى نقيت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة . قالت : وكنا قوماً عرباً لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرها ؛ إننا كنا نخرج فى فسح المدينة ؛ وإنما كان النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ؛ فخرجت ليلة لبعض حاجتى ، ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر . قالت : فوالله إنَّها لتمشى معى ، إذ عثرت فى مِرطِها^(٤) ، فقالت : تعيس مسطح^(٥) ! قالت : قلت : بشى لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدرًا ! قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتني بالذى كان من قول أهل الإفك . قالت : قلت وقد كان هذا ! قالت : نعم والله لقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت فما زلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع^(٦) كبدى . قالت : وقلت لأخى :

(١) ابن هشام : « ألبث » .

(٢) و : « لا يذكر لى منه قليل ولا كثير » .

(٣) و : « شكائى » .

(٤) المرط : الكساء .

(٥) قال ابن هشام : « وسطح لقب ، واسمه عوف » .

(٦) سيصدع : سيشق .

يغفر الله لك ! تحدث الناس بما تحدثوا به وبلغك ما بلغك ؛ ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً ! قالت : أى بُسِيَّةَ خَفَضِي الشَّانَ (١) ؛ فوالله قلَّما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبُّها لها ضرائر إلا كَثُرْنَ وكَثُرَ الناس عليها . ١٥٢٢/١

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس يخطبهم (٢) ولا أعلم بذلك . ثم قال : أيُّها الناس ، ما بال رجال يُؤذُونِي في أهلي ، ويقولون عليهنَّ غير الحقِّ ! والله ما علمتُ منهنَّ (٣) إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمتُ منه إلا خيراً ! وما دخل (٤) بيتاً من بيوتى إلا وهو معي . قالت : وكان كُبُرُ (٥) ذلك عند عبد الله بن أبي بن سلَّول في رجال من الخزرج ؛ مع الذي قال مسطح وحَمَنَةُ بنت جحش — وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، [ولم تكن من نسائه امرأة تناصبني في المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله ، وأما حمنة بنت جحش] (٦) ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضارَّتِي (٧) لأختها زينب بنت جحش — فشقيبتُ بذلك . فلمَّا قال رسولُ الله صلَّى الله عليه وسلَّم تلك المقالة ، قال أسيّد بن حُضَيْير أخو بني عبد الأشهل : يا رسول الله ، إن يكونوا من الأوس فكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج فرنا بأمرك ؛ فوالله إنَّهم لأهل أن تضربَ (٨) أعناقهم . قالت : فقام سعد بن عباد — وكان قبل ذلك يرى رجلاً صالحاً — فقال : كذبت لعمر الله لا تضربَ أعناقهم ! أما والله ما قلتَ هذه المقالة إلا أنَّك قد عرفت أنَّهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلتَ هذا ! قال أسيّد : كذبت لعمر الله ! ولكنك منافق تجادل عن ١٥٢٣/١

(١) خفضي الشَّان : هونيه عليك .

(٢) و : « فخطبهم » .

(٣) س : « عليهن » .

(٤) و : « ولا دخل » .

(٥) الكبر ، بالضم والكسر : الإثم ومعظم الشيء .

(٦) من سيرة ابن هشام .

(٧) ابن هشام : « تضادني » .

(٨) و : « نضرب » .

المنافقين ! قالت : وتثاوره ^(١) النَّاسُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَ هَذَيْنِ الْحَيَيْنِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ شَرٌّ ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَدَخَلَ عَلَى ،
قالت : فدعا عليَّ بنَ أبي طالب وأسماءَ بنَ زيد ؛ فاستشارهما ، فأما أَسَمَةُ فَأُثِنِيَ خَيْرًا وَقَالَ ^(٢) ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَهْلُكَ ، وَلَا نَعْلَمُ عَلَيْهِنَّ إِلَّا خَيْرًا ؛ وَهَذَا الْكَذِبُ وَالْبَاطِلُ . وَأَمَّا عَلِيٌّ فَإِنَّهُ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ النِّسَاءَ لَكَثِيرٌ ؛ وَإِنَّكَ لِقَادِرٌ عَلَى أَنْ تَسْتَخْلِفَ ؛ وَسِيلَ الْجَارِيَةِ فَإِنَّهَا تَصَدُّقُكَ . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بِرَبْريرةَ يسألها . قالت : فقام إليها عليٌّ فضربها ضربًا شديدًا ^(٣) ؛ وَهُوَ يَقُولُ : اصْدُقْنِي رَسُولَ اللَّهِ ؛ قالت : فتقول : والله ما أعلم إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كُنْتُ أُعِيبُ ^(٤) عَلَى عَائِشَةَ ؛ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ أُعْجِبُ عَجَبِي ^(٥) فَأَمَرَهَا أَنْ تَحْفَظَهُ ^(٦) فَتَنَامَ عَنْهُ ، فَيَأْتِي الدَّاجِنَ فَيَأْكُلُهُ ^(٧) .

ثم دخلَ عليٌّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي أَبَوَايَ ، وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ ؛ وَأَنَا أَبْكِي وَهِيَ تَبْكِي مَعِي ؛ فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا عَائِشَةُ ؛ إِنَّهُ قَدْ كَانَ مَا بَلَغَكَ مِنْ قَوْلِ النَّاسِ ، فَاتَّقِي اللَّهَ ؛ وَإِنْ كُنْتَ قَارِفَتِ سُوءًا ^(٨) مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ فَتَوَنَّى إِلَى اللَّهِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ ؛ قالت : فوالله ما هو إِلَّا أَنْ قَالَ ذَلِكَ ، تَقَلَّصَ ^(٩) دَمْعِي ؛ حَتَّى مَا أَحْسَسُ مِنْهُ شَيْئًا ، وَانْتَظَرْتُ أَبَوَيَّ أَنْ يَجِيئَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَتَكَلَّمَا . قالت : وَابْنُ اللَّهِ لِأَنَا كُنْتُ أَحْقَرُ فِي نَفْسِي وَأَصْغَرُ شَأْنًا مِنْ أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِرَائِنَا يَقْرَأُ بِهِ فِي الْمَسَاجِدِ ،

١٥٢٤/١

(١) س : « وتنافر » . وفي ابن هشام : « وتساور الناس » ، أى قام بعضهم إلى بعض .

(٢) س : « وقال خيرًا » .

(٣) قال السهيلي : « وأما ضرب عليٍّ للجارية وهي حرة ، ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله في ضربها ؛ فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكثمت من الحديث ما لا يسمعها كتمه » .

(٤) س : « أعتب » .

(٥) و : « عجنني » .

(٦) س : « بحفظه » .

(٧) ابن هشام : « فتأتى الشاة فتأكله » .

(٨) قارفت سُوءاً : دخلت فيه .

(٩) ابن هشام : « فقلص » ، وقلص وتقلص : ارتفع .

ووصلني به ، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني ، لما يعلم من براءتي ، أو يخبر خبراً ؛ فأما قرآنٌ ينزل في ، فوالله لنفسي كانت أحقّـر عندي من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوي يتكلمان . قالت : قلت ألا تجيبان رسول الله ! قالت : فقالا لي : والله ما ندرى بماذا نجيبه ! قالت : وإيم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر^(١) في تلك الأيام ! قالت : فلما استعجما على استعبرت فبكيت ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ؛ والله لئن أقررت بما يقول الناس – والله يعلم أني منه بريئة – لتصدقني ؛ لأقولن ما لم يكن ؛ ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقوني . قالت : ثم التمسيت اسم يعقوب فما أذكره ؛ ولكنني أقول كما قال أبو يوسف : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ .

قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ، وضعت وسادة من آدم تحت رأسه ؛ فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ؛ فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت ؛ قد عرفت أنني بريئة ، وأن الله غير ظالمي ، وأما أبواي ؛ فوالذي نفس عائشة بيده ، ما سرّني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فارقاً أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس . قالت : ثم سرّني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس وإنه ليتحدّر منه مثل الجمان في يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشري يا عائشة ؛ فقد أنزل الله براءتك ، قالت : فقلت : بحمد الله وذمكم . ثم خرج إلى الناس فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من القرآن في . ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمّنة بنت جحش – وكانوا ممن أفصح بالفاحشة – فصبروا^(٢) حدّهم^(٣) .

١٥٢٥/١

(١) س : « أهل بيت » .

(٢) س : « فجلدوا »

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٠ – ٢٢٢ ، التفسير ١٨ : ٧١ – ٧٤ (بولاق) ، مع

اختلاف في آخر الخبر .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق .
عن أبيه ، عن بعض رجال بني النّجار ، أنّ أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت
له امرأته أمّ أيوب : يا أبا أيوب ، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال :
بلى ؛ وذلك الكذب ؛ أكنت يا أمّ أيوب فاعلةً ذلك ! قالت : لا والله
ما كنت لأفعله ^(١) ، قال : فعائشة والله خيرٌ منك . قال : فلمّا نزل القرآن
ذكر الله من قال من الفاحشة ما قال من أهل الإفك : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا
بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ... ﴾ ^(٢) . الآية ؛ وذلك حسان بن ثابت في أصحابه
الذين قالوا ما قالوا ^(٣) .

ثم قال الله عزّ وجلّ : ﴿ لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا . ﴾ ^(٢) الآية ، أى كما قال أبو أيوب وصاحبه . ثم قال :
﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّتِكُمْ ... ﴾ ^(٤) الآية . فلمّا نزل هذا في عائشة وفيمن قال لها
ما قال قال أبو بكر - وكان ينفق على مسطح لقربته منه وحاجته :
والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال ١٥٢٦/١
لعائشة ، وأدخل علينا ما أدخل ! قالت : فأنزل الله عزّ وجلّ في ذلك :
﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى ... ﴾ ^(٥) الآية .

(١) س : « فاعلة ولا أفعله » .

(٢) سورة النور ١١ ، ١٢ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٢ .

(٤) سورة النور ١٥ .

(٥) سورة النور ٢٢ . قال ابن هشام : ولا يأتل أولو الفضل منكم ؛ منه قول امرئ القيس
ابن حجر الكندي :

أَلَرَبِّ خَضَمٍ فِيكَ أَلْوَى رَدَدْتُهُ نَصِيحٍ عَلَى تَعْدَالِهِ غَيْرَ مُؤْتَلٍ

وفى كتاب الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ﴾ وهو من الآية ، والآية :

اليمن ، قال حسان بن ثابت :

أَلَيْتُمْ مَا فِي جَمِيعِ النَّاسِ مُجْتَهِدًا مِنِّي أَلِيَّةَ بَرٍّ غَيْرِ إِفْنَادٍ

فمنى « أن يؤتوا » في هذا المذهب : « ألا يؤتوا » .

قالت : فقال أبو بكر : والله لأحب أن يغفر الله لي . فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .
ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف حين بلغه ما يقول فيه ؛ وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه .
وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

أَمْسَى الْجَلَايِبُ قَدْ عَزُّوا وَقَدْ كَثُرُوا وَابْنُ الْفُرَيْعَةِ أَمْسَى بَيْضَةَ الْبَلَدِ^(١)
قَدْ تَكَلَّتْ أُمُّهُ مِنْ كُنْتِ صَاحِبَهُ أَوْ كَانَ مُنْتَشِبًا فِي بُرْتُنِ الْأَسَدِ^(٢)
مَا لِقَتَلِي الَّذِي أَغْدُو فَأَخَذَهُ مِنْ دِيَةِ فِيهِ يُعْطَاهَا وَلَا قَوْدِ^(٣)
مَا الْبَحْرُ حِينَ تَهَبُ الرِّيحُ شَامِيَةً فَيَغْطِلُ وَيَرْمِي الْعَبْرَ بِالزَّبْدِ^(٤)
يَوْمًا بِأَغْلَبَ مِنِّي حِينَ تُبْصِرَنِي مِلْقِيطٍ أَفْرَى كَفَرَى الْعَارِضِ الْبَرْدِ^(٥)
فاعترضه صفوان بن المعطل بالسيف فضربه ثم قال - كما حدثنا ابن

١٥٢٧/١

حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق :

تَلَقَّ ذُبَابَ السَّيْفِ عَنِّي فَإِنِّي غُلَامٌ إِذَا هُوَ جِيتُ لَسْتُ بِشَاعِرٍ^(٦)
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن
محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، أن ثابت بن قيس بن الشماس أخوا

- (١) ديوانه ١٠٤ . قال السهيلي : « يعني بالجلابيب الغرباء . وبيضة البلد ، يعنى منفردا ؛ وهي كلمة يتكلم بها في المدح تارة ، وفي معنى القل أخرى ، يقال : فلان بيضة البلد ؛ أي أنه واحد في قومه عظيم فيهم . وفلان بيضة البلد ؛ يريد أنه ذليل ليس معه أحد » .
(٢) ثكلته أمه : فقدته . والبرتن : الكف مع الأصابع .
(٣) القود : قتل النفس .
(٤) يغطل : يحول ويتحرك . والعبر : جانب البحر .
(٥) ملقيط ، أي من الفيظ . أفري : أقطع . والعارض : السحاب . والبرد ، بكسر الراء : الذي فيه برد . وبعده في سيرة ابن هشام :

أَمَّا قَرِيشُ فَإِنِّي لَنْ أَسْأَلَهُمْ حَتَّى يَشِيبُوا مِنَ الْغِيَاثِ لِلرَّشْدِ
وَيَتْرَكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى بِمَعْزِلَةٍ وَيَسْجُدُوا كُلُّهُمْ لِلوَاحِدِ الصَّمَدِ
وَيَشْهَدُوا أَنَّ مَا قَالَهُ الرَّسُولُ لَهُمْ حَقٌّ ، وَيُؤْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَالْوُكُودِ

بلحارث بن الخزرج ، وثَّب على صفوان بن المعطل في ضربه حسان ، فجمع يَدَيْهِ إلى عُنُقِهِ ، فانطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقبه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : ألا أعجبك (١) ضرب حسَّان بن ثابت بالسَّيف ! والله ما أراه إلا قد قتله . قال : فقال له عبدُ الله ابن رواحة : هل عَلِمَ رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ! أطلق الرجل ، فأطلقه . ثم أتوا رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فذكروا له ذلك ؛ فدعا حسَّان وصفوان بن المعطل ، فقال ابنُ المعطل : يا رسولَ الله ، آذاني وهجاني ، فاحتملني الغضب فضرته . فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم لحسان : يا حسان أتشوهت (٢) على قومي أن هدام الله للإسلام ! ثم قال : أحسين يا حسَّان في الذي قد أصابك ، قال : هي لك يا رسول الله (٣) .

وحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد ابن إبراهيم بن الحارث ، أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أعطاه عَوْضًا منها بَيْرَحًا - وهي قصر بني حُدَيْلَةَ اليوم بالمدينة ؛ كانت مالا لأبي طلحة بن سهل ، تصدَّق بها إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فأعطاها حسَّان في ضربته - وأعطاه سيرين ؛ أمة قِبْطِيَّة ، فولدت له عبد الرَّحْمَنِ بن حسان . قال : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن صفوان بن المعطل فوجدوه رجلا حصُورًا ما يأتي النساء . ثم قتل بعد ذلك شهيدًا (٤) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الواحد ابن حمزة ، أن حديث عائشة كان في عُمرة القضاء .

* * *

قال أبو جعفر : ثم أقام رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بالمدينة شهر رمضان وشَوَّالًا ، وخرج في ذى القعدة من سنة ست معتمرًا .

(١) : س « ألا أعجل » .

(٢) أتشوهت على قومي ، أى أقيحت ذلك من فعلهم حين سميتهم الجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله ورسوله !

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

ذكر الخبر عن عُمرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
التي صَدَّه الْمُشْرِكُونَ فِيهَا عَنِ الْبَيْتِ ، وَهِيَ قِصَّةُ الْحُدَيْبِيَّةِ

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا الْحَكَمُ بْنُ بَشِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عُمَرُ
ابْنُ ذَرٍّ الْهَمْدَانِيُّ ، عَنْ مُجَاهِدٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اعْتَمَرَ ثَلَاثَ
عُمَرٍ ، كُلَّهَا فِي ذِي الْقَعْدَةِ ؛ يَرْجِعُ فِي كُلِّهَا إِلَى الْمَدِينَةِ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ^(١) ، قَالَ : خَرَجَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعْتَمِرًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ لَا يَرِيدُ حَرْبًا ، وَقَدْ ١٥٢٩/١
اسْتَنْفَرَ ^(٢) الْعَرَبَ وَمَنْ حَوْلَهُ مِنْ أَهْلِ الْبَوَادِي مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ ، وَهُوَ
يَخْشَى مِنْ قُرَيْشٍ الَّذِي صَنَعُوا بِهِ أَنْ يَعْضُوا لَهُ بِحَرْبٍ ، أَوْ يَصُدُّوه عَنْ
الْبَيْتِ ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَمَنْ لَحِقَ بِهِ مِنَ الْعَرَبِ ، وَسَاقَ مَعَهُ
الْهُدْيَ ، وَأَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ ، لِيَأْمَنَ النَّاسُ مِنْ حَرْبِهِ ، وَلِيَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّهُ إِنَّمَا
جَاءَ زَائِرًا لِهَذَا الْبَيْتِ ، مُعْظَمًا لَهُ .

حَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ
إِسْحَاقَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمٍ الزَّهْرِيُّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ
الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ وَمُرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ ؛ أَنَّهُمَا حَدَّثَاهُ قَالَا : خَرَجَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْحُدَيْبِيَّةِ ، يَرِيدُ زِيَارَةَ الْبَيْتِ ، لَا يَرِيدُ قِتَالًا ،
وَسَاقَ مَعَهُ سَبْعِينَ بَدَنَةً ، وَكَانَ النَّاسُ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ ؛ كَانَتْ كُلُّ بَدَنَةٍ
عَنْ عَشْرَةِ نَفَرٍ .

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى ؛ فَحَدَّثَنَا عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ،
عَنِ الزَّهْرِيِّ ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ .

(١) أخبار قصة الحديبية عن ابن إسحاق في سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ - ٢٣٣ .

(٢) س : « استنصر » .

وحدثني يعقوب ، قال : حدثني يحيى بن سعيد ، قال : حدثنا عبد الله بن مبارك ، قال : حدثني معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، قالوا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية ، في بضعة عشر ومائة من أصحابه . . . ثم ذكر الحديث .

حدثنا الحسن بن يحيى ، حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا عكرمة بن عمار اليمامي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : قدمنا مع رسول الله ١٥٣٠/١ صلى الله عليه وسلم الحديبية ، ونحن أربعة عشر (١) ومائة .

حدثنا يوسف بن موسى القَطَّان ، قال : حدثنا هشام بن عبد الملك وسعيد بن شرحبيل المصري ، قالوا : حدثنا الليث بن سعد المصري ، قال : حدثنا أبو الزبير ، عن جابر ، قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان أهل البيعة تحت الشجرة ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن عمرو بن مرة ، قال : سمعتُ عبدَ الله بن أبي أوفى ، يقول : كنا يوم الشجرة ألفا وثلثمائة ، وكانت أسلَمُ ثَمَنُ (٢) المهاجرين .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : كنا أصحابَ الحديبية أربعة عشر ومائة .

* * *

قال الزهري : فخرج رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، حتَّى إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ، فقال له : يا رسولَ الله ، هذه ١٥٣١/١

(١) و : « بضع عشرة » .

(٢) س : « من المهاجرين » .

قريش قد سمعوا بمسيرك، فخرجوا معهم العوذ المَطَافِيلُ^(١)، قد لبسوا جلود النمر، وقد نزلوا بذى طوى، يحلفون بالله^(٢) لا تدخلها عليهم أبداً؛ وهذا خالد بن الوليد في خييلهم، قد قدموها إلى كُرَاعِ الغَمِيمِ.

* * *

قال أبو جعفر: وقد كان بعضهم يقول: إن خالد بن الوليد كان يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلماً. ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُمَيْتِي، عن جعفر - يعني ابن أبي المغيرة - عن ابن أبيزى، قال: لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بالهَدْنِي، وانتهى إلى ذى الحُلَيْفَةِ، قال له عمر: يا رسول الله، تدخل على قوم هم لك حربٌ بغير سلاح ولا كُرَاع! قال: فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فلم يدع^(٣) فيها كُرَاعاً ولا سلاحاً إلا حَمَلَهُ، فلما دنا من مكة منعه أن يدخل، فسار حتى أتى منى، فنزل بمنى، فأتاه عنه أن عكرمة بن أبي جهل قد خرج عليك في خمسمائة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد: يا خالد، هذا ابن عمك، قد أتاك في الخيل، فقال خالد: أنا سيف الله وسيف رسوله - فيومئذ سُمِّيَ سيف الله - : يا رسول الله ارمِ بى حيث شئت. فبعثه على خيل، فلقى عكرمة في الشعب، فهزمه حتى أدخله حِيطَانِ مكة، ثم عاد في الثانية، فهزمه حتى أدخله حِيطَانِ مكة، ثم عاد في الثالثة فهزمه حتى أدخله حِيطَانِ مكة، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿عَذَاباً أَلِيماً﴾^(٤) قال: وكف الله النبي صلى الله عليه

١٥٣٢/١

(١) العوذ: جمع عاذ؛ وهن من الإبل: الحديثة التاج. والمطافيل: التي معها أولادها؛ يريد أنهم خرجوا معهم النساء والصبيان.

(٢) ابن هشام والتفسير: «يعاهدون الله».

(٣) س: «منها».

(٤) سورة الفتح ٢٤

وسلّم عنهم بعد أن أظفره عليهم لبقايا من المسلمين كانوا بقوا فيها من بعد أن أظفره عليهم كراهية أن تطأهم الخيل بغير علم^(١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : يا ويح قريش ! قد آكلتْهم الحرب ، ماذا عليهم لو خدّوا بيني وبين سائر العرب ؛ فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرّين ؛ وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوّة . فما تظنّ قريش ! فوالله لا أزال أجاهدكم على الدّين بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة^(٢) .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التي هم بها ؟ فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلّمة ، عن ابنِ إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، أن رجلاً من أسلم قال : أنا يا رسولَ الله ، قال : فسلّك بهم على طريق وعبر حزن^(٣) بين شعاب ، فلما أن خرجوا منه - وقد شقّ ذلك على المسلمين ، وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادي - قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه . ففعلوا . فقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : والله إنها للحيطة^(٤) التي عُرِضَتْ على بني إسرائيل فلم يقولوها^(٥) .

قال ابن شهاب : ثم أمر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين ، بين ظَهْرَيِ الحِمَضِ في طريق تُخْرِجُه على^(٦) ثنية المُرَارِ على مهبّط الحديبية من أسفل مكة . قال : فسلّك الجيش ذلك الطريق ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٢) السالفة : صفحة العنق ؛ وهما سالفتان من جانبيه ؛ وكُنِيَ بانفرادها عن الموت .

(٣) ابن هشام : « فسلّك بهم طريقاً وعراً أجزل » ، والأجزل : الكثير الحجارة .

(٤) يريد قوله تعالى لبني إسرائيل : ﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ؛ ومعناه : اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٢٢٦ .

(٦) س : « إلى » .

فلما رأت خيل قريش قِتْرَةَ^(١) الجيش ، وأنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلم قد خالفهم عن طريقهم ، ركضوا راجعين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك في ثنية المَرَار ، بركت ناقته ، فقال الناس : خلأت^(٢) ! فقال : ما خلأت ، وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابسُ الفيل عن مكة ؛ لا تدعوني قريش اليوم إلى خُطّة يسألوني صلاة الرّحيم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ، فقيل : يا رسول الله ما بالوادي ماء نزل عليه ! فأخرج سهما من كنانته فأعطاه رجلاً من أصحابه ، فنزل في قلب من تلك القلب ففرزه في جوفه ، فجاش^(٣) الماء بالرّى^(٤) حتى ضرب الناسُ عليه بعطن^(٥) .

فحدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنّ رجلاً من أسلم حدثه ، أنّ الذي نزل في القلب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية [بن جندب] بن عُمَيْر ابن يَعْمَر بن دارم ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ١٥٣٤/١
قال : وقد زعم لي بعض أهل العلم أنّ البراء بن عازب كان يقول : أنا الذي نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وأنشدت أسلمُ آياتاً من شعر قالها ناجية ، قد ظنننا أنه هو الذي نزل بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزعمت أسلم أنّ جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية في القلب يَمِيج على الناس^(٦) ، فقالت :

(١) قِتْرَةُ الجيش : ما يثيره من الفبار . وفي الفائق ١ : ٣٢٢ : « فلم يشعر خالد وأصحابه إلا وقد خلفتهم قِتْرَةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه » .
(٢) خلأت : بركت ؛ قال أبو ذر : « الخلاء في الإبل بمنزلة الحران في الدواب . وقال بعضهم : لا يقال إلا للناقة خاصة » .
(٣) جاش : ارتفع .
(٤) ابن هشام : « الرواء » .

(٥) ضرب الناس عليه بعطن ؛ أصله في الإبل ، يقال : ضربت الإبل بعطن ؛ إذا رويت ثم بركت حول الماء أو عند الخياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى لتشرب عللاً بعد نهل ؛ فإذا استوفت ردت إلى المراعى ؛ ضرب ذلك مثلاً لاتساع الناس . وانظر اللسان (عطن) .
(٦) يَمِيج على الناس : يملأ الدلاء ليستقيم .

يَأْتِيهَا الْمَائِحُ دَلْوِي دُونَكَا إِنِّي رَأَيْتُ النَّاسَ يَحْمَدُونَكَ
يُثْنُونَ خَيْرًا وَيُحْمَدُونَكَ .

وقال ناجية ، وهو في القليبي يَمِيعُ الناس :

قد علمت جاريةً يَمَانِيَةً أَنِّي أَنَا الْمَائِحُ وَأَسْمَى نَاجِيَةً
وَطَعْنَةً ذَاتِ رَشَاشٍ وَاهِيَةٍ طَعْنَتْهَا تَحْتَ صَدُورِ الْعَادِيَةِ^(١)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمّر ، عن الزُّهري ، عن عروة ، عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ .
وحدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، قال :
حدثنا عبد الله بن المبارك ، قال : حدثنا معمر ، عن الزُّهري ، عن عروة ،
عن المِسْوَر بن مَخْرَمَةَ ومروان بن الحكم ، قالوا : نزل رسولُ الله صلى الله
عليه وسلّم بأقصى الحُدَيْبِيَّةِ على ثَمَدٍ^(٢) قليل الماء ؛ إِنَّمَا يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضًا^(٣)
فلم يُلَبِّسْهُ النَّاسُ أَنْ نَزَحُوهُ ، فشكّى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العطش ، فترع سهماً من كنانته ، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه ، فوالله ما زال
يُحِيشُ لَهُم بِالرَّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ ؛ فبيناهم كذلك جاء بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيّ ١٥٣٥/١
في نفر من قومه من خُزَاعَةَ — وكانوا عَيْبَةً نُصَحَ^(٤) رسول الله صلى الله
عليه وسلّم من أهل تِهَامَةَ — فقال : إني تركت كعب بن لؤي وعامر بن
لؤي قد نزلوا أَعْدَادَ^(٥) مياه الحديبية ؛ معهم العُودُ الْمُطَافِيلُ ؛ وهم مقاتلوك
وصادوك عن البيت . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إِنَّا لَمْ نَأْتِ لِقَاتِلِ أَحَدٍ ،
ولكنّا جئنا معتمرين ، وإن قرىشا قد نهكستهم الحرب وأضرّت بهم ، فإن شاءوا
مَادَ دَنَاهُمْ مُدَّةً وَيُخْلَكُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ ، فإن أظهروا ، فإن شاءوا أن يدخلوا

(١) الواهية : الواسعة الشق . والعادية : القوم الذين يمدون ؛ أي يسرعون في العدو .

(٢) الثمد : موضع يجتمع فيه ماء السماء .

(٣) يقال : هو يتبرّض الماء ؛ كلما اجتمع منه شيء غرقه .

(٤) عيبة نصح رسول الله ؛ أي خاصته وأصحاب سره .

(٥) الأعداد : جمع عد ، بالكسر ، وهو الماء الدائم الذي له مادة لا انقطاع لها .

فَمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَمَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمَعُوا ؛ وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي
بِيَدِهِ لَا قَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي ^(١) ، أَوْ لَيْسُنَفَذَنَّ اللَّهُ
أَمْرَهُ . فَقَالَ بُدَيْلٌ : سَنَبْلُغُهُمْ مَا تَقُولُ .

فَانْطَلَقَ حَتَّى أَتَى قَرِيضًا فَقَالَ : إِنَا قَدْ جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدِ هَذَا الرَّجُلِ ،
وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا ؛ فَإِنْ شِئْتَ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكَ فَعَلْنَا . فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ : لَا حَاجَةَ
لَنَا أَنْ تَحْدِثَنَا عَنْهُ بِشَيْءٍ ، وَقَالَ ذُو الرَّأْيِ مِنْهُمْ : هَاتِ مَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ ،
قَالَ : سَمِعْتُهُ يَقُولُ كَذَا وَكَذَا ، فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
فَقَامَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ أَلَسْتُ بِالْوَالِدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ :
أَوْ لَسْتُ بِالْوَلَدِ ! قَالُوا : بَلَى ، قَالَ : فَهَلْ تَتَّهَمُونَنِي ؟ قَالُوا : لَا ، قَالَ : أَلَسْتُ
تَعْلَمُونَ أَنِّي اسْتَنْفَرْتُ أَهْلَ عُكَاظٍ ؛ فَلَمَّا بَلَغُوا ^(٢) عَلَى جِسْمِكَ بِأَهْلِي وَوَلَدِي
وَمِنْ أَطَاعَنِي ! قَالُوا : بَلَى . ١٥٣٦/ ١

* * *

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلَمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ
الزَّهْرِيِّ ، فِي حَدِيثِهِ ، قَالَ : كَانَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ لِسَبِيْعَةَ بِنْتِ عَبْدِ شَمْسٍ .

* * *

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبْدِ الْأَعْلَى وَيَعْقُوبَ . قَالَ : فَإِنْ هَذَا
الرَّجُلُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكَ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا ، وَدَعُونِي آتِيهِ . فَقَالُوا :
إِئْتِهِ ، فَأَتَاهُ ، فَجَعَلَ يَكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ نَحْوًا مِنْ مَقَالَتِهِ
لِبُدَيْلٍ ، فَقَالَ عُرْوَةُ عِنْدَ ذَلِكَ : أَيُّ مُحَمَّدٍ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأْصَلْتَ قَوْمَكَ ، فَهَلْ
سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ اجْتَنَحَ أَصْلَهُ قَبْلَكَ ! وَإِنْ تَكُنِ الْآخَرَى ، فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَرَى وَجُوهًا وَأَوْشَابًا ^(٣) مِنَ النَّاسِ خُلِقُوا أَنْ يَنْفِرُوا وَيَدْعَوْكَ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ :
أَمْصَصْ بَطْظَ اللَّاتِ — وَاللَّاتُ طَاغِيَةٌ ثَقِيفُ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَ — أَنَحْنُ نَنْفِرُ
وَنَدْعَاكَ ! فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ فَقَالُوا : أَبُو بَكْرٍ ، فَقَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ

(١) السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانيه .

(٢) بلحوا ، أي أبوا .

(٣) الأوشاب : الأخلاط . وفي ط : « أشوابا » ، والتصويب من الفائق ١ : ٣٨٨

(طبع الهند) .

لولا يَدُكَ كانت لك عندي لم أَجْزِكَ بها لأَجْبِتَكَ ؛ وجعل يَكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَلَّمَا كَلَّمَهُ أَخَذَ بِلَحِيَّتِهِ — وَالْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَعَهُ السِّيفُ وَعَلَيْهِ الْمَغْفَرُ ؛ فَكَلَّمَا ^(١) أَهْوَى عُرْوَةَ بِيَدِهِ إِلَى لَحْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَرَبَ يَدَهُ بِنَعْلِ السِّيفِ ، وَقَالَ : أَخْرَجْتُ يَدَكَ عَنْ لَحْيَتِهِ ، فَرَفَعَ عُرْوَةَ رَأْسَهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالُوا : الْمَغِيرَةُ ١٥٣٧/١ ابن شُعْبَةَ ، قَالَ : أَيُّ غَدَرٍ ؟ أَلَسْتُ ^(١) أَسْعَى فِي غَدَرِكَ ! وَكَانَ الْمَغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ صَحْبًا قَوْمًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، فَقَتَلَهُمْ ، وَأَخَذَ أَمْوَالَهُمْ ، ثُمَّ جَاءَ فَأَسْلَمَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَمَا الْإِسْلَامُ فَقَدْ قَبَلْنَا ، وَأَمَا الْمَالُ فَإِنَّهُ مَالُ غَدَرٍ ، لَا حَاجَةَ لَنَا فِيهِ .

وإنَّ عُرْوَةَ جَعَلَ يَرْمِي أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَيْنِهِ . قَالَ : فَوَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ النَّبِيُّ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ؛ وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ؛ وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيمًا لَهُ . فَرَجَعَ عُرْوَةَ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ قَوْمٍ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ وَوَفَدْتُ عَلَى كَسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِي ؛ وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطَّ يُعْظِمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعْظِمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ يَتَنَخَّمُ نَخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَّكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأُوا كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمُوا عِنْدَهُ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ ؛ وَمَا يُحَدِّثُونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ ١٥٣٨/١ تَعْظِيمًا لَهُ ؛ وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ كِنَانَةَ : دَعُونِي آتِيهِ ، فَقَالُوا : إِنَّهُ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : هَذَا فُلَانٌ ، وَهُوَ مِنْ قَوْمٍ يُعْظِمُونَ النَّبِيَّ فَاْبْعَثُوهُ لَهُ ، فَبَعِثَتْ لَهُ ، وَاسْتَقْبَلَهُ قَوْمٌ يُنَاسِبُونَ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ قَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا يَنْبَغِي لِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَدَّوْا عَنِ الْبَيْتِ !

* * *

وَحَدَّثَنَا ابْنُ حَمِيدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَةُ ، عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ

(١) س : « فلما » .

(٢) س : « أولست » .

الزهرى؛ قال فى حديثه: ثم بعثوا إليه الحليّس بن علقمة - أو ابن زيان - وكان يومئذ سيد الأحابيش؛ وهو أحد بلحارث بن عبد مناة بن كنانة، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن هذا من قوم يتألهون^(١)، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه، فلمّا رأى الهدى يسيل عليه من عرض^(٢) الوادى فى قلائده^(٣)، قد أكل أو باره من طول الحبس، رجع إلى قريش، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش، إننى قد رأيتُ مالا يحلّ صدّه: الهدى فى قلائده، قد أكل أو باره من طول الحبس عن محلّه؛ قالوا له: اجلس، فإنما أنت رجل أعرابي لا علم لك.

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن أبي بكر؛ أن الحليس غضب عند ذلك، وقال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم، ولا على هذا عاقدناكم؛ أن تصدّوا عن بيت الله من جاءه معظماً له؛ والذي نفس الحليس بيده لتدخلن بين محمد وبين ما جاء له؛ أو لأنفقرن بالأحابيش نفرة رجل واحد! قال: فقالوا له: مه! كفّ عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به.

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن عبد الأعلى ويعقوب. فقام رجل منهم يقال له ميكّرز بن حفص، فقال لهم: دعوني آتية، قالوا: آتية، فلمّا أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا ميكّرز بن حفص؛ وهو رجل فاجر؛ فجاء فجعل يكلمهم النبي صلى الله عليه وسلم؛ فبينما هو يكلمهم إذ جاء سهيل بن عمرو.

وقال أيوب عن عكرمة: إنّه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم: قد سهّل لكم من أمركم.

* * *

(١) يتألهون: يتمدون ويعظمون الإله.

(٢) عرض الوادى: جانبه.

(٣) القلائد: ما يعلق فى أعتاق الهدى ليعلم أنه هدى.

فحدثني محمد بن عُمارة الأسديّ ومحمد بن منصور — واللفظ لابن عمارة —
 قالاً : حدثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا موسى بن عبيدة عن إياس
 ابن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، قال : بعثت قريش سهيل بن عمرو
 وحجّو ينطب بن عبد العزّي وحفص بن فلان ، إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم
 ليصالحوه ، فلمّا رأهم رسولُ الله فيهم سهيل بن عمرو ، قال : سهّل الله لكم
 من أمركم ، القوم ماتّون إليكم بأرحامكم^(١) ، وسائلوكم الصلح ؛ فابعثوا الهدى ،
 وأظهروا التّلبية ؛ لعلّ ذلك يُلين قلوبهم . فلبّوا من نواحي العسكر حتى
 ارتجّت أصواتهم بالتلبية . قال : فجاءوا فسألوه الصلح ، قال : فبينما الناس قد
 توادّعوا ، وفي المسلمين ناس من المشركين ، وفي المشركين ناس من المسلمين ،
 قال : ففتك به أبو سفيان ، قال : فإذا الوادى يسيل بالرجال والسلاح . قال
 إياس : قال سلمة : فجئت بستة من المشركين متسلّحين أسوقهم ، ما يملكون
 لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ؛ فأتيت بهم النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فلم يسلب
 ولم يقتل ، وعفا .

* * *

وأما الحسن بن يحيى فإنه حدثنا قال : حدثنا أبو عامر قال : حدثنا
 عكرمة بن عمار الهامّي ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، أنه قال : لما
 اضطلحنا نحن وأهل مكة ، أتيتُ الشجرة فكسحتُ شوكةا ، ثم اضطجعتُ في
 ظلّها ، فأتاني أربعة نفر من المشركين من أهل مكة ، فجعلوا يقعون في
 رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، فأبغضتهم . قال : فتحولت إلى
 شجرة أخرى ، فعلقوا سلاحهم ، ثم اضطجعوا ؛ فبيناهم كذلك ؛
 إذ نادى مناد من أسفل الوادى : يا للمهاجرين ! قتل ابن زُئيم !
 فاخترطتُ سيفي ، فشددت على أولئك الأربعة وهم رقود ؛ فأخذت سلاحهم
 فجعلته ضغنّاً^(٢) في يدي ، ثم قلت : والذي كرّم وجه محمد صلّى الله عليه
 وسلّم ؛ لا يرفعُ أحدٌ منكم رأسه إلّا ضربت الذي فيه عيناه . قال : فجئت بهم

(١) و : « بأرحامهم » .

(٢) ضغنّاً ، أى حزمة في يده .

١٥٤١/١ أقودهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجاء عَمَى عامر برجل من العَبَلَات، يقال له مكرز؛ يقوده مجففاً^(١)، حتى وقفنا بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين من المشركين، فنظر إليهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم يكن لهم بدءُ الفجور، فعفا عنهم. قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾^(٢).

* * *

رجع الحديث إلى حديث محمد بن عمار ومحمد بن منصور، عن عبيد الله. قال سلمة: فشددنا على مَنْ في أيدي المشركين منا، فما تركنا في أيديهم منا رجلاً إلا استنقذناه. قال: وغلبنا على من في أيدينا منهم. ثم إن قريشاً بعثوا سهيل بن عمرو وحوينطياً فولتوهم صلحتهم، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم علياً عليه السلام في صلحه.

حدثنا بشر بن معاذ؛ قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قال: ذُكر لنا أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زُتيم، اطلع الثنية من الحديبية، فرماه المشركون فقتلوه، فبعث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم خيلاً، فأتوه بائني عشر رجلاً فارساً من الكفار، فقال لهم نبي الله صلى الله عليه وسلم: هل لكم على عهد؟ هل لكم على ذمة؟ قالوا: لا، قال: فأرسلهم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم؛ فأنزل الله في ذلك القرآن: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ — إلى قوله: ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

وأما ابنُ إسحاق، فإنه ذكر أن قريشاً إنما بعثت سهيل بن عمرو بعد رسالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلها إليهم مع عثمان بن عفان.

(١) مجففاً، أي لابساً التجفاف (بكر التاء)، وهو آلة للحرب يلبسه الفرس والإنسان ليقى في الحرب.

(٢) سورة الفتح ٢٤. والخبر في التفسير ٢٦: ٦٠، ٦١ (بولاق).

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
حدثني بعضُ أهلِ العلم أنَّ رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم دعا خيرَ أشـ^١
أمية الخُزاعي ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على جمل له يقال له الثعلب ؛
ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسولِ الله وأرادوا قتله ،
فمنعته الأحابيش ، فخلَّوْا سبيلَه ؛ حتى أتى رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ،
قال : حدثني من لا أتَّهم ، عن عكرمة مولى ابنِ عباس ، أنَّ قريشاً بعثوا
أربعين رجلاً منهم — أو خمسين رجلاً — وأمروهم أن يُطيفوا بعسكر رسولِ الله
صَلَّى الله عليه وسلَّم ليُصيبوا لهم من أصحابه ، فأخذوا أخذاً ، فأَتَيْ بِهيمُ
رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فعفا عنهم ، وختلى سبيلهم — وقد كانوا رمَوْا
في عسكر رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم بالحجارة والنَّبل — ثم دعا النبي صَلَّى الله
عليه وسلم عُمر بن الخطاب لبيعته ^(٢) إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما
جاء له ؛ فقال : يا رسولَ الله ؛ إني أخاف قريشاً على نفسي ؛ وليس بمكة من
بنى عدى بن كعب أحد يمنعي ؛ وقد عرفت قريش عداوتي إياها ، وغلطتي
عليها ، ولكنني أدلك على رجل هو أعزُّ بها مني ، عثمان بن عفان !

فدعا رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم عثمان ، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف
قريش يخبرهم أنه لم يأت للحرب ؛ وإنما جاء زائراً لهذا البيت ، معظماً لحرمته . ١٥٤٣/١
فخرج عثمان إلى مكة ، فلقَّيه أبتان بن سَعِيد بن العاص حين دخل
مكة — أو قبل أن يدخلها — فتزل عن دابته ، فحمله بين يديه ، ثم رَدَّفه
وأجاره ؛ حتى بلغ رسالة رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، فانطلق عثمان حتى
أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
ما أرسله به ، فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم
إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطُف به ؛ قال : ما كنت لأفعل
حتى يطوف به رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ؛ فاحتبسته قريش عندها ،

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٣ ، ٥٤ (بلاق) .

(٢) س : « لينفذه » .

فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان قد قُتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال :
فحدثني عبد الله بن أبي بكر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه
أن عثمان قد قُتل ، قال : لا نبرح حتى نناجز القوم ؛ ودعا الناس إلى البيعة
فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة

* * *

حدثني ابن عمار الأسدي ، قال : حدثني عبيد الله بن موسى ، عن
موسى بن عبيدة ، عن إياس بن سلمة ، قال : قال سلمة بن الأكوع : بينما نحن
قافلون من الحديبية ، نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ؛ البيعة
البيعة ! نزل رُوح القدس . قال : فسرنا إلى رسول الله وهو تحت شجرة سمرة ،
قال : فبايعناه ، قال : وذلك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ
إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (١) .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن عامر ، قال : كان أول من بايع بيعة الرضوان رجلاً من
بنى أسد ، يقال له : أبو سنان بن وهب

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا
القاسم بن عبد الله بن عمر ، عن محمد بن المنكدر ، عن جابر بن عبد الله ؛
أنهم كانوا يوم الحديبية أربعة عشر ومائة . قال : فبايعنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة ، وهي سمرة ، فبايعناه غير الجند بن
قيس الأنصاري ، اختبأ تحت بطن بعيره .

قال جابر : بايعنا رسول الله على ألا نقتل ، ولم نبايعه على الموت (٢) .

(١) سورة الفتح ١٨ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٦ : ٥٤ ، ٥٥ (بولاق)

وقد قيل في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبر أبو عامر ، قال : أخبرنا عكرمة بن عمار اليماني ، عن إياس بن سلمة بن الأكوع ، عن أبيه ، أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا الناس للبيعة في أصل الشجرة ، فبايعته في أول الناس ، ثم بايع وبايع ؛ حتى إذا كان في وسط من الناس ، قال : بايع يا سلمة ، قال : قلت : قد بايعتكم يا رسول الله في أول الناس ! قال : وأيضاً ، ورآني النبي صلى الله عليه وسلم أعزّل ، فأعطاني حَجَفة أو درَقة . قال : ثم إن رسول الله بايع الناس ؛ حتى إذا كان في آخرهم ، قال : ألا تبايع يا سلمة ! قلت : يا رسول الله ، قد بايعتكم في أول الناس وأوسطهم ! قال : وأيضاً . قال : فبايعته الثالثة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين الدرَقة ، والحَجَفة التي أعطيتك ؟ قلت : لقيتني عمّي عامر أعزّل ١٥٤٠/١ فأعطيته إياها ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إنك كالذي قال الأول : اللهم ابغني حبيباً هو أحبّ إليّ من نفسي .

* * *

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . قال : فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلّف عنه أحد من المسلمين حضرها إلاّ الجَدُّ ابن قيس ، أخو بني سلمة ، قال : كان جابر بن عبد الله يقول : لكأني أنظرُ إليه لاصقاً يابط نافته ، قد ضَبّاً^(١) إليها يستر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي كان من أمر عثمان باطل .

قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقالوا له : انت محمدأ فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلاّ أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب أنه دخل علينا عنوة أبداً .

قال : فأقبل سهيل بن عمرو ، فلمّا رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلمّا انتهى سهيل

(١) ضبأ إليها : لصق بها واستتر .

إلى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح ، فلما التأم الأمر ، ولم يبق إلا الكتاب وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسنّا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشرّكين ! قال : بلى ؛ قال : فعَلَامَ نَعْطِي الدّينَةَ^(١) في ديننا ! قال أبو بكر : يا عُمَرُ الزَّمْ غَرْزَه^(٢) ؛ فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله . قال : ثم أتى رسول الله صَلَّى الله عليه وسلّم فقال : يا رسول الله ، أَلَسْتُ برسول الله ! قال : بلى ، قال : أو لسنّا بالمسلمين ! قال : بلى ، قال : أو ليسوا بالمشرّكين ! قال : بلى ، قال : فعَلَامَ نَعْطِي الدّينَةَ في ديننا ! فقال : أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يُضَيِّعَنِي . قال : فكان عمر يقول : ما زلت أصومُ وأُتَصَدِّقُ وأُصَلِّي وأُعْتِقُ من الذي صنعت يومئذ ، مخافة كلامي الذي تكلمت به ؛ حتى رجوت أن يكون خيراً .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمَة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بُرَيْدَة بن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن علقمة ابن قيس النخعي ، عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ، قال : ثمّ دعاني رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلّم ، فقال : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم . فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب : «باسمك اللهم» ، فقال رسول الله : اكتب «باسمك اللهم» ، فكتبتهَا. ثم قال : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو» . فقال سهيل بن عمرو : لو شهدتُ أنك رسولُ الله لم أقاتلك ؛ ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم : اكتب : «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ؛ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشرين ، يأمن فيهنّ الناس ، ويكفّ بعضهم عن بعض ، على أنه منّ أتى رسولَ الله من قريش بغير

(١) الدّنية : الذل والأمر الحسيس .

(٢) الزم غرزه ؛ أي ألزم أمره ، والغرز للرحل بمنزله الركاب للرجل .

إذن وليه ردّه عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع رسول الله لم تردّه عليه . وأن بيننا عيبه مكفوفة^(١) ، وأنه لا إسلال^(٢) ولا إغلal^(٣) ؛ وأنه ممن أحب أن يدخل في عقد رسول الله وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم ، دخل فيه - فتوالت خراعة فقالوا : نحن في عقد رسول الله وعهده ، وتوالت بنو بكر ، فقالوا : نحن في عقد قريش وعهدها - « وأنت ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل خرجنا عنك ، فدخلتها بأصحابك ؛ فأقمت بها ثلاثاً ، وأن معك سلاح الراكب ، السيوف في القرب لا تدخلها بغير هذا » .

فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرأسف في الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - قال : وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون في الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلمّا رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نفسه ، دخل الناس من ذلك أمر عظيم حتى كادوا أن يهلكوا - فلمّا رأى سهيل أبا جندل ، قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بلبسبه^(٤) ، فقال : يا محمد قد لجّجت^(٥) القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا ! قال : صدقت ، قال : فجعل ينشّره^(٦) بلبسبه ، ويجرّه ليردّه إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أردّ إلى المشركين يفتنونني في ديني ! فزاد الناس ذلك شراً^(٧) إلى ما بهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، احتسب ، فإن الله جاعل لك ١٥٤٨/١

(١) عيبه مكفوفة ، أى لا تكون عداوة بيننا ، على التمثيل .

(٢) الإسلال : السركة الخفية .

(٣) الإغلal : الحياة .

(٤) ابن هشام : « بتليبه » .

(٥) لجّجت القضية : تمت .

(٦) ينشّره ، أى يجذبه جذباً شديداً مع جفاء .

(٧) ساقطة من ابن هشام .

ولن معك من المستضعفين فَرَجًا ومُخْرَجًا ؛ إِنَّا قد عقدنا بيننا وبين القوم
عَقْدًا واصلحًا ، وأعطيناهم على ذلك عهدًا ، وأعطونا عهدًا ، وإنا لا نغدر
بهم .

قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبي جندل يمشي إلى جنبه ، ويقول :
اصبر يا أبا جندل ؛ فَإِنَّمَا هم المشركون ؛ وإِنَّمَا دَمُ أَحَدِهِم دَمُ كَلْب !
قال : وَيُؤَدِّي قائم السيف منه ، قال : يقولُ عمر : رجوت أن يأخذَ
السيفَ فيضرب به أباه ، قال : فضنَّ الرجلُ بأبيه .

فلَمَّا فرغ من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ، ورجالا
من المشركين : أبا بكر بن أبي قُحافة ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن
عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبي وقاص ، ومحمود بن مسلمة
أخا بني عبد الأشهل ، ومِكرز بن حفص بن الأخيَّف — وهو مشرك — أخا
بني عامر بن لؤي ، وعلى بن أبي طالب ، وكتب^(١) وكان هو كاتب الصحيفة .

حدثنا هارون بن إسحاق ، قال : حدثنا مُصعب بن المقدام ، وحدثنا
سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، قال جميعًا : حدثنا إسرائيل ، قال : حدثنا
أبو إسحاق ، عن البراء ، قال : اعتَمَر رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في ذي
القعدة ، فأبى أهلُ مكة أن يَدْخُلُوهُ يدخل مكة ، حتى يقاضِيَهُمْ على أن
يقيم بها ثلاثة أيام . فلَمَّا كتب الكتاب كتب : « هذا ما تقاضى عليه
محمد رسول الله » ؛ فقالوا : لو نعلم أنك رسولُ الله ما منعناك ؛ ولكن أنت محمد بن
عبد الله ، قال : أنا رسول الله ، وأنا محمد بن عبد الله ، قال لعلِّي عليه السلام : امْنَحْ
« رسولَ الله » ، قال : لا والله لا أمحاك أبدًا ، فأخذه رسولُ الله صلى الله عليه
وسلم — وليس يُحسِن يكتب — فكتب مكان « رسول الله » « محمد » فكتب : « هذا
ما قاضى عليه محمد ، لا يدخل مكة بالسلاح إلا السيوف في القِرَاب ، ولا
يخرج من أهلها بأحد أراد أن يتبعه ، ولا يمنع أحدًا من أصحابه أراد أن يقيم
بها » . فلما دخلها ومضى الأجل ، أتوا عليًّا عليه السلام ، فقالوا له^(٢) : قل

(٢) ساقطة من و .

(١) ساقطة من و .

حدثنا ابن حميد قال : حدثنا سلمة ، عن أبان بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل ؛ في رأسه برة من فضة ، ليغيظ المشركين بذلك .

رجع الحديث إلى حديث الزهري الذي ذكرنا قبل^(١) . ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة — زاد ابن حميد عن سلمة في حديثه ، عن ابن إسحاق عن الزهري ، قال : يقول الزهري : فما فتَحَ في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ؛ إنما كان القتال حيث التقى الناس — فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس كلُّهم بعضهم بعضاً فالتقوا ؛ وتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلِّم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، فلقد دخل في تينك^(٢) الستين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر . وقالوا جميعاً في حديثهم عن الزهري ، عن عروة ، عن المسور ومروان : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، جاءه أبو بصير ؛ رجل من قريش — قال ابن إسحاق في حديثه : أبو بصير عتبة بن أسيد ابن جارية — وهو مسلم ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله كتب فيه أزره بن عبد عوف والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعث رجلاً من بني عامر بن لؤي ، ومعه مولى لهم . فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزر والأخنس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير ؛ إننا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ؛ ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

قال : فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة ، جلس إلى جدار وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟ قال : نعم ، قال : انظر إليه ؟ قال : إن شئت ! فاستله أبو بصير ، ثم علاه

(١) س : « في الذي ذكرناه » .

(٢) و : « ذينك » .

به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه رسول الله طالعا ، قال : إن هذا رجل قد رأى فزعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله قال : ويلك ! مالك ! قال : قتل صاحبكم صاحبي ؛ فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، وقت ذمتك ، وأدّيتك عنك ، أسلمتني ورددتني إليهم ثم أجناني الله منهم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ويل أمه مسعر حرب ! — وقال ابن إسحاق في حديثه : محش حرب^(١) — لو كان معه رجال ! فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم . قال : فخرج أبو بصير حتى نزل بالعيص من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش الذي كانوا يأخذون إلى الشام . وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بصير : «ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال» ، فخرجوا إلى أبي بصير بالعيص ؛ وينقلت أبو جندل بن سهيل بن عمرو ، فلحق بأبي بصير ؛ فاجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً منهم ؛ فكانوا قد ضيقوا على قريش ؛ فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم ، وأخذوا أموالهم ، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يناشدونه بالله وبالرحم^(٢) لَمَا أرسل إليهم ! فنأته فهو آمين ، فأواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

زاد ابن إسحاق في حديثه : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبي بصير صاحبهم العامري أسند ظهره إلى الكعبة ، وقال : لا أؤخر ظهري عن الكعبة ؛ حتى يؤدوا هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا هو السفة ! والله لا يؤدّى ! ثلاثاً .

* * *

(١) محش حرب : موقد حرب ومهيجها .

(٢) س : « الله والرحم » .

وقال ابن عبد الأعلى ويعقوب في حديثهما : ثم جاءه - يعنى رسول الله - نسوة مؤمنات ، فأنزل الله عز وجل عليه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ ﴾ - حتى بلغ : ﴿ بَعْضَ الْكَوَافِرِ ﴾ ^(١) . قال : فطلّق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك . قال : فنهاهم أن يردّوهن ، وأمرهم أن يردّوا الصّدّاق حينئذ .

قال رجل للزهري : أمينٌ أجلّ الفُروج ؟ قال : نعم ؛ فتزوّج إحداهما معاوية بن أبى سفيان ، والأخرى صفوان بن أمية .

زاد ابن إسحاق في حديثه : وهاجرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط في تلك المدّة ؛ فخرج أخوها عمارة والوليد ابنا عقبة ؛ حتى قدّما على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يسألانه أن يردّهما عليهما بالعهد الذى كان بينه وبين قريش في الحديبية ؛ فلم يفعل ، أبى الله عز وجل ذلك .

وقال أيضاً في حديثه : كان ممّن طلق عمر بن الخطاب ؛ طلق امرأته ١٥٥٤/١ قُرَيْبَةَ بنت أبى أمية بن المغيرة ؛ فتزوّجها بعده معاوية بن أبى سفيان ؛ وهما على شرّكهما بمكّة ، وأمّ كلثوم بنت عمرو بن جرّول الخزاعية أمّ عبيد الله بن عمر ؛ فتزوّجها أبو جهّم بن حذافة بن غانم ، رجلٌ من قومها ؛ وهما على شرّكهما بمكّة .

* * *

وقال الواقدي : في هذه السنة - في شهر ربيع الآخر منها - بعث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عكاشة بن محصن في أربعين رجلاً إلى الغمّر ؛ فيهم ثابت بن أقرم وشُجَاع بن وهب ؛ فأغذّ السير ، ونذر ^(٢) القوم به فهربوا ؛ فنزل على مياهم وبعث الطلائع ؛ فأصابوا عينا فدلّهم على بعض ماشيتهم ؛ فوجدوا مائتي بعير ، فحدّروها إلى المدينة .

(١) سورة الممتحنة ١٠

(٢) نذر : علم .

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم محمد بن مسلمة في عشرة نفر في ربيع الأول منها ، فكمن القوم لهم حتى نام هو وأصحابه ؛ فاشعروا إلا بالقوم ؛ فقتل أصحاب محمد بن مسلمة وأفلت محمد جريحا .

قال الواقدي : وفيها أسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في شهر ربيع الآخر في أربعين رجلاً ، فساروا ليلتهم مشاةً ، ووافوا ذا القصة مع عمّاية الصبح ، فأغاروا عليهم ، ١٥٥٥/١ فأعجزوهم هرباً في الجبال ، وأصابوا نعماً ورثّة^(١) ورجلاً واحداً ، فأسلم ، فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة بالجُمُوم ، فأصاب امرأة من مُزَيْنَة ؛ يقال لها حليلة ، فدلّستهم على محلة من محال بني سليم ، فأصابوا بها نَعَمًا وشاء وأسراء ؛ وكان في أولئك الأسراء زوج حليلة ، فلمّا قفل بما أصاب وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم للمزنية زوجها ونفسها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص في جُمادى الأولى منها .

وفيها أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع ؛ فاستجار بزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم فأجارتها .

قال : وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطّرف ، في جمادى الآخرة ، إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً ؛ فهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله ساراً إليهم ، فأصاب من نَعَمهم عشرين بعيراً . قال : وغاب أربع ليال .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى حِسْمَى في جمادى الآخرة .

(١) و : « نعمة ورثاء » ، والرت والرتة : السقط من المتاع .

قال : وكان أول ذلك — فيما حدثني موسى بن محمد ، عن أبيه ،
قال : أقبل دحية الكلبي من عند قيصر ؛ وقد أجاز دحية بمال ، وكساه
كسبي ؛ فأقبل حتى كان بحسمة ، فلقى ناس من جذام ؛ فقطعوا
عليه الطريق ، فلم يترك معه شيء ؛ فجاء إلى رسول الله قبل أن يدخل بيته
فأخبره ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة إلى حسمة .

١٥٥٦/١

قال : وفيها تزوج عمر بن الخطاب جميلة بنت ثابت بن أبي الأفلح ؛
أخت عاصم بن ثابت ، فولدت له عاصم بن عمر ؛ فطلقها عمر فتزوجها^(١)
بعده يزيد بن جارية ؛ فولدت له عبد الرحمن بن يزيد ؛ فهو أخو عاصم
لأمه .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى وادي القرى في رجب .

قال : وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان ؛
وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أطاعوك فتزوج ابنة ملكهم ؛
فأسلم القوم ، فتزوج عبد الرحمن ثماضر بنت الأصبغ ؛ وهي أم أبي سلمة ؛
وكان أبوها رأسهم وملكهم .

قال : وفيها أجذب الناس جذباً شديداً ، فاستسقى رسول الله صلى الله
عليه وسلم في شهر رمضان بالناس .

قال : وفيها سرية علي بن أبي طالب عليه السلام إلى فدك في شعبان .

قال : وحدثني عبد الله بن جعفر ، عن يعقوب بن عتبة ، قال : خرج
علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك ، إلى حي من بني سعد بن بكر ؛
وذلك أنه بلغ رسول الله أن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر ؛ فسار
إليهم الليل وكمن الشّهار ؛ وأصاب عيشاً ؛ فأقر لهم أنه بُعث إلى خيبر
يعرض عليهم نصرهم . على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر .

قال : وفيها سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة في شهر رمضان .

١٥٥٧/١

وفيها قتلت أم قرفة ؛ وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، قتلها قتلاً

عنيفاً ؛ ربط برجليها حبلاً ثم ربطها بين بعيرين حتى شقّاها شقّاً ؛ وكانت عجوزاً كبيرة .

وكان من قصّتها ما حدّثنا ابنُ حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، قال : حدّثني ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، قال : بعث رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم زيد بن حارثة إلى وادي القرى ؛ فلقى به بني فزارة ؛ فأصيب به أناسٌ من أصحابه ، وارْتُثَّ زيد من بين القتلى ، وأصيب فيها ورد ابن عمرو أحد بني سعد بنى هذيم ، أصابه أحد بني بدر ؛ فلمّا قدم زيد نذر ألاّ يمسّ رأسه غسلٌ من جنابة حتى يغزّو فزارة ؛ فلمّا استبيل من جراحه (١) ، بعثه رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم في جيش إلى بني فزارة ، فلقى بهم بوادي القرى ، فأصاب فيهم ؛ وقتل قيس بن المسحّر اليعمريّ مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر ، وأسر أمّ قرفة - وهي فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وكانت عند مالك بن حذيفة بن بدر ، عجوزاً كبيرة - وبنّت لها ، وعبد الله بن مسعدة . فأمر زيد بن حارثة أن يقتل أمّ قرفة ؛ فقتلها قتلاً عنيفاً ، ربط برجليها حبلين ثم ربطهما (٢) إلى بعيرين حتى شقّاها . ١٥٥٨/١ ثم قدموا على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بابنة أمّ قرفة وبعد الله بن مسعدة ؛ وكانت ابنة أمّ قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع ؛ كان هو الذي أصابها ، وكانت في بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : لو كنت أعزّ من أمّ قرفة ما زدت . فسألها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سلّمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حزن بن أبي وهب ؛ فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

وأما الرواية الأخرى عن سلّمة بن الأكوع في هذه السّرية ، أن أميرها كان أبا بكر بن أبي قحافة ؛ حدّثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا أبو عامر ، قال : حدّثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، قال : أمّر رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم علينا أبا بكر ؛ فغزونا ناساً من بني فزارة ، فلمّا دنونا من الماء أمرنا

(١) س : « جراحه » .

(٢) س : « ربطها » .

أبو بكر فعرّسنا ؛ فلمّا صلّينا الصبح ، أمرنا أبو بكر فشئتّا الغارة عليهم . قال : فوردنا الماء فقتلنا به من قتلنا . قال : فأبصرت عنقاً^(١) من الناس ؛ وفيهم النساء والذراريُّ قد كادوا يسبقون إلى الجبل ، فطرحت سهماً بينهما وبين الجبل ، فلمّا رأوا السهم وقفوا ، فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر ؛ وفيهم امرأة من بني فزارة عليها قشع^(٢) أدّم ، معها ابنة لها من أحسن العرب . قال : فنقلني أبو بكر ابتها ، قال : فقدمت المدينة ، فلقيني رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بالسوق ، فقال : يا سَلَمَة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ! فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله لقد أعجبتني وما كشفت لها ثوباً . قال : فسكت عني حتى إذا كان من الغد لقيتني في السوق ، فقال : يا سَلَمَة ، لله أبوك ! هب لي المرأة ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ والله ما كشفت لها ثوباً ؛ وهى لك يا رسولَ الله . قال : فبعث بها رسول الله إلى مكّة ؛ ففادى بها أسارى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين . فهذه الرواية عن سلمة .

١٥٥٩/١

* * *

قال محمد بن عمر : وفيها سرّية كُرْزُبْنِ جابر النهريّ إلى العُرتيّين الذين قتلوا راعي رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ، واستاقوا الإبل في شوال من سنة ست ؛ وبعثه رسول الله في عشرين فارساً .

* * *

[ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك]

قال : وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الرُّسُلَ ؛ فبعث في ذى الحجة ستّة نفر: ثلاثة مصطحبين ؛ حاطب بن أبي بلتعة من لَحْم حليف بني أسد بن عبد العزى إلى المقوقس ، وشجاع بن وهب من بني أسد بن خزيمَة - حليفاً لحرب بن أمية شهد بدرًا - إلى الحارث بن أبي شَمِير الغساني ، ودِحِيمة ابن خليفة الكلبيّ إلى قيصر . وبعث سليط بن عمرو العامريّ عامر بن لؤي إلى هُوْذَة بن علي الحنفيّ . وبعث عبد الله بن حُذافة السهميّ إلى كسرى . وعمرو بن أمية الضمّريّ إلى النجاشي .

١٥٦٠/١

(٢) القشع : الفرو الخلق .

(١) عنقا : جماعة .

وأما ابنُ إسحاق ، فإنه - فيما زعم ، وحدَّثنا به ابنُ حميد - قال : حدَّثنا سلمة ، عنه قال : كان رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم قد فرَّق رجالاً من أصحابه إلى ملوك العرب والعجم ، دعاةً إلى الله عزَّ وجلَّ فيما بين الحديبية ووفاته .

وحدَّثنا ابنُ حميد ، قال : حدَّثنا سلمة ، قال : حدَّثني ابنُ إسحاق ، عن يزيد بن أبي حبيب المصري ، أنه وجد كتاباً فيه تسمية مَنْ بعث رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم إلى ملوك الخائبين ، وما قال لأصحابه حين بعثهم ، فبعث به إلى ابن شهاب الزُّهري ، مع ثقة من أهل بلدة فعرقة . وفي الكتاب أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم خرج على أصحابه ذاتَ غداة ، فقال لهم : إني بُعِثْتُ رحمةً وكافةً ؛ فأدِّوا عني يرحمكم الله ^(١) ؛ ولا تختلفوا عليَّ باختلاف الحواريين على عيسى بن مريم ، قالوا : يا رسولَ الله ، وكيف كان اختلافُهم ؟ قال : دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه ؛ فأما من قُرِبَ به ^(٢) فأحبَّ وسَلِمَ ، وأما مَنْ بَعُدَ به فكرِه وأبى ؛ فشكا ذلك منهم عيسى إلى الله عزَّ وجلَّ ، فأصبحوا من ليلتهم تلك ؛ وكلُّ رجلٍ منهم يتكلَّم بلغه القوم الذين بُعث إليهم . فقال عيسى : هذا أمرٌ قد عزم الله لكم عليه ؛ فامضوا ^(٣) .

قال ابنُ إسحاق : ثم فرَّق رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بين أصحابه ؛ فبعث سَلَيْطَ بنَ عمرو بن عبد شمس بن عبد ودٍ أخا بني عامر بن لؤي إلى ١٥٦١/١ هُوَذَةَ بن عليٍّ ، صاحب اليمامة . وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى أخى بني عبد القيس صاحب البحرين ، وعمرو بن العاص إلى جَيْفَر بن جُلَنْدَى وعباد بن جُلَنْدَى الأزديَّين صاحبَي عُمان . وبعث حاطب بن أبي بِلْتَعَةَ إلى المقوقس صاحب الإسكندرية ؛ فأدَّى إليه كتابَ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم ، وأهدى المقوقس إلى رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم أربعَ جوارٍ ، منهنَّ مارية أم إبراهيم بن رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلَّم . وبعث رسولُ الله

(١) س : « رحمكم الله » .

(٢) و : « له » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٣ .

دَحِيَّةَ بن خليفة الكلبى ثم الخزرجى^(١) إلى قيصر ، وهو هيرقل ملك الروم ؛ فلما أتاه بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر فيه ثم جعله بين فخذيه وخصرته^(٢) .

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن ابن شهاب الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله ابن عباس ، قال : حدثني أبو سفيان بن حرب ، قال^(٣) : كنّا قومًا تجارًا ، وكانت الحرب بيننا وبين رسول الله قد حصرتنا حتى نهبكت أموالنا ؛ فلما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله ، لم نأمن ألا نجد أمنًا ؛ فخرجت في نفر من قريش تجار إلى الشام ؛ وكان وجه متجرنا منها غزرة ، فقدمناها حين ظهر هيرقل على من كان بأرضه من فارس ؛ وأخرجهم منها ، وانتزع له منهم صليبه الأعظم ؛ وكانوا قد استلبوه إياه ، فلما بلغ ذلك منهم ، وبلغه أن صليبه قد استنقذ له - وكانت حمص منزله - خرج منها يمشى على قدميه متشكرًا لله حين ردّ عليه مارد ، ليصلّى في بيت المقدس ، تبسّط له البسط ، وتلقى عليها الرياحين ، فلما انتهى إلى إيلياء وقضى فيها صلاته ، ومعه بطارقه وأشراف الروم ، أصبح ذات غداة مهمومًا يقلّب طرفه إلى السماء ، فقال له بطارقه : والله لقد أصبحت أيها الملك الغداة مهمومًا ، قال : أجل ، أريت في هذه الليلة أن ملك الختان ظاهر ! قالوا له : أيها الملك ؛ ما نعلم أمة تختن إلا يهود ؛ وهم في سلطانك وتحت يدك ؛ فابعث إلى كل من لك عليه سلطان في بلادك ، فره فليضرب أعناق كل من تحت يديه من يهود ، واسترح من هذا الهم ؛ فوالله إنهم لنى ذلك من رأيهم يديرونه ؛ إذ أتاه رسول صاحب بصرى برجل من العرب ، يقوده - وكانت الملوك تهادى الأخبار بينها - فقال : أيها الملك ؛ إن

(١) ط : « الخزرجى » ، والتصويب من القاموس ، نسبة إلى الخزرج بن عامر ، وهو جد دحية .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

(٣) الخبر في الأغاني ٦ : ٣٤٥ - ٣٤٩ (طبعة دار الكتب) .

هذا الرجل من العرب من أهل الشَّاءِ والإبل ؛ يحدث عن أمر حَدَث بيلاده عجب ؛ فسُله عنه .

فلمَّا انتهى به إلى هِرَقْل رسول صاحب بُصرى ، قال هرقل لترجمانه : سلّه ، ما كان هذا الحدث الَّذي كان بيلاده ؟ فسأله فقال : خرج بين أظهرنا رجُلٌ يزعمُ أنه نبيٌّ ، قد اتَّبعه ناسٌ وصدّقه ، وخالفه ناسٌ ؛ وقد كانت بينهم ملاحم في مواطن كثيرة ؛ فتركهم على ذلك . قال : فلمَّا أخبره الخبر قال : جرّدوه ، فجرّدوه ؛ فإذا هو محتون ، فقال هرقل : هذا والله الَّذي أريت^(١) ؛ لا ما تقولون ؛ أعطوه ثوبه ؛ انطلق عنا . ثم دعا صاحب شرطته ، فقال له : قلب لي الشامَ ظهراً وبطناً ؛ حتى تأتيَنِي ١٥٦٣/١
برجل من قوم هذا الرجل — يعنى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم .

قال أبو سفيان : فوالله إنّنا لبغزّة ، إذ هجم علينا صاحب شرطته ؛ فقال : أنتم من قوم هذا الرجل الَّذي بالحجاز ؟ قلنا : نعم ، قال : انطلقوا بنا إلى الملك ؛ فانطلقنا ؛ فلما انتهينا إليه قال : أنتم من رهط هذا الرجل ؟ قلنا : نعم ؛ قال : فأيتكم أمسّ به رحيمًا ؟ قلت : أنا .

قال أبو سفيان : وإيمُ الله ما رأيتُ من رجل أرى أنّه كان أنكر من ذلك الأغلف — يعنى هرقل — فقال : اذنه فأقعدي بين يديه ، وأقعده أصحابي خلقي ، ثم قال : إني سأسأله ؛ فإن كذبَ فردّوا عليه ؛ فوالله لو كذبتُ ما ردّوا عليّ ؛ ولكني كنتُ امرأ سيِّداً أتكرّمُ عن الكذب ؛ وعرفت أن أيسر ما في ذلك إن أنا كذبتُه أن يحفظوا ذلك عليّ ؛ ثم يحدثوا به عني ؛ فلم أكذبه ، فقال : أخبرني عن هذا الرجل الَّذي خرج بين أظهركم يدعى ما يدعى ! قال : فجعلتُ أرهّدُ له شأنه ؛ وأصغّرُ له أمره ؛ وأقول له : أيّها الملك ، ما يهملك من أمره ! إنَّ شأنه دون ما يبلغك ؛ فجعل لا يلتفت إلى ذلك ، ثم قال : أنبئني عمّا أسألك عنه من شأنه . قلت : سئلَ عمّا بدا لك ؛ قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلت : محض^(٢) ؛ أوسطنا نسباً . قال :

(١) الأغاني : « رأيت » .

(٢) محض : خالص .

فأخبرني هل كان أحد من أهل بيته يقول مثل ما يقول ، فهو يتشبه به ؟ قلت : لا : قال : فهل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاء بهذا الحديث ليردُّ وأُعيد عليه ملكه ؟ قلت : لا ؛ قال : فأخبرني عن أتباعه منكم ، ممن هم ؟ قال : قلت الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ، وأما ذوو الأسنان والشرف من قومه ؛ فلم يتبعه منهم أحدٌ . قال : فأخبرني عَمَّنْ تَبِعَهُ ، أيحبه ويلزمه ^(١) أم يقلبه ويفارقه ؟ قال : قلت : ما تبعه رجل ففارقه . قال : فأخبرني كيف الحرب بينكم وبينه ؟ قال : قلت : سِجَالٌ يُدَالُ علينا ونُدال عليه ؛ قال : فأخبرني هل يغدر ؟ فلم أجد شيئاً ممّا سألني عنه أغمره فيه غيرها ، قلت : لا ، ونحن منه في هُدنة ، ولا نأمن غدره . قال : فوالله ما التفت إليها مني ، ثم كرّ على الحديث . قال : سألتك كيف نسبه فيكم ، فرعمت أنه مَحْضٌ ، من أوسطكم نسباً ؛ وكذلك يأخذ الله النبي إذا أخذه ؛ لا يأخذه إلا من أوسط قومه نسباً . وسألتك : هل كان أحدٌ من أهل بيته يقول بقوله ؛ فهو يتشبه به ؛ فرعمت أن لا ؛ وسألتك : هل كان له فيكم مُلكٌ فاستلبتموه إياه ؛ فجاء بهذا الحديث يطلب به ملكه ؟ فرعمت أن لا . وسألتك عن أتباعه ، فرعمت أنهم الضعفاء والمساكين والأحداث والنساء ؛ وكذلك أتباع الأنبياء في كل زمان ، وسألتك عَمَّنْ تَبِعَهُ ، أيحبه ويلزمه أم يَقْلِبُهُ ويفارقه ؟ فرعمت أنه لا يتبعه أحدٌ يفارقه ؛ وكذلك حلاوة الإيمان لا تدخل قلباً فتخرج منه . وسألتك : هل يغدر ؟ فرعمت أن لا ؛ فلئن كنت صدقتني عنه ليغلبنني ^(٢) على ما تحت قدمي هاتين ؛ ولوددت أني عنده فأغسل قدميه . انطلق لشأنك . ١٥٦٥/١

قال : فقمتُ من عنده وأنا أضرب إحدى يدي بالأخرى ؛ وأقول : أي عباد الله ؛ لقد أمرَ أمرٌ ^(٣) ابن أبي كبششة ! أصبح ملوك بني الأصفر يهابونه في سلطانهم بالشأم !

قال : وقدم عليه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحيّة بن

(١) من : « ويكرمه » .

(٢) الأغاى : « فليقلبن » .

(٣) أمر أمره : قوى واشتد .

خليفة الكلبي : بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هِرَقْل عظيم الروم . السَّلام على من اتَّبَعَ الهدى . أمّا بعد : أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، وَأَسْلِمَ يُؤْتِكَ الله أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ ؛ وَإِنْ تَوَلَّ فَإِنَّ لَإِثْمَ الْكَافِرِينَ عَلَيْكَ - يَعْنِي تَحِمَّالَهُ .

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا عبد الله بن إدريس ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن الزُّهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : أخبرني أبو سفيان ابن حرب ، قال : لما كانت الهدنة بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عامَ الحديبية ، خرجتُ تاجراً إلى الشام . ثم ذكر نحو حديث ابن حميد ، عن سلمة ، إلا أنه زاد في آخره : قال : فأخذ الكتاب فجعله بين فخذه وخاصرته .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابنُ إسحاق ، قال : قال ابنُ شهاب الزُّهري : حدثني أسقفُ النصارى أدركته في زمان عبد الملك بن مروان ، أنه أدرك ذلك من أمرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر هِرَقْل وعقّله ، قال : فلمّا قدِم عليه كتابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم مع دحية بن خليفة ، أخذه هِرَقْل ، فجعله بين فخذه وخاصرته . ثم كتب إلى رجل برومية كان يقرأ من العبرانية ما يقرءونه ؛ يذكر له أمره ، ويصفُ له شأنه ، ويخبره بما جاءَ منه ؛ فكتب إليه صاحب رومية : إنّه لَنَبِيٌّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُهُ^(١) ؛ لا شكّ فيه ؛ فاتّبعه وصدّقَه .

فأمر هِرَقْلُ ببطارقة الرُّوم ؛ فجُمِعُوا له في دَسْكَرَةِ^(٢) ، وأمر بها فأُشْرِجَتْ^(٣) أَبوابُها^(٤) عليهم ؛ ثم اطلع عليهم من عليّة له ؛ وخافهم على نفسه ، وقال : يا معشرَ الروم ؛ إني قد جمعتُكم لخير ؛ إنه قد أتاني كتاب

(١) و : « ننتظر » .

(٢) الدسكرة : القرية ، والصومعة ، والأرض المستوية ، وبيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي ، وبناء بالقصر حوله بيوت ، وهو المراد هنا .

(٣) أُشْرِجَتْ : سدت . (٤) و : « بأبوابها » .

هذا الرجل يدعوني إلى دينه ؛ وإنَّه والله لالنبى الذى كنَّا ننتظره ونجده فى كتبنا ؛ فهلموا فلننَّبِعه ونصدِّقه ، فسلم لنا ديانا وآخرتنا .

قال : فَتَخَرَّروا نَخْرَةَ رجل واحد ؛ ثم ابتدروا أبواب الدَّسْكَرة ليخرجوا منها فوجدوها قد أغلقت ؛ فقال : كرُّوهم على - وخافهم على نفسه - فقال : يا معشر الروم ؛ إني قد قلت لكم المقالة التى قلت لأنظر كيف صلابتكم على دينكم لهذا الأمر الذى قد حَدَّث ؛ وقد رأيت منكم الذى أَسْرَّ به ؛ فوقعوا له . سَجْدًا ؛ وأمر بأبواب الدَّسْكَرة ففَتِحَتْ لهم ؛ فانطلقوا^(١) .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سلَمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، أنَّ هرقل قال لدِحية بن خليفة حين قدم عليه بكتاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم : ويحك ! والله إني لأعلم أنَّ صاحبك نبيٌّ مرسل ؛ وإنَّه الذى كنَّا ننتظره ونجده فى كتابنا ؛ ولكنى^(٢) أخاف الروم على نفسى ؛ ولو لا ذلك لاتَّبَعْتُهُ ؛ فاذهب إلى صغاطر الأسقف فاذا ذكر له أمرَ صاحبكم ؛ فهو والله أعظم فى الروم مِنِّى ، وأجوز^(٣) قولاً عندهم مِنِّى ؛ فانظر ما يقول لك . ١٥٦٧/١

قال : فجاءه دِحية ؛ فأخبره بما جاء به من رسول الله صلَّى الله عليه وسلم إلى هرقل ، وبما يدعوهُ إليه ، فقال صغاطر : صاحبك والله نبيٌّ مرسل ؛ نعرفه بصفته ، ونجده فى كتبنا باسمه .

ثم دخل فألقى ثياباً كانت عليه سوداً ، ولبس ثياباً بيضا ، ثم أخذ عصاه ؛ فخرج على الروم وهم فى الكنيسة ، فقال : يا معشر الروم ؛ إنه قد جاءنا كتابٌ من أحمد ؛ يدعونا فيه إلى الله عزَّ وجلَّ ؛ وإني أشهدُ أن لا إله إلا الله ، وأنَّ أحمد عبده ورسوله .

قال : فوثبوا عليه وثبَّة رجل واحد ، فضربوه حتى قتلوه . فلما رجع

(١) الأغاني ٦ : ٣٤٨ ، ٣٤٩ .

(٢) و : ولكن .

(٣) ابن الأثير : « وأحور » .

دَحِيَّة إلى هِرْقُل فأخبره الخبر قال : قد قلت لك : إنا نخافهم على أنفسنا ؛ فصغاطر — والله — كان أعظمَ عندهم وأجوزَ قولاً مني .

حدثنا ابنُ حميد ، قال : حدثنا سَلَمَة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن خالد بن يسار ، عن رجل من قدماء أهل الشام ، قال : لما أراد هِرْقُل الخروجَ من أرض الشام إلى القسطنطينية ، لما بلغه من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جمع الروم ، فقال : يا معشرَ الروم ؛ إني عارضٌ عليكم أموراً ، فانظروا فيمَ قد أردتها ! قالوا : ما هي ؟ قال : تعلمون والله أن هذا الرجل لنبي مرسلٌ ؛ إنا نجده في كتابنا نعرفه بصفته التي وصف لنا ، فهلهم فليستبِعْه ، فتسلم لنا ديانا وآخرتنا ، فقالوا : نحن نكون تحتَ يدي العرب ؛ ونحن أعظمُ الناس مَلَكاً ، وأكثرهم رجالاً ، وأفضلهم بلداً !

قال : فهلهم فأعطيه الجزية في كل سنة ، اكسروا عني شوكتَه وأستريحُ من حربِهِ بما لأعطيه إياه ، قالوا : نحن نعطي العربَ الذلَّ والصغارَ ، بخرَجٍ ١٥٦٨/١ يأخذونه منا ؛ ونحن أكثرُ الناس عدداً ، وأعظمهم ملكاً ، وأمنعهم^(١) بلداً ؛ لا والله لا نفعل هذا أبداً .

قال : فهلهم فلاصالحه على أن أعطيه أرض^(٢) سوريّة ، ويَدَعِني وأرض الشام — قال : وكانت أرضُ سوريّة أرضَ فلسطين والأردنَ ودمشق وحمص ومادون الدّرْب من أرض سوريّة ؛ وكان ما وراء الدّرْب عندهم الشام — فقالوا له : نحن نعطيهِ أرضَ سوريّة ؛ وقد عرفت أنها سرّة الشام ؛ والله لا نفعل هذا أبداً .

فلما أبوا عليه ، قال : أما والله لترونَ أنكم قد ظفرتُم إذا امتنعتم منه في مدينتكم . ثم جلس على بَغْلٍ له ؛ فانطلق حتى إذا أشرف على الدّرْب استقبل أرضَ الشام ، ثم قال : السّلام عليكم أرضَ سوريّة تسليمَ الوداع ، ثم ركض حتى دخل القسطنطينية .

* * *

(١) س : « وأمنعه » .

(٢) س : « على أن أصلحه بأرض » .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم شجاع بن وهب ، أخا بني أسد بن خزيمة إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمير الغساني ؛ صاحب دمشق .

وقال محمد بن عمر الواقدي : وكتب إليه معه : سلام على من اتبع الهدى ، وآمن به . إننى أدعوك إلى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له يبق لك ملكك .

فقدم به شجاع بن وهب ، فقرأه عليهم ، فقال : من يتزع منى ملكى ! أنا سائر إليه ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : باد ملكه ^(١) !

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا ابن إسحاق ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضميرى إلى النجاشي ١٥٦٩/١ في شان جعفر بن أبي طالب وأصحابه ؛ وكتب معه كتاباً .

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة ، سلم ^(٢) أنت ؛ فإنى أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن ؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ، ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ؛ فخلق الله من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه ، وإننى أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ؛ والموالاتة على طاعته ؛ وأن تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ؛ فإننى رسول الله ، وقد بعثت إليك ابن عمى جعفرأ ونفراً ^(٣) معه من المسلمين ؛ فإذا جاءك فأقرهم ، ودع التجبر ؛ فإننى أدعوك وجنودك إلى الله ؛ فقد بلغت ونصحت ؛ فاقبلوا نصحتى ؛ والسلام على من اتبع الهدى .

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعم الله الرحمن الرحيم ، إلى محمد رسول الله ، من النجاشي الأصحم بن أبجر . سلام عليك

(١) باد ملكه : ذهب .

(٢) س : « سلام » .

(٣) س : « ومعه نفر » .

يأبى الله^(١) ورحمة الله وبركاته^(١)، من الله الذى لا إله إلا هو، الذى هدانى إلى الإسلام. أما بعد؛ فقد بلغنى كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فربّ السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت تُفَرِّقًا^(٢)؛ إنه كما قلت؛ وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا؛ وقد قرئنا ابن عمك وأصحابه^(٣)؛ فأشهد أنك رسول الله صادقًا مصدقًا؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك؛ ١٥٧٠/١ وأسلمت على يديه^(٤)، لله رب العالمين؛ وقد بعثت إليك بابني أرها بن الأصحم ابن أبيجر؛ فأني لا أملك إلا نفسي؛ وإن شئت أن آتيتك فعلت يا رسول الله؛ فإتني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله.

قال ابن إسحاق: وذكر لي أن النجاشي بعث ابنه في ستين من الحبشة في سفينة؛ فإذا كانوا في وسط البحر غرقت بهم سفينتهم، فهلكوا.

وحدثت عن محمد بن عمر، قال: أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي ليزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان؛ ويبعث بها إليه مع من عنده من المسلمين، فأرسل النجاشي إلى أم حبيبة يخبرها بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها جارية له يقال لها أبرهة؛ فأعطتها أوصاحًا^(٥) لها وفتخًا^(٦)؛ سرورًا بذلك، وأمرها أن توكل من يزوجه، فوكلت خالد بن سعيد بن العاص، فزوجها، فخطب النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطب خالد فأنكح أم حبيبة، ثم دعا النجاشي بأربعمائة دينار صداقها؛ فدفعها إلى خالد بن سعيد؛ فلما جاءت أم حبيبة تلك الدنانير، قال: جاءت بها أبرهة فأعطتها خمسين مثقالا، وقالت: كنت أعطيتك ذلك؛ وليس بيدي شيء، وقد جاء الله عز وجل بهذا.

(١-١) س: «من الله ورحمته».

(٢) يقال: ماله ثفروق، أى شيء وأصله قمع التمر، أو ما يلتزق به قمعها.

(٣) و: «وأصحابك».

(٤) س: «يده».

(٥) أوصاحًا، أى حليًا من فضة.

(٦) الفتخة: خاتم كبير يكون في اليد والرجل.

١٥٧١/١

فَقَالَتْ أَبْرَهَةُ : قَدْ أَمَرَنِي الْمَلِكُ أَلَّا آخُذَ مِنْكَ شَيْئًا ؛ وَأَنْ أَرُدَّ إِلَيْكَ الَّذِي أَخَذْتُ مِنْكَ ، فَرَدَدْتَهُ وَأَنَا صَاحِبَةُ دُهْنِ الْمَلِكِ وَثِيَابِهِ ، وَقَدْ صَدَّقْتُ مُحَمَّدًا ^(١) رَسُولَ اللَّهِ وَأَمَنْتُ بِهِ ؛ وَحَاجَتِي إِلَيْكَ أَنْ تَقْرِيَهُ مِنِّي السَّلَامَ .

قَالَتْ : نَعَمْ ؛ وَقَدْ أَمَرَ الْمَلِكُ نِسَاءَهُ أَنْ يَبْعَثْنَ إِلَيْكَ بِمَا عِنْدَهُنَّ مِنْ عُدُوٍّ وَعَنْبَرٍ ؛ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرَاهُ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا فَلَا يَنْكُرُهُ .
قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ : فَخَرَجْنَا فِي سَفِينَتَيْنِ ؛ وَبَعَثَ مَعَنَا النَّوَاتِي حَتَّى قَدِمْنَا الْخَارَ ، ثُمَّ رَكِبْنَا الظَّهْرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَوَجَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْبَرٍ ، فَخَرَجَ مَنَّا خَرَجَ إِلَيْهِ ، وَأَقَمْتُ بِالْمَدِينَةِ حَتَّى قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ؛ فَدَخَلْتُ إِلَيْهِ ، فَكَانَ يَسْأَلُنِي عَنِ النَّجَاشِيِّ ؛ وَقَرَأْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَبْرَهَةَ السَّلَامَ ، فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهَا ؛ وَلَمَّا جَاءَ أَبَا سَفْيَانَ تَزْوِيجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمُّ حَبِيبَةَ قَالَتْ : ذَلِكَ الْفَعْلُ لَا يَقْدَعُ أَنْفَهُ .

* * *

وَفِيهَا كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى ، وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ ؛ فِيهِ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارَسَ . سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَأَمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ، إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ، لِيُسْتَذَرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ؛ أَسْلِمَ تَسْلَمَ ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ .
فَرَزَقَ كِتَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : مُزَقَّ مَلِكُهُ !

حَدَّثَنَا ابْنُ حُسَيْدٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا سَلْمَةُ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ حَبِيبٍ ، قَالَ : وَبَعَثَ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ حُذَافَةَ بْنُ قَيْسِ بْنِ عَدَى بْنِ سَعْدِ بْنِ سَهْمٍ ، إِلَى كِسْرَى بْنِ هُرْمِزٍ مَلِكِ فَارَسَ وَكُتِبَ مَعَهُ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارَسَ ؛ سَلَامٌ عَلَيَّ مِنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، وَأَمِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ

لا شريك له ؛ وأن محمداً عبده ورسوله ؛ وأدعوك بدعاء الله ؛ فإنني أنا رسول الله إلى الناس كافةً لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فأسلم تسليماً ، فإن أبيت ؛ فإن لثم المجوس عليك .

فلما قرأه مزقه ، وقال : يكتب إلى هذا وهو عبدى !

حدثنا ابنُ حمّيد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن الزُّهري ، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ؛ أن عبد الله بن حنّافة قدّم بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على كسرى ، فلما قرأه شقّه ، فقال رسول الله : مزّق ملكه ! حين بلغه أنه شقّ كتابه .

* * *

ثم رجع إلى حديث يزيد بن أبي حبيب . قال : ثم كتب كِسْرَى إلى باذان ؛ وهو على اليمن : أن ابعث إلى هذا الرجل الذى بالحجاز رجلين من عندك جسدَيْن ، فليأتاني به ؛ فبعث باذان قهرمانه وهو بابويه — وكان كاتباً حاسباً بكتاب فارس — وبعث معه رجلا من الفُرس يقال له خُرّخُسرة ، ١٥٧٣/١ وكتب معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره أن ينصرف معهما إلى كسرى ، وقال لبابويه : ائت بلد هذا الرجل ، وكلمه وأتني بخبره ، فخرجا حتى قدما الطائف فوجدا رجلا من قريش بنخب من أرض الطائف فسألاه عن ، فقالوا : هو بالمدينة ، واستبشروا بهما وفرحوا ؛ وقال بعضهم لبعض : أبشروا فقد نصّب^(١) له كسرى ملك الملوك ، كُفّيتم الرجل ! فخرجا حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلّمه بابويه ، فقال : إن شاهان شاه ملك الملوك كِسْرَى ؛ قد كتب إلى الملك باذان ، يأمره أن يبعث إليك من يأتيه بك ؛ وقد بعثني إليك لتتطلق معي ؛ فإن فعلت كتب فيك إلى ملك الملوك ينفعك ويكفّ عنك ؛ وإن أبيت فهو من قد علمت ! فهو مهلكك ومهلك قومك ، ومخرّب بلادك ؛ ودخلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حلقا لحاهما ، وأعفيا شواربهما ؛ فكره النظر إليهما ، ثم

(١) نصّب : جدواهم .

أقبل عليهما فقال: ويلكُما! مَنْ أَمَرَ كما بهذا؟ قالَا: أَمَرَنَا بِهَذَا رَبَّنَا - يَعْنِيَانِ كَسْرَى - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: لَكِنْ رَبِّي قَدْ أَمَرَنِي بِإِعْفَاءِ لِحْيَتِي وَقَصِّ شَارِبِي. ثُمَّ قَالَ لهُمَا: ارجعا حتى تأتيا نِي غَدًا، وَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرَ مِنَ السَّمَاءِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ سَلَطَ عَلَى كَسْرَى ابْنَهُ شِيْرُوِيَه؛ فَقَتَلَهُ فِي شَهْرٍ كَذَا وَكَذَا لَيْلَةً كَذَا وَكَذَا مِنَ اللَّيْلِ؛ بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ اللَّيْلِ؛ سَلَطَ عَلَيْهِ ابْنُهُ شِيْرُوِيَه فَقَتَلَهُ.

— قَالَ الْوَاقِدِيُّ: قَتَلَ شِيْرُوِيَه أَبَاهُ كَسْرَى لَيْلَةَ الثَّلَاثَاءِ لِعَشْرِ لَيَالٍ مُضِيِّنَ^(١) مِنْ جُمَادَى الْأُولَى مِنْ سَنَةِ سَبْعٍ لَسْتُ سَاعَاتٍ مَضَتْ مِنْهَا —

رَجَعَ الْحَدِيثُ إِلَى حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ. فَدَعَاهُمَا فَأَخْبَرَهُمَا، فَقَالَا: هَلْ تَدْرِي مَا تَقُولُ! إِنَّا قَدْ نَقِمْنَا عَلَيْكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ هَذَا؛ أَفَتَكْتَبُ هَذَا عَنْكَ، وَنَخْبِرُهُ الْمَلِكُ! قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَاهُ ذَلِكَ عَنِّي، وَقَوْلَا لَهُ: إِنَّ دِينِي وَسُلْطَانِي سَيَبْلَغُ مَا بَلَغَ مَلِكُ كَسْرَى، وَيَنْتَهِي إِلَى مَتْنِهِ الْخُفِّ وَالْحَاغِرِ؛ وَقَوْلَا لَهُ: إِنَّكَ إِنْ أَسْلَمْتَ أُعْطِيْتُكَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ؛ وَمَلَكَتْكَ عَلَى قَوْمِكَ مِنَ الْأَبْنَاءِ؛ ثُمَّ أُعْطِيَ خَيْرٌ خَسِرَهُ مِنْ نَظَرِهَا فِيهَا ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، كَانَ أَهْدَاها لَهُ بَعْضُ الْمُلُوكِ.

فَخَرَجَا مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى قَدَمَا عَلَى بَاذَانَ، فَأَخْبَرَاهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِكَلَامِ مَلِكٍ، وَإِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ نَبِيًّا كَمَا يَقُولُ؛ وَلَنَنْظُرَنَّ مَا قَدْ قَالَ؛ فَلَنْ كَانَ هَذَا حَقًّا مَا فِيهِ كَلَامٌ؛ إِنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فَسَرَى فِيهِ رَأْيُنَا.

فَلَمْ يَنْشَبْ بَاذَانُ أَنْ قَدَّمَ عَلَيْهِ كِتَابُ شِيْرُوِيَه؛ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ كَسْرَى، وَلَمْ أَقْتَلْهُ إِلَّا غَضَبًا لِفَارِسٍ لَمَّا كَانَ اسْتَحْلَ مِنْ قَتْلِ أَشْرَافِهِمْ وَتَجْمِيرِهِمْ^(٢) فِي ثَغُورِهِمْ؛ فَإِذَا جَاءَكَ كِتَابِي هَذَا فَخُذْ لِي الطَّاعَةَ مِمَّنْ قَبْلَكَ؛ وَانْظُرِ الرَّجُلَ الَّذِي كَانَ كَسْرَى كَتَبَ فِيهِ إِلَيْكَ فَلَا تُهْجِرْهُ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي فِيهِ.

فَلَمَّا انْتَهَى كِتَابُ شِيْرُوِيَه إِلَى بَاذَانَ قَالَ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لِرَسُولٍ. فَأَسْلَمَ وَأَسْلَمَتِ الْأَبْنَاءُ مَعَهُ مِنْ فَارِسٍ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ بِالْيَمَنِ؛ فَكَانَتْ حِمِيْرَ تَقُولُ

(١) وَ: «بَقِيْن».

(٢) التَّجْمِيرُ: الْحَبْسُ فِي الثَّغُورِ.

لخرُخُسره : ذو المِعْجَزَةِ ، للمنطقة التي أعطاه إياها رسول الله صلى الله عليه وسلم والمنطقة بلسان حمير المِعْجَزَةِ^(١) — فَبَسَّوْهُ اليوم ينسبون إليها خُرْخُسره ذو المِعْجَزَةِ .

وقد قال بابويه لبازان : ما كَلَمْتُ رجلاً قطَّ أَهْيَبَ عندي منه ، فقال له بازان : هل معه شُرْطٌ ؟ قال : لا .

* * *

قال الواقديّ : وفيها كتب إلى المقوقس عظيم القبط ، يدعو إلى الإسلام فلم يُسَلِّم .

* * *

قال أبو جعفر : ولما رجع رسولُ الله صَلَّى الله عليه وسلم من غزوة الحديبية إلى المدينة أقام بها ذا الحجّة وبعض المحرم — فيما حدثنا ابنُ حُمَيْدٍ قال : حدثنا سلّمة ، عن ابن اسحاق . قال : وولى الحجّ في تلك السنة المشركون .

تم الجزء الثاني من تاريخ الطبرى ، ويليه
الجزء الثالث ، وأوله :
ذكر الأحداث الكائنة في سنة سبع .

(١) المعجزة : المنطقة ؛ باليمانية ، وفي و : « المعجزة » .

فهرس الموضوعات

صفحة	
١٠ — ٥	ذكر الخبر عن أصحاب أهل الكهف
١٧ — ١١	يونس بن متى
٢١ — ١٨	إرسال الله رسله الثلاثة
٢٣ — ٢٢	شمسون
٣٦ — ٢٤	ذكر خبر جرجيس
	* ذكر الخبر عن ملوك الفرس وسنى ملكهم
٤٣ — ٣٧	ذكر ملك أردشير بن بابك
٥١ — ٤٤	ذكر الخبر عن القائم كان بملك فارس بعد أردشير بن بابك .
٥٣ — ٥١	ذكر ملك هرمز بن سابور
٥٣	ذكر ملك بهرام بن هرمز
٥٤	ذكر ملك بهرام بن بهرام بن هرمز
٥٤	ذكر ملك شاهنشاه بن بهرام
٥٤	ذكر ملك نرسی بن بهرام
٥٥ — ٥٤	ذكر ملك هرمز بن نرسی
٦٢ — ٥٥	ذكر ملك سابور ذي الأكتاف
٦٢	ذكر ملك أردشير بن هرمز
٦٢	ذكر ملك سابور بن سابور
٦٣ — ٦٢	ذكر ملك بهرام بن سابور
٦٨ — ٦٣	ذكر ملك یزدجرد الأئیم
٨١ — ٦٨	ذكر ملك بهرام جور
٨٨ — ٨٢	ذكر ملك فیروز یزدجرد
	ذكر ما كان من الأحداث فی أيام یزدجرد بن بهرام وفیروز بن
٩٠ — ٨٨	عمالهما علی العرب وأهل الیمین

صفحة

٩٠	• • • • •	ذكر ملك بلاش بن فيروز
٩٤ - ٩٠	• • • • •	ذكر ملك قباذ بن فيروز
		ذكر ما كان من الحوادث التي كانت بين العرب في أيام
٩٨ - ٩٥	• • • • •	قياذ في مملكته وبين عماله
١٠٤ - ٩٨	• • • • •	ذكر ملك كسرى أنوشروان
		ذكر بقية خبر تسع أيام قياذ وزمن أنوشروان وتوجيه الفرس
١٥٤ - ١٠٥	• • • • •	الجيش إلى اليمن لقتال الحبشة
١٦٦ - ١٥٥	• • • • •	ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم
١٧٢ - ١٦٦	• • • • •	رجع الحديث إلى تمام أمر كسرى بن قباذ أنوشروان
١٧٦ - ١٧٢	• • • • •	ذكر ملك هرمز بن كسرى أنوشروان
١٨٧ - ١٧٦	• • • • •	ذكر ملك كسرى أبرويز بن هرمز
		ذكر الخبر عن الأسباب التي حدثت عند إرادة الله إزالة ملك
١٩٣ - ١٨٨	• • • • •	فارس عن أهل فارس
٢١٢ - ١٩٣	• • • • •	ذكر خبر يوم ذي قار
		ذكر من كان على ثغر العرب من قبل ملوك الفرس بالخير
٢١٨ - ٢١٣	• • • • •	بعد عمرو بن هند
٢٢٩ - ٢١٨	• • • • •	ذكر ملك شيرويه بن أبرويز
٢٣٠	• • • • •	ذكر ملك أردشير بن شيرويه
٢٣١	• • • • •	ذكر ملك شهر براز
٢٣٢ - ٢٣١	• • • • •	ذكر ملك بوران بنت كسرى أبرويز
٢٣٢	• • • • •	ذكر ملك جشنسده
٢٣٣ - ٢٣٢	• • • • •	ذكر ملك آزر ميدخت بنت كسرى أبرويز
٢٣٣	• • • • •	كسرى بن مهرا جشنس
٢٣٣	• • • • •	ذكر ملك خرزاسخسروا
٢٣٣	• • • • •	ذكر ملك فيروز بن مهرا جشنس

صفحة

٢٣٤	ذكر ملك فرّ خزاذ خسروا
٢٣٤	ذكر ملك يزديجرد بن شهريار
	ذكر أقوال علماء المسلمين وغيرهم فيما كان بين هبوط آدم
٢٣٨ - ٢٣٤	إلى الهجرة من السنين
	ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر بعض أخبار
٢٧٦ - ٢٣٩	آبائه وأجداده
٢٥١ - ٢٤٦	عبد المطلب
٢٥٤ - ٢٥١	هاشم
٢٥٤	عبد مناف
٢٦٠ - ٢٥٤	قصي
٢٦٠	كلاب
٢٦١	مرة
٢٦١	كعب
٢٦٢	لؤي
٢٦٢	غالب
٢٦٣ - ٢٦٢	فهر
٢٦٥ - ٢٦٣	مالك
٢٦٦ - ٢٦٥	النضر
٢٦٦	كنانة
٢٦٦	خزيمة
٢٦٧ - ٢٦٦	مدركة
٢٦٨	إلياس
٢٧٠ - ٢٦٨	مضر
٢٧٠	نزار
٢٧١ - ٢٧٠	معد

صفحة

عدنان	٢٧٦ - ٢٧١
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسبابه	٢٧٩ - ٢٧٧
ذكر تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها	٢٨٢ - ٢٨٠
ذكر باقى الأخبار عن الكائن من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يتنبأ وما كان بين مولده ووقت نبوته	
من الأحداث فى بلده	٢٩٢ - ٢٨٣
ذكر اليوم الذى نبي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهر الذى نبي فيه وما جاء فى ذلك	٢٩٧ - ٢٩٣
ذكر الخبر عما كان من أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم عند ابتداء الله تعالى ذكره إياه بإكرامه بإرسال جبريل عليه السلام بوحيه وما تلا ذلك من الأحداث إلى وقت الهجرة	٣٨٧ - ٢٩٨
ذكر الوقت الذى عمل فيه التاريخ	٣٩٣ - ٣٨٨

* * *

ذكر ما كان من الأمور فى أول سنة من الهجرة

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول جمعة بالمدينة	٣٩٦ - ٣٩٥
--	-----------

* * *

السنة الثانية

غزوة ذات العشيرة	٤٠٩ - ٤٠٨
سرية عبد الله بن جحش	٤١٠
ذكر وقعة بدر الكبرى	٤٧٩ - ٤٢١
غزوة بنى قينقاع	٤٨٣ - ٤٧٩
غزوة السويق	٤٨٥ - ٤٨٣

* * *

السنة الثالثة

٤٨٧	غزوة ذي أقر
٤٩٢ - ٤٨٧	خبر كعب بن الأشرف
٤٩٣ - ٤٩٢	غزوة القردة
٤٩٩ - ٤٩٣	مقتل أبي رافع اليهودي
٥٣٣ - ٤٩٩	غزوة أحد
٥٣٦ - ٥٣٤	غزوة حمراء الأسد

* * *

السنة الرابعة

٥٤٢ - ٥٣٨	غزوة الرجيع
	ذكر الخبر عن عمرو بن أمية الضمري حين وجهه رسول الله
٥٤٥ - ٥٤٢	صلى الله عليه وسلم لقتل أبي سفیان بن حرب
٥٥٥ - ٥٤٥	ذكر خبر بئر معونة
٥٥٩ - ٥٥٥	غزوة ذات الرقاع
٥٦١ - ٥٥٩	ذكر الخبر عن غزوة السويق

* * *

السنة الخامسة

٥٦٤ - ٥٦٣	زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش
٥٦٤	غزوة دومة الجندل
٥٨١ - ٥٦٤	ذكر الخبر عن غزوة الخندق
٥٩٤ - ٥٨١	غزوة بني قريظة

* * *

* هي غير الغزوة التي مر ذكرها بهذا الاسم في حوادث السنة الثانية .

صفحة

السنة السادسة

٥٩٥	غزوة بنى لحيان
٦٠٤ - ٥٩٦	غزوة ذى قرد
٦١٠ - ٦٠٤	غزوة بنى المصطلق
٦١٩ - ٦١٠	حديث الإفك
٦٤٤ - ٦٢٠	ذكر الخبر عن عمرة النبي صلى الله عليه وسلم التي صدّه المشركون فيها عن البيت ، وهي قصة الحديبية
٦٥٧ - ٦٤٤	ذكر خروج رسل رسول الله إلى الملوك